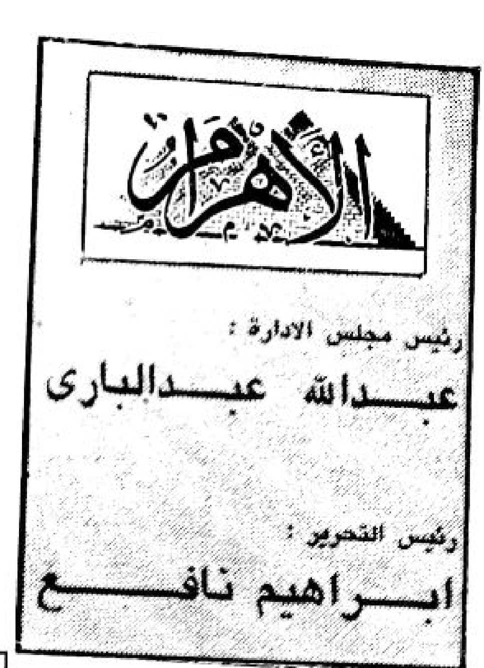


العدد (٧٢)
ابريل ١٩٨٣



رئيس مجلس الادارة :
عبدالله عبدالبارى

رئيس التحرير :
ابراهيم نافع



الفهرس

ص

□ الافتتاحية حركة عدم الانحياز واحتمالات الانطلاق لمرحلة جديدة ٤

□ الدراسات

.... ٨
ـ قضية التحدى الحضارى بين مصر واسرائيل ـ السيد يسين ٢٠
ـ الخليج العربى فى ضوء المتغيرات الدولية المستجدة ـ د. محمد الرميحى ٣٤
ـ ... العربى المعاصر ـ د. سمير امين ....

□ ملف السياسة الدولية : مصر وحركة عدم الانحياز

.... ٥٠
ـ جدور سياسة عدم الانحياز فى مصر ـ عزة وهبى ٦٤
ـ مصر ومؤتمرات عدم الانحياز من باندونج الى هافانا ـ أمانى قنديل ٧٩
ـ قادة عدم الانحياز : عبدالناصر ، تيتو ، نهرو ـ د. مجدى حماد ٩٩
ـ عدم الانحياز ودوره فى اتجاهات السياسة المصرية ـ د. أحمد عباس ١٠٦
ـ قمة نيودلهى وأزمة عدم الانحياز ـ دينا الخواجه ١١٠
ـ صحفيو عدم الانحياز والنظام العالمى الجديد للأعلام ـ صلاح الدين حافظ

□ تقارير وتعليقات

.... ١١٧
ـ رحلة الرئيس مبارك الى واشنطن ـ هالة مصطفى ١٢٠
ـ مأزق مفاوضات الانسحاب الاسرائيلى من لبنان ـ حسن ابو طالب ١٢٤
ـ لجنة كاهان وسياسة الاحتواء الاسرائيلية ـ السيد زهرة ١٢٧
ـ موشى ارينز ومستقبل السلام فى الشرق الأوسط ـ الفت اغا ١٣١
ـ الاقتصاد الاسرائيلى واعباء الدفاع ـ صفاء جمال الدين ١٣٥
ـ بيان المجلس الوطنى الفلسطينى ـ ضياء رشوان ١٣٩
ـ ابعاد المصالحة العربية بين عمان واليمن الجنوبية ـ جمال زهران ١٤٣
ـ الاوبيك والانهيار الاخير ـ عبدالفتاح الجبالى ١٤٧
ـ افريقيا .. والمساعدات الاقتصادية الدولية ـ احمد طه محمد ١٥٢
ـ التحرك الدبلوماسى الصينى فى افريقيا ـ محمد عيسى الشرقاوى ١٥٥
ـ التطورات الجديدة لمشكلة اللاجئين فى افريقيا ـ إيمان فرج ١٥٩
ـ تمثيل كمبوتشيا فى الامم المتحدة ـ محمد عبدالوهاب الساكت ١٦٣
ـ الاتجاهات الجديدة فى السياسة الدفاعية اليابانية ـ نزيرة الافندى
ـ مستقبل تايوان فى اطار العلاقات الصينية الامريكية ـ اسماعيل صبرى ١٦٨
ـ العلاقات الهندية الصينية .. الجذور والآفاق ـ د. مصطفى الفقى ١٧٣
ـ أزمة الديون الخارجية للدول النامية ـ ابراهيم احمد ابراهيم ١٧٧

السياسة الدولية

مجلة دورية تصدر عن
مركز الدراسات السياسية
والاستراتيجية بالأهرام

العدد ٧٢
ابريل ١٩٨٣

رئيس التحرير :
د . بطرس بطرس غالى

مدير التحرير :
السيد يسين

سكرتيرو التحرير :
احمد يوسف القرعى
نبية الأصفهانى
سوسن حسين

الادارة والتحرير والاعلانات
شارع الجلاء ـ القاهرة .
ت : ٧٥٥٥٠٠ ـ ٧٤٥٦٦٦

الاشتراكات السنوية
ـ داخل الجمهورية (٢٠٠ قرشا)
ـ لدول اتحاد البريد العربى (بالبريد الجوى) ١٠ دولارات امريكية
ـ للدول الأجنبية (بالبريد الجوى) ٢٢ دولارا امريكيا

□ فى الاستراتيجية العسكرية

ـ الاخطار الناشئة عن الاقمار الصناعية ـ خضر الدهراوى ١٨١

□ ندوات ومؤتمرات دولية :

ـ المؤتمر الافريقى الامريكى الثالث عشر ـ هدايت عبدالنبى ١٨٥
ـ سمنار العلاقات الأوروبية الامريكية ـ نبيه الاصفهانى ١٨٧
ـ ندوة التصور الخيالى وصناعة التاريخ ـ نبية الاصفهانى ١٨٩

□ مكتبة السياسة الدولية

ـ مجزرة صابرا وشاتيلا ـ عرض : دينا الخواجه.................... ١٩٢
ـ الولايات المتحدة والفلسطينيون ـ عرض : د . عبدالله الاشعل ١٩٧

□ المؤلفات العربية السياسية :

ـ مذكرات حسن يوسف ـ القصر ودوره فى السياسة المصرية ٢٠١
ـ هدر الامكانية : بحث فى مدى تقدم الشعب العربى ٢٠٥
ـ الاخوان المسلمون والتنظيم السرى ٢٠٧
ـ التجديد فى الفكر الاسلامى ٢١١
ـ الوجود الاسرائيلى والعربى فى افريقيا ٢١٢
ـ السياسة الامريكية تجاه الصراع العربى الاسرائيلى ٢١٤
ـ عملية اتخاذ القرار فى سياسة الاردن ٢١٥
ـ الهوية الوطنية للشعب الفلسطينى ٢١٧
ـ بورسعيد : تاريخها وتطورها ٢٢٠

□ كتب جديدة وردت الى المجلة ٢٢٤

□ مجلات السياسة الدولية :

○ قضية السلام الملحة فى الشرق الأوسط ـ اعداد : سوسن حسين ٢٢٨
ـ السلام الاسرائيلى الفلسطينى ـ هارولد سوندرز.................... ٢٢٩
ـ الاتحاد السوفيتى فى الشرق الأوسط قوة عظمى فى افول ؟ ـ كارين داويشا.................... ٢٣٣
ـ المعضلة السورية ـ فيليب راندو ٢٣٦
ـ حديث مع عرفات ـ هربرت كلماز ٢٣٩

□ شهريات الأحداث الدولية

ـ ديسمبر ١٩٨٢ ، يناير وفبراير ١٩٨٣.................... ٢٤٣



حركة عدم الانحياز واحتمالات الانطلاق لمرحلة جديدة

بانعقاد المؤتمر السابع لحركة عدم الانحياز فى نيودلهى من ٧ الى ١٢ مارس ١٩٨٣ تدخل حركة عدم الانحياز مرحلة جديدة من مسيرتها الطويلة ، التى حاولت فيها أن تعبر عن المطامح والآمال المشروعة لدول العالم الثالث التى عانت طويلا من القهر والاستغلال من جانب الدول المتقدمة . وهذه المطامح والآمال تركزت أساسا على تحقيق نظام دولى يقوم على السلام ، وينهض على تكافؤ الفرص ، فى ظل مناخ خال من التوتر والصدام . ومثل هذا المناخ الذى حاولت الحركة المساعدة فى بلورته من شأنه أن يساعد دول عدم الانحياز على أن تمضى فى طريق التنمية بخطى حثيثة ، حتى تتخلص من كل آثار التخلف والتبعية .

وقد تحددت ملامح المرحلة الجديدة ببيان المؤتمر الذى وضع الحركة فى اطار للدبلوماسية الهادئة التى تهدف الى :

١ ــ تقوية دور مجموعة عدم الانحياز كقوة مستقلة عالمية تكون بديلا عن سياسة التكتل .

ومؤكدا أن المتغيرات الدولية تساعد كثيرا على استعادة الحركة لدورها وقدرتها على المبادرة ، فالانفراج الدولى الذى كانت الآمال معقودة على تطوره الى وفاق دولى سار على عكس ما كان متوقعا ليدخل العالم فى مرحلة أقرب الى « السلام الساخن »

٢ ــ دعم الروابط بين دول المجموعة بالتركيز على تقريب وجهات

« ان وحدة حركة عدم الانحياز هى سر قوتها وفاعليتها وبدونها تصبح الحركة مجرد تراكم تعددى عاجز عن التحول الى مضمون كيفى وبذلك تنقلب الى صورة من المنظمات الدولية القائمة فى اطار الصراع والمنافسة الحادة ويتناقص تاثيرها ويتقلص دورها وتتاكل قدرتها على توجيه الاحداث وتذوب شخصيتها المستقلة وهويتها المتميزة .... ان من الضرورى ان نتفق على اعطا التعاون بين دول الحركة اولوية فائقة على التعاون بين الدول الأخرى سوا فى المجالات السياسية او فى الميادين المتصلة بالتنمية الاقتصادية والاجتماعية الشاملة والجهود المبذولة للتغلب على المشاكل الاقتصادية المتزايدة »

من خطاب الرئيس حسنى مبارك
أمام مؤتمر نيودلهى

النظر وحل القضايا التى تهدد « التضامن » بينهم .

والواقع الذى تعيشه الحركة هو الدافع والمحرك للاسراع باتخاذ اجراءات فعالة على هذا الطريق . فقد أصبحت سمة الصراع المسلح هى وسيلة التعامل مع المشاكل بين دول المجموعة وبعضها البعض . وحل الخلاف مكان الوفاق . وكادت الحركة أن تتبعثر لولا الشعور بالخطر . وهو خطوة على طريق العلاج .

٣ ـ اعطاء الجهود لاقامة « النظام الاقتصادى العالمى الجديد » درجة مكثفة من الاهتمام حتى يتحول من فكرة الى واقع دولى .

والواضح أن عمق وخطورة الأزمة الاقتصادية العالمية ومخاطر الكساد العالمى حافز قوى لسرعة الحركة وكثافة الجهد . وأول خطوات عملية على طريق التصدى لهذه المخاطر هو « حوار الجنوب مع الجنوب » على حد تعبير أنديرا غاندى قبل الدخول فى حوار الشمال مع الجنوب .

فالحقيقة إن امكانيات دول عدم الانحياز الاقتصادية لا تتفق اطلاقا وحالة الفقر التي تسود معظم دوله . والأمر لا يحتاج لغير جهد جماعي من دول الحركة لاستغلال الامكانيات المتاحة بصورة اقتصادية أفضل ولصالح دول المجموعة .

هذه هى الملامح الرئيسية لمرحلة الانطلاق الجديدة لحركة عدم الانحياز .

ودول الحركة تدرك جيدا أنه ليس أمامها سوى خيار واحد لقبول التحدى والانطلاق الى مستقبل افضل باعتبار ان الخيار الثانى هو « الضياع » وهو باليقين ليس خيارا بل انتحارا لا يقبله أحد .

ورغم انه لا خيار سوى التصدى إلا ان المهمة ليست على هذا القدر من البساطة . فهناك اثقال تحد من قدرة المجموعة على الحركة . وفى مقدمتها حجم المجموعة الذى وصل الى ١٠١ دولة اى معظم دول العالم الثالث كله . فهو وان كان تعبيرا عن قوة الحركة وانتشارها إلا انه بصدق انتشار جاء على حساب سياسة عدم الانحياز نفسها .

واذا كانت هذه القضية بالغة التعقيد ويصعب إن لم يكن يستحيل المساس بها دون تهديد وحدة الحركة بل ووجودها ، فان هناك مخارج متاحة لعلاج هذا . أعرض منها « مكتب التنسيق » . فمن الممكن أن يكون هو اداة الحركة فى الالتزام بخطوطها بعد أن وقع تراخ فى تطبيق « مقاييس عدم الانحياز الخمسة » على طلبات العضوية ، فيترك الباب مفتوحا لدول العالم الثالث لدخول الحركة على ان يكون مكتب التنسيق هو « صمام الأمان » فلا تكون العضوية فيه على أساس الانتخاب الاقليمى ـ جغرافيا ـ فقط بل على أساس الالتزام بسياسة عدم الانحياز ، وهو أمر ممكن وخاصة وان قيادة الحركة ستكون فى يد الهند فى السنوات الثلاث القادمة .

ولاشك فى أن الدول الرائدة فى حركة عدم الانحياز وعلى راسها مصر ، يمكن أن تسهم بجهدها الخلاق فى زيادة فاعلية الحركة ، من خلال تدعيم المطالب العادلة للحركة على المستوى الدولى ، بل ومن خلال ما تبذله من جهد لتحقيق التنمية والتقدم فى اطارها الاقليمى الخاص ، بما يدعوه ذلك من زيادة التفاعلات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية بين دول حركة عدم الانحياز ذاتها .

ولقد رأت ادارة تحرير مجلة السياسة الدولية تخصيص ملف هذا العدد لعدة دراسات حول دور مصر فى حركة عدم الانحياز .

فى البداية تتناول الباحثة عزة وهبى جذور سياسة عدم الانحياز فى مصر وتلقى الضوء على الفترة التى سبقت قيام ثورة ٢٣ يوليو مباشرة (١٩٥٠ ـ ١٩٥٢) لتوضح ان الدعوة لحياد مصر على المستوى الدولى كانت قائمة وان كانت خافتة وتركز الباحثة دراستها على الدعوة لحياد مصر فى البرلمان المصرى وتحلل موقف النخبة البرلمانية من ناحية بالاضافة الى موقف السلطة التنفيذية والحكومة بالذات من ناحية اخرى .

كما تدرس الباحثة الدعوة لحياد مصر من خلال التعرض لموقف مصر من التحالف الغربى ثم موقفها من المعسكر الشرقى ثم الدعوة للحياد بين الكتلتين .

وتستكمل الباحثة أمانى قنديل متابعة الموقف المصرى غير المنحاز مع قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وبخاصة منذ مؤتمر باندونج فى منتصف الخمسينات وحتى مؤتمر هافانا فى نهاية السبعينات .

ويركز بحث د . مجدى حماد على ثلاثة من قادة عدم الانحياز هم عبد الناصر ، تيتو ، نهرو مع الاشارة من حين الى آخر لقائد أو آخر وذلك لأن هذا « الثلاثى القائد » كان له دور بارز فى الدعوة الى هذه السياسة الجديدة وفى توضيحها فكريا وعمليا . ويركز البحث ايضا على ناحية التكامل بين هؤلا القادة باعتبار أن هذه السياسة هى حصيلة التفاعل والتكامل بين أفكار كل منهم .

ويتناول بحث الدكتور أحمد عباس عبد البديع أهمية ودور استراتيجية عدم الانحياز فى اتجاهات السياسة المصرية ، ويبحث فى الظروف الداخلية والخارجية التى أدت الى تبنى مصر مبادىء عدم الانحياز ويوضح مدى التزامها بهذه المبادى للوقوف على مدى توافق السلوك المصرى مع مسيرة الحركة ، ويؤكد فى ختام بحثه على أن ارتباط مصر بهذه المبادىء يمثل التزاما مصيريا وتيارا مستمرا فى الحاضر والمستقبل .

وتتابع الباحثة دينا الخواجة اعمال مؤتمر قمة دول عدم الانحياز المعقود مؤخرا فى نيودلهى وتعرض للقضايا الخلافية والمنازعات الاقليمية المطروحة بحدة على المؤتمر والتى تعكس مظاهر وجذور الأزمة القائمة لحركة عدم الانحياز .

وحول دور صحفيى دول عدم الانحياز تجاه الحركة من ناحية وتجاه النظام الاعلامى العالمى الجديد يطرح الأستاذ صلاح الدين حافظ بعض المهام للمناقشة وفى مقدمتها العمل على إعادة حركة عدم الانحياز الى مناهلها ومنابع افكارها والتزامها الأصلى مع مراعاة المتغيرات الدولية والمستجدات التى طرأت على الحركة نفسها . ومن المهام الأخرى مقاومة الاستقطاب والغزو الفكرى والاعلامى ، وترشيد وتوجيه الرأى العام نحو الاختيارات السياسية والاجتماعية والاقتصادية المتمشية مع حركة عدم الانحياز .

« السياسة الدولية »

دراسة

قضية التحدى الحضارى بين مصر واسرائيل

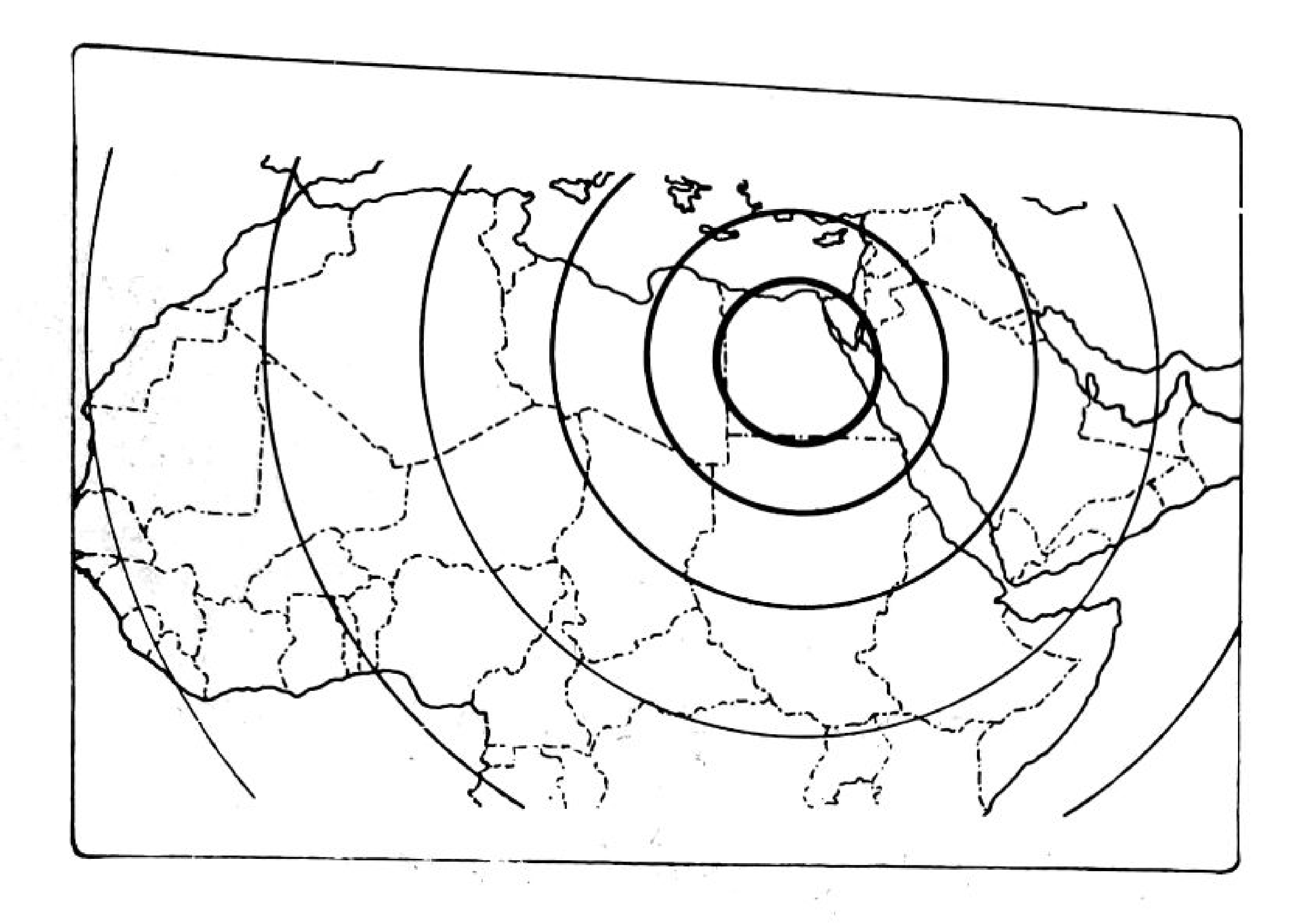
السيد يسين

مدير مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية



القول ان توقيع المعاهدة المصرية الاسرائيلية بكل ما تتضمنه من انها حالة الحرب وتطبيع العلاقات بين مصر واسرائيل يعد أبرز حدث فى مسار الصراع العربى الاسرائيلى الذى امتد عقودا طويلة من الزمان . ومرد ذلك الى النظرية العربية التى سادت منذ عام ١٩٤٨ (تاريخ انشاء الدولة الاسرائيلية) والتى مبناها ان الصراع مع الدولة الاسرائيلية هو صراع ممتد ، وانه لن يحسمه الا معركة عسكرية فاصلة . وبناء على هذه النظرية تبلورت صورة نمطية عن الاسرائيليين كشعب ، وعن اسرائيل كدولة وكمجتمع . والاسرائيليون — وفق هذه الصور النمطية — اشتات من البشر جاءوا من مختلف بلاد العالم ، لا يجمع بينهم سوى العقيدة الدينية (اليهودية) ولا يدفعهم ويحركهم نحو استعمار فلسطين العربية سوى عقيدة سياسية متطرفة وعنصرية هى الصهيونية . وهم بذلك لا يكونون شعبا واحدا منسجما ، فالخلافات الاثنية (السلالية) بين اليهود الشرقيين (السفارديم) واليهود الغربيين (الاشكنازيم) تمزقهم ، بالاضافة الى الاختلافات الاجتماعية والحضارية بين فئاتهم المختلفة . واسرائيل كدولة — وفق هذا التصور النمطى — دولة عنصرية تعتمد اعتمادا اساسيا على القوة العسكرية والعدوان والارهاب ، وهى بذلك مجتمع عسكرى صمم بحيث يكون فى حالة حرب دائمة .

واذا كانت هذه هى بعض ملامح الصورة النمطية



التى رسمها العقل العربى طوال العقود الماضية عن اسرائيل شعبا ودولة ومجتمعا ، بكل ما تتضمنه من سلبيات ، الا انه يمكن القول أن الصورة اكتسبت ابعادا جديدة بعد الهزيمة العربية فى يونيو ١٩٦٧ . فتحت وطأة الهزيمة الساحقة بدأت بعض بوادر التضخيم فى النموذج الاسرائيلى ، وخلط الكثيرون بين التفوق العسكرى والتفوق الحضارى .

ونشأ بعد عام ١٩٦٧ نوع من الكتابات يمكن ان تطلق عليها كتابات « النقد الذاتى بعد الهزيمة[١] . وهذه الكتابات التى حاول اصحابها سبر اغوار الهزيمة وتشخيص اسبابها واقتراح الحلول لتجاوزها ، ركزت تركيزا واضحا على البعد الحضارى فى المواجهة العربية الاسرائيلية . وكان التفسير السائد فى هذا الوقت ان الهزيمة ليست مجرد هزيمة عسكرية او سياسية بل هى فى المقام الاول هزيمة حضارية . ومضمون هذا الحكم الخطير ان اسرائيل هزمتنا لانها تمثل نمطا حضاريا اكثر تقدما من النمط الحضارى العربى .

ومن هنا ارتفعت دعوات بعض الكتاب - مثل احمد بهاء الدين - الى ضرورة انشاء « دولة عصرية » تكون قادرة على مواجهة اسرائيل .

ولقد كانت هذه التفسيرات - بالرغم من صحة بعض جوانبها - بالغة الخطورة لانها فى نظرها للنموذج الاسرائيلى ، لم تستطع التفرقة بين القوة العسكرية والتقدم التكنولوجى وبين التفوق الحضارى .

ومن ناحية اخرى ، فالزعم بان المواجهة العسكرية مع اسرائيل بعد هزيمة ١٩٦٧ تقتضى - كشرط مبدئى - انشاء دولة عصرية كما دعا الى ذلك احمد

بهاء الدين ، كان معناه ان ننتظر اجيالا واجيالا من السنين الى ان ننتهى من بناء الدولة العسكرية ، وكان معنى ذلك بالضرورة تأجيل حرب اكتوبر ١٩٧٣ أو أى مواجهة عسكرية فاصلة مماثلة الى أن نستعد لذلك حضاريا .

أن خطورة الخلط بين القوة العسكرية والتقدم التكنولوجى والتفوق الحضارى تكمن فى تجاهل الحقيقة التى تؤيدها البراهين التاريخية ، فى أنه ليس من الضرورى ان تتلاءم القوة العسكرية الفائقة مع التفوق الحضارى . ففى كثير من الحالات كانت ممارسة القوة العسكرية الفائقة فى التعامل الدولى بما تضمنه من عدوان وغزو واستيلاء على اراضى الغير واحتلال واستعمار ، تعبيرا فجا عن تخلف حضارى مؤكد للدولة التى تقوم بذلك . والتاريخ القديم والوسيط الحديث زاخر بحوادث هجوم البرابرة على المراكز المتحضرة وتخريبها ، ولدينا فى التاريخ العربى حوادث اكتساح التتار للمدن العامرة العربية . وفى التاريخ الغربى نجد الحملات الامبريالية ضد بلدان العالم الثالث التى كان بعضها – كما يؤكد عالم الاجتماع الانجليزى بيتروورسلى فى كتابه « العالم الثالث » – أكثر حضارة من الدول الغربية الغازية [2] ولدينا فى التاريخ الاوربى المعاصر المانيا النازية بكل آلة الحرب المتقدمة التى كانت تمتلكها والتى سمحت لها باكتساح القارة الاوربية . هل كانت المانيا النازية اكثر تفوقا حضاريا من باقى الدول الاوربية التى تم اكتساحها ؟ ام كانت تعبيرا بليغا عن خطورة النزعات البدائية ، والتوجهات العنصرية التى كان من شأنها اضطهاد اليهود انفسهم وملاحقتهم فى كل مكان ؟ [3] .

ومن ناحية اخرى ، فالدعوة الى انشاء دولة عصرية كشرط مبدئى قبل المواجهة العسكرية مع اسرائيل ، تجاهلت الحقيقة التى مؤداها أن الهزيمة فى ١٩٦٧ تمت نتيجة لظروف استثنائية ظلمت فيها القوات المسلحة المصرية ظلما فاحشا ، لانه لم يتح لها ان تعد للحرب وفق الاصول المعروفة . لقد كانت الهزيمة فى الواقع هزيمة للصفوة السياسية التى عجزت عن تعبئة المجتمع للحرب ، وأدت بالتالى الى الكارثة العسكرية فى ١٩٦٧ . والهزيمة ليست حضارية كما زعم بعض الكتاب العرب . ولعل ابلغ دلى على ذلك ان القوات المسلحة المصرية استطاعت ان تشن حرب اكتوبر بعد ست سنوات فقط من هزيمة اكتوبر ، هذه الحرب التى كشفت عن المعدن الاصيل للمقاتل المصرى والمقاتل العربى ، الذى اثبت قدرة على التحديث والمعاصرة ، بل واكثر من ذلك قدرته على التجديد والابتكار فى مجال التخطيط العسكرى والاستراتيجى ، وفى مجالات الانجاز الميدانية . ويكفى دليلا على ذلك ان ما استحدثته القوات المسلحة المصرية فى هذه الحرب ، اعتبرته المراكز الاستراتيجية فى العالم نقطة تحول حاسمة فى الحرب الحديثة [4]

ولا يعنى ذلك على وجه الاطلاق ، اننا بلغنا المدى فى التفوق الحضارى ! على العكس نحن ما زلنا نكافح للانتقال من مرحلة التخلف الى مرحلة التقدم ، فى اطار عالمى يتسم بالصراع الحاد والعنيف بين الدول الفقيرة والدول الغنية . الدول الفقيرة تطالب بحقها من المساعدات الاقتصادية ، وحق الحصول على التكنولوجيا الحديثة ، والدول الغنية التى ما زالت غارقة – بمفهوم غير حضارى بالمرة – فى سباق التسلح العقيم ، الذى يؤثر سلبا على قدرتها فى مجال مساعدة الدول الفقيرة .

نحن اذن – كدولة فى العالم الثالث – فى خضم الصراع فى سبيل التحديث والتقدم . غير اننا لسنا بعيدين كثيرا عن المستوى الذى وصلت اليه اسرائيل .

ذلك ان اسرائيل – وهذه هى الفكرة الرئيسية فى هذا البحث – لا تقدم لنا نموذجا حضاريا يستحق الاقتداء ، بل انها على العكس – بحكم سياستها العنصرية ازاء الفلسطينيين فى الضفة الغربية وغزة – ما زالت تفتقر الى المفهوم الحضارى الحقيقى فى كيفية التعامل السلمى مع الشعوب . وهى ان كانت متفوقة عسكريا ، فالتفوق العسكرى ليس حكرا عليها ، فقد استطعنا فى حرب اكتوبر ان نضع ايدينا على المفاتيح الأساسية لأساليب التطوير العسكرى الحديث ، وهى ان كانت متفوقة تكنولوجيا فى بعض الميادين فهذا التفوق مستعار فى المقام الاول من التكنولوجيا الامريكية والاوربية . واذا كنا نستطيع أن نذهب الى الاصول – فى مجال نقل التكنولوجيا – فما هى حاجتنا

( ) انظر كتابنا شخصية العربية بين مفهوم الذات وتصور الاخر ، بيروت دار التنوير ، ١٩٨٢

(٢) انظر : بيتروورسلى ، العالم الثالث ، ترجمة : حسام الخطيب ، دمشق ، منشورات وزارة الثقافة والسياحة والارشاد القومى ١٩٦٨ .

(٣) انظر فى ذلك المرجع الاساسى :

Karl Dietrch Bracher' the German Dictatorship' the origins structure and consequence of National Socialism' London ; Penguin 1973.

(٤) انظر : السيد يس مشرف على التحرير) حرب اكتوبر ، دراسات فى الجوانب السياسية والاجتماعية مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية والمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ١٩٧٣ . القاهرة

لكى نتسكع فى دروب الفروع ؟

ان قضية التحدى الحضارى بين مصر واسرائيل فى ظروف السلام تقتضى نظرة أولية ثاقبة لطبيعة الصراع العربى الاسرائيلى ، وتحليلا نقديا للنظريات الغربية التى صيغت بصدد تفسيره . بغير هذه النظرة وبدون هذا التحليل ، يصبح الحديث عن التحدى الحضارى لغوا . ذلك لانه بغير معرفة بجذور الصراع وبطبيعته ، لا يمكن الكلام عن مرحلة السلام واتجاهاتها .

اولا : طبيعة الصراع العربى الاسرائيلى فى ضوء نماذج الصراع فى العلاقات الدولية

ليس هناك شك فى أن التحديد الدقيق لطبيعة الصراع العربى الاسرائيلى من شأنه ان يساعدنا فى التعرف على آفاق العلاقات السلمية بين مصر واسرائيل . هل ستكون علاقات تعاون فى اطار تنافسى ، أم ان هناك احتمالات لكى تنشأ علاقات صراع فكرى او حضارى ؟

وقد حاول بعض علماء العلاقات الدولية وضع نموذج (model) يمكن الاستعانة به فى دراسة الصراع الحضارى(٥) . ومن المعروف ان وضع « النماذج » هو احد الاساليب العلمية التى تساعدنا على دراسة واكتشاف العلاقات بين المتغيرات المختلفة ونحن بصدد دراسة ظاهرة محددة ★ .

وقد دعا هؤلاء العلماء (أ . جلين ، د . جونسون ، ب . كميل ، ب . ودج) الى صياغة هذا النموذج عدم اقتناعهم بكفاية بعض النماذج السائدة فى ميدان تحليل الصراعات الدولية مثل نموذج نظرية « الالعاب » "Game Theory" ذلك ان نموذج نظرية الالعاب يتطبق - اكثر ما ينطبق - على صراع المصالح بين الدول ، ولكنه لا يصلح فى التطبيق اذا ما كان الصراع صراعا فى الفهم وليس صراعا فى المصالح بين طرفين دو بين .

نموذج نظرية « الالعاب » :

« تستهدف نظرية اللعب القاء الضوء على المواقف التى تضم طرفين على الاقل - يطلق على كل منهما اسم اللاعب - بينهما صراع فى المصالح . ويعمد أحد هؤلاء اللاعبين على الاقل الى انتهاج اسلوب معين فى التصرف - وهو ما يطلق عليه اسم استراتيجية - من شأنه أن يؤدى الى زيادة مصلحته أو مكاسبه الى اقصى حد ممكن تسمح به ظروف الموقف وقيوده . واهم تلك القيود التى يفرضها عليه الموقف ولا شك هى استراتيجيات اللاعبين الآخرين الذين يشاركونه ذلك الموقف . والملاحظ عند تطبيق نظرية اللعب فى تحليل استراتيجيات اللاعبين الافراد الذين يوجد بينهم صراع فى المصالح ، أن المفروض عادة أن يتوفر لدى اللاعبين المختلفين :

أ - نفس الفهم الواحد لقواعد اللعبة التى يشتركون فيها

ب - نفس مدلول قيم المكسب والخسارة فى هذا الموقف .

وتوضح لنا هذه الفروض وغيرها أن نظرية اللعب لا يمكن ان تقدم لنا نظرية شاملة لتفسير الصراعات بصفة عامة والصراعات الدولية على وجه الخصوص . ذلك انه من المؤكد ان مختلف أطراف الصراعات الدولية لا يتفقون دائما على طول الخط فى فهمهم لقواعد اللعبة ولمعنى قيم المكسب والخسارة . ويمكن ان نقول بمعنى آخر ان الصراعات ليست كلها بالضرورة صراعات فى المصالح اساسا . ولو أن هذا لا ينفى طبعا ان هناك بعض المواقف فى السياسة الدولية التى يتشابه فيها فهم طبيعة الموقف لدى صانعى القرارات ، كما يتشابه تقديرهم لما هو مرغوب وما هو غير مرغوب ، وأن هذا التشابه من الكفاية بحيث يسمح لنا باستخدام نموذج نظرية اللعب كأداة فعالة من ادوات البحث فى مثل تلك المواقف » .

نموذج الصراع الحضارى :

فى ضوء هذا النقد الذى قدمه هؤلاء العلماء الى نموذج نظرية الالعاب ، قدموا تفرقة بين صراع المصالح وصراع الفهم ، على أساس أن هناك كثيرا من المواقف الدولية التى لا يرجع فيها الصراع الى تعارض المصالح (ندرة الموارد مثلا) بقدر ما يرجع الى تباين طرق الفهم (مثل اختلاف الاساليب المعرفية) . وصراع المصالح لا يمكن حله الا عن طريق تنازل كل من الاطراف المعنية عن جانب من مصالحه ، أو عن طريق تنازل احد الطرفين عن مصالحه كلية لصالح الطرف الاخر ، وبذلك يحل الصراع . أما بالنسبة لصراع الفهم او بعبارة اخرى تعارض اسلوب كل طرف فى فهم موقف الطرف الآخر - فان السلام لا يتحقق الا من

★ يعرف هؤلاء المؤلفون الافكار الوسيطة بانها « انساق من الافكار تكون بناء معرفيا جزئيا يشارك فيه اطراف الصراع فعلا او يمكن تحقيق مشاركتهم فيه . ومن شان هذه الافكار الوسيطة ان تؤثر على صورة كل طرف من اطراف الصراع عن نفسه » .

(٥) انظر : أ . جبين واخرون ، نموذج للتفاعل الفكرى لتحليل الصراع الثقافى فى العلاقات الدولية ، مجلة حل الصراع ، رقم ١ ، مارس ١٩٧٠ ، ٣٠ - ٤٨ ، نعتمد على العرض والتحليل النقدى الذى اعده د . محمد الجوهرى فى اطار مشروع بحث الصراع الحضارى بمركز الدراسات السياسية والاستراتيجية باشراف : السيد يسين .

خلال تكوين بعض « الافكار الوسيطه » ★ ، اى التى تتوسط بين الاطراف المختلفة التى يمكن ان تؤدى الى تقارب فهم كل منهما لموقف الآخر ، وبالتالى للموقف المشترك .

ويضرب المؤلفون مثلا لهذه الافكار الوسيطة ، بمفهوم الدولة ذات السيادة ، والثقافة المشتركة ، والتقارب عن طريق المنظمات .

فكرة الدولة ذات السيادة ، معناها ان يعترف كل طرف من اطراف الصراع بالطرف الآخر بدون انتقاص ، بعبارة اخرى اذا نظر للبلاد المتصارعة باعتبارها دولا وللاشخاص باعتبارهم مواطنون فان جزءا من صراع الفهم يمكن حله . (الاشارة الضمنية هنا عدم اعتراف العرب باسرائيل باعتبارها دولة ذات سيادة ، وعدم اعترافهم بالاسرائيليين باعتبارهم مواطنين فى هذه الدولة) .

اما فكرة الثقافة المشتركة ، فيمكن ان تتحقق من خلال الاتصال الثقافى بين الاطراف المتصارعة وما يترتب عليه من التقارب الحضارى ، مع الاخذ فى الاعتبار ان هذه العملية تتم ببطء ، وتتعرض لمعوقات عديدة . وهذه الوحدة فى الهوية الحضارية من شأنها ان تقضى تماما على الصراع الناشىء عن الاختلافات فى الفهم (وليست تلك الناجمة عن صراع المصالح) .ويبقى اخيرا الفكرة الوسيطة الثالثة ، وهى التقارب عن طريق الاشتراك فى منظمات واحدة . ويبدو هذا النوع من التقارب اوضح ما يكون فى الهيئات الدولية . ولكنه — كما يشير المؤلفون ببراعة — يبدو فعالا بدرجة اكبر فى الحالات التى تكون فيها تلك الهيئات ثنائية تجمع بين دولتين وتنسق بين جهودها وتقرب بينهما . (الاشارة ضمنية ايضا لاسرائيل وغيرها من (البلاد العربية) . فى هذه الحالة — كما يرون — يتحول اعضاء تلك الهيئات فى معظم الحالات من معبرين عن ايديولوجيتهم القومية الخاصة الى خبراء فى ايديولوجية البلد الآخر ، او حتى الى الوقوف فى صف تلك الايديولوجية الاخرى التى يمكن ان تكون اكثر نفعا واجدى فى تحقيق رسالة منظمة ثنائية معينة .

انماط التفاعل الفكرى :

نموذج الصراع الحضارى — كما سبق شرحه — هو النموذج الامثل الذى يراه هؤلاء المؤلفون لحل صراع الفهم بين طرفين دوليين متصارعين . ولكى يكتمل النموذج فهم يقدمون وصفا لانماط التفاعل الفكرى بين الدول . بعبارة اخرى يمكن تصنيف الدول بحسب مجموعة من الابعاد ؟

البعد الاول : الدول التى تسودها النظرة الشمولية العامة فى مقابل الدول التى تسودها النظرة التفصيلية التى تنطلق من الحالات الفردية .

البعد الثانى : الدول التى يسودها التفكير الارتباطى فى مقابل الدول التى يسودها التفكير التجريدى .

ولنلاحظ قبل أن ندخل فى التفاصيل ان هؤلاء المؤلفين يوحون بان الدول العربية تنتمى الى النوع الاول (النظرة الشمولية العامة والتفكير الارتباطى) . وهذا النوع متخلف وان اسرائيل تنتمى الى النوع الثانى (النظرة التفصيلية والتفكير التجريدى) وهذا النوع متقدم .

البعد الاول:

النظرة الشمولية فى مقابل النظرة التفصيلية:

الثقافة ذات النظرة الشمولية تؤكد على اهمية التبرير اللفظى . فالقوانين هنا تعبر عن مثل عليا ، أما تنفيذها فيأتى فى المرتبة الثانية بعد التركيز على محتواها المثالى . ومن هنا تحت الافكار العامة والمثل العليا المرتبة الاولى وتمثل محور الارتكاز الاساسى ، وبالتالى لا نجد هنا اهتماما كبيرا بالنزول الى مستوى التفاصيل الدقيقة .

ولا تميل هذه الثقافة الى الحلول الوسط ، على اساس ان التسليم بنقاط غير مقبولة بقدر يفهم منه انه تسامح فى التسليم بمبادىء فاسدة .

اما الثقافة ذات النظرة التفصيلية فتتميز بتحديد مجال الرؤية او تضييق الاطار المرجعى كلما امكن ذلك . فالمعرفة تقسم الى عدد كبير من الحالات او القضايا الفردية المستقلة . ومن ثم لا تسعى هذه النظرة الى حل قضايا ومواقف كلية دفعة واحدة . وتتميز هذه الثقافة اساسا بالتفكير الاستقرائى Inductive او محاولة استخلاص الاحكام العامة من الحالات الفردية . ومن امثلة هذا الاتجاه استخدام الاحصاءات كأساس لاتخاذ القرارات على خلاف استخدام المبادىء لاثبات صحة وصواب قرارات متخذة سلفا ، كما هو الحال بالنسبة لسلوك ابناء الثقافة الشمولية . ولذلك فالمفاوض من ابناء هذه الثقافة يسعى دائما نحو الحلول الوسط واقتناص الامتيازات بقدر الامكان .

★ « النموذج » عبارة عن بناء فكرى نظرى يتميز بدرجة من التماثل والتجانس الشكلى ، موضوع خصيصا لاغراض البحث ، بحيث يمكن ان يقودنا الى فهم افضل لبعض الخصائص المميزة لموضوع الدراسة . والنموذج بذلك يختلف عن النظرية اختلافا جوهريا من حيث انه لايدعى مثلها تقديم فهم كامل نسبيا لميدان باكمله من ميادين الدراسة .

البعد الثاني:
التفكير الارتباطي في مقابل التفكير التجريدي:

يتميز التفكير الارتباطي Associative بميل الانسان الى الاستجابة لبيئته بشكل مباشر، غالبا ما يكون حدسيا ايضا. بينما يتميز التفكير التجريدي Abstractive بالتفكير المنظم القائم على الاستنتاج من الوقائع او المقدمات. والمحاولات المنهجية المنظمة للتمييز بين ما هو متصل بالموضوع وما ليس متصلا به.

وللاستجابة الارتباطية للاحداث تتمثل في كونها نتيجة تداعي الافكار، وليس نتيجة لتفكير منهجي منظم. أما اسلوب التفكير التجريدي فنجده متمثلا في العلوم الحديثة. فالنتائج تعتمد على الاستعانة بمناهج ذات قيمة وكفاءة مؤكدة. ويميز هذا النوع من انواع التفكير تمييزا حاسما بين ما هو متصل بالموضوع وما ليس متصل، او بين المعلومات، والشوشرة او الضوضاء، التي قد تنشأ بصدد دراسة موضوع معين.

ويكشف المؤلفون عن وجههم القناع حين يحاولون تطبيق نموذجهم على الصراع العربي الاسرائيلي. فهذا الصراع - في زعمهم - ليس صراع مصالح ولكنه صراع فهم. وهو بهذه الصفة راجع الى زرع دولة هي اسرائيل ذات ثقافة تجريبية (متقدمة) وسط منطقة ذات ثقافة ارتباطية (متخلفة) وان اساليب معيشة هذه الدولة الجديدة يهدد الفهم الارتباطي (المتخلف) لمعنى المشروعية وللاحساس بالهوية.

تقييم للنظرة الغربية الاسرائيلية للمجتمع العربي:

ان نموذج الصراع الحضاري في مجال العلاقات الدولية الذي عرضنا له، ليس سوى صياغة حديثة ومنهجية للنظرة العنصرية الغربية والاسرائيلية للعرب. وقد سبق لنا ان تعقبنا الاصول التاريخية لهذه النظرة العنصرية في كتابنا « الشخصية العربية بين مفهوم الذات وتصور الآخر ». وحللنا نقديا كل هذه الآراء التي تزخر بها كتابات المستشرقين والكتاب الغربيين والاسرائيليين.

والجديد في هذه المحاولة هو محاولة نفي تناقض المصالح بين اسرائيل والدول العربية، والزعم بانه مجرد صراع في الفهم، لو امكن اصلاحه من خلال الافكار الوسيطة (الاعتراف بشرعية الدولة بالنسبة لكل طرف، وصياغة ثقافة مشتركة، والتقارب من خلال التعاون في المنظمات) لانتهى الصراع.

والواقع ان هذه الافكار الوسيطة التي تدعو لها هذه الدراسة، تهدف في المقام الاول الى ما يمكن ان نطلق عليه ترويض الشخصية القومية العربية ونعني بهذا على وجه التحديد ليس فقط انتزاع الاعتراف بشرعية الدولة الاسرائيلية، ولكن الاخطر من ذلك على القضاء على الهوية الفكرية والثقافية والحضارة للمجتمع العربي، من خلال عملية غزو ثقافي مدروسة من خلال الدعوة البريئة الى خلق ثقافة مشتركة تتم من خلال الاتصال الثقافي الذي من شأنه ان يؤدي الى التقارب الثقافي. بل ان الفكرة الوسيطة الثالثة(التقارب عن طريق المنظمات يراد لها ان تؤدي الى ان اعضاء تلك الهيئات الثنائية المشتركة لا يقتنعون فقط بتفهم افكار الطرف الاخر (اسرائيل في هذا المثال) ولكن ابعد من ذلك يقومون بالترويج للايديولوجية الاخرى(الاسرائيلية) على اساس انها اكثر نفعا واجدى في تحقيق رسالة هذه الهيئة الثنائية.

وبالرغم من ان الدراسة تتحفظ وتقرر انه ليس من الضروري ان ينصب هؤلاء الاعضاء(العرب في هذا المثال) انفسهم مدافعين عن ايديولوجية البلد الاخر، ولكنهم قد يجدون ان تلك الثقافة الاخرى(الاسرائيلية في هذا المثال) شيئا يمكن التعامل معه وتوجيهه وجهة معينة.

وهكذا يمكن القول ان هناك استراتيجية غربية(اسرائيلية) تحاول من خلال عملية السلام ترويض الشخصية القومية العربية من خلال الغزو الثقافي الذي يراد له ان يتم تحت شعار اهمية التقارب الثقافي وخلق ثقافة مشتركة.

وعلى ذلك يمكننا ان نقرر أننا في حاجة ليس للتحدي الحضاري مع اسرائيل، فهي لاتقدم كما اكدنا في المقدمة نموذجا حضاريا يمكن الاقتداء به، أو يستحق الصراع حضاريا معه، ولكننا في حاجة الى مقاومة الغزو الثقافي الاسرائيلي الذي يمكن ان يصل الى اهدافه لو لم نتسلح بالمنهج العقلاني النقدي، ولو لم نكن على وعي كامل بأهمية عمليات الغزو الثقافي في السيطرة على الشعوب. والغزو الثقافي عملية برعت فيها الدول الاستعمارية التقليدية، ويبرع في تطبيقها الان الاستعمار الجديد، الذي كف عن احتلال الدول بالقوة العسكرية، ولكنه ينفذ اليها من خلال تصوير نموذجه الحضاري، وتأثيره على الاتجاهات والقيم والعادات واسلوب الحياة. ويعتمد في ذلك على عديد من الوسائل والادوات، لعل أهمها الثورة العلمية والتكنولوجية في مجال الاتصالات الدولية. فمن خلال الاذاعة والتليفزيون ومن خلال الاقمار الصناعية التي تمتلكها فقط الدول الكبرى، يمكن لهذه الدول ان تؤثر تأثيرا فعالا على الاتجاهات والقيم وبالتالي اسلوب الحياة في عديد من بلاد العالم الثالث وهكذا يمكن القول ان هذه حالة بارزة من حالات تأثير التكنولوجيا على

الايديولوجيا وهى مسألة تحتاج الى دراسة نقدية متعمقة ، ليس هنا مجال الافاضة فيها(٦) .

واذا كانت امامنا مهمة عاجلة هى **مقاومة الغزو الثقافى الاسرائيلى** ،من خلال الحفاظ على ايجابيات الشخصية العربية فلا يعنى هذا ان مهمتنا قد انتهت .ذلك ان **مهمتنا الرئيسية التى سوف تحتاج الى كل جهودنا الفكرية ، والى جميع ابداعاتنا الذهنية هى صياغة استراتيجية حضارية عربية قادرة على التعامل مع المشاكل التى يثيرها عصرنا ، وتكون هى وسيلتنا فى القضاء على التخلف ، والانطلاق فى مجال التقدم . و لايمكن لنا الحديث عن هذه الاستراتيجية الحضارية ، قبل محاولة تشخيص ازمة التطور الحضارى فى العالم العربى .**

ثانيا : ازمة التطور الحضارى فى العالم العربى :

يمر التطور الحضارى العربى لاشك فيها . وقد كشف عن عمق هذه الازمة الصدام العنيف العاصف بين جيوش الحملة الفرنسية بقيادة نابليون وجيش المماليك عام ١٧٩٨ فى هذه المعركة العسكرية الفاصلة ، ظهر للعيان تخلف المجتمع المصرى والمجتمع العربى بوجه عام فى مواجهة المجتمع الغربى المتقدم متمثلا فى فرنسا . وأيا كانت اسباب هذا التخلف ، وسواء رددناها الى مرحلة الانحطاط التى مرت فيها البلاد الاسلامية بعد قرون طويلة من الازدهار والرقى والتقدم ، قادت فيها الحضارة العربية الانسانية جمعاء ، فى ميادين العلم والفكر والفن ، أو الى تأثير الجمود والتخلف الطويلة فى ظل الهيمنة العثمانية على العالم العربى ، والتى استمرت حوالى خمسة قرون ، فان المفكرين المصريين سرعان ماادركوا عمق تخلفنا فى مواجهة تقدم الغرب . ولنقرأ كتاب مؤرخنا العظيم عبد الرحمن الجبرتى وهو يصف معامل الحملة الفرنسية وما تزخر به من أدوات حديثة ، ولنتامل انبهاره الشديد واند هاشه من بعض التجارب الكيمائية البسيطة التى اجراها امامه علماء الحملة ، لندرك عمق هذا التخلف ، التى عبرت عنها عبارة الجبرتى الشهيرة ، ان هذه اشياء لاتدركها عقول امثالنا

أى انه فى الوقت الذى غرقنا فيه فى ظلمات التخلف خمسة قرون كاملة شهد الغرب ــ كما يقرر مؤرخنا الجليل الدكتور احمد عزت عبد الكريم ــ (عدة ثورات اضفت على حضارته قوة جديدة : النهضة الاوروبية أو حركة العلوم ، الثورة الدينية او حركة الاصلاح الدينى ، ثورة النقل او اكتشاف طرق عالمية جديدة وقارات جديدة ، حركة الاستنارة اوالثورة الفكرية فى القرن الثانى عشر ، الثورة الصناعية واكتشاف البحار ، الثورة الفرنسية أو ثورة الديمقراطية (٧) .

وبناء على ذلك تغير المجتمع الغربى تغييرات جوهرية ، فى حين وقف الشرق الاسلامى جاهلا تماما مدى التطور الذى حدث لخصمه . فظن ــ كما يقرر عزت عبدالكريم ــ ان جنود بونابرت لايختلفون عن فرسان القديس لويس الذى هزمهم واسر ملكهم فى المنصورة . وخرج زعيم المماليك مزهوا بنفسه وجنده ليدوس الغزاه بخيله وركبه ويلقى بهم فى البحر وسرعان ماتبددت الاسطورة وادرك المصريون ان الامر مختلف وانهم يواجهون اليوم قوما يختلفون عن اسلافهم منذ خمسة قرون .

ففى هذه اللحظة راح العرب والمسلمون ــ بتأثير الصدمة ــ يتساءلون عن سرالهزيمة التى لحقت بهم . اهو كامن فى مجرد التفوق العسكرى ، أم كامن وراءه تفوق اخر فى العلم والصناعة وشئون الاقتصاد والمال .
وهكذا يخلص دكتور عزت عبد الكريم الى ان الاصطدام بين القوتين الاسلامية والاوربية الغربية لم يكن مجرد صدام بين قوتين مسلحتين ، ولكنه كان صداما بين حضارتين ونظامين .

ولايقبل د . عزت عبد الكريم مغالاة بعض الباحثين الذين يذهبون الى ان الصدام كان بين حضارتين احداهما آفلة والاخرى مزدهرة وهى الحضارة الاوربية الغربية ممثلة فى فرنسا فى ذلك الوقت . ويؤكد على الفكرة التى ركزنا عليها فى المقدمة وهى ان الانتصار العسكرى ليس دائما مظهر لتفوق حضارى ، ومن ناحية اخرى يرى ان الحضارة الاسلامية فى ذلك الوقت من القرن الحادى عشر الهجرة (القرن الثامن عشر الميلادى) لم تكن حضارة افلة وان كان قد اصابها قدر كبير من الركود والجمود ، نتيجة لانتشار روح المحافظة والنأى عن أى تجديد .

المهم ان فريقا من المفكرين المسلمين الرواد راحوا يبحثون عن سر هذا التفوق او الانتصار العسكرى الذى أحرزه الغرب . وهذا السر على نحو ما ادركه

---

(٦) سبق لنا ان قدمنا دراسة استطلاعية للعلاقات المتشابكة بين الايديولوجيا والتكنولوجيا .
انظر : ، السيد ياسين الايديولوجيا والتكنولوجيا ، ثلاث مقالات نشرت فى مجلة الكاتب ، اعداد اغسطس ١٩٦٩ ومابعدها .

(٧) انظر : د . احمد عزت عبد الكريم ، الحضارات ، من بحوث ندوة التغير الحضارى لمنطقة الشرق الاوسط فى العصر الحديث ١١ ــ ٤٤ ديسمبر ١٩٧٦ . (الاستنسل)

هؤلاء الرواد كامن لا فى تفوق الحضارة الغربية على الحضارة العربية الاسلامية . وانما يكمن فى أن هذه الحضارة الاولى اخذت بالعلم مطبقا فى مجالات الصناعه والحكم والادارة والقوة العسكرية وسائر مرافق الحياة الغربية .

فالمسالة اذن – كما يقرر د . عبد الكريم – (لم تكن اختلافا فى (درجة الحضارة) بقدر ماكانت اختلافا فى نوع الحضارة . فالحضارة العربية الاسلامية بقيت مقصورة فى الغالب على النواحى النظرية اوما يجرى مجراها فى شئون الحياة العادية . ولكن حضارة الغرب منذ عصر النهضة فى القرن الخامس عشر اخذت تتوسع فى جانب التطبيقات العلمية . واتخذت منها على الخصوص سلاحا اصطنعته فى بناء القوة الحديثة فى البر والبحر . وبهذه القوة غزا الغرب الاوربى العالم وسيطر على مقدراته .

ادرك هؤلاء الرواد اذن ان تفوق الاوربيين – الكفرة – على حد تعبير نفر منهم ، يرجع الى ماسموه (الصنايع) الحديثة التى اخذ بها الغرب فدعوا قولهم الى الاخذ بهذه الصنايع او ما نسميه بلغتنا الحاضرة ، تكنولوجيا الغرب) .

وهذه الدعوة تكاد تتطابق لدى رواد الفكر الاسلامى فى النصف الاول من القرن التاسع عشر ، وقد عاصروا جميعا المعارك الاولى التصادمية بين العرب والغرب ، ونتائج هذه المعارك التى لم تكن فى مصلحة العرب والمسلمين . منذ هذا الوقت تبلورت الاشكالية الاساسية فى الفكر العربى الحديث وهى اشكالية الاصالة والمعاصرة . ومبنى هذه الاشكالية ببساطة انه بعد ادراكنا ووعينا بأننا متخلفون عن الغرب اى سبيل نسلك لكى نعبر هوة التخلف وننطلق فى مضمار التقدم . نحن مجتمع قديم ، يمتلك تراثا حضاريا اصيلا هو التراث العربى الاسلامى . وقد مررنا من قبل فى مرحلة تاريخية كنا فيها السابقين ، بل كنا اشعة استنارة فى العالم ، فى الوقت الذى رزحت فيه اوروبا فى ظلمات القرون الوسطى ، ومن ثم فنحن لاننطلق من فراغ . لدينا تراثنا ، الذى جمدنا طويلا فلم نواصل الابداع فى رحابه ، ولم نبن على قواعد الانجاز العظيمة التى وضعها اسلافنا ، كيف نوفق بين الاحتفاظ بتراثنا وبين الانفتاح على الغرب لكى نمتلك ناصية القوة والتقدم ؟ هل نقلد الغرب تقليدا كاملا فتضيع بالتالى هويتنا الحضارية ، ام نجدد تراثنا العربى الاسلامى ويكون هو الاساس للتنمية والتقدم ام نوفق بين تراثنا وبين المعاصرة بحل وسط ؟

كل هذه التساؤلات دارت فى اذهان المفكرين المصريين والعرب منذ رفاعة رافع الطهطاوى حتى زكى نجيب محمود . وعبر الزمن تبلورت اجابات متعددة تحاول الرد على السؤال الرئيسى الذى تطرحه اشكالية الاصالة والمعاصرة .

يقرر د . زكى نجيب محمود فى دراسة (الاصالة والتجديد فى الثقافة العربية المعاصرة (ان رجال الثقافة العربية الحديثة ينقسمون طوائف ثلاثا ومواقفهم من العصر وقضاياه : طائفة منها رفضت العصر ولاذت بالتراث وحده ، كمن تطرفوا فى وجوب الاخذ بمبادىء الشريعة فى تنظيم الحياة ، وكمن تناولوا الفكر بمثل ما تناوله مصطفى صادق الرافعى . وطائفة ثانية قبلت العصر بحذافيره ، فاذا تعارض مع احوال التراث العربى رفضوا التراث ، مثل فرح انطون وسلامة موسى ، وسعيد عقل ، واما الطائفة الثالثة فهى التى صنعت لنا ثقافتنا العصر[illegible] التى زودت نفسها بكلا الزادين : الثقافة العربية الاصيلة وثقافة عصرنا ، واخرجت منها مزيجا هو الذى نطلق عليه بحق (الثقافة العربية الحديثة (وفى مقدمة هؤلاء : طه حسين ، والعقاد وتوفيق الحكيم ، وأمين الريحانى ، وميخائيل نعيمة ، وسائر من سار على هذا المنهج القديم » .(٨)

من هذه الفقرة يمكن ان نضع ايدينا على تيارات فكرية ثلاثة اساسية حاولت الرد على اشكالية الاصالة والمعاصرة .

– تيار رافض للمعاصرة ويميل الى جانب التراث (على اختلاف فى درجة رفض المعاصرة من الرفض الكامل الى محاولة التوفيق مع روح العصر .)

– تيار قابل للمعاصرة تماما حتى ولو تعارضت مع التراث .

– تيار يحاول التوفيق والوصول الى حل وسط بين الاصالة والمعاصرة .

---

(٨) انظر : د . زكى نجيب محمود . الاصالة والحداثة فى ثقافتنا العربية المعاصرة فى كتابه : ثقافتنا فى مواجهة العصر ، القاهرة : دار الشروق ، الطبعة الثانية ١٩٧٩
وانظر كتابه الهام الذى طرح فيه القضية طرحا متكاملا : تجديد الفكر العربى ، القاهرة : دار الشروق ، الطبعة الرابعة ، ١٩٧٨ وكذلك كتابه الذى يكمل هذه الثلاثية الفكرية :
المعقول واللا معقول فى تراثنا الفكرى ، القاهرة : دار الشروق (بدون تاريخ) وانظر فى هذا الموضوع دراسة هامة :
– غالى شكرى : التراث والثورة ، الطبعة الثانية ، بيروت : دار الطليعة ١٩٧٩ .

ولو حاولنا ان نتعمق في هذه التيارات الفكرية الثلاثة من خلال عملية تنميط علمي لقلنا ان ثلاثة مفكرين مصريين يصلحون للدلالة على الاجابات المختلفة التي اقترحت للرد على اشكالية الاصالة والمعاصرة . وهؤلاء – ونحن هنا نطبق منهج المفكر المغربي المعروف عبد الله العروي في كتابه الايديولوجية العربية المعاصرة (٩) – الشيخ محمد عبده ، واحمد لطفي السيد ، وسلامة موسى .

اما الشيخ محمد عبده فقد دعا الى التوفيق بين الاسلام والمعاصرة في حين ان احمد لطفي السيد دعا بكل قوته الى تطبيق النموذج الليبرالي الغربي ، واخيرا نجد سلامة موسى مثلا لهؤلاء الذين دعوا الى اقتباس وتكنولوجيا الغرب . وخلاصة ذلك كله ان الدين والديمقراطية والتكنولوجيا هي المسائل الكبرى التي عني بها المجتمع الغربي منذ نهضته الحديثة .

ومن الواضح ان كل مسألة من هذه المسائل تثير خلافات واسعة المدى ؟

– اي مفهوم للدين نتبعه ، وما علاقة الدين بالدولة ، وما علاقة الدين بالسياسة بوجه عام ؟

– اي نمط من انماط الديمقراطية يصلح لنا ؟ لقد خبرنا الديمقراطية الليبرالية وفشلت وكانت ثورة ٢٣ يوليو يوليو ١٩٥٢ اعلانا بفشلها ، وجربنا الديمقراطية الاجتماعية في المرحلة الناصرية وفشلت ، وها نحن نحاول صياغة اشتراكية ديمقراطية فهل ننجح – وتبقى مسألة التكنولوجيا بكل ما يحيط بها من مشكلات ، هل يمكن استيراد التكنولوجيا بدون ان يتأثر بناءنا الاجتماعي بها ؟ وبعبارة اخرى هل يمكن استيراد التكنولوجيا ونقلها الى مجتمعنا بدون استيراد القيم المصاحبة لها والتي تركز عليها ، واذا كان هذا صحيحا فهل نحن على استعداد لمجابهة عملية صراع القيم بين القيم الوافدة وقيم مجتمعنا كل هذه امثلة على التساؤلات الاساسية التي تطرحها مشكلة الاصالة والمعاصرة والتي تكشف عن ازمة التطور الحضاري في العالم العربي . وهي أزمة لاننا مازلنا بعد لم نجب اجابات نهائية على ماتثيره المشكلة من اسئلة ، ومازلنا ندور وندور في نفس الحلقة ، نجرب ونفشل ونستفيد من التجارب هذا صحيح ، ولكن هل معرفتنا النقدية بمجتمعاتنا ذات طابع تراكمي ايجابي من شأنها ان تدفعنا في كل حقبة تاريخية الى الامام أم أننا نتقدم خطوة ثم ما نلبث ان نتأخر خطوات عديدة ، ونبدا من الصفر من جديد ؟ هذا هو السؤال .

ثالثا : نحو استراتيجية حضارية:

ينبغي قبل الحديث عن الاستراتيجية الحضارية ان تحدد بشكل نقدي بعض التعريفات لمشكلة الاصالة والمعاصرة .

الاصالة بمعنى التراث يمكن ان تنطوي على موقف رجعي كما يقرر د . صادق جلال العظم« اذا فهمنا الاصالة على انها نوع من الارتداد الى الوراء ، أو نوع من السلفية او القول بأن هناك شيئا يدعى« الروح العربية الاصيلة » وهذه الروح ثابتة وباقية على ما هي عليه عبر العصور ، وهذا يعني انها غير خاضعة لشروط المكان والزمان والظروف الاجتماعية والتبدلات التاريخية . اي بتعبير اخر ان هناك جوهرا ثابتا اسمه الاصالة العربية ، وهو غير مرتبط جوهريا بالظروف الاجتماعية والطبقية والتحولات التاريخية (١٠) .

الأصالة التي تدعو الى العودة الى التراث ينبغي عليها ان تحدد ماهو التراث على وجه التحديد . والتراث – كما يقرر د . احسان عباس هو نتاج تراكمي لأمة من الامم على مر الزمن ، هو ضروب النشاط الانساني في مجالات الفكر والادب والأسطورة والدين والفن والعلم والعمران ، في صراع ذلك الانسان مع واقعه المتغير المتطور ، أو بعبارة أخرى : التراث صورة الماضي ، بما انه كذلك فانه لا يمثل عصرا بذاته ولا مجتمعا بذاته ، كما انه ليس ايجابيا دائما ولاسلبيا على الدوام ، ومن ثم تتفاوت فيه القيم وتتعدد وتموت وتحيا ، بحسب الحاجات الانسانية في البيئات المختلفة .

ولن يجدينا أيضا أن نرفع شعار المعاصرة بغير تحديد ففي العصر الراهن هناك العديد من الايديولوجيات ، ومن انماط المجتمعات الانسانية ، ومن الثقافات وأساليب الحياة . أيها نأخذ وأيها ندع ولماذا في الحالتين لعل أول موجه من موجهات الاستراتيجية الحضارية التي ينبغي على المجتمع العربي أن يصوغها هو بناؤها على متينة من الفهم النقدي لتراثنا العربي الاسلامي .

تراثنا زاخر بالخبرات والممارسات الفكرية والسياسية والاجتماعية . ولايكفي ان نحمله فوق اكتافنا ونتغنى به فيصبح تاريخنا عبئا – بمصطلحات استاذنا قسطنطين زريق – بدل ان يكون حافزا (١٢) .

---

(٩) انظر : عبد الله العروي ، الايولوجبة العربية المعاصرة ، ترجمة محمد عيناني بيروت ، دار الحقيقة ١٩٧٠ .

(١٠) انظر : د . صادق جلال العظم ، حول ثقافة الاستعمار وثقافة التخلف ، في : الثقافة العربية ، نيسان ١٩٧٣ ، ٩٢ – ١٠٣ .

(١١) انظر : د . احسان عباس ، العربي الجديد وتراثه القيم ، في : الثقافة العربية ، نيسان ، ١٩٧٣ ، ١٠٢ – ١١٠ .

(١٢) انظر : د . قسطنطين زريق ، في معركة الحضارة ، بيروت : دار العلم للملايين ١٩٦٤ ، ص ٣٢٨

هناك اذن« التاريخ – العبء » الذى يمنع اصحابه من الحركة ، والذى يغرقون فى تأمل ماضيهم الذهبى عاجزين عن التعامل الايجابى مع الواقع ، وهناك« التاريخ – الحافز » الذى يدفعك دفعا الى الامام فى ضوء فهم نقدى للماضى لتجاوز السلبيات وتأكيد الايجابيات .

ولنطرح الان السؤال الرئيسى :

ماهو الهدف من الاستراتيجية الحضارية العربية التى تدعو اليها .

الهدف – فيما نتصوره – بناء مجتمع علمى متحضر قادر على الوفاء بالحاجات الاساسية للانسان وفاعل فى التعامل مع متغيرات العصر وابرزها الثورة العلمية والتكنولوجية ، والمشاركة السياسية الجماهيرية ، واحترام حقوق الانسان . ولتحقيق هذا الهدف لا بد لنا من ان ندخل عديدا من التغييرات على عاداتنا الفكرية واتجاهاتنا وقيمنا واساليب حياتنا ، وطرفنا فى التعامل والتفاعل مع الاخرين .

مشكلتنا الاساسية وهى التخلف يكشف عنها ضآلة سيادتنا للطبيعة ، وضعفنا فى استغلال مواردها ، وهزال تنظيماتنا الاقتصادية والاجتماعية ، وضيق قدراتنا التكنولوجية والتنظيمية بوجه عام .

وليس أمامنا من سبيل لتجاوز التخلف الا بالاعتماد على مجموعة متشابكة من الوسائل والادوات والاساليب ايجازها فيما يلى :

١ – الاعتماد على التفكير العلمى فى كل مناحى حياتنا . هذا هو موضوع الساعة فى العالم العربى – كما يقرر د . فؤاد زكريا(١٣) .« ففى الوقت الذى افلح فيه العالم المتقدم – بغض النظر عن انظمته الاجتماعية – فى تكوين تراث على راسخ امتد ، فى العصر الحديث ، طوال اربعة قرون ، واصبح يمثل فى حياة هذه المجتمعات اتجاها ثابتا يستحيل العدول عنه او الرجوع فيه ، فى هذا الوقت ذاته يخوض المفكرون فى عالمنا العربى معركة ضارية فى سبيل اقرار ابسط مبادىء التفكير العلمى . والحقيقة اننا نعيش فى عصر العلم . فالثورة العلمية والتكنولوجية تعنى أول ما تعنى ان العلم اصبح – وللمرة الاولى فى تاريخ البشرية – قوة اساسية من قوى الانتاج .

ولاتكفى دعوتنا لتطبيق التفكير العلمى بغير اثارة مجموعة اساسية من الاسئلة :

أ – ما هى المعوقات الثقافية والاجتماعية والسياسية التى تمنع ممارسة التفكير العلمى بشكل شامل فى مجتمعنا ، وفى كل المجالات ب – لماذا لانحصل من علمائنا وباحثينا المدربين على اكبر عائد ممكن ؟ هل العيب فى سياسات العلم فى مجتمعنا وتذبذبها وعدم اتساقها ، ام العيب يكمن فى العلماء انفسهم ؟

نحن فى حاجة الى دراسة فى سوسيولوجية العلم لكى نصل الى رد على هذا السؤال

٢ – حاجتنا الى النقد الاجتماعى والنقد الذاتى :

مشكلة التخلف تحتاج الى تضافر كل الجهود الفكرية والاجتماعية والسياسية للقضاء عليها . ومن هنا فنحن فى المجتمع العربى فى حاجة شديدة لممارسة النقد الاجتماعى(١٤)

النقد الاجتماعى معناه ببساطة تشخيص وتحليل كل جوانب التخلف فى مجتمعنا بكل اشكاله السياسية والاجتماعية والاقتصادية . وبالتالى فالنقد الاجتماعى لا يقنع بما هو موجود ، ولايستكين الى ما هو تقليدى ، ولكنه يبحث ويحلل ويشخص داعيا لتجاوز التخلف واتباع أساليب جديدة لحل المشكلات والنقد الذاتى نوع من انواع النقد الاجتماعى . واهميته فى ان مجتمعا من المجتمعات لو رضى عن نفسه ، ولم يلتفت الى سلبيته لكان محتما عليه ان يفنى وينقرض . النقد الذاتى من اشجع الوان النقد الاجتماعى ، لانه لا يخشى الحساسيات القومية أو الاجتماعية ، ولا يتراجع امام النعرات الاقليمية او العصبية ولكنه يمسك بالذات القومية أو بالبناء الاجتماعى بكل ما يتضمنه من أنساق سياسية واقتصادية وثقافية لكى يحللها ويفحصها ويكشف عن مواطن الضعف فيها . وما من شك فى أن عملية النقد الذاتى التى قمنا بها بعد هزيمة ١٩٦٧ كانت اساسية وحاسمة فى وضع ايدينا على اسباب الهزيمة وفى دفعنا الى حرب ١٩٧٣ التى استعادت كبرياءنا القومى وادت الى تغيرات كبرى فى السياسة العالمية .

والنقد الاجتماعى والنقد الذاتى يحتاج – كما لا يخفى – الى مناخ ديمقراطى يركز على أن كل مواطن حر فى الاسهام بفكره وعقله وسلوكه فى مناقشة مشكلات مجتمعه ، وفى طرح الحلول لها ، وفى العمل بايجابية – فى حدود الدستور والقانون – على تطبيقها .

غير ان هذا المناخ الديمقراطى لم يتوفر بعد فى العالم العربى الذى يعانى من أزمة ديمقراطية بالغة الحدة .(١٥)

---

(١٣) د . فؤاد زكريا ، التفكير العلمى ، الكويت : سلسلة عالم المعرفة ١٩٧٨ ، ص ٧

(١٤) انظر فى معنى واهمية النقد الاجتماعى : ادوارد كاربيلى ، فى النقد الاجتماعى ، ترجمة : احمد فؤاد بلبع . القاهرة ، دار المعارف ١٩٦٨ .

(١٥) انظر فى ذلك : برهان غليون ، بيان من اجل الديمقراطية ، بيروت / دار الطليعة ١٩٧٤ .

٣ – القضاء على الفجوة بين الصفوة والجماهير :

لايمكن القضاء على التخلف بغير خلق وعي حضاري لدى الجماهير ، وبغير اقصى مشاركة جماهيرية في الفعل الحضاري .

فلا يكفي – كما يقرر قسطنطين زريق – ان تبقى هذه الحقيقة مجرد قناعة فكرية عند فريق من المفكرين او من اولى الامر ، بل يجب تنقلب الى ايمان يمتلك النفوس ويعم الشعب بمجموعه وينطلق بحيوية فاعلة ودفق غامر . يجب ان يتحول الشعور بحاجتنا الاساسية هذه الى فيض من الشعور الحضاري الذي ينطلق من الاحساس بجسامة التخلف والرغبة العارمة في الوصول الى افاق التقدم . وسد الفجوة بين الصفوة والجماهير يحتاج الى ثورة ثقافية شاملة ، تركز على ديمقراطية الفكر . وتشجع الابداع الذهني ، وتكتشف القيادات الاجتماعية والسياسية والثقافية وتتيح الفرصة للمثقفين العضويين الملتحمين بقواعدهم الجماهيرية ان ينطلقوا ويشقوا الطريق أمام قواعدهم حتى يكسروا احتكار القلة من المثقفين المنعزلين الذين يظنون وهما أن تغيير المجتمع يمكن أن يتم من خلال العمل الذهني البحت ، الذي يفتقر الى حرارة التجربة الاجتماعية ، والذي يقصر بالتالي عن تلمس الحاجات الاساسية للجماهير والتي لا تتمثل فقط في الحاجات المادية ، بل أهم منها الحاجات الروحية والحاجة الماسة الى المشاركة السياسية الايجابية الخلاقة

والقضاء على الفجوة بين الصفوة والجماهير لابد له ان يمتد للقضاء على الهوة بين المدينة والقرية . فليس هناك امل في عبور ازمة التخلف الحضاري بغير أن تنجح في سحب ملايين الريفيين الذين يسبحون في غمار الامية والجهل الى ميادين التحديث ، في مجال التعليم والتدريب والعمالة والثقافة . ذلك أن المجتمع العربي لايمكن له ان يتقدم حتميا بقشرة هشة من المثقفين تحجب الالاف من انصاف المتعلمين ، الذين لم يتح لهم حقا ان يتلقوا في الجامعة اصول المنهج العلمي ولاقواعد التفكير النقدي الخلاق .

الصراع بين العلمانية والمفهوم الديني للمجتمع :

ذكرنا من قبل ان تحديث الدين وتطبيق الديمقراطية والدعوة الى نقل التكنولوجيا الحديثة كانت هي المسائل الكبرى التي دار حولها الجدل منذ بداية النهضة الحديثة .

ولقد كان الدين في مصر القرن التاسع عشر – كما يقرر د . علي الدين هلال» هو اساس الوجود الاجتماعي وساعدت النظرة والتفسيرات الدينية في تفسير كل مجالات الحياة الاجتماعية . وكان المعيار النهائي للتقييم والاطار الاخير لتحديد السلوك الاجتماعي يقوم على الدين . وذاع تفسير للاسلام يتضمن شموله لكل جوانب الحياة الاجتماعية والسياسية والوجود الانساني ذاته ، باعتباره دينا ودولة ، ومصدرا لكل القيم الفردية والاجتماعية ، الامر الذي تولدت عنه نظرة للحياة كان الدين والاخلاق والسياسة فيها تشكل نظاما واحدا للقيم مصدره الاسلام » . [(١٦)] غير ان حركة تطوير المجتمع المصري الشاملة التي بداها محمد علي سرعان ما دفعت الى اعادة النظر في هذه المقولات سواء من حيث انسجامها او تنافرها مع عملية التحديث ، أومن حيث تاثر بعضها تحت وطاة بدايات التعليم العلماني وانتشار الافكار الجديدة من خلال الصحافة ونشوء اجهزة ادارية جديدة ، ودخول التكنولوجيا وقيام الصناعات وقد ادى قبول الانماط الحديثة في التنظيم والسلوك الى الاسراع في وتيرة التغير الاجتماعي والثقافي ، وفي هذا السياق دارت المناقشات حول دور الدين في المجتمع ، وعلاقة الدين بالدولة .

والواقع ان النزعة العلمانية صاحبت النهضة الاوربية الحديثة ، حتى ان عديدا من المؤرخين الاجتماعيين يعتبرونها احد الاسباب الاساسية التي اسهمت في تحديث المجتمع الاوربي الاقطاعي ونقله ليكون مجتمعا بورجوازيا متقدما . والعلمانية على وجه التحديد تعني ....

أ – الفصل بين السياسة والمؤسسات والايديولوجيات الدينية

ب – قيام النظام السياسي بأداء ادوار تنظيمية في المجالات الاقتصادية والاجتماعية كانت تمارس من قبل بواسطة المؤسسات الدينية .

ج – تحول الثقافة السياسية من سيادة نظرة دينية الى تأكيد غايات اجتماعية واهداف عملية واقعية[(١٧)] .

وقد دعا بعض المفكرين المصريين الرواد الى انه نظرا لكون الدين لم يعد قادرا بمفرده على تنظيم حياة المجتمع ، فانه ينبغي حصر دائرة اختصاص ونشاط المؤسسات الدينية في المسائل المتعلقة بالفرد وضميره ووعيه ، وسعوا الى وضع الاساس لنسق علماني للقيم

---

(١٦) د . علي الدين هلال ، التجديد في الفكر السياسي المصري الحديث . اصول الفكرة الاشتراكية (١٨٠٢ – ١٩٣٢) ، القاهرة : معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٧٥ ، ص ١٠٣ وما بعدها .

(١٧) د . علي الدين هلال ، المرجع السابق ، ص ١٠٣ ، هامش ١

(١٨) انظر : د . عفاف لطفي السيد مارسوه ، تجربة مصر الليبرالية ، القاهرة : المركز العربي للبحث والنشر ١٩٨١ .

يمكن لكل المواطنين على اختلاف دياناتهم ان يشاركوا فيه وان يتمتعوا فى ظله بواجبات وفرص متساوية .

والواقع ان هذه الدعوة لم تلبث ان تحولت الى عقيدة سياسية فى ظل التجربة الليبرالية فى مصر (١٩٢٣ – ١٩٥٢) (١٨) . ففى هذه الحقبة طبق مفهوم علمانى ركز على فصل الدين عن الدولة ، وانعكس ذلك فى ممارسات الاحزاب السياسية الوحدة الوطنية .

غير ان بعض الجماعات الدينية ومن ابرزها الاخوان المسلمين تحدت المفهوم العلمانى صراحة ، ودعت الى القضاء عليه ، فى ظل شعارها الاسلام دين ودولة . غير ان ممارساتها السياسية التى كانت تهدف الى الاستيلاء على الحكم ، ادت بها الى الاصطدام الحاد العنيف مع الحكومات الحزبية فى مصر فى اواخر الاربعينات ، ثم سرعان ما تكرر الصدام مع ثورة يوليو ١٩٥٢ وذلك فى عامى ١٩٥٤ ، ١٩٦٥ ومنذ هذا التاريخ كمنت الدعوة الى هجر المفهوم العلمانى ، الى حين . ذلك انه عقب هزيمة ١٩٦٧ وتصاعد المد الدينى فى البلاد ، نشطت الجماعات الاسلامية والاخوان المسلمون من جديد ، وسرعان ما ارتفع من جديد شعار الاسلام دين ودولة .

ولم تقنع هذه الجماعات بالنص الصريح فى الدستور من ان الشريعة الاسلامية هى المصدر الاساسى للتشريع . ذلك ان طموحاتها اتجهت الى تغيير صيغة المجتمع كله ، من مجتمع علمانى الى مجتمع دينى كامل ، وقد أدى هذا الى صدامهم من جديد مع النظام السياسى .

والحقيقة ان عدم حسم الصراع بين المفهوم العلمانى للمجتمع والمفهوم الدينى ليس من شأنه سوى مد اجل ازمة التطور الحضارى التى نعيشها حتى الان .

ان تردد النظام السياسى المصرى فى حسم هذه القضية ، لايعدله سوى تردد المثقفين العرب فى حسم قضية الاصالة والمعاصرة . وقد ادت التطورات السياسية فى العقد الاخير بهؤلاء المفكرين الى مراجعة العديد من مواقفهم السابقة . ففشل الماركسية فى العالم العربى ، وفشل التجربة الناصرية فى مصر الذى تمثل اساسا فى هزيمة يونيو ١٩٦٧ ، قد دفع بكثير من المثقفين ذوى الاتجاه اليسارى الى القناعة بأن الاسلام لو طبق تطبيقا ثوريا قد يكون هو الحل لمشكلة الاصالة والمعاصرة المزمنة . وتحت تأثير ثورة ايران بقيادة الخومينى فى مراحلها الاولى حدثت هزة عنيفة فى اذهان الكثيرين منهم ، فقد اعتقدوا ان النموذج الايرانى الذى هو تعبير مجسم عن ثورة الجماهير الشعبية فى ضوء الاسلام هو الخلاص من المأزق . غير ان تردى الثورة الايرانية فى هوة الفوضى والقتل والدمار والممارسات غير الديمقراطية كان بمثابة الصدمة التى جعلتهم يدركون مخاطر الحكم الدينى وخصوصا حين يسيطر على الامور رجال دين متعصبون .

وهكذا يمكن القول ان الوقت قد أزف لحل الصراع بين المفهوم العلمانى والمفهوم الدينى للمجتمع ، الذى هو فى الحقيقة مجرد فرع من اصل هو اشكالية الاصالة والمعاصرة . بغير حل هذه الاشكالية ، ستظل مسيرتنا الحضارية تتخبط بصورة عشوائية . وسنجد انفسنا كل عقد من السنين نغير ايديولوجيتنا ، بما يعنيه ذلك من بلبلة فكرية ، وفوضى قيمية ، وانعدام للمعايير التى يمكن على اساسها قياس التقدم وضبط خطى التنمية وتعجيل التحديث .

٥ – العمل على سيادة النظرة المستقبلية :

لن يجدينا ان نعيش فى الماضى ، ولن ينفعنا وسط صراع العمالقة فى عالم اليوم التغنى بامجادنا السابقة ، ولن يصلح من حالنا اجترار فضل الحضارة العربية الاسلامية على اوربا .

نحن فى حاجة الى دراسة منهجية ونقدية لماضينا ، تقوم على احدث مناهج التاريخ الاجتماعى ، حتى تقوم ممارساتنا السياسية والاقتصادية والاجتماعية الماضية . وحين نفعل ذلك ستتساقط كثير من الاساطير العلمية التى ورثناها كباحثين ومثقفين ورددناها بغير تمحيص .

ان دراسة الماضى هى الاساس لفهم الحاضر والنظر الى المستقبل . والحاضر الذى نعيشه يحتاج الى دراسة تكاملية تحيط بكل ابعاده وتكشف عن كل جوانبه .

غير انه اصبح اليوم من المسلمات ان دراسة الحاضر ينبغى ان تتم فى اطار النظر الى المستقبل . ومن هنا نشا علم المستقبل . Futurology على اختلاف مدارسه فى الشرق والغرب . وعلى تعدد مناهجه ونظرياته ، لكى يساعد المخطط الاقتصادى والاجتماعى وصانع القرار السياسى على ان يخطط فى ضوء سيناريوهات بديلة للمستقبل ، حتى يأتى تخطيطه ، وحتى يصدر قراره وهو على علم بكل البدائل المتاحة .

خلاصة بحثنا اننا فى حاجة الى صياغة استراتيجية حضارية متكاملة ، قد يكون فى الصفحات السابقة مجرد اشارات الى بعض ملامحها ، وهذه الاشارات تحتاج الى تعميق وتأمل وفحص نقدى ، وقبل ذلك تحتاج الى مناقشة جماعية ينبغى ان تنشغل بها الجماعة الثقافية المصرية .....

دراسة

منطقة الخليج العربى فى ضوء المتغيرات الدولية المستجدة

د . محمد الرميحى

الاستاذ بقسم الاجتماع بجامعة الكويت . رئيس تحرير مجلة « العربى » نشر عددا من الكتب المؤلفة والمترجمة وعشرات المقالات والدراسات ومنها كتابه عن « النفط والعلاقات الدولية - وجهة نظر عربية »

منذ أمد بعيد والجزيرة العربية تدغدغ مخيلة الغرب : منذ الوقت الذى قدم فيه ملوك المجوس هداياهم حتى الوقت الذى أخذت فيه الناقلات الضخمة تعب البترول ، منذ ولادة الاسلام حتى التطور المذهل العجيب للمملكة العربية السعودية والجزيرة تبدو أمام ناظرينا بلاد السراب » [١]

هكذا يقدم **بيار رونو كتاب جاك بيرك** حول جزيرة العرب . وقبل ذلك بأربعين عاما يكتب **ارنولد ولسون** - الضابط البحرى البريطانى ليقول : « من بين كافة الخلجان لا يوجد خليج كان ولا يزال موضع اهتمام كبير للجيولوجى وعالم الآثار والمؤرخ والجغرافى ورجل الدولة ودارس الاستراتيجية كالخليج العربى » [٢]

ولو قدر **لارنولد ويلسون** ان يعيش بيننا الآن ويرى الحجم الهائل من الكتابات حول الخليج العربى لوجد ان ما سبق كتابته حول الخليج كان فتاتا بالنسبة لما كتب ، يكتب اليوم .

والاهتمام بالخليج يتزايد طرديا منذ ان عرف انه يحتفظ تحت أرضه بهذه المادة الخام - عصب الحياة الحديثة - النفط .

السياسيون وكذلك العسكريون والأكاديميون لهم مقولات مشهورة حول الخليج ، وهذا رأى **دوايت ايزنهاور** رئيس الولايات المتحدة فى الخمسينيات حين

١ - جاك بيرك : جزيرة العرب : المكتب التجارى للطباعة والنشر - بيروت ١٩٦٠ المقدمة

٢ - Sir Arnold Wilson - المدخل .



يصف الخليج بأنه أهم منطقة استراتيجية فى العالم [٣] ـ كان هذا الوصف سنة ١٩٥١ . وبعد مرور ثلاثين سنة تقريبا على ذلك الوصف فأنه مازال صالحا وحقيقيا . والعامل الأول هو ان هذا الخليج يحتوى على ٦٠ ٪ من الأحتياطى العالمى من النفط (خارج المنظومة الأشتراكية) و ٤٠ ٪ من مجموع الأنتاج النفطى العالمى . (تقديرات عام ١٩٧٨) .

وبمعنى أخر ان وقف هذا التدفق النفطى يعنى الشلل للاقتصاد العالمى وكارثة تؤدى فى وقت قصير جدا الى توقف تام لاقتصاديات الدول الصناعية ، ومن جهة اخرى فأن اى إضطراب جذرى فى الخليج يعنى إضمحلا له كسوق ضخمة للسلاح والمصانع النفطية وغير النفطية ـ والصناعات الأنتاجية والأستهلاكية والمصنوعات المعمرة وشبة المعمرة . ويعنى بالتالى تدهورا فى صحة الأقتصاد العالمى ، كما يعنى قفله كسوق عمل ضخمة لمواطنى آسيا شرق الخليج .

ذاك هو الموقف الذى جعل ويجعل التنافس الدولى على الخليج يصل الى حد التهديد بالحرب ـ حتى لو كانت حربا لاتذر على الأرض ديارا ! .

فى المائة والخمسين سنة الأخيرة والتى انتهت بنهاية النصف الأول من هذا القرن ـ شكل الخليج اهمية للقوى المتنافسة العالمية كان فى البداية كطريق بحرى وتجارى هام ، وفى النهاية كمنطقة تحتوى على مادة خام اساسية هى النفط . ولكن فى تلك الفترة كانت

٣ ـ انظر فى هذا الموضوع مجموعة الدراسات التى يضمها كتاب (Edited)
AMIRSADEGHI HOSSEIN The Security of the persian Gulf Croom Helm — London , 1981 .

القوى العالمية – أو على الأقل فيما بعد الحرب العالمية الأولى – تعترف لبريطانيا بأحقية الهيمنة على هذه المنطقة . ولخبرة بريطانيا الأستعمارية الطويلة مع شعوب الشرق وقوتها الأستعمارية استطاعت ان تحافظ على « الوضع القائم » STATUS QUO يحفظ لها مصالحها من خلال طرق شتى . إلا ان رياح الحرب العالمية الثانية والتحولات التى شهدها العالم بما فيها حركة التحرر فى الوطن العربى والتدهور فى القوى الأستعمارية التقليدية التى انهكتها الحرب لينت قبضة بريطانيا على منطقة الخليج فحملت اخر جنودها فى بداية السبعينات ورحلت عسكريا عن المنطقة . فى هذه الفترة كانت القوة العالمية الصاعدة هى الولايات المتحدة وكانت قد دخلت بالفعل بإتفاقات وعلاقات مع دول المنطقة الجديدة ، إلا إنها لم تكن بخبرة ودراية بريطانيا بالمنطقة من جهة ، ولم يكن الوقت والظروف الموضوعية تسمح لقبضة اخرى مشابهة . فكانت فترة السبعينات هى فترة صعود القوى الاقليمية المحلية ممثله هذه المرة بايران ، وكالة عن الولايات المتحدة ومصالحها . ووجدت الأقطار العربية فى الخليج ان هذه القوة – ظاهريا – لاتقاوم ، فسارت فى ركب الأعتراف بها – وكان مظهر هذا الأعتراف السياسى موقفين – **الأول** : تدخل ايران الشاه فى الصراع الداخلى فى عمان **والثانى** : والوصول الى إتفاق مع العراق – صيف ١٩٧٥ ، وصف بعد ذلك بأنه فرض من الجانب الأيرانى .

الا ان هذه القوة الأقليمية ما لبثت ان عصفت بها رياح التغيير الداخلى التى لم تبق ولم تذر شيئا من قوة الشاه واحلامه فعادت المنطقة تحت مطارق الأعلام الغربى والمصالح المتزايدة للغرب والخيرات المتدفقة على انها منطقة **فراغ امني** ، منطقة لم تعد قادرة على استيعاب مثل هذه الثروة او تحمل تبعاتها العالمية والمحلية . من هنا اصبحت الثمانيات تحمل بذور الصراع وتشتد حدته ، فى الوقت الذى يحاول فيه ابناء المنطقة إتقاء شر هذا الصراع وإحتوائه إن أمكن .

هذا الصراع هو من طبيعة الأشياء وناتج من مجموعة العوامل الأقتصادية والاستراتيجية والسياسية والأجتماعية ، العالمية والاقليمية ، الداخلية والخارجية ومحاولة إيجاد توازن دقيق بين تلك العوامل مجتمعه ، تبدو فى اطار المستحيل – إلا ان البعض ما زال جادا يحاول .

العوامل الأساسية المؤثرة فى منطقة الخليج

من هنا سوف نتعرض الى أهم المؤثرات او العوامل الأساسية التى تفعل فعلها اليوم فى الخليج ، هذه العوامل ليست جديدة بالقطع ولكنها متجددة ، كما إنها عوامل متداخله – مؤثرة من جانب ، ومتأثرة من جانب آخر جزؤها يؤثر على الكل وكلها يؤثر على الجزء وهى عوامل سبعة رئيسية ونحسب ان لها عوامل فرعية ولكن ليست بأهمية هذه العوامل السبعة ، وهى مسلسلة – من اجل العرض والمناقشة – وليس بالضرورة بسبب اهميتها وتتلخص فيما يلى : –

١ – موقف الولايات المتحدة
٢ – موقف الأتحاد السوفييتى
٣ – اوروبا الغربية
٤ – الثورة الأيرانية وتأثيراتها
٥ – الثورة الفلسطينية والبعد العربى
٦ – مجلس التعاون او الواقع الخليجى الجديد
٧ – التفاعلات الداخلية فى اقطار الخليج .

تلك هى العوامل السبعة الفاعلة اليوم على الساحة الخليجية سواء مباشرة او غير مباشرة – بذاتها أو بتأثيراتها وهى – كم قلت – عوامل متداخلة يؤثر بعضها فى البعض الآخر .

أولا – موقف الولايات المتحدة

كما ذكرنا فان الولايات المتحدة – حاولت لأسباب استراتيجيةخاصة بها وبالتحالف الغربى بشكل عام ان تجد لها مكانا – ان لم يكن بديلا كاملا فبديلا جزئيا لبريطانيا فى منطقة الخليج . وقد دخلت الولايات المتحدة المنطقة بموافقة بريطانيا فى مرحلة ، وفى صراع معها فى مرحلة لاحقة ، وكانت البدايات مرة اخرى هى النفط . فالمصالح الأمريكية – بدأت تجد لهاموطىء قدم فى هذه الصناعة الضخمة – والتى هى بالاساس صناعة امريكية – فى بعض المناطق – كالمملكة العربية السعودية – والبحرين ، جزئيا فى اماكن اخرى كما حدث فى الكويت لاحقا – ثم بعد أزمة النفط الأيرانية فى سنة ١٩٥٢ فى إيران . ولقد توسعت هذه المصالح حيث واكبتها قواعد عسكرية لفترة محدودة (كقاعدة الظهران العسكرية حتى سنة ١٩٥٦) .

لقد وضح ان هناك خطوطا عامة اساسية لدى الأدارات الأمريكية المتعاقبة – سواء أكانت جمهورية ام ديمقراطية – تجاه موقع الولايات المتحدة فى منطقة الخليج . ولكن هذه السياسات تنشط فى فترة وتهدأ فى فترة آخرى ، إلا ان منطقة الخليج اصبحت بدءا من السبعينيات فصاعدا منطقة حيوية للولايات المتحدة ومن ثم لحلفائها ، وارتكزت سياستها فيها على ما يلى :

١ – الحفاظ على تدفق النفط وباسعار معقولة .
٢ – الحرص على عدم سيطرة القوى المضادة للمصالح الأمريكية والغربية على المنطقة .
٣ – الحفاظ على اسواق المنطقة مفتوحة للتجارة الغربية وتعزيزها .

لقد عوق من قبول مصداقية الموقف الامريكى ق منطقة الخليج موقفها العام من الصراع العربى الاسرائيلى ، هذا التعويق الذى جعل من الولايات المتحدة حسب تصورها ومصالحها تبحث عن حلول لهذا الصراع ، وتطرح اخيرا استراتجيتها المسماه (بالأجماع الأستراتيجى) ق الشرق الأوسط ، ويعنى وقوف جميع اقطار الشرق الأوسط ق صف واحد ضد ما تراه الولايات المتحدة من « اتساع للنفوذ السوفييتى » . لقد صعد من هذه السياسة ما لمسته الولايات المتحدة من سقوط حليف رئيسى ق الخليج هو شاه ايران . لقد دفعت ادارة ريجان الحالية مبدأ نيكسو ن اولا ثم مبدأ كارتر (١٩٧٧ ـ ١٩٨٠) الى حده الأقصى والقاضى باحتمالات التدخل السريع ق منطقة الخليج ، وكما قال الجنرال روبرت كنجستون قائد قوات التدخل السريع ق ٢٠ / ١٠ / ١٩٨١ .

(إن قواتنا جاهزة للقتال اليوم إذا إستدعى الأمر ، إننا نستطيع الوصول بالأسراب الأولى من المقاتلات الى منطقة جنوب غرب أسيا« الخليج » ق غضون ساعات) [٤] .

سياسة الترغيب الأميركي والتخويف ق نفس الوقت وجدت لها أذانا تسمع ، وقلوبا تخشع وتستجيب ، ان لم يكن لشىء ، فلواقع الأستقطاب العالمى والعجز العربى من جهة وعدم القدرة المحلية التى فرضتها الظروف الواقعية من جهة أخرى .

والهدف من سياسة « الأجماع الأستراتيجى » الأمريكية ق الشرق الأوسط هو بجانب الحصول على الكثير من المزايا الأقتصادية والأستراتيجية ـ وضع المنطقة ق إطار التقسيم العالمى للنفوذ ـ الأمر الذى تعتقد معه الأدارات الأمريكية المتعاقبة وكذلك بعض حلفائها الغربيين ان المنطقة هى منطقة نفوذ غربى . لذلك ماخضاع اجزاء كبيرة من المنطقة العربية ـ المغرب ، مصر والخليج لشبكة الدفاع الجوى الأمريكى ـ تعنى أن تعمل الولايات المتحدة بشكل جدى لأقناع أكبر عدد من أقطار الخليج بالدخول ق نظام دفاعى موحد تحت إشراف الولايات المتحدة .

السلاح والتسليح :

من المؤشرات الهامة التى يمكن من خلالها قياس اهتمام الولايات المتحدة بالمنطقة سياستها المتعلقة بتجارة السلاح ، فقبل منتصف الستينيات كانت أوروبا الغربية واليابان واستراليا تستورد اكبر جزء من السلاح الامريكى المصدر الى الخارج وتمثل مشترياتهم حتى ذلك الوقت ٨٠ ٪ من مجمل الصادرات العسكرية الأمريكية . وق العقد الذى بدأ سنة ١٩٦٥ وانتهى ١٩٧٥ انخفضت حصة استيراد الدول الصناعية من صادرات السلاح الامريكى من ٤٤ ٪ الى ٢٨ ٪ بينما ارتفعت صادرات السلاح الأمريكى الى العالم الثالث من ٥٦ ٪ الى ٧٢ ٪ . كما ارتفعت صادرات السلاح الى الشرق الأوسط ق الفترة نفسها من ٨ ٪ الى ٣٢ ٪ . ونلاحظ ما تقوله الأحصاءات وهو ان صادرات الحكومة الأمريكية من السلاح الى ثلاث دول ق الشرق الأوسط (وهى ايران والسعودية واسرائيل) شكلت ق منتصف السبعينيات ٦٠ ٪ من مجمل صادرات الأسلحة الأمريكية الى الخارج . وبما ان الولايات المتحدة تسيطر على حوالى نصف تجارة السلاح ق العالم فان الدول الثلاث ق تلك الفترة حصلت على حوالى ٣٠ ٪ من مجمل تجارة العالم العسكرية ـ وتبنى سياسة الولايات المتحدة ق هذا المجال على فكرة ان تسليح الحلفاء يقلل من تورط الولايات المتحدة عسكريا ق الأزمات . [٥]

ولا نترك هذه النقطة دون ان نلاحظ ان ايران خرجت بدءا من ١٩٧٩ من هذه الحلقة كما ان اسرائيل ـ لأسباب معروفة تأخذ معظم مشترياتها من السلاح كهبات ـ (المعونة الأمريكية السنوية لاسرائيل تبلغ ٨ ,٢ بليون دولار) .

وتدخل السعودية ـ كأكبر دولة ق مجلس التعاون ـ ق برنامج تطوير عسكرى مع الولايات المتحدة أقل ما يقال فيه أنه برنامج ضخم وتدفع ثمن هذا السلاح نقدا .

فبين عام ١٩٦٥ الى ١٩٨١ تقدمت السعودية بطلبات لشراء عتاد وخدمات من الولايات المتحدة ، تقدر قيمتها بـ ٣ مليار دولار ، لبت الولايات المتحدة اقل من ثلث تلك الطلبات فقط اى ٣ .١١ مليار دولار وقد أثارت صفقة الأواكس المشهورة كثيرا من

---

٤ ـ انظر التصريح ومعلومات أخرى ق دراسة الدكتور عبد الله النفيسى
مجلس التعاون الخليجى : الاطار السياسى والاستراتيجى . ق ندوة مستجدات التعاون الخليجى ـ الكويت ١٨ ـ ٢٠ ابريل ١٩٨٢ ص ٥ وما بعدها .

٥ ـ نهى نادرس خلف : صفقة الأواكس للسعودية ق مجلة الفكر الاستراتيجى العربى العدد ٣ يناير ١٩٨٢ صفحة ٩٥ وما بعدها .

التعليقات فى الصحف الخليجية والعربية والعالميه .

بصرف النظر عن التقييم العاطفى لهذه السياسة – لابد دون ان نضع وجهة نظر قيمية حول هذا الموضوع ، ان يتساءل المراقب عن مدى فعالية مثل هذه السياسة للمصالح الوطنية حتى فى المدى المتوسط ، ان لم يكن القصير ، ولندع التصريحات الأمريكية نفسها تعبر عن الموضوع :

يقول **الكسندر هيج** فى شهادته امام الكونجرس الأمريكى فى ١ / ١٠ / ١٩٨١

(فقط السعوديون والأمريكيون الذين تم التأكد منهم بدقة سيسمح لهم بالتعامل مع هذه الطائرات ، وبما ان هناك نقصا فى الطاقم الجوى والتقنى من السعوديين فهذا يعنى ان التواجد الأمريكى فى الطائرات على الأرض سيستمر حتى سنوات متأخرة فى التسعينيات) [6]

ويشير **فيتز فرد أملى** مساعد وزير الدفاع الأمريكى للشئون السياسية فى تصريح له أمام نفس اللجنة الى ان هناك ثلاث مراحل ستلعبها القوات الجوية الأمريكية فى صفقة الأواكس – مرحلة حتى أواخر عام ١٩٨٥ بقيادة وسيطرة امريكية شاملة ، ومرحلة ثانية حتى ١٩٩٠ وستكون فترة قيادة وسيطرة امريكية سعودية مشتركة ومرحلة ثالثة بعد سنة ١٩٩٠ وهى فترة السيطرة السعودية مع مشاركة امريكية)

ويمكن ان نعدد التصريحات الكثيرة بهذا الأتجاه .

وقد يقول متفائل ان هذه التصريحات اعطيت لتطمين اللوبى الصهيونى بسبب نقده للصفقة – وقد يكون ذلك احتمالا قائما . ولكن الوقائع لا زالت تشير الى صحة هذه المقولات والتصريحات ، وقد دلل ضرب المفاعل النووى العراقى فى يونيو عام ١٩٨١ على ان الأواكس قد لا ترى فى بعض الأوقات .

صفقات السلاح والمساعدات العسكرية والتسهيلات العسكرية هى المحور الذى تدور حوله سياسة الولايات المتحدة تجاه منطقة الخليج . إلا ان هناك اصواتا فى الأوساط الأكاديمية الأنجلو / امريكية [7] من امثال **جيمس شلنجر وج . ب . كيلى و روربرت تاكر وادوارد لوتك** واخرون غيرهم يدعون وبصوت عال وواضح لاعادة الأستعمار لمنطقة الخليج Re – Colonization مبررين ذلك بأمور مضحكة هى ضعف البناء السياسى والعسكرى وقلة السكان ... الخ فى منطقة الخليج ، إلا انها افكار تثير القشعريرة ، اذا اطلعنا على تقارير اكثر جدية من الكلام الأكاديمى العام .

واخذ من هذه التقارير اعدته لجنة امريكية اوروبية يابانية مشتركة – فى اطار البحث عن استراتيجية جديدة للولايات المتحدة فى الخليج – وتشير عناصر التقرير الى ركائز التوجيهات الأمريكية فى الثمانيات (نشر بالعربية فى ابريل عام ١٩٨١) . [8]

١ – لم تعد مشكلة الشرق الأوسط تنحصر فقط فى الصراع العربى الصهيونى وان الاحتمالات المباشرة لاسقاط النفط يمكن ان تكون الثورة الايرانية أو الحرب العراقية الايرانية

٢ – الحاجة الى تقليل انعكاسات الصراع العربى – الصهيونى على منطقة الخليج فهناك مشكلة افغانستان والتواجد السوفييتى فى القرن الأفريقى واليمن الديمقراطية والثورة الأيرانية .

٣ – احتمالات الثورة او التغير التدريجى فى بعض الأنظمة الخليجية نتيجة المواجهة بين دواعى التحديث وبين الأنظمة المحافظة .

٤ – ادت المعاهدة المصرية – الاسرائيلية (كامب ديفيد) الى حدوث خلل فى ميزان القوى فى المنطقة وقللت من احتمالات الحرب .

٥ – ضرورة عدم استمرار التوتر فى لبنان والحاجة الى تسوية سياسية فى اقرب وقت ممكن .

٦ – تزايد القوة السوفيتية فى المنطقة وآثار التدخل فى افغانستان .

٧ – أدت الثورة الأيرانية الى استمرار عدم الأستقرار وتبدل موازين القوى

تلك هى الخطوط العريضة للسياسة الامريكية – واذا نظرنا اليها من جديد بعد نشرها بعام تقريبا يتبين لنا مسار التوجهات الجديدة للسياسة الأمريكية فى التطبيق العملى سياسة الولايات المتحدة – التى اوجزناها فى السطور السابقة لها محددات ومعوقات – تدخل فى اطار العناصر القادمة وايضا لها نتائج تظهر فى ثنايا العوامل اللاحقة .

ثانيا – موقف الاتحاد السوفييتى :

الادبيات المتاحة حول موقف الاتحاد السوفييتى تجاه الخليج متناقضة ، ومعظمها من مصادر غربية ، الموجود بين يدينا من الوثائق الرسمية السوفيتية تكرر

---

٦ – المصدر السابق منقول من اوراق لجنة الشئون الخارجية فى الكونجرس الأمريكى ١ اكتوبر صفحة ٤٨٤ .

٧ – تقرير سرى غير منشور معنون ب

Executive Intelligence Review , Special Report Prospect For Instability in the Arabian Gulf . Dec . 1980 .

٨ – انظر التفاصيل الكاملة للاستراتيجية الأمريكية فى الخليج العربى فى الثمانينات منشور فى التقرير السياسى الذى يصدره مركز الخليج للدراسات العربية – دار الخليج للصحف والنشر/الشارقة – العدد ٩ ابريل ١٩٨١ صفحة ١٣ وما بعدها .

الموقف العام من خلال مبادرة **بريجنيف** التى اعلنها فى البرلمان الهندى فى ١٩٨٠/١٢/١٠ ذات النقاط الخمس .

وقبل ذكر هذه المبادرة ، نجد ان احدى الوثائق الرئيسية النادرة وشبه الرسمية نشرت فى يوليو من العام الماضى فى مجلة « الشئون الخارجية » — السوفيتية تحت عنوان الطريق الى السلام فى الخليج العربى (٩)

يقول المقال ان المؤتمر السادس والعشرين للحزب السوفييتى قرر ان التهديد للسلام العالمى يتمركز فى نقاط ساخنة فى العالم نتيجة للتوسع الامبريالى والنيوكولونى ، ومن هذه المناطق الخليج ، وللراى العام العالمى الحق فى أن يعرف ان تلك المناطق (والتى من بينها الخليج) قد تفلت من السيطرة ويتعقد الوضع العالمى اكثر مما هو عليه الان ويهدد السلام ، وتذهب الدراسة للقول بأن الخليج يحوى على ٧٠٪ من الاحتياطى العالمى للذهب الاسود — على حد تعبير الكاتب — كما ان الولايات المتحدة بنقاط ارتكاز فى سيناء (مصر ومصيرة (عمان) مرتبطة بنقط الاتصال المركزى الامريكية الرئيسية فى جزيرة **ديوجارسيا** فى وسط المحيط الهندى ، والتى يعتقد — كما يقول المقال — ان بها مخزونا غير معلن من الاسلحة الذرية ، من هذه النقاط تهدد الولايات المتحدة امن الخليج .

« دبلوماسية السلاح » التى يعتقد الاتحاد السوفييتى ان الولايات المتحدة تمارسها للضغط على اقطار الخليج هى التى تجعلها ، تحت التخويف من الاتحاد السوفييتى والضغط تقبل الوقوع فى اطار الاستراتيجية التى تدعمها الولايات المتحدة ، هكذا تصل فى النهاية وجهة النظر السوفيتية .

تقارير اخرى توضح موقف الاتحاد السوفييتى تجاه الخليج : بان هناك احتمالا بأن يحتاج الاتحاد السوفييتى للنفط فى وقت ما (النقطة التى تبرز وتتلاشى فى تقارير الوكالات الرسمية) لهذا السبب فهو يطور موقفه الاستراتيجى تجاه المنطقة .

ولكن يمكن بلورة نقاط اكثر عقلانية تفسر موقف الاتحاد السوفييتى تجاه الخليج فى السبعينات والثمانينات ، وهذه النقاط هى :

١ — ان الخليج قريب نسبيا من حدوده ، ونظرا لهذا القرب يرى انه اكثر احقية للتواجد من الولايات المتحدة .

٢ — اهمية الخليج لحلف الناتو (التحالف الغربى) وحرمان الحلف من اقتصاديات الخليج النفطية والتجارية ، يعزز من كفة الاتحاد السوفييتى وحلفائه .

٣ — سقوط حلف السنتو نهائيا فى سنة ١٩٧٩ — بعد الثورة الايرانية — بعد تحلل الحزام الشمالى وحلف بغداد من قبله — يعنى ان التفاعلات الداخلية فى المنطقة مضادة للنفوذ الغربى والامريكى اساسا .

٤ — حرمان المعسكر الغربى من الخليج او اضعاف نفوذه فيه يعد مكسبا بحد ذاته للاستراتيجية السوفيتية لابعاد نقاط الانقضاض على مصالحها .

٥ — فى حالة تصاعد الخلاف الصينى السوفييتى الى حرب فان الاتحاد السوفييتى سوف يكون امام ضغط هائل لتموين قواته البحرية فى الشرق الاقصى — وهذا يعنى ان وجود ميناء فى جنوب الخليج كميناء (كوادر) فى بلوشستان حيوى بالنسبة له .

الاتحاد السوفييتى له غرض واضح فى استراتيجيته تجاة الخليج هو فى الاساس ابعاد الولايات المتحدة ، ثم رك التفاعلات المحلية تأخذ مجراها .

لهذا فان نقاط **بريجنيف** الخمس تقول الاتى :

١ — عدم اقامة قواعد عسكرية اجنبية فى منطقة الخليج والجزر المتاخمة لها وعدم وضع اسلحة نووية او اية اسلحة اخرى للابادة الشاملة هناك .

٢ — عدم استخدام أو التهديد باستخدام القوة ضد بلدان منطقة الخليج وعدم التدخل فى شئونها الداخلية .

٣ — احترام وضع عدم الانحياز الذى اختارته دول منطقة الخليج وعدم جرها الى التكتلات العسكرية التى تشارك فيها الدول النووية .

٤ — ضمان استخدام الممرات البحرية بين الخليج وباقى انحاء العالم مع عدم خلق اى عقبات او اخطار امام التبادل التجارى الطبيعى .

٥ — التعهد باحترام حق كل دولة ذات سيادة فى استخدام مواردها الطبيعية كيفما تشاء .

ولقد زيدت الى اقتراحات بريجنيف الخمسة اضافات محدودة فى مؤتمر الحزب الشيوعى السوفييتى السادس والعشرين .

يقول التقرير انه نظرا لان بعض البلدان تربط مشكلة توفر السلام والأمن فى منطقة الخليج العربى والطرق المؤدية اليه بمسألة تواجد القوات السوفيتية المحدود فى افغانستان فان الاتحاد السوفييتى مستعد للقيام بمفاوضات فيما يتعلق بالخليج كمشكلة مستقلة ، ولكن لانعترض ان تناقش المسائل المتعلقة بافغانستان بالارتباط مع مسائل أمن الخليج ، وطبيعى ان مايخضع للمناقشة فى هذا المقام هو

---

٩ — JOURNAL OF INTERNATIONAL AFFAIRS No . 7 , 1981 The Persian Gulf , Path to Peace .

النواحي الدولية فقط من المشكلة الافغانية وليس الشئون الداخلية . [١٠]

من وجهة نظر مصالح الدول المطلة على الخليج فان نقاط بريجينيف تبدو جذابة إلا ان البعض يرى ان النيات السياسية ليست بالضرورة مطابقة للرغبات المعلنة

وتشرح المصادر السوفيتية هذه المبادرة على انها اثبات لانتفاء روح (العدوان) في السياسة الخارجية السوفيتية ، كما تتهم الولايات المتحدة انها تجاهلت المبادرة كليا .

لقد كان هناك ظلال من الشك حول مصداقية وقوف الاتحاد السوفييتي على الحياد في حالة ظهور علامات لتغيير الواقع القائم Status Quo في احد اقطار الخليج على ضوء التدخل السوفييتي في افغانستان .

المعادلة هنا ليست سهلة ، فهناك عوامل داخلية تفعل فعلها (سنعود الى هذا العنصر بعد ذلك في التحليل - العنصر السابع -) وهناك عوامل اقليمية متحركة .

إلا أن السياسة المعلنة لاقطار الخليج تجاه هذا الاستقطاب الدولي هي :

(ان أمن المنطقة واستقرارها انما هو مسئولية شعوبها ودولها) [١١]

ولقد اكد هذا التوجه للاتحاد السوفييتي الشيخ صباح الأحمد نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية ، ووزير الاعلام الكويتي في زيارته لموسكو في ٢٣ - ٢٥ ابريل ١٩٨١ .

إلا أن بعض الباحثين يرى (هوة كبيرة بين التصريحات والواقع) .

فنشير لبعض دراساتهم الى انه (بالرغم من الحديث المعلن عن ضرورة ابعاد المنطقة عن الصراعات الدولية فان بعض الدول الاعضاء « في مجلس التعاون » ما زال يقدم ما يسمى هذه الايام بالتسهيلات العسكرية) [١٢] .

لاشك ان هناك وجهة نظر مازالت تتفاعل في اوساط مجلس التعاون تجاه قضية التسهيلات ولم تحسم بعد ، إلا أن عدم الحسم هذا يلقي ضوءا اكبر على المعادلة الصعبة تجاه الاستقطاب الدولي في الخليج .

ثالثا - أوروبا الغربية :

من الصعب وضع اقطار أوروبا الغربية مجتمعة في اطار موحد ولكنه ممكن بشكل عام ، نتيجة لموقفين اساسيين تقفهما أوروبا الغربية ، الأول بعدها في المجمل نسبيا عن الدخول في معضلة الاستقطاب الدولي بين قطبين هما الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي - على الرغم من الهوامش المشتركة مع الأولى . والموقف الثاني هو الموقف الأوربي من الصراع العربي/الاسرائيلي .

يجد الخيار الأوربي - ان صح التعبير - مؤيدين يتزايد عددهم في اقطار الخليج فأوروبا تضم حسنتين : قدرتها على المساهمة في التنمية وعدم قدرتها على فرض وصاية شاملة تشابه في رأى البعض وصاية الولايات المتحدة أو في رأى البعض الاخر - الاتحاد السوفييتي

ويتزايد الخيار الأوربي نتيجة الموقف المتباين بينه وبين الولايات المتحدة في بعض القضايا كقضية خطوط الغاز والنفط السوفيتية الى أوروبا او كقضية تصدير التكنولوجيا المتقدمة الى بعض اقطار الخليج (كالعراق مثلا) . ولقد حصلت أوروبا الغربية خاصة فرنسا والمانيا الاتحادية على عقود لتوريد السلاح (مثلا ٣,٥ مليون دولار عقد فرنسي لتطوير السلاح البحري السعودي) وتساهم اقطار أوروبية اخرى في برامج التنمية العديدة في منطقة الخليج ، كما أن هناك تفكيرا في انشاء المنظمة العربية للتصنيع AOI ، ومن المتوقع ان يكون مقرها العراق بمساعدة فنية فرنسية اساسا .

من السابق لاوانه القول ان هناك اختلافا كبيرا بين التواجد الأوروبي والتواجد الامريكي ، ولكن يبدو ان الأول مقبول لدى فئات اكبر في الخليج ، كما أنه ليس مرفوضا - كالتواجد الامريكي - من منظور المصالح السوفيتية ووجهة النظر السوفيتية في هذا المجال ان الولايات المتحدة تحاول ان تضغط على حلفائها لتجاوز الدور الاقتصادي الى دور عسكري في الخليج وفي الشرق الأوسط عامة - للاشتراك معها في التحضير العسكري حتى تخفف العبء الاقتصادي عنها وكذلك تظهر وحدة الاستراتيجية الغربية ، الفكرة التي لاتبدو مقبولة كثيرا لدى بعض حكومات اوروبا الغربية . لقد ظهرت في أوروبا اليوم بدايات تفكير مستقل عن

---

١٠) غريجوري بندرنفسكي : الخليج العربي - دار نشر وكالة فونتسني - موسكو ١٩٨١ صفحة ١٨٤ .

١١) عبد الله بشارة : مجلس التعاون الخليجي : اهدافه وظروف نشاته - ندوة مستجدات التعاون ١٨ - ٢٠ ابريل ١٩٨٢ - ص ٧

١٢) عبد الله النفيسي : مجلس التعاون الخليجي .. مصدر سبق ذكره ص ١٥

القطبين العالميين الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة ، ومن خلال الاستفادة من هذه الاستقلالية يمكن للعرب والخليجيين على السواء خاصة تحقيق تعاون اكبر مع أوروبا الغربية .

رابعا – الثورة الايرانية وتاثيراتها :

ليس من السهل تناول عامل الثورة الايرانية وتـأثيرها فى الخليج فى وريقات عديدة – حيث ان مدخلات ومخرجات هذا العامل بحد ذاته عديدة ومتشابكة .

فلاشك ان هذه الثورة قد احدثت (انهيارا) ان صح التعبير فى المنطقة فقد انهار احد اركان النظام الغربى – الذى ترتكز عليه الولايات المتحدة فى منطقة الخليج بعد حياة قصيرة جدا – فى مرحلة السبعينات – ولازالت الكتابات والتحليلات تتوافد علينا تحلل اسباب انهيار نظام الشاه ، وهى فى رايى اسباب اجتماعية .. اقتصادية – سياسية قدر لرجل الدين – كمؤسسة – ان يقودها .

ولكن من الاسباب التى تناولتها الدراسات التى صدرت اخيرا وقدمها لنا كتحليل ، الاتى : (١٣)

١ – عزلة الشاه تجاه مواطنيه والوضع الاقتصادى الذى شهد تطورا فجائيا اثر على الوضع الاجتماعى .

٢ – اتفاق ١٩٧٥ بين العراق وايران الذى سهل زيارة ٢٠٠ الف زائر سنويا للعتبات المقدسة فى العراق ، وهناك كان بعضهم يقع تحت دعاية الخمينى المركزة .

٣ – سياسة كارتر تجاة حقوق الانسان ، وضغطه على الشاه من اجل تخفيف استئصال المعارضة !

٤ – واخيرا وليس آخرا دور منظمة التحرير فى تدريب المعارضين للشاه وتسليحهم .

وتوجهت التحليلات الغربية مباشرة اثناء الثورة وبعدها الى الخليج ، تقارن بين الشاه ووضعه فى ايران وبين الضفة الاخرى من الخليج ، وانهالت المقارنات متوقعة نفس النتيجة بسناريوهات اخرى .

فى احد التقارير المشهورة لمعهد الدراسات الاستراتيجية فى لندن جاء ما يلى :

(ان جمهورية الخمينى الاسلامية اثارت العديد من المشاكل لدول الخليج ، فتخلى ايران عن دور الشرطى فى المنطقة اثار القلق كما ان هناك احتمالا بـأن يواكب ذلك التوجة الى المغامرة لدى الراى العام الايرانى فتطالب ايران بالبحرين ، والصحوة الاسلامية فى ايران شحذت المشاعر المعادية للغرب ، فضلا عن أن تـأييد النظام الايرانى الحيوى فى طهران للثورة الفلسطينية سيزيد من ثقة الفلسطينيين والمتطرفين العرب فى المنطقة ، والخمينى عندما ربط بين القضية الفلسطينية والاسلام جعل من المتعذر للعرب المعتدلين اتباع سياسة حول القدس او فلسطين يمكن ان تفسر بانها مناهضة للاسلام او للعرب) (١٤)

الحرب العراقية الايرانية وآثارها :

لاشك ان ماحدث فى ايران كان له صداه فى اكثر من جهة فى الخليج ، فهناك مفاهيم تصدير الثورة التى قال بها بعض قادة الثورة الايرانية فى بدايتها ، وهناك الموقف من الخليج ككل والعراق على وجة التحديد لعبت فيها العوامل الطائفية دورا غير قليل .

ويرجع البعض الى أن محاولة الاستيلاء على الحرم المكى فى نوفمبر وديسمبر ١٩٧٩ فى السعودية والتى عرفت بحركة **جهيمان العتيبى** كانت نتيجة من نتائج التيار الجديد الذى انبثق فى المنطقة .

كان التعاطف الشعبى مع الثورة الايرانية فى البداية جارفا فى الخليج – ليس لاسباب طائفية فقط وانما ايضا لاسباب سياسية . فقد كان التخلص من نظام الشاه املا يحلم به كثير من الوطنيين فى الخليج اذا لم يكن لشىء فعلى الأقل لموقفه الداخلى ضد الحريات وعلاقته باسرائيل من جهة والولايات المتحدة من جهة اخرى . ولقد كان هاجس الوطنيين فى محله فالوثائق التى ظهرت بعد استيلاء الطلاب الايرانيين على سفارة الولايات المتحدة وكذلك الوثائق التى ظهرت بعد ان تركت البعثة الاسرائيلية مقرها فى طهران تبين ان هناك تعاونا عميقا وصل الى حد « برنامج تطوير مشترك لسلاح الصواريخ والطائرات » . وكذلك العلاقات غير المحدودة بين جهازى (السافاك) الايرانى و (الموساد) الاسرائيلى . إلا ان الحرب العراقية – الايرانية اصبحت بعد ذلك الشغل الشاغل لابناء الخليج بعد اندلاعها فى سبتمبر ١٩٨٠ – والتى مازالت مشتعلة الى اليوم . هذه الحرب لايمكن التكهن بنتائجها اليوم أو غدا ولكنها بالتأكيد سوف تلقى بظلها الثقيل على العلاقات العربية – الايرانية لفترة قد تطول كما انها حتى اليوم قد عطلت امكانيات تنموية اساسية سواء فى ايران او فى العراق ، لقد كان هناك مواقف فى الخليج متدرجة تجاة الحرب بين متحفظة او مؤيدة لدخول القوات العراقية فى الأراضى الايرانية ولكن هذه المواقف مالبثت ان توحدت حول رفض احتلال

---

١٣) MICHAEL LEDEENS £ WILLIAM LEWIS
Debacle : The American Failure in Iran Vintage Books , New York , 1982 .
VALERIE YORK : The Arab Gulf in the 1982s .

١٤) الطبعة العربية من منشورات مركز دراسات الخليج العربى بالبصرة ص ١٠

(ايران) هذه المرة لأرض العراق ، إلا ان الحرب قد سهلت دخول القوات الامريكية فى المنطقة (١٥) فبعد اعلان الحرب باسبوع توجهت طائرات الاواكس الى السعودية .

لقد وقفت ايران الثورة فى بدايتها مع الثورة الفلسطينية هذا من اهم العوامل التى اكسبتها بعدا جماهيريا فى الخليج . كما أن موقفها من الولايات المتحدة جعل الاتحاد السوفييتى يصرح بوقوفه ضد اى تدخل امريكى فى الشئون الداخلية الايرانية (تهديد **بريجينيف** فى ١٨ نوفمبر ١٩٧٨)

والصراع المرير الداخلى الذى طبع الثورة الايرانية فى سنواتها اللاحقة جعل بريقها فى الخليج كما فى الوطن العربى يخفت شعاعه ، كما أن الحوادث الداخلية التى ظهرت فى الخليج وكانت لها علاقة بشكل مباشر أو غير مباشر بالثورة الايرانية كبعض التجمعات السياسية فى الكويت ، وكذلك مانشر حول محاولة تغيير نظام الحكم فى البحرين بالقوة وبعض الاضطرابات فى شرق الجزيرة العربية والاقطار الخليجية الصغيرة ، يفسرها البعض على انها جزء من تأثيرات الثورة الايرانية .

ومن الضرورى الاشارة هنا الى أن بعض الفئات لسياسية فى الخليج قد أيدت الثورة الايرانية سياسيا وهو تأييد مشروط ، أما البعض الآخر فقد أيدها تأييدا ايديولوجيا غير مشروط .

ولاشك أن تطورات الثورة الايرانية مازالت مفتوحة لأى حدس ، فقد تتطور باتجاه هذا التيار الاقتصادى الاجتماعى الحديث ، او ذاك الا ان التصاقها بايديولوجية ثيوقراطية مع ممارسات قرن أوسطية لايشكل كثيرا من القبول لدى جماهير الخليج العربى المتحررة من التعصب الطائفى كما هو الحال لدى قطاعات ليست قليلة من الشعوب الايرانية نفسها فلم تعد معارضة النظام القائم فى ايران اليوم مقصورة على بقايا النظام القديم ، لقد اصبحت شرائح اخرى من النظام الجديد مضادة للممارسات فى طهران .

لقد كان التخوف فى الشرق الأوسط حقيقيا من جراء هذا الانهيار العظيم فى البداية حتى أن التقارير التى نشرت اخيرا لما دار فى مفاوضات كامب ديفيد فى ربيع ١٩٧٨ تقول لنا أن **السادات وبيجين** قد بذلا جهودهما عند **كارتر** لاقناعه بأن المشكلة الرئيسية فى الشرق الأوسط – ليست قضية فلسطين فنحن (**السادات وبيجين**) قادران على حلها ، ولكن المشكلة الحقيقية مايحدث فى ايران . وكان المتوقع نتيجة للتدخل الأمريكى السرى ان يعود الشاه بعد خروجه بفترة قصيرة وهذا مايفسر استقبال **السادات** له ، ولكن الامور اتجهت اتجاها آخر اصبح معروفا لدينا اليوم .

وضع الثورة الايرانية اليوم شائك ، فهناك قوى متعددة فى ايران تحاول دفع الحوادث تجاه مصالحها أو رغباتها ، وسيظل الحكم على الثورة سابقا لأوانه وسيظل تأثيرها على الخليج فى المستقبل واردا باشكال متعددة .

الا ان هناك نقطتين لايمكن ترك الحديث عن تأثيرات الثورة الايرانية فى الخليج دون ذكرهما . الأولى هى أن هناك كثيرا من الأوساط السياسية فى الخليج – وهى اصداء لما ردده بعض الايرانيين والمحللين الغربيين – تعتقد ان الموقف الأمريكى لو لم يكن ضعيفا ومترددا تجاه ماكان يحدث فى ايران ابان سنة ١٩٧٨ لما استطاعت القوى الجديدة ان تصل الى الحكم بالشكل الذى وصلت اليه بعد الثورة ، وعلى الرغم من أن هذه المقولة تبسيط كبير لحقيقة الأمور وملابساتها – الا انها تجد آذانا صاغية ، لذلك كان هناك توجيهات فى الخليج للابتعاد قليلا عن النصائح الأمريكية ، وجعل المسافة بين رغبات الولايات المتحدة والسياسات الفعلية المطبقة بعيدة بعض الشيء . النقطة الاخرى هى ماقدمت عليه الولايات المتحدة بعد احتلال الطلبة الايرانيين لسفارتها فى طهران من تجميد لكل الودائع الايرانية الأمر الذى جعل قشعريرة تسرى لدى بعض الأوساط الخليجية الليبرالية من ان الاستثمارات الخليجية الضخمة فى الولايات المتحدة قد تلقى نفس المصير .

خامسا – الثورة الفلسطينية والبعد العربى :

كالعامل السابق ، فان عامل الثورة الفلسطينية وتأثيره فى الخليج عملية معقدة من الصعب الالمام بكل جوانبها .

هناك علاقة الثورة الايرانية بالثورة الفلسطينية فى مرحلة الاعداد والتكوين ، هى التى أدت فى النهاية الى قناعة مفرطة من جانب الولايات المتحدة – مفادها ان مصالحها فى الشرق الأوسط مهددة من قبل الثورة الفلسطينية (مركز الارهاب الدولي) !!

فلقد عرفنا فى السابق ان من ضمن العوامل التى يعتقد الاستراتيجيون الأمريكيون انها ادت الى الثورة الايرانية ، المساعدات والتدريبات التى قدمتها الثورة الفلسطينية ، ويدللون على ذلك ان **ياسر عرفات** كان الوحيد من الشخصيات الهامة الذى سار فى جنازة **على شريعاتى** عند دفنه فى دمشق ، وهو الفيلسوف

---

١٥) انظر الدراسة الشاملة حول هذا الموضوع للكاتب وعنوانها : أثار الحرب العراقية/الايرانية على الأوضاع فى الخليج . دراسة غير منشورة مقدمة لندوة مركز الخليج للدراسات العربية – مجلة الخليج – الشارقة ابريل ١٩٨١ .

الاسلامي الذى كانت تجد دراساته فى اوساط الثوار الايرانيين قبولا واسعا . كما ان **ياسر عرفات** كان اول شخصية رئاسية تدخل طهران الثورة بعد انتصارها . وصورة **ياسر عرفات** فى شوارع طهران فى الأيام الاولى للثورة اسرعت من التوجهات الأمريكية فى اطار (الاجماع الاستراتيجى) على ضرب الثورة الفلسطينية .

ولتشابك العلاقات بين الثورة الفلسطينية وبين ابناء منطقة الخليج لاشتراكهم فى ثقافة ومشاعر واحدة اصبحت القضية الفلسطينية هى قضية ابناء الخليج مع حقيقة تواجد اعداد كبيرة منهم فى المنطقة للعمل والانتاج . اصبح اى قرار خليجى تجاه القضية الفلسطينية قرارا يحسب له حساب .

كما أن التواجد الأمريكى فى الخليج من جهة ، والذى يعتقد البعض فى المنطقة من خلال الاستقطاب الدولى لا بأس من التوجه اليه ، الا ان هذا التوجه تشوهه العلاقة (الأمريكية ـ الاسرائيلية) فانسان الخليج يسأل نفسه كل يوم كيف يكون الأمريكى صديقا وحاميا لى فى نفس الوقت الذى يساعد بكل ايجابية فى تشريد أخى وضربه بالقنابل وحتى تمزيق بطون نسائه واطفاله بروؤس البنادق . تلك المعادلة الصعبة الفلسطينية ـ الخليجية الأمريكية وجدت لها بعض المقترحات التى عرضها الخليج هذه المرة ، مقترح مثل مبادرة الأمير (الملك) **فهد** حيث طرحت هذه المبادرة ولأول مرة فى اطار المسار المضاد لكامب ديفيد ، مفهوما مبطنا للاعتراف باسرائيل . ولقد فشل بحث المشروع فى مؤتمر القمة الثانى عشر فى فاس نوفمبر ١٩٨١ ، الا ان نفس الأفكار نجحت فى المؤتمر اللاحق تحت تسمية اخرى هذه المرة فى فاس رقم (٢) سبتمبر ١٩٨٢ وسميت « خطة السلام العربية » وهى تتوافق فى امور كثيرة مع مبادرة **ريجان** التى اعلنت فى الأول من سبتمبر ١٩٨٢ .

مبادرة **فهد** ، ومبادرة **ريجان** وخطة السلام العربية لعبت فيها اقطار الخليج دورا هاما ، ويعنى هذا الربط الدائم ـ بين اوضاع الفلسطينيين والاستقرار فى الخليج ـ يغطى هذا بالطبع بأشكال كثيرة من التصريحات العائدة الى التضامن العربى والاسلامى .

لقد كانت هناك دائما هواجس ان ابار النفط فى الخليج يمكن ان تتعرض للخطر فى ظل اوضاع القضية الفلسطينية الحالية اذا لم يتم احراز تقدم لحل المشكلة الفلسطينية . كمثال على ذلك فى ٢ يوليو ١٩٧٩ نجد تصريحا منشورا فى « **الهرالد تريبيون** » منسوبا لأحمد زكى يمانى وزير النفط السعودى يقول فيه :

(ان الفلسطينيين اصبحوا اكثر يأسا ، ولا استغرب اذا اغرقوا سفينة كبيرة او سفينتين فى **مضيق** **هرمز** لكى يجبروا العالم ليفعل شيئا لرفع معاناتهم وانهاء العناد الاسرائيلى)

بالطبع هنا اشارة رمزية لاحتمال وقف النفط عن التدفق . اما غرق سفينة او سفينتين فى **مضيق هرمز** المعروف باتساعه النسبى فلن يؤثر كثيرا على الملاحة .

الا ان الضغوط الخليجية على الولايات المتحدة افتقدت من جانب فى السنتين الاخيرتين عنصر التهديد ، وذلك بسبب الفائض النفطى الذى استطاعت ان تراكمه الولايات المتحدة وحلفاؤها مما جعل اى تهديد (بسلاح النفط) غير فعال ـ على المدى القصير على الأقل ـ وكذلك نتيجة للقوانين التى شرعتها الولايات المتحدة تجاه الاستثمارات الخارجية (كما راينا سابقا) . الا ان اصرار السياسة الأمريكية من جانب آخر (الاجماع الاستراتيجى) فى الشرق الأوسط للوقوف جميعا فى وجه التهديد الأكبر كما تراه الولايات المتحدة ـ وهو الاتحاد السوفيتى ـ جعلها تحث الخطى وبمساعدة خليجية فعالة لتقديم حل ما للقضية الفلسطينية ـ والحل كما تراه ـ هو ماحددته مبادرة ريجان فى ١ سبتمبر ١٩٨٢ .

لهذا فان التأثير الخليجى فى مسار القضية وكذلك تأثير القضية الفلسطينية فى التصورات الخليجية عملية جدلية متفاعلة ، ويمكن القول اليوم أن السعودية وهى الثقل الأكبر فى المنظومة الخليجية تقود المحاولات الحثيثة الجارية لايجاد مخرج ما للمشكلة التى سميت (قضية الشرق الأوسط) .

لقد وضع دكتور اميل نخلة الكاتب الأمريكى ذو الأصل العربى كتابا فى سنة ١٩٧٦ سماه امريكا والسعودية : الابعاد الاقتصادية والسياسية الاستراتيجية ، انتهى فى ختامه الى القول :

(ان لكل من الولايات المتحدة والعربية السعودية القوة والنفوذ لبدء عملية شاملة فى المنطقة تعود على البلدين بالنفع ، وعلى بلدان اخرى فى المنطقة بمنافع متبادلة وبما ان مصالح البلدين تتكامل ولا تتعارض ، فان لدى العربية السعودية والولايات المتحدة المؤهلات الضرورية لتثبيت علاقة دائمة ... وليس من الممكن توقع استقرار دائم فى المنطقة دون حل القضية الفلسطينية) .

لم يعد خافيا ان بين استقرار الخليج وحل القضية الفلسطينية علاقة جدلية ثنائية التأثر والتأثير .

واذا كان البعض قد ارجع هذه العلاقة الى أن اصولها تربط بين عدم قدرة العرب على تحرير فلسطين وفساد الأنظمة العربية المرتبطة بالولايات المتحدة ـ فان النخبة السياسية فى الخليج مهما كانت الأسباب مازالت تربط بين الأمن فى منطقة الخليج والأمن العربى الأمر الذى يراد فصله والتفرقة بينه فى اوساط اجنبية كثيرة .

سادساً – مجلس التعاون : التوجه الجديد :

لنبدأ بـالقول أن فـكرة التعـاون – الاندمـاج – والوحدة بين اقطار الخليج ليست فكرة جديدة لاتصورا ولاتـطبيقا ، فـأبناء الخليج – وأنا واحـد منهـم – الداعون دائما الى الوحدة العربية يغتبطون كثيرا مـن جراء ظهور وحدات خليجية – كدولة الامارات العـربية المتحدة – مهما كانت عقبات التطبيق .

ان مجلس التعاون الذى يضم اقطار الخليج والتـى لايوجد تناقض تاريخى بينها – بل تعاضد – فـالدعوة لوحدة مجموعة متجانسة من الأقطار العربية – تعضد فكرة الوحـدة العـربية – وذلك يقـرب يوم الوحـدة ولايبعده .

والكلام هنا ليس عاطفيا انما مـن خـلال دراسـة عميقة لتجارب الوحدة العربية تبين ان بعض المفـكرين العرب قد وضعوا العربة أمام الحصان – فـلا سـارت العربة وتعثر الحصان .

ونحمد الله ان اصواتا قـد بـدأت تعـى المشـكلة وتناقشها بعقلانية . فهذا **يوسف صايغ** المفكر العربى الاقتصادى المعروف يقول :

(يبدو سـخيفا لأول وهلة ان نقـول بـأن الوحـدة السياسية هى شرط مسبق للوحدة الاقتصادية – فقـد قدمت الاطروحة المعـاكسة تـكرارا على أننى ادعى – يقول **يوسف صايغ** بـأن يكون هناك قبـول لفـكرة الوحدة الاقتصادية وسعى صادق صوبها فقط اذا كان هناك قبول لفكرة الوحدة السـياسية وسـعى صـادق صوبها)[١٦] .

فبدأ يوسف صايغ فى ورقته هذه ببدء اطروحات غير مطروقة فى طريق الوحـدة العـربى ودون تحميل الشىء اكثر مما يحتمل ، فان فكرة التعاون الخليجى قد بدأت تدخل هذه المداخـل غير التقليدية – ويتـوقف دعمهـا والوصول بها الى بر الأمان على مجهودات كثيرة يبذلها المخلصون .

والدمج فى الخليج ليست فكرة جديدة ، فتجـربة عبـد العـزيز آل سعود فى توحيد الجزيرة العربية تجربة حديثة نسبيا[١٧] وقد اصبح هناك واقـع – رغم الاختـلافات الثقـافية الهـامشية – والمقبـولة فى اى مجتمـع واية دولة فى السـعودية اليوم – فقـد اصبح هناك دولة واسـعة الأطراف تتحول تدريجيا من علاقـات قبلية تقليدية الى بناء دولة حديثة .

ورغم ان بريطانيا – تاريخيا – قـد وقفـت أمـام محاولات ابن سعود لتوحيد بقية الجزيرة – الا انها من طرف آخر حاولت قبل الحرب العـظمى الثـانية سـنة ١٩٣٧ وكذلك ١٩٣٩ طرح مشروعات للتوحيد والدمـج لاقطار الخليج الصغيرة . وفى سـنة ١٩٥٢ نجحـت فى تشكيل مجلس الامارات المتصالحة [١٨] .

وفى الستينات والسـبعينات بعـد انحسـار الهيمنة الاستعمارية المبـاشرة ونتيجـة للواقـع الاجتمـاعى والثقافى والاقتصادى المتماثل بدأت وجهـات النظـر فى الخليج تطالب بوضع تصـور وحـدوى مـا ، مـالبثت الظروف الموضوعية ان فرضته فظهر بـدءا مـن الثلث الأول من السبعينات اتفاقيات تنسيق فى مجالات عديدة ثنائية او اكثر تطورت فى منتصف السـبعينات لتصـبح اجتماعات دورية للوزراء المختصين[١٩] .

لقد سـاهمت مجمـوعة مـن العـوامل الذاتية والموضوعية فى ظهور مجلس التعاون بصيغته الحالية .

١ – العوامل التاريخية والبشرية والجغرافية :

تتشابه وتـكاد تتمـاثل فى اقـطار الخليج المتعـددة العـوامل التـاريخية والبشرية والجغـرافية ، ولولا خضوع هذه المنطقة للنفوذ الغـربى فى اوقـات ضـعف للدول العربية لكانت التسميات الحدودية المعروفة اليوم مختلفة ، وربما لم يكن هناك تقسيمات سـياسية على الاطلاق .

١٦) انظر الدراسة القيمة للدكتور يوسف صايغ حول : الاندماج الاقتصادى وذريعة السيادة الوطنية ، المستقبل العربى – العدد ٦ مارس ١٩٧٩ ص ٣ وما بعدها .

١٧) هناك كتب كثيرة كتبت حول تجربة توحيد الجزيرة العربية – من الكتب الحديثة والجيدة – كتاب أصدره محمد المانع – سماه توحيد الجزيرة العربية – وصدر بالانجليزية ثم ترجمه ونشره بالعربية د . عبد الله صالح العثيمين – استاذ التاريخ بجامعة الرياض (١٩٨٢) ومن الجدير بالذكر أن محمد المانع – قد صاحب ابن سعود كمترجم له إبان حروبه للتوحد فجاء الكتاب صادقا وتجربة مباشرة .

١٨) من اجل تفاصيل دقيقة فى هذا الموضوع انظر : محمد الرميحى محاولات التجمع الاقتصادى والسياسى والثقافى الخليجى منشورة فى : التجارب الوحدوية العربية المعاصرة : تجربة دولة الامارات العربية المتحدة . من منشورات مركز دراسات الوحدة العربية بيروت – اكتوبر ١٩٨١ . ص ٧٤٧ وما بعدها .

١٩) تفاصيل الوثائق الرئيسية لمجلس التعاون قد اصبح فيها كتابات كثيرة ولاداعى لتكرارها انظر على سبيل المثال : التقرير السياسى لمركز الخليج للدراسات العربية – عدد ٧ فبراير ١٩٨١ وكذلك دراسة د . عبد الله النفيسى – سبق الاشارة اليها ووثائق ندوة مستجدات التعاون .

٢ ـ خطوات التنسيق والتعاون الفعلي التي ظهر للجميع انها الطريق الأسلم للحفاظ على أمن المنطقة واستقرارها .

٣ ـ ضعف الواقع العربي في السبعينات ـ بعد ان تضاءلت الفكرة العربية وفشل مؤتمر بغداد للقمة العربية العاشرة في الوصول الى وفاق مع السادات او الخروج بتصور استراتيجي موحد .

٤ ـ الثورة الايرانية وماخلفته من خلل في الخليج .

من هنا جاءت وثيقة وزراء الخارجية « الخليجيون » التي اعلنت في ٤ فبراير ١٩٨١ بالرياض والمؤكدة على عزم الدول الخليجية الموقعة عليها على انشاء مايسمى مجلس التعاون . وهكذا في اواخر مايو من ذلك العام صدق رؤساء دول مجلس التعاون على وثائق المجلس وقيامه في ابو ظبي[٢٠] .

لقد استقبل مجلس التعاون الخليجي بردود فعل متناقضة منها الاستبشار المنقطع النظير ومنها التخوف اللا منطقي .

وفي تصوري انه لاهذا ولا ذاك يخدم الأهداف الحقيقية التي يسعى اليها الانسان الخليجي اليوم . فلا النقد السلبي غير المبني على حقائق ، ولا الدعاية الفجة والسطحية يمكن أن تخدم مسيرة التعاون والاتحاد في منطقتنا ، انما الرأي الموضوعي المتوازن هو مانحتاج اليه .

في البداية لابد من الاعتراف ـ رغم كل العناصر الجوهرية المشتركة ـ التي تجمع اقطار الخليج الستة ، ان هناك اجتهادات متعددة في الاطار السياسي ، على الأقل الداخلي او من خلال العلاقة بالقوى العظمى . هذه الاختلافات لايمكن تذويبها فجأة ولابد من الصبر والمحاولة الدؤوبة . ثم ان هناك نقطة اخرى يعترف بها كل دارس للوحدات السابقة عربية او عالمية هي موضوع (السيادة) والتي قد يكون التنازل عن بعضها او حتى فهمها يتحول الى فهم يعطل المسيرة التعاونية ، يقول **يوسف صايغ** في اشارته لموضوع الوحدة : (وهو يتحدث عن الوحدة العربية هنا) :

(لايوجد طريق مختصر للاندماج والوحدة ولا بديل عن جهد شاق ، وسيكون هناك بالضرورة قبول تضحيات)[٢١] .

ان الجائزة النهائية في اندماج حقيقي لمصلحة شعب منطقة الخليج يجعلنا نقول بدفع التجربة الى اقصى امكانياتها ، وكذلك دفع الثمن المرحلي وفضح الذرائع المعطلة لاستفادة المواطنين الحقيقية من هذا التعاون ، ان القبول بالتنازل عن شيء من الامتيازات الاقليمية في سبيل الهدف الأكبر هو مايجب الدفع به اليوم .

واذا تغاضينا عن النقد الجانبي ، وغير العلمي في نظري ، وهو القول بأن هذه الوحدة مضادة للوحدة العربية ـ او للجامعة العربية او هي موالية لهذا الجانب من مركز الاستقطاب العالمي الحالي او ذاك فهذه نقاط لايمكن بالقطع تثبتها ولقد كانت هناك خطوات عملية يتضمنها بيان التأسيس ـ كالقول بتعزيز الجامعة العربية وكذلك زيارة بعض اقطاب المجلس للدول الاشتراكية وحتى موسكو يعني التوازن بين القطبين العالميين . ولكن مايعنيني هنا وضع قاعدة اساسية بدونها لايستقيم السير التعاوني والوحدوي . هذه القاعدة هي ضرورة السير تجاه اقامة مؤسسات دستورية للمشاركة في القرار السياسي والاقتصادي والاجتماعي لهذه الأقطار وان تتوفر لهذه المؤسسات الضمانات الأساسية المتعارف عليها . بهذا يمكن أن يعزز هذا العامل عوامل اخرى نراها حولنا في الخليج اليوم

سابعا : التفاعلات الداخلية في أقطار الخليج النسيج الاقتصادي / الاجتماعي الجديد

كمثال فقط ، فقد اعتمدت خطة التنمية السعودية الثانية ٧٥ / ١٩٨٠ ما قيمته ١٤٠ بليون دولار تضاعفت تقريبا الى ٣٠٠ بليون دولار للخطة الثالثة ٨١ / ١٩٨٥ .

هذه المبالغ الضخمة اذا حسبناها مع ميزانيات ضخمة اخرى في بقية اقطار الخليج يمكن ان نتعرف على مدخلات النظام الاقتصادي الاجتماعي في اقطار الخليج اليوم ، وكيف ان هذه المدخلات بالضرورة سوف تؤثر بشكل ضخم على النسيج الاجتماعي فتحدث فيه تغيرات جذرية هائلة .

لقد بدا الجيل القديم يتلاشى والجيل المخضرم يشيخ وفي المستقبل سيكون الجيل في الخليج كله هو جيل النفط والمدارس ، ولابد للواقع المتجدد من نظرة جديدة .

العسكريون

المتغيرات الداخلية هي بعد مؤثر في اطار المتغيرات الجديدة في الخليج .

واذا اخذنا عاملا واحدا من المدخلات الاقتصادية الضخمة وسبرنا غورنتائجه لبانت لنا الصورة بدقة ووضوح اكثر . فبرامج التسليح العسكري الضخمة في المملكة العربية السعودية ـ وكذلك بدرجة اقل في

---

٢٠) سبق الاشارة اليها .

٢١) يوسف صايغ ـ مصدر سبق ذكره ـ ص ٢١ .

الخليج – تحتاج بالضرورة الى نوعية خاصة من البشر لادارتها وتعلمها وهضمها – وبالتالي فان هذه البرامج لها تأثيرات على هؤلاء المشتركين فيها وعائلاتهم واقربائهم . لقد ثبت من تجارب اخرى ان التحديث العسكرى السريع فى المجتمعات النامية قد يحدث ردود فعل عكسية لما يتوخاه اولو الامر فى بادىء الامر وقد ذكر احد الدارسين الامريكان مرة للكاتب قولا لايزال يذكره قال :

(اننى افكر جديا فى اننا « الامريكان » نساهم فى الاسراع بخلخلة الامور فى الجزيرة العربية عن طريق دعمنا لنظام عسكرى حديث وموحد) .

ان فرض العقائد العسكرية الغربية على الجيوش المحلية فى العالم الثالث ثبت علميا ان لها نتائج جانبية سلبية – ان لم تحدث التنمية المتكاملة .

ان هذه العقائد كما ذكر احد التقارير : (تؤثر على المجتمع باكمله فيصبح لها دور اساسى فى عملية التخطيط الاقتصادى ، وتؤثر عليه عادة بشكل سلبى كما تعطى الحق للجيوش المحلية بالتدخل فى شئون المجتمع عند ما ترى ذلك مناسبا ، وهكذا تصبح الجيوش فى بعض الدول النامية اكثر تطورا فى المجتمع مما يجعل ارتباطها بالغرب اكثر خطورة)[22]

بالطبع فان النخبة العسكرية تصبح بشكل متزايد مركز قوة وفى الخليج الامر فقط يحتاج الى وقت لاغير ان سارت الامور كما هى عليه .

الوضع السكانى

لقد انقلب الوضع السكانى راسا على عقب فى الثلاثين سنة الماضية .

وتشير لنا الاحصاءات انه رغم العدد الضخم من تواجد العمالة الوافدة اليوم الى اقطار مجلس التعاون ، الا ان الن[illegible] اتجاهها الى التزايد لا

النقصان ففى سنة [illegible] [illegible]ت جملة تقديرات قوة العمل حسب الجنسية هى ٥٥ ٪ مواطنين و٤٥ ٪ من الوافدين

ومن المتوقع ان سارت المؤشرات الاقتصادية – كما هى – ان تنخفض نسبة المواطنين فى قوة العمل الى ٤٤ ٪ فى الوقت التى تصل فيه قوة العمل غير الوطنية ٥٦ ٪[23] .

اما النسبة العامة للسكان فقد كانت ٧٤ ٪ مواطنين فى سنة ١٩٧٥ ويقدر ان تتراجع الى ٥٦ ٪ فى سنة ١٩٨٥ . ويجب الاخذ بعين الاعتبار ان هذه الارقام هى مؤشرات متوسطة ، اى ان هناك احتمالات كبيرة ان يغطى الوافدون معظم النسبة فى بعض اقطار الخليج الصغيرة خاصة فى اطار قوة العمل .

واذا لاحظنا ان نسبة كبيرة من قوة العمل الوافدة هى من الاسيويين علينا ان نتصور الاخطار الممكنة من هذا التدفق البشرى على الخريطة الاجتماعية لاقطار مجلس التعاون .

ولاشك ان تفاقم المشكلات الاجتماعية ليست قاصرة على نسبة العمالة الوافدة ، فهناك فى معظم اقطار الخليج تنوعات عرقية ومذهبية وفى وجود معالجة اجتماعية متخلفة يمكن ان تؤدى هذه التناقضات الى وضع عدم استقرار . الا ان الملاحظة الاعمق فى هذا الاطار يجب ان تنصب على طموحات الفئات الجديدة الصاعدة فى المجتمع الجديد – كالطلاب والتجار التى تتوسع قاعدتهم وكذلك الانتلجنسيا الجديدة ، كل هذه تتشكل لها طموحات ايديولوجية متعددة ، قومية ، او سلامية ، سياسية أو اممية ، وفى اطار عدم وجود اى متنفس شرعى ومتفق عليه يمكن لبعض هذه الطموحات ان تتحول الى مشاكل مستعصية الحل او تساهم فى تعقيد الموقف ككل .

الخلاصة

ليس هناك بالطبع معادلة سهلة يمكن تطبيقها لحل المشكلات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية الناجمة من تأثير هذه المتغيرات السبعة التى اوجزناها فى السابق واذا كان الامر يحتاج الى الاستشهاد بما يفكر فيه العدو فعلينا ان نشير الى فقرة من تقرير اسرائيلي كتبه بالعبرية اوديد يينون وترجمه الى الانجليزية وعلق عليه اسرائيل شاهاك –الاستاذ بالجامعة العبرية . يقول التقريرالذى يحاول ان يضع صورا اسرائيليا شاملا للثمانينات تجاه العرب وبه فقرة خاصة تجاه الخليج :

(فى دول الخليج والمملكة العربية السعودية وليبيا هناك التراكم الاكبر للنقود والنفط فى العالم ، ولكن من يتمتع بذلك هم الصفوة المختارة محدودة العدد والتى تفتقر الى قاعدة عريضة من الدعم والتى

---

٢٢ نهى تادرس : صفقة الاواكس – مصدر سبق ذكره .

٢٣ . انظر لهذه التقديرات الجدول الثانى فى دراسة نادر الفرجانى : مشكلة القوى البشرية فى الخليج – ندوة مستجدات التعاون (الكويت ١٨ – ٢٠ ابريل)

لايستطيع اى جيش ان يضمنها)[24]

ويراهن التقرير بالطبع على التفسخ من الداخل نتيجة عوامل اجتماعية واقتصادية غير مواتية . وقد يبدو للبعض ان هذا التقرير المعادى مفرط فى التشاؤم وقد يكون كذلك ولكن الا يجوز لنا ان نتساءل جميعا عن الطرق المعقولة(لتغير محسوب Calculated Change يقدر اهمية المدخلات الجديدة فى مجتمعات الخليج ويوائم بين مخرجاتها ؟

اليس الافضل بان نبدأ بايقاد الشموع بدلا من الادعاء بان النور غامر او ان نلعن الظلام

واذا كان شاغلنا اليوم الامن ، الا ينبغى ان نحدد جانبين بالغى الاهمية حول هذا الموضوع ؟

الاول :

التحديد الدقيق لماهية العوامل الداخلية والخارجية التى تشكل او يمكن ان تشكل تهديدا لهذا الامن .

الثانى :

التحديد الدقيق لما هية الوسائل والظروف التى يمكن من خلالها وفى اطارها حماية هذا الامن وتحقيق الغايات الوطنية .

وعند الموازنة لعناصر الامن الداخلية والخارجية فقد اتضح فى تجارب شتى فى بقاع كثيرة من العالم اليوم ان الامن ينبع من الداخل - وأيا كان دور العوامل الخارجية فالعوامل الداخلية هى التى تحدد وقت وكيفية واتجاه التغيرات .

ويمكن ان نرصد مجموعة من المؤشرات الداخلية فى اقطار الخليج - ليس بالضرورى متواجدة كلها اليوم وبنفس الدرجة الا انها موجودة فى بعض الاقطار وربما تظهر عن قريب فى اقطار اخرى .... من هذه المؤشرات :

١ - ضعف او عدم وجود قنوات مؤسسة حديثة للتعبير مع تزايد فى الوعى السياسى باشكاله المختلفة .

٢ - زيادة الطلب الاقتصادى / الاجتماعى فى الوقت الذى توجد فيه مؤسسات ادارية لادارة الاستجابه لهذا الطلب ضيقة وغير فاعلة .

٣ - الانقسام الاجتماعى فى اطار التحول من القبيلة الى الدولة يتمثل بالولاء القبلى والانقسام العرقى والطائفى مما يسهل ضرب الوحدة الوطنية .

٤ - غالبا ما يكون رسم السياسات العليا نابعا من النخبة التقليدية ونادرا ما يكون نتيجة حسابات علمية دقيقة ووعى بالمتغيرات عميق . لذلك فانها كثيرا ما تبدو محط تناقض مليئة بالوعود معتمدة على تصور هذه النخبة لافضل الطرق لاستمرار أمنها .

ولكن لاشىء يبقى جامدا - فالخطوات التى تتخذ الان تسهل من عمليات التفاعل المرغوبة والصحية ، فالاستجابة التى تقوم بها اقطار مجلس التعاون - قد لاتكون سريعة وشافية لغليل كثير منا ، ولكنها بالتأكيد استجابات فى الطريق الصحيح ، مادام مجلس التعاون يصر على وعى بعده العربى ، وكذلك لايفصل بين امنه وامن الأمة العربية ، كما ان التضحية ببعض من الامتيازات القطرية تساعد فى تقريب وجهات النظر بين اعضاء مجلس التعاون الا ان سؤالا أخر مازال معلقا فى هذا المعنى هو قبول اعضاء جدد. فى هذا المجلس ! الامر الذى لم يحسم حتى الان ويتوقف حسمه على عوامل مستجدة كثيرة .

---

٢٤) نشر بالعربية فى الوطن - جريدة يومية كويتية - ١٠ اكتوبر ١٩٨٢ .



الاقتصاد العربى المعاصر

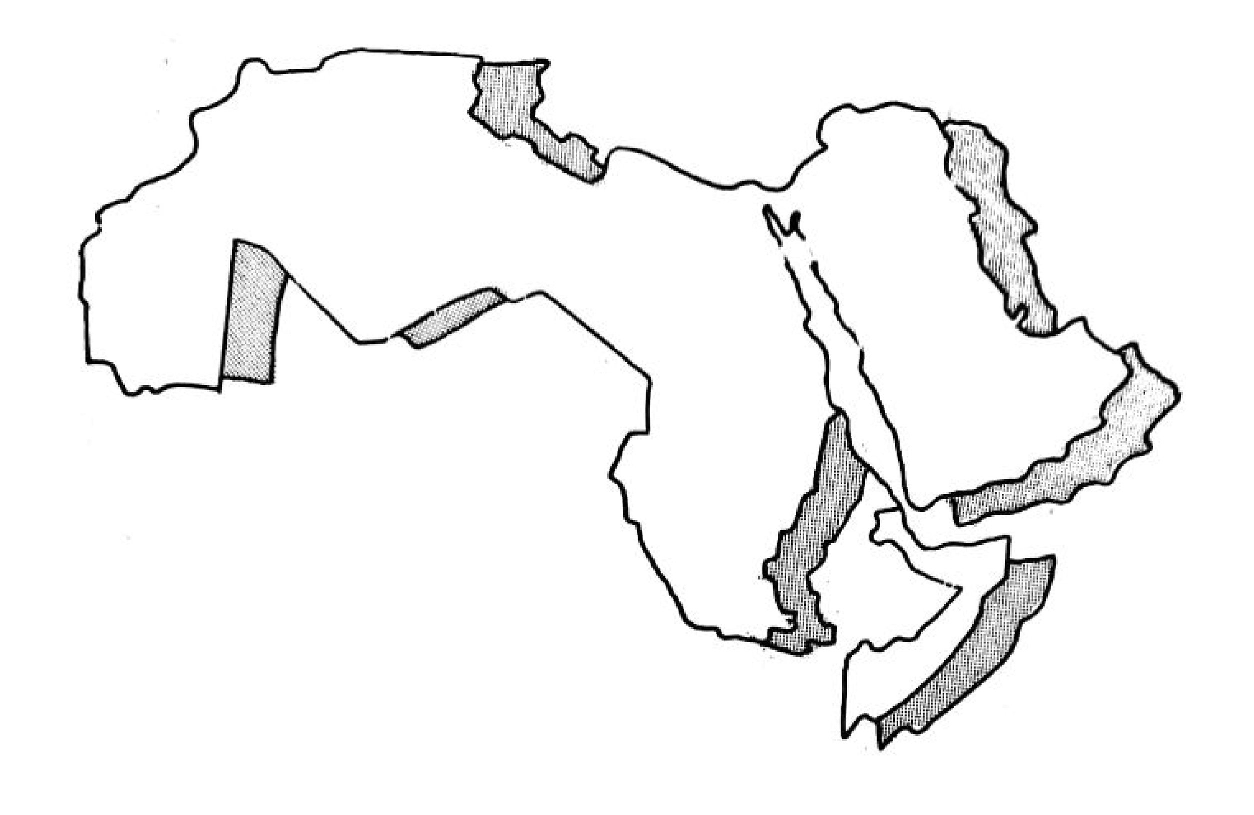
بقلم : د . سمير أمين
ترجمة : د . محمد على الدمشاوى

هذه الترجمة لمقال :

S. AMIN, L'E conomic A rabe Contemporaine

هل يمكن الحديث عن « الاقتصاد العربى » ؟ ان العالم العربى لايكون حاليا وحدة اقتصادية ولاسياسية فكل واحدة من الدول العربية مندمجة فى السوق الراسمالى الدولى كوحدة منفصلة عن الاخريات. والاسس التاريخية وكيفيات ودرجة هذا الاندماج – وهى متميزة فى كل بلد – تكون عوامل موضوعية تتعارض مع الوحدة الاقتصادية للعالم العربى . ووصول الدول العربية الى الاستقلال فى اطار الحدود الدولية – التى يمكن اعتبارها الى حد بعيد محصلة للتاريخ الحديث – قد جعل كل واحدة من هذه الدول تتطور على طريقتها الخاصة : فالقوى السياسية المنظمة فى اطار هذه الدول قد شكلت توجيهات متميزة وأحيانا مختلفة . ومن الخلافات مايحدث بين هذه الدول ذاتها حول مسائل تتصل بالحدود او حتى بالسيادة الاقليمية .

١ – ومن الصعب فى هذه الظروف الحديث عن اقتصاد عربى بالمعنى الصحيح ويستطيع المرء بالكاد أن يتحدث عن اقتصاد المنطقة العربية من العالم كمجموعة دول من العالم الثالث . والعينة مع ذلك تمثل تنوعا كبيرا فالسكان فى الدول العربية يتراوحون من اقل من ١٠٠,٠٠٠ نسمة الى قرابة ٤٠ مليونا، والدخل الفردى يتراوح من اقل من ١٠٠ دولار الى ١٥٠٠٠ دولارا، ومستوى التصنيع يتراوح من الصفر الى مستوى البلاد « شبه المصنعة » الاكثر تقدما من العالم الثالث، ومراحل تنظيم الدولة والخدمات العامة (وخاصة التعليم) – مقاسة بحجم الانفاق العام – تمتد من المستويات الاكثر ضعفا فى العالم الثالث (١٠٪ من الدخل المحلى الاجمالى) الى المستويات الاكثر ارتفاعا (٣٠٪ من الدخل المحلى الاجمالى) ، ودرجة التكامل



في التقسيم الدولي للعمل مقاسة بنصيب الصـادرات في الدخل المحلي الاجمالي تمتد من ٣ الى ٨١٪ .

ومع ذلك فنحن نختار أن نتحدث عن اقتصاد عربـي وذلك اولا لسبب سياسي : فـالخيار لصـالح الوحـدة العربية قد يكون ضرورة تاريخية، وقـد يكون امـكانية متبلورة في مستقبل قريب . وقوة اسسه التاريخية قـد تنتج الآن آثارا :

فالقوى السياسية العربية تجد نفسها مجبـرة على التوجه صوب هذا الخيار والتيارات الوحدوية تخترق كل الاقليم .

وحتى على المسـتوى الاكثـر بسـاطة الخـاص بالعلاقات الداخلية الاقتصادية، فان آثار هذا الاتجـاه الى الوحدة اصـبحت مـن الاهمية بمـكان لاشـك ان التجارة الداخلية العربية تبقى ضعيفة جدا . ولاشك ان السياسات الاقتصادية « والخطط » تتصور تنميات ـ وخاصة صناعية ـ هي بـالاحرى متنافسـة وليسـت متكاملة .

ولاشك ان « الاتحادات » (كاتحاد المغرب والسوق العربية المشتركة) هـي اعلانات للنوايا اكثـر منهـا حقائق، ولو هامشية ، وذلك عندما لاتكون منسية تماما في غمـار الصراعات الاقليمية . ولاشـك ان النظـم الضريبية مختلفة جـدا بحيث لاتسـمح بقيام تبـادلات مهمة. ولاشك أن النظم النقدية تبقى مستقلة الواحد عن الآخر رغم وجود صندوق النقـد العـربي الذي لايفعـل اكثر من مسـاندة نشـاط صـندوق النقـد الدولي في المنطقة : ورغم ذلك كله ففي مجالين أساسيين : حركة رؤوس الاموال العـامة (المـمولة بـواسطة الدول او الصناديق والبنوك القومية والاقليمية) والخاصة وكذا في مجال قوة العمل، فـان الاتجـاه نحـو التضـامن في توظيف عناصر الانتاج قد أنتج آثارا واضحة ففيما خلا

التقلبات قصيرة الأجل، فان هذا الاتجاه يتابع تقدمه بخطى ثابتة منطلقا منذ عشرين عاما ومتسارعا خلال السبعينات . هذا التطور يخلق موقفا جديدا يمكنه الاجبار على مراجعة السياسات القومية .

٢ _ في داخل التنويعة العربية يمكن تمييز اربع مجموعات من البلاد :

ا _ البلاد البترولية والتي بسبب نقص السكان او مورد اخر مهم، فان البترول يمثل الاساس لنشاط سكانها ويشكل حياتها الاقتصادية تقريبا في كافة المعاني : ليبيا _ السعودية _ الكويت _ قطر _ البحرين _ الامارات _ عمان .

ب _ البلاد نصف البترولية التي تتفاعل ثروتها البترولية مع مجتمع اكثر تعقيدا _ ربما للتعجيل بتنميته وهما الجزائر والعراق .

ج _ البلاد غير البترولية نصف الصناعية : المغرب _ تونس _ مصر _ لبنان _ سوريا .

د _ البلاد الاقل تقدما والاقل تصنيعا : موريتانيا _ السودان _ اليمن _ اليمن الديموقراطي _ الصومال _ جيبوتي . ويمكن للاردن (وفلسطين المحتلة) نظرا لوضعهما الخاص أن توضعا مع هذه المجموعة .

المجموعة « ا » تضم ١٠٪ فقط من السكان العرب ولكن يتركز فيها نصف الدخل المحلي الاجمالي (يساوي ٦٠٠٠ دولار للفرد) و٥٥٪ من صادرات المنطقة _ وعلى الرغم من أن السكان العاملين في القطاع البترولي قليلو العدد فان العائد البترولي يوجه السياسة الاقتصادية والاجتماعية ويترك بالطبع فائضا كبيرا مستثمرا في الخارج . فالبترول يمثل في الواقع قرابة نصف الدخل الاجمالي، والزراعة يمكن اهمالها في هذه المناطق الصحراوية والصناعة لاتزال في بدايتها . كذلك ، خارج قطاع البترول، فالخدمات والدولة _ التي يعتمد دخلها بشكل واسع على العائد البترولي تمثل الحركة الوحيدة للتطور .

والمجموعة ب تضم ٢٠٪ من السكان العرب ومن دخلهم المحلي الاجمالي (أي ١٠٠٠ دولار للفرد) . والصادرات تمثل ٤٥٪ من الدخل المحلي الاجمالي (المتوسط العربي هو ٦٠٪) . والزراعة الضعيفة في هذه المجموعة كما في المجموع العربي (٨٪ من الدخل المحلي الإجمالي مقابل ٩٪ متوسط عربي) لا يمكن اهمالها بالنظر الى انتاجها او الى امكاناتها . والصناعة، الحديثة نسبيا، قد تقدمت بمعدلات سريعة سمحت لها باللحاق وأحيانا بتجاوز البلاد الأقدم انطلاقا في طريق التصنيع وهي تمثل هنا ١٥٪ من الناتج المحلي الاجمالي (متوسط عربي ٧,٢٪) فالمجموعة ب تشبه إذن مايمكن أن يكون عليه عالم عربي موحد .

المجموعة ج تضم اغلبية سكان العالم العربي _ اكثر من ٥١٪ _ ولكن فقط ٢٠٪ من دخله المحلي الاجمالي (٥٠٠ دولار للفرد) . اقتصاديات هذه المجموعة من البلاد اكثر تنوعا والصناعة اكثر تقدما والزراعة تقدم ٢٣٪ من الناتج المحلي الاجمالي والصناعات ١٤٪ . ومستوى الصادرات معتدل نسبيا : ٢٠٪ من الناتج المحلي الاجمالي . ومع ذلك فاذا اخذنا في الاعتبار الوزن النسبي لهذه المجموعة من البلاد وخاصة مصر فان إنتاجها الزراعي يمثل ٥٦٪ من الانتاج الزراعي العربي الاجمالي و٤٢٪ من الانتاج الصناعي العربي الاجمالي .

والمجموعة ج تشبه كثيرا _ في الجملة _ ما كان عليه العالم العربي قبل الطفرة البترولية في السبعينات .

٣_ اذا اعتبرنا المجموعة العربية في جملتها ، فان المرء يؤخذ باتجاه واهمية حركات عوامل الانتاج . فصادرات المجموعتين ا ، ب تمثل ٩٠٪ من الحجم الكلي لصادرات العالم العربي ولكن وارداتهما تمثل فقط ٧٠٪ . وبالعكس في المجموعتين ج ، د فان الواردات تتعدى كثيرا الصادرات . ولا شك ان الفائض التجاري للمجموعة الاولى (حوالي ٥٠ مليار دولار أي ٣٠٪ من الدخل المحلي الاجمالي العربي) يتجاوز كثيرا عجز المجموعة الثانية (حوالي ٥ مليار دولار أي ٣٪ من الدخل المحلي الاجمالي العربي و٩٪ من الدخل المحلي الاجمالي للمجموعة الثانية) : فالجزء الاكبر من الفوائض العربية ليس مستثمرا في العالم العربي، والبلاد ذات العجز تتلقى المساعدة ورؤوس الاموال من بلاد أخرى . ولكن يبقى أن تيار رؤوس الاموال الذاهبة من الاوائل (وخاصة المجموعة « ا ») الى الاخيرين يقوم بوظائف سياسية واقتصادية حاسمة : فهو يخفف من حدة التناقضات المتفجرة في المجموعة « ج » .

المجموعة ج تتكون في الواقع من جملة البلاد العربية ذات الموقف الاقتصادي الواضح السوء . فاختيار نمط للتنمية مندمجا بعمق في التقسيم الدولي للعمل دون توفر وسائل هذه التنمية بسبب عدم كفاية الإنتاج القابل للتصدير أدى بهذه البلاد الى مواجهة صعوبات كبيرة في متابعة نموها . فالبعض (مصر وسوريا) قد اختار _ ربما بسبب هذه الصعوبات _ ولبعض الوقت على الاقل _ اصلاحات جذرية (الاصلاحات الزراعية والتأميمات) . والبعض الاخر _ اختار نفس الاتجاه ولكن بمعدل اكثر اعتدالا (تونس) أو حتى بطيئا بدرجة كافية حتى لايدخل في صراع مع النظم السياسية القائمة (المغرب) .

وثمة اختلاف كبير بين موقف المجموعة ج وموقف المجموعة ب (العراق والجزائر) فالمجموعة ب اخذت في تنفيذ استراتيجية للتنمية لاتختلف اساسا عن تلك التى حاولتها بلاد المجموعة ج وخاصة خلال السبعينات، ولكن المجموعة ب تملك الوسائل اللازمة لهذه الاستراتيجية بفضل صادراتها البترولية . وايضا وعلى الرغم من أن صعوبات معينة يصطدم بها الآن هذا النمط وازمات محتملة في المستقبل ليست من طبيعة مختلفة عن تلك التى قابلتها حتى الان دول المجموعة ج فان التعارض يبقى واضحا بين هذين النمطين من النمو .

اما عن المجموعة د – فانها تكون كتلة مستقرة نسبيا في فقرها . فهياكلها كانت اقل اهتزازا من خلال الانبماج في النظام الراسمالي الدولي، وبالتالي فان الاحتياجات اللازمة لضمان استمرارية الانتاج على مستواه تبدو اكثر تواضعا .

وتعكس معدلاتها للتنمية – الضعيفة جدا – هذا الموقف .

حركة قوة العمل هي على العكس تماما من حركة رؤوس الاموال اذ تنتقل من المجموعة ج الى المجموعة ا ومصر هي المصدر الرئيسى لليد العاملة . وتقدر هذه الهجرة اليوم بمليونين في اتجاه بلاد الخليج وليبيا . وتونس تقدم كذلك قوة عمل هامة الى ليبيا . وفلسطين – للاسباب السياسية التي نعرفها – وهي بلا شك ثالث مصدر لقوة العمل بالارقام المطلقة والاول بصورة نسبية – لكن أقاليم عربية اخرى كانت ولا تزال مصدرا للمهاجرين الذين يتجهون الى اوربا وليس الى العالم العربي وهذه الاقاليم هي تقليديا بلاد المغرب العربي يضاف اليها – بسبب الاحداث الاخيرة – لبنان – واخيرا فان اليمن الشمالي هو مصدر تقليدى لليد العاملة المهاجرة الى بلاد الخليج . ومن ناحية اخرى فان بلاد الخليج تستدعي مهاجرين غير عرب وخاصة الباكستانيين .

وتقوم حركة قوة العمل بوظيفة مزدوجة . فمن ناحية تخفف من المتناقضات داخل المجموعة ج وتقوى تيار رؤوس الاموال وتيار ما يرسله المهاجرون . ومن ناحية اخرى فانها تكيف بشكل واسع النمو الاقتصادي داخل بلاد المجموعة ا .

وكخاتمة لهذا التحليل يمكن استخراج هذا الواقع الاقتصادي والسياسي الحاسم : ان حركة عوامل الانتاج – ايا كانت محدودة في شكلها الكمي – توثق روابط العالم العربي وتؤدي وظيفة اساسية في اعادة انتاج متوازنة – فاذا ما تم تدريجيا وضع استراتيجية جماعية فان هذه الحركة يمكن ان تكون عنصرا قادرا في التكامل والوحدة .

٤– تقدم الدراسة الاقتصادية الاولية [1] العناصر التى تاسس عليها تحليلنا :

تم عمل هذه الدراسة ابتداء من معطيات مجمعة في ظروف لم تكن تسمح بالاستعانة بمصادر افضل ، ولكن هذه المعطيات تبدو لنا صحيحة بدرجة كافية لكى نشرح موضوعنا وتتعلق هذه المعطيات بكافة الدول الاعضاء في الجامعة العربية ما عدا الصومال وجيبوتى (والاشتمال على هذين البلدين الذى يصل عدد السكان فيهما الى ٢٨٠٠٠ نسمة والدخل المحلى الاجمالى الى ٧٥٣ مليون دولار لم يكن ليعدل النتائج الاجمالية) وتشمل هذه المعطيات مصر رغم أنها ليست عضوا حاليا في الجامعة .

هذه الدراسة توضح :

ا– الوزن الذي اكتسبته دول الخليج وخاصة العربية السعودية منذ ١٩٧٣ وكذلك وزن صادرات البترول والفوائض البترولية . فالسعودية وحدها تمثل ٢٩٪ من الناتج المحلي الإجمالي العربي .

ب– التطور المختلف للمغرب (وبدرجة أقل لتونس) وللجزائر :

انطلاقا من نقطة واحدة في بداية السبعينات . تملك الجزائر الان ناتجا محليا اجماليا يساوى ضعف الناتج المحلى الاجمالى للمغرب، وصناعة اكثر أهمية بـ ٧٥٪، واستهلاك للفرد أعلى بـ ٣٥٪، وانفاق حكومي أعلى بـ ٨٠٪ . ومن البديهي ان تكون معدلات النمو خلال الفترة ١٩٦٥ – ١٩٧٦ مختلفة جدا . نفس الخلاف يلاحظ بين العراق وسوريا فقبل خمسة عشر عاما كان متوسط الدخل الفردي لا يزال اكثر ارتفاعا في سوريا . ولكن اربع نقاط اضافية في النمو السنوى للناتج للفرد قادت الى ارتفاع الناتج المحلى الاجمالى للفرد في العراق الى مستوى أعلى بـ ٧٥٪ منه في سوريا .

ج – الوضع المتوسط لمصر حيث الناتج المحلى الاجمالى له نفس مستوى ليبيا والجزائر او العراق . ومع ذلك فان مصر تبقى اقوى منتج زراعى (٤،٥ مليار دولار مقابل ١،٩ للمغرب التى تاتى في المرتبة الثانية)

---

(١) وضعت هذه الدراسة في شكل الجداول الاربعة الاولى من الملحق الاحصائي بالطبعة الفرنسية ورأينا الاقتصار على البيانات الواردة في النص والمستقاه من هذه الجداول لمناقشتها في الاستدلال والتحليل .

وتبقى في المقدمة بالنسبة للصناعة (٢,٥ مليار دولار مقابل ٢,١ للجزائر التي تمثل المرتبة الثانية) .

د – التشتت القوي جدا لجهود الاستثمار في ارتباطه بالنمو المسجل . فالمعدلات المتوسطة لبلاد المجموعتين ا و ب تدور حول ٢٥٪ من الناتج المحلي الاجمالي مقابل ١٧٪ لبلاد المجموعتين ج ، د .

هـ – ضعف الانتاج الزراعي والمستوى المتواضع للتنمية الصناعية فباستثناء البترول يصل الانتاج العربي الى ٨٠ مليار دولار . يقدم الاقتصاد الريفي – الذي يوظف ٥٦٪ من السكان – انتاجا بـ ١٥ مليار دولار أي ١٨٪ من الاجمالي وناتج الاقتصاد الحضري ٦٥ مليار دولار (٨٢٪) يأتي بدرجة أقل من الصناعة (١١,٦ مليار أي ١٨٪ من ناتج الاقتصاد الحضري) عنه من الخدمات بمعناها الواسع . وسنرى فيما بعد أن بنية الصناعة تبقى أولية .

١١ – الاقتصاد العربي مندمج بقوة في النظام الراسمالي العالمي .

١ – يحتل العالم العربي مكانا متميزا للغاية في مجموعة العالم الثالث ويمثل المنطقة الاكثر اندماجا في النظام العالمي المعاصر .

وبالتأكيد فان هذا الواقع له جذور تاريخية بعيدة فقد عاش العالم العربي دائما على اتصال بأوربا . واذا كان يمكن القول انه حتى نهاية العصور الوسطى بقي العالمان قابلان للحضارة فيما يخص مراحل ومستويات التنمية، بل ان الامتياز كان في صالح العرب في العديد من المجالات، فان الفارق بدأ في التعمق خلال قرون المذهب التجاري أي من القرن الخامس عشر الى القرن الثامن عشر . وقد حاول العالم العربي أن يجيب مبكرا على هذا التحدي وخاصة مصر منذ بداية القرن التاسع عشر . وقد تناولنا في مكان آخر اسباب وآثار هذا التطور المتباين (انظر سمير أمين : الأمة العربية) .

وقد أصبح العالم العربي – على هذا الاساس مندمجا في النظام الراسمالي الدولي بصفة « طرف » خاضع وذلك في عهود أسبق من المناطق الاخرى من العالم الثالث باستثناء امريكا اللاتينية وجزر الكاريبي . ومن هنا يمكن أن نفهم انه اكثر اندماجا في النظام العالمي من افريقيا السوداء وآسيا الجنوبية والجنوبية الشرقية والشرقية .

بيد أن طرائق هذا الاندماج كانت مختلفة بشكل واضح . ففي شمال افريقيا هدد الاستعمار الفرنسي – الذي بدأ مبكرا في القرن التاسع عشر في الجزائر هدد المنطقة كلها بنمط من الاستعمار الاستيطاني يشير الى مرحلة قليلة التطور من التنمية الراسمالية في المركز (المتروبول) . وكان يمكن لنفس الطريقة أن تتكرر بواسطة الاستعمار الايطالي في ليبيا . وكانت مصر في ذلك الحين مندمجة بشكل واسع في التقسيم الدولي للعمل منذ عصر محمد علي، ثم في عصر خلفائه حتى قبل الاحتلال الانجليزي . وفي المقابل لم تكن بلاد الهلال الخصيب مندمجة الا بشكل ضعيف في التقسيم الدولي للعمل في العصر العثماني . اما فيما يخص بلاد الخليج فان اندماجها – المرتبط بالتوسع البترولي يرجع عملا الى صبيحة الحرب العالمية الثانية، بينما نجد أن اندماج اليمن الشمالي وعمان أحدث من ذلك . وقد درسنا الاثار ليس فقط الاقتصادية ولكن السياسية والاقتصادية لهذه الصور من الاندماج في كتاب : الأمة العربية الذي نحيل اليه القارىء .

٢ – من البديهي أن تعطى العلاقة بين الصادرات (و/أو الواردات) والدخل المحلي الاجمالي أول مؤشر لدرجة الاسهام في التقسيم الدولي للعمل . وهذا المؤشر هو اكثر ارتفاعا بكثير للعالم العربي منه لاي منطقة اخرى في العالم الثالث فالعلاقة : صادرات/ناتج محلي اجمالي تدور حول ٦٠٪ للعالم العربي مقابل ٢٣٪ لافريقيا جنوب الصحراء، و١٤٪ لا سيما الجنوبية والجنوبية الشرقية والشرقية (باستثناء الصين واليابان)، و ١٣٪ لامريكا اللاتينية وجزر الكاريبي وحتى قبل رفع أسعار البترول في ١٩٧٣/١٩٧٤ فكانت النسبة المئوية العربية تدور حول ٣٠٪. وفيما يخص العلاقة واردات /دخل محلي اجمالي فان النسبة للعالم العربي هي حوالي ٣٢٪ مقابل ٢٢٪ لافريقيا، ١٦٪ لاسيا ، ١٤٪ لامريكا اللاتينية وجزر الكاريبي وحتى قبل سنة ١٩٧٠ كانت هذه النسبة للعالم العربي هي ٢٨٪ .

وليس من شك أن ثمة بلاد – وخاصة من كبار منتجي البترول كفنزويلا أو الثروة المعدنية كالجابون أو زائير – تقترب مؤشراتها من مؤشرات العالم العربي غير أنه من المستحيل أن توجد منطقة ذات كثافة سكانية هامة (حوالي ١٥٠ مليون لها نفس السمات لاندماج قوي على هذا النحو .

٣ – ان الاهمية النسبية الاستثنائية التي تحتلها الواردات بالنسبة لاحجام الانتاج الزراعي والصناعي والاستثمار تترجم درجة عالية من الاختراق المتبادل بين الاقتصاد العربي والعالم المتقدم سواء على مستوى بنية نموذج الاستهلاك أو على مستوى تنظيم العملية الانتاجية .

ففي الواقع – وباستثناء الانتاج من البترول فان الانتاج الزراعي العربي يمثل ١٨٪ من ناتج المنطقة مقابل ٣٢٪ لافريقيا و٤٠٪لاسيا و١٣٪ لامريكا اللاتينية . ونفس النسب الخاصة بالصناعة هي على التوالي ١٥٪ للعالم العربي ١١٪ لافريقيا، و١٥٪لاسيا و٢٤٪ لامريكا اللاتينية. أما عن حجم الاستثمار

الاجمالى فانه يمثل ٣٦٪ من ناتج المنطقـة العـربية ، باستثناء البترول مقابل ١٧٪ لافـريقيا وآسـيا و٢٠٪ لامريكا اللاتينية .

فاذا اسسنا علاقة بين حجـم الواردات مـن ناحية واجمالى الانتاج الزراعى والصـناعى وتـكوين راس المال من ناحية اخرى فسنجد ان نسبة اسهام الواردات فى الاستهلاك وفى الانتاج اكبر بكثير فى العالم العـربى منها فى اى منطقة اخرى وهذا مـا يوضـحه الجـدول التالى (الصفحة الثانية) .

ويمكن ايجاز معنى هذا الجدول على النحو التالى : ان اسهام الواردات فى الاستهلاك وفى الاسـتثمار فى العالم العربى يبلغ ضعف اسهامها فى افـريقيا وثـلاثة اضعاف فى امريكا اللاتينية وجـزر الكاريبـى و ٣,٣ فى آسيا الجنوبية والشرقية وبعبارة اخرى فأن الاقتصـاد العربى هو اكثر اتجاها للخارج – وبالتالى اكثر تبعية من اى اقتصاد آخر فى بقية العالم الثالث .

وسـوف يسـمح لنا الفحص الاكثـر دقـة لبنية الاستهلاك وللمبـادلات الصـناعية الداخلية وللواردات بتعميق هذه النتيجة .

٣ – هياكل الاستهلاك والنظام الانتاجى :

١ – تسمح الدراسة الاحصائية المتـأنية [٢] بـالتحليل العميق لهياكل النظام الانتـاجى العـربى وكذا لهياكل استهلاكه .

ومن ثم فقد اخترنا ان نجرى دراسة كاملة للعلاقات الصناعية الداخلية لاجمالى الوطن العربى وقد اخذنا فى الاعتبار احد عشر فرعا للنشاط

١ – الزراعة . ٢ – المناجم والطاقة والبترول .
٣ – الصناعات الزراعية والغذائية .
٤ – صناعات اخرى خفيفة (منسـوجات – جلود – اخشاب) ٥ – صناعات كيماوية
٦ – مواد بناء ٧ – صناعات معدنية وميكانيكية .
٨ – مواد بناء واشغال عامة . ٩ – نقل ومواصلات .
١٠ – تجارة ١١ – خدمات مختلفة .

١٢ – وقمنا بتحليل هيكل الواردات وعلى اسـاس التصنيفات الشائعة للتجارة الخارجية ومـع الاتجـاه الى بضعة فروض بسيطة بتقسيم الواردات بين الفروع السابقة . وقد حللنا بنفس الطـريقة هيكل الصـادرات الذى يسيطر عليه البتـرول والمنتجـات البتـرولية ثـم درسنا الخطوط الرئيسية للطلب النهائى حيث وجدنا :

١ – إن الطلب المنصرف الى التـكوين الراسـمالى الاجمالى الثابت ينقسم حسب نسب تكاد تكون ثابتة الى قسمين : اولا المعدات (آلات ومعـدات نقـل) التـى يقدمها الفرع ٧ من ناحية وثـانيا البناء والاشـغال التى يقدمها الفرع ٨ من ناحية اخـرى . وقـد امـكن التأكد من خلال فحص سلسلة من الحسابات القـومية لسنوات مختلفة ان المتوسطات المدونة تشير الى تشتت خفيف للنسب حول هذه المتـوسطات . وقـد اهملنا هنا التقلبات فى المخزون .

ب – يتحدد هيكل النفقات الادارية بنسبة تقريبية ثابتة نسبيا بين الاجور المصروفـة للادارة ٤٧ ٪ مـن ناحية والانفاق على السلع والخدمات للقطاعات من ١ الى ١١ طبقا للنسب المتـوسطة المسـتخرجة مـن الحسـابات القومية للبلاد العربية الرئيسية ، مـن ناحية اخـرى . وقد حذفنا هنا – بهدف التبسيط – نفقـات الاسـلحة المستوردة حيث تفتقـد الاحصـائيات الرسـمية ويتم التمويل دائما من خلال اتفاقات خاصة . وبهذا الحذف فان النفقات الادارية تغطى جملة تدخل الدولة : خدمات اقتصادية عمومية ، خدمات عامـة (تعليم ، صـحة) وخدمات ادارية (الادارة العامة) البوليس ، العـدالة والنفقات الجارية للقوات المسلحة كمرتبات العسكريين وصيانة الثكنات الخ ، وبطبيعة الحال فان تدخل الدولة فى النشـاط فى الانتـاج (اعانات واسـتثمارات الخ) تستبعد من هذا التحليل .

ج – الخط الخاص بانفاق الاسر امكن الحصـول عليه عن طـريقين : الفـرق بين الموارد والاسـتخدامات فى جـدول العـلاقات الداخلية بين الفـروع مـن ناحية واستقراء النسب المتوسطة للحسابات القـومية للبـلاد العربية الرئيسية من ناحية اخرى .

وسنختبر فيما بعد الطرق المتبعة لتقسيم هذا الخط الى قسميه :

الاستهلاك الخاص باعادة انتاج قوة العمل والاستهلاك الزائد .

أما الجزء الخاص بالمعاملات الفنية فقد تم انجازه على مراحل :

فى المرحلة الاولى اخذنا فى الاعتبـار تسـعة فـروع صناعية وتم تجميعها فى خمسة فروع .

وقد اخذنا فى الاعتبار اولا مـا يلزم كل واحـد مـن الاحد عشر فـرعا (زراعة – بتـرول – صـناعات – خدمات) من مـواد اولية ونصـف مصـنوعة مقـدمة بواسطة الفروع من ١ الى ٧ وبعبارة اخرى فقد اضفنا نفقات صيانة المبانى المخصصـة للانتـاج فى الاربـاح الاجمالية (جزء مـن القيمـة المعفـاة) المدخـرات

---

(٢) هذه الدراسة تضمنتها الجداول من ٥ الى ١١ فى الملحق الاحصائى للأصل ورأينا الاكتفاء ببيانات النص .

	ناتج زراعى / ناتج محلى اجمالى	ناتج صناعى / ناتج محلى اجمالى	تكوين مالى اجمالى ثابت / ناتج محلى	واردات / ناتج محلى اجمالى	٤ / ٥	رقم قياسى ٦
العالم العربى (ماعداالبترول)	١٨	١٥	٣٦	٦٩	٥١	٧٤	١٠٠
افريقيا السوداء	٣٢	١١	١٧	٦٠	٢٢	٣٧	٥٠
اسيا الجنوبية وجنوب شرق اسيا ماعدا الصين واليابان	٤٠	١٥	١٧	٧٢	١٦	٢٢	٣٠
أمريكا اللاتينية وجزر الكاريبى	١٣	~~٢٤~~	~~٢٠~~	~~٥٧~~	~~١٤~~	~~٢٥~~	~~٣٤~~

والمخصصة لتمويل الاستثمارات الاجمالية . وذا ا باستثناء مبانى التجارة (الفرع ١٠) والمبانى المخصصة للخدمات المتنوعة (الفرع ١١) وقد استبعدنا ايضا مدخلات الخدمات وهوامش النقل والتجارة .

وفى هذه الظروف امكن الحصول على المعاملات الفنية التى تشير الى الاستهلاك الانتاجى للمدخلات الآتية من الفروع من ١ الى ٧ والداخلة فى الفروع من ١ الى ٩ والمدخلات الآتية من الفروع من ١ الى ٨ والداخلة فى الفروع من ١٠ الى ١١ وهذه المعاملات امكن الحصول عليها من الجداول المفصلة للمدخلات والخدمات المتاحة للبلاد العربيةالرئيسية . وقد اعتنينا بان نستخرج من هذه الجداول المعاملات الخاصة بعض الفروع التحتية (الحديد وكيمياء الاسمدة الفوسفاتية على سبيل المثال) ثم وبتجميع كل فرع اعتنينا بترجيع هذه المعاملات المختلفة اخذين فى الاعتبار تركيب كل فرع على المستوى العربى .

ثم اخذنا فى الاعتبار بعد ذلك هوامش النقل والتجارة والخدمات ومن جمع الحسابات القومية للبلاد العربية الرئيسية يخرج الحجم الاجمالى لهذه الهوامش لاضافته الى مبلغ « الانتاج المحلى + الواردات » وقد اوضح فحص الحسابات ان النسب الخاصة بهوامش القطاعات من ٣ الى ٧ كانت ضعيفة التشتت حول المتوسط ٢٠ ٪ بينما كانت هذه النسبة اضعف بالنسبة للزراعة (١٣ ٪ مع الاخذ فى الاعتبار الاستهلاك الفلاحى) وللفرع ٢ (كهرباء مناجم بترول ٣,٧ ٪) وتتراوح نسب الهوامش للوردات فى المتوسط حول ١٥ ٪ للمنتجات الغذائية ، ١٢ ٪ للمعدات ، ٢٥ ٪ للمنتجات الوسيطة و ٤٠ ٪ للمنتجات الصناعية الاستهلاكية . وتضيف هذه الهوامش بين كل واحدة من مكوناتها (تجارة – نقل – خدمات) عمل بطريقة تسمح بايجاد (عن طريق الجمع) منتجات كل فرع من هذه الفروع الثلاثة كما تم استخراجها من الحسابات القومية المعتمدة للبلاد الرئيسية .

٢ – ان المستوى الاستثنائى الارتفاع لأندماج الاقتصاد العربى فى النظام العالمى للتقسيم الدولى للعمل تنعكس فى هيكل المعادلات الدولية للعالم العربى . ان نسبة الواردات فى الاستهلاك النهائى للاسر للمنتجات من ١ الى ٧ مرتفعة جدا كما يوضحه الجدول التالى .

وبالتاكيد فان نسب الواردات تظهر اعلى قليلا من قيمتها بسبب ان جزءا من هذه المنتجات المستوردة يستهلك بواسطة الادارات . هذا الاستهلاك يصل الى ٩ مليار دولار للمنتجات من ١ الى ٧ فاذا كان نصف هذه الاستهلاكات مستوردا فان النسبة الاجمالية للواردات فى الاستهلاك الاسرى ستهبط من ٤٦ ٪ الى ٣٦ ٪ . وتدعو هذه الحسابات الى نتيجتين قابلتين قليلا للنقاش :

ا – ان النسبة التى تمثلها الواردات فى الاستهلاك الغذائى الاجمالى هى نسبة هائلة : ٣٣ ٪ لا يصل اليها اى اقليم هام فى العالم الثالث (حيث متوسط هذه النسبة اقل من ١٠ ٪ باستثناء الصين) . ولا شك ان هذا الاستهلاك المستورد يتضمن نسبة عالية القيمة من المنتجات الترفية . ويبقى ان اغلب هذه الواردات حيوية وهى فى نفس الوقت نتيجة مباشرة لقصور الانتاج الزراعى .

ب – ان النسبة التى تمثلها الواردات من المنتجات الإستهلاكية غير الغذائية – باستثناء استهلاك الادارات – تصل الى ٥٠ ٪ من استهلاك الاسر لهذه المنتجات . وهنا ايضا تتحتم المقارنة مع المناطق الاخرى من العالم الثالث .

– فهذه العلاقة اقل اهمية بالنسبة لامريكا اللاتينية (٣٣ ٪) وتهبط اكثر من ذلك بالنسبة للبرازيل والمكسيك والارجنتين . وهذا يعنى ان عملية التصنيع بالاحلال محل الواردات اقل تقدما فى العالم العربى عنها فى امريكا اللاتينية ولعل السبب فى ذلك هو صغر حجم كل واحدة من الدول العربية او لعله يرجع الى ارتفاع نسبة المنتجات الترفيه المرتبط بهيكل توزيع

	بالمليار دولار امريكى	بسعر السوق بالمليار دولار امريكى	
		٩,٨	٣٣
منتجات زراعية وغذائية (الفروع ٣,١)	٢٩,١	١٠,١	٧٤
منتجات صناعية (فروع ٢ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧)	١٣,٧	١٩,٩	٤٦
اجمالى	٤٢,٨		

الدخول والمستوى المرتفع للاستهلاك الفنى فى بلاد الخليج

ـ هذه العلاقة نفسها اكثر اهمية بالنسبة لجملة افريقيا السوداء وآسيا الجنوبية والجنوبية الشرقية والشرقية (٦٠ ٪) لان عملية التصنيع بالاحلال محل الواردات هى هنا بصفة عامة اقل تقدما . ومع ذلك فان نصيب الاستهلاك من المنتجات الصناعية فى الاستهلاك الاجمالى للاسر اضعف فى افريقيا وآسيا عنه فى العالم العربى (٢٠ ٪ مقابل ٣٢ ٪ للعالم العربى) وتعود اسباب ذلك بلا شك اولا الى ان مستوى التمدن (العيش فى المدن) اقل تقدما فى البلاد الافريقية والآسيوية غير العربية وثانيا الى ان المستوى المتوسط للاستهلاك اضعف واخيرا الى ان هيكل توزيع الدخول اقل تفاوتا .

فوزن الواردات من المنتجات الصناعية الاستهلاكية اخف نسبيا على الاقتصاد القومى (مقاسا الى الدخل المحلى الاجمالى او الى القدرة على الاستيراد) فى البلاد الافريقية والآسيوية غير العربية عنه فى العالم العربى .

وكخاتمة يمكن القول ان نموذج الاستهلاك الغربى يدفع المجتمع العربى اكثر من البلاد الافريقية والآسيوية الاخرى . هذا الامر مضافا الى ضعف الانتاج الغذائى العربى يجعل اندماج المنطقة العربية فى النظام العالمى اقوى درجة من باقى مناطق العالم الثالث .

وتلعب الواردات ايضا دورا حاسما فى النظام الانتاجى العربى فهى فى الواقع تمده بـ ٥٥ ٪ من احتياجاته من المواد الخام ونصف المصنوعة والمعدات (كما يوضحه الجدول التالى)

	مليار دولار امريكى
ا ـ الاستهلاك الوسيط للمدخلات للفروع	
من١ الى ٧ بواسطة الفروع من ١ الى ١١	٥,٦٢
ب ـ التكوين الراسمالى الثابت الاجمالى (٧)	١٧
اجمالى	٧٩,٥
الواردات بسعر السوق	
سلع وسيطة من ١ الى ٧	٢٦,٨ (٤٣٪ من ا)
معدات ٧	١٧ (١٠٠٪ من ب)
اجمالى	٤٢,٨ (٥٥٪ من ا + ب)

ويرجع السبب فى هذه التبعية الشديدة للخارج الى ضعف نموذج التصنيع العربى حيث تسيطر الصناعات الخفيفة (٦٠٪ من الناتج الهناعى) . والصناعات الاساسية الحديثة تتجه فى الغالب الى التصدير وليس لسد حاجات انتاجية داخلية وهذا هو الحال مثلا فى صناعة الاسمدة الكيماوية والهناعات البتروكيماوية والالمونيوم وقدمنا ثمة مشروعات التنمية فى العقد الاخير ـ سيما فى بلاد الخليج ـ هذا التوجه الخارجى للتصنيع المؤسس على الموارد الطبيعية وخاصة الطاقة . وفى هذه الظروف لن يندهش المرء من نتيجة المقارنة مع بقية مناطق العالم الثالث : فمن ناحية فان نسبة المعدات المستوردة التى هى ١٠٠٪ للعالم العربى تصل اى حوالى ٩٠٪ فى اسيا (مع استثناء جزئى هو الهند) والى ١٠٠٪ فى افريقيا غير العربية والى ٨٠٪ فى امريكا اللاتينية (حيث قد بدأ انتاج المعدات كما هو الحال فى الهند) ومن ناحية اخرى فان نسبة المدخلات المستوردة التى هى ٤٣٪ للعالم العربى ترتفع الى ٦٦٪ لافريقيا (القليلة التصنيع) ولكنها تهبط الى ٣٥٪ لاسيا و ٢٥٪ لامريكا اللاتينية . فالصناعات الاسيوية والامريكية اللاتينية هى اذن اقل اتجاها للخارج واكثر ترابطا من صناعات العالم العربى .

ويعتبر الفائض التجارى الاجمالى (صادرات ٩٦,٩ ٪ مليار دولار مطروحا منها واردات ٥١,٢ مليار دولار) استثنائيا فى ارتفاعه حيث انه يمثل ٢٨ ٪ من الناتج الاجمالى العربى وهو لا شك خاص بالتجارة فى السلع مع استبعاد الخدمات (الفروع من ١ الى ٧) . ولا يبقى اقل من القول ان هذا الفائض ـ الذى يجعل من المنطقة العربية قطعة اساسية فى توازن النظام النقدى الدولى حيث ان هذا الفائض الذى يعاد تدويره يعوض عجز الآخرين ـ يشهد بدرجة من التكامل فى النظام الدولى ليس لها اى نظير فى اية منطقة من العالم الثالث .

٤ ـ توزيع الدخل وهيكل الاستهلاك :

سنتخذ الأن خطوة اضافية بتحليل هيكل الاستهلاك فى علاقته مع توزيع الدخول .

١ ـ توجد بعض الدراسات الخاصة باستهلاك الاسر والتى تسمح لنا بتكوين فكرة اولى عن توزيع الدخول فى البلاد العربية الرئيسية وتمثل منتجات جين التى يمكن رسمها على اساس هذه الدراسات تشابها قويا فهى تمر جميعا بالقرب من النقطة (١) وهى تعنى ان استهلاك نصف السكان لا يتجاوز ربع الاستهلاك الاجمالى . (انظر الشكل بالصفحة المقابلة)

ويجب ملاحظة وجود نقطة المرور الاجبارية هذه وخاصة على ضوء حقيقة ان سكان الريف يصلون الى نصف السكان فى البلاد غير الصحراوية وتواضع الوزن الديموجرافى للبلاد الاستثنائية (البلاد الصحراوية ولبنان والاردن الاكثر تمدينا وموريتانيا والسودان واليمن الاكثر ريفية) . ومن ثم فانه بلا استثناء تقريبا يصل الاستهلاك المتوسط للفرد فى الريف ثلث نظيره فى المدن ومن المؤكد ان المجتمع الريفى ليس به مساواة ولكن يمكن الظن ان الملاك العقاريين الاكثر ثراء متغيبون وانه فى جمهرة الفلاحين العاملين تسود نسبة الفقراء (الذين هم بلا ارض وصغار الملاك والعمال والمستأجرين او المزارعين) . ولا شك ايضا ان سكان المدن متفاوتين جدا واكثر تفاوتا حتى من سكان الريف . ولكن جمهرة ذوى الامتيازات ـ بما فيها الفئات المتوسطة ـ تسكن المدينة .

وبدراسة منحنيات جينى لتوزيع الدخول فى المنطقة العربية نجد ان الاصلاحات والتنمية قد نجحت فى الحد من اللامساواة فيما يخص الفئات العليا ولكنها غيرت قليلا فى النسب الاجمالية بين هذه الفئات والفئات الاكثر فقرا

٢ ـ لقد قسمنا الاستهلاك الاسرى الى قسمين : الاستهلاك اللازم لاعادة تكوين قيمة قوة العمل والاستهلاك الاضافى .

ولعمل هذا افترضنا ان الاستهلاك الفردى للنصف الافقر من المجتمع يمثل الحد الادنى من الاستهلاك اللازم لاعادة انتاج قوة العمل . هذا الاستهلاك الذى يصل الى ١٧٠ دولار للفرد والى ٦٤٥ دولار للعامل يوزع على البنود المختلفة بالتناسب مع المعطيات الخاصة بالفئة القريبة من هذا الدخل فى استقصا ، الاستهلاك وبالطرح يمكن الحصول على الاستهلاك الاضافى . وحاصل جمع الاستهلاك الضرورى والاستهلاك الاضافى يعطى الاستهلاك الجماعى للاسر الذى يدور حول المتوسط ٣٧٠ دولار للفرد و ١٤٠٠ دولار للعامل .

هذا التجزؤ ـ ايا كانت قلة دقته ـ يمثل اداة هامة لن يود اقتراح سياسة للتنمية يكون هدفها الحقيقى اشباع حاجات الجماهير وليس مثلا تعظيم الاستهلاك الكلى بما فيه الاستهلاك الاضافى وهو ما يعنى تعظيم النمو فى اطار الهياكل الحالية . وسوف يساعدنا ايضا فى تحليل الاستخدام الذى يقوم به النظام العربى لقوة العمل من اجل اشباع الحاجات المختلفة للمجتمع .

٥ ـ استخدام قوة العمل العربية :

١ ـ فى دراسة احصائية تالية [٣] عددنا توزيع الوظائف لمستويات مختلفة من المهارة على الاحدى عشر فرعا المذكورة .

وقد تحققنا ان القيمة المضافة للعامل فى الزراعة هى ٤٠٠ دولار وفى الانشطة غير الزراعية ما عدا البترول هى ٤٠٠٠ دولار .

وقد قمنا بتوزيع العمالة مقسم على ثلاثة مستويات للمهارة تشير الى مستوى التعليم (اميون وتعليم ابتدائى ـ ثانوى وفنى ـ عالى) . ووجدنا ان النسب الاجمالية لهذه السنوات على التوالى هى ٨٧ ٪ و ٨,٣ ٪ و ٤,٨ ٪ .

٢ ـ وقد رغبنا بعد ذلك فى حساب المحتوى المباشر وغير المباشر للعمل المطلوب لاشباع حاجات المجتمع فى كل مستوى من مستويات المهارة .

ومن اجل هذا قمنا بتعريف ثلاث مجموعات من الحاجات الاجتماعية .

ـ ط ١ هى الاستهلاك اللازم لاعادة انتاج قوة العمل (٢٤,٤ مليار دولار) .

ـ ط ٢ هى الاستهلاك الاضافى (٢٤,٥ مليار دولار) .

ـ ط ٣ هى الاحتياجات غير المباشرة (١٠٦,٣ مليار دولار) .

وهى تنقسم الى استهلاك ادارى وتكوين راسمالى ثابت اجمالى والصادرات الصافية .

وخلال سلسلة من الحسابات امكننا الحصول على الجدول التالى : (حيث ط ١ تمثل الاستهلاك الضرورى و ط ٢ تمثل الاستهلاك الاضافى وط ٣ تمثل الاستهلاك الغير مباشر وحيث م١ تمثل مهارة منخفضة (اميون وتعليم ابتدائى) وم٢ تمثل مهارة متوسطة

(٣) متضمنة فى الجداول ١٢ ، ١٣ ، ١٤ فى الاصل .

(ثانوى وفنى) وم ٣ تمثل مهارة مرتفعة (تعليم عالى))

توزيع العمل المجسم فى الطلب النهائى
طبقا لمستويات المهارة (٪)

	ط ١	ط ٢	ط ٣	ط
م ١	٤٣,٥	٣٩,٩	١٦,٦	١٠٠
م ٢	٢٦,٥	٢٩,٨	٤٣,٧	١٠٠
م ٣	٢٤,٨	٢٦,٩	٤٨,٣	١٠٠
م	٤١,٤	٣٧,٧	٢٠,٩	١٠٠

٣ ـ تسمح نتائج هذا الحساب بقياس آثار الاختلال فى استخدام قوة العمل التى تترتب على طرائق اندماج الاقتصاد العربى فى النظام العالمى .

فيما يتعلق باستخدام اجمالى قوة العمل فان المقارنة بين النظام العربى وانظمة الدول المتقدمة مفيدة . ويمثل الجدول التالى والمؤسس على معلومات خاصة بفرنسا سنة ١٩٧١ عينة طيبة للعالم المتقدم .(انظر)الجدول التالى

مقارنة بين استخدام قوة العمل
بين العالم العربى وفرنسا (٪)

	العالم العربى	فرنسا
	١٩٧٦	١٩٧١
استخدام قوة العمل لاشباع		
ط ١ (استهلاك)	٤١,٤	٤٩,٨
ط ٢ (استهلاك اضافى)	٣٧,٧	٩,٦
ط ٣ (طلب غير مباشر)	٢٠,٩	٤٠,٦
اجمالى	١٠٠	١٠٠

فنلاحظ ان الجهاز الانتاجى للبلاد المتقدمة مو . خصوصا الى اشباع مستلزمات المادة انتاج قوة العمل وثانويا فقط الى اشباع مستلزمات الاستهلاك الاضافى . ومن ناحية اخرى فان تدخل الدولة والتراكم اكبر فى هذه البلاد عنه فى العالم العربى (٤١ ٪ ضد ٢١ ٪ على التوالى) وهو يؤمن نظاما ٪ اكثر محاباة لـ ط ١

حيث

ط
―――――
ط ١ + ط ٢

= ٨٤ ٪ لفرنسا و ٥٢ ٪ للعالم العربى .

وعلى العكس من ذلك يبدو النظام العربى اكثر توجها لاشباع الاستهلاك الاضافى .

وتستدعى النسبة الاضعف للعمل المكرسة للطلب غير المباشر بعض التعليقات . فقوة العمل المخصصة للتراكم هى بداهة استخدام غير مباشر مكرس لاعادة انتاج النظام الاجتماعى وهكذا يمكن القول ان سياسة التراكم تهدف الى تنمية داخل النظام وليس الى اقامة مجتمع جديد مختلف كيفيا عن المجتمع القديم . لا شك ان خطب التنمية تزعم العكس ولكن يستطيع المرء ان يضع ذلك موضع الشك .

ونفس الشىء يمكن قوله بالنسبة لقوة العمل المخصصة للدولة (الموظفون والعاملون بالاضافة الى الاستهلاك الجارى للدولة من السلع والخدمات) فانها تهدف الى السماح باعادة انتاج النظام الاجتماعى والى التنمية داخل النظام .

ولكن ما هى قوة العمل المخصصة للانتاج الموجه للتصدير ؟

فى حالة توازن قيمة الصادرات والواردات يمكن القول ان العمل المجسم فى الصادرات يخدم فى دفع الواردات . ومن ثم يمكن مقارنة كمية العمل المجسمة فى صادراتنا بتلك المجسمة فى انتاج الاجنبى الذى نستورد منه ونقيس بذلك درجة التكافؤ (او اللا تكافؤ) فى مبادلتنا فاذا كانت قيمة الصادرات اكبر (او اقل) من قيمة الصادرات فيمكن انقاصها (او زيادتها) بالتناسب لتحقيق التعادل الذى يسمح بالمقارنة ولكن يمكن اعتبار فائض التجارة (وهى حالة العالم العربى) كاستثمار خارجى يعد بدوره عنصرا فى اعادة انتاج النظام . وهذا ما اخترنا بالفعل ان نعمله .

ومن البديهى ان صادرات البترول ـ فى الحالة العربية لا تتضمن سوى كمية ضئيلة جدا من العمل الاجمالى (مباشر وغير مباشر) ومن ثم فان هذه الصادرات تسمح بواردات (وبفائض بالطبع) تتضمن كمية من العمل اهم بكثير . ولعل هذه هى « الميزة النسبية » التى تثار لتبرير المشاركة فى التقسيم الدولى للعمل . وستصل المقارنة بين كميات العمل المتبادلة على هذا النحو الى حد الايحاء بوجود « تبادل لا متكافىء » لصالح العالم العربى وهو لا شك استنتاج متسرع حيث انه يخص موردا غير قابل للتجدد وان الريع البترولى يجب ان يغطى نفاد هذا المورد . ولعل تكوين الخط ط ٣ على النحو بالتجديد(الجمع الجبرى للاستهلاك الادارى + التراكم + الصادرات ـ الواردات) هو الذى يجعل نسبة العمل المجسم لاشباع الطلب ط ٣ اقل فى العالم العربى عنها فى الغرب المتقدم .

فاذا ما افترضنا ان الخط ط ٣ يمكن اختصاره الى عنصرى الدولة والتراكم فقط دون الاخذ فى الاعتبار التجارة الخارجية فيمكن الحصول على التوزيع التالى للعمل المجسم .

توزيع العمل المجسم (٪)

	العالم العربي ط٣ كامل	العالم العربي ط٣ مختصر	البلاد المتقدمة
ط١	٢١,٤	٣٤	٤٩,٨
ط٢	٣٧,٧	٣١,٤	٩,٦
ط٣	٢٠,٩	٣٤,٦	٢٠,٦
ط	١٠٠	١٠٠	١٠٠

فى اطار هذا الافتراض (ط٣ عنصرين فقط) فمن الممكن ان يتقارب توزيع العمل فى العالم العربى مع البلاد المتقدمة مع بقاء الاختلال فى التقسيم ط١/ط٢ بلا تغير .

ومن البديهى ان يسمح التبادل الخارجى للعالم العربى بالاقتصاد فى استخدام قوة العمل بمقدار ١١٥٢٤ الف عامل (قوة العمل اللازمة فى الفرض ط ٣ كامل اى شاملا التجارة الخارجية هى ٥٣٤٠٠ الف عامل وفى الفرض ط ٣ مختصر اى بدون تبادل خارجى هى ٦٤٩٢٤ الف عامل) . ولكن هذا الرقم ليس له الا معنى محدودا . فالعمل الداخل (او المجسم) فى الواردات والمذكور فى الفرض ط ٣ كامل ليس هو العمل الاجنبى المجسم فعلا فى هذه الواردات ولكن العمل المحلى (العربى) الذى كان يمكن ان يكون مخصصا لاشباع هذا الطلب اذا ما الغيت الواردات وأحلت بالانتاج المحلى . ويمكن الافتراض أن كل فرع يمكن ان ينتج سلسلة متكاملة من منتجات احلال الواردات . وهذا الافتراض مقبول اذا قارنا بين كتلتين متقدمتين يغطى انتاجهما عمليا كافة الاحتياجات باستثناء بعض المواد الاولية (كأوربا والولايات المتحدة مثلا) ولكن ليست هذه هى الحالة عندما نقارن العالم العربى ، ببقية العالم اذ يمكن القول فقط أن صادرات البترول تسمح باستيراد العديد من المنتجات الشبيهة أو غير الشبيهة بما ينتج فى العالم العربى والتى تكلف أو ستكلف كمية هائلة من العمل ويمكن أن نلاحظ ايضا - وان كان هذا اقل بداهة - أن « الاقتصاد فى العمل » الذى يبيح اسهام العالم العربى فى التقسيم الدولى للعمل ، أيا كان حجمه الصحيح » يخصص لاشباع الاستهلاك الاضافى ط ٢ وليس الاستهلاك الضرورى ط ١ .

ومن ناحية أخرى فالنظام العربى - مقارنا بنظام العالم المتقدم - يمثل تلك السمة الخاصة لاختلال مستمر فى استخدام قوة العمل الماهر لصالح الاستهلاك الاضافى والطلب المباشر حيث نلاحظ بالنسبة للعالم العربى :

أن الطلب ط ١ (اعادة انتاج قوة العمل) يمتص ٤١,٤٪ من العمل الاجمالى ولكن ٣٦,٥٪ من العمل المتوسط المهارة و٢٤,٨٪ من العمل المرتفع المهارة .

- ان الطلب ط ٢ (الاستهلاك الاضافى) يمتص ٣٧,٧٪ من العمل الاجمالى ولكن ٣٩,٨٪ من العمل المتوسط المهارة ٣٦,٩٪ من العمل المرتفع المهارة .

- ان الطلب ط٣ (غير المباشر) يمتص ٢٠,٩٪ من العمل الاجمالية ولكن ٤٣,٧٪ من العمل المتوسط المهارة و٤٨,٣٪ من العمل المرتفع المهارة .

وبالمقارنة فان العمل الماهر موزع بشكل اقل لامساواة فى فرنسا عنه فى العالم العربى حيث نلاحظ اجمالا بالنسبة لفرنسا أن اعادة انتاج قوة العمل تمتص ٤٩,٨٪ من العمل الاجمالى ولكن ٤٥٪ من العمل متوسط المهارة و٤٦٪ من العمل المرتفع المهارة . فالعمل الماهر يعتبر كعنصر نادر يؤدى قصوره الى نقاط اختناق تعرقل النمو ومع ذلك فان هذا العنصر النادر على وجه الخصوص يستخدم بشكل ردىء : القليل منه جدا لاشباع حاجات الجماهير والكثير لاشباع حاجات المتميزين بشكل مباشر او غير مباشر .

هذه النتيجة تستدعى تعليقا : ما معنى أن نحسب بهذا الشكل « متوسطا عربيا » على أساس جدول العلاقات الصناعية الداخلية الاجمالية الذى هو حاصل جمع عشرين جدولا خاصة بدول مختلفة كالدول العربية ؟

فى الحقيقة ان الاختلال الذى يكشفه ليس فقط مشتركا بين كل هذه البلاد ولكنه - وهذا هو الاهم يوضح اتجاه التطور فاذا ماقمنا بعمل هذا الحساب لكل من هذه البلاد فسنجد أن هذا الاختلال اقوى فى مصر عنه فى السودان وفى العراق عنه فى مصر وفى الكويت عنه فى العراق . وهذا يعنى انه كلما ارتفعنا فى سلم « التنمية » كما تقاس بالدخل المحلى الاجمالى من المجموعة د الى المجموعة أ كلما كان هذا الاختلال اكثر وضوحا . فالمتوسط الذى هو اكثر ارتفاعا من باقى مناطق العالم الثالث يوضح الاتجاه الذى تسير فيه التنمية وهو اتجاه ذو مغزى ولاشك .

٥ - خاتمة : اشكالية الاندماج فى النظام العالمى ، سيطرة الشركات العابرة الجنسية على الاقتصاد العربى ، البترول الوحدة العربية :

١ - ان المسائل المتصلة بالعلاقات التى تميز سيطرة الشركات العابرة الجنسية على اقتصاديات الدول وخاصة فى البلاد المتخلفة تعالج غالبا من وجهة نظر اقتصادية جزئية تبحث فى آثار سيطرة شركة عابرة للجنسية أو مجموعة من هذه الشركات على اقتصاد قطاع أو بلد ما فيدرس الباحث مثلا أداء صناعة الالمونيوم أو سوق الموز ويستنبط من ذلك الدور الحاسم للاحتكارات فى هذه الصناعة او هذا السوق . هذه الدراسات لها أهميتها وقد أسهمت فى فهم حقيقة النظام العالمى المعاصر بشكل افضل ولكنها مع ذلك غير

كافية لفهم آليات ميكانيزمات التراكم والتنمية على الصعيد العالمي بأبعادها الكاملة وفي سبيل فهم حقيقي لهذه الآليات لايكفي فقط البحث على مستوى الاقتصاد الكلي ولكن يجب تعمق الحقيقة في كافة جوانبها الاقتصادية ولكن ايضا السياسية والاجتماعية .

والتحليلات القطاعية لسيطرة الشركات العابرة الجنسية على اجمالي القطاعات والصناعات المختلفة هي الآن اثرى بكثير من التحليلات التقليدية القاصرة على جرد الملكية . ومع ذلك فالوعي السياسي في العالم العربي لم يتعد هذا المستوى السطحي حيث تختصر السيطرة الخارجية الى الملكية الاجنبية . وسبب ذلك في الواقع أن الملكية الاجنبية لرأس المال كانت مسيطرة خلال فترة طويلة من التاريخ منذ نهاية القرن التاسع عشر وحتى خمسينات وستينات القرن العشرين . ففي افريقيا الشمالية الفرنسية شملت هذه الملكية الاجنبية - بالاضافة الى كافة الانشطة الصناعية - الشريحة الأعظم من الانتاج الزراعي السوقي (أراضي المستوطنات) وشملت ايضا الانتاج الصغير في كل قطاعات النشاط عن طريق المشروعات الصغيرة والمتوسطة للمستعمرين . وفي مصر فان رأس المال الاجنبي مشاركا رأس المال الاقتصادي المصري الخاص (مجموعة مصر) كان يسيطر على كل قطاعات الصناعة - المصارف - التجارة الكبيرة والخدمات الحديثة بينما سيطرت المستعمرات الاجنبية لفترة طويلة من الوقت على الانتاج الرأسمالي الصغير .. ولم تسلم سوق الزراعة - الخاضعة للملكية الاقطاعية الكبيرة - من الملكية الاجنبية المباشرة . وفي الامبراطورية العثمانية والدول التي ورثتها من بعد فان الملكية الأجنبية الاكثر تأخرا ومحدودية امتدت مع ذلك من قطاع الخدمات الى قطاع الصناعة واخيرا فان الانتاج البترولي كان خاضعا مباشرة لتكتلات الشركات الامريكية والانجليزية والفرنسية . وأي تحليل للاقتصاد العربي حول ١٩٥٠ كان سيكشف هذه الملكية الأجنبية الكثيفة والحاسمة .

ولكن ليس الامر كذلك اليوم فالملكية الاجنبية المباشرة قد تقلصت أو حتى اختفت بالكامل أو على الاقل لبعض الفترات في بعض البلدان (في مصر مثلا من ١٩٥٧ الى ١٩٧١) وقد ادى خروج المستعمرين الاجانب (من شمال أفريقيا) والتأمينات المستمرة للمشروعات الأجنبية وحتى لقطاعات عريضة من رأس المال القومي في مصر أولا ثم في سوريا والعراق والجزائر وليبيا وتونس والسودان واليمن الديمقراطي - أدى ذلك كله الى تغيير بنية الملكية . ولكن الاتجاه الى احلال رأسمالية الدولة - كصورة اساسية للملكية - محل الصور القديمة المختلطة (رأس مال اجنبي ورأس مال خاص محلي) لايسيطر فقط في البلاد العربية التي اختارت طريقا اشتراكيا . ولكنها توجد ايضا وبقوة في البلاد الاخرى من المغرب الى دول الخليج . فقد عمل تأميم الملكية والانتاج البترولي خلال السنوات ١٩٦٠ و١٩٧٠ في نفس الاتجاه .

وبعد أن استعدت الملكية المباشرة ، بدأ المرء يدرك حثيثا ان مجرد مساهمة الاقتصاديات العربية في النظام العالمي كفيلة بان تجعل سيطرة الاحتكارات المهيمنة على هذا النظام تستمر في انتاج اثارها . وهذه الدرجة من الوعي حديثة للغاية ومحدودة بصفة عامة - على الاوساط المتخصصة .

وقد بدأت الموضوعات المتعلقة بالصور الجديدة لهذه السيطرة تصبح معروفة . وتأتي التبعية التقنية في المقام الاول . هذه التبعية التي هي ابعد أن تكون مجرد مسألة أخلاقية أو ثقافية بحتة تظهر في : (١) الاسعار الاحتكارية المرتفعة جدا التي تفرضها الشركات العابرة الجنسية لبيع المعدات الصناعية والمدخلات الاستراتيجية في العمليات الانتاجية (٢) رفض الشركات العابرة الجنسية بيع عناصر تكنولوجية تفصيلية وفرضا على المشتري انظمة متكاملة معقدة مفتاح في اليد) واخيرا .. (٣) رفضها لبيع أنواع معينة من التكنولوجيا التي تتيح لها التحكم في جملة العمليات الانتاجية ومن ثم فان البلاد العربية مجبرة حاليا على استيراد كافة وسائل الانتاج الصناعي بالاضافة الى أن توجيهات التنمية الزراعية المزمعة تندرج في مجال يشمل فيه الاعمال الزراعية Agro Business للشركات العابرة الجنسية اهمية فائقة وبهذا الشكل تكون كل المشروعات العربية - خاصة أو مملوكة للدولة - مرتبطة بالشركات العابرة الجنسية بعلاقات من التبعية الشديدة فالمشتريات الكبيرة للمصانع الكاملة (مفتاح في اليد) التي تلجأ اليها البلاد الغنية معتقدة بذلك انها تعجل بالتنمية كانت موضوعا للعديد من التحليلات الفاقدة . ومن المؤكد أنه يصعب تقدير تحويل الفائض الذي ينتج عن هذه العملية لانه في اطار الصورة القديمة للملكية الاجنبية كان تحويل الارباح يمكن حسابه على الاقل جزئيا أما الآن فان هذا التحويل متضمن في هيكل الاسعار ولكنه هائل وتمثل القروض الاجنبية وتسهيلات الموردين المستخدمة في شراء وسائل الانتاج العنصر المعجل الاكثر اهمية للمديونية الخارجية .

وتفاقم الصناعات التصديرية أيضا هذه التبعية المكلفة ويلاحظ ان الدول العربية قد وقع اختيارها على هذا النوع من الصناعات - على حساب التنمية المستقلة - للخروج من مرحلة احلال الواردات . فبعض

هذه الدول وهى الغنية ماليا اختار ان يبنى هذه الصناعة التصديرية على اساس استغلال ثرواتها الطبيعية (مثال ذلك كيمياء البلاستيك والاسمدة والالمونيوم فى بلاد الخليج) والبعض الاخر رغب فى ان يندرج فى مجال صناعة تستخدم عملا رخيصا (مثال ذلك المنطقة الحرة فى منطقة القناة فى مصر وصناعات النسيج والملابس فى المغرب وتونس) ويضاف اذن الى التبعية التقنية القصوى التى تفرضها حتما اتجاهات المنتجات فى كلتا الحالتين تحكم الشركات العابرة الجنسية فى تسويق هذه المنتجات .

٢ – تقودنا التأملات السابقة الى وضع تبعية الاقتصاد العربى لراس المال الاحتكارى المسيطر فى اطاره التاريخى الحقيقى ومن وجهة النظر هذه فان تكوين النظام العالمى المعاصر قد مر بثلاث مراحل تشير اليها ثلاثة مجموعات منه طرائق اندماج « الطرف » التابع .

فالمرحلة الاولى التى تتسم بالتدويل المستمر لسوق المنتجات احتلت معظم القرن التاسع عشر وامتدت فى بعض الحالات الى مابعد ذلك . وفى هذا الاطار قام نوع من تقسيم العمل الدولى ولكن الانتاج للتصدير كان ينتظم فى الطرف فى اطار انماط للانتاج مستقلة .

وفى بعض الحالات كانت الفئات المسيطرة تنخرط من نفسها فى هذا الاطار وتعدل بالتالى من صور تنظيم الانتاج . وافضل مثل لذلك هو التحول فى الملكية العقارية وتنمية انتاج القطن فى مصر مابين ١٨٦٠ ونهاية القرن .

وعلى مستوى اقل تواضعا فلدينا تنظيم انتاج زراعى للتصدير فى الشرق العثمانى وقد عرف العراق تحولا مشابها بين الحربين اما فى افريقيا الشمالية الفرنسية وفلسطين فقد قام المستعمرون بتنظيم الانتاج التصديرى فى الارض المنزرعة من شعوب هذه البلاد .

والمرحلة الثانية تتسم بالتدويل التدريجى لسوق رؤوس الاموال . فمستوى تركز رأس المال فى نهاية القرن التاسع عشر سمح بتصديره ومن ثم اقامة وحدات انتاج راسمالية اجنبية . هذه المرحلة الكلاسكية للامبريالية امتدت فى العالم العربى حتى السنوات ١٩٥٠ – ١٩٦٠ – فوحدات الانتاج الراسمالية الأجنبية التى استولت اولا على القطاعات التجارية والتمويلية المرتبطة بالتصدير امتدت تدريجيا لتشمل الصناعة القائمة على احلال الواردات وخاصة فى مصر والشرق العربى اثناء الحرب العالمية الثانية . غير ان هذه الوحدات احتفظت بقدر من الاستقلال بالنسبة للاحتكارات المركزية حتى فى حالة كونها – اى الوحدات فروعا لتكتلات (كونسورتيوم) تمويلية .

وقد تنامى النقد القومى » للسيطرة الأجنبية خلال هذه الفترة ، الأمر الذى يفسر سيادة فكرة التأميم دون وجود وعى واضح بحدود هذا الاحلال للملكية العامة القومية محل رأس المال الأجنبى .

اما المرحلة الثالثة للتطور فهى بادئة بالكاد وهى تتمثل فى مرحلة عليا للتقسيم الدولى للعمل تتسم بانشطار النظام الانتاجى فى وحدات متناثرة وموزعة جغرافيا بين بلاد المركز وبلاد المحيط ولكنها جميعا تخضع لاستراتيجية كلية واحدة – ويقوم انشطار النظام الانتاجى على الاستغلال الاقصى – بواسطة راس المال المسيطر « للمزايا النسبية » هذه المزايا النسبية تقوم من ناحية على استغلال الظروف المتفاوتة لسوق العمل ومن ناحية اخرى على الاستيلاء على الريع المتصل بملكية الموارد الطبيعية ويمثل ذلك نوعا من تدويل سوق العمل الذى يكمل الثلاثية : منتجات – راس مال – عمل . والسيطرة الكاملة لرأس المال يمكن ان تتم من خلال استيلاء الشركات العابرة الجنسية على مختلف المكونات الانتاجية ولكنها ايضا يمكن ان تتم مع ترك الملكية الشكلية لبعض المكونات الانتاجية شريطة الاحتفاظ بالتحكم فى العناصر الاستراتيجية للعملية وخاصة انتاج وسائل الانتاج الاحدث .

وقد اشرنا فى الصفحات السابقة الى الأعراض التى يظهر بها التكامل العميق للاقتصاد العربى فى النظام العالمى المعاصر وقد انتج هذا التكامل العديد من نقاط الضعف للاقتصاد العربى .

نقطة الضعف الأولى هى التفكك الكامل للأنظمة الصناعية – الذى يظهر فى شكل ضعف المبادلات الصناعية الداخلية من المدخلات والمعدات المنتجة محليا وهذا ينعكس فيما نلاحظه من الضحالة التى تميز العالم السياسى العربى عند مناقشة قضية الاستقلال التكنولوجى الضرورى فهذا الاستقلال يعتبر بصفة عامة إما فى حكم المستحيل واما تعبيرا عن قومية ثقافية « وليس ضرورة اجتماعية واقتصادية وتفاقم خطط التنمية المرتكزة على الصناعة التصديرية – هذا التفكك » .

نقطة الضعف الثانية هى التأخر المستمر للزراعة (القريب الفقير فى سياسيات التنمية) حيث تمتص الصناعة الحديثة كل الوسائل التمويلية والأخرى فبالاضافة الى العقبات الاجتماعية التى تقف فى وجه تحديث الزراعة فان استغلال الريف لمصلحة التراكم صناعى التابع يفاقم العجز الغذائى ويقلل امكانيات السوق المحلى . وهنا ايضا فان مشروعات التنمية المرتكزة على الأعمال الضخمة والتقنيات المستوردة ستزيد من سيطرة الشركات العابرة الجنسية فى مجال « الاعمال الزراعية » دون ايجاد حلول حاسمة

للمشاكل الأساسية .

نقطة الضعف الثالثة هى التوزيع اللامتكافىء للدخل والذى يزداد حدة مع تعمق الاندماج فى نظام التقسيم الدولى للعمل هذا التوزيع اللامتكافىء يصطحب معه تبنيا كثيفا لأنماط الاستهلاك الأوربية وهو يضيق سوق المنتجات الأساسية لاشباع الحاجات ويوجه اختيارات التنمية نحو تفكك متزايد بانواع من الانتاج المرتبطة بالسوق العالمى .

نقطة الضعف الرابعة : الاختلال المتزايد فى التوجه الأساسى للتنمية يصاحب احتلالا مشابها فى تخصيص الموارد النادرة وخاصة قوة العمل الماهرة ونقطة الضعف الخامسة هى عجز النظام العربى فى هذه الظروف عن استخدامات الوسائل التى يملكها بوفرة وخاصة الوسائل التمويلية التى تعطيها له صادرات الطاقة من اجل تنمية هذا العجز الذى يزداد خطورة بالتجزئة السياسية للمنطقة (وهى تجزئة تدعمها ايضا التنمية المتجهة للخارج) يزيد من اندماج المنطقة فى النظام العالمى الذى يفرض عليها وظائف خاصة فى التوازن النقدى الدولى .

٣ ـ هذه هى الأسس الموضوعية لسيطرة رأس مال الاحتكارات الدولية على اجمالى الاقتصاد العربى وليس فقط على قطاع أو آخر أو مشروع أو آخر .

وهذه ايضا هى حالة منطقة اخرى من العالم الثالث وهى مجموعة الأربع بلاد فى آسيا الشرقية (كوريا الجنوبية ـ تايوان ـ هونج كونج ـ سنغافوره) حيث تقوم التنمية على تصنيع مفكك للغاية (انظر

وبالعكس فى امريكا اللاتينية بصفة عامة نجد ان الأنظمة الصناعية المحلية ـ وهى اكثر تقدما عن العالم ـ العربى ـ ورغم انها خاضعة للاحتكارات من الناحية التكنولوجية نجد انها اقل تفككا وعلى العكس اكثر تكاملا (وخاصة فى البرازيل) . وفى افريقيا السوداء وآسيا الجنوبية والجنوبية الشرقية تبقى الصناعة اقل تقدما (ماعدا الهند بصورة مطلقة) وتأخر الزراعة واضح وتوزيع الدخول غير عادل ولكن فى كل هذه المجالات فان عمليات التنمية السلبية اقل تقدما منها فى العالم العربى .

٤ ـ ان التاريخ العربى لم يبدأ مع البترول بالتأكيد ولا حتى تاريخ اندماجه كطرف خاضع للامبريالية . ومع ذلك فان البترول ـ قبل ١٩٧٣ وبشكل اكبر منذ ذلك التاريخ ـ قد ضاعف اختلالات التنمية العربية التابعة . اذ يخلقه لوهم الثراء فالبترول يلعب نفس الدور الذى لعبه ذهب امريكا بالنسبة لأسبانيا فى القرن السابع عشر : يعوق التحولات الأساسية التى هى شرط لنهضة عربية حقيقية .

وليس صحيحا ان البلاد العربية تعتمد لما بعد البترول . فالبلاد البترولية (المجموعة أ) يزداد استعمالها كل يوم للانشطة التى عاشت عليها حتى الآن وحتى عندما تهتم بها فيكون ذلك لتأسيس مشروعات للتنمية قائمة بالتحديد على استمرار النظام الراهن . فمثلا كم من برامج الرى القائمة على اساس الطاقة الرخيصة اى البترول بالتحديد اذ مع جفاف ابار الذهب الأسود سترتد الأراضى المستصلحة بلا تأخير الى الصحراء والبلاد الشبه بترولية (المجموعة ب) لاتجرب شيئا آخر مختلف عما حاولته مصر قبلهم ، فما ان يبدأ الريع البترولى فى التناقص حتى يجدوا انفسهم فى مواجهة نفس الكارثة . اما البلاد غير البترولية فهى تحاول تأخير الآجال بالحصول ـ مباشرة أو غير مباشرة على شريحة ولو ضئيلة من الكعكة البترولية . « والتضامن » فى المواقف على هذا النحو ليس هو الوحدة اذ سيبقى هشا ككل البناء المؤسس بالكامل على مورد غير قابل للتجدد .

اما الاستثمار فى الخارج للفوائض المحتملة الذى ينظر البعض اليه « كاستثمار رب الأسرة » فليس مضمونا على الاطلاق . ففى الحقيقة يمكن المراهنة بقوة على انه فى اليوم الذى يتوقف فيه تدفق البترول وحيث لايكون هذا السلاح فى يد المنطقة ستجد البلاد الغربية الوسائل « لتأميم » هذه الاستثمارات .

مفيدة هى المقارنة بين بعض بلدان الأوبك الرئيسية ويوضح لنا الجدول التالى بعض النسب ذات المغزى الخاصة بهيكل هذه البلاد فى الفترة ١٩٧٥ ـ ١٩٧٨ .

الهيكل الاقتصادى لبعض دول الأوبك

النسبة الى الناتج المحلى الاجمالى	فنزويلا	نيجريا	اندونسيا	ايران
١) الزراعه	٦	٢٦	٣١	٩
٢) المناجم والبترول	٢٣	٣٠	١٩	٤٠
٣) الصناعة	١٧	٧	٩	١٠
٤) الصادرات	٣٢	٣٥	٢٢	٣٢
٥) الواردات	٢٧	٣٢	٢١	٣٢
٦) التكوين الراسمالى الثابت	ـ	ـ	ـ	ـ
الاجمالى	٣١	٣١	٢١	٢٥

ولا شك ان كل هذه البلاد تمثل سمات مشابهة للعالم العربى : المكان الحاسم الذى يحتله الانتاج البترولى فى الدخل المحلى الاجمالى وفى الصادرات والفائض

التجارى ، السنوى المرتفع للاستثمار . ولكن فنزويلا اكثر تصنيعا نسبيا والانتاج الزراعى اكثر اهمية فى نيجيريا واندونيسيا فإذا تعمقنا التحليل المقارن فسندرك محدودية التشابه المستوحى من اهمية البترول .

وعلى العكس من ذلك فالتشابه مدهش بين الموقف الحالى للعالم العربى وموقف ايران . فعلى صعيد ربع العالم العربى تمثل ايران تشابها شديدا فى الهياكل : تفكك صناعى - تاخر متناه للزراعة - توزيع للدخول غير عادل الى ابعد حد - اختلال هائل فى تخصيص الموارد .. الخ .. ولا شك ان الدرس يستحق التامل .

٥ - ان سياسات التنمية القائمة فى الوطن العربى فى الثلاثين عاما الاخيرة - قبل وبعد ١٩٧٣ - تزعم انها تندرج فى منظور يسمح لها - من خلال الاسراع فى النمو - بالاقتراب من العالم المتقدم فى هياكله الكلية (تكنولوجيا - تصنيع - تمدن - اساليب استهلاك ومستويات المعيشة .. الخ) وتمر بالتالى تدريجيا من التبعية الى التبعية المتبادلة غير ان فحص الهياكل يشير الى ان الاسراع بالنمو لم يعمل فى هذا الاتجاه بل على العكس فى كل المجالات حيث تعمق الفارق الكيفى وتعاظمت نقاط الضعف وتفاقمت التبعية رغم تغير صورتها. فالثراء الناجع عن البترول ابتداء من ١٩٧٣ قد اسرع ولاشك بالنمو ولكن فى اتجاه سلبى اذ ولاشك السبب للتكامل اللامتكافىء والاكثر عمقا للعالم العربى فى النظام العالمى .

اما البديل الاخر فهو بداهة التنمية المتمركزة حول الذات والشعبية والتى لابد وان تحتم :

١ - مراجعة عنيفة للاولويات لصالح لزراعة ولصالح التصنيع فى خدمة التنمية الزراعية واحتياجات الجماهير الشعبية الكبيرة .

٢ - مراجعةاساسية للخيارات التكنولوجية .

٣ - مراجعة تخصيص الموارد النادرة وخاصة قوة العمل الماهرة وكذلك صور ومحتوى هذه المهارات .

٤ - انفصال انتقائى وانقاص موازى لاندماج النظام الانتاجى العربى فى النظام العالمى الخاضع للاحتكارات العابرة الجنسية وقد عالجنا هذه المشكلات فى كتابنا « ازمة الامبريالية » والامبريالية والتنمية المتكافئة .

ومن السهل القول ان هذا الاختيار البديل غير واقعى ومستحيل وبوتوباوى انه بالتاكيد لايتفق حاليا مع برنامج لاية قوة اساسية ولا حتى لاية قوة سياسية ولنه يجيب على المصالح الموضوعية للشعوب العمومية . وهو بهذا المعنى يمثل « تنمية اخرى » ممكنة وضرورية موضوعيا .

ولان القوى السياسية الحقيقية العاملة فى الساحة العربية ترفض هذا الاختيار البديل فان رفض الشعوب العربية للتنويعات المختلفة من نفس النموذج والتى تقترحها هذه القوى يمكن جدا ان يؤدى الى « هبة شعبية » - اليس المثل الايرانى يبرهن على ذلك ؟ انه يوضح جيدا ما ترفضه الشعوب دون ان يكون قادرا فى الوقت الحاضر - على صياغة استراتيجية متكاملة بديلة ومع ذلك فعلى الرغم من الغموض الايديولوجى والمنعطفات السياسية وثغرات الارتداد العنيف للخلف فان قوى« التنمية الاخرى » يمكن ان تتبلور فى المجرى المتماوج للهبة الشعبية . ولكن تكون هى المرة الاولى التى يتقدم فيها التاريخ على هذا النحو . □

ملف السياسة الدولية

مصر .. وحركة عدم الانحياز



● جذور سياسة عدم الانحياز فى مصر [١٩٥٠ ـ ١٩٥٢] ....

عزه وهبى

● مصر وعدم الانحياز من باندونج الى هافانا ....

أمانى قنديل

● قادة عدم الانحياز .. عبد الناصر ـ تيتو ـ نهرو ....

د . مجدى حماد

● عدم الانحياز ودوره فى اتجاهات السياسة ....

د . احمد عباس عبد البديع

● قمة نيودلهى ، وازمة عدم الانحياز ....

دينا الخواجة

● صحفيو عدم الانحياز والنظام العالمى الجديد للاعلام ....

صلاح الدين حافظ



جذور سياسة عدم الانحياز فى مصر

[١٩٥٠ ـ ١٩٥٢]

عزه وهبى

إذا كانت ثورة الثالث والعشرين من يوليو قد تبنت سياسة الحياد الايجابى وعدم الانحياز لتصبح الملمح المميز لسياستها الخارجية ، فإن الدراسة المتعمقة للفترة السابقة على قيام الثورة وبصفة خاصة تلك الفترة التى سبقت قيامها مباشرة تبين أن الدعوة لحياد مصر على المستوى الدولى كانت قائمة وإن كانت خافتة ، فقد رفعها بعض الساسة والمفكرين من قادة الرأى . وقد كانت هذه الدعوة الحيادية من ناحية نتاجا للتجربة السلبية فى علاقة مصر بدول المعسكر الغربى التى لم تقف إلى جانبها فى نضالها من أجل الحصول على الاستقلال من الاستعمار البريطانى ، كما كان اتجاهها للتعامل مع المعسكر الشرقى رغبة منها فى ضمان تنويع مصادر السلاح أو ضمان تأييد هذا المعسكر لمطلبها الوطنى من ناحية أخرى . وتهدف هذه الدراسة إلى القاء الضوء على هذه الدعوة لحياد مصر فى البرلمان المصرى فى الفترة السابقة مباشرة على قيام الثورة (١٩٥٠ ـ ١٩٥٢) وذلك نظرا لأن هذه الدراسه تمكن من تحليل موقف النخبة البرلمانية من ناحية ، بالاضافة إلى موقف السلطة التنفيذية والحكومة بالذات من ناحية أخرى . وسوف ندرس الدعوة لحياد مصر من خلال التعرض لموقف مصر من التحالف الغربى ثم موقفها من المعسكر الشرقى ثم الدعوة للحياد بين الكتلتين .

أ ـ مصر والتحالف الغربى : كان من البديهى بالنظر الى الملابسات الخاصة سواء بالنظام الدولى بعد الحرب العالمية الثانية او بالقضية الوطنية المصرية أن تثار قضايا العلاقات مع التحالف الغربى فى سياق الحركة الوطنية المصرية ، وتهدف هذه النقطة الى دراسة الانعكاسات التى تولدت داخل البرلمان عن هذه القضايا بصفة عامة

اولا ـ مجلس النواب : كان البيان الصادر عن كل من الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا فى ٢٦ مايو ١٩٥٠ بشأن الاشراف على الرقابة على تسليح دول الشرق الاوسط هو المناسبة الاولى التى ظهر فيها

اهتمام بعض اعضاء البرلمان بالقضايا موضوع الدراسة (١).

وقد ادان النائب السعدى محمد توفيق خشبة هذا البيان استنادا الى عدة نقاط تتصل كلها بما يحققه تنفيذ هذا البيان من مصلحة لاسرائيل ، وكانت أولى هذه النقاط هى اشارة البيان الى احتفاظ كل دولة ف الشرق الاوسط بعدد معين من القوات اللازمة فقط للمحافظة على الأمن الداخلى فيها بما يفهم منه الرغبة فى تحديد مدى مايمكن لكل دولة عربية تجنيده من قوات . أما النقطة الثانية فقد ارتكزت على أن تعهد الدول الكبرى بالتدخل فيما اذا أحست برغبة من احدى الدول للعدوان يعد تشجيعا من الدول المصدرة للبيان لاسرائيل على التمادى فى سياستها ، وكان مضمون النقطة الثالثة أن ضمان الدول الكبرى لخطوط الهدنة القائمة سيكون سببا لتمسك اسرائيل بها وعدم العودة الى قرار التقسيم الذى اقرته الامم المتحدة فى عام ١٩٤٧ ، وأخيرا اشار النائب الى أن ماتضمنه البيان الثلاثى من وضع شروط لتصدير الاسلحة الى دول المنطقة لايمكن تفسيره الا برغبة هذه الدول الكبرى فى فرض سيطرتها الكاملة على المنطقة ، كما ان صدور هذا التصريح من قبل الدول الغربية فقط يجعل استيراد الاسلحة من دول شرق اوربا كتشيكوسلوفاكيا وروسيا مطلقا وبغير شروط مما يمكن اسرائيل من الحصول على الاسلحة من هذه الجبهة الشرقية ، ويعنى هذا عدم التكافؤ فى استيراد الاسلحة بين العرب واسرائيل (٢) وقد شارك النائب الوطنى د . نور الدين طراف فى ادانة البيان ، ووصفه بانه اعلان للوصاية بل الحماية السافرة على الشرق الاوسط ، كذلك شارك فى نفس الاتجاه النائب الوفدى د . محمد بلال الذى انتهى بالمطالبة بأن تعتبر الحكومة المصرية هذا البيان غير محقق لامانى الدول العربية ، اذ انه يعد ترسيخا للأوضاع القائمة وربطا لها بعجلة الدول الغربية وفرضا لوصاية هذه الدول عليها ، وأن تعلن الحكومة المصرية وكذلك الحكومات العربية حكومتى انجلترا وامريكا انها تتجه فى الصراع العالمى القائم الاتجاه الذى تتحقق معه امانيها القومية ، ثم طالب بمضاعفة الاستعداد الحربى والكفاح السياسى واستيراد السلاح من اى دولة تبيعه . ويلاحظ هنا انه على حين جاءت الادانة لهذا البيان واضحة وصريحة من قبل النواب الذين تناولوه فان وزير الخارجية قد صرح فى رده بأن البيان مازال موضع الدرس الدقيق من قبل الحكومة المصرية والحكومات العربية الاخرى (٣).

اما الموضوع الثانى الذى يتعلق بعلاقة مصر بالتحالف الغربى فقد اثير بمناسبة الموقف الذى اتخذته مصر ازاء النزاع فى كوريا فى عام ١٩٥٠ ، ففى اغسطس ١٩٥٠ وجه النائب الوفدى د . محمد بلال سؤالين الى وزير الخارجية تعرض احدهما لموقف الدول العربية من قرار مجلس الامن بالنسبة للحرب الكورية ومدى تأييدها لموقف مصر ، اما الثانى فقد أشار الى تصريح وزير الخارجية فى أعقاب قرار مصر بالامتناع عن التصويت فى مجلس الامن بالنسبة للحرب لكورية (٤) ، وكيف فسر من قبل بعض الجهات ومن بينها مجلس العموم البريطانى على نحو يغير من طبيعته . وتساءل عما اذا كان قد طرأ مايدعو الى أى تحول فى قرار الحكومة السابق .

وقد رد وزير الخارجية على هذا السؤال مؤكدا أن تصريحه انما كان لتأكيد موقف مصر بالنسبة للنزاع ولم يكن يعبر عن اى تراجع ، واشار الى أن مصر لم تتردد فى الموافقة على قرار مجلس الامن الصادر فى ٢٥ يونيو سنة ١٩٥٠ والذى يقضى باعتبار ماوقع من كوريا الشمالية اضرارا بالسلام ويدعو الى وقف القتال فورا وانسحاب قوات كوريا الشمالية الى خط عرض ٣٨ ، كما يدعو الدول الاعضاء الى الامتناع عن تقديم المساعدات اليها ، بل ان المندوب المصرى لم ير حاجة الى الرجوع الى الحكومة فى هذا الشأن نظرا لوضوح الامر وانطباق القرار ، وأشار الوزير الى أن مصر لو

---

(١) انظر مضمون البيان فى : ملف وثائق فلسطين ، ج ٢ من عام ١٩٥٠ الى عام ١٩٦٩ القاهرة : وزارة الارشاد القومى ـ الهيئة العامة للاستعلامات ، بدون تاريخ اصدار ، ص ١٠٧٧ .

(٢) ويلاحظ انه لم يكن مطروحا لدى النائب ان تكون دول اوربا الشرقية مصدرا لتسليح مصر او الا تكون مصدرا لتسليح اسرائيل ، انظر مجموعة مضابط مجلس النواب ، الهيئة النيابية العاشرة ودور الانعقاد العادى الاول ، المجلد الثانى ، مضبطة الجلسة الثامنة والعشرين (١٩٥٠/٥/٢٩) ، ص ٣٩ ـ ٤١ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٤٥ ـ ٥٨ .

(٤) وكان الوزير قد قام بشرح موقف مصر من قضية كوريا فى الامم المتحدة بالتفصيل لمندوبى الصحف محاولا الرد على التفسيرات العديدة التى قدمت لقرار مصر بالامتناع عن التصويت وخاصة فى ضوء الهجوم الشديد الذى شنته الدوائر السياسية والصحف فى بريطانيا على هذا القرار ، ولايختلف تصريح وزير الخارجية فى شىء عما قاله فى المجلس انظر : الاهرام ، ١٩٥٠/٧/١٢ ، ص ٤ . وقد وصف صلاح الدين فى موضع اخر قرار مصر بالامتناع عن التصويت بانه « يعد حيادا ايجابيا وموقفا يجب التنويه به فى سياسة الوفد الخارجية » انظر : محمد فريد حشيش حزب الوفد ١٩٣٦ ـ ١٩٥٢ ، بحث مقدم لنيل درجة الماجيستير فى التاريخ الحديث ، جامعة عين شمس ، كلية الاداب ، يونيو ١٩٧٠ ، ص ٢٨٧ .

لم تسبق بالموافقة على هذا القرار لما تسنى لها ان تقف موقفها الوطنى الواضح من قرار مجلس الامن فى ٢٧ يونيو لأنها لو سلمت بعدم وقوع عدوان على كوريا الجنوبية لكان من الطبيعى ان تمتنع عن التصويت على القرار الاخير . اما وقد أيدت وقوع العدوان فان ذلك وحده هو الذى لفت الانظار الى موقفها بالامتناع عن التصويت . وابرز الوزير الأسباب الوطنية التى دفعت مصر لهذا الموقف الذى كان يعنى ان مصر تطلب من الامم المتحدة ان تكيل بكيل واحد ، فتعمل على كف كل عدوان يقع على الدول والشعوب كما عملت على ذلك فى كوريا . وأكد الوزير ان تصريحه كان منصبا على تفسير موقف مصر بهذا المعنى ، وان هذا التصريح قد بدد الشبهات التى اثارتها الدعاية المغرضة حول موقف مصر وثباتها على رأيها [٥] .

ويلاحظ أن موقف الحكومة السابق الاشارة اليه قد حظى بتأييد من قبل بعض النواب فى مناقشات تالية ، ومثال ذلك ماعبر عنه كل من النائبين الوفديين ابراهيم طلعت وسليمان عبد الفتاح من تأييد لهذا الموقف وأسهامه فى ابراز شخصية مصر وكيانها فى المحيط الدولى [٦] .

أما المسألة التالية المتعلقة بموقف مصر من التحالف الغربى والتى تناولتها بعض مناقشات مجلس النواب فى فترة الدراسة فتتصل بموضوع الدفاع المشترك الذى كانت بريطانيا تطالب بتطبيقه مستندة الى حجة مؤداها ان مصر معرضة - بحكم موقعها الاستراتيجى وأهميتها - لهجوم شيوعى ؛ وانها لاتملك امكانية الدفاع عن نفسها مما يتطلب ضرورة اشتراكها فى محالفة دفاعية أو فى نظام للدفاع المشترك مع بريطانيا بحيث يمكن صد أى هجوم تتعرض له .

وقد ادركت الحركة الوطنية المصرية حقيقة هذه المقترحات وخطورتها فأعلنت بوضوح رفضها الصريح لها ، كما ارتفعت عدة اصوات فى البرلمان تتخذ نفس الموقف . ففى مناقشة تقرير لجنة الرد على خطاب العرش فى نوفمبر ١٩٥٠ رفض كل من النائب السعدى محمد سامح موسى ، والنائبين الوفديين ابراهيم طلعت وسيد حسين اغا ، والنائب الوطنى د . نور الدين طراف اصرار بريطانيا على رفض الجلاء عن مصر بحجة الدفاع عن موقعها الاستراتيجى الهام وخاصة بالنسبة لمنطقة القناة ، واعربوا عن ادراكهم لحقيقة هذه المقترحات وطالبوا بأن يترك الدفاع عن مصر لابنائها وحدهم [٧] . وشن النائب الوفدى مصطفى موسى هجوما شديدا على رئيس احد الاحزاب السياسية [٨] لخروجه على اجماع الامة فى رفض الدفاع المشترك كأساس للمفاوضات ، وأشار الى ان اراءه تمثل مناقصة على حساب الاهداف الوطنية ووصف صوته بأنه صوت غير وطنى ، واكد ان ارادة البلاد فوق أنها بارزة فى البرلمان فهى ظاهرة محددة فى المظاهرات الشعبية الرافضة لهذا الاتجاه [٩] .

وفى مناقشة تالية تقدم النائب الوفدى ابراهيم طلعت باستجواب الى وزير الحربية والبحرية عن عدم اتخاذ الاجراءات القانونية ضد اللواء احمد فؤاد صادق باشا القائد العام السابق لحملة فلسطين بسبب ادلائه بتصريحات متتالية الى الصحف يدعو فيها الى فكرة الدفاع المشترك عسكريا بين مصر وانجلترا ، والى ضرورة اشتراك الجيش المصرى فى حرب كوريا لصالح امريكا وانجلترا ويهاجم فكرة حياد مصر . وقام المستجوب وهو يشرح رايه بعرض آراء اللواء صادق التى نشرتها جريدة الاساس وغيرها من الصحف الاخرى ؛ وشرح التأثير السلبى الذى يمكن أن ينعكس من مثل هذه التصريحات على معنويات الجيش المصرى . وقد قام وزير البحرية والحربية بعرض رأى الحكومة حول هذا الاستجواب فأشار الى أن لجوء هذا الضابط الى اصدار هذه التصريحات فيه خروج على التقاليد العسكرية ، وزج لنفسه فى غمار التيارات السياسية ؛ بالاضافة الى ماتضمنته هذه التصريحات من اذاعة لبعض اسرار الجيش المصرى . وانتهى

---

(٥) انظر : مجموعة مضابط مجلس النواب ، الهيئة النيابية العاشرة ، والانعقاد العادى الاول ، المجلد الرابع ، مضبطة
الجلسة الاربعين (١٧/٨/١٩٥٠) ، ص ١٢ . ومما يذكر ان قرار مصر بالامتناع عن التصويت فى مجلس الامن على مشروع
القرار الامريكي الذى يطلب من الامم المتحدة التدخل لحماية كوريا الجنوبية من عدوان كوريا الشمالية قد لقى تأييدا واسعا ، وقد
اوضحت جريدة صوت الامة ذلك فى عدة أعداد متلاحقة استطلعت فى احدها اراء عدد من زعماء المعارضة مثل : حفنى محمود باشا
وعبد المجيد ابراهيم صالح باشا (دستوريان) ، وحافظ رمضان باشا (وطنى) ، واحمد حسين (اشتراكى) حيث اعربوا
جميعا عن تأييدهم لهذا الموقف الذى اتخذته مصر ؛ كما اوردت الجريدة تصريحات عربية تؤيد موقف مصر . انظر : صوت الامة
٣/٧/١٩٥٠ ، ص ٤ .
(٦) انظر مجموعة مضابط مجلس النواب الهيئة النيابية العاشرة ، دور الانعقاد العادى الثانى ، المجلد الاول ، مضبطة
الجلسة الرابعة . (١١ ، ١٢/١٢/١٩٥٠) ، ص ٣٥ ، ٣٦ .
(٧) المرجع السابق ، ص ٢٢ ، ٢٥ ، ٣٤ ، ٤١ .
(٨) لم يذكره بالاسم وإن كان من الواضح انه يقصد به محمد حافظ رمضان باشا رئيس الحزب الوطنى والذى كان قد ادلى
بتصريح حول الدفاع المشترك اثار سخطا وردود فعل عديدة .
(٩) المرجع السابق ، ص ٤٦

الوزير الى أن الحكومة قد ارتأت فى النهاية احالته الى المعاش [10] كما تقدم نفس النائب بعد ذلك بسؤال الى الحكومة حول موقفها من فكرة الدفاع المشترك وهل هو موضوع مساومة مع الانجليز ، وعما اذا كانت الحكومة تعتزم سن القوانين التى توقف « الطابور الخامس » عند حده ، وهو الطابور المكون من المصريين الذين يدعون لفكرة الدفاع المشترك والتعاون مع الانجليز [11] .

ويضاف الى ماسبق ان المناقشات التى دارت فى مجلس النواب فى اغسطس ١٩٥١ حول تصريحات وزير الخارجية البريطانى (موريسون) فى مجلس العموم البريطانى بخصوص المرحلة التى وصلت اليها المباحثات قد تطرقت من خلال أحد الاسئلة التى وجهت الى وزير الخارجية الى موضوع الدفاع المشترك باعتباره الهدف الأول للمفاوض البريطانى على الرغم من معارضة الشعب المصرى بكافة فئاته لهذا الهدف لتعارضه مع امانيه الوطنية [11] .

وعندما قامت الحكومة المصرية بالغاء معاهدة ١٩٣٦ واتفاقيتى ١٨٩٩ فى ٨ أكتوبر ١٩٥١ سارعت الدول الأربع (بريطانيا ، الولايات المتحدة ، فرنسا ، تركيا) الى التقدم اليها فى ١٣ أكتوبر ١٩٥١ بعدد من المقترحات لتكون بديلا عن معاهدة ١٩٣٦ فاجتمع مجلس الوزراء فى اليوم التالى وقرر رفض هذه المقترحات من اساسها ، واكد عدم صلاحيتها لأن تكون تمهيدا لاجراء مباحثات جديدة للتوصل الى اتفاق جديد . وقام وزير الداخلية والمالية (فؤاد سراج الدين) باعلان قرار مجلس الوزراء برفض هذه المقترحات بالاجماع وذلك فى جلسة مجلس النواب التى نظر فيها تقرير اللجنة الخاصة بنظر تشريعات الغاء معاهدة ١٩٣٦ واتفاقيتى سنة ١٨٩٩ ، وقد أكد الوزير على مواقف مجلس الوزراء المصرى من رفض هذه المقترحات ، وقال أن من حق المجلس وهو يبحث مشروع قانون الغاء معاهدة سنة ١٩٣٦ ان يقف على قرار مجلس الوزراء فى هذا الشأن ليكون قراره بعد الاطلاع على كل الظروف والملابسات ، وقد قوبل هذا بتصفيق حاد ومتصل من قبل الأعضاء [13] .

وقد يكون من المناسب أن نختم هذا الجزء بتناول موقف المجلس من الولايات المتحدة باعتبارها قائدة التحالف الغربى ، ويمكن القول بوجود ادراك ووعى لدى بعض النواب بحقيقة الارتباط بين الاستعمار البريطانى وبين الولايات المتحدة الامريكية ، وقد يفسر هذا الادراك بخبرة الحركة الوطنية المصرية مع الولايات المتحدة ، فهناك مثلا موقفها من قضية مصر فى المحافل الدولية ، والدور الذى لعبته فى تكوين ودعم اسرائيل ، ثم اشتراكها فى اعمال مثلت صدمة للشعور الوطنى باعتبارها صورة جديدة من صور التسلط الاستعمارى مثل اصدار البيان الثلاثى ومشروع قيادة الشرق الاوسط ، على انه لايمكن الادعاء بأن هذا الادراك لحقيقة الارتباط البريطانى الامريكى كان عاما ، أو ان ادانة الولايات المتحدة كانت شعارا مرفوعا داخل البرلمان على نطاق واسع ، اذ يلاحظ أن الاصوات التى كانت ترتفع فى هذا الشأن كانت قليلة ، ولعل هذا يفسر تكرار اسم السائل او المستجوب فى كثير من الاحيان بالنسبة لهذه الموضوعات .

وتؤكد متابعة مناقشات مجلس النواب الاحكام السابقة ، ففى مايو ١٩٥٠ تحدث النائب الوفدى د . محمد بلال عن حقيقة الولايات المتحدة الامريكية فوضعها فى مصاف الدول الاستعمارية ، واشار الى انها قد تخلت دائما عن كل المواثيق التى وضعتها ، مثل مبادىء ولسن الأربعة عشر وميثاق الاطلنطى ، ثم ميثاق الامم المتحدة ، واشار الى دورها فى ضياع فلسطين سواء قبل اندلاع الحرب الفلسطينية أم بعد ذلك ، وكذلك الى هدف المعسكر الانجلو امريكى من خلق دولة اسرائيل فى المنطقة كركيزة له ، ثم عرض لموقف امريكا من اللاجئين الفلسطينيين وكيف حرمتهم من مساعداتها سواء فى شكل اعانات او قروض ، وعرض لضخامة الدعاية الصهيونية فى الولايات المتحدة وتأثيرها على الرأى العام هناك [14] .

ومن ناحية اخرى كانت مناقشة موضوع التعاون الفنى بين مصر والولايات المتحدة طبقا للنقطة الرابعة

---

(١٠) وقد وافق المجلس بعد ذلك على الانتقال الى جدول الاعمال . انظر : المرجع السابق ، مضبطة الجلسة السادسة (١٩٥٠/١٢/٢٥) ، ص ١٣ ـ ١٧ .

(١١) انظر : المرجع السابق ، المجلد الثالث ، مضبطة الجلسة الخامسة والعشرين (١٩٥١/٥/١) ، ص ٢٦ .

(١٢) تقدم بهذا السؤال النائب الوفدى السيد مرزوق . انظر : المرجع السابق ، المجلد الرابع ، مضبطة الجلسة الثامنة والثلاثين (١٩٥١/٨/٦) ، ص ٤ .

(١٣) المرجع السابق ، المجلد الخامس ، مضبطة الجلسة السابعة والاربعين (١٥ ، ١٦ ـ ١٩٥١/١٠/١٧) ، ص ٧ .

(١٤) انظر المرجع السابق ، دور الانعقاد العادى الاول ، المجلد الثانى ، مضبطة الجلسة الثامنة والعشرين (١٩٥٠/٥/٢٩) ، ص ٤٦ ـ ٥٣ .

من البرنامج الذى طرحه الرئيس الامريكى ترومان (١٥) ، نافذة مناسبة لالقاء الضوء على موضوع التحليل ، فقد حظى هذا الموضوع بوجهات نظر متباينة بعضها مؤيد والبعض الاخر معارض او متحفظ ، وكان قد احيل الى مجلس النواب الذى احاله بدوره الى اللجنة المختصة وهى لجنة الشئون الخارجية لتقوم بدراسة وتقديم تقرير عنه ، وفى يوليو ١٩٥٠ تقدم النائب الوفدى عبد الحى عامر بسؤال حول النقطة الرابعة وجهه الى وزير الاقتصاد الوطنى (١٦) الذى قام بالرد مشيرا الى أنه قد تألفت بوزارة الخارجية المصرية لجنة من ممثلى الوزارات المختصة لبحث موضوع الانتفاع من المساعدة الفنية وفقا للنقطة الرابعة من برنامج الرئيس ترومان ، والى ان هذه اللجنة ماتزال تدرس الموضوع من جميع نواحيه لترى ماأذا كان من الفائدة الانتفاع به أم لا (١٧) .

وفى شهر يونيو من العام التالى (١٩٥١) نظر المجلس تقرير لجنة الشئون الخارجية حول الموضوع ، وقد طرحت فى البداية وجهة نظر عبر عنها النائبان مصطفى موسى (وفدى) ود . نور الدين طراف (وطنى) بطلب تأجيل المناقشة نظرا لأهمية الموضوع ولاتاحة الفرصة لدراسته بعمق اكثر ، الا أن رئيس لجنة الشئون الخارجية (يس سراج الدين) والنائب الوفدى سليمان عبد الفتاح عارضا هذا الرأى بحجة أن الموضوع عاجل ، وانتهى الامر بأخذ الرأى فرفض الأعضاء التأجيل (١٨) .

ويمكننا من تتبع المناقشة فى هذه الجلسة أن نلاحظ عدة أمور اولها أن الاسماء التى شاركت بفاعلية فى هذه المناقشة هى نفس الاسماء تقريبا التى نجدها فى كل الموضوعات الخاصة بالقضية الوطنية والسياسة الخارجية كالدكتور محمد بلال وابراهيم طلعت وابراهيم شكرى ود . نور الدين طراف .... الخ ، وثانيها اننا لانجد وحدة فى الرأى بين النواب الوفديين ازاء هذا الموضوع ، فقد كانت أكثر الاراء تطرفا فى رفض هذا المشروع لنواب وفديين ، وفى نفس الوقت كانت هناك أراء وفدية أخرى تقف على النقيض من ذلك، فى حماسها الشديد لهذه الاتفاقية ودعوتها للموافقة عليها ، وكان هذا يعكس بوضوح عدم وجود وحدة أو اتساق فكرى سواء بين الاعضاء انفسهم أو بينهم وبين راى قيادة الحزب والحكومة كما عبر عنها فى هذا الشأن د . محمد صلاح الدين وزير الخارجية .

ويوضح تتبع المناقشة هذه المسألة .

فبالنسبة للأراء الرافضة لهذه الاتفاقية استند النائب الوفدى د . محمد بلال فى رفضه الى وجود حساب لم يصف بعد بين الدول العربية وامريكا حيث ساهمت هذه الأخيرة فى اقامة اسرائيل لتكون شوكة فى قلب العالم العربى ، ثم اكتفت بعد ذلك بتقديم مساعدات تافهة الى العرب ، واشار الى انها اذا كانت تريد مساعدة مصر حقا فان عليها ان تتدخل لمعاونتها فى الحصول على الجلاء ، واعرب عن مخاوفه من أن يكون هذا المشروع وسيلة لفرض السيطرة الامريكية .

أما النائب الاشتراكى ابراهيم شكرى فقد بنى معارضته على أساس ادراكه لأهداف الولايات المتحدة من هذا المشروع الذى رأى فيه محاولة لتنسيق اقتصاديات الدول — التى قيل أنها متخلفة — مع اقتصاديات الولايات المتحدة حتى يمكن الاقتصاد الامريكى من فرض سيطرته على اقتصاديات العالم ، ودلل على ذلك بعبارات وردت فى نص المشروع الامريكى مما يؤكد انه يمثل استعمارا مقنعا ، واستكمل معارضته لهذه المعونة الفنية بأن مصر لاتعانى من قلة هذه المعونات وانما من ان كثيرا من المشروعات فيها تقتل بحثا ثم لاتنفذ ، وطالب بالتماس المعونة الفنية من بلاد لامطمع لها مثل سويسرا والسويد والنرويج وما اليها .

وقد أكد النائب الوطنى د . نور الدين طراف على نفس هذه المعانى ، واضاف الى ذلك حديثه عن الخطورة التى تكمن فى تدفق رأس المال الامريكى ليسيطر على الاقتصاد فى مصر ، وضرب مثلا بما يحدث فى ايران حيث تستنزف رؤوس الاموال الانجليزية عائدات البترول الايرانى بينما يتضور الناس جوعا ، كما انه لو حدث وقررت مصر القيام بحركة تأميم فان

---

(١٥) وجدير بالذكر ان هذا الموضوع عندما عرض على مجلس الوزراء لم يحظ بموافقة اجماعية عليه حيث عارض الاتفاقية محمود سليمان غنام (وزير التجارة والصناعة) لانها تسمح بالتغلغل فى شئون مصر الداخلية ، كما انها قد تمكن بعض الخبراء اليهود المنتمين للولايات المتحدة من معرفة احصائيات البلاد ، ووفقا لهذه الملاحظة اعلن وزير الداخلية انه سيشير بعدم دخول الخبراء اليهود ، وانتهى الامر بموافقة اغلبية الوزراء على الاتفاقية انظر : محمد فريد حشيش ، مرجع سابق ، ص ٢٨٧ .

(١٦) وقد نشر نفس النائب مقالا فى جريدة الاهرام دافع فيه بشدة عن مشروع النقطة الرابعة وطالب بالانتفاع به « خصوصا وانه لايوجد فيه مكان للافكار الاستعمارية البالية ، ولانه يقوم على تعاون الطرفين على مبادىء الديمقراطية المعادلة » . انظر : عبد الحى عامر ، مصر الحديثة وامريكا . حول النقطة الرابعة من مشروع ترومان ، فى : الاهرام ، ٢/٨/١٩٥٠ ، ص ٣ .

(١٧) انظر مجموعة مضابط مجلس النواب ، الهيئة النيابية العاشرة ، دور الانعقاد العادى الاول ، المجلد الرابع ، مضبطة الجلسة السابعة والثلاثين (١٠/٧/١٩٥٠) ، ص ١١ .

(١٨) المرجع السابق ، دور الانعقاد العادى الثانى ، المجلد الثالث ، مضبطة الجلسة الثالثة والثلاثين (٢٥/٦/١٩٥١) ، ص ٨ .

الولايات المتحدة ستتدخل لحماية مصالحها المالية مثلما حدث من بريطانيا هناك . وانتهى بالمطالبة برفض المشروع حتى لايحل الاستعمار الامريكي محل الاستعمار البريطاني .

اما النائب الوفدى سليمان عبد الفتاح فقد رفض الحجة التى تبرر اللجوء الى عقد مثل هذا الاتفاق بالحاجة الى الاستعانة بالفنيين الامريكيين ، ذلك أن هذا الامر لايحتاج الى عقد اتفاق ، فمصر تملك حق الاستعانة بالخبراء من أى مكان ، وأكد أن الاحتلال السياسي يسبقه دائما احتلال اقتصادى وضرب مثالا لذلك بقناة السويس وماجلبته على مصر من متاعب .

وقد وافق النائب الوفدى ابراهيم طلعت على كل الاراء السابقة وأضاف اليها مخاوفة من الأخطار التى يمكن أن تترتب على الموافقة على هذا المشروع ومنها أن هذه الاتفاقية الفنية ستتلوها اتفاقية اقتصادية ، وسيقوم تنافس بين رؤوس الاموال الامريكية والانجليزية مما يعرض البلاد لكثير من القلاقل كما حدث فى سوريا وايران ، كما أن هذه الاتفاقية وماسيتلوها من حصول امريكا على العديد من المعلومات الفنية والتسهيلات العديدة ستمهد للارتباط بالعجلة الامريكية ، ودلل على ذلك بما حدث فى مشروع مارشال الذى انتهى بتكوين حلف الاطلنطى ، وهو الامر الذى اعتبره أحد اسباب التأثير السلبى على المشروعات الانشائية والاقتصادية والاجتماعية والعمرانية للدول المنضمة الى هذا الحلف (١٩) .

اما آراء المطالبين بالموافقة على هذا المشروع فقد عبر عنها عدد من النواب الوفديين ايضا فطالب النائب الوفدى على عبد العظيم بعدم الربط بين هذا الاتفاق الفنى وبين الاعتبارات السياسية ، وأكد أنه ليس ثمة مايدعو للخوف طالما كان هناك سعى جاد من أجل الاستقلال ، كما أن حاجة مصر للتقدم وللحصول على العلم تجعل من غير المنطقى رفض هذا المشروع .

واعتمد النائب الوفدى د . رياض شمس فى مطالبته بالموافقة على هذه الاتفاقية على حجة مؤداها أن العقل الامريكى لم يعد عقلا امريكيا بحتا ، بل أصبح يمثل صفوة العقل البشرى خاصة وان كثيرا من العلماء بالولايات المتحدة اتوا من خارجها ، واشار الى أن امريكا بتقديمها هذا المشروع لاتمن على مصر ، ذلك أن مصر صاحبة فضل كبير عليها وعلى انجلترا أثناء الحرب ، يضاف الى ذلك أن الاتفاقية ليست موجهة الى مصر بالذات ، ويعنى ذلك أنها لاتشكل تدخلا فى شئونها .

وقد أكد النائب الوفدى د . أمين المغربى على نفس هذه المعانى مطالبا بضرورة الفصل بين العلم والسياسة ، ذلك أنه لو نفذت مصر مبدأ العداء السياسى لكان معنى ذلك أن تقف بمعزل عن العالم .

كما أضاف النائب الوفدى عبد المجيد عبد الحق بعك الى ماسبق أن السياسة تفترض امكانية التحالف حتى بين الاعداء اذا اتحدت مصالحهم ، وضرب مثالا لذلك بالتحالف بين انجلترا وروسيا فى الحرب العالمية الثانية ، وأشار الى ان امريكا تقدم معونتها الفنية لاحبا فى مصر ولكن خوفا من تسرب الشيوعية الى منطقة الشرق الاوسط ، وأكد ان مصر تستطيع الاستفادة من مثل هذه المعونات خاصة وان الاتفاق لايحجر على حقها فى التعاقد مع الخبراء من أى دولة اخرى .

اما وجهة نظر لجنة الشئون الخارجية فقد عبر عنها رئيسها النائب الوفدى يس سراج الدين ، وكانت اللجنة قد وافقت على مشروع الاتفاقية ، وقد استندت فى مطالبته للأعضاء بالموافقة على هذا المشروع الى عدة نقاط اولها أن هناك عقدة نفسية تعانى منها السياسة المصرية وترجع الى كل مايتصل باسرائيل حتى قد وصل الامر الى رفض المنفعة التى ستعود من هذه الاتفاقية بحجة ان امريكا عدوة لمصر وللبلاد العربية بسبب موقفها من اسرائيل ، وتساءل عما اذا كان من الحكمة رفض المعونة الامريكية اذا عدلت امريكا عن مسلكها ومدت يدها الينا ، أما النقطة الثانية فتنطلق من أن هناك علاقات قائمة بالفعل مع امريكا ، فمصر ترسل البعثات اليها وتستقدم الخبراء منها ، فليس هناك اذن مايمنع من وضع هذا الامر فى شكل اتفاقية ، خاصة وأن ذلك سيمكن مصر من الحصول على نفس هذه الخدمات دون مقابل ، وأكد أن الاعضاء قد فهموا بعض عبارات الاتفاقية فهما خاطئا ، فالاتفاقية ضمن تبادل المعونة الفنية بين مصر وامريكا على قدم المساواة وليس تقديم مساعدة من قبل امريكا ، يضاف الى ذلك أن البعض قد فهم خطأ عبارة الدول المتخلفة التى اوردتها الاتفاقية ، فقد قصد بها الدول التى لم تستكمل بعد نموها الاقتصادى ، والتى تنتمى اليها مصر ، دون أن ينكر احد استقلالها وصوتها المسموع فى المنظمات الدولية ، وأكد أن حسن تنفيذ هذه الاتفاقية انما يتوقف على الحكومات المشرفة على هذا الامر ، اذ يمكنها أن تصل من ذلك الى تحقيق افضل النتائج ، كما أنها لاتمنع من اتفاق مصر مع اية دولة اخرى من دول العالم التى تستفيد من النقطة الرابعة ، وان الخبراء

(١٩) انظر المرجع السابق ، ص ٩ ـ ١٦ .

الذين سيعملون طبقا لهذه الاتفاقية لن يقوموا بالدور الذى سبق ان قام به المستشارون الانجليز لأن المقصود منها هو تنظيم العمل وتسهيله بدليل الامتيازات التى تضمنتها هذه الاتفاقية كالاعفاءات الجمركية وغيرها من التسهيلات الاخرى ، وأنهى اراه بالرد على ماقيل عن خطورة تدفق رؤوس الاموال الامريكية الى مصر بأن هذا يناقض ماسبق أن نادى به بعض الاعضاء - عند نظر المجلس فى مشروعات الضرائب - حيث اعترضوا على كثرة فرض الضرائب بسبب ماسيترتب على ذلك من تسرب رؤوس الاموال الاجنبية من مصر ، وأشار الى أن هذا كان يعكس اهتمامهم بتدفق هذه الاموال الى مصر ، ودعا المجلس فى النهاية الى الموافقة على هذه الاتفاقية .

وقد علق وزير الخارجية ببيان حول الموضوع اكد فيه حرص الحكومة على سيادة واستقلال مصر ، وعلى أنها لايمكن ان تفرط فى أى منهما ، ثم علق على راى المعارضين بأنهم يقيسون امور القرن العشرين بمقياس القرن الثامن عشر او التاسع عشر ، ودلل على ذلك بأنهم حين تناولوا الاستعمار نسوا ان الامور قد تغيرت حيث انتهى الاستعمار فى كثير من الدول التى حصلت على استقلالها ، كما استقرت نظم جديدة فى العلاقات الدولية تمثلت فى ميثاق عصبة الامم وفى ميثاق الامم المتحدة ، واكد أن هذه الاتفاقية انما تستند الى قرار للمجلس الاقتصادى والاجتماعى التابع للأمم المتحدة فى دور انعقاده التاسع بتاريخ ١٥ اغسطس سنة ١٩٤٩ يقضى بتبادل المعونة الفنية بين الدول الاعضاء بغرض رفع المستوى الاقتصادى والاجتماعى لشعوب البلاد التى لم تستكمل بعد نموها الاقتصادى ، واكد أن القرار لم يستخدم عبارة الشعوب المتأخرة أو المتخلفة كما نص على أن المساعدة الفنية لن تقدم الا بالاتفاق مع الحكومات بناء على طلبها ، ويعنى ذلك أن الحكومة المصرية كانت حرة فى قبول قرار المجلس الاقتصادى او رفضه ، وقد قبلته كما قبله البرلمان المصرى عندما عرض عليه فتح اعتماد اضافى لسداد حصة مصر فى تنفيذ البرنامج الذى اشتمل عليه القرار فوافق على ذلك ، واضاف الوزير أن الولايات المتحدة وهى تعقد مثل هذه الاتفاقات تسعى لتحقيق عدد من الاهداف ، بعضه مقبول ويمكن الاستفادة منه مثل تخوفها من انتشار الشيوعية ، واكد ان مصر لاتجد اى مانع فى التعاون مع الولايات المتحدة الامريكية فى هذا الامر مهما كانت وجوه الخلاف بين سياستيها فى النواحى الاخرى ، واشار الوزير الى أن هناك دولا كثيرة تسعى للاستفادة من المشروعات الامريكية بعضها دول كسويسرا تلتزم بسياسة الحياد الدائم ، وخلص من ذلك الى رفض الادعاء بأن المشروعات الامريكية مجرد شباك تصطاد بها الولايات المتحدة غيرها من الدول ، اذ لايعقل أن يقبل كل هذا العدد هذه السيطرة بكامل ارادته .

ثم عرض الوزير لموضوع تدفق رؤوس الاموال الامريكية فأكد ان مصر قد حرصت على الفصل بين مسألة تبادل المعونة الفنية وبين استثمار رؤوس الأموال الامريكية ، وتساءل عما يضير مصر من الاستفادة - حرة مختارة - برؤوس الاموال الاجنبية بما فيها رؤوس الاموال الامريكية خاصة وهى تسعى لتشجيع حركة رؤوس الاموال الى مصر ، كما رد على ماقاله النائب ابراهيم طلعت حول الخطر الذى قد ينجم عن التنافس بين رؤوس الاموال الامريكية والانجليزية ، وماضربه من امثلة بما حدث فى سوريا وايران ، فأكد أن ماحدث هناك يؤيد وجهة نظر الحكومة لاوجهة نظر النائب ، فقد أدى هذا التنافس الى استقلال سوريا ، كما أدى فى ايران الى الموقف المجيد الذى تقفه الحكومة الايرانية ضد بريطانيا العظمى . وأكد الوزير فى نهاية بيانه على أن الحكومة تعرف كيف تفرق بين المواقف السياسية والشئون الفنية والاقتصادية لما فيه مصلحة مصر وتقدمها

وقد علق النائب الوفدى مصطفى موسى على بيان الوزير فاعترض على وصف الوزير للمعارضين بأنهم يفكرون بعقلية القرن التاسع عشر فى أمور القرن العشرين ، وأشار الى أن القرن العشرين لم يأت بجديد بالنسبة للقضية الوطنية ، فالاحتلال مازال قائما ، ونعى على الوزير تمسكه ببعض الضمانات القانونية الواردة فى الاتفاقية ضاربا المثال على ذلك بأن دستور الامم المتحدة قد تضمن نصا صريحا على عدم احقية اية دولة فى أن تبقى جيوش احتلال فى ارض اية دولة اخرى دون موافقتها ، وعلى الرغم من هذا فان ذلك النص لم تكن له أية قيمة حين عرضت مصر قضيتها امام مجلس الامن ، واضاف النائب بأن الهدف المشترك بين مصر والولايات المتحدة فى مكافحة الشيوعية يجب أن يقترن بالادراك الواضح .

واعلام الامريكيين بذلك - بأن الاستعمار من احد اسباب انتشار الشيوعية ، ومن ثم فعلى الولايات المتحدة أن تعمل على جلاء الجيوش البريطانية عن مصر ، وأكد أن ماضى الولايات المتحدة سواء فى موقفها من اسرائيل او تأييدها لبريطانيا يجعل الشعور بأن لها من النوايا مالا يمكن الاطمئنان اليه شعورا

منطقيا[٢٠] .

وبعد ذلك أعلن رئيس المجلس بأن هناك اقتراحا باقفال باب المناقشة تقدم به اكثر من عشرين عضوا ، وقد وافق المجلس على ذلك ثم اخذ الرأى على الاتفاق فوافق المجلس عليه موافقة عامة ، كما أخذ الرأى عليه بالنداء بالاسم بعد ذلك . فوافق عليه ١٦٤ عضوا ورفضه النائب السعدى د . حامد خليل الشريف ، كما امتنع النائب الوفدى احمد حمادى عن ابداء الرأى[٢١] .

ثانيا ـ مجلس الشيوخ : يمكن القول بأن مناقشات مجلس الشيوخ قد عرضت بصفة عامة لنفس الموضوعات التى تناولها مجلس النواب بخصوص التحالف الغربى ، وذلك مع خلاف فى التفاصيل بطبيعة الحال .

وقد أثير موضوع الدفاع المشترك بالنسبة لمجلس الشيوخ بطريق غير مباشر فى بداية الامر ، وذلك فى سياق حوار سياسى شارك فيه بعض اعضاء المجلس ، وقد بدأ الحوار بتصريحات فى مارس ١٩٥١ لرئيس الحزب الوطنى (محمد حافظ رمضان باشا) عضو مجلس الشيوخ فى ذلك الوقت هاجم فيها فكرة الدفاع المشترك[٢٢] ، وبعد يومين صرح ابراهيم عبد الهادى باشا (رئيس الحزب السعدى وعضو مجلس شيوخ) عندما سئل عن رأيه فى الدفاع المشترك فى سياق التعليق على آراء حافظ رمضان بأنه يجب على الحكومة وهى القائمة بالمحادثات ان تبين رأيها فيه خاصة بعد أن اعلنت فيما سبق أنها لاترضاه ، أما بالنسبة للمعارضة فلم تتناول بحث هذا الموضوع ، ولم يعرض عليها [٢٣] .

وقد تكفل فتحى رضوان فيما بعد بأن يوضح الابعاد الحقيقية لمعارضة حافظ رمضان للدفاع المشترك ، فقد ذكره فى مقالة نشرها بالاهرام فى ١٧ مارس ١٩٥١ بتصريحه ـ أى تصريح حافظ رمضان ـ الذى أدلى به فى ١٣ نوفمبر ١٩٤٨ ، والذى قال فيه بالحرف « ان المهيمنين على العالم اليوم يتطلعون بل يتمنون خط دفاع ثانيا للشيوعية ، ولن يجدوا خيرا من مصر المتحالفة هذا الخط القوى ، وعندها تحل قضيتنا على صورة مرضية ، ونحقق اهدافنا ، لأن انجلترا بل العالم اجمع سينظر الينا نظرة جديدة » ، كما ذكر فتحى رضوان انه اطلع على صورة تقرير أو مذكرة كتبها حافظ رمضان تناول فيها الدفاع عن قناة السويس واقترح أن يوكل هذا الدفاع الى بضع دول منها انجلترا وامريكا[٢٤] . وقد رد حافظ على هجوم فتحى رضوان بالقول بأن الدفاع المشترك صيغة استعمارية جديدة ، أما المحالفات التى يدعو اليها فلا تفرض احتلال احد المتعاقدين بلاد الآخر الا اذا رغب احدهما فى ذلك ، ولكل منهما ان يحدد وحده معنى خط الحرب ويطلب العون أو سحب جنوده فى حالة زوال الخطر ، فاذا امتنع عن الجلاء بمجرد طلبه اعتبر هذا اعتداء واصبحت الجنود المحتلة أسرى حرب [٢٥] .

وقد أثير موضوع الدفاع المشترك فيما بعد داخل المجلس بطريق مباشر ، ولم تكن معارضته هى دائما كتلك المعارضة الشكلية التى ابداها حافظ رمضان . وكانت المناسبة الاولى التى تناول فيها مجلس الشيوخ موضوع الدفاع المشترك هى مناقشة تقرير لجنة الخارجية حول مشروع القرار المقدم من د . محمد حسين هيكل بأن يدلى وزير الخارجية ببيان عن المحادثات السياسية والمالية مع بريطانيا ، وكان هيكل قد طرح تساؤلا عما اذا كانت مسألة الدفاع عن الشرق الاوسط تحتل الموضوع الاساسى فى المباحثات المصرية البريطانية . واذا كان وزير الخارجية قد رفض الادلاء بأية تفصيلات عن المباحثات ومضمونها الا أنه قرر أن الحكومة البريطانية تراعى مسألة الدفاع عن الشرق الاوسط وهذا من حقها فى نفس الوقت الذى من حق مصر مراعاة مطلبها الاساسى فى الجلاء ووحدة وادى النيل ، ومن ناحية اخرى أعرب الشيخ السعدى محمد خطاب فى مناقشات تالية عن رفضه لفكرة الدفاع المشترك ولحجة بريطانيا فى التمسك بها بقوله « لايوجد شىء اسمه الدفاع المشترك فى زمن السلم ، فالدفاع لايقوم الا اذا كان هناك هجوم ، واذا كان ثمة هجوم فهناك حرب ، وعلى هذا ارجو الا يكون هناك مجال للمساومة على هذا الامر [٢٦] .

وفى أعقاب قرار الحكومة بالغاء معاهدة ١٩٣٦

---

(٢٠) المرجع السابق ، ص ٩ ـ ٢١ .
(٢١) انظر : المرجع السابق ، ملحق (٣) ، (١٩٠١/٦/٢٧) ، ص ٩٨ ـ ٩٩ .
(٢٢) انظر : الاهرام ، ١٩٥١/٣/١٣ ، ص ٥ .
(٢٣) الاهرام ، ١٩٥١/٣/١٥ ، ص ٥ .
(٢٤) فتحى رضوان ، حافظ رمضان والدفاع المشترك ، الانجليز وحدهم ام الانجليز والامريكان معا ، فى : الاهرام ، ١٩٥١/٣/١٧ ، ص ٥ .
(٢٥) حافظ رمضان باشا ، التحالف شىء ، الدفاع شىء اخر : فى الاهرام ، ١٩٥١/٣/١٨ ، ص ٥ .
(٢٦) مجموعة مضابط وملاحق مجلس الشيوخ ، دور الانعقاد العادى السادس والعشرون ، المجلد الثانى ، مضبطة الجلسة التاسعة والعشرين (١٩٥١/٥/٢٨) ، ص ٢ ـ ٢١ ، ٣ ـ ٢١ .

واتفاقيتي ١٨٩٩ بخصوص السودان وما اثاره ذلك من ردود فعل واسعة لدى بريطانيا على النحو السابق الاشارة اليه ، ثم رفض الحكومة المصرية للمقترحات الخاصة بالدفاع عن الشرق الاوسط ، ثم تتوالى الحوادث على النحو الذى انتهى باقالة حكومة الوفد وتولي حكومة على ماهر باشا للحكم ، وجه الشيخ الوفدي د . حامد زكى سؤالا الي وزير الخارجية حول خطاب تشرشل رئيس الوزراة البريطانية فى ١٧ يناير ١٩٥٢ الذى دعا فيه الولايات المتحدة وفرنسا وتركيا – باعتبارها دولا مشاركة فى مقترحات الدفاع عن الشرق الاوسط – الى انزال قوات عسكرية ولو بصفة رمزية فى قنال السويس ، وتساءل الشيخ الوفدى عما اذا كان وزير الخارجية لايرى فى هذه الدعوة تحديا سافرا للسيادة المصرية على جزء هام من اقليمها ، ودعوة صادرة من غير ذى صفة ، وكذلك عن الاجراءات التى تنوى الحكومة اتباعها ردا علي هذا التحدي وتفنيدا للمزاعم التي استند اليها تشرشل . وقد رد وزير الدولة « بالنيابة عن وزير الخارجية » بان خطاب تشرشل قد القى بتاريخ ١٧ يناير ١٩٥٢ اى فى عهد تولي الوزارة الوفدية للحكم ، وقد اتخذت وزارة الخارجية اذ ذاك الاجراءات اللازمة فى مثل هذه الاحوال ، وان شيئا لم يجد فى هذا الموضوع فى عهد الوزارة الحاضرة[٢٧] .

وفيما يتعلق بموقف مجلس الشيوخ من البيان الثلاثي اتضح ذلك الموقف من مناقشات المجلس لتقرير لجنة الخارجية عن الاقتراح بمشروع قرار برغبة من الشيخ الوفدى احمد ابو الفتوح بان تكيف الحكومة المصرية سياستها نحو الولايات المتحدة علي ضوء سياسة هذه الاخيرة نحو مصر وبلاد الشرق الاوسط ، وكان التقرير قد تناول ضمن ما تناوله اشتراك الولايات المتحدة فى اصدار البيان الثلاثي ، ولذلك لم يكن غريبا ان تتطرق المناقشات الي هذا البيان ، وقد تناولته بعض الاراء بالنقد من زاوية تكريسه للوضع العسكرى الراهن لدول المنطقة بما يفيد الحفاظ علي تفوق اسرائيل ، كما نوه بعض الاعضاء بما فى البيان من شبهة احياء للنفوذ الدولي ، اذ حرصت انجلترا على ان يكون تبليغه لمصر والعراق وشرق الاردن عن طريقها ، كما ابلغت الولايات المتحدة كلا من اسرائيل والمملكة العربية السعودية ، وفرنسا كلا من سوريا ولبنان[٢٨] .

اما الموضوع الثالث المتعلق بالموقف من التحالف الغربي فى مناقشات مجلس الشيوخ فكان متصلا بالموقف من الحرب فى كوريا ، ففى ٣١ يوليو ١٩٥٠ وجه الشيخ المستقل عبد السلام محمود سؤالا الي وزير الخارجية عما اذا كان الوزير قد وجه نظر الحكومتين الانجليزية والامريكية الي الخبرة المستمدة من حوادث كوريا من انه بدون تسليح واعداد الجيوش الوطنية لا تكون هناك اية قيمة للدفاع عن طريق وجود قوات اجنبية دون ان يترتب على ذلك تضحيات هائلة ، وهو الامر الذي تدفع ثمنه امريكا غاليا فى كوريا مما يثبت خطر عدم تسليح مصر وبلاد الشرق الادني حيث ان ذلك لا يهدد هذه البلاد وحدها بل يهدد سلامة انجلترا وامريكا نفسيهما . وقد رد وزير الخارجية بالموافقة علي العبرة التي استخلصها السائل من حوادث كوريا ، واكد ان الحكومة المصرية لا تغفل استخدام هذه العبرة فيما تعمل عليه من المبادرة الي تسليح مصر كي تصبح عاملا فعالا فى الدفاع عن النفس وحفظ الامن الدولي بالشرق الاوسط[٢٩] .

وفى ٥ فبراير ١٩٥١ ورد الى مجلس الشيوخ اقتراح بمشروع قرار مقدم من د . محمد حسين هيكل تلبية للنداء الذي وجهته اللجنة التنفيذية للاتحاد البرلماني الدولي فى اجتماعها يوم ٥ يناير سنة ١٩٥١ الى جميع البرلمانات لبذل جهودها لوقف القتال الدائر فى كوريا كنوع من التمهيد لتسوية المنازعات العالمية تسوية سليمة ، وقد اشار مشروع القرار الي ان مصر كانت ولا زالت فى طليعة الدول التى تنبذ سياسة اللجوء الي القوة فى الخلافات الدولية ، وتستنكر وجود قوات عسكرية فى اية بقعة من الارض ، واكد د . هيكل الي ان صدور قرار بهذا المعني من المجلس يساعد علي تحديد موقف مصر من النزاع المستمر بين الكتلتين الشرقية والغربية ، وانتهى الي الاقتراح بان يصدر المجلس قرارا « ينص على دعوة وزارة الخارجية المصرية الي ان تبذل غاية ما فى وسعها لحمل الدول والهيئات صاحبة الشأن على وقف القتال الذى يدور الان ، وعلي تسوية المنازعات الدولية تسوية سلمية على اساس سحب القوات العسكرية الاجنبية من جميع البلاد التى لا تزال تحتلها لاى سبب كان[٣٠] .

---

(٢٧) المرجع السابق ، دور الانعقاد السابع والعشرون ، مضبطة الجلسة الرابعة عشرة (١٩٥٢/٢/١٢) ، ص ٤٠٦ .

(٢٨) انظر : المرجع السابق ، دور الانعقاد العادى الخامس والعشرون ، المجلد الثانى ، مضبطة الجلسة الثامنة والعشرين (١٩٥٠/٦/٢٦) ، ص ١٥٨٢ .

(٢٩) انظر نص السؤال والرد عليه فى : المرجع السابق ، المجلد الثالث ، مضبطة الجلسة الثالثة والثلاثين (١٩٥٠/٧/٣١) ، ص ٢٥٣٧ .

(٣٠) انظر : المرجع السابق ، دور الانعقاد العادى السادس والعشرون ، المجلد الاول ، مضبطة الجلسة الثانية عشرة (١٩٥١/٢/٥) ، ص ٦٧٩ ـ ٦٨٠ .

وقد وافـق المجلس على احـالة الاقتـراح الى لجنة الشؤون الخارجية لتنظـره على وجـه الاسـتعجال ، وبالفعل قامت اللجنة بنظره فى ٢١ فبـراير ١٩٥١ ، فى اجتماع حضره وزير الخارجية د . محـمد صـلاح الدين الذى قـرر مـوافقته مـن غير تحفـظ على المشروع ، وانتهت اللجنة بالموافقة عليه ، كمـا دعت المجلس الى الموافقة ، واحالته الى وزارة الخارجية ووافق المجلس على تقرير اللجنة بالفعل[٣١] .

اما بخصوص موقف مجلس الشيوخ مـن الولايات المتحدة فقد سبقت الاشارة الى الاقتراح بمشروع قرار المقدم من الشيخ الوفدى احمـد ابـو الفتـوح الى لجنة الخارجية بمجلس الشيوخ حول ضرورة تكييف سياسة الحكومة المصرية نحو الولايات المتحدة وفقـا لسـياسة هذه الاخيرة نحو مصر وبلدان الشرق الاوسط ، هـذا وقد قدمت لجنة الخارجية تقريرها عن هـذا الاقتـراح الذى وافق عليه المجلس واحال هذا الاقتراح برغبة الى وزارة الخارجية .

وكان تقرير لجنة الخارجية قد اشار الى نظـر هـذا الاقتـراح بحضـور وزير الخـارجية ، ورئيس مجلس الشيوخ الدستورى « محمد حسـين هيكل بـاشا » ، والشيوخ ابراهيم عبد الهـادى بـاشا « سـعدى » ، عباس ابو حسين باشا « دستورى » ، احمد رمزى بك « دستورى » ابراهيم رشيد « وفـدى ». وقـد عرض الشيخ احمد ابو الفتوح لمضمون اقتراحه ثـم اعقبتـه مناقشات تركزت حول موقف مصر من الديمقـراطيات سواء فى الحرب العالمية الاولى او الثانية ، وكيف كانت تـأمل فى تحقيق الكثير لنصرة الشـعوب فى اعقـاب الحربين ، سواء للوفاء بالمبادىء التـى اعلنتهـا هـذه الديمقراطيات او تقديرا لموقف شعوب كالشعب المصرى منها فى الحرب ، فاذا الحوادث تثبـت العـكس ، واذا بعصبة الامم ثم هيئة الامم المتحدة تناصر القـوى على الضعيف كما اتضـح فى مـوقفها مـن مصر عند عرض قضيتها على مجلس الامن . كما تناولت المناقشـة دور الولايات المتحدة فى خلق وتدعيم دولة اسرائيل ، وكيف امدتها بالسلاح والعتاد وكانت اول دولة تعترف بها مما جعل الوضع فى صالح اسرائيل ، وتساءل المقتـرح لماذا تسمح السياسة الامريكية بـامداد دول كايران وتـركيا واليونان بالمساعدات المالية والحربية لتكون حصنا ضد الشيوعية وترفض ذلك على مصر التـى تعـد بمـوقعها ومركزها فى الشرق الاوسط اجدر للقيام بهذا الامـر ، وخلص مـن كل مـا سـبق الى ان الولايات المتحـدة وانجلترا لهما سياسة متوافقة ومن ثم فانه يجـب على مصر ان تكيف سياستها ازاء الولايات المتحـدة وفقـا لسياسة هذه الاخيرة تجاهها واشارت المناقشـات الى ان الولايات المتحدة عندما نفذت مشروع مـارشال قـد اختصت به كثيرا من الدول ولكنها اسـقطت مصر مـن الحسابات رغم وقوفها الى جانبها والى جانب بريطانيا فى الحربين .

وانتهى تقرير اللجنة ـ من خلال المناقشـات وبعـد الاسـتماع الى بيان مـن وزير الخـارجية ـ الى ان سياسة الولايات المتحـدة قـد اضـاعت ـ او كادت ـ الامل الذى علقتـه مصر والبـلاد العـربية ـ قـديما وحديثا ـ فى الولايات المتحدة كمثل سام لمعانى العـدل والحرية وحقوق الشعوب والبعد عن الاستعمار ، ممـا جعل هذه الشعوب فى حيرة مـن امـرها ممـا يضـع احتمالا ـ لو لم تدرك الولايات المتحـدة خـطورة هـذا الوضع ـ ان ترنو هذه الشـعوب ببصرهـا الى ناحية اخرى تتلمس فيها العدل والانصاف[٣٢]

وقد عرض مجلس الشـيوخ لمسـألة علاقـات مصر بالولايات المتحدة الامريكية ايضا فى سـياق مناقشتـه لمشروع النقطة الرابعة الأمريكى ، ففى مناقشات تقرير لجنة الرد على خطاب العرش فى دور الانعقـاد العـادى السادس والعشرين عرض الشيخ المستقل عبد السـلام محمود بك للجانب الاقتصـادى مـن خـطاب العـرش وتناول ـ ضـمن نقـاط كثيرة ـ مسـألة تمـويل المشروعات الكبرى ، فطالب الحكومة بعدم قبول النقطة الرابعة من تصريح ترومان ، واشـار الى أن امـريكا عندما ارادت أن تنقذ العالم من الازمة الاقتصادية بعـد الحـرب وضـعت مشروع مـارشال للأمـم المتحضرة كفرنسا وبلجيكا وانجلتـرا ، ثـم فـكرت بعـد ذلك فى مساعدة الامم التى سمتها « الامم المتـأخرة » وهـى التى تتناولها النقطة الرابعة ، وطالب العضو الحكومة بألا تقبل هذا المشروع حتى لاتأخذ مالا يأتى عن طريق الحـكومات الاجنبية ، لأن هـذا يؤدى الى سـيطرة اقتصادية اجنبية ، واشار الى مانشرته بعض الصحف من رغبة امـريكا فى أن تضـمن لأصـحاب الامـوال الامريكيين الذين يستثمرون أمـوالهم فى مصر تـأمين أموالهم ضد الثورات والحروب ونزع الملكية ، وتساءل عما اذا لم تكن هذه هى السيطرة الاقتصادية بعينهـا ، واشـار الى أنه من السهل الحصول على رؤوس الاموال

---

(٣١) انظر : المرجع السابق ، المجلد الثانى ، مضبطة الجلسة الثامنة عشرة (٥١/٣/٥) ، ص ١١٥٦ .

(٣٢) انظر : المرجع السابق ، دور الانعقاد العادى الخامس والعشرون ، المجلد الثانى ، مضبطة الجلسـة الثـامنة والعشرين (١٩٥٠/٦/٢٦) ، ص ١٦٧٨ ـ ١٦٧٩ .

الاجنبية بطرق اخرى كتعديل التشريعات الخاصة بحركة رؤوس الاموال بحيث يسمح لاصحاب الاموال الاجنبية أن يخرجوا أموالهم أو ارباحها في اي وقت يشاؤون مما يساعد على كثرة رؤوس الاموال الاجنبية في مصر خاصة وإن سعر ارباحها اعلى من أي سعر من الخارج[٣٣] .

وعندما عرض على مجلس الشيوخ فيما بعد مشروع القانون الخاص بالاتفاق العام للتعاون الفنى طبقا لبرنامج النقطة الرابعة بين مصر والولايات المتحدة انقسمت الاراء بين مؤيد ومعارض ومتحفظ . فقد عارض المشروع الشيخ الوفدى كامل اسماعيل السنيسى ، « لأنه ثغرة تنفذ منها الولايات المتحدة الى شؤوننا الخاصة المالية أولا والسياسية فيما بعد »[٣٤] . واشترك معه في هذا الرأى الشيخ الوفدى على الحلوانى لأن الاتفاق سيفتح الباب للنفوذ الاجنبي[٣٥] . اما الشيخ المستقل عبد السلام محمود بك فقد تشكك في الاثار التى يمكن أن تنتج عن هذه الاتفاقية ، وتساءل عن مسئولية الخبراء الامريكيين وعن الجهة التي سيقدمون اليها تقاريرهم[٣٦] .

وبخصوص وجهة النظر الاخرى نجد أن الشيخ السعدي محمد خطاب قد وافق على المشروع وان طالب بأن تدفع مصر نفقات الخبراء الامريكيين حتى لايكون هناك أى مجال لتدخل من قبل الولايات المتحدة ، وأيد الشيخ المستقل عبد القوى أحمد باشا الاتفاقية بشدة ، وأكد أن العلماء الامريكيين يعملون في صمت وبدون تدخل في شؤون مصر[٣٧] . وانتهى المجلس في هذه الجلسة بالموافقة على مشروع القانون من حيث المبدأ ، ثم تمت الموافقة عليه عن طريق النداء بالاسم في الجلسة التالية يوم ١٦ يوليو ١٩٥١ بأغلبية ٩٠ عضوا من مجموع الحاضرين وعددهم ٩٣ عضوا . وهو الامر

الذي يلقي ضوءا على وزن المعارضة السابق الاشا[ر] اليها للمشروع ، وكذلك على الالتزام الحزبى لبعض الذين عارضوه او كانت لهم تحفظات عليه .

ب ــ مصر والكتلة الشرقية : اقترنت الدعو[ة] باقامة علاقات مع الكتلة الشرقية بالمطلب الوطنى [في] الجلاء ، بمعنى أن كثيرا من الاراء التى ارتفعت تطال[ب] باستقلالية السياسة الخارجية المصرية وباقامة علاقا[ت] مع الكتلة الشرقية كانت تستند الى الرغبة في ممارس[ة] ضغط على بريطانيا بالتلويح بالتعامل مع اعدائه[ا] الشيوعيين وذلك لحملها على التسليم بالمطالب الوطني[ة] المصرية ، واحيانا كانت هذه الدعوة ترمى الى كس[ر] مصر لاحتكار السلاح بفتح اسواق جديدة امام الجيش المصرى للحصول على مايحتاجه من اسلحة وعتا[د] حربي بعد ان اغلقت بريطانيا امامه السبل في هذ[ا] الامر ، ولم تنفذ التزاماتها الملقاة على عاتقها بمقتض[ى] معاهدة ١٩٣٦ بصدد اعداد الجيش المصرى ليتول[ى] مسئولية الدفاع عن مصر . ويعنى هذا أن الدعو[ة] لاقامة علاقات بالكتلة الشرقية كان يغلب عليها الطاب[ع] المصلحى البحت ، كما أن الدعوة لاستقلالية مصر [في] سياستها الخارجية وحريتها في التعامل مع المعسك[ر] الاشتراكي كانت تقترن ــ كما سنرى فيما بعد ـ بالدعوة للحياد بين الكتلتين في معظم الأحيان[٣٨] .

أولا ــ مجلس النواب : اظهرت مناقشات مجلس النواب مايؤكد الأحكام السابقة ، ففى مناقشا[ت] المجلس في مايو ١٩٥٠ اعرب النائب الوفدى عل[ى] الحلوانى عن رفضه لحجة بريطانيا بوجود خطر رو[سي] يتهدد مصر كذريعة لاستمرار سيطرتها على مصر[٣٩] وشاركه هذا الرأى النائب الوطنى د . نور الدين طرا[ف] الذى طالب بأن تعقد مصر معاهدة عدم اعتداء م[ع] روسيا حتى يمكن ابطال حجة الانجليز عن الخ[طر] الروسى الذى يتهدد مصر[٤٠] . وقد طالب النا[ئب]

---

(٣٣) انظر : المرجع السابق ، دور الانعقاد العادى السادس والعشرون ، المجلد الاول ، مضبطة الجلسة السادسة (٢٦/١٢/١٩٥٠) ، ص ٢٨٦ .

(٣٤) المرجع السابق ، المجلد الثالث ، مضبطة الجلسة الخامسة والثلاثين (٩/٧/٥١) ، ص ٢٦٨٣ .

(٣٥) المرجع السابق ، ص ٢٦٨٧ .

(٣٦) المرجع السابق ، ص ٢٦٨٤ ــ ٢٦٨٥ ، ٢٦٨٨ .

(٣٧) المرجع السابق ، ص ٢٦٨٦ ــ ٢٦٨٨ .
رفض المشروع كل من الشيوخ على الحلوانى (وفدى) ، قاسم طاهر المصرى ، محمد ابو النصر الفار (سعديان) . وتجدر الإشارة الى انه كان من بين الموافقين بعض من عارضوا المشروع في المناقشات وتحفظوا عليه مثل الشيخ المستقل عبد السلام محمود ، والشيخ الوفدى كامل اسماعيل السنيسى . انظر ، المرجع السابق ، مضبطة الجلسة السادسة والثلاثين (١٦/٧/١٩٥١) ، ص ٢٧٦٤ ــ ٢٧٦٥ .

(٣٨) انظر مؤشرات واضحة على التحليل الوارد في المتن : احسان عبد القدوس ، مصلحة مصر ومصلحة حكام مصر ، في : روز اليوسف ، ٤/٩/١٩٥١ ، ص ٣ . خالد محمد خالد ، لنعش صديقتنا روسيا ، في : المرجع السابق ، ص ٥ .

(٣٩) انظر مجموعة مضابط مجلس النواب ، الهيئة النيابية العاشرة ، دور الانعقاد العادى الثانى ، المجلد الثالث ، مضبطة الجلسة الخامسة والعشرين (١/٥/١٩٥١) ، ص ٢٠ .

(٤٠) المرجع السابق ، ص ٢٢ ــ ٢٤ . وانظر ايضا نفس الراى للنائب في : المرجع السابق ، دور الانعقاد العادى الاول ، المجلد الثانى ، مضبطة الجلسة الثامنة والعشرين (٢٩/٥/١٩٥٠) ، ص ٤٦ .

الوفدي د. محمد بلال بمضاعفة الاستعداد الحزبي واستيراد الاسلحة من كل دولة تبيعها[41]، كما فند حجة الانجليز في وجود خطر شيوعي فأثبت زيفها، وقدم تصوره لما كان يمكن أن تكون عليه علاقات مصر بالكتلة الشيوعية بقوله " ان علينا أن نفرق بين الدولة وبين المبادىء التي تعتنقها هذه الدولة، اني ادعو الحكومة ان تعلن اننا في حل من ان نشتري اسلحتنا من جميع الدول، وانه علينا الا نقف بمعزل عن العالم وانه يجب علينا ان نسعى سعينا الى عقد معاهدات صداقة وتحالف مع جميع الدول من غير تمييز بين شرقية وغربية، كما يجب علينا أن نعترف بالصين الشيوعية، وأن نعمل كل مايبرز شخصيتنا الدولية، ذلك كله لأن الدول شيء والمبادىء التي تعتنقها هذه الدول شيء اخر. اما هذا البعبع الذي تحاول انكلترا ان تخيفنا به وهو الشيوعية فان في مصر قانونا يمكن ان يطول المارقين، وفيهادين يستطيع أن يصون الدولة من عبث العابثين "[42]. اما النائب الوفدي سليمان عبد الفتاح فقد دعا الى أن تعمد الحكومة المصرية للتلويح بأنه مالم تعمل بريطانيا على تحقيق العدالة التي تطلبها مصر، فانها ستسير مع الدول المعادية لها في الواقع والمحالفة لها في الظاهر وهي روسيا التي لاتزال – طبقا للقانون الدولي – حليفة لبريطانيا وامريكا، وأشار الى أن معاهدة ١٩٣٦ التي تتمسك بها بريطانيا تجيز لمصر التحالف والتعامل مع حلفائها، وطالب الحكومة بأن تهدد بالاتفاق حربيا وتجاريا وسياسيا مع روسيا، وباللجوء اليها في شراء الاسلحة وبيع القطن، كما طالب بالاعتراف بالصين الشعبية وتبادل التمثيل الدبلوماسي معها لأن هذا سوف يجعلها سندا لمصر في المحيط الدولي الخارجي. وأشار الى أن الدول الشيوعية كانت تقف الى جانب مصر في مجلس الأمن عند مطالبتها بتحقيق أمانيها القومية[43].

اما النائب الوطني د. نور الدين طراف فقد ركز على مسألة تسليح مصر، فأشار الى انه بينما عملت بريطانيا على اضعاف الجيش المصري ومن ثم اضعاف ثقة الشعب في قدرته على القيام بواجبه الوطني لتشييع فكرة ضرورة بقاء القوات البريطانية في مصر للدفاع عنها. فان روسيا سلحت كوريا الشمالية بحيث اصبحت قادرة على مواجهة أمريكا القوية العظيمة كما سلحت الصين فاستطاعت ان ترهب العالم، وأكد ان روسيا وغيرها تستطيع تسليحنا لو كانت لدينا الجرأة على طلب السلاح منها[44]. كما طالب النائب الوفدي السيد مرزوق بـ" اطلاق الحرية لمصر " في استيراد الاسلحة من جميع الدول على السواء ولو ادى هذا الى استيرادها من تشيكوسلوفاكيا او روسيا السوفيتية[45] ".

وجدير بالذكر ان عام ١٩٥١ قد شهد تطورات هامة بالنسبة للاحتمالات الخاصة بعلاقات مصر بالكتلة الشرقية وخاصة بالاتحاد السوفيتي. ذلك أن مجلس الأمن كان قد أصدر في شهر سبتمبر ١٩٥١ قرارا يطالب مصر برفع القيود التي تفرضها على السفن المارة بقناة السويس والمتجهة الى اسرائيل، وبرر ذلك بان مصر لاتعتبر في حالة حرب حقيقية مع اسرائيل، ومن ثم فان تقييد الملاحة يعد افتئاتا على حق الامم في تسيير سفنها في البحار[46]، وقد اشارت جريدة الاهرام التي نشرت الخبر الى أن موقف روسيا من هذا الموضوع كان محل دهشة الكثيرين، اذ انها كانت قد هددت باستخدام الفيتو في معارضة هذا المشروع الثلاثي (الذي قدمته الولايات المتحدة، بريطانيا وفرنسا) ولكن مندوبها لاذ بالصمت عند نظر المشروع[47].

وقد تناول فؤاد سراج الدين هذا الموقف من جانب الروس في حديثه الى كامل الشناوي بجريدة الاهرام عندما سأله الاخير عن السبب في أن مصر لاتسعى لكسب عطف الكتلة الشرقية، خاصة وأن الكتلة

---

(٤١) المرجع السابق، ص ٥٣.

(٤٢) انظر : المرجع السابق، دور الانعقاد العادى الثاني، المجلد الاول، مضبطة الجلسة الرابعة (١٩٥٠/١٢/١١)، ص ٣٦. انظر ايضا راى نواب اخرين بخصوص نفس الموضوع في الرد على استطلاع للراي حول عدد من القضايا الرئيسية من بينها العلاقات مع روسيا في : المصور، ١٩٥٢/٢/٤، ص ١٢ – ١٦.

(٤٣) انظر : مجموعة مضابط مجلس النواب، دور الانعقاد العادي الثاني، المجلد الاول، مضبطة الجلسة الرابعة (١٩٥٠/١٢/١١)، ص ٣٦ – ٣٧.

(٤٤) المرجع السابق، ص ٤٣.

(٤٥) المرجع السابق، ص ٤٨ – وجدير بالذكر ان احد المصادر قد اشار – نقلا عن د. محمد صلاح الدين وإبراهيم فرج – الى ان حكومة الوفد عندما خاب املها في المعسكر الغربي ارادت الاتجاه بحذر الى الاتحاد السوفيتي والدول الاشتراكية، ومثل ذلك تعاقدها مع تشيكوسلوفاكيا لشراء الاسلحة، وهو التعاقد الذى كان وفقا لفكرة د. صلاح الدين وبالاتفاق مع مصطفى نصرت وزير الحربية الا ان هذه الصفقة لم تتم لاقالة الوزارة. انظر : محمد فريد حشيش، مرجع سابق، ص ٢٨٦.

(٤٦) انظر نص القرار في : ملف وثائق فلسطين، مرجع سابق، ص ٢٠٨٩.

(٤٧) انظر : الاهرام، ١٩٥١/٩/٢، ص ١، ٣.

الغربية لن تؤيدها لأنها تعمل لرضاء بريطانيا . وقد اجاب سراج الدين بأن « مصر لم تقصر في الاتصال بجميع الدول – ومن بينها روسيا – عندما شكتنا اسرائيل اخيرا لمجلس الامن . ولكن هذه الاتصالات لم تأت بما نرجوه ، وهذا يجعلنا نعتمد على انفسنا فقط » ، واكد أن مصر لاتبدأ احدا بالعدوان وأنها وان كانت تحارب الشيوعية لأنها نظام لايتفق مع دينها ونظامها فليس معنى ذلك انها تحارب روسيا كدولة[٤٨] .

ومما يتسق مع التحليل السابق انه في أعقاب الغاء المعاهدة وتفجر الاحداث في منطقة القناة ، طالب النائب الوفدى سليمان عبد الفتاح في مناقشة بالمجلس بأن تعقد مصر اتفاقات صداقة وتحالف وعدم اعتداء مع دولة قوية مثل روسيا بحيث يمكن ذلك مصر من الوقوف موقف الند لبريطانيا ، وقد قوبل هذا الاقتراح بضجة واعتراض من باقى الاعضاء ، كما رد عليه وزير التجارة والصناعة بأن مصر تعتمد في حركتها على الله اولا ثم على نفسها دون حاجة الى مساعدة أو معاهدة[٤٩] . ومما يذكر أن النائب الاشتراكى ابراهيم شكرى قد طالب في نفس هذه الجلسة بالاعتراف بالصين الشعبية[٥٠] .

ثانيا – مجلس الشيوخ : يمكن القول أنه اذا كانت بعض الاصوات قد ارتفعت في مجلس النواب تطالب بالتعامل مع الكتلة الشرقية ، فان هذه الظاهر غير موجودة في مجلس الشيوخ ، اذ يبدو كما كان الموضوع غير مطروح للمناقشة أصلا بالنسبة للاعضاء ، فعلى الرغم مما كان يثار حول سوء نوايا بريطانيا وسياستها المستفزة للمشاعر الوطنية تجاهلها لمطالب مصر العادلة وعدم تسليحها للجيش ... الخ الا أنه لم تكن تطرح بدائل لهذا الوضع ، وقد كان يبدو احيانا أن الامل لم ينته بعد في أن تثوب دول الغرب الى رشدها وتعترف بالحقوق الوطنية للشعب المصرى ، وحتى عندما كان المجلس يلوح باللجوء الى سبل اخرى ، كان يفعل ذلك برفق وبعبارات هادئة دون أن يشير صراحة الى الكتلة الشرقية أو الى الاتحاد السوفيتى مثلا ، كما نلاحظ ان الدعوة للاعتراف بدولة كالصين الشعبية لم ترتفع قط في مجلس الشيوخ على عكس الامر في مجلس النواب .

ويؤكد صحة هذا التحليل أن تقرير لجنة الخارجية بمجلس الشيوخ حول الاقتراح بمشروع قرار برغبة من الشيخ الوفدى احمد ابو الفتوح حول سياسة الولايات المتحدة الامريكية ازاء مصر ودول الشرق الاوسط ، قد افسح بعد استعراض طويل لسلوك الولايات المتحدة المتجاهل للحقوق الوطنية المصرية والعربية وخاصة بسبب موقفها من اسرائيل وتمسكها بهذا الموقف ، الى أن دول المنطقة مازالت تأمل في مساعدة الولايات المتحدة وانصافها لقضيتها حتى « لاترنو ببصرها الى ناحية أخرى تتلمس منها العدل والانصاف[٥١] » .

ويظهر نفس الامر في اشارة من الشيخ الوفدى علي الحلوانى في احدى المناقشات التى دارت في أعقاب الغاء المعاهدة عندما عرض لعدة اساليب لمواجهة الموقف عقب الالغاء وخاصة ازاء بريطانيا ، وكان ضمن ما اقترحه « ابرام معاهدات صداقة وتحالف مع الدول التى ليست لها مصلحة عسكرية في بلادنا »[٥٢] .

ج – مصر والحياد بين الكتلتين : سبقت الاشارة الى وجود ارتباط وثيق بين الاراء التى عارضت الارتباط بالتحالف الغربى ، وطالبت بعقد معاهدات صداقة او عدم اعتداء مع الكتلة الشرقية ، وبين دعوة الحياد بين الكتلتين ، ووفقا للتحليل السابق الذى اظهر الانعدام الكامل تقريبا لمطالب توثيق العلاقات مع المعسكر الشرقى في مجلس الشيوخ ، فسوف يكون من الطبيعى أن نجد صدى لطلب الحياد بين الكتلتين في مجلس النواب على حين لاتكاد نجد مثل هذا الامر في مجلس الشيوخ .

---

(٤٨) الاهرام ، ١٩٥١/٩/٩ ، ص ٦ . وجدير بالذكر ان موقف الحكومة قد هوجم بعنف من قبل احسان عبد القدوس حيث اتهمها بالتقصير في الاتصال بروسيا بينما ظل مندوبها في هيئة الامم يستجدى تاييد الدول المشتركة في هذه الهيئة شهرين كاملين باستثناء روسيا التى لم يطرق بابها . وتساءل لماذا هذا التباعد والنفور من روسيا « هل هو الخوف من الشيوعية ؟ او الحرص على امزجة اصحاب رؤوس الاموال وذوى العزب والتفاتيش » وطالب بالتفرقة بين روسيا كدولة وروسيا كنظام حكم . انظر : احسان عبد القدوس ، مصلحة مصر .. ومصلحة حكام مصر !! مرجع سابق ، ص ٣ .

(٤٩) مجموعة مضابط مجلس النواب ، الهيئة النيابية العاشرة ، دور الانعقاد العادى الثالث ، مضبطة الجلسة الثالثة (١٩٥١/١٢/٣) ، ص ١٢ .

(٥٠) المرجع السابق ، ص ٢٤ .

(٥١) راجع ص ١٨ – ١٩ .

أولا ـ مجلس النواب : فى يناير ١٩٥٠ طالب النائب الوطنى د . نورالدين طراف الحكومة بأن تحدد اتجاهها من المعسكرين المتنابذين ، وأن تلتزم الحياد بينهما وتقرر العلاقة بينهما تبعا لمقتضيات المصلحة العامة وصيانة الامن والسلام الدوليين [٥٣] . كما دعا النائب الوفدى د . محمد بلال فى اثناء عرضه لعدة اقتراحات عملية للرد على البيان الثلاثى الى أن تعلن الحكومة المصرية وكذلك الحكومات العربية حكومتى انجلترا وامريكا أن البلاد العربية تتجه فى الصراع العالمى القائم الى الاتجاه الذى تحقق معه امانيها القومية [٥٤] . وفى ديسمبر ١٩٥٠ اعاد النائب الوطنى د . نور الدين طراف التأكيد على المعانى التى سبق ان ذكرها ، فأشار الى واجب مصر فى سبيل قضيتها أن تتصل بالدول الصديقة عربية أو غير عربية ، والى أن « مقياس الصداقة والعداوة هو مدى احترام هذه الدول لحقوقنا ومناصرتها لنا فى السعى الى تحقيقها ، لاشأن لنا بهذا المعسكر أو ذاك . ولكننا سنكون فى جانب المعسكر الذى يناصرنا أيا كان » [٥٥] . كما طالب النائب الوفدى السيد مرزوق باعلان حياد مصر للكتلتين الشرقية الغربية [٥٦] ووجه النائب الوفدى ابراهيم طلعت عدة اسئلة الى الحكومة كان أحدها يتعلق بما اذا كانت تنوى تحقيق الحياد لمصر ابعادا لها عن خطر الدخول فى الحرب القادمة دون انحياز للكتلة الشرقية أو الغربية . وقد رد وزير الخارجية على السؤال بأن مصر تلتزم بخطة الجامعة العربية تجاه النزاع بين الكتلتين ، وتتمثل فى أن تتبع الدول العربية فى هيئة الأمم المتحدة سياسية حرة مستقلة غير متحيزة تتمسك فيها بميثاق الهيئة وتعمل على صيانة السلام العالمي [٥٧] . كما طالب النائب الاشتراكي ابراهيم شكرى برسم سياسة مستقلة هدفها تحقيق مصلحة مصر وحدها بحيث لاتميل الى اليسار أو الى اليمين [٥٨] .

ثانيا ـ مجلس الشيوخ : سبقت الاشارة الى أننا لانجد هذه الدعوة الحيادية الا نادرا ، بل لقد وجدت الاراء التى لاتمانع فى قبول الانحياز من حيث المبدأ شريطة أن يؤدى الى تقوية مصر عسكريا ، ويتضح ذلك مما ورد على لسان الشيخ الدستورى د . محمد حسين هيكل وهو يناقش المبالغ التى تنفقها مصر على التسليح ، اذ اشار الى أن مصر اذا قررت الانحياز الى اى من الكتلتين ، فان الكتلة التى ستنضم اليها يكون عليها أن تقوم بتسليح مصر مثلما يحدث بالنسبة للكثير من الدول كايران واليونان وتركيا حيث تلتزم الولايات المتحدة وانجلترا بامدادها بالسلاح .

وقد درات مناقشة عاصفة تناولت بالتعليق الرأى السابق يعنينا منها بصفة اساسية تساؤل الشيخ الوفدي احمد عثمان حمزاوي عما اذا كانت مصر ستبقى بدون تسليح حتى تنحاز الى احدى الكتلتين ، كما وجه وزير المعارف سؤالا الى د . هيكل يطالبه فيه بمعرفة المبالغ التى تنفقها الدول الى استشهد بها وهى ايران ، تركيا واليونان) على التسليح [٥٩] . وبالاضافة الى ذلك فقد تناول موضوع حياد مصر الشيخ المستقل عبده ابو شقة وذلك عندما اشار الى أنه لكى تحقق مصر أمانيها القومية فلابد وأن تكون ـ كسويسرا ـ أمة محايدة لاتعيش فى فلك غيرها ، لأن لها تقاليدها ونظمها ، وأكد أن مصلحة مصر القومية الا تربط نفسها بأحد [٦٠] .

ومما يذكر أن هذه الدعوة لحياد مصر قد رفضها عضو بارز بمجلس الشيوخ هو على ماهر باشا الذى اكد أن فكرة الحياد الدائم لمصر تتطلب توافر شروط معينة ، كما أشار الى التعارض بين الحياد الدائم والفكرة التي تقوم عليها الأمم المتحدة [٦١] . ولايخفى بالطبع أن الدعوة السابقة الى الحياد عند ماتقترن بالتجربة السويسرية تكون ولاشك أقرب الى العزلة فى لسياسة الخارجية منها الى مجرد الحياد بين الكتلتين . □

---

(٥٢) انظر مجموعة مضابط وملاحق مجلس الشيوخ ، دور الانعقاد العادى السابع والعشرون ، مضبطة الجلسة الثالثة (١٩٥١/١٢/٤) ، ص ٤٠ ـ ٤١ .

(٥٣) انظر مجموعة مضابط مجلس النواب ، الهيئة النيابية العاشرة ، دور الانعقاد العادي الاول المجلد الاول ، مضبطة الجلسة الثالثة (١٦٥٠/١/٣١) ، ص ٤١ .

(٥٤) راجع ص ٣٣٢ .

(٥٥) انظر : المرجع السابق ، دور الانعقاد العادى الثانى ، المجلد الاول ، مضبطة الجلسة الرابعة (١٩٥٠/١٢/١٢) ، ص ٥٣ .

(٥٦) المرجع السابق ، ص ٤٨ .

(٥٧) انظر : المرجع السابق ، المجلد الثالث ، مضبطة الجلسة الخامسة والعشرين (١٩٥١/٥/١) ، ص ٢٦ ، ٢٨ .

(٥٨) انظر المرجع السابق ، دور الانعقاد العادى الثالث ، مضبطة الجلسة الثالثة (١٩٥١/١٢/٣) ، ص ٢٤ .

(٥٩) انظر مجموعة مضابط وملاحق مجلس الشيوخ ، دور الانعقاد العادى السادس والعشرون المجلد الاول ، مضبطة الجلسة السادسة عشر (١٩٥١/٢/٢١) ص ٩٣٢ ـ ٩٣٤ .

(٦٠) انظر : المرجع السابق ، المجلد الثانى ، مضبطة الجلسة التاسعة والعشرين (١٩٥١/٥/٢٩) ، ص ٢١٠٥ ـ ٢١٠٨ .

(٦١) انظر الاهرام ، ١٩٥١/٩/٢٢ ، ص ٦٢١ .



مصر وعدم الانحياز مــــــن باندونج الى هافانا

اعداد : امانى قنديل

إن التشكيك فى عضوية مصر داخل حركة عدم الانحياز ، الذى ثار من جانب بعض الدول فى اواخر السبعينات ، وعبر عن نفسه فى محاولة تعليق عضوية مصر ، امر يتطلب دراسة دور مصر كاحدى الدول المؤسسة للحركة من جانب ، ودور عبد الناصر كأحد اقطاب عدم الانحيازمن جانب آخر ، وذلك فى مرحلة شهدت الزعامات التاريخية للحركة ، والمواقف الثورية ، وقت ان كانت معظم دول العالم الثالث ترزح تحت الاستعمار ، ووقت اشتداد حدة الحرب الباردة .. فى هذه الفترة كانت قضية تصفية الاستعمار وقضية التعايش السلمى ، تحتلان المقام الاول من اهتمام الحركة ، وتمثلان مصدرا لفاعليتها وتماسكها ..

واذا كان هذا هو الاطار الذى بدت فيه فاعلية الحركة فى الستينات ، فان مرحلة السبعينات شهدت اختلافا فى الاطار الدولى من جانب ، وفى الظروف السياسية لدول الحركة من جانب آخر ، كما شهدت احباطات مستمرة وتعثرا لمحاولات التنمية فى العالم الثالث ، وهو الامر الذى انعكس على فاعلية الحركة .. ففى السبعينات انحسرت موجة المد الثورى – ونجح الاستعمار – ولو بشكل غير مباشر – فى استعادة كثير من مواقعه واختفت الزعامات التاريخية التى قادت الحركة وحلت محلها تكتلات بين مجموعات من الـ[...]
كما شهدت السبعينات مظاهر متعددة للصراع الـ[...]
بين دول الحركة ، وتصدعا وانشقاقا داخلها [...]

من هنا بدأ التشكيك فى فاعلية الحركة وقو[...]
خاصة بعد ان دععت الصراعات الاقليمية والمـ[...]
كثيرا من دول عدم الانحياز ، الى توقيع معاهدات [...]
الدول الكبرى ، وتقديم تسهيلات متنوعة لها ، و[...]
امور اثارت الشكوك فى مبادىء الحركة ومدى الالـ[...]
بها ، كما دفعت من جانب آخر الى محاولة دعم الـ[...]
وتقويتها ، وذلك فى اطار هذه المتغيرات الجديـ[...]

وقد تعرضت مصر لمثل هذا التشكيك فى عضـ[...]
داخل حركة عدم الانحياز ، وهى احدى الدول المؤ[...]
والقائدة للحركة . وهو الامر الذى يتطلب العودة [...]
التاريخ المصرى لكى نجد جذورا لفكرة عدم الانحـ[...]
سياستها الخارجية ، حتى قبل ان يتبلور المفهـ[...]
المؤتمرات الدولية .. وكان اول تعبير رسمـ[...]
سياسة عدم الانحياز ، فى ٣٠ يونيه عام ١٩٥٠ ، [...]
فسر د . محمود فوزى – رئيس وفد مصر فى الا[...]
المتحدة – امتناع بلاده عن التصويت بشأن مشـ[...]
كوريا فى مجلس الامن ، بأن هذا الصراع لـ[...]
صورة من صور الحرب الباردة ومصر لاترضى ان [...]

نفسها فيها[١] .

وان كان هذا التصريح اول تعبير رسمى عن سياسة عدم الانحياز ، فى السياسة الخارجية المصرية ، الا انه لم يكن اول موقف غير منحاز لهذه السياسة . فهناك عدد من الدلائل يشير الى استمرارية السلوك المصرى الدولى غير المنحاز من فترة ماقبل الثورة ، وتتمثل هذه الاستمرارية فى رفض النظامين ـ الثورى والسابق للثورة ـ الاشتراك فى حلف دفاعى عن الشرق الاوسط . ففى ٨ اكتوبر ١٩٥١ ـ حين الغت مصر معاهدة ١٩٣٦ ، تقدم الغرب وعلى راسه الولايات المتحدة ، بمقترحات لانشاء قيادة متحالفة مشتركة للشرق الاوسط ورفضت مصر المشروع . وبعد الثورة تمثلت استمرارية هذا السلوك غير المنحاز ، فى رفض مصر الانضمام الى حلف بغداد[٢] .

معنى هذا ان الموقف المصرى ازاء عدم الانحياز ، او السلوك المصرى غير المنحاز ـ كما اطلق عليه البعض[٣] تبلور فى الاطار الوطنى ، ومثل استمرارية فى السياسة الخارجية المصرية ، الا انه ظل لفترة يتسم بالبراجماتية ، اى انه اعتمد على تطور الاحداث ، لعدم جود برنامج متكامل وواضح للسياسة الخارجية للنظام الثورى الجديد .

اما اول تعبير عن هذه السياسة فى النظام الثورى المصرى الجديد ، هو ما أعلنه الرئيس جمال عبدالناصر ، فى ١٩٥٤/٧/٢٩ ، بان الهدف الثانى بعد الجلاء ، هو عدم الارتباط بأى حلف ، او بالدفاع المشترك . وكان الرئيس عبد الناصر يصف السياسة المصرية فى هذه الفترة بأنها سياسة مستقلة ، الى ان استعمل التعبير لاول مرة فى اول يونيو ١٩٥٦ . وفى ٢٦ يوليو ، من نفس العام ، استعمل الرئيس تعبير « الحياد الايجابى لوصف السياسة الخارجية المصرية[٤] .

ويهدف هذا البحث الى تحديد تطور علاقة مصر بسياسة عدم الانحياز ، والتعرف على تطور الدور المصرى داخل مجموعة عدم الانحياز ، وموقف مصر من اهم القضايا التى اهتمت بها الحركة . ولتحقيق هذه الاهداف ، تنقسم الدراسة الى مبحثين اساسيين :

المبحث الاول : « مصر وتطور حركة عدم الانحياز »
وينقسم هذا المبحث الى ثلاثة اقسام :.
اولا : مصر والتضامن الاسيوى الافريقى . ثانيا : مصر وحركة عدم الانحياز فى الستينات . ثالثا : مصر وحركة عدم الانحياز فى السبعينات .

المبحث الثانى : موقف مصر من اهم القضايا التى ناقشتها الحركة وينقسم هذا المبحث الى :
اولا : قضية دعم الحركة وتطويرها . ثانيا : قضية التعايش السلمى . ثالثا : قضية تصفية الاستعمار . رابعا : قضية نزع السلاح . خامسا : قضية التنمية الاقتصادية او البعد الاقتصادى للحركة . خاتمة : مصر ومستقبل سياسة عدم الانحياز فى الثمانينات .

المبحث الاول : مصر وتطور حركة عدم الانحياز :

بهذا الصدد ، يمكن التمييز بين ثلاث مراحل اساسية ، كل منها شهدت طورا من اطوار الحركة ، واحاطت به ملابسات وظروف دولية مختلفة ، وجهت الحركة الى دور معين ، واوليات مختلفة .. وبالنسبة لمصر انعكس الاطار الدولى ، وتطور الحركة ، على طبيعة الدور المصرى داخل مجموعة عدم الانحياز وتطور علاقتها بدول هذه المجموعة .

وعلى هذا ، يمكن الحديث عن مصر وحركة التضامن الاسيوى الافريقى ، ثم مصر ومجموعة عدم الانحياز فى فترة الستينات ، ومصر وعدم الانحياز فى فترة السبعينات .

اولا : مصر والتضامن الاسيوى الافريقى :

يمكن تبين ملامح التوجه المصرى نحو آسيا وافريقيا ، منذ اعقاب الحرب العالمية الثانية ، ونتيجة لنمو حركات التحرر الوطنى ، والتضامن العالمى للقوى المعادية للاستعمار ، ثم بداية استقلال كثير من المستعمرات فى آسيا وافريقيا . ففى يناير ١٩٤٩ ، اشتركت مصر فى مؤتمر نيودلهى ، بناء على دعوة رئيس الوزراء الهندى نهرو ، لبحث مشكلة اندونيسيا والعدوان الهولندى عليها . وقد اشتركت فى هذا المؤتمر ١٩ دولة ، وحاول المؤتمر وضع سياسة افريقية اسيوية فى نطاق الامم المتحدة ، وحث الدول المشتركة على ان تستمر فى التشاور فيما بينها لاستطلاع الطرق والوسائل المناسبة ، لانشاء هيئة تكون مهمتها التعاون

---

(١) د . بطرس غالى ، سياسة عدم الانحياز بعد التصالح الامريكى السوفيتى ، السياسة الدولية ، عدد ٤٧ ، ١٩٧٧ ، ص ١٩ .
(٢) د . عائشة راتب ، « الجمهورية العربية المتحدة وسياسة عدم الانحياز » ، السياسة الدولية عدد ، يوليو ١٩٦٦ ، ص ١٥٤ .
(٣) بهجت قرنى ، نحو نظرية لصنع السياسة الخارجية فى العالم الثالث ، السياسة الدولية ، عدد ٤٧ ، يناير ١٩٧٧ ، ص ١٣٦ .
(٤) ويلاحظ ان يوغوسلافيا كان لها تعبيرا اخر وهو التعايش السلمى الايجابى ، ولم تستعمل تعبير عدم الانحياز ، الا بعد مؤتمر بلجراد سنة ١٩٦١ .. راجع بهذا الخصوص : د . سامى منصور ، المؤتمر الثلاثى لدول عدم الانحياز ، السياسة الدولية ، ٦ اكتوبر ١٩٦٦ ، ص ص ٣٤ ـ ٤٧ .

والتشاور بين الدول الافريقية والاسيوية في اطار الامم المتحدة[٥] وقبل هذا المؤتمر بعامين كانت مصر عضو في المجموعة التي سميت بالدول العربية الاسيوية وذلك في سنة ١٩٤٧ حين اثيرت قضية فلسطين في الامم المتحدة ، وقد ضمت هذه المجموعة الى جانب مصر ، الهند واندونيسيا وحين انضم اليها بعض الاعضاء من افريقيا وعرفت المجموعة بالفريق الاسيوى الافريقى الذى تكون من ١٢ عضوا . والبعد الجدير بالملاحظة هنا ، هو ان هذا الفريق كان يهدف الى انتهاج سياسة خارجية مستقلة عن الكتلتين . وفي داخل هذا الاطار عقدت عدة مؤتمرات اهمها مؤتمر العلاقات الاسيوية في نيودلهي في مارس ١٩٤٧ ، ومؤتمر باجيو بالفلبين سنة ١٩٥٢ ، ثم مؤتمر القاهرة سنة ١٩٥٢ لتأييد كفاح شعوب شمال افريقيا وفلسطين . ثم مؤتمر كولومبو بسيلان في نهاية ابريل سنة ١٩٥٤ ، واخيرا مؤتمر بوجور ، وهو المؤتمر التحضيرى لمؤتمر باندونج[٦] ..

وقد اشتركت مصر في هذه المؤتمرات ، وايدت فكرة عقد مؤتمر واسع للدول الافريقية والاسيوية ، الا ان اول تعبير عملي جاء سنة ١٩٥٤ بدعوتها الجامعة العربية لاتخاذ قرار في ١٩٥٤/١٢/١١ ، اعلنت فيه الجامعة ترحيب الدول العربية بالاشتراك في مؤتمر باندونج بشرط عدم دعوة اسرائيل .

وبالفعل انعقد مؤتمر باندونج في الفترة من ١٨ - ٢٤ ابريل ١٩٥٥ واشتركت مصر في هذا المؤتمر كواحدة من ست دول افريقية وكونت مع اندونيسيا وبورما والهند التيار الذى رفض الانحياز الى اى من المعسكرين[٧] وأيا كان تقويم هذا المؤتمر ، فهو يعد مرحلة جديدة في علاقات الدول الافريقية والاسيوية ، وتطورا هاما لدورها في المجتمع الدولي . كما ان هذا المؤتمر كانت له اهمية خاصة بالنسبة لمصر ، فقد ادى اشتراكها فيه الى اكتشافها لحقيقة وزنها السياسى ، والدور الذى يمكن ان تؤديه ثورتها ، وليس على المستوى العربي فحسب ولكن على المستوى الافريقى والاسيوى .

وقد اتخذ كثير من المهتمين بسياسة عدم الانحياز من مؤتمر باندونج ، بداية لهذه الحركة في السياسة الدولية . الا ان دراسة قرارات مؤتمر باندونج لاتبرز اية اشارة صريحة الى سياسة الحياد الايجابى ، ولاعدم الانحياز . فالمؤتمر كان اول مؤتمر للدول الافريقية الاسيوية ، وليس اول مؤتمر لعدم الانحياز بل ان كثيرا من الدول الاعضاء في المؤتمر كانت دولا منحازة ترتبط بطريق مباشر او غير مباشر بالمعسكر الغربى ، وسياسة عدم الانحياز لم تكن واضحة او متبلورة امامها[٨] .

ومع ذلك يمكن القول انه في مؤتمر باندونج ووضع بذرة سياسة عدم الانحياز وتمثلت في الجدل الفقهي السياسى الذى دار خلال اجتماعات المؤتمر ، حول الانحياز وعدم الانحياز .. وبدا في هذه المناقشات وجود تياران داخل المؤتمر : الاول تزعمه الرئيس نهرو ، ويرفض ان تدور اى دولة من دول العالم الثالث ، في فلك اى من المعسكرين واوضح مدى الاهانة التي تقبلها الدولة التي تقبل هذا الوضع ...

التيار الثانى تزعمته مجموعة من الدول المنحازة (العراق ، لبنان ، الفلبين ..) وكانت ترى ان الدول الصغرى لامناص لها من ان تتحالف عسكريا مع الدول الكبرى ، بينما دول العالم الثالث الكبيرة ، التي تتسم بضخامتها واتساعها وعدد سكانها ، فان وضعها سمح لها بأن تتبع سياسة غير منحازة .

ورغم حدة الخلاف بين انصار كل تيار ، فقد وفق مؤتمر باندونج الى حل ارتضاه الطرفان ، ففي البند الخامس من المبادىء العشرة الى تضمنها تصريح باندونج نجد العبارة التالية :

« احترام حق كل الدول في الدفاع عن نفسها منفردة او مجتمعة وفقا لميثاق الامم المتحدة ويعنى ذلك حق الدول في الدخول في الاحلاف العسكرية اذا كانت هذه الاحلاف للدفاع عن امنها وسلامتها .

ثم ذكر بند ٦ « الامتناع عن الالتجاء الى التنظيمات الدفاعية الجماعية لخدمة المصالح الذاتية لاى دولة من الدول الكبرى »

ومع ماق هذين المبدأين من تناقض ، فقد استراح لهما المجتمعون في المؤتمر ومعنى ذلك ان مؤتمر باندونج لم يتبن سياسة عدم الانحياز الا بطريقة ضمنية وعارضة ، لارضاء اقلية من الدول الراغبة في هذه السياسة . ومن ناحية اخرى اذا كان مؤرخو عدم الانحياز ، قد بالغوا في اهمية دور باندونج في بلورة سياسة عدم الانحياز ، فانهم قد اهملوا نسبيا مؤتمر

---

(٥) على الدين هلال ، « الجمهورية العربية المتحدة والتضامن الافرو اسيوى » ، السياسة الدولية ، السنة الثانية ، يوليو ١٩٦٦ ، ص ١٥١ .

(٦) د . سامى منصور : المؤتمر الثلاثى لدول عدم الانحياز » ، مرجع سبق ذكره ، ص ٣٩ .

(٧) على الدين هلال ، « الجمهورية العربية المتحدة والتضامن الافرو اسيوى » ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٥٢ .

(٨) ٦ دول من ٢٩ دولة مشتركة يمكن القول انها حيادية في هذا الوقت ، وملتزمة بسياسة عدم الانحياز : مصر ، الهند ، افغانستان ، سوريا ، بورما ، اندونيسيا .. راجع : د . بطرس غالى ، سياسة عدم الانحياز بعد التصالح الامريكي السوفيتي ، المرجع السابق ، ص ١٩ .

القمة الثلاثي الذى حضره تيتو ونهرو وناصر ، والذى عقد فى بيرونى فى يوغوسلافيا – فى ١٨ يوليو ١٩٥٦ – هذا المؤتمر الذى يعد احد العلامات البارزة فى مسيرة عدم الانحياز وترجع اهميته الى عدة امور :
١ – ان السياسة الخارجية المستقلة ، التى تحولت بعد ذلك الى عدم الانحياز ليست مقصورة على الدول التى تخلصت من الاستعمار الغربى فحسب ، بل تشمل ايضا دول خرجت من التكتل الشيوعى . ٢ – ان الحركة مفتوحة لدول غير آسيوية وافريقية ، ويمكن ان تعتنقها اية دولة . ٣ – بالنسبة لمصر اكد هذا الاجتماع بما لايدع مجالا للشك ، ان عبد الناصر احد الاقطاب الثلاثة لعدم الانحياز ، وان مصر مدعوة فى المجال الدولى لدور رائد فى اطار الدول الاسيوية والافريقية .
وبعد انعقاد هذه المؤتمرات ، برزت الحاجة الى انعقاد مؤتمرات للشعوب الافريقية الاسيوية ، فانعقد المؤتمر الاول لتضامن الشعوب فى القاهرة من ٦ – ١٢ – ١٩٥٧ الى ١ – ١ – ١٩٥٨ وكان هدف المؤتمر دعم التضامن بين الشعوب الافريقية الاسيوية عن طريق تعبئة القوى الشعبية لمكافحة الاستعمار ، ودعم السلام والتعاون ثم انشأ المؤتمر هيئة لتضامن الشعوب الافريقية والاسيوية ، وتم اختيار القاهرة لتكون مقرا للسكرتارية الدائمة لهيئة التضامن ، وكان السكرتير العام مصريا . وكل هذه امور تحمل معان ودلالات عريضة عن الدور الذى تؤديه مصر فى حركة التضامن الافريقى والاسيوى .
بعد ذلك ، عقد المؤتمر الثانى بكوناكرى فى غينيا فى الفترة من ١١ – ١٥ ابريل سنة ١٩٦٠ ثم المؤتمر الثالث بتنزانيا من ٤ – ١١ فبراير ١٩٦٣ ، واخيرا المؤتمر الرابع بغانا فى الفترة من ١٠ – ١٥ مايو ١٩٦٥ . كما انعقدت العديد من المؤتمرات النوعية فى الاطار الاسيوى الافريقى مثل مؤتمرات الشباب والمرأة والكتاب والادباء . وعقدت معظمها بالقاهرة ، وكان للجمهورية العربية المتحدة دور رائد ايجابى ، فى الدعوة الى هذه المؤتمرات وتنظيمها والمناقشات التى حفلت بها[9] وهذه المؤتمرات سواء كانت حكومية او شعبية والتى جمعت بين دول قارتى آسيا وافريقيا ، ثم امريكا اللاتينية فى مرحلة متأخرة نسبيا ، رغم انها لم تتعرض لفكرة عدم الانحياز مباشرة ، الا انها كتجمع ساعدت على خلق قاعدة من الفهم المشترك المتبادل بين الدول ، ونما لديها الوعى بالاهتمام بالمشاكل التى كانت تبدو فى هذا الوقت بعيدة عن اهتمامها وبالنسبة لمصر ، ابرزت وزنها وامكانية قيامها بدور رائد فى الاطار الأسيوى الافريقى .. وباستقراء مواقفها وارائها ، فى مؤتمرات التضامن الافريقى الاسيوى ، يمكن استخلاص ان سياستها كانت تهدف الى :

(١) محاربة الاستعمار فى كل صوره واشكاله . (٢) دعم التضامن بين الشعوب الافريقية الاسيوية ، ثم شعوب امريكا اللاتينية فى المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية . (٣) تصفية القواعد العسكرية الاجنبية ، ورفض سياسة الاحلاف والتكتلات . (٤) العمل من اجل نزع السلاح . (٥) وقف اساليب الضغط السياسى والاقتصادى . (٦) ضرورة اقرار العلاقات الاقتصادية الدولية على اسس من العدالة . (٧) تاكيد حق شعب فلسطين فى العودة الى بلاده ، واعتبار اسرائيل تهديدا عدوانيا للدول العربية واداة فى يد الاستعمار الجديد . (٨) تبنى وعرض القضايا العربية . (٩) الايمان بالامم المتحدة[10] .

ثانيا مصر وعدم الانحياز فى فترة الستينات : المؤتمر الاول لدول عدم الانحياز مؤتمر بلجراد (١ – ٦ سبتمبر ١٩٦١) :

وفى ٢٢ ابريل سنة ١٩٦١ ، كان اللقاء بين عبد الناصر وتيتو بالاسكندرية ، حيث تبلورت فكرة عقد مؤتمر لدول عدم الانحياز ، وارسل كل من الرئيسين تيتو وعبد الناصر ، دعوة الى ٢١ دولة تؤمن بسياسة عدم الانحياز ويقترحان الموافقة على عقد مؤتمر دولى لمواجهة التوتر السائد فى العالم .. وكان من اهم مظاهره : ازمة كوبا ، الحرب فى لاوس ، ازمة تقرير المصير فى حرب التحرير الجزائرية .. الخ وتضمن الاقتراح ، انعقاد هذا المؤتمر قبل الدورة الـ ١٦ للامم المتحدة ، حتى يكون صوت هذه الدول مسموعا . ثم اضيف اسم سوكارنو الى اسم الداعين ، ثم وافقت الهند على ان تكون بين الدول الداعية للمؤتمر[11] .
ويمكن القول بايجاز ، ان هناك دوافع اساسية حركت مصر والدول الافريقية والاسيوية الاخرى ، لبلورة هذه السياسة واعتناقها :
١ – اشتداد حدة الحرب الباردة ، وظهور استراتيجية الكتلتين القائمة على الاستقطاب الدولى ، والنظر الى دول العالم الثالث على انها ادوات فى صراع القوى العالمى . ٢ – سياسة عدم الانحياز تأكيد لدور الدول

---

(٩) على الدين هلال ، المرجع السابق ، ص ١٥٣ .
(١٠) عبر الميثاق الوطنى عن هذا التوجه نحو اسيا وافريقيا ، حين ذكر : « ان شعبنا ينتمى الى القارتين اللتين تدور فيهما اعظم معارك التحرر الوطنى ، وهو ابرز سمات القرن العشرين » .
(١١) سامى منصور ، المؤتمر الثلاثى .... ، المرجع السابق ، ص ٤١ .

الافريقية الاسيوية فى السياسة الدولية وتحريرها من كونها مناطق نفوذ وانيالا للكتل الدولية الكبرى . ٣ ـ الاعتقاد فى البداية ان تفادى الارتباط بالكتل الدولية يدعم ويدفع امكانات التنمية الاقتصادية بها[١٢])

ثم انعقد المؤتمر التحضيرى بالقاهرة من ٥ ـ ١٢ يونيو ١٩٦٦ ، حضره ممثلون لاحدى وعشرين دولة ، منها ١٧ دولة افرواسيوية ويوغوسلافيا ، وممثل عن حكومة الجزائر المؤقتة وكوبا والبرازيل كمراقب . ويعنينا من هذا المؤتمر انه وضع اول تعريف قانونى لمفهوم سياسة عدم الانحياز ، فذكر ان الدولة التى تتبع تلك السياسة يجب ان تتبع المبادىء الخمسة الآتية :

١ ـ ان تنتهج سياسة مستقلة قائمة على تعايش الدول ذات النظم السياسية والاجتماعية المختلفة ، وقائمة على عدم الانحياز ، او ان تظهر اتجاها يؤيد هذه السياسة . ٢ ـ يجب ان تؤيد دائما حركات الاستقلال القومى . ٣ ـ يجب الا تكون عضوا فى حلف عسكرى جماعى ، ثم فى نطاق الصراع بين الدول الكبرى . ٤ ـ يجب الا تكون طرفا فى اتفاقية ثنائية مع دولة كبرى . ٥ ـ يجب الا تكون قد سمحت لدولة اجنبية باقامة قواعد عسكرية فى اقليمها ، بمحض ارادتها .

وهذه المبادىء الخمسة هى المعيار الوحيد لسياسة عدم الانحياز ، وقد ثار حولها خلاف فى مؤتمرات تالية ، وطالبت مصر ـ كما سنرى فيما بعد بتطويرها وتجديدها[١٣] وقد قام مؤتمر بلجراد باقرار ثلاث وثائق تاريخية . الوثيقة الاولى تدعو العسكريين الى اتخاذ خطوات تسهم فى تخفيف حدة التوتر الدولى والدعوة للسلام وتدعو الوثيقة الثانية الى التعايش السلمى وحق تقرير المصير ، اما الثالثة فقد اصدرت مجموعة من القرارات تؤكد اعلان تصفية الاستعمار الصادر من الجمعية العامة فى دورتها الـ ١٥ ، واستنكار التفرقة العنصرية ، والتنديد بالسياسات الاستعمارية[١٤] واخيرا يمكن القول ان الدعوة لهذا المؤتمر جاءت من جانب مصر ويوغوسلافيا ، ومن داخل مصر كما ان المؤتمر التحضيرى عقد بالقاهرة ، وكان عبد الناصر ممثلا لمصر وكلها امور لها دلالات على دور مصر القيادى داخل حركة عدم الانحياز .

المؤتمر الثانى لدول عدم الانحياز ـ مؤتمر القاهرة (٩ ـ ١٠ اكتوبر ١٩٦٤)

وقد جاءت المبادرة لعقد المؤتمر الثانى لعدم الانحياز ، من جانب مصر ايضا ، ونتيجة لقاء جمع الرئيس عبد الناصر ومسز باندرانيكا رئيسة وزراء سيلان . وقبل الرئيس تيتو ان تكون يوغوسلافيا من الدول الداعية للمؤتمر . وبالفعل ، عقد المؤتمر الثانى لعدم الانحياز فى القاهرة ، فى الفترة من ٩ ـ ١٠ اكتوبر ١٩٦٤ ...

وكانت قرارات مؤتمر القاهرة اكثر ايجابية من قرارات مؤتمر بلجراد :

١ ـ قرارات مؤتمر القاهرة لم تقف عند حد تأييد تصفية الاستعمار ، ولكن منحت الاعتراف الكامل للقيادات الوطنية فى الشعوب التى تناضل من اجل حريتها . ٢ ـ التنديد بالاستعمار الامريكى فى امريكا اللاتينية ، والبريطانى فى عدن وروديسيا . ٣ ـ طالب المؤتمر بتقنين مبادىء التعايش السلمى ، وبأن تصدر الجمعية العامة للامم المتحدة اعلانا بذلك . ٤ ـ نزع السلاح وتحريم التجارب والاسلحة النووية . ٥ ـ الايمان بأن التنمية الاقتصادية التزام يقع على عاتق المجتمع الدولى كله ولعل اهم ماقدمه مؤتمر القاهرة هو بلورة البعد الاقتصادى للحركة ، وتطور الدور المصرى فى هذا المجال وهو الامر الذى سيتضح فى المبحث الثانى .

وقد شهدت الستينات ايضا لقاء القمة بين الرئيسين تيتو وعبد الناصر بالاسكندرية ، فى ٢ مايو ١٩٦٦ ، واستقر فيه الرأى على التوفيق بين فكرة عقد المؤتمر الثلاثى لعدم الانحياز فى نيودلهى ورغبة كثير من الدول عدم المشاركة فيه نتيجة ظروف تاريخية سادت هذه الفترة .

ثم كانت نيودلهى مقرا للاجتماع التالى بين عبدالناصر وتيتو وانديرا غاندى وفى هذه المرحلة تغيرت الظروف الدولية ، أو تغير الاطار الدولى الذى صاحب نمو حركة عدم الانحياز ، فقد فقدت الحركة بعد مؤتمر القاهرة لعدم الانحياز ، بعض مواقفها كما تغير الاطار الدولى :

١ ـ فقد تعرضت كثير من دول عدم الانحياز لضغوط متعددة لتخرج عن عدم انحيازها .. وبدا عدم استقرار فى كثير من هذه الدول من امثلته : الانقلاب العسكرى فى غانا والاطاحة بنكروما ، وسقوط حكم باندرانيكا فى سيلان ومحاولة انقلاب الحزب الشيوعى فى اندونيسيا . ٢ ـ تغيرات وقعت فى التوازن الدولى وتعددت مراكز الاستقطاب داخل كل كتلة . ٣ ـ فقدت الكتلة الشرقية جزء من فاعليتها الدولية نتيجة امتصاص خلافات موسكو وبكين ، واستحواذ

(١٢) د . اسماعيل صبرى مقلد ، « عدم الانحياز بين الايديولوجية والتطبيق » ، السياسة الدولية ، العدد ٤٥ ، ١٩٧٦ ، ص ١٣ .

(١٣) لم تنشر تلك المبادىء رسميا ، لهذا نجد بعض الاختلاف فى صياغتها .

(١٤) د . عائشة راتب ، الجمهورية العربية المتحدة وسياسة عدم الانحياز ، المرجع السابق ، ص ١٥٥ .

السياسات الداخلية على جزء اكبر من اهتمام المعسكر الشرقي . ٤ ـ بداية فترة من المد الاستعماري نجح فيها الاستعمار في العودة الى كثير من مراكزه من خلال انقلابات عسكرية وفئات حاكمة تتفق ومصالحها . ٥ ـ الهجوم على سياسة عدم الانحياز واعتبارها تمر بمحنة مع ... اصح كما قال تيتو ان العلاقات الدولية هي التي بمحنة وليست سياسة عدم الانحياز(١٥) .

وقد حدد الرئيس عبد الناصر في اجتماعه مع الرئيس تيتو بالاسكندرية ، صورة الموقف كما يلي : « ان هناك تغيرات هامة في الاوضاع الدولية تجعل الموقف الدولي الآن مختلفا عما كان عليه سنة ١٩٦١ ، يوم انعقاد مؤتمر عدم الانحياز الاول ، وعما كان سنة ١٩٦٤ يوم انعقاد المؤتمر الثاني .... ان لهذه التغيرات بطبيعة الحال دلالاتها وانعكاساتها ، ولكن ذلك مهما كانت الظروف يجب الا يؤثر في مسار حركة التحرر الوطني اجتماعيا وسياسيا ، وذلك امر لابد ان تبذل له اكبر الجهود وتتوفر له اوثق الضمانات والا فان الاستعمار القديم والجديد يستطيع استغلال التغييرات لكي يقضي على كل المكاسب التي تحققت ثوريا » .

وفي نفس هذا الاجتماع اعلن القائد ان « سياسة عدم الانحياز تنبع اساسا من الموقف المستقل الذي يعطي ولاءه لمبادىء الحرية والسلام اولا واخيرا ، ويرفض في ذلك ان يصيبه الوهن تحت الضغوط وهو موقف سوف يبقى له في كل الظروف وزنه واصالته » .

وهكذا يبدو انه رغم فقدان الحركة لكثير من مواقفها وبداية انحسار المد الثوري التحرري » فان عبد الناصر يتمسك بسياسة عدم الانحياز ويرفض الضعف والاستسلام للازمة .. وهو موقف يتسق والمبادىء التي وردت في ميثاق العمل الوطني » الذي حدد الخطوط العريضة لسياسة الجمهورية العربية المتحدة كما يلي :
١ ـ الحرب ضد الاستعمار والسيطرة بكل الطاقات والوسائل . ٢ ـ العمل من اجل السلام لضمان السلام ، على اساس عدم الانحياز والحياد الايجابي .
٣ ـ التعاون الدولي من اجل الرخاء المشترك لشعوب العالم ، بوصفه امتدادا طبيعيا للحرب ضد الاستعمار وضد الاستغلال واستطرادا منطقيا للعمل من اجل السلام ، لتوفير الجو الامثل للتطوير .

ثم تاتي حرب ١٩٦٧ لتصبح قضية الامن المصري في المرتبة الاولى من اهتمام مصر ، وهنا يبدو متغيران اثرا على تحديد موقع مصر من مجموعة دول عدم الانحياز ومن فلسفة الحركة ذاتها :

المتغير الاول : محاولة مصر استقطاب دول المجموعة لتأييدها في صراعها مع اسرائيل ، وضمان تأييدها داخل الامم المتحدة .
المتغير الثاني : اعتماد مصر المتصاعد على الاتحاد السوفيتي بخصوص قضايا التسلح والتنمية وهو الامر الذي لاشك انه اثر على وضع مصر داخل مجموعة عدم الانحياز ، واثر على دورها القائد للحركة ، وهو الامر الذي اثر ايضا على استقلالية السياسة المصرية وتحركها الخارجي(١٦) .

وقد اتضح الموقف المصري من مجموعة عدم الانحياز وسياستها ـ وذلك بعد حرب ١٩٦٧ ـ في البيان المشترك ، الذي صدر بعد محادثات الرئيسين عبد الناصر وتيتو في اسوان ، وذلك في ١٩٧٠/٢/٢٧ والذي جاء فيه « تأكيد الرئيسين على اهمية سياسة عدم الانحياز والالتزام بها ، ومايمكن ان تضطلع به الدول غير المنحازة في حل المشكلات الدولية بالوسائل السلمية ويرى الرئيسان ان على دول الانحياز بوصفها اعضاء في المنظمة الدولية ان تتخذ مواقف ايجابية في مواجهة اي دولة لاتحترم التزاماتها في قرارات الامم المتحدة ، او تعرقل تنفيذ هذه القرارات . كذلك يعرب الرئيسان عن املهما الكبير في ان تتمكن دول عدم الانحياز من السعي حثيثا بالتعاون فيما بينها في سبيل تطوير استخدام الموارد الاقتصادية لهذه الدول ، تحقيقا لمستويات افضل من الحياة لشعوبها » .

ثالثا : مصر وعدم الانحياز في فترة السبعينات :

وبانتهاء الستينات وعقد المؤتمر الثالث لدول عدم الانحياز في سنة ١٩٧٠ ، تأتي مرحلة جديدة تمر بها مصر وحركة عدم الانحياز ، وهي مرحلة لها ملامح خاصة بالنسبة لمصر وبالنسبة للحركة .
ـ بالنسبة لمصر بدت مستغرقة تماما في قضية الامن ومشاكلها الاقتصادية الداخلية وغابت عن مسرح الاستعداد لعقد المؤتمر الثالث بل ان عبد الناصر لم يحضر مؤتمر القمة بلوساكا ، وكان رئيس الوفد المصري هو السيد محمود رياض وزير الخارجية آنذاك .
ـ اما بالنسبة للحركة(١٧) فقد كانت تتعرض لموجات من الهجوم والتشكيك ، كما لم يتم احراز تقدم في كثير من القضايا الهامة مثل نزع السلاح والتنمية ، وتميزت هذه الفترة ايضا بعدم الاستقرار السياسي بالنسبة لكثير من دول المجموعة ، وعاصر العالم سلسلة ازمات خطيرة وانتشرت الحروب في الشرق الاوسط وجنوب

(١٥) د . سامي منصور ، « المؤتمر الثلاثي ... » ، المرجع السابق ، ص ص ٣٧ ـ ٣٨ .
(١٦) بهجت قرني ، مرجع سابق ، ص ١٣٨ .
(١٧) عزة وهبي ، فتحي عثمان ، مؤتمر عدم الانحياز في لوساكا ، « السياسة الدولية » ، العدد : ٢٣ ، ١٩٧١ ص ١٥٠ .

شرق اسيا .

المؤتمر الثالث لدول عدم الانحياز – مؤتمر لوساكا (٨ – ٩/١٠ – ١٩٧١)

وقد تزعمت يوغوسلافيا الدعوة لعقد المؤتمر الثالث لعدم الانحياز وتجلى نشاطها وجهودها فى اجتماعين دوليين :

١ – عقد الاول بمدينة بلجراد من ٨ – ١١ يوليو ١٩٦٩ . ٢ – عقد الثانى بنيويورك فى ١٩٦٩/٩/٢٧ .

والجدير بالذكر هنا ان نشاط مصر للاستعداد لهذا المؤتمر كان غائبا كما ان اللجنة التى قرر اجتماع نيويورك تشكيلها للاعداد لهذا المؤتمر لم تكن مصر عضوا فيها[١٨] . وقد تم عقد اجتماع تمهيدى جديد بمدينة دار السلام وكان رئيس وفد مصر على مستوى وزير الخارجية ، هو السيد محمود رياض . وقد اشترك فى اجتماعاته ممثلو ٥٤ دولة ومراقبون من ثمانى دول . وتركزت المناقشات حول دعم التضامن بين دول عدم الانحياز ، والاتفاق على موقف موحد ، خاصة داخل الامم المتحدة . كما تناول المؤتمر الوضع المتفجر فى جنوب شرق آسيا وقضية الشرق الاوسط وضرورة ايجاد حل للمشاكل الاساسية فى المنطقة ، ثم بعض القضايا الفردية[١٩] واهم مناقشات مؤتمر لوساكا ماتعلق منها بقضية التنمية ، وهو ما اضاف تطورا – لاهتمام الحركة – بالبعد الاقتصادى ، وسوف يأتى ذكر هذه النقطة تفصيلا فى المبحث الثانى .

المؤتمر الرابع لدول عدم الانحياز/ مؤتمر الجزائر (٥ – ٩ سبتمبر ١٩٧٣)

اشترك فيه ممثلو ٧٤ دولة عضو ، و ٨ مراقبين ، وكان تمثيل مصر فى المؤتمر على مستوى رئيس الجمهورية ، وحضره الرئيس انور السادات ويلاحظ ان انعقاد هذا المؤتمر جاء قبل حرب اكتوبر بحوالى شهر ، وهو مايعنى استمرار احتلالها قضية الامن المرتبة الاولى ، وعدم ظهور متغيرات جديدة تؤثر على مصر وموقعها فى الحركة كما انه اول مؤتمر بعد وفاة الرئيس عبد الناصر وهو احد اقطاب عدم الانحياز .

وقد قدمت مصر (مع سوريا وليبيا فى اطار اتحاد الجمهوريات العربية) قدمت مشروع قرار حول الموقف فى الشرق الاوسط اشتمل على عدة عناصر من اهمها ، الانسحاب الفورى غير المشروط من الاراضى العربية المحتلة ، وحق تقرير المصير للشعب الفلسطينى ، والمساندة الكاملة والفعالة لمصر ، مع الاشادة بالدول التى قطعت علاقتها باسرائيل والدعوة الى مقاطعتها دبلوماسيا ، اقتصاديا ، ثقافيا وعسكريا[٢٠] الا ان اهم ماجاء به مؤتمر قمة الجزائر هو اهتمامه بالتنمية الاقتصادية وعودتها بشكل اكثر فعالية عن ذى قبل ، وصدور « اعلان اقتصادى » يؤكد ضرورة توفير سياسة جادة للدول النامية ، وارتباط هذا الاعلان بعمل عاجل ، وهو انعقاد مؤتمر الدول النامية للمواد الاولية فى داكار فى فبراير ١٩٧٥[٢١] .

المؤتمر الخامس لدول عدم الانحياز/ مؤتمر كولومبو (١٦ – ١٩ اغسطس ١٩٧٦)

جاء هذا المؤتمر فى فترة توتر العلاقات المصرية السوفيتية وازدياد اعتماد مصر على الولايات المتحدة . وفى اطار هذا التقارب المصرى الامريكى ثارت تساؤلات وشكوك حول اعتبار مصر دولة غير منحازة ، رغم ان مصر لم تنضم الى حلف عسكرى او قواعد عسكرية .

كما جاء هذا المؤتمر فى وقت انهمكت فيه مصر فى قضايا عربية خطيرة ، كالاحتلال الاسرائيلى لسيناء والجولان والضفة الغربية ، وانشغال مصر بالمنازعات العربية ، كما جاء المؤتمر فى وقت كانت فيه مصر غارقة فى مشاكل التنمية الاقتصادية ، وليس لديها الوقت الكاف او الاجهزة الضرورية لمتابعة تحركات سياسية فى الخارج .. وبدا فى هذه الفترة ان مصر فقدت قدرا من زعامتها فى العالم العربى ، وقدرا من مكانتها بين دول عدم الانحياز[٢٢] .

وهذه الظروف التى احاطت بمصر فترة انعقاد المؤتمر الخامس لدول عدم الانحياز ، لها دلالتها فى هذا السياق ، لانها حددت القضايا والمواقف الخاصة بمصر اثناء هذا المؤتمر ، كما وجهت علاقاتها نحو المجموعة العربية والمجموعة الافريقية داخل المؤتمر ، الذى يعد نقطة تحول هامة بخصوص علاقة مصر بالحركة ، ومن جانب آخر انعكست هذه الظروف على علاقة مصر ببعض الاقطاب فى الحركة مثل يوغوسلافيا والهند على النحو الذى ستوضحه الدراسة . اما بخصوص الاطار الذى احاط بالحركة فترة عقد هذا المؤتمر ، فقد تمثل فى

(١٨) شكلت اللجنة من : يوغوسلافيا ، العراق ، غانا ، اثيوبيا .

(١٩) عزة وهبى ، فتحى عثمان ، « مؤتمر عدم الانحياز ... » ، المرجع السابق ، ص ١٥٤ .

(٢٠) عمران شافعى ، « تلاحم دول عدم الانحياز مع الموقف العربى ، السياسة الدولية ، العدد ٣٥ ، السنة العاشرة ، يناير ١٩٧٤ ، ص ١٤٣ .

(٢١) وثيقة الاعلان الاقتصادى ، مؤتمر الجزائر ١٩٧٣ ، تقارير وزارة الخارجية المصرية .

(٢٢) د . بطرس غالى ، الاستراتيجية الاطلسية الجديدة والعالم الثالث ، « السياسة الدولية » العدد ٤٤ لسنة ١٢ ، ١٩٧٦ ، ابريل ١٩٧٦ .

ازمات دامية فى لبنان والصحراء الاسبانية المتنازع عليها وغيرها من الصدامات والخلافات بين دول عدم الانحياز ، وهو خطر شديد على امكانيات العمل الجماعى[٢٣]

فى ظل هذا المناخ العام عقد المؤتمر فى كولومبو فى الفترة من ١٦ ــ ١٩ اغسطس ١٩٧٦ ، واصبح هذا المؤتمر بتشكيله يمثل حوالى ثلثى اعضاء الامم المتحدة ومايقرب من نصف سكان العالم . وقد برز اثر هذا التوسع فى العضوية فى ضعف المؤتمر ــ اذ ان كثيرا من الدول لايمكن وصفها بأنها دول غير منحازة .. وقد كانت قضية العضوية بالفعل احدى القضايا الاساسية التى ناقشها المؤتمر كما كان الموضوع الثانى الذى ناقشه المؤتمر ، وكان لمصر موقف واضح بخصوصه هو كيفية تكوين مكتب التنسيق . وهو المكتب او الجهاز المسئول عن تنسيق العمل بين دول المجموعة فى الفترة مابين دورتى انعقاد مؤتمرات القمة وهى ثلاث سنوات . وتوصلت المناقشات لضرورة توسيعه ليتفق مع ضخامة الاعضاء ، واتفق على ان يضم ٢٥ عضوا اى بزيادة ٨ مقاعد مع الاعتماد على معايير جغرافية وليست سياسية .

واهم ماقرره المؤتمر :

١ ــ انشاء بنك للعالم الثالث ، والعمل على انشاء عملة موازية تستند الى القدرات الاقتصادية للدول غير المنحازة . ٢ ــ رفض المؤتمر تعديل معايير عدم الانحياز . ٣ ــ دعوة الى مزيد من الفاعلية ضد الاستعمار والامبريالية بشكليها القديم والجديد[٢٤] .

وقبل انعقاد هذا المؤتمر وفى اجتماعات مكتب التنسيق لدول عدم الانحياز فى مدينة الجزائر فى الفترة من ٣٠ مايو الى ٢ يونيو ١٩٧٦ ، وذلك للتمهيد لمؤتمر كولومبو ، وقعت عدة تطورات اساسية تعلقت بمصر ، وحددت مواقفها وعلاقاتها بالمجموعة فيما بعد .

ــ ويلاحظ بداية ان مصر ليست عضوا بمكتب التنسيق والاعضاء الاساسيون ، من بينهم الهند ويوغوسلافيا ، سوريا ، الجزائر ، والكويت ، الا انه يحق للاعضاء غير الاساسيين الاشتراك فى مناقشات المكتب[٢٥] .

ــ وفى احد هذه الاجتماعات فى ٣١ مايو ١٩٧٦ ، تحدث السيد عبد الحليم خدام (وزير خارجية سوريا) مهاجما مصر واتفاقية فض الاشتباك ، « محملا اياها جميع النتائج الوخيمة التى حدثت فى الساحة العربية وذلك وفقا لتخطيط امريكى » ومن هنا دخلت المشاكل العربية بين مصر والمجموعة التى اطلق عليها دول الرفض ، دخلت الى ساحة عدم الانحياز . وقد اوضح رئيس وفد مصر فى كلمته ايمان مصر بسياسة عدم الانحياز ودورها التاريخى فى الحركة ، والتحديات التى يجب على الحركة التصدى لها ، وزيادة الضغط على اسرائيل بما فى ذلك ، امكان حرمانها من عضويتها فى المنظمات الدولية[٢٦] وهكذا انفجر الخلاف بين مصر وهذه المجموعة العربية (سوريا ، العراق ، منظمة التحرير) داخل ساحة عدم الانحياز ، وما يعنيه ذلك من انقسام الحركة الى تكتلات ومجموعات ، وضرورة كسب مصر المواقع التى خسرتها نتيجة هذا الهجوم .

ــ كما يلاحظ انه منذ الأعداد لعقد هذا المؤتمر الخامس لعدم الانحياز ، بدا الدور الافريقى مؤثرا ، وقد خصص لافريقيا فى مكتب التنسيق ١٢ مقعدا من ٢٥ مقعدا . ومن هنا كثفت مصر نشاطها الدبلوماسى لكسب تأييد المجموعة الافريقية وهو الأمر الذى اتضح اكثر فى السنوات التالية .

المؤتمر السادس لدول عدم الانحياز ــ مؤتمر هافانا (٣ ــ ٩ سبتمبر ١٩٧٩)

بعد المؤتمر الخامس وصلت الحركة الى منعطف خطير فى مسارها ، وذلك فى ظل الانقسامات الفكرية والأيديولوجية بين اعضائها حول مفاهيم عدم الانحياز ، وفى اطار الخلافات الحادة الثنائية والتناقضات المصلحية والاقليمية التى تمزق هذه المجموعة .. ومرة اخرى يبرز الدور القائد ليوغوسلافيا ــ احدى الأقطاب المؤسسة للحركة ــ للحد من التصدعات الخطيرة الحادثة فى جبهة عدم الانحياز . وفى ٢٥ يوليو سنة ١٩٧٨ ، **انعقد مؤتمر وزراء خارجية مجموعة دول عدم الانحياز فى بلجراد**

ــ وقد حدثت ازمة داخل اطار اللجنة السياسية للمؤتمر كانت بين مصر والهند ويوغوسلافيا من جانب ، وكوبا من جانب آخر ، وذلك حول المقصود بالمبادىء الأصيلة لحركة عدم الانحياز . فقد هدفت كوبا ادخال بعض العمومية والغموض على تلك المبادىء بدعوى ضرورة شمول وعالمية تلك المبادىء ، بينما تمسكت مصر والدول المؤسسة الثلاث بأهمية التحديد الموضوعى لتلك المبادىء ، حتى لا تتفكك هذه الحركة فى المحافل

---

(٢٣) د . سامى منصور ، « مؤتمر القمة الخامس لعدم الانحياز » ، السياسة الدولية العدد ٤٦ ، اكتوبر ١٩٧٦ ، ص ١١٢ .

(٢٤) د . سامى منصور ، نفس المرجع ، ص ص ١١٢ ــ ١١٥ .

(٢٥) ترجع فكرة انشاء وتشكيل مكتب التنسيق الى مؤتمر القمة الثالث بلوساكا ، وسوف نشير فيما بعد الى موقف مصر من هذا الجهاز ، عند معالجة قضية تدعيم الحركة .

(٢٦) كان رئيس وفد مصر فى هذا الاجتماع السفير د . احمد عثمان

والتنظيمات الدولية ، وتغلبت هذه الدول وانتصرت وجهة نظرها

– كما طرح فى هذا الاجتماع عضوية الصين فى الحركة ، وايدت مصر انضمامها وتلخصت وجهة النظر المصرية الرسمية فى ان الفكرة جديرة بالدراسة وان الشرط الأساسى لقبول الصين يكمن فى الالتزام بالايدولوجية الأصيلة لهذه الحركة .[٢٧]

– والموضوع الآخر الذى تعلق بمصر فى هذا الاجتماع هو رفض مصر ودول اخرى (المغرب ، زائير ، كمبوديا ، الصومال) انعقاد المؤتمر فى هافانا ، او تأجيل موعد انعقاد المؤتمر ... وهكذا تعرض المؤتمر لأزمة انشقاق خطيرة بسبب تحديد مكان انعقاد مؤتمر القمة السادس فى هافانا .

– وبخصوص موقف مصر من قضية التدخل الأجنبى فى افريقيا ، فقد رات مصر افضلية عدم طرد اى من الدول التى لا تلتزم بسياسة عدم الانحياز وادانة كل اشكال التدخل الأجنبى فى افريقيا . وقد قررت مصر عدم مقاطعة مؤتمر قمة دول عدم الانحياز المقرر عقده فى هافانا [٢٨]

ومع هذا اصبح من الواضح ان الحركة تعانى من مشاكل عديدة ، وان مصر على وجه الخصوص تواجه ظروفا صعبة ويتمثل ذلك فيما يلى :

١ – ظهور مجموعة من الدول تحاول السيطرة على حركة عدم الانحياز ، بزعامة كوبا ، مؤيدة من انجولا وموزمبيق وبنين وافغانستان والجزائر وليبيا ، واثيوبيا ، وهو الأمر الذى يلقى معارضة من مصر ويوغوسلافيا والهند وسرى لانكا . ٢ – تزايد نفوذ الدول الكبرى عن طريق المساعدات العسكرية ، او الوجود او التدخل العسكرى ، الأمر الذى ادى الى حركة استقطاب ضخمة بين دول الحركة . ٣ – محاولة بعض الدول جذب الحركة تجاه الاتحاد السوفيتى ودول الكتلة الشرقية وجعلها مناهضة للغرب على اساس نظرية التحالف الطبيعى مع الدول الاشتراكية . ٤ – الخلافات الثنائية بين الدول الأعضاء فى الحركة ، مثل النزاع بين المغرب والجزائر ، مصر والعرب ، تشاد وليبيا ، كمبوديا وفيتنام . ٥ – الاختلاف بين دول الحركة حول اختصاصات ومهام مكتب التنسيق وطريقة اتخاذ القرارات فيه

ايضا كان من الواضح ان مصر تواجه ظروفا صعبة فى فترة الاعداد لمؤتمر هافانا والمرحلة المقبلة ، ويتمثل ذلك فى

١ – محاولة بعض الدول العربية التحرك فى نطاق عدم الانحياز لعزل مصر ، وادانة سياستها ، من خلال تعليق عضوية مصر وادانة كامب ديفيد ومعاهدة السلام المصرية الاسرائيلية ، وذلك تنفيذا لمقررات قمة بغداد الخاصة بالعمل على تعليق عضوية مصر فى حركة عدم الانحياز ومنظمة المؤتمر الاسلامى ومنظمة الوحدة الافريقية ، وقد تقدمت بعض الدول العربية بالفعل بطلب لادراج بند مستقل على جدول اعمال كولومبو خاصا بتعليق عضوية مصر ، وكانت هذه الدول قد نجحت بالفعل فى تعليق عضوية مصر فى منظمة المؤتمر الاسلامى . ٢ – لم توجه كوبا الدعوة لمصر لحضور قمة هافانا لدول عدم الانحياز ، انتظارا لما تسفر عنه اجتماعات كولومبو . وهو موقف منحاز لكوبا ، باعتبارها الدولة المضيفة ، واتضح موقفها المعادى لمصر من تصريحاتها والبيان الختامى ومقاطعة حفل السفارة المصرية فى كوبا

وفى هذا الاطار عقد مكتب التنسيق لدول عدم الانحياز اجتماعاته فى كولومبو عاصمة سيرلانكا التى ترأس مكتب التنسيق[٢٩]

موضوع تعليق عضوية مصر :

وتقدمت وفود العراق وسوريا ومنظمة التحرير الفلسطينية باقتراح لتعليق عضوية مصر ، وذلك اثناء نظر اللجنة التحضيرية فى بند وثائق الاجتماع الوزارى ، وهو اقتراح موزع به مستند كورقة عمل رقم ٧ ، بتعديل مشروع جدول اعمال الاجتماع الوزارى ، ويقضى بادراج موضوع تعليق عضوية مصر فى حركة عدم الانحياز باعتباره بندا مستقلا وفى جدول اعمال الاجتماع الوزارى لمكتب تنسيق بلدان عدم الانحياز ، وقد انضمت الجزائر فيما بعد لهذه المجموعة . وقد طالب رئيس وفد مصر برفض هذا الاقتراح وسحبه وعدم ادراجه على جدول اعمال الاجتماع الوزارى ، وأيد مصر مندوبو الجابون وزائير وليبيريا والسنغال وساحل العاج . ويلاحظ ان التحرك المصرى قد ركز على تجميع كل الثقل الافريقى وراء موقف مصر ، باعتباره الثقل المؤثر سواء فى غالبية اعضاء مكتب التنسيق ، او الوفود الحاضرة . كما ركز التحرك المصرى على رفض الفكرة من اساسها ، واقتراح

(٢٧) د . نازلى معوض احمد ، « اللاانحيازية فى مؤتمر بلجراد الوزارى » ، السياسة الدولية ، العدد ٥٤ ، اكتوبر ١٩٧٨ ، ص ص ١٥١ ، ١٥٢ .

(٢٨) رئيس وفد مصر فى مؤتمر بلجراد الوزارى ، د . بطرس غالى . راجع بخصوص تفاصيل هذا المؤتمر : د . نازلى معوض ، نفس المرجع ، ص ص ١٥١ – ١٥٤ .

(٢٩) رئيس وفد مصر فى مكتب التنسيق ، د . احمد عصمت عبد المجيد .

ادرج بند العراق والجمهورية العربية السورية ، عضوى مكتب التنسيق والتى تهدد وحدة وتماسك حركة عدم الانحياز . وقد تقدم الوفد المصرى بهذا الطلب بخطاب رسمي موجه الى وزير خارجية سيرى لانكا في ٢٧ / ٦ / ١٩٧٩

وفي هذه المرحلة نجح التحرك المصرى في استقطاب الدول الأفريقية ، التى فرضت رايها في صياغة قرار تلك المرحلة ، ونص عليه في تقرير اللجنة التحضيرية المرفوع للاجتماع الوزارى بأنه لم يتخذ قرار بهذا الصدد على مستوى اللجنة التحضيرية

وعند اقرار تقرير اللجنة التحضيرية وعرض الفقرة الخاصة بمصر ، طالب رئيس وفد العراق بمناقشته من جديد ، واعترضت العراق على حق مصر ـ كدولة خارج مكتب التنسيق ـ في المناقشة . الا ان الدول الافريقية ايدت مصر وحقها في المشاركة في المناقشات ، بالتساوى مع الدول الأعضاء عدا مرحلة اتخاذ القرارات

وقد قامت استراتيجية مصر ازاء عدم الانحياز ، في تلك الفترة الحرجة من تطور الحركة على :
١ ـ ابراز اهمية الوحدة والتضامن من داخل الحركة . ٢ ـ ابراز ما قدمته مصر للحركة . ٣ ـ ابراز معركة السلام التى تخوضها مصر واهمية وقوف دول الحركة معها سنة ١٩٥٦ ، وسنة ١٩٦٧ ، ثم سنة ١٩٧٣ . ٤ ـ واخيرا حاولت الاستراتيجية المصرية ابراز انتماء مصر الافريقى وموقفها من القضايا الافريقية

وفي التحليل النهائى لاجتماع كولومبو فان مصر قد حققت الآتى :
١ ـ عدم ادراج بند مستقل على جدول اعمال الاجتماع الوزارى خاصا بتعليق عضوية مصر ٢ ـ عدم ادراج هذا البند على جدول اعمال هافانا ، والذى تم اقراره خلال الاجتماع الوزارى في كولومبو ٣ ـ عدم صدور توصية من مكتب التنسيق بتعليق عضوية مصر ٤ ـ ابراز ثقل مصر الافريقى ، وتاكيد التأييد والتكتل الافريقى وراء مصر . ويلاحظ بخصوص مواقف بعض الدول الصديقة من مصر ، نها اتسمت بالسلبية مثل موقف السودان والصومال ، وموقف يوغوسلافيا والهند . ثم كانت الجولة الاخيرة في هذه المرحلة ، بانعقاد المؤتمر في هافانا في الفترة من ٣ ـ ٩ سبتمبر سنة ١٩٧٩ بهافانا . وقد حضر ممثلو ٩٢ دولة . منهم ٥٢ على مستوى رؤساء الدول والحكومات ، و ٢٠ دولة بصفة مراقب ، وعدد اخر من الدول والمنظمات الدولية بصفة ضيف[٣٠]

وانعقد المؤتمر في ظروف سياسية تتلخص فيما يلى :
١ ـ شك متزايد في نوايا كوبا من جانب عدد كبير من الدول غير المنحازة ، وشك فيما ستقوم به من خطوات اثناء رئاستها لمجموعة عدم الانحياز . ٢ ـ تعبئة مجموعة الدول اليسارية لتأييد كوبا ودعم رئاستها واتجاهها . ٣ ـ توتر العلاقات المصرية الكوبية قبل انعقاد المؤتمر ، وذلك لعدم حضور وفد كوبى الى القاهرة . اسوة بما قامت به كوبا تجاه معظم دول الحركة ، ولم تتجاوب كوبا مع مصر ، بخصوص رغبة الأخيرة ارسال وفد الى هافانا قبل المؤتمر للتفاهم في موضوع البيان الختامى ، وللمقاطعة المتبادلة لحفل العيد القومى لكل من البلدين . ٤ ـ وجود تيار واضح ضد اتفاقيات كامب ديفيد ، والتعبئة العربية العنيفة ضد مصر .
٥ ـ وقوف افريقيا في مواجهة هذا التيار ، ورفضها في القمة الافريقية في منروفيا ، في يوليو ١٩٧٩ ، اى ادانة للاتفاقيات او للسياسة المصرية مع اكتفائها بالصيغ العامة في ادانة اى اتفاق جزئى[٣١] . ٦ ـ زيادة عدد اعضاء الحركة وانعكاس ذلك على صعوبة الوصول الى قرارات بتوافق الآراء في الحركة ، نتيجة لاختلاف المواقف بالتنسيق للعديد من القضايا

اما بخصوص مواقف بعض الدول الصديقة من مصر في تلك المرحلة فيمكن تبينها كما يلى :

ـ يوغوسلافيا : اشتركت في المناقشات وطالبت بالموافقة على القرار الذى يدين اتفاقيتى كامب ديفيد والمعاهدة ، واعلنت تأييدها في الجلسة الأخيرة للمؤتمر ، لادانة هذه الاتفاقيات وقد اتخذت يوغوسلافيا موقفا هادئا ازاء كوبا ولم يتخذ تيتو موقف مواجهة مع كاسترو ، مع محاولة يوغوسلافيا تبرير ذلك بحرصها على وحدة الحركة ، التى انقسمت على نفسها منذ اللحظة الأولى

اندونيسيا ـ ماليزيا وبنجلاديش : اكتفت بالمشاركة الصامتة ، اى الموافقة

الهند : امتنعت عن التدخل بشكل مباشر في المناقشة واعلن مندوبها عن عدم وجود توافق الآراء لادانة اتفاقيات السلام مما يعد تأييدا لمصر

باكستان : اشتركت في المناقشات لكن بتحفظ ، معتبرة ان اتفاقيتى كامب ديفيد لم تحققا المطالب

---

(٣٠) رئيس وفد مصر في المؤتمر د . بطرس غالى .
(٣١) تقرير عن مؤتمر هافانا ، البعثة الدائمة لجمهورية مصر العربية لدى الامم بنيويورك ، وزارة الخارجية ، ص ١ .

الفلسطينية

وقد كان المتحدثون المؤيدون لمصر ٢١ دولة هي :
زائير ، بيرو ، نيجيريا ، اوغندا ،توجو ، افريقيا الوسطى ، ساحل العاج ، بورما ، السنغال ، ليبيريا ، ملاوى ، زامبيا ، سوازيلاند ، بوروندى ، لوسوتو ، بتسوانا ، نيبال ، جزر الكومور ، الكاميرون ، سنغافورة ، وكينيا

وهناك دولتان اخريتان لم تـوافقا على تعليق العضوية فقط وهما : تانزانيا ، الارجنتين واوضحت انه لايوجد توافق آراء بشأن الادانة وتعليق العضوية

وفي الجلسة الأخيرة اعلن كاسترو ان مكتب المؤتمر قرر ان يوصى في اعلانه الختامى ، بادانة فعالة لكافة الاتفاقيات الجزئية والمعاهدات المنفصلة التي تشكل خرقا لحقوق الشعب العربي والشعب الفلسطيني ومبادىء منظمة الوحدة الأفريقية وميثاق الأمم المتحدة حول المسالة الفلسطينية ـ وحيث ان اتفاقيتي كامب ديفيد ومعاهدة السلام المصرية الاسرائيلية اتفاقات جزئية ومعاهدة منفصلة ، فهذا يعنى التخلي عن قضية الدول العربية ، وخرقا للحقوق المشروعة لشعب فلسطين ، والمؤتمر يدين اتفاقيتي كامب ديفيد ومعاهدة السلام بين مصر واسرائيل ... وقد قرر المؤتمر ان يعهد لمكتب التنسيق ، بأن يعمل كلجنة عمل لبحث الضرر الذى حدث ، وتقديم تقرير حول هذا الموضوع للمؤتمر الوزارى في نيودلهى

والجدير بالذكر انه نتيجة لتكتل الدول المعتدلة ، والتكتل الافريقى حول مصر في مؤتمر دلهي لوزراء خارجية دول عدم الانحياز ، الذى عقد في الفترة من ٩ ـ ١٣ فبراير ١٩٨١ ، انتهى امر تعليق عضوية مصر لأن يكون مجرد طلب ابقاء لجنة داخل الحركة لدراسة ما اسموه بالأضرار التي سببتها السياسة المصرية للدول العربية والشعب الفلسطيني وهو ما رفضته المجموعة ايضا .. وفي النهاية قرر المؤتمر تقديم تقرير وثائقى عن الموقف الى مؤتمر القمة الذى كان مقررا عقده ١٩٨٢ في بغداد ، وهو ما يعني اقفال الموضوع .

المبحث الثانى : موقف مصر من ابرز قضايا عدم الانحياز

يناقش هذا المبحث اهم القضايا التي اهتمت بها مجموعة عدم الانحياز ، وتحديد موقف مصر من هذه القضايا وذلك في اطار علاقتها بالحركة .

اولا : قضية تدعيم الحركة :

المقصود بقضية تدعيم الحركة اعادة صياغة مبادىء عدم الانحياز بشكل يتواءم والواقع الدولي . كما يعني اعادة النظر في البناء الهيكلي والتنظيمي للحركة وضرورة اعادة النظر في اساليب ووسائل الحفاظ على جوهر وروح سياسة عدم الانحياز .

موقف مصر قضية التنظيم :

اثيرت القضية التي تتعلق بالتنظيم منذ المؤتمر الاول لعدم الانحياز سنة ١٩٦١ ، في قضية افتقار الحركة الى منظمة دولية دائمة تتولى الاشراف على تطبيق سياستها ففى بلجراد ثار جدل حول وجوب انشاء منظمة دولية تجمع دول عدم الانحياز او ان تبقى تلك السياسة دون منظمة دولية

وقد عارضت مصر انشاء منظمة دائمة لعدم الانحياز ، وعبر عبد الناصر عن هذا الموقف حين قال « اننا نعيش في عصر يتعذب فيه العالم بسبب الصراع بين الكتلتين ، ومن غير المعقول ان نكون كتلة ثالثة لتزيد حدة الصراع بدلا من ان نعمل على الحد منه ، اما يوغوسلافيا ، فقد كانت ترى ضرورة لانشاء منظمة ، لمساعدة دول عدم الانحياز على مواجهة التكتلات التى قامت فى العالم . الا ان وجهة النظر المصرية انتصرت في النهاية ، وسجل مؤتمر بلجراد في قراراته في الباب الثالث مبدأ عدم انشاء تكتل بين دول عدم الانحياز . واثيرت نفس القضية عدة مرات في المؤتمرات التالية ، واستندت حجج المؤيدين لانشاء منظمة لعدم الانحياز على الفاعلية وضرورة التنظيم المستمر ، اما التيار الرافض والذى مثلته مصر فكانت حججه تقوم على الأسس التالية :

١ ـ انشاء المنظمة يتنافى مع جوهر الحركة ، لأنه يحولها الى تكتل . ٢ ـ التضامن بين الدول لازال ضعيفا ، بدليل ان المؤتمرات لا تنعقد دوريا . ٣ ـ المنظمات الدولية التي قامت لا مانع من ان تجعل سياسة عدم الانحياز ركنا من اركان سياستها[٣٢]

وفي السبعينات عبر رئيس وفد مصر[٣٣] في الاجتماع الوزارى لمكتب التنسيق سنة ١٩٧٦ ، عن موقف مصر من القضايا التنظيمية للحركة وضرورة تحديثها وذلك دون ان يطرح اى حل يتعلق بضرورة التنظيم المستمر بقوله « اننا نحتاج للعمل الجدى النشط لاعطاء دفعة جديدة لحركة عدم الانحياز وذلك عن طريق :

١ ـ ايجاد فهم مشترك للمشاكل الجديدة التي نواجهها والاتفاق على افضل الحلول لها . ٢ ـ ان تتحول حالة التضامن بين دول عدم الانحياز الى عمل ايجابي مشترك . ٣ ـ توثيق هذا التعاون عن طريق التكاتف وتبادل المساعدة في مواجهة الأخطار التى تهدد كلا منا

(٣٢) د . بطرس غالي اساسية عدم الانحياز بعد التصالح الامريكي السوفيتي ، مرجع سابق ، ص ص ٢٦ ـ ٢٧ .
(٣٣) رئيس وفد مصر في هذا الاجتماع السفير د . احمد عثمان .

دون استثناء .

وسياسة عدم الانحياز ترسم وتنفذ وتتابع سياستها من خلال ثلاث ادوات رئيسية : الأولى هى **المؤتمرات** على مستوى وزراء الخارجية وعلى مستوى القمة ، والأداة الثانية **الأمم المتحدة** ومن الواضح ارتباط حركة عدم الانحياز بدورات الجمعية العامة ، وذلك منذ المؤتمر الأول . اما الأداة الثالثة لسياسة عدم الانحياز فهى **مكتب التنسيق** وترجع فكرة انشائه وتشكيله الى مؤتمر القمة الثالث بلوساكا سنة ١٩٧٠ ، حيث عقدت لجنة للاعداد لمؤتمر القمة وتشكلت من ١٦ عضوا ، لتكون مهمتها وضع مشروع جدول اعمال المؤتمر وتوجيه الدعوة الى الدول لحضور المؤتمر . ثم دعيت للاجتماع فى الدورة التالية الى ان اتفق على دعوتها سنة ١٩٧٢ للاعداد لمؤتمر القمة الرابع . وقد اطلق على هذه اللجنة اسم مكتب التنسيق فى قمة كولومبو سنة ١٩٧٦ ، وهو جهاز الدول غير المنحازة التى تستهدف تطبيق المقررات والبرامج التى قررتها مؤتمرات القمة والمؤتمرات الوزارية واجتماعات المجموعة فى الأمم المتحدة[٣٤] وكان يتكون المكتب من ٢٥ عضوا ثم ارتفع الى ٣٦ عضوا فى قمة هافانا

موقف مصر من مكتب التنسيق*

مصر ليست عضوا بمكتب التنسيق الا ان لمصر (او لأى دولة اخرى غير عضو بالمكتب) حق الاشتراك فى المناقشات . وقد تأكد هذا الحق بعد ازمة عنيفة شهدها مكتب التنسيق ، فى اجتماعاته للاعداد لهافانا ، حين اعترضت بعض الوفود على اشتراك مصر فى المناقشات[٣٥] الا ان تعبئة مصر للمجموعة الافريقية ، وبمساندتها ، امكن اقرار حق متساو للمناقشة للجميع .

ومع ازدياد عدد اعضاء المكتب ، فقد مكتب التنسيق مبررات وجوده كمجموعة محددة من الدول تجتمع للتشاور السريع . كما ان التصديق على قراراته نتيجة التوافق فى الآراء يخلق اغلبية مصطنعة تستطيع فرض وجهة نظرها وهو الأمر الذى عارضته مصر ، ودفع د . بطرس غالى ــ رئيس وفد مصر فى هافانا ــ الى ان يعلن فى كلمته امام المؤتمر :

« ان مكتب التنسيق بالصورة التى يتألف عليها ، وبالصورة التى يعمل بها ، يمثل كتلة صغيرة جدا ضمن حركة عدم الانحياز » ثم طالب رئيس وفد مصر « بضرورة تشكيل المكتب بصورة تمثل الجوهر الحقيقى لعدم الانحياز لا كتلة جديدة ضمن الحركة ، التى ترفض فلسفتها الأساسية ، تكوين الكتل »[٣٦]

وهو هنا ايضا يعبر عن استمرار موقف مصر من رفض مبدأ التكتل او التنظيم ... والجدير بالذكر ان الرئيس السادات قد تحدث عن ضرورة تحديث الحركة وتدعيمها ، وذلك فى خطابه ، فى ٢٥ مايو سنة ١٩٧٦ ، بمناسبة يوم افريقيا : « ان على دول عدم الانحياز ان تسعى لدور جديد يوافق عصر الوفاق ، بعد ان انتهت الحرب الباردة ... نريد لكتلة عدم الانحياز ان تقوم بدور اساسى غير الدور الفرعى الذى تقوم به الآن وان يكون لها اسنان ، وتنظيمات ثابتة .. »

موقف مصر من مبادىء الحركة

اما بخصوص مبادىء الحركة وضرورة التحديد الموضوعى لها ، فقد طالبت مصر بضرورة هذا التحديد ، حتى لا تتفكك جبهة عدم الانحياز فى المحافل والتنظيمات الدولية ... وفى النصف الثانى من السبعينات ثارت مناقشات حامية حول المقصود بالأهداف الأصلية لحركة عدم الانحياز ، وشهدت هذه الفترة عدة مواجهات من جانب مصر والهند ويوغوسلافيا من جانب وكوبا والمجموعة اليسارية من جانب آخر[٣٧]

ثانيا : قضية الاستعمار

تعتبر قضية تصفية الاستعمار هى القضية الأولى بالنسبة لمجموعة دول عدم الانحياز ، بحيث يمكن القول نها احد الأركان الأساسية التى اجتمعت حولها المجموعة خاصة فى فترة الستينات وعلى هذا كانت مكافحة الاستعمار فى مقدمة اهداف المجموعة ، وذلك فى اطار حركة التضامن الآسيوى الأفريقى ، ثم فى اطار عدم الانحياز . وفى باندونج احتدمت المجموعة حول تعريف الاستعمار . وبرزت عدة تيارات . التيار الأول يرى ان الاستعمار ظاهرة غربية محضة ، والتيار الثانى يرى ان الاستعمار قد يكون غربيا راسماليا او شرقيا اشتراكيا . وكان من انصار هذا الرأى كل من سيلان وباكستان والعراق ، ثم حسم الخلاف بين هذين التيارين ، وزير خارجية الهند (كريشنامون) الذى توصل الى عبارة توفيقية ترضى الطرفين وهى « ادانة الاستعمار فى جميع مظاهره » بدلا من عبارة الاستعمار فى جميع انواعه . وقد تلاشى هذا الخلاف تقريبا فى المؤتمرات اللاحقة ، خاصة مؤتمرات بلجراد والقاهرة ولوساكا والجزائر ، فقد اجمعت الدول غير

---

* تم انتخاب مصر عضوا بالمكتب اثناء انعقاد مؤتمر نيودلهى ــ مارس ١٩٨٣

(٣٤) توصية رقم ١٠ من مقرر تشكيل واختصاص مكتب التنسيق ، ص ١٤٩ .

(٣٥) من بينها وفد العراق .

(٣٦) خطاب د . بطرس غالى امام مؤتمر هافانا ، وثيقة خطب رؤساء الوفود ، وزارة الخارجية ، ص ص ٧٤١ ــ ٧٥١ .

(٣٧) كان ذلك داخل اللجنة السياسية لمؤتمر وزراء الخارجية فى بلجراد سنة ١٩٧٨ .

المنازعة على ان الاستعمار الذى يجب مكافحته هو ، قبل كل شىء ، الاستعمار الغربى ، اما احتمالات التسلط السوفيتى او الصينى ، فقد اعتبرته دول المجموعة اقل خطورة[٣٨] وموقف مصر من قضية تصفية الاستعمار ، موقف ايجابى رائد حيث قامت بدور اساسى فى الدعوة الى تصفية الاستعمار والالتزام بمبادىء الأمم المتحدة ثم دعم حركات التحرير ومساعدتها وقطع علاقتها بالدول الاستعمارية فى بعض الأحيان . وبوجه عام يمكن تمييز موقف مصر من قضية تصفية الاستعمار من خلال مرحلتين : المرحلة الأولى تبدأ مع مؤتمر القمة الأول وتنتهى بالثالث وتتسم بدعوة الدول الاستعمارية الى انهاء الاستعمار والالتزام بقرارات الأمم المتحدة . اما المرحلة الثانية فتبدأ من المؤتمر الرابع حتى السادس وقد كانت هذه المرحلة اكثر ايجابية ، بالنسبة لدول المجموعة على وجه العموم ، فقد انتقلت الى توجيه الدعوة الى دول عدم الانحياز للتصدى المباشر للاستعمار واتخاذ الاجراءات الفعالة لدعم حركات التحرير وتأكيدا لذلك قرر مؤتمر الجزائر : انشاء صندوق لتأييد ودعم وزيادة فاعلية الكفاح وفتح مكاتب لحركات التحرير فى عواصم دول عدم الانحياز وعمل كل الاجراءات الممكنة لعزل النظم العنصرية والاستعمارية وذلك من خلال قطع أو تعليق او تجميد كل صور العلاقات مع البرتغال وجنوب افريقيا وروديسيا واسرائيل وادانة هذه الأنظمة فى كل المجالات

ثالثا : قضية التعايش السلمى

شهد مؤتمر القمة الأول لدول عدم الانحياز خلافا ايدولوجيا حول اولوية قضية تصفية الاستعمار ام اولوية قضية التعايش السلمى . كان نهرو يرى ان الأولوية يجب ان تكون للمجهودات التى تقوم بها دول عدم الانحياز لتسوية الصراع بين الشرق والغرب . وامام تدهور الموقف الدولى واشتداد الحرب الباردة ، وازمة الصواريخ الكوبية انتصرت وجهة نظر نهرو ، واكتست سياسة عدم الانحياز بثوبها الايجابى ، وبدا هناك اجماع على ضرورة قيام دول عدم الانحياز بعمل ايجابى . ويمكن ان نميز بين مرحلتين على طريق عدم الانحياز فى مجال تحقيق السلام وتخفيف حدة التوتر الدولى[٣٩]

المرحلة الأولى : وهى مرحلة التيارات العملاقة لحركة عدم الانحياز والتى شملت عبد الناصر وتيتو ونهرو ونكروما وسوكارنو وسيكوتورى وقد امتدت هذه الرحلة الى المؤتمرين الأول والثانى ، وكان منطقها ان ما يتمتع به كل زعيم مهم من احترام ومكانة فى العالم تؤهل لهم مجتمعين مكانة دولية خاصة ، لها اثرها فى تخفيف حدة التوتر بين الكتلتين

وكانت وجهة النظر – آنذاك – انه لا توجد قوة دولية قادرة على خدمة السلام العالمى مثل دول عدم الانحياز ، وان مصير البشرية ليس حكرا على الدول الكبرى ، وان دول عدم الانحياز بحكم ما تمثله من مبادئ ص ٣٥ تسعى للسلام . ولعل اهم انجازات الحركة خلال هذه المرحلة اقتراح عبد الناصر خلال الدورة الـ ١٥ للجمعية العامة للأمم المتحدة ، بأن يجتمع كل من ايزنهاور وخروشوف تحت علم الأمم المتحدة ، كى يضعا قواعد بدء المحاولة من جديد لحل المشكلات الدولية .. كما وجه اقطاب بلجراد رسالة خاصة الى كل من كيندى وخروشوف تدعوهما الى الدخول فى مفاوضات من اجل السلام . فى هذه المرحلة ساهمت مصر – واقطاب عدم الانحياز – بشكل ايجابى فى تخفيف حدة التوتر الدولى خلال الحرب الباردة

اما المرحلة الثانية التى تبدأ بالمؤتمر الثالث للقمة فتتميز بتركيز حركة عدم الانحياز جهدها على حل المشكلات الأساسية التى تعانى منها المجموعة مع الاشارة الى خطر استمرار التوتر العالمى والدعوة الى السلام . ومن جانب آخر فان مرحلة الانفراج الدولى او ازدياد التقارب بين العملاقتين ، اضعفت من دور عدم الانحياز فى مجال التعايش السلمى

رابعا : قضية نزع السلاح :

ارتبطت قضية نزع السلاح بقضية التنمية الاقتصادية ، وبمراجعة قرارات مؤتمرات عدم الانحياز ، تتأكد هذه الحقيقةفقد ورد فى قرارات قمة بلجراد « بحث المشتركون فى المؤتمر انه يتعين على لدول الكبرى ان توقع دون مزيد من الابطاء » معاهدة لنزع السلاح نزعا شاملا كاملا ، وذلك لانقاذ البشرية من ويلات الحروب ، ولتحويل الطاقة المالية التى توجه فى الوقت الحالى نحو التسليح ، لأن تستخدم فى تحقيق التطور السلمى والاقتصادى والاجتماعى للبشرية كلها . وفى قمة القاهرة ورد فى البند العاشر من القرارات « ان رؤساء الدول او الحكومات المشاركة فى هذا المؤتمر مقتنعون بأن التقدم فى مجال نزع السلاح يساعد على زيادة الموارد المتاحة للتنمية الاقتصادية الا أن هذه القضية رغم انه تمت معالجتها فى جميع مؤتمرات عدم الانحياز ولكن ليس بحماس حقيقى ،

(٣٨) د . بطرس غالى ، « سياسة عدم الانحياز والتصالح الافريقى السوفيتى » ، مرجع سابق ، ص ٣١ .

(٣٩) د . سامى منصور ، عدم الانحياز – رحلة على طريق بلا معالم ، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالاهرام ، القاهرة ، ١٩٨١ ، ص ١٠٧ .

لأن صناعة الأسلحة المتطورة فى يد الدول الكبرى ، ولأن دول عدم الانحياز بحكم ظروفها فى مقدمة الدول التى تتسلح . الا ان هذه المؤتمرات انصرفت الى مناقشة السلاح الذرى او النووى لخطورته وامكانية توجيه الانفاق على هذا السلاح لقضايا التنمية(٤٠) .

, بوجه هام يمكن القول بخصوص موقف مصر من هذه القضية ، ان متابعة المؤتمرات المختلفة لا يكشف عن موقف خاص لمصر فى هذا الصدد تختلف به عن المجموعة .

خامسا : قضية التنمية :

منذ انعقاد المؤتمر الأول لدول عدم الانحياز فى سبتمبر ١٩٦١ ، وحتى مؤتمر هافانا فى سبتمبر ١٩٧٩ ، ويكاد لا يخلوا اى بيان سياسى او قرار او اعلان صدر عن هذه المؤتمرات ، دون تأكيد على اهمية البعد الاقتصادى للحركة وضرورة التعاون الوثيق بين الدول النامية المنتجة للسلع الأولية ، ودون الحث على حل التناقضات بين الدول النامية والدول المتقدمة ..

الا ان هذا الحشد الهائل من الكلمات والخطب ، لم يسفر فى كثير من الأحيان ، عن خطة عملية ممكنة التنفيذ ، او عن استراتيجية واضحة مقبولة يمكن ان تتحرك فى ضوئها دول الحركة . وفى هذا الاطار ، يمكن ابداء الملاحظات التالية :

- رغم ان حركة عدم الانحياز ، يتسم معظم اعضائها ، بأنها دول نامية تجمع بينها آمال واحدة ومشاكل مشتركة ، الا انه من الخطر النظر اليها كوحدة واحدة لها توجهات واحدة . وعلى هذا فان الحديث عن الدول النامية ، بوجه عام ، لايعنى اغفال التفاوت والتباين فيما بينها ، فى انظمتها السياسية ، وفى ظروفها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، كما انها تختلف فى اوجه ومستوى النمو وقد تتضارب مصالحها وتتناقض ، وهو الأمر الذى يمكن معه ان تتفق الدول النامية أعضاء حركة عدم الانحياز ، على ان قضية التنمية هى القاسم المشترك بينها والهدف الأول ، ولكن فى نفس الوقت لا يمكنها من الاتفاق على خطة عمل واحدة او استراتيجية للتحرك
- الملاحظة الثانية تتعلق بفشل وقصور تجارب التنمية فى معظم الدول النامية ، رغم ان بداية هذه المحاولات فى الستينات احاط بها الأمل ، وفى اطار موجة من المد الثورى .. وهو الأمر الذى ولد احباطات ومشاكل كثيرة داخل هذه الدول ، انتقل معها الى مؤتمرات عدم الانحياز
- يلاحظ ايضا ان فترة الستينات بالنسبة للحركة شهدت اهتماما مكثفا بقضية الاستقلال السياسى ، التى صعدت الى قمة اولويات الحركة . وقد تمثل ذلك فى قضية تصفية الاستعمار وقضية التعايش السلمى ، ومعنى ذلك ان البعد الاقتصادى لم يحظ بجانب كبير نسبيا من اهتمام الحركة . الا ان الواقع يشير الى مزيد من الفاعلية فى الاهتمام بقضية التنمية فى مرحلة الستينات . وهو الأمر الذى يمكن تفسيره فى اطار المناخ السياسى الذى احاط بالحركة . ووجود زعامات تاريخية ، قادت موجة المد الثورى التحررى . وقد اختلف الأمر فى السبعينات ، اذ انه رغم تصاعد الاهتمام بقضية التنمية ، وعدم خلو اى بيان سياسى من الحديث عن هذه القضية وضرورة التعاون بين الدول النامية الا ان الحركة افتقدت امكانية ترجمة هذه البيانات الى عمل وذلك فى كثير من الاحيان ، وقد يعود ذلك الى التصدع والانشقاق الذى شهدته الحركة فى السبعينات ، واختفاء القيادات التاريخية التى جمعت دول الحركة ، وبروز الصراعات المحلية والاقليمية بين هذه الدول ، الأمر الذى جعل من التنمية القاسم المشترك بين معظم اعضاء حركة عدم الانحياز ، لكن دون فاعلية تذكر - ولكن رغم ذلك كانت الحركة هى الميدان الذى ساعد قضية التنمية على ان تصل الى المحافل الدولية ، وتسمع صوتها كما كانت التربة التى نمت فيها بعض الأفكار والتنظيمات الاقتصادية ، التى تحاول الدفع بقضية التنمية وتحقيق التعاون بين الدول النامية ... وقامت مصر بدور الريادة فى هذا المجال ..

اذ انه رغم انعقاد المؤتمر الأول سنة ١٩٦١ ، وكان شاغله الأساسى اشتداد الحرب الباردة ، الا انه رغم ذلك تعرض المؤتمر لقضية التنمية وكان لمصر دور بارز فى اثارتها ، حيث جاء فى خطاب الرئيس عبد الناصر فى المؤتمر : « انه من المحتم الآن اتاحة اكبر فرصة للتقدم امام الشعوب التى لم تستكمل نموها الاقتصادى والاجتماعى . وينبغى لنا ان نذكر انه لا يمكن ان يكون هناك استقرار فى عالم تتفاوت فيه مستويات الحياة بين الشعوب على هذا النحو الفاضح الذى نراه . » ....(٤١) وبالفعل انتهى مؤتمر قمة بلجراد الى الدعوة الى عقد مؤتمر دولى لبحث قضية التنمية الاقتصادية والتعاون الاقتصادى . ووجهت مصر الدعوة الى عقد مؤتمر للدول النامية بالقاهرة ، وقد اشترك فى هذا المؤتمر ٣١ دولة ، وانتهى الى تحديد

(٤٠) د . بطرس غالى ، « سياسة عدم الانحياز .... » ، مرجع سابق ، ص ص ٣٣ - ٣٤ .

(٤١) د . اسماعيل صبرى عبد الله ، نحو نظام اقتصادى عالمى جديد ، دراسة فى قضايا التنمية والتحرر الاقتصادى - العلاقات الدولية ، القاهرة ، الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٧٦ .

" خطة التعاون بين الدول النامية " ، كانت ابرز معالمها التعاون الوثيق بين الدول النامية المنتجة للسلع الأولية . ثم جاء المؤتمر الثانى لقمة عدم الانحياز ، ليؤكد اهمية قضية التنمية ، وتحقيق السلام على قاعدة اقتصادية .. وقد افضت جهود الدول النامية الى **عقد مؤتمر الامم المتحدة للتجارة والتنمية فى جنيف سنة** ١٩٦٤ . وقد رأس هذا المؤتمر ، وزير مالية مصر فى ذلك الوقت ، د . عبد المنعم القيسونى ، واسفرت اعمال المؤتمر عن :

١ ــ تنظيم دائم مقره جنيف يحمل اسم المؤتمر ، لبحث قضايا التنمية وتنظيم دورات انعقاد متتابعة للمؤتمر .

٢ ــ تجمع الدول النامية فى مجموعة متماسكة ، عرفت منذ ذلك الوقت بمجموعة الـ ٧٧ ، رغم ان عدد اعضائها تخطى ذلك بكثير . ثم جاء مؤتمر عدم الانحياز الثالث فى عام ١٩٧٠ ، ليطالب بضرورة دعم الاستقلال السياسى لدول الحركة ، بتعاون اقتصادى فيما بينها . الا ان الأرقام كشفت عن مزيد من التدهور فى العلاقات الاقتصادية بين دول الحركة من جانب وبينها وبين الدول المتقدمة من جانب آخر . ومما ولد الاحساس بضرورة اعادة النظر الشاملة فى النظام الاقتصادى الدولى ، وضرورة تصدى الحركة لقضية التنمية(٤٢) وفى المرحلة التالية التى بدأت من مؤتمر القمة الرابع سنة ١٩٧٣ ، بدأت الجزائر تقوم بدور قيادى للاهتمام بقضية التنمية ، واصدر المؤتمر اعلانا اقتصاديا يدعو الى العمل العاجل على كل المستويات لاعطاء دفعة للتعاون الاقتصادى بين الدول النامية

وتقدم الرئيس هوارى بومدين بصفته رئيسا للدورة الرابعة لمجموعة عدم الانحياز ، وتنفيذا لمقررات مؤتمر القمة الرابع ، تقدم بطلب الى كورت فالدهايم ، لعقد دورة خاصة للجمعية العامة للأمم المتحدة لمناقشة قضية المواد الأولية وقضية التنمية ، وانعقدت بالفعل لمناقشة الدورة الخاصة السادسة فى ابريل ومايو ١٩٧٤ . واسفرت مناقشاتها عن اقرار وثيقتين

١ ــ اعلان بشأن اقامة نظام دولى جديد . ٢ ــ برنامج عمل من اجل اقامة نظام اقتصادى دولى جديد(٤٣)

وفى هذه الفترة ايضا ، وبناء على ما قرره مؤتمر الجزائر ، انعقد " مؤتمر الدول النامية للمواد الأولية " ، فى داكار فى فبراير ١٩٧٥ . اما عن مؤتمر القمة الخامس لدول عدم الانحياز فى كولومبو ، فقد انتهى باصدار اعلان اقتصادى ، عبر عن الشعور بالاحباط الناتج عن عدم تنفيذ القرارات المتعلقة الخاصة بالنظام الاقتصادى الدولى الجديد . كما شمل قرارات اخرى هامة لتدعيم تضامن الدول النامية ومواصلة حركة عدم الانحياز نضالها مع مجموعة الـ ٧٧(٤٤) واخيرا ، كان مؤتمر قمة هافانا سنة ١٩٧٩ ، الذى حفل هو الآخر بالحديث عن ازمة التنمية التى تعيشها دول العالم الثالث ، بحيث يمكن القول ان قضية التنمية قفزت الى قمة اولويات حركة عدم الانحياز ، لكن دون فاعلية تذكر .

خاتمة :

مع الثمانينات شهدت مصر مرحلة جديدة من علاقتها بمجموعة عدم الانحياز ، وذلك بعد انتهاء موضوع تعليق عضوية مصر فى مؤتمر دلهى لوزراء خارجية عدم الانحياز فى فبراير ١٩٨١ ، بقرار المؤتمر بتقديم تقرير وثائقى عن الموقف الى مؤتمر القمة القادم المزمع عقده فى بغداد ، فى سبتمبر ١٩٨٢ . فالتحرك المصرى الدبلوماسى ، للاستعداد لقمة بغداد ، يشهد عملا مكثفا ، هذا التحرك الذى يتجه الى عدة دوائر :

اولا : تحرك مصرى فى اطار القارة الافريقية ، وذلك بعد ان تأكدت فعالية التأييد الافريقى لمصر فى قمة افانا ، وفى دلهى مع العمل على تحييد التيار الافريقى الرافض

ثانيا : تحرك مصرى فى الدائرة الاسلامية لجذب هذه الدول نحو تأييد مصر ، خاصة وان قرار القمة الاسلامية قد قيد كثيرا من حرية بعض الدول الاسلامية فى التحرك معنا

ثالثا : تحرك مصرى فى اطار الدول المؤسسة للحركة لاحياء الحركة من جانب وتحديثها ، وضمان التأييد لمصر فى قمة بغداد ..

---

(٤٢) د . اسماعيل صبرى عبد الله ، المرجع السابق ، ص ٨ .
(٤٣) القرار رقم ٣٢٠١ ، والقرار رقم ٣٢٠٢ .
(٤٤) كما اصدر مؤتمر كولومبو مايسمى ببرنامج العمل من اجل التعاون الاقتصادى والذى يشمل ثلاثة اجزاء ..
انظر : النصوص الاساسية لقرارات المؤتمر الخامس لرؤساء الدول او مكونات الدول غير المنحازة فى كولومبو ، من ١٦ ــ ١٩ اغسطس ١٩٧٦ .



قادة عدم الانحياز
عبد الناصر - تيتو - نهرو

د . مجدى حماد

من المسلم بـه انه ينبغـى على اى سـياسة او ايديولوجية ، لكي تكون فعالة ، ان تكيف .. وسـائلها تبعا لبعض المفاهيم الانسانية .

ولكن اوربا التى استطاعت خلال قرنين من الزمـان ان تتحكم فى موارد العالم كله ، قد وضعت هـذه الموارد تحت تصرف النظام الاوربى فحسب ، محتكرة بذلك - من اجل مصلحتها وحدها - الحرية والسلام والعمل . فلقد احدثت فى العالم « المتحضر » تفرقة بين الاخـلاق والسياسة ، ثـم كانت هـذه التفـرقة بين الرجـل « الابيض » والرجل « الملون » .

وهـكذا خصص « الغـرب » نظـرته بـالنسبة الى « المبادىء » كما خصصها بالنسبة الى الرجال ، فاذا بنظرته الى ماهو « اوربى » تختلف عمـا ليس كذلك ، فهو يرى بصورة طبيعية مشكلات اوربا ورجالها ، اما حين ينظر الى مشكلات الشـعوب الاخـرى ، او حين ينظر الى هذه الشعوب ذاتها ، فإنه يضع نظـارة على عينيه ، وإذا بهذه النظرة غير المبـاشرة لاتتصـل بقيم الاخلاق او بقيم السياسة .

وبرغم هذا فان نظرة الغرب قد بدات تلحـظ قـوى « غير اوربية » تقف فى ساحة التاريخ مع نهاية الحرب العالمية الثانية ، حين هـب ثـلاثة اربـاع الانسـانية يطالبون للمرة الاولى منذ قرنين بحقهم فى الحرية ، وفى العمل ، وفى الخير ، وفى السلام .

ومن ناحية اخرى ، فقد دفـع الضـمير المضـطرب ابطال الحضارة الى بعض المحاولات ، خـلال الحـرب العـالمية الثـانية ، لوضـع اسس عالم جـديد ، وكان « ميثاق الاطلنطى » إحدى هذه المحاولات . ولكن حين ذهب الخطر اكتفى هؤلاء الابطال بـان يسـتقروا بين اطلال العالم القديم .. وهكذا بدا التاريخ وكانه سـائر فى طريقه الهادىء المتقـدم بـالنسبة لقـوم ، وراجـع القهقرى بالنسبة لاخرين .

لقد سجلت الحرب العالمية الاولى ايضـا محـاولات كهذه ، وشاعت نفس « الشعارات » لتحرك الشـعوب من اجل انقاذ الديمقراطية وشـاعت نفس الكلمـات : « حرية - سـلام - عمـل » وكانت مبـادىء الرئيس « ولسن » الاربعة عشر ، مثـلا ، قـد اعلنت « حـق الشعوب فى تقرير مصيرها » .

ومع ذلك فقد وجدنا انفسنا فى عام ١٩٤٥ ، فى نفس الاوضـاع التـى كنا فيهـا عام ١٩١٩ . اى فى « حضارة » لم تتغير مضامينها وادعاءاتهـا تـريد ان تحكم العالم بمنطـق علم حـديث يوجـه الانسـانية فى العصر الذرى ، وبعقلية العصور الوسطى - التى ترى ان تبقيه فى اوضاع خاصة ، هى التى خلقت الاستعمار والقابلية للاستعمار ! .

وهكذا يبدو التاريخ فى ربع قرن وكانه يعيد نفسـه ، دالا بذلك على ان شـيئا لم يتغير فى الواقـع فى تـركيبة الحضارة الغربية . ولكن على الرغم من « المظـاهر » فان التاريخ لايعود الى الوراء ، وليست هناك قـوة فى

الارض تستطيع ان تحد مجـراه او ان تعيد اطـراده . فـالواقع ان الذى تـكرر فى عام ١٩١٩ وعام ١٩٤٥ لم يكن التاريخ ، وانما هو محاولة العالم الغربى ان يعيد صنعه لتحقيق مصالحه .

ونحن نفهـم الان الصراع الذى ينشـأ عن مقـاومة كهذه ، عندما يحدث الصدام بين القـوى التـى تـريد المحافظة على اوضاع السيطرة والاسـتقلال والقـوى التى تدفع العالم حتما الى الامام . ونلاحظ من خـلال مناقشات الامـم المتحـدة ــ مثـلا ــ ان « التقـدم الاخلاقى » الذى يحقق صلاحية هـذه المنظمـة ليس فى رصيد الكبار ، فان الدرجة الكلية للحضارة الانسـانية لايدل عليها رصيد القنابل الذرية المختزنة فى قلاع الدول الكبرى وانما يكون هذا التقدم فى نمو « ضمير دولى » فى العالم والقوى التى تزيد فى هذه الدرجة ليسـت هـى التى توفر القوة والرفاهية للغرب والتى تحاول ان تكون من وسائل القهـر والاسـتقلال ضـد الشـعوب « المتخلفة » ــ كما يقولون ، وانمـا هـى التى تقر توازنا اجتماعيا وسياسيا ينسجم مع نمو عالم يجب الا تعالج فيه المشكلات الانسـانية بمنطـق القـوة وانمـا بمنطق البقاء حذرا من وقوع كارثة شاملة .

ولذلك فقد بدأ حوار جديد فى التاريخ ، حوار لم يكن المتحدث الى « القوة » فيه « قوة » اخرى من نوعها ، تجر العالم الى الحـرب طبقـا لسـياسة « حـافة الهاوية » .. بل هو نوع جديد ليس المتكلم فيه مسـلحا بقنابل نووية بل بقوانين جديدة اخـلاقية وسـياسية . فان دخول الشعوب الافريقية والاسيوية المسـتقلة على المسرح قد حمل معه حـق تـركيب جـديد للعـالم ، وامكانيات تعايش جـديد يحمـل الشروط الاخـلاقية لحضارة لاتكون تعبيرا عن القوة . وفى هذه المرحلة فان هذه الشعوب لم ترد ان تمثل الدور الثانى متعلقة باذيال الكبـار ، ولكن دور انداد احـرار فى اختيار طـريقهم الخاص بوسائلهم المناسبة ، واقتناعهم بان اختيارهم هذا يتيح للانسانية فرصة جادة لتلافى الحرب . وهكذا فقد بدأ جدل تاريخى منذ عام ١٩٤٥ بين منطق القوة ، ومنطـق عدم العنف ، بين منطقـة الحـرب ومنطقـة السـلام ، بين اسـتراتيجية الاحتـواء ومبـدأ الحياد الايجابى وعدم الانحياز . ولقد كان « مؤتمر باندونج » عام ١٩٥٥ خاتمة لمرحلة اولى من مراحل هـذا الجـدل التاريخى وفاتحة لمرحلة ثانية ، حيث خلق هذا المؤتمـر فى الواقع مركزا جديدا لجانبية التاريخ .

لقد صرح « دلاس » قبل انعقاد « مؤتمر باندونج » بايام لبعض مندوبى الصحف : ان اهداف هذا المؤتمر تبدو له « مختلطـة وغامضـة » . والواقـع ان هـذا التصريح ينم عن ادراكه المشـــوب ببعض الحيرة والارتباك لتحول عدد من عناصر « القوة » الى عناصر « عدم الانحياز والحياد الايجابى » اكثر من ان ينم عن فلسفة رجل مثل « دالاس » فـالقوى التـى يمثلها مؤتمر باندونج تكون فعلا ــ فى نظره ــ رصيدا له وزنه وتاثيره فى مفهوم الاستراتيجية فى العالم .

ان هذه القوى التى كانت بسـبب هـذا المفهوم رصيد « الحرب الباردة » اى تعمل بصورة او بـاخرى كعوامل « قوة » قد تحول خط نشاطها واستقر بصورة ماعلى محور « عدم الانحياز » ابتـداء مـن « مؤتمر باندونج » . واسـاس ذلك ان الدول التـى استرجعت استقلالها السياسى على تفاوت فيما بينها قد اجتـازت وهى فى طريقها الى باندونج مـرحلة مهمـة فى سبيل استقلالها الاقتصادى والثقافى . فحتى ذلك الوقـت لم تظفر مشكلات هذه الدول ببحث كامل إلا فى المؤتمرات التى تستلهم وحيهـا مـن « الميثـاق الاسـتعمارى » و« الاستراتيجية العالمية » .

ولذلك فقد كان مـؤتمر بـاندونج ، قبـل كل شيء ، تقـويما لامكانيات المسـتقبل ، حيث اصـبح على الانسانية ان تحيل هذه الامكانيات الى واقـع يتـرجم الافكار التى ولدت خلال المناقشات الى سلوك محـدد ، والى تحقيق فعلى مؤثر يغير حالة الرجل الافراسيوى .

فمسـئوليات الزعمـاء والقـادة الذين اجتمعـوا فى باندونج ومن بعد فى مؤتمرات الشـعوب الافـراسيوية ومؤتمرات عدم الانحياز ــ كانت جدا خـطيرة للغـاية امام مايواجههم من عقبات ومغريات . إذا كان عليهم ان يواجهوا مواريث استعمارية حادة حتى بعـد رحيل المستعمر .

ومن هنا فمن الاهمية بمكان ان يفرد باب خاص ـ فى مناسبة المؤتمر السابع لرؤساء دول او حكومات عدم الانحياز ــ لاستعراض هذا البعـد : اى دور الزعمـاء والقادة الذين حملوا على اكتافهم هذه الفكرة الجـديدة وخرجوا لكى يتحدوا بهـا النظـام الدولى القـائم على اسـاس المعسـكرات الايديولوجية وسـياسة الحـرب الباردة . ان هذه الفكرة بقـدر مـاحركت مـن قـوى سياسية واجتماعية واخلاقية يمـكنها ان تلعـب دورا يمكن ان نطلق عليه دور « التعجيل والتعديل » فى اطار الحركة التاريخية العامة ، التى يحـركها الصراع بين الاشتراكية والراسمالية .

فمـن المعـروف ان حـركة عدم الانحياز والحياد الايجابى فى مرحلة تبلورهـا وصعودهـا وتـكاملها ، قـد ارتبطت بعدد من قادة العالم الثالث ومن ابـرزهم عبد الناصر ونهرو وتيتو وسـوكارنو ونكرومـا وكاسـترو وبومدين وسيكوتورى .. ولكن هـذا البحـث سيركز اساسا على دور نهرو وتيتو وعبد الناصر مع الاشارة من حين الى آخـر لقـائد او آخـر ، وذلك لان هـذا « الثلاثى القائد » كان له دور بارز فى الدعوة الى هـذه

السياسة الجديدة وفي توضيحها فكريا وعمليا . كذلك فان الاستعراض سيركز على ناحية التكامل بين هؤلاء القادة باعتبار ان هذه السياسة هي حصيلة التفاعل والتكامل بين افكار كل منهم .

ومع ذلك ينبغي التسليم بان هذه السياسة لاتعبر عن « تيار واحد » وانما يمكن القول انها كانت تعبيرا عن فكرة « الوحدة في اطار التنوع » » :

فمن ناحية الوحدة يبرز التقاء قادة عدم الانحياز والحياد الايجابي على مجموعة من الافكار الاساسية تشكل لديهم مقومات هذه السياسة ومن بينها :

١ ـ رفض مفهوم الحياد التقليدي او الحياد السلبي .

٢ ـ تبني مفهوم « التعايش السلمي » كاساس للعلاقات الدولية .

٣ ـ ان حركة عدم الانحياز لاتشكل « كتلة ثالثة » وانما هي منطقة سلام .

٤ ـ ان الحركة تقوم بدور كان من المفروض ان تقوم به الامم المتحدة ، وبالتالي فالحركة تلتزم باهداف ومبادىء ميثاقها وتسعى إلى تعديله وتطوير المنظمة .

٥ ـ ان حركة عدم الانحياز تعبير عن الرغبة في الامن والتنمية اى الاستقلال الحقيقي .

اما من ناحية التنوع فيمكن الاشارة الى عدد من مظاهر « الاختلاف » والتباين داخل حركة عدم الانحياز والحياد الايجابي ومن ذلك مثلا :

١ ـ الاختلاف حول الموقف من الصراع السوفيتي ـ الامريكي ، ولنتامل ـ مثلا ـ موقف دولة من دول العالم الثالث تتبنى الاشتراكية وموقف دولة اخرى تتبنى الراسمالية من هذا الصراع .

٢ ـ الاختلاف حول الصراع العربي ـ الاسرائيلي ، خاصة وان الحركة تضم داخلها عددا كبيرا من الدول العربية والدول الاسلامية .

٣ ـ الاختلاف حول الصراع بين مبدأ العالمية ومبدأ الاقليمية ، حيث كانت بعض الدول تميل الى التقليل من نطاق الحركة ، والبعض الاخر يميل الى التوسع فيها جغرافيا .

٤ ـ الاختلاف حول اولويات القضايا الجديرة باهتمام الحركة ، فمثلا في المؤتمر الاول لدول عدم الانحياز عام ١٩٦١ تغلب التيار الذى تزعمه نهرو باولوية قضية الحرب الباردة على قضية تصفية الاستعمار ، بينما في المؤتمر الثاني عام ١٩٦٣ تغلبت قضية تصفية الاستعمار ثم بعد ذلك بدأ التركيز على القضايا الاقتصادية .

٥ ـ الاختلاف حول الاختيار بين مبدأ العدالة ومبدأ الاستقرار ، فمثلا كانت الهند تنادى بان الصراعات الدولية يمكن تسويتها على اساس الامر الواقع لتحقيق « الاستقرار » ولكن عندما احتل جزء من اقليمها سارعت الى الدفاع عن مبدأ العدالة .

ويلاحظ ان مظاهر التنوع هذه قد انعكست على مستويين : اولهما ـ مستوى المفهوم ذاته حيث يمكن القول ان كل رئيس دولة كان له مفهومه الخاص لسياسة عدم الانحياز والحياد الايجابي ، وثانيهما ـ مستوى التطبيق حيث كان سلوك الدول غير المنحازة عادة مايتباين من نفس القضية وربما يتناقض .. ويمكن تفسير هذا الاختلاف على المستويين بعدد من العوامل :

اولا ـ اختلاف المصالح الذاتية لكل دولة .

وثانيها ـ اختلاف التجارب الذاتية التى خاضتها كل دولة .

وثالثها ـ اختلاف الظروف الداخلية والخارجية المحيطة بكل دولة .

ان هذه الدراسة عن القيادة الثلاثية التاريخية لحركة عدم الانحياز لابد لها من ان تبدأ بالاجابة على سؤال اساسى عن دور الفرد في التاريخ طالما اننا نسعى لاستعراض ادوار مجموعة من « الافراد » وندعى لهم دورا في اطار الحركة التاريخية العامة .. وبعد ذلك نستعرض دورهم من ناحيتين : اولاهما ـ نظرية الى حد ماعن دور الفرد في الربط بين السياسة الداخلية والسياسية الخارجية باعتبار ان مبدأ عدم الانحياز كان تعبيرا عن هذه المتغيرات الثلاثة في زمان ومكان معينين ، وثانيتهما ـ تطبيقية وتنصرف الى استعراض سياسة عدم الانحياز في التطبيق من زاوية هذه القيادة الثلاثية التاريخية والسؤال فيها مباشر وواضح : ماهي القوى الاجتماعية التى كان يعبر عنها عبد الناصر ونهرو وتيتو في تبنيهم لمبدأ عدم الانحياز ؟ .

اولا دور الفرد في التاريخ .. وحركة عدم الانحياز ان « الافراد » لايدخلون التاريخ حتى إذا كانوا ابطالا اوزعماء وقادة .. ولكن الذين يدخلون التاريخ هم اولئك الذين يمثلون قوى اجتماعية حقيقية تملك إرادة التغيير .

ولاشك ان عظماء القادة هم انفسهم ظواهر اجتماعية ذات اهمية قصوى ولكنهم ليسوا قوى خارج التاريخ او مفروضة على التاريخ .. انهم يسهمون مع « الجماهير » التى يقودونها وبقدر مايرتبطون بهذه الجماهير ويعبرون عن ارادتها في صنع المسيرة الكبرى للبشرية . انهم في الواقع وبهذا الوصف وحده يجسدون إرادة التاريخ

وتتميز هذه المجموعة التى نعرض لها من « قيادات » حركة عدم الانحياز ـ من نهرو وتيتو وعبد الناصر الى نكروما وسوكارنو وكاسترو بين هؤلاء « العظماء » بان كل منهم لايمثل فقط قوى اجتماعية

تصنع بإرادتها التاريخ وتغير العالم ، وتصوغ افكار « الجماهير » بل ان كل منهم بدرجات متفاوتة وعلى مستويات متباينة ، قد اسهم في « خلق » هذه القوى ذاتها وفي تشكيلها عن طريق تلك الصلة القريبة التى نشات بين كل منهم وبين « جماهير » وطنه – اولا ، وقطاعات مختلفة من « جماهير » العالم الثلث – ثانيا ، تلك الصلة التي اوجدها اصلا ودعمها ايمان كل منهم ، الثابت والعميق بهذه الجماهير وبقدرتها الخلاقة .

وإذا كنا نتحدث عن « حركة التاريخ » ، فقد يكون من المفيد الاشارة بداية الى ان « الجماهير هى التى تصنع التاريخ » ، ويبقى علينا بعد هذه المقدمة الاساسية ان تحدد دور « الفرد » القائد او البطل او الزعيم في دفع حركة التاريخ ، لكي نضع اطارا سليما لدراسة دور هذه الشخصيات التاريخية العظيمة التى قادت حركة عدم الانحياز من ناحية اولى ولكى يقوم بعملية تاصيل وتقويم للدور الذى ادته هذه الشخصيات ونقدره حق قدره – من ناحية ثانية . من المتفق عليه ان المجتمع مثله مثل الطبيعة يتطور حسب قوانين موضوعية . وعلى ذلك يكون من المنطقى ان نطرح على انفسنا السؤال التالى : ماهو إذن دور « الجماهير » في الحركة التاريخية العامة ؟ اوليس الانسان اداة عمياء في ايدى الضرورة التاريخية ؟ .

ان الاساطير القديمة تحكي لنا عن قدر لايرحم يسيطر علي الناس وعلي الالهة ، وعن عجز الجماهير إزاء ذلك عن تغيير ماكتبته الاقدار . فهل الضرورة التاريخية شبيهة بالقدر ؟ .. ومادامت موجودة . افليس من الافضل اصلا الابتعاد عن النشاط الاجتماعى وانتظار نتيجة الاحداث الحتمية انتظارا خاملا ؟ .

ان بطلان طرح المسالة على هذا الشكل واضح وبين . واساس ذلك ان قوانين التاريخ تختلف عن قوانين الطبيعة بانها تشق لنفسها الطريق الزاما بواسطة « حركة الجماهير » . لاتنجلى الضرورة التاريخية في وجود « عمليات جبرية » خارج النشاط البشرى ، بل تتجلى فيما يحدث من تطورات داخل المجتمع تؤدى الى بروز حاجات اجتماعية جديدة ، تحفز بدورها مجموعات كبيرة من الجماهير الى الحركة في اتجاه معين . ومعنى ذلك ان قوانين التاريخ لاتفعل اوتوماتيكيا وان الجماهير هى التى تصنع تاريخها : ولكن ليس بشكل اعتباطى بل تحت تاثير الظروف العامة المحيطة بهم .(١)

ومن المهم الاشارة هنا الى ان « الجميع » لايناضلون في المجتمع في سبيل تحقيق حاجات التطور الاجتماعى . فالقوى الرجعية – مثلا – تعارض الضرورة التاريخية لان هذه الضرورة تشكل خطرا على رفاهيتها وسلطتها . ولذلك فان حركة هذه القوى الرجعية قد تعيق التقدم الاجتماعى ولكنها لن تستطيع الغاءه . كذلك فان القوى الامبريالية تحاول بكل الوسائل الابقاء على الاستعمار لكي تعيق تحرر الشعوب المستعمرة وبعد فشلها فانها تحاول الان إعادة بناء النظام الدولى الجديد التبعية بما يضمن لها استمرار السيطرة والاستغلال ، ولكنها لن تستطيع اطفاء شعلة الحركة الوطنية التحررية ودرء انهيار النظام الاستعمارى القديم والجديد انهيارا نهائيا .. وبديهى انه كلما وعت القوى الثورية ، بوضوح اكبر ، ضرورة انتصار النظام الجديد وكلما ناضلت في سبيله بثورية اكبر ، كلما كان تحقق التقدم الاجتماعى اسرع . وهكذا نصل الى العلاقة بين دور الجماهير ودور الفرد في هذه الحركة التاريخية العامة .

اننا اذا تصفحنا كتب التاريخ لصادفنا على صفحاتها بضع مئات من اسماء « شخصيات » تركت اثرا عميقا جدا في حياة المجتمع . ومن هؤلاء كبار العلماء والقادة العسكريين والشخصيات الاجتماعية وعباقرة الفن والفكر وزعماء الحركات الثورية . وهل ثمة من لايعرف اسماء اسكندر المقدونى ويوليوس قيصر وسبارتاكوس وبطرس الاول ونابليون ؟ وقد يبدو ان هؤلاء هم صانعو التاريخ الوحيدون .

ليس هناك شك في ان « الافراد » ، البارزين يلعبون دورا كبيرا في التاريخ ، ولكن الحركة التاريخية هؤلاء « الافراد » ، من القادة والعظماء والعباقرة انما تستند الي حركات الجماهير الشعبية التى تنشأ عن الحاجات العميقة لتطور المجتمع والامة . ولقد شهدت غالبية المجتمعات عدد غير قليل من الناس البواسل والموهوبين ولكنهم كانوا ابطالا منعزلين بعيدين عن الجماهير : ولهذا لم تات حركتهم بالنتائج المتوخاه . ومعنى ذلك ان الفرد سيمنى حتما بالاخفاق والهزيمة ، مهما كانت صفاته الشخصية ممتازة او متفوقة ، اذا كان منفصلا عن الجماهير : ولايعبر عن حاجات التطور الاجتماعى السائدة .

ولنطرح هذا السؤال لتوضيح الفكرة : ماذا كان سيحل بالتاريخ لولم يظهر هذا الرجل العظيم او ذاك على مسرحه ؟ .. وهل اذا كان كروموبل قد مات لمصادفة من المصادفات في سن الطفولة ، ماكانت تحدث

(١) انظر في هذا المعنى .
شاخنا زاروف واخرون ، الناس والعلم والمجتمع (موسكو : دار التقدم ، بدون تاريخ) ، ص ٦٨ – ٧٦ .

الثورة البرجوازية البريطانية ؟ كلا ، انها كانت ستحدث بالطبع لان التاريخ تحدده قوانين موضوعية عميقة لتطور البنى الاجتماعية والاقتصادية ولقد كانت الثورة البرجوازية في بريطانيا في القرن الثامن عشر ثورة تاريخية . ولو لم يكن كرومويل قد ظهر لكان غيره قد حل محله . وربما لوحدث ذلك كانت كثير من الاحداث التاريخية قد جرت آنذاك بشكل آخر وفي مواعيد اخرى ولكن الاتجاه الاساسي للتطور كان سيبقى على حاله .

ان دور « الفرد » العظيم ينحصر في انه يعي الحاجات الاجتماعية باوضح من الاخرين ويعبر عنها بصورة اكثر دقة منهم وينظم القوى الطليعية ويقود نضالها من اجل تلبية هذه الحاجات .

وبمقارنة « الشخصيات التاريخية » البارزة في مختلف العصور يمكن القول ان اهمية حركتهم التاريخية كانت تحددها دائما مقاييس تلك الحركة الاجتماعية التي كانوا يعبرون عن احتياجاتهم . ومن هنا اهمية المنهج الذي يتخذ اساسا لدراسة مثل هذه « الشخصيات » وتحديد دورها في الحركة العامة للتاريخ .

وفي البداية يفيد ان نشير الى ان مثل هذا الموضوع .. دور الشخصيات العظيمة في حركة التاريخ — لايتطلب بالضرورة ان يتعرض المرء لاحداث معينة يمكن ان تصدر بشانها احكام يختلف عليها .

فاسم جمال عبد الناصر — مثلا — يرتبط بعدد من الاحداث البارزة منها :

— ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ .
— وبتاميم قناة السويس في ٢٦ يوليو سنة ١٩٥٦ .
— وباحداث الوحدة بين مصر وسوريا ١٩٥٨ — ١٩٦١
— ويرتبط باحداث الثورة اليمنية منذ قيامها في سبتمبر ١٩٦١
— وكذلك بمواقف حاسمة من الاحلاف والمشروعات الاستعمارية

وكل حدث من هذه الاحداث قد يكون موضع جدل حاد فيما يتعلق بالحكم عليه في حد ذاته .. ولكنه ليس هناك جدال في ان احداث الوحدة العربية بين مصر وسوريا واحداث اليمن مثلا ، تدل على اهتمامات عربية اوسع نطاقا من الاقليم المصري وان احداث تاميم القناة وماتمخضت عنه ، ومواقف عبد الناصر من الاحلاف والمشروعات الاستعمارية تدل على موقف معين من الاستعمار العالمي .. وهذا هو وحده مايهمنا في هذه الدراسة ولايهمنا بعد ذلك كثيرا تقدير نتائج هذه الاحداث .

كذلك فان اسم تيتو يرتبط بعدد من الاحداث البارزة منها :

— قيادة حركة التحرر ضد الاحتلال النازي حتى تحقق الاستقلال .
— التصدي للجمود الاستاليني وفرض الطريق الخاص الى الاشتراكية
— انهاء المساعدات العسكرية الامريكية رغم اهميتها لتعارضها مع السياسة المستقلة .

ونفس الشيء يمكن تقريره هنا : ان كل حدث من هذه الاحداث قد يكون موضع جدل حاد فيما يتعلق بالحكم عليه في حد ذاته .. ولكن هذه الاحداث في جملتها تشكل موقفا يتجاوز بكثير دائرة المصالح القومية الضيقة ليوغوسلافيا وتعبر عن اهتمام بدائرة اوسع من المصالح الذاتية . فهي في جانب منها تمثل جزءا من المجهود الاحربي العالمي ضد النازية المجنونة وهي في جزء آخر تضع قيدا لاول مرة على « قدسية » موسكو في اطار المعسكر الاشتراكي كما انها تعبر في جملتها عن سياسة مستقلة مضادة لاتجاهات الهيمنة او الاستعمار او السيطرة من الشرق او من الغرب .[٢]

وربما يكون ذلك الموقف اكثر وضوحا في حالتي نهرو ونكروما على سبيل المثال واساس ذلك ان نهرو تحت تاثير تعاليم غاندي تابع قيادة الحملة ضد التفرقة العنصرية التي كانت ولاتزال تمارسها حكومة جنوب افريقيا البيضاء حتى فرض على الامم المتحدة تبني هذه الحملة التي كادت ان تصل اليوم الى حد ترشيح هذه الدولة لتكون اول عضو تطبق عليه عقوبة الطرد من المنظمة الدولية .[٣] كذلك فان نكروما لينكر بشيء قدر فكرة « الوحدة الافريقية الفورية » التي كرس لها

---

(٢) انظر بخصوص تيتو :

سيروس سالزبيرجر ، اخر العمالقة — ترجمة احمد عادل (بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٧٣) ، ص ١٦٧ — ١٨٣

هند سلامه ، غير المنحازين (بيروت : منشورات دار الرابطة الثقافية ، ١٩٦٥) ، ص ٩٨ — ١٠٩

(٣) انظر بخصوص نهرو

سيروس سالزبيرجر ، المرجع السابق ، ص ١٥١ — ١٦٦ .

بول سيجموند ، ايديولوجيات الامم الاخذة في النمو — ترجمة تيسير محمود فهمي (القاهرة : الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦١) ، ص ٩٨ — ١٢٠

جانبا اساسيا من حركته الدولية سواء على المستوى الدبلوماسى او على المستوى الثورى .[٤]

ان الدلالة التاريخية للاحداث اذن هى محور الاهتمام هنا ، وبالتالى نعود الى القول ان التعرض لشخصية او لشخصيات تاريخية يرتبط اسمها بمجموعة من الاحداث التاريخية التى لاخلاف على دلالتها يضعنا مباشرة فى مواجهة « المنهج » الذى يتخذ اساسا لهذه الدراسة .

ومن المعروف بداية ان هناك اكثر من وجهة نظر فيما يتصل بدراسة مسالة « دور الفرد فى التاريخ » .. وفيما يلى نستعرض بعضا من هذه الاتجاهات .

١ ــ فمن الصحيح انه كانت هناك مدارس تعتبر التاريخ كله من صنع بعض الافراد ، او الأبطال ، او العظماء ، فهم عمالقة يقفون خارج المسيرة البشرية يصنعون احداثها ويحولون مجرى التاريخ . فيكتب تاريخ اوربا منذ بداية القرن التاسع عشر حتى الان كقصة لاحداث صنعها نابليون وبسمارك ولينين .

٢ ــ ومدارس كانت تذهب الى ان التاريخ هو تاريخ حياة العظماء ، على حد قول « كار »[٥] ولكن غنى عن البيان انه ليس هناك من ياخذ مثل هذا المنهج فى الدراسات المعاصرة الان ماخذ الجد ، وان كانت الظروف الاجتماعية والفكرية التى تمر بها مجتمعات العالم الثالث منذ الخمسينات حتى ألان تحمل بعض السمات التى تميز بها التطور الفكرى والاجتماعى فى اوربا فى القرن الثامن عشر وهى سمات كان لها دور واضح فى انتشار مثل هذا المنهج .

٣ ــ وكذلك هناك وجهة نظر اخرى فى هذا الصدد تذهب الى الطرف الاقصى المضاد وتعتبر التاريخ من صنع قوى « لاشخصية » ــ ومثل مفهوم دينى معين او مثل البيئة أو الاوضاع الاقتصادية ــ لأدخل للانسان فيها

فالناس العظماء منهم والعاديون على السواء مسيرون بقوى بعيدة عن متناول ايديهم . او على حد تعبير تولستوى : ان العظماء فى التاريخ « هم مجرد اسماء تجعلها عناوين للاحداث التاريخية » .

ولكن هذا المبدأ لايمكن قبوله على علاته . فالتاريخ هو تاريخ الانسان ويشترك الانسان ان واعيا او عن غير وعى فى صنعه ولايكاد يكون هناك شك فى ان بعض الشخصيات الكبرى قد تركت اثرا واضحا فى سير التاريخ .

فليس هناك من يستطيع ان يقول مثلا ان وجود لينين لم يغير شيئا فى الاحداث التى يتالف منها تاريخ روسيا بعد الحرب العالمية الاولى . او ان مصر كانت ستمر بنفس التطور التاريخى فى القرن التاسع عشر سواء ظهر محمد على فى مسطلعه او لم يظهر ، او ان تاريخ المنطقة العربية فى القرن السادس الهجرى ماكان ليتغير لو وجد صلاح الدين الايوبى اولم يوجد ، وسواء كسب العرب معركة حطين او لم يكسبوها :

٤ ــ وبين هذه الاتجاهات تسود فى الدراسات المعاصرة المعنية بهذا النوع من التاريخ وجهة نظر تذهب الى ان لبعض الأفراد من الناس دور واضح فى التاريخ وأن لم يكونوا صانعين . ولكن بعض اصحاب هذا الراى مثل بليخانوف الفيلسوف الماركسى فى بحثه « دور الفرد فى التاريخ » يذهبون الى ان كل مايستطيع الفرد ان يؤثر به فى التاريخ هو ان يؤخر سير عملية تاريخية او يعجل بها . وان الفرد نفسه ودوره فى التاريخ من نتاج القوى الكبرى ــ ذات الطابع الاقتصادى اساسا ــ التى تصنع التاريخ .[٦]

فى حين يؤكد البعض الاخر مثل الاستاذ كار : ان العظماء فى التاريخ هم من يمثلون قوى تاريخية كبرى ومثل هؤلاء العظماء نوعان :

اولهما ــ بمثابة ادوات لهذه القوى مثل نابليون وبسمارك فهم فى الواقع يركبون موجة التاريخ بسبب ظروف لم يشتركوا فى خلقها .

وثانيهما ــ يمثلون قوى تاريخية ساعدوا هم انفسهم على تفجيرها وتوجيهها ومن ثم فانهم يتركون طابعهم الشخصى فى التاريخ مثل كرومويل ولينين[٧] فهم بهذا المعنى نتاج قوى اجتماعية معينة ومنتجين لها فى ذات الوقت .

---

(٤) انظر بخصوص نكروما

محمود عبد المنعم مرتضى ، غانا تحت حكم نكروما : ١٩٤٧ ــ ١٩٦٦ ، رسالة للحصول على درجة الدكتوراه فى العلوم السياسية ، غير منشورة ، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ــ جامعة القاهرة . وانظر بخصوص فكرته عن الوحدة الافريقية الفورية :

Kwame Nkrumah, Africa Must unite (New York : Frederick A. Praeger, 1963).

(٥) انظر مثلا : ا . هـ . كار « ماهو التاريخ »

What is history? (London, 1961), pp. 47-49.

(٦) انظر :

د . عبد الكريم احمد ، عبد الناصر والتاريخ (القاهرة : مؤسسة الاهرام ، ١٩٧٢) ، ص ٢٧

(٧) ا . هـ . كار ، مرجع سابق ، ص ٤٨

وسنحاول تطبيق هذا المنهج الاخير فى هذه الدراسة وان كان يهمنا هنا ان نضيف الى التقسيم الذى يتضمنه هذا المنهج - الى عظماء يركبون موجة التاريخ وآخرين يسهمون فى تفجير القوى التى يمثلونها - شيئا آخر هو ان الفرق بين هؤلاء واولئك يكمن فى التالى :

- ١ - ان الفريق الاول لايعى الدور التاريخى الذى يقوم به

- فى حين ان الفريق الثانى يعى التطور التاريخى فى عصره ويحاول واعيا ان يؤدى دوره فيه . وهذه الشخصيات العظيمة التى نعرض لدورها فى هذه الدراسة - مثل عبد الناصر ونهرو وتيتو وكاسترو وبومدين - هى شخصيات تاريخية ساعدت فى تفجير قوى معينة كانت تختمر فى مناطق مختلفة من اوطانها ومن العالم وحاولت توجيهها فى مواجهة قوى اخرى . وكأى شخصيات تاريخية اخرى فقد تركت اثرها فى حركة التاريخ فى حدود معينة .

ثانيا : دور الفرد فى السياسة الداخلية والسياسة الخارجية

ان المنهج المتقدم والملاحظات التى سبقته حول دور الجماهير ودور الفرد فى التاريخ ، يوحيان وكأننا بصدد اعداد دراسة شاملة لدور ، وربما لادوار ، كل من هؤلاء القادة على المستويين الداخلى والخارجى ، بينما تهدف هذه الدراسة اساسا الى الاقتصار على استعراض جانب واحد ، او « دور » واحد من الادوار المتعددة لعبد الناصر وتيتو ونهرو .. الخ ، الا وهو دورهم فى حركة عدم الانحياز . ولسوف يتضح على الفور ان هذا « الدور » هو فى حقيقته محصلة لتفاعل ثلاثة متغيرات : **اولها** - الفرد القائد او الرئيس ، **وثانيها** - السياسة الداخلية . **وثالثها** - السياسة الخارجية . وفى تفصيل ذلك سوف نستعرض بعض الاعتبارات على النحو التالى .

☐ **اول هذه الاعتبارات** يدور حول دور « الفرد » - الرئيس اساسا طالما نقر بالتفرقة بين الرئيس والقائد - فى السياسة الخارجية بصفة عامة ، ودور هذه القيادات التاريخية - وقد كانوا جميعا قادة قبل ان يكونوا رؤساء - فى السياسة الخارجية لدولهم .

فلقد جرت التقاليد على التمييز بين السياسة الخارجية والسياسة الداخلية ، وهو مايعود الى خبرات تاريخية كانت لها دلالتها حتى الحرب العالمية الاولى . فقد كانت السياسة الخارجية توصف بأنها « سياسة الامير » ، اى انها كانت تعبر عن ان السياسة الخارجية ميدان يستقل به الحاكم ويصير مطلق الارادة بخصوص حتى فى المجتمعات السياسية ذات التقاليد الديمقراطية الليبرالية . ومن مظاهر ذلك ، على سبيل المثال ، تلك السلطات الضخمة التى لايزال يملكها رئيس الدولة فى الولايات المتحدة فيما يتعلق باختيار السفراء . اضف الى ذلك صفة السرية التى تفرضها طبيعة المشكلات التى تتعلق بالسياسة الخارجية . فضلا عن ان الرأى العام الداخلى تعود الا يهتم الا بكل ما له صلة بحياته المحلية[٨]

وعلى الرغم من ان العلاقة بين السياسة الخارجية والسياسة الداخلية لم تعد بمثل هذه الصورة ، كما سيأتى حالا ، الا ان « سلطات الرئيس » فى النطاق الخارجى لاتزال ضخمة ، وتتضخم بصورة اكبر فى المجتمعات النامية التى تنتمى اليها هذه الشخصيات التاريخية . خاصة وقد اقترن ذلك فى كل حالة بمحاولات الحصار الاقتصادى والضغط السياسى والرغبة فى فرض السيطرة من قبل القوى الكبرى . وكل ذلك يسوغ اهتماما اوسع بدراسة دور هذه الشخصيات العظيمة فى حركة عدم الانحياز .

☐ **وثانى هذه الاعتبارات** يدور حول العلاقة بين السياسة الخارجية والسياسة الداخلية فى عالم اليوم . واساس ذلك ان التطورات التى نعيشها اثبتت انه لم يعد من الممكن وضع حد فاصل بين هذين النوعين من انواع النشاط السياسى . ان السياسة الخارجية كالسياسة الداخلية كل منهما يكون بعدا من ابعاد الحركة السياسية بحيث ان اختلاط الواحد منهما بالآخر هو الذى يسمح بخلق القوة والتعبير عن الارادة الحاكمة . ولقد فرضت هذا التداخل عدة عوامل نذكر منها اربعة عوامل : **اولا** : اولها - طغيان الابعاد الايديولوجية فى محيط العلاقات الدولية . **وثانيها** - انهيار الحواجز بين المجتمعات السياسية . **وثالثها** - سيطرة الصفة الجماهيرية على المجتمعات المعاصرة وعلى سلوكها السياسى . **ورابعها** - التطور التكنولوجى .

وعلى ذلك اذا كنا نتساءل فى تحديدنا لخطوط « المنهج » عن « القوى الاجتماعية » التى كان يعبر عنها كل من هؤلاء « القادة » ؟ - من ناحية ، وعن مدى توفر الوعى بالتاريخ لدى كل منهم ؟ - من ناحية اخرى ، فانه ينبغى رؤية هذه المسألة فى اطارها الصحيح فالحديث عن القوى الاجتماعية وعن المجتمع وعن التاريخ ، فى سياق هذه الدراسة وفى المنطق الذى

---

(٨) د . حامد ربيع ، نظرية السياسة الخارجية (القاهرة : مكتبة القاهرة الحديثة ، بدون تاريخ) ، ص ١

تستند اليه ، ليس حديثا عن « قضايا داخلية » بالمرة ، فهذه « التجزئة » بين الداخل والخارجى لاتقوم فى الواقع ، كما ان كثيرا من القضايا المصرية او العربية او الهندية او اليوغوسلافية او الاندونيسية .. الخ قد تبدو وكانها « قضايا داخلية » او « قضايا اقليمية » او خاصة ، لما لها من صفة جغرافية .. ولكنها فى مفهومها الحقيقى ، قضية عالامية ، تمثل جزءا لايتجزأ من صراع عالمى ، يجرى بين مجموعتين من القوى : تعمل احداهما على تثبيت الاوضاع القائمة ، وهى اوضاع مبنية على التبعية والسيطرة والاستغلال ، بينما تعمد ثانيتهما الى تحطيم هذه الاوضاع وبناء نظام عالمى جديد اكثر عدلا .. ويبدو تحالف القوى فى هذه المعركة الشاملة على مستوى الدول وعلى مستوى القارات وعلى مستوى العالم .. وهذا هو الاطار الصحيح لفهم فكرة عدم الانحياز ، ومغزى طرحها من قبل هذه الشخصيات التاريخية العظيمة .

وثالث هذه الاعتبارات يدور حول دور « القيادة » فى الربط بين السياسة الخارجية والسياسة الداخلية . ونقطة البداية فى هذه الاعتبارات تتبنى على ما سبق : ان العلاقة بين السياسة الخارجية والسياسة الداخلية هى علاقة التحام عضوى حتى انه يمكن القول انهما عندما يتفاعلان يخلقان القوة والهيبة للدولة المعاصرة . وبعبارة اخرى ليست هناك دولة ذات نفوذ استنادا الى سياسة داخلية ناجحة فقط او سياسة خارجية ناجحة فقط . فكلاهما يجب ان يتفاعل مع الآخر ، وهنا ياتى دور القيادة . فالقائد السياسى القادر على فهم وظيفته الحقيقية هو الذى يستطيع ان يربط بشكل واضح فى نشاطه بين العمل الخارجى والعمل الداخلى . ويرجع ذلك الى ان النشاط السياسى اليوم أضحى كلا لايتجزأ ، انه فى حقيقته لايعدو ان يكون صراعا بين الارادات .

وهنا ينبغى ان يوضع فى الاعتبار ان الأوضاع الداخلية ، من حيث قوة واستقرار النظام السياسى وثباته من حيث درجة تمثيل الطبقة الحاكمة وامتداد هذا التمثيل فى فئات وشرائح الراى العام من عدمه ، يؤثر فى تحرك الدولة على النطاق الخارجى . وبالتالى يمكن القول انه بغض النظر عن شخصية تيتو ، او عبد الناصر ، او نهرو – مثلا – الا ان الامر الذى لاشك فيه ان شعبية كل منهم وقوة تماسك القوى القومية خلف شخصيته داخل بلاده ، هى التى هيأت ليوغوسلافيا ، او لمصر ، او للهند ، مكانة وهيبة دولية مؤثرة ، وبالتالى كان لابد وان تتحكم فى نطاق وابعاد الحركة السياسية ليوغوسلافيا ، او لمصر ، او للهند عبر حدودها على نطاق دولى اوسع ، ومعنى ذلك ان احد اسباب قوة اى قائد سياسى هو استناده الى خلفية شعبية صريحة وواضحة .

ومن المؤكد من هذه الناحية ان كل من هذه الشخصيات التاريخية العظيمة فى مجرى حركة عدم الانحياز ، كان له بالاساس دور داخل ، برز فيه وبنى عليه انطلاقته على المستوى الدولى .

فالهند تمثل « لوحة من الامم » ومع ذلك فقد استطاعت قيادة نهرو ان تجمع شتات هذه اللوحة فى اطار مبدأ « الوحدة مع التنوع » وذلك من خلال مبدأ « عدم العنف » الذى يحتل مرتبة مقدسة فى التقاليد الهندية .. وبالتالى فقد كانت خير تعبير عن العالم الثالث وعن همومه واستطاعت قيادة نهرو ، فضلا عن ذلك ، ان ترسى اسس تحول هذا الكيان البشرى الضخمى – الهند – الى دولة عصرية ، ديمقراطية على النمط الليبرالى الغربى .

ويوغوسلافيا لم ترفع تيتو الى المرتبة التى بلغها اعتباطا ، فقد كان له دوره البارز فى بناء الدولة العصرية المستقلة المتآلفة ، وربما لم يعرف التاريخ الحديث قائدا تحمل المسئولية اربعين عاما واضطلع بها بمقدرة فائقة وسط عالم يزخر بالمتناقضات ، وظل مع ذلك زعيما متجددا لم ينظر اليه فى اية لحظة كطراز قديم ينتمى الى الماضى .. تجربته الضخمة الأولى كانت ضد النازية حتى خرج منتصرا ، وعزز نصر الحلفاء النهائى ، وتم له تحرير بلاده – وكانت تجربته الضخمة الثانية ضد الاتحاد السوفيتى ، حتى خرج منتصرا وتم له تثبيت استقلال بلاده .

كذلك فقد تجلت هذه الحقيقة بأوضح صورها فى مصر طوال فترة التحول التاريخى الذى شهده المجتمع العربى منذ ثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ . لقد ادركت « الجماهير » باحساسها ووعيها النامى كيف تعبر عن ارادتها عندما اختارت من بين ابنائها واحدا من اكثرهم ايمانا بقدرتها ووعيها ثم حملته امانة التعبير عن ارادتها . ولاشك ان هذه العلاقة الفريدة قد استندت على « منجزات داخلية » لا خلاف على دلالتها . ومع تعدد هذه المنجزات الا اننا سنكتفى هنا بمعركة تأميم قناة السويس ثم ما عرف باسم « معركة السويس » ذاتها اى وما تلاها من عدوان ثلاثى بريطانى – فرنسى – اسرائيلى على مصر .. وسنكتفى باشارة من « الميثاق الوطنى » لهاتين المعركتين

☐ **فمن ناحية معركة التاميم** يقول « الميثاق الوطنى » ما يلى :

« ان الشعب المصرى باستردا د قناة السويس ضرب الاستعمار واحتكاراته فى الصميم ، واثبت صلابته بتحمله العنيد لتبعات اصراره الى حد قبول المعركة المسلحة – فى وجه قوى زاحفة جرارة

ان الشعب المصرى ـ بثباته الرائع ونضـاله المرير ضد الغزو ـ استطاع ان يهز الضمير العالمي ويحـركه بصورة لم يسبق لها مثيل في التطور الدولي . ولقد كان التحول الرائع في المعـركة نقـطة فـاصلة في حـركات التحرير »(٩)

□ اما من ناحية معركة السويس فيقـول « الميثـاق الوطني » ما يلي :

« ان معركة السـويس ، التـي كانت احـد الادوار البارزة في التجربة الثـورية المصرية ، لم تـكن لحـظة اكتشف فيها الشعب المصرى نفسه ، او اكتشف فيهـا الامة العربية امكانياتها فقط وانما كانت هذه اللحـظة عالمية الاثر ، رأت فيها كل الشعوب المغلوبة على امرها ان في نفسها طاقات كامنة لا حدود لها ، وانهـا تقـدر على الثورة ، بل ان الثورة هي طريقها الوحيد»(١٠)

ان عبد الناصر في هذه الاشـارات التـي احتـواها « الميثاق » انما يعبر عن « دور الجماهير » باعتبارها هي وحدها التي صنعت تاريخ هذه الفترة منذ ان تفجر وعيها وزاد ايمانها بذاتها مع كل معـركة خـاضتها ، ولكنه يتحدث بالضرورة ايضا ، او علينا ان نؤكد ذلك ، عن دور « القائد » الذى كان له الدور البارز في انه وعى الحاجات الاجتماعية باوضح من الآخرين ، وعبر عنها بصورة اكثر دقة منهـم ، وحشـد القـوى الطليعية في المجتمع وقاد نضالها من اجل تلبية هذه الحاجات ، مع كل التحفظات التي ترد هنا حـول كيفية تعبئـة وتنظيم هذه الجماهير فيما بعد .

ونفس الشيء بالضرورة وبالمنطق ينطبق على كل من نهرو وتيتو وغيرهم من زعماء عدم الانحياز ، اذ تمثـل الامر ، في حقيقته ، في ان الجمـاهير المصرية والهندية اليوغوسلافية .. الخ بدأت تؤكد ذاتها في صـمود وعزم برغم كل الاصعاب وكل المخاطر وكل القوى المعـادية ، تصنع التاريخ بالعمل والعرق والدم بقيادة واحـد مـن اخلص ابنائها .

ولذلك يمكن القـول ان كل منهـم لم يكن حـاكما في الواقع ، بل ولا مجرد زعيم وقائدا لقد كان « مـؤسسة سياسية » بكل ما يعنيه هذا المصطلح مـن معنى . كان المؤسسة التي كفلت للجماهير ان تحكم نفسها بنفسها وان تعود نضالها في وجه كل التحـديات .. وكان هـذا المعنى هو الاساس الوطيد الذى سمح لكل منهـم بـأن يكون له دور بارز خارج حدود وطنه(١١)

□ ورابع هذه الاعتبارات يدور حـول فـكرة القيادة الكاريزماتية وفكرة الدولة القـائد ، وهـي اسـتطراد للملاحظات المتقدمة مباشرة .. وتفصـيل ذلك ان جملة « الانجازات الداخلية » التي برز بهـا كل مـن هؤلاء القادة « داخل » حدود اوطانهم جعلت منهم ، ولانهـم كانوا يملكون المؤهـلات الطبيعية لذلك نمـوذجا لما يطلق عليه اصـطلاح القيـادة الكاريزمـاتية « Charismatic Leadership وهو نمط الزعامة الملهمة او الزعامة الروحية الجذابة الساحرة كمـرادف لمفهوم القائد الكاريزما Charisma الذى تحـدث عن « ماكس فيبر » . او هـو مـايمكن تسـميته بـالكلمة المصرية الدارجة ـ التـي اطلقـت اصـلا على عبـد الناصر ـ وهي كلمة « ريس » Political poss .. انه يمثل الرجل الالة الذى يرتفع على مستوى الافـراد والفئات والطبقات . ولد للصراع ولا يستطيع ان يعيش الا في اطار من الكفاح السياسى المستمر . يمتاز بقـدرة على الاقناع وسحر في القيادة اهم خصائص صـلاحيته العجيبة في خلق الانصار وتنظيم التجمعات .

وهذه الصورة من صور القيادة هي التي تحتـاجها المعارك المصيرية ، او الازمات الحـادة ، حيث تصـير الصفات الثلاث الآتية ضرورية ولازمة(١٢) :

١ ـ القـدرة على التضـحية والمخـاطرة ، وهنا يلزم التأكيد على فكرة « المخاطرة المحسوبة »

٢ ـ القدرة على الاستمرار في القتال او في الكفاح رغم النتائج ورفض الاستسلام مهمـا كانت النتيجـة وهنا اهمية التاكيد على دور القاعدة الجماهيرية التـي كانوا يعبرون عنها

٣ ـ القـدرة على التجـرد مـن العـلاقات الذاتية او المصالح الفئوية ، وهذا هو معنى ارتفـاع القـائد عن مستوى الفئات والقوى المختلفة وصار رمـزا للضـمير الجماعي واداة للتعبير عنه

لعلنا نلاحظ اننا نتحدث حتـي الآن عن « النطـاق الوطني الداخلي » حيث يتحول رئيس الدولة الى قيادة كاريزماتية .. ولكن الجديد الذى نريد طرحه ولان حوار هذه الفكرة ذاتها اصبح لهـا وجـود ، بفضـل هـذه القيادات الكاريزماتية « الوطنية » ـ من امثـال عبـد الناصر ونهرو وتيتو ، خـارج حـدود اوطـانها بحيث اصبح الحديث ممكنا عن قيادة كاريزماتية عبر الاوطان وربما في بعض الاحيان ، وخاصة في علاقة عبد الناصر

---

(٩) الميثاق الوطني (القاهرة ، ١٩٦٢) : الباب العاشر .

(١٠) المرجع السابق ، الباب الاول .

(١١) انظر في هذا المعنى : د . عبد الكريم احمد مرجع سابق ، ص ١٢ .

(١٢) د . حامد ربيع ، مرجع سابق ، ص ٣٥

بالشعوب العربية اى ان لها « قدرة » القيادة والتوجيه « فوق الأوطان » وبغض النظر عن السلطات الرسمية الحاكمة داخلها .. ومن الملاحظ انه كان لهذه الشخصيات هذا الدور القيادى الكاريزمى عبر اوطانها وفى واقع الأمر فان هذه الفكرة الجديدة « القيادة الكاريزماتية عبر الأوطان » انما لا تعبر فى جوهرها عن « دور قائد فرد » بقدر ما تعبر عن « دور امة » او « دور دولة » معينة وهنا ياتى الحديث عن مفهوم ودور « الدولة القائد » لأن هذا النوع من الدول يتفاعل فى تحديد هويته ودوره خصائص القائد بامكانيات الدولة بوقائع الممارسة الفعلية

فالقيادة مثل الزعامة ظاهرة تتوفر للقائد ـ الفرد او الدولة ـ باعتراف الآخرين بذلك الدور ، وليس بادعاء صاحبه .. وعلى ذلك فليست هناك شخصيات « قائدة » الى الأبد اى طوال تاريخها ، وليس هناك فى تاريخ الدول ما يمكن تسميته بدولة قائد مهما تغيرت الظروف .. ان الدولة القائد تستحق هذا الوصف بدورها ، بمقدار ما تعبر عن مصالح اوسع من حدودها ، وهى قائدة بمقدار ما تعبر .. فاذا فقدت قدرتها على التعبير عن الآخرين او فقدت مصلحتها فى ذلك ، فقدت قدرتها او اهليتها فى القيادة

والقياس هنا هو على القائد الفرد ، فالقائد هو ـ باختصار ـ رجل تعدت اهتماماته حدود مصالحه الذاتية والشخصية ، وأصبح يعبر عن دائرة أوسع من المصالح ، يعبر عن مصالح آخرين .

فاذا ما وصل الى التعبير عن مصالح ومبادىء وطن باكمله أصبح فعلا قائدا لهذا الوطن ، فاذا تعدت دائرة اهتماماته فى التعبير عن مصالح ومبادىء الآخرين حدود وطنه ، أصبح ، بمعنى من المعانى ، قائدا لقطاع من « الجماهير » عبر الأوطان . وهو يستند فى هذا إلى دور لأمته او لدولته ـ لأن نهرو فى الارجنتين مثلا غيره فى الهند ، وعبدالناصر فى تونس أو الكويت غيره فى مصر وتيتو فى رومانيا او فرنسا غيره فى يوغوسلافيا . ويؤكد كل ذلك أدوار مصر أو الهند أو يوغوسلافيا بعد غياب هؤلاء القادة ـ عبدالناصر ونهرو وتيتو ـ ففى هذه الحالة عادت كل من مصر والهند ويوغوسلافيا إلى « الحجم الطبيعى » للدولة ، ولم تعد أى منهم ـ وان كانت الدرجات متفاوتة ـ تمثل نموذجا للدولة القائد مثلما كان عليه الحال ومن هذا القيادات الكاريزماتية ، لان القيادة عملية غير مرئية مرتبطة باداء دور معين أو أدوار معينة ولا تقوم القيادة بغير هذا الاداء .

ولقد عبر جمال عبدالناصر عن هذا المعنى الذى يتفاعل فيه دور القائد بامكانيات الدولة بحقائق الممارسة لكى تخلق هذه « القيادة الكاريزماتية » بمعناها الواسع بقوله :

« ويضاعف من قيمة المكتسبات الهائلة فى ضمير الشعب المصرى ، ان تجربته التاريخية كانت على مر العصور أوسع من مصلحته الذاتية ، وأكبر من حدوده السياسية ، وذلك بحكم انتمائه العضوى الى أمة عربية تعيش فى قلب العالم جغرافيا وحضاريا .

ولست اريد ان اعود إلى الماضى وصفحاته مشرقة ، وإنما يكفينا استعراض ما لايزال حيا فى اذهاننا منذ اليوم الأول الذى ارتفعت فيه أعلام ثورة ٢٣ يوليو . ان الشعب المصرى تحت اعلام هذه الثورة رفض السلامة عن طريق الانعزال ، ورفض الانانية برفض كل مغرياتها الوقتية ، لقد جعل قضية أمته قضيته ، وعاش النضال من اجلها بحياته وكان فى ذلك يصدر عن وعى بمسار التاريخ ، لم يساوره فيه شك أو تردد ، اثبت أبناء هذا الشعب دائما انهم الامناء .. الامناء بالكلمة .. والأمناء بالفعل .

لم تكن الحرية والاشتراكية والوحدة بالنسبة له كلمات وانما كانت الحرية والاشتراكية والوحدة بالنسبة له أعمالا ، بل كانت كلها بالنسبة له قتالا .

وليس هناك علم شريف يرفرف على الارض العربية إلا وكانت يد الشعب المصرى أول الايدى التى امتدت لتساعد على إقامته .

وليست تعنينا فى ذلك شهادة أى فرد وانما تعنينا فى ذلك شهادة التاريخ مبرأة من العقد ومن الاهواء ومن التخرب ومن النسيان » .

هذه هى « الدولة القائد » ـ كلماتها اعمالا ، وأعمالها قتالا ، وهذا هو القائدة ، وعى بالحاجات الاجتماعية وحشد للقوى صاحبة المصلحة وراء تحقيقها ـ ووعى بالتاريخ ووحدة « المعركة » بغض النظر عن الحدود الجغرافية[١٣] .

ومن المعروف ان مفهوم « الدولة القائد » يثار عادة بمناسبة الحدث عن عملية « الوحدة السياسية » ، ولكن الجديد الذى نطرحه هنا أيضا هو ان هذا المفهوم ينبغى ان يثار كذلك فى الحديث عن عملية التضامن السياسى وليس الوحدة الاندماجية فحسب .

واساس ذلك ان وجود « الدولة القائد » أو « الدول القائدة » ، هو الذى يسمح بتبلور تلك الحالة المشتتة والممزقة والمتفرقة حول قوة حركية مركزة تقود وتوجه :

(١٣) وثائق عبد الناصر ، خطب ـ احاديث ـ تصريحات ، ١٩٦٩ ـ ١٩٧٠ (القاهرة : مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالاهرام ، ١٩٧٣) ، ص ٥٣٠

تتحمل مسئوليات وتقبل التزامات . وهي بهذا المعنى تختلف من حيث مدى قيادتها فتصبغ كل وحدة باسلوب معين وكل مرحلة من مراحل « التوحيد » او « التضامن » بخصائص مختلفة . والمهم هنا ان وجود الدولة القائد بمعنى أو بأخر هو شرط ضروري ولازم لتحقيق العملية الوحدوية أو التضامنية . ومرد ذلك هو ان الحركة التكاملية سواء اتخذت شكل السعي نحو الوحدة او نحو التضامن ، هي تطوير والتطوير لابد له من وجود « إرادة » ، والارادة ليست « وعيا » فقط ، وانما هي أيضا تعبيرا عن هذا الوعي .

ولقد عبر جمال عبدالناصر عن جملة الاعتبارات السابقة حين قال :

« إن أى فعالية لدور مصر الخارجي لا يمكن لها إلا العمل الداخلي المصري .

إننا لانستطيع ان نصمد لمسئولية الحرية عالميا ، إلا إذا كانت الحرية مصونة على أرضنا . ولانستطيع ان نقاوم الاستعمار دوليا .. إذا تخاذلنا امامه .

ولا نستطيع ان ندعو الى عدم الانحياز .. إذا مسخنا مفهومه في ممارستنا له وفرطنا في معاييره . إن الذين يجعلون سياستهم الخارجية الفاظا مرصوصة ومستعارة ، منقطعة الصلة بما يجرى داخل أوطانهم . ومنقطعة الصلة بممارستهم العملية لوجودهم الدولي ، يفقدون احترامهم ، ويضيعون أى تأثير يمكن ان يكون لهم ، ويعجزون عجزا كاملا ، حتى عن مجرد اثبات شخصيتهم ، في الميدان الدولي الواسع والحافل .

ولست في حاجة إلى أن استفيض أمامكم في شرح المركز الممتاز الذى تتمتع به الجمهورية العربية المتحدة ، دوليا ، والاحترام الذى تناله والتأثير الذى تصنعه من حولها .

إن هذا الشعب تمكن بالمبادىء ان يعوض ما ينقصه في الموارد التي تجعله في وزن القوى الكبرى في عالمه .. انه لايدعي ماليس له .. ولايتطفل على مايتعدى قدرته .. ولايتعلق بالمواكب من نيلها . وإذا كان لا يملك الموارد الكبرى التي تصنع له طبيعيا دورا كبيرا .. فانه يملك المبادىء الكبرى .. ويملك عزم وضعها للتطبيق .. ويحتل بالعمق – بديلا عن الحجم – رقعة مؤثرة في توجيه الحوادث .

وإذا عدت العواصم الفعالة في التوجيه .. فان القاهرة – في اى معيار – واحدة منها بالواقع الفعلي والحسي[١٤] .

□ وخامس هذه الاعتبارات يدور حول مفهوم « الدور القومي » : Natinal Role .

ويقصد بمفهوم « الدور القومي » : رؤية القيادات السياسية التي تتولى صنع السياسات لماهية القرارات والالتزامات والقواعد والافعال المناسبة لدولتهم ، والوظائف التي يجب عليهم القيام بها في عدد من المجالات الجغرافية والموضوعية[١٥] . ومن اهم انماط « الدور القومي » بهذا المعنى أدوار : القيادة والدفاع والتحرير والتوفيق والتوحيد والتنمية أو نشر الحضارة[١٦] .

ومن استعراض الاعمال المنشورة لقادة عدم الانحياز الذين يجرى التركيز عليهم في هذه الدراسة – وخاصة نهرو وعبدالناصر وتيتو .. يتضح ان الفكرة المحورية لديهم هي التطلع إلى القيام بجميع الادوار السابقة موزعة على المستويات الدولية المختلفة : الاقليمية والقارية والعالمية .. وهي في مجموعها أدوار متصلة بحركة وفكرة عدم الانحياز .

على ان مفهوم الدور واهدافه وقواعد ادائه يخضع لنظام القيم السياسية الذى يشير بدوره إلى مجموعة المبادىء والمثل العليا التي يؤمن بها القائد أو المجتمع ونمط العلاقة بينهم .. وفي هذا الصدد يمكن القول ان القيمة المحورية لدى هؤلاء القادة ، من منظور التكامل بينهم ، كانت تتمثل في الحرية والعدالة والكرامة على المستويين الداخلي والخارجي معا . فقد كان ايمان هؤلاء القادة بقيم الحرية والعدالة والكرامة ايمانا مطلقا ، بمعنى ان كل منهم بدرجات متفاوته وبسلم أولويات متباينة بالطبيعة – كان يؤمن بضرورة تطبيق هذه القيم على مستوى الفرد وعلى مستوى المجتمع

---

(١٤) مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر – القسم الخامس (القاهرة : الهيئة العامة للاستعلامات ، بدون تاريخ) ص ٤٦٣ – ٤٦٤

(١٥) K.Holsti' International politics, A Framework For Analysis (New Jersey : Prentice-hall, Inc., 1472), p. 122.

(١٦) يرى هولستي ان هناك ١٦ نمطا للدور القومي هي : المحرر الثوري والقائد الاقليمي ، والمحامي الاقليمي ، والمستقل النشط ، ومؤيد التحرير ، والمعادى لعملاء الامبريالية ، والمدافع عن القيد والوسيط ، والمشارك الاقليمي ، والمساعد في التنمية ، والجسر ، والحليف المخلص ، والمستقل والنموذج ، والتنمية الداخلية ، وادوار اخرى كالموازن والمعادى للشيوعية .

ومن واقع عملية تحليله للاعمال المنشورة لزعماء اى دولة خلال عامين استخلص ان متوسط عدد الادوار التي اسندها كل زعيم لدولته هو ٤،٦ من المجموعة السابقة وان اكثر الدول سعيا للعب اكبر عدد من الادوار هي مصر عبد الناصر والولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي حيث يتطلع ... – كما يقول هولستي عام ١٩٧٢ – الى لعب سبعة او ثمانية ادوار في اطارات دولية مختلفة . انظر

Ibid., pp. 123 - 126.

وعلى مستوى العالم ككل .

ويمكن القول ان وسائل تحقيق الحرية والعدالة والكرامة والمحافظة عليها ، فى ظل ظروف النظام العالمى السائد بعد الحرب العالمية الثانية ، كان يكمن لدى هؤلاء القادة فى التمسك بالمبادىء التالية : —

١ — مكافحة الاستعمار القديم والجديد .

٢ — الاستقلال فى ممارسة السياسة الخارجية .

٣ — القوة بمعناها الشامل ، كوسيلة وكهدف .

ويضاف إلى ذلك — العروبة (وهى قيمة مقصورة على مصر عبد الناصر) ، والوحدة الافريقية (وهى قيمة يتشارك فيها عدد من القادة ابرزهم كوامى نكروما) .

وسادس هذه الاعتبارات يدور حول العلاقة بين فكرة عدم الانحياز وفكرة المصلحة القومية لدى هؤلاء القادة . فمن المعروف ان السياسة الخارجية لأية دولة فى إطار النظام العالمى المعاصر تدور حول مزيج من اهداف القوة والأمن والتقدم والتنمية والسيطرة : وهى بهذا المعنى انما تسعى لتحقيق المصالح القومية . ومن هذا المفهوم ينبع العديد من الجزئيات : حماية المواطنين فى الخارج ، تنمية العلاقات الاقتصادية ، حماية الأمن القومى ، فهذه الابعاد جميعها تعبر عن جوانب مختلفة لمفهوم المصالح القومية . وبهذا المعنى فان المصالح القومية قد ترتبط بمبادىء أو توجهات رئيسية تعبر عنها وتصير علامة لها : فكرة « العزلة » مثلا فى التقاليد الامريكية التى وصلت خلال القرن التاسع عشر إلى حد اتخاذ قانون مشهور باسم « قانون الين » يمنع أى مواطن من القيام بأى دعاية لصالح الايديولوجية الثورية الفرنسية . ويرتبط بنفس المفهوم أيضا فكرة الأمن القومى التى عبرت عنها اسرائيل تعبيرا واضحا فى صراعها العسكرى عام ١٩٦٧ .

وفى ضوء هذه المفاهيم يمكن القول ان سياسة الحياد الايجابى وعدم الانحياز ، باعتبارها تمثل التوجه الرئيسى للسياسة الخارجية لهذه المجموعة من الدول ، لم تكن تعبيرا عن « يوتوبيا » يقصد بها « تجميل » الحركة الخارجية للدولة المصرية ، أو الهندية .. إلخ .. وإنما يمكن القول بمنتهى الوضوح ان اعتبارات المصلحة القومية المصرية أو الهندية أو اليوغوسلافية أو الغانية أو الاندونيسية .. إلخ — وخاصة قضيتى الأمن والتنمية — كان لهما التأثير الحاسم فى اختيار هذا « التوجه الاستراتيجى » كمعيار ومنهاج للسياسة الخارجية .. وان جرى التعبير عن ذلك فى بعض الاحيان بطريقة غير مباشرة .

غير أننا إذا كنا ننفى عن توجه الحياد الايجابى وعدم الانحياز طابع « اليوتوبيا السياسية » — من ناحية ، ونؤكد على دوافع المصلحة القومية لدى القيادات التاريخية للحركة — من ناحية أخرى : فليس معنى ذلك انها سقطت فى اسار الانانية أو الانتهازية أو افكار « التحالف حتى مع الشيطان » أو أنه « ليست هناك صداقات دائمة ولا عداوات دائمة .. وانما هناك فقط مصالح دائمة » ! ! . ونقطة البداية هنا ان دول العالم الثالث ، شأنها شأن كافة الدول ، تصدر فى سياستها الخارجية عبر دوافع المصلحة القومية ، لهذا من اعتبارات أخرى ، سواء اكانت ايديولوجية أو غيرها وليس فى ذلك ما يعيب طالما ان هذه هى « قواعد اللعبة » المعترف بها . ولكن يلاحظ ان الاعتبار الايديولوجى بالذات ، وهو يقدم مجموعة القيم السياسية التى تسوغ اهداف الدولة الخارجية أى مصالحها القومية فى إطار من المبادىء ، قد يلعب دورا يختلف فى حجمه واهميته وتوقيته ، الا ان اعتبارات المصلحة القومية المباشرة للقوى الدولية هى الأكثر ثباتا وحجما ورجحانا فى التأثير على مجرى العلاقات الدولية .

ولكن المهم هنا هو ان كل ما تقدم لايقلل من اهمية وضرورة تحديد « اتجاه » هذه المصلحة الوطنية لهذه الدولة أو تلك ومدى تعبير هذا الاتجاه عن مصالح القوى الاجتماعية الواسعة فى الداخل — من ناحية ، فضلا عن مدى توافق هذا الاتجاه مع المصالح الوطنية للشعوب والدول الأخرى السالمية الى التحرر الوطنى والتقدم الاجتماعى — من ناحية ثانية ، أو مدى تعارض هذا الاتجاه مع تلك المصالح الداخلية والخارجية — من ناحية ثالثة . ولا شك أن أهم ما كان يميز هذه القيادات التاريخية لحركة عدم الانحياز هو ان مصالحهم كانت فى اتجاه مبادئهم .. وهذه وتلك كانت مع الجماهير وكانت مع حركة التاريخ . وليس ادل على ذلك من أن أحد معالم ازمة عدم الانحياز فى الثمانينات ، حيث حدث التحول من مرحلة العمل فى ظل زعامات لها رصيدها الدولى الى مرحلة القيادة الجماعية . لقد كان المفروض ان يكون هذا التحول لصالح الحركة إذ هو انتقال من مرحلة « القيادة المحدودة » الى ديمقراطية العمل ، ولكن الواقع كان عكس ذلك .

إذا ان فقدان الحركة للقيادات العملاقة قد جعلها حركة بلا قيادة فعلية أو عقل منظم لايقاع خطواتها . والمسألة لم تكن تعبيرا عن « دور الفرد فى التاريخ » ولا دور « جيل قيادات حركة التحرر الوطنى » ، مع ان هذا العامل كان له تأثير كبير ولكن الاخطر هو انتقال الظاهرة المرضية التى طغت على العلاقات الدولية واعنى بها الانتقال من « مرحلة المبادىء والعقائديات » إلى « مرحلة المصالح » حتى سادت

دول عدم الانحياز بـــدورها . وليس معنى ذلك ان القيادات العملاقة للحركة كانوا ملائكة يلتزمون بالمبادىء ويهملون مصالح أوطانهم . ولكن الواقع اكد نجاحهم في ربط مصالح أوطانهم بالمبادىء التي يدافعون عنها . ولذلك كان التزام هذه القيادات بالمبادىء واضح وسائد على مسلكهم الدولي بينما غلبت المصالح – وحدها – على مسلك الجيل الثاني لقيادات دول عدم الانحياز . ولم يعد بينهم من يملك « حق » محاسبة ولا حتى معاتبة الاخرين على اى خطأ كبر او صغر . كما لم يعد هناك قيادة تستطيع تجميع وتوحيد المواقف في ساعة الخطر .. لانه لم تعد هناك « مبادىء » يمكن ان تتخذ اساسا لكل ذلك[١٧] .

وربما يكون من المفيد في خاتمة هذا الجزء ان نشير الى ادراك كل من عبدالناصر وتيتو ونهرو لمسالة « دور الفرد في التاريخ » ، والأمر من الاهمية بمكان لانه إذا كان كل منهم يقوم بدوره التاريخي واعيا ، يؤثر في الاحداث ويتأثر بها ، ويدرك حقيقة القوى الاجتماعية ذات الفعالية التاريخية في عصره ، فلابد ان يكون له راى محدد في مدى امكانية تأثير الفرد في التطور التاريخي لهذا العصر .

١ – نهرو :

اشار نهرو في كتابه « قصة حياتي » الى علاقته بشعبه ، واكد ان ابرز « مشكلات » هذه العلاقة هي ان الجماهير الهندية تكاد ان تسبغ عليه طابع الآلهة ، واضاف إلى ذلك قائلا : ان الهتافات التي نسمعها كلما خرجنا الى الجماهير ، والتصفيق الحاد الذي نسمعه كلما تحدثنا إليهم يجعلنا في حاجة فعلا إلى قوة الآلهة وقدرتها على الصبر وعلى الفهم .. حتى لا نصاب بالغرور فنعتقد في انفسنا اننا آلهة بالفعل .

وفي حوار له مع « سالزبرجر » كان السؤال الى نهرو : هل فكر في اختيار من هو اصغر منه سنا لخلافته في قيادة الأمة والحزب ؟ .

كان رد نهرو : « لا أحد لم أحاول ذلك ! رغم أن كثيرين قد سالوني نفس السؤال . لن يؤدى هذا الى شىء . إن من الارجح ان يأخذ الناس في الخارج فكرة من جانب واحد – عني وعن نظامنا وحكومتنا إذا فعلت ذلك . صحيح انني اضطلع بدور بارز ، لكن هذا كان تحت ضغط الظروف ! . ولا محل هنا لمجرد قدراتي فقط ، او لما قد يكون لي من قدرات . هناك ظروف مختلفة قد جعلتني محبوبا بشكل غير عادي مع الناس العاديين ، وليس بهذا القدر مع المثقفين وغيرهم . لكنني اشك في ان تحدث نفس الظروف مرة اخرى ! . ان « شعبيتي » لها صلة بحركة ما قبل الاستقلال ، وليس باية افعال منذ الاستقلال ! وليس في وسعك ان تعيد خلق مثل هذه الظروف[١٨] .

وفي نفس الحوار اشار نهرو الى بعد اخر لعلاقته بالجماهير حين قال :

« ان هدفنا الاساسي ان تتوافر لجميع افراد الشعب الهندي فرص متكافئة . ومن المحقق ان هذه الفرص لم تتوافر لهم بعد ... ان غاندي لم يكن اشتراكيا بالمعنى الحقيقي المقبول من هذه الكلمة عامة . لكنه كان دائما يربط نفسه بافقر الفقراء . وقد ترك لنا من التراث فكرة الارتباط بالفقير المطحون . وقال عن نفسه مرة عبارة جميلة : « احب أن امسح كل دمعة عن كل عين ! »[١٩] .

٢ – تيتو :

كذلك فان تيتو لا يضع على نفسه مسوح التاليه كما قد يبدو للناس ، ولا يعتقد في نفسه او بفرض هو على الناس الاعتقاد بأنه رسول الآلهة في الأرض .

حقيقة ترتبط الثورة اليوغوسلافية باسمه ، في الحرب وفي السلم ، ولكن ذلك لا يعنى اكثر مما تحمله الكلمات ذاتها من معان .

ان تيتو نفسه لا يعزو الفضل في النجاح والصمود ضد الاعداء وبناء البلد وخلق الصناعة فيها ، لا يعزو كل ذلك لنفسه وانما ينسبه للجماهير وللحزب ، وهو يقول عن نفسه في إيجاز واضح : « انما انا رجل صغير عادي جاهل التقطه الحزب وخلق منه رجلا »[٢٠] .

ويقول أيضا في احدى المناسبات عام ١٩٥٢ :

« ان الفرد لا يستطيع ان يصنع التاريخ ، إلا إذا كان مع الشعب » بل هو ينسب الفضل الأكبر للشعب نفسه الذي يختار أحد أفراده ليعبر عن ارادته[٢١] .

كذلك فف ، تصويره للنتائج الضخمة التي أمكن انجازها على المستويين الاقتصادي والسياسي ، لتناسب

---

(١٧) د . سامي منصور ، عدم الانحياز – رحلة على طريق بلا معالم (القاهرة : مركز الدراسات السياسية والاستراتيجيه بالاهرام ، ١٩٨١) ، ص ١٨ .

(١٨) سيروس سالزبرجر ، مرجع سابق ، ص ١٦١

(١٩) المرجع السابق ، ص ١٥٦

(٢٠) ابراهيم حسن حنبل ، تيتو : حياته وسياسته القاهرة : مكتبة نهضة مصر ، ١٩٥٧) ، ص ١٦٣

(٢١) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

قال تيتو :

المجتمع الجديد بعد الحرب ، بفضل وعى شعوبنا ،
. لقد حققنا هذه النتائج ، بفضل شبابنا المجهد الذى
وتجردهم من الانانية ، وبفضل نموذج للتضحية وانكار
ينبغى ان نفخر بهم ، فهو نموذج بالبلاد ..
الذات ، والعمل على إعادة البناء ، والنهوض
وهذا المستوى العالى من الوعى القومى ، والتجرد من
الذات عند جماهيرنا هو راس المال القومى الذى مكننا
من إعادة البناء »[٢٢] .

٣ ـ عبدالناصر :

اشار عبدالناصر ، فى خاتمة « فلسفة الثورة » إلى
تاثره بقصة الشاعر الايطالى « بيراندلو » وعنوانها :
« ست شخصيات تبحث عن ممثلين » ثم يعلق على ذلك
قائلا : « إن ظروف التاريخ مليئة بالابطال الذين
صنعوا لانفسهم ادوارا مجيدة قاموا بها فى ظروف
حاسمة » .

وعلينا ان نتذكر انه كان دائما يشير إلى أن هذه
المنطقة تمر بظروف تاريخية حاسمة ، ثم يستطرد :
« لست ادرى لماذا يخيل الى دائما ان فى هذه المنطقة
التى نعيش فيها دورا هائما على وجهه يبحث عن البطل
الذى يقوم به » .

ويحدد هذا الدور بأنه ليس دور زعامة ولكنه « دور
تفاعل وتجاوب مع كل هذه العوامل ، ويكون من شأنه
تفجير الطاقة الهائلة الكامنة فى كل اتجاه من
الاتجاهات المحيطة به ، ويكون من شانه تجربة لخلق
قوة كبيرة فى هذه المنطقة ترفع من شأن نفسها وتقوم
بدور إيجابى فى بناء مستقبل البشر » .

انه هنا لا يتحدث عن « بطل فردى » ، وإنما هو
يتحدث عن « مصر » وعن دورها فى المنطقة بحكم
عوامل التاريخ والجغرافيا معا ، وليس ادل على ذلك ـ
بعد استعراض « عامل الزمان » فى هذا الاطار ـ من
قوله : « ونحن وحدنا بحكم المكان نستطيع القيام بهذا
الدور » . وفى هذا وضوح كاف لدور مصر ـ الدولة
القائد ، ولدوره فى تاريخ المنطقة حيث حدد هو نفسه
هذا الدور بوصفه قائدا لشعب مصر وللشعوب العربية
الاخرى فى مرحلة حاسمة من تاريخها[٢٣] .

إن عبدالناصر كان على وعى عميق بحدود دوره
ودور الجماهير .. وللتامل حديثه عن دور « الشعب
المعلم » فى ثورة يوليو ، فهو الذى « كتب المبادئ
الستة بدم شهدائه وبنور الأمل الذى اعطوا حياتهم من
اجله » .. و« هذا الشعب العظيم ، مضى بعد ذلك فى
تعميق نضاله وفى توسيع مضمونه »[٢٤] وفى مناسبات
عديدة كثيرا ما عمد عبدالناصر الى معالجة هذه
النقطة :

فمثلا فى حديثه الى مجلس الامة فى عام ١٩٦٤ قال :
« ان الارادة الشعبية هى التى تملك ان تصنع قياداتها
وان تحدد لها مكانها . وإنى لأرفع صوتى هنا امامكم
محذرا من الاعتماد على الفرد . ان الشعب يجب دائما
ان يبقى سيد كل فرد وقائده . ان الشعب ابقى واخلد
من كل قائد ، مهما بلغ اسهامه فى نضال امته »[٢٥] .

وفى البيان الذى القاه بمناسبة ترشيحه رئيسا
للجمهورية عام ١٩٦٥ قال :

لقد « كان شعورى دائما ضد الاعتماد على الفرد
وضد توهم احتياج النضال الشعبى الى شخص بالذات
مهما كرمته امته . وكنت أصدر فى ذلك عن يقين لا
يتزحزح بأن الشعب وحده هو الباقى والخالد . وانه
قادر فى كل مراحل نضاله ان يخرج من صفوفه من يخدم
امانيه ويحقق احلامه »[٢٦] .

ثالثا : القوى الاجتماعية التى كانت تعبر عنها قيادات عدم الانحياز :

تميزت الفترة التالية للحرب العالمية الثانية ببروز
مجموعة محددة من الظواهر ، تعتبر هى السمات
البارزة لهذه الحقبة التاريخية والقوى المحركة
لتاريخها .. ويمكن الاشارة اساسا الى ظواهر ثلاث :
اولها ـ ظاهرة الصراع الايديولوجى ، **وثانيها** ـ
ظاهرة التحرر الوطنى ، **وثالثها** ـ ظاهرة الاتصال
الجماهيرى . ويمكن القول ان هذه الظواهر الثلاث
تمثل اطارا لايمكن تجاهله عند دراسة أية ظاهرة دولية
خلال هذه الحقبة المميزة .

ومن ثم فان أيا من عبدالناصر أو نهرو أو تيتو أو
سوكارنو او نكروما إذا كان يمثل قوى اجتماعية معينة
داخل بلاده وفى المنطقة التى تنتمى إليها فلابد ان يكون
ما يمثله كل منهم متصلا بصورة أو باخرى بهذه
الظواهر الثلاث .

فقد ارتبطت اسماء القيادات التاريخية لحركة عدم

(٢٢) الرئيس تيتو ، نظرات على عالم اليوم ـ ترجمة عبد المنعم حسن (القاهرة : دار المعارف) بدون تاريخ ، ص ٤١
(٢٣) الاقتباسات السابقة من :
جمال عبد الناصر ، فلسفة الثورة (القاهرة ، ١٩٥٣) ، الجزء الثالث .
(٢٤) الميثاق الوطنى ، الباب الاول .
(٢٥) مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر ـ القسم الرابع القاهرة : الهيئة العامة للاستعلامات .
بدون تاريخ) ، ص ٥٥٩ .
(٢٦) المرجع السابق ـ القسم الخامس ، ص ١٢٢ .

الانحياز محل هذه الدراسة - وخاصة نهرو وعبدالناصر وتيتو - بعدة اتجاهات رئيسية لاى يكاد يكون حولها خلاف :

اولها - ان كل منهم يرتبط بسياسة التحدى المستمر للاستعمار القديم والجديد ، فى بلاده وفى المنطقة التى ينتمى إليها وفى العالم كله ، أى حيثما وجد هذا الاستعمار . والدعوة - من ناحية اخرى - الى الاستقلال والحرية .

وان كان من الضرورى ان نلفت النظر هنا إلى ان دعوة هذه المجموعة البارزة من قيادات العالم الثالث - مثل نهرو وعبدالناصر وسيكوتورى ونكروما وتيتو - إلى الاستقلال والحرية تختلف عن الدعوات السابقة من هذا النوع :

١ - فهى ليست مجرد دعوة لاستقلال « الوطن » وحريته كما عرفتها الاجيال السابقة فى النصف الاول من هذا القرن ، حيث سقطت الحواجز الجغرافية والسياسية ، فى عالم اليوم كما سبقت الاشارة .

٢ - ولا هى دعوة الى حرية « الفرد » فى وطن مستقل كما عرفتها النظم السياسية الغربية فى القرن الماضى تحت شعار حرية العمل وحرية الانتقال ، رغم ان هذا النوع من « الحرية » وارد ومطلوب ولكن فى سياق مختلف .

٣ - ولكنها دعوة امتزج فيها هدف تحرير « الوطن » بهدف تحرير « المواطن » واتخذت شعارا لها عنوانه « تحرير الشعوب » أو « حركة التحرر الوطنى » نزولا على مقتضيات « وحدة المعركة » التى تخوضها قوى تغيير العالم ضد القوى التى ماتزال تتمسك بالسيطرة والاستغلال .

ويتصل كل هذا اتصالا وثيقا بسياسة الحياد الايجابى وعدم الانحياز وبالتالى تجنب الدخول فى مناطق نفوذ احد المعسكرين الكبيرين .

وثانيها - ان كل منهم يرتبط بسياسة التحدى المستمر لسياسات القوى العظمى القائمة على اساس الصراع المسلح (الاحلاف العسكرية) والصراع غير المسلح (الحرب الباردة) .

□ فمن ناحية اولى كانت مهاجمة فكرة الاحلاف مرتبطة بالاثار التى نتجت أو يمكن ان تنتج عنها ومن ذلك مثلا[27] - إن سياسة الاحلاف تتنافى مع حرية الدول وهى ضد ارادة الشعوب المكونة لها ، لانها لابد وان تنتهى إلى سيطرة الدول الكبرى على باقى الدول الصغرى ، وبالتالى تفقد الدول الصغرى شخصيتها الدولية أى حريتها الحقيقية ، وتصبح مجرد « وقود بشرى » تستخدمه هذه السياسة فى معاركها العدوانية .

٢ - ان سياسة الاحلاف بما ينتج عنها من التزامات متعددة بالنسبة للدولة التى تتبعها ، تؤدى إلى استنزاف جزء كبير من مواردها المالية ينعكس صداه حتما على الحالة الاقتصادية ، والاجتماعية فيها . وهى تعانى اصلا من ازمة اقتصادية حادة ، وتكفى هنا إشارة وجيزة إلى الازمة الاقتصادية التى تعرضت لها الولايات المتحدة - ! - نتيجة للالتزامات العسكرية الناشئة من سياسة الاحلاف .

٣ - ان الدول الغربية التى تنادى بسياسة الاحلاف تطلب صراحة اشتراك جميع الدول معها ضد « العدو المشترك » وهو الاتحاد السوفيتى . فى حين دافعت هذه القيادات التاريخية لحركة عدم الانحياز عن وجة نظرها التى ترى أن هذا العدو الذى تشير إليه الدول الغربية هو عدو وهمى ، وان العدو الحقيقى الذى يؤرقها هو الاستعمار القديم والجديد معا .

٤ - إن سياسة الاحلاف تمثل تهديدا مباشرا للأمن والسلم الدوليين وخاصة فى ظروف توازن الرعب النووى ، وأن من الأجدى توجيه كل هذا الموارد الطائلة التى يستنزفها سباق التسلح إلى عمليات التنمية .

ومن ناحية ثانية كانت مهاجمة فكرة الحرب الباردة مبنية على إمكانية تحولها فى أية لحظة إلى « حرب ساخنة » نتيجة غلطة أو خطأ فى الحساب أو نتيجة خطأ فى تقدير موقف بحيث تقدم احدى الكتلتين على خطة وتضعها فى « خانة » الحرب الباردة وتفاجأ بأنها حربا ساخنة .خصوصا وأن سبب قيام الحرب الباردة مازال كما هو - أى وقوف المعسكرين على قدم المساواة فى القوة وعلى طرف نقيض بالنسبة لجميع النظم السائدة لديهما ، وصراعهما المستمر من أجل السيطرة على المستوى الدولى وأن اختلفت الدوافع والاهداف

ولقد كان ذلك واضحا فى الاماكن التى كانت مسرحا للحرب الباردة مثل المانيا وكوريا ولاوس والكونغو وكوبا ، حيث كادت ان تنقلب إلى حرب ساخنة . ولذلك فان شعوب العالم باكملها تنتظر القرار الحاسم فيما إذا كانت حالة الحرب الباردة ، التى تكررت ثانية فى الثمانينات ، ستؤدى الى انهيار الموقف والى حرب نووية ، أم انها ستنتهى ويعيش العالم فى سلام حقيقى

وثالثها - ان كل منهم يرتبط بالدعوة الى المواجهة

---

(٢٧) سيد حجاج - عدم الانحياز (القاهرة : المؤلف ، بدون تاريخ) ، ص ٢٠ - ٢٤ .

الثورية – والدولية لظاهرة التخلف المتواطنة فى العالم الثالث كله . ويلاحظ فى الاعمال المنشورة لكل منهم ، انهم يعتبرون ان ظاهرة التخلف هذه هى الوجه الآخر لظاهرة التقدم فى الدول الراسمالية الغربية التى تمت تغذيتها بالثروات التى جرى نزحها بطريقة منظمة من اسيا وافريقيا . ويعنى ذلك ان عجلة التقدم فى هذه المجموعة الراسمالية من الدول ، لابد وان تقترن ، خاصة مع استمرار التبعية بشكل او باخر – بمعدل متسارع للاندفاع بمجموعة الدول المتخلفة الى غاهب التخلف اى « تنمية تخلفها » . ويكتسب هذا التناقض الجوهرى ابعادا اكثر خطورة بالنسبة لقضية السلام العالمى ، لعلاقته بكل من ظاهرتى الاستعمار والحرب الباردة . واساس ذلك ان هذه المجموعة من الدول وخاصة مصر – عبد الناصر الهند – نهرو ويوغوسلافيا – تيتو ، لم تعد ترى وسيلة لمعالجة هذا التناقض إلا فى تبنى المنهاج الاشتراكى وللتنمية باشكاله المختلفة . ويعنى ذلك المنهاج – فى الظروف المعاصرة – ان الحل الاشتراكى ليس اداة لمواجهة التخلف وبناء التقدم فحسب ، وانما هو اداة فى نفس الوقت للقضاء على الاستغلال الداخلى والخارجى وبناء التحرر أو الارادة الوطنية المستقلة ايضا . وبهذا يتحدد وضع مسالة القضية على التخلف فى إطار « الصراع الاساسى » فى عالم اليوم بين قوى التحرر والتقدم وقوى السيطرة والاستغلال .

وفى ضوء ماتقدم يمكن القول ان معاداة هذه القيادات التاريخية للامبريالية لم تكن مجرد موقف وطنى تحررى فحسب ، بل كان كذلك موقفا معاديا للراسمالية والرجعية الاقليمية والمحلية وهو بهذا يحمل مضمونا اجتماعيا وديمقراطيا ، فضلا عن مضمونه الوطنى التحررى . ولم تكن الاجراءات الاقتصادية والاجتماعية التى اتخذها نهرو الهند وتيتو فى يوغوسلافيا وعبدالناصر فى مصر ونكروما فى غانا وسيكوتورى فى غينيا .. الخ على اختلاف دوافعها ومضامينها ومداها ، مجرد اجراءات اقتصادية متقدمة فحسب ، بل كانت تتضمن بدورها دلالات اجتماعية ديمقراطية مثل القضاء على الملكية الزراعية الكبيرة ، والراسمالية الكبيرة والارتفاع النسبى للملكيات الصغيرة .

وفضلا عن ذلك فهناك الاجراءات ذات الطابع الاجتماعى الديمقراطى المباشر مثل تجربة التسيير الذاتى فى يوغوسلافيا وقوانين يوليو الاشتراكية فى مصر . ولاشك ان اشاعة الثقافة الوطنية الديمقراطية والمفاهيم التقدمية والمعادية للاستعمار والاستغلال جوانب تنسب لتجارب هذه القيادات التاريخية . وبرغم اية ملاحظات جديدة يمكن ان ترد على الطابع الفردى للسلطة فى هذه البلدان وهو ما بررته القيادة التاريخية لنهرو وتيتو وعبدالناصر .. إلخ – ونتيجة لملابسات ذاتية وموضوعية عديدة ، وبرغم ما أدى اليه هذا الطابع فى الممارسة من حد للانطلاق الثورى فان هذا الطابع . لم يرتد بالهند او بيوغوسلافيا أو بمصر فى ظل هذه القيادات التارخية عن طريق الاستقلال الوطنى ، وطريق التنمية الشاملة ، وطريق العداء للامبريالية وادراتها ، وطريق التقدم الاجتماعى .

ورابعها – ان كل منهم يرتبط باليقظة الوطنية داخل بلاده وباليقظة الجماهيرية فى مجلات جغرافية قومية اوسع ، حيث اكد كل منهم ان « تجربته التاريخية ، كانت اوسع من « مصلحته الذاتية » . بل ان هذه المصلحة الذاتية – وخاصة الأمن والتنمية – قد لا يمكن تحقيقها إلا فى التضامن مع الشعوب الأخرى على المستويات الجغرافية – القومية الأكثر اتساعا .. ولنضرب بعض الامثلة :

١ – ان اسم عبدالناصر يرتبط باليقظة المصرية والقومية فى البلاد العربية . ولعل من اهم ما اسهم به فى هذا المجال هو تعميق الوعى الشعبى المصرى بحقيقة انتمائه إلى مجموعة بشرية اكبر هى الأمة .

ان هذا الوعى بالانتماء العربى بين ابناء الشعب المصرى قد لايكون جديدا تماما ، ولكن لاشك فى انه اكتسب ابعادا جديدة مختلفة عن الفترة السابقة عمقا وشمولا .

ولاشك ان هناك فئات كثيرة من الشعب المصرى والشعوب العربية الاخرى – تحت ضغط ظروف وعوامل ليس هنا مجال يمكنها – تتخذ موقف المتشكك فى هذا الاتجاه القومى باكمله او بالنسبة لبعض احداثه . ولكن مايهمنا هنا هو اننا كلما اقتربنا من القواعد الشعبية فى مصر او فى البلاد العربية الاخرى نجد ترابطا فى الاذهان بين شخصية عبد الناصر وفكرة القومية العربية ، وان هذا الفكرة ليست مفهوما وحدويا خفلصا ، بل تتضمن ايضا تصورا معينا للخطوط الرئيسية التى يقوم عليها مجتمع الوحدة ونصيب الجماهير فيه .

وبطبيعة الحال اشتملت تجربة عبد الناصر على الحركة فى اقليمية – قومية اكثر واوسع من مجال القومية العربية . وتكفى الاشارة مثلا الى أن « فلسفة الثورة » قد انطوت على ثلاث دوائر : هى العربية والافريقية والاسلامية كمجالات عمل للسياسة الخارجية المصرية منذ العام الثانى للثورة ثم انطوى « الميثاق الوطنى » على تصوير اكثر شمولا ودقة لتوجهات السياسة الخارجية المصرية بقوله :

« واذا كان شعبنا يؤمن بوحدة عربية فهو يؤمن بجامعة افريقية ويؤمن بتضامن اسيوى افريقى ، ويؤمن بتجمع من اجل السلام يضم جهود الذين ترتبط مصالحهم به ويؤمن برباط روحى وثيق يشده الى العالم الاسلامى ، ويؤمن بانتمائه الى الامم المتحدة وبولائه لميثاقها الذى استخلصته الام الشعوب فى محنة حربين عالميتين تخللتهما فترة من الهدنة المسلحة » . [٢٨]

٢ ـ ان اسم نكروما يرتبط باليقظة القارية الافريقية ، وهو يصدر عن نظرة مؤداها « ان الاستعمار الجديد هو التجزئة » [٢٩] بمعنى ان ظاهرة التجزئة الاجتماعية والسياسية تعتبر من اخطر الظواهر التى ترسبت عن المواريث التاريخية والاستعمارية لغالبية دول القارة الافريقية ، وان الاستعمار الجديد يستند الى مبدا تفتيت المناطق المستعمرة الى عدد من الدول الصغيرة التى تنقصها مقومات الحياة الذاتية والتى تتميز بالتالى بالعجز عن التطور بصورة مستقلة مايرغمها على الاعتماد على الدولة الاستعمارية الان فى شئون دفاعها بل وأمنها الداخلى . كما يظل نظامها الاقتصادى والمالى مرتبطين ، كما وكان الحال فى المرحلة الاستعمارية ، بانظمة الدولة الاستعمارية الهامة . الا فكيف نتصور رفض مجموعة الدول الافريقية الناطقة بالفرنسية « ان تستقل » عن فرنسا فيما عدا غينيا ، عندما عرض عليها الرئيس ديجول ذلك الاختيار بمجرد تولية السلطة ؟ ! . [٣٠]

وبناء على ذلك تعتبر « التجزئة » هى احدى ادوات الحفاظ على المصالح الاستعمارية فى اية منطقة من العالم فمالم تتحرر هذه الدول الصغيرة والمجزأة ، والتى تدور فيما بينها صراعات اقليمية حادة ، فستجد نفسها مرغمة على الخضوع والتبعية .

٣ ـ ان اسم نهرو يرتبط بدائرة اوسع بكثير حيث تبنى جديا الدعوة الى فكرة « الحكومة العالمية » او فكرة « الدولية » . جمع دور نهرو الهام فى بعث فكرة « القومية الهندية » الا ان هذا القومية الهندية تبدو وهى فى طريقها الخاص فى النمو والتطور على حد تعبير احد كتاب الهند الذين اهتموا بدراسة افكار الزعيم نهرو انها تمضى الى حد كبير فى اتجاه المثل والنزعة الدولية . [٣١] وان شهرة نهرو قد اتسعت باعتباره احد المنادين بفكرة الدولية : على حين كان يمضى فى الوقت نفسه على اسس قومية واضحة . بل ان ايمانه بالدولية اثناء دوره القومى الذى يقوم به كان يزداد عمقا وقوة . وقد استطاع ان يجمع ويصل بين الفلسفة القومية وبين النزعة الدولية . وقد اصبحت هذه الوحدة التركيبية بينهما هى مذهبه السياسى الدائم . واساس ذلك لديه ان القومية ليست مجرد صيحة سياسية او مبدا سياسى ، وليست وقفة لاشعال الرغبة فى الاستقلال او السيطرة على القوميات التى هى اقل منها قوة . بل ان لفكرة القومية على النقيض من ذلك معنى أوسع من ذلك ، الى جانب احساسها بالواجب الاخلاقى ازاء الجنس البشرى كله . [٣٢]

وقد صرح نهرو فى عام ١٩٢٩ قائلا : واذا استعملنا مفهوم فكرة الاستقلال فنحن لانستعملها على اساس عدائى ، فالاستقلال بالنسبة لنا يعنى التحرر الكامل من السيطرة البريطانية والاستعمار البريطانى . واذا حصلنا على حريتنا فليس لدى شك فى ان الهند سترحب بكل محاولات التعاون العالمى والاتحاد العالمى وتوافق على التخلى عن جزء من الاستقلال لمجموعة اكبر ، اذا كانت حقا ستصبح عضوا متساويا فى الحقوق » [٣٣]

٤ ـ ولاشك ان انضمام يوغوسلافيا ـ تيتو ، وهى الدولة الاوربية الى عالم عدم الانحياز واتخاذها دورا رائدا فى هذا المجال هى ابلغ مثال على توجه تيتو البعيد عن التعصب الاقليمى الضيق والرافض اصلا لفكرة « عالم الرجل الابيض » والشمال الغنى الذى لايجب ان يلقى على قدم المساواة مع الجنوب الفقير .

---

(٢٨) الميثاق الوطنى ، الباب العاشر .

(٢٩) انظر وجهة نظر نكروما فى كتابه :

K.Nkrumah, New Colonialism : the last stage of Imperialism (London : thomas Nelson, 1965).

وانظر تقويما لوجهة نظر نكروما من الناحيتين النظرية والتطبيقية فى :

. محمود عبد المنعم مرتضى ، مرجع سابق ، ص ٤٤٧ ـ ٤٨١ .

(٣٠) انظر فى تفصيل هذه النقطة للباحث :

جدى حماد ، صراع القوى الكبرى فى افريقيا (القاهرة : مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالاهرام ، ١٩٧٨) ، ص ٢٩ ـ ٣١

٣١) م . ن . داس ، الفلسفة السياسية لنهرو ـ ترجمة صلاح منصور

القاهرة : الدار القومية للطباعة والنشر ، بدون تاريخ) ، ص ١١٧

٣٢) المرجع السابق ، ص ١١٧ ـ ١١٨

٣٣) المرجع السابق ، ص ١٢٠ ـ ١٢١

واستكمالا لعناصر التحليل التاريخي لهذه الخبرات والتجارب في الفترة محل الدراسة ، لابد ان نشير الى ان نمو موجة الوعي الجماهيري على النطاق العالمي مست بصورة واضحة شعوب دول العالم الثالث ، بحيث نجد الفلاح الهندي او المصري مثلا يفكر في امور تخرج عن نطاق قريته وحياته التقليدية التي عاشها الاف السنين . فقد اصبح يدرك مثلا ان السلطة السياسية تستطيع انتزاع الملكيات الزراعية الكبرى من ايدى ملاكها واعادة توزيعها عليه وعلى امثاله من الفلاحين الصغار . وانها - اى السلطات السياسية - يمكن ان تستخدم لمصلحته كما استخدمت ضده طوال القرون الماضية .

ولايعني ذلك اننا نريد ان نقول ان هذا النمو السريع في الوعي يرجع كل السبب فيه الى اى شيء يتصل بنهرو في الهند او تيتو في يوغوسلافيا او عبد الناصر في مصر ، ولكن اردنا فقط تاكيد عنصر هام من عناصر الموقف الذى ندرس في ضوئه دور هذه القيادات .

ويمكن ان نلاحظ من هذا العرض للاتجاهات التي يرتبط بها اسم هؤلاء القادة العظام امرين اساسيين :

☐ الأول : ان صدى السمات الاساسية للعالم في مرحلة مابعد الحرب العالمية الثانية ممثله في الهند والمنطقة المرتبطة بها ، وفي مصر والمنطقة المرتبطة بها ، وفي يوغوسلافيا والمنطقة المرتبطة بها ، ظواهر يرتبط بها اسم نهرو وعبد الناصر وتيتو على التوالي . ولما كانت هذه السمات بالضرورة تعبيرات عن جوانب مختلفة من القوى التاريخية التي تصنع التاريخ المعاصر للعالم فان تحديد الدور التاريخي لهذه القيادات جزء من دراسة التاريخ المعاصر كله وان كان التاثير المباشر لكل من هؤلاء القادة يبدو اكثر وضوحا في منطقة عن غيرها .

☐ الثاني - اننا عندما عمدنا الى تحليل الظواهر التي يرتبط بها اسم عبد الناصر ونهرو وتيتو في بلادهم وعلى المستويات الخارجية المختلفة ، وجدنا ان السمة الغالبة فيها هي « الصفة الجماهيرية » .

- فالحرية والاستقلال عندهم باسم « الجماهير » .
- والمستفيد الأول من السياسات المختلفة هي « الجماهير » .

- وحتى التوجهات الخارجية - مثل القومية العربية لدى عبد الناصر او الدولية لدى نهرو او الوحدة الافريقية لدى نكروما - يطلبها كل منهم باسم الجماهير بمعناها الواسع .

اننا نستطيع ان نخلص من التحليل السابق الى نتيجة اساسية وهي :

ان عبد الناصر ونهرو وتيتو ونكروما .. الخ كل منهم كان يمثل قوة اجتماعية محددة في « داخل » بلاده وعبر الحدود الوطنية هي « الجماهير الشعبية » سواء اكانت اسيوية او افريقية او اوربية او عربية ، في مرحلة من مراحل النمو السريع للوعي ..وتفصيل ذلك :

١ - ان اى منهم لايمكن ان يكون ممثلا « لفرد » لان الظواهر التي اشرنا اليها كلها تجعل مثل هذا الفرض مستحيلا .

٢ - ان اى منهم كذلك لايمكن ان يكون ممثلا « لفئة قليلة » في المجتمع او لطبقة واحدة من طبقاته ، فالدعوة الى القومية العربية لدى عبد الناصر ، والدعوة الى الوحدة الافريقية لدى نكروما والدعوة الى الدولية لدى نهرو لاتتفق اى منها مع هذا التفتيت الاجتماعي للمجتمع .

٣ - ان مفهوم « تحالف قوى الشعب العاملة » رغم انه مصطلح سياسي مصري ، الا انه يكاد يكون مطبقا في الهند ويوغوسلافيا وغانا وغيرها ، وهذا المفهوم الذى تقوم عليه الفلسفة السياسية لكل من عبد الناصر ونهرو وتيتو ونكروما لايتفقون على القول بأنه يمثل طبقة معينة .

٤ - ان ملايين البشر « داخل حدود الوطن » و « خارج » هذه الحدود ، بتطلعاتهم وامالهم هم القوة الاجتماعية التي كان يمثلها كل من عبد الناصر ونهرو وتيتو ونكروما وسوكارنو . فجماهير الشعب التي مستها موجه الوعي النامي من ابناء العالم الثالث « داخل » الاوطان وخارجها هم محور التركيز في كل ما يتصل بالظواهر التي يرتبط اسم هؤلاء القادة بها .

ان الجماهير هي التي تصنع تاريخها . ومع ذلك ففى ظروف تاريخية معينة ، من حيث الزمان والمكان ، يقدر لبعض القيادات الفردية المتميزة ان تلعب دورا حاسما في توجيه التطور التارخي . غير ان ذلك لايعني ان هذه القيادات يمكنها ان تحدد خطوات او اتجاهات التطور بمقتضى ارادتها الذاتية وحدها ، لان هذه القيادات هي ، منذ البداية ، حصيلة ظروف اقتصادية واجتماعية وسياسية في زمان ومكان معينين ، بحيث يمتنع عليها وهي تعامل مع هذه الظروف ، ان تتخطى هذين القيدين ، وان تنزل منزلة الاله .

كذلك فان المكان والمكانة التي يحتلها هذا النوع من القيادات في التاريخ لايتحدد فقط بحجم ماتفعله بغض النظر عن طبيعته وعلاقته بظروف الزمان والمكان ولنا ، على سبيل المثال ان نقارن بين دور « نيرون » الذى احرق روما ، او هتلر الذى اجتاح اوربا كلها ، بدور غاندى رجل المقاومة السلبية او دور ماوتسى تونج صاحب مسيرة الألف ميل .

ان هذه القيادات الفردية تحتل مكانها ومكانتها في

التاريخ وفقا لطبيعة القوى الاجتماعية التى تعبر عنها فضلا عن « الاتجاه » الذى تقود اليه هذه القوى . فلاشك ان نيرون وهتلر كلاهما كان تعبيرا عن « قوى اجتماعية » « معينة ، ولكنهما كانا يتحركان بهذه القوى الاجتماعية فى اتجاه معاد لحركة التاريخ .. حقا كان كل منهما يقود « جماهير عريضة » ولكن هذه الجماهير يحق عليها قول الزعيم تيتو : « حتى الذين قاتلونا وقتلونا فى ارضنا لم نحمل لهم — اى لجماهيرهم — عداوة الدم ، بل كرهنا فيهم ، فى جماهيرهم ، عداوة الغباوة المجرفة ، التى حولت هذه الجماهير الى كتل من الاسلحة فى التدمير والتهديم » . بينما كان دور كل من غاندى وماوتسى تونج ، بطبيعة القوى الاجتماعية التى عبروا عنها وبالاتجاه التاريخى لحركة هذه القوى ، فى اتجاه التقدم الانسانى .

ومن هنا فان تقديرنا لدور القيادات الفردية فى التاريخ ، وبالتالى تقديرنا لدور القيادات التاريخية لحركة عدم الانحياز سيكون مبنيا على وعى هذه القيادات بالحاجات الاجتماعية للجماهير العريضة بدرجة اوضح من الاخرين ، والتعبير عنها بصورة اكثر دقة مهم ، وتنظيم القوى الطليعية فى المجتمع وقيادة نضالها من اجل الاستجابة لهذه الاحتياجات . وهكذا تحتل هذه القيادات مكانها ومكانتها فى التاريخ بمدى تعبيرها عن « ارادة الجماهير » لانها ستكون انذاك بعيدا عن ارادة التاريخ .

ولقد شهدت الفترة اللاحقة للحرب العالمية الثانية لحظة تاريخية من هذا النوع الذى يسمح بظهور انماط معينة من القيادات التاريخية على مسرح الاحداث . فلقد تضافرت جهود الدول الكبرى خلال هذه الحرب فى قتال ضد النازية والفاشية ، وعندما وضعت الحرب اوزارها كان ذلك بشيرا بالامل فى سلام دائم خال من التوتر والمرارة . ومليء ببشائر التعاون والتعايش . بيد ان هذه الامال لم تلبث ان تحطمت بفعل ظاهرة « الحرب الباردة » التى كانت تدفع العالم الى حافة الحرب . أما صراع الايديولوجيات الذى جلب هذا التحول على الساحة العالمية ، فلم يلبث ان انقلب الى اوضاع من المواجهة العدائية . وكان هذا هو المناخ الذى ساد فترة الخمسينات وتشكلت فى ظله التكتلات العسكرية — الايديولوجية . وهكذا قد انقسم العالم الى شطرين ، راح اولهما يدعو الى فكرة « احتواء الشيوعية » ، بينما مضى الطرف الاخر يدعو الى « القضاء على الراسمالية » .

وبين هذين الموقفين المتطرفين نشات حركة التحرر الوطنى فى محيط العالم الثالث حيث كانت جماهير هذا العالم ، التى يعيش الجانب الاكبر منها فى مجتمعات تعانى من التخلف الشامل ، مهددة بخطر التورط فى هذه المواجهة التى لاهدف لها الا خدمة مصالح « المركب الصناعى — العسكرى » الذى افرزته الحرب فى المعسكر الغربى .

وعند هذه المرحلة بدا صوت نهرو — استمرار لصوت غاندى — غير المنحاز يدعو الى سياسة « عدم العنف » فى مواجهة سياسة « القوة » وسياسة « عدم التورط » فى مواجهة سياسة « التكتل » . كما بدا صوت تيتو غير المنحاز يعلو ضد الكهنوت الستالينى ويعلن اصراره على اختيار « الطريق المستقل » الى الاشتراكية .. ثم اذا بصوت عبد الناصر غير المنحاز يدوى رافضا سياسة الاحلاف العسكرية وتناسى الخطر الداهم فعلا ممثلا فى الميراث الاستعمارى الغربى وادانة اسرائيل من اجل خطر وهمى سوف يأتيه من الشرق .. ان هذه الاصوات التى بدات تدوى فى اماكن متفرقة ومتباعدة من العالم الثالث بدات تتزايد فراينا اصوات سوكارنو ونكروما حتى وصلت فى الستينات الى اصوات كاسترو وبومدين وهكذا بدات هذه الاصوات تلتقى معا ، ومع حركة التاريخ ، حيث كان مؤتمر باندونج اول تعبير عن السعى من اجل سياسة مستقلة وشخصية دولية . .

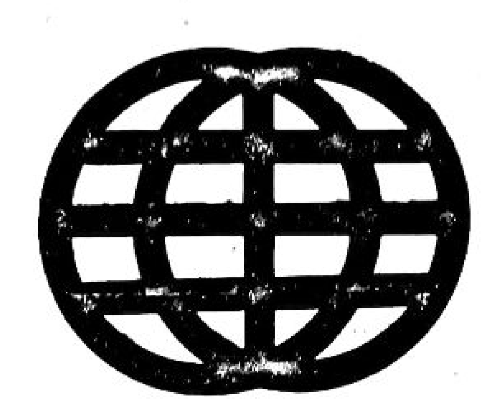
وهكذا فان دعوة هؤلاء القادة السياسة عدم الانحياز قدمت لمعظم الشعوب اجابة حاسمة على الحيرة الناجمة عن التخبط بين نظرية احتواء الشيوعية والنظرية المضادة لها التى سوف تعمد الى « دفن الراسمالية » .

لقد برزت سياسة عدم الانحياز بفضل هؤلاء القادة الذين تمسكوا بها امام العالم « قوة اخلاقية » ودليلا للدنيا على ان العالم لاينقسم الى ابيض واسود . وان هناك مباديء واضحة جلية تحكم الشئون الدولية ، او يمكن ان تحكمها ، وتقوم على الصدق والعدل والحرية والسلام .

لقد هيات سياسة عدم الانحياز فرصة حقيقية للدول حديثة الاستقلال لكى تثبت وتمارس سيادتها كاملة لاول مرة فى الميدان الدولى من خلال استقلال الراى فلا يحد من حريتها الاستقطاب الايديولوجى . انها سياسة « الصداقة مع الكل واذا حدث خلاف فعلى أساس المبادىء وحدها » .

فضلا عن ذلك فقد نجحت سياسة عدم الانحياز برفضها لسياسة التكتلات والتبعية فى خلق « شخصية دولية » متميزة للدول حديثه الاستقلال ، التى كانت ترنح تحت نير السيطرة والاستغلال الاستعمارى . ومن ثم فقد وجدت هذه الدول فى تجربتها القومية المستقلة ممثلة فى عدم الانحياز ، ضمانا لها يحمى امنها الوطنى ويساعدها بالتعاون مع قوى التقدم فى

الاستعمار .
العالم على اجتياز محنة التخلف ومواريث
وعلى الرغم من ان بعض العناصر قد سخرت من هذه
السياسة منذ البداية ووصمت دول . العالم الثالث التى
تنادت الى باندونج بانها تخط ل . احلام اليقظة »
واتهمت الدعوة الجديدة بانها « لا اخلاقية » كما عبر
دلاس عن تقويمه لها ، فان العالم لم يستطع ان يطرد
فكرة عدم الانحياز بما تنطوى عليه من معتقدات
اخلاقية وتجرد من الانانية .
وثمة ... ة اخرى لسياسة عدم الانحياز كان لها اثر
كبير على سيكولوجية ... الذى خاضته قيادات الحركة من اجل الاستقلال ومن
اجل تثبيت الاستقلال الا وهى التحرر من الخوف لقد
كانت هذه القيادات على اقتناع من واقع خبراتها
وتجاربها بان الامن القومى لاياتى من الارتباط بحلف
عسكرى - ايديولوجى بغرض التصدى لاعداء
حقيقيين او اعداء اصطنعهم الخيال ، وانما ينبثق من
الموقف المبدئى المبنى على القوة الداخلية ، الاقتصادية
والاجتماعية والسياسية .





عدم الانحياز ودوره فى اتجاهات السياسة المصرية

د . أحمد عباس عبد البديع

اخذت حركة عدم الانحياز تواجه ، منذ العقد الماضى ، كثيرا من التحديات والضغوط التى استهدفت اخضاعها لأهداف وأيدولوجيات الدول العظمى ، كما تفجرت داخلها العديد من الصراعات العنيفة والخلافات الحادة التى أثارت كثيرا من التساؤلات حول أهمية الحركة ، وطبيعة دورها ، وما اذا كانت قد استنفذت اغراضها فى المرحلة الراهنة من تطور العلاقات الدولية . وقد امتدت هذه التساؤلات الى مضمون عدم الانحياز ذاته وخاصة بعد ان تورطت بعض الدول غير المنحازة فى منازعات مسلحة ، ومابدا من انحياز البعض الآخر منها الى احد المعسكرين الشرقى أو الغربى ، مما ادى الى طرح قضية بناء هيكل تنظيمى أو اطار مؤسسى للحركة لحسم هذه المنازعات ومتابعة تنفيذ قرارات ومبادىء الحركة .

وفى غمار هذه التقلبات والاضطرابات العنيفة وحملات التشكيك التى تتعرض لها ، شرعت تجتاز منعطفا هاما ، بفعل الدبلوماسية المصرية ، التى استطاعت خلال الشهور القليلة الماضية ، أن تقوم بدور نشيط وفعال لاعادة الحركة الى قوتها ومكانتها الدولية التى كانت تتميز بها عندما صاغت القيادات السياسية فى مصر والهند ويوغوسلافيا الأسس والمبادىء التى تقوم عليها ، وشكلت الأهداف التى تتغياها . وكان من الطبيعى أن تلعب الدبلوماسية المصرية هذا الدور بالتعاون مع كل من الهند ويوغوسلافيا بما يستهدف استرجاع قيادة الحركة الى الدول المؤسسة لها . ولاجدال فى أن انعقاد المؤتمر الحالى للحركة فى الهند ، وهى احد المواقع الأولى التى نشأت فيها ، إنما يشير الى جدية هذه الدول فى تصميمها على رأب الصدع الذى منيت به خلال مسيرتها المتعثرة .

وليس من أهداف هذه الدراسة التصدى لمعالجة مختلف المشاكل والخلافات التى أثيرت داخل الحركة أو الصراعات الخارجية التى كانت تحدق بها ، ولكنها تقتصر على تناول أهمية ودور استراتيجية عدم الانحياز فى اتجاهات السياسة المصرية . وفى هذا الاطار فانها تطرح طائفة من التساؤلات التى تدور حول ماهية الظروف الداخلية والخارجية التى أدت الى تبنى مصر مبادىء عدم الانحياز ، ومدى التزامها بهذه المبادىء ، وما إذا كانت استراتيجية عدم الانحياز تمثل بالنسبة لها نفس الأهمية التى كانت عليها فى اوائل الستينيات على الرغم من التطورات والتحولات الجذرية التى طرأت على العلاقات الدولية فى الوقت الراهن ، واخيرا مدى ماسيكون عليه التزامها بهذه الاستراتيجية فى المستقبل .

على أنه من المتعين قبل أن نتعرض لهذه القضايا ، أن نجلى بعض الحقائق التى تتصل بمفهوم وابعاد عدم الانحياز حتى يمكن الوقوف على مدى توافق السلوك المصرى مع مبادىء وأهداف الحركة .

مفهوم عدم الانحياز :

من الحقائق الاساسية في ادب السياسة الدولية انه من النادر لأى دولة أن تقف غير عابئة ازاء التهديدات المباشرة لامنها وقيمها الاساسية ، مهما كانت ضعيفة من حيث امكانياتها وقدراتها والوسائل التى تؤثر بها على سلوك الدول الاخرى . وفيما يتعلق ببنيان القوة اوالتاثير الذى تمارسة الدول المختلف في النظام الدولى ، يمكن التمييز بين ثلاثة توجهات Orientations اساسية تحدد اتجاهاتها وسلوكها العام نحو البيئة الدولية ، واستراتيجيتها لتحقيق اهدافها ومواجهة التهديدات المسلحة . وهى العزلة وعدم الانحياز والتحالف العسكرى ويركز التوجه الانعزالى للدولة على الافتراض بأنها تستطيع ان تحقق امنها واستقلالها بصورة افضل ، بتخفيض ارتباطاتها ومعاملاتها مع الدول الأخرى الى حد ادنى الحدود ، في حين أن استراتيجية التحالف العسكرى تستند الى الافتراض بأن الدولة لاتستطيع الدفاع عن مصالحها ، أو مواجهة التهديدات بالاعتماد على قدراتها الذاتية ، ومن ثم فانها تقيم علاقات وروابط دبلوماسية وعسكرية مع الدول التى تواجه نفس المشاكل أو تشاركها نفس الأهداف .

ويدل عدم الانحياز على ذلك التوجه الذى يرفض العزله ويتجنب في نفس الوقت الارتباط عسكريا بأهداف القوى الكبرى ، والمقصود بها في النظام الدولى الراهن الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ، ومع ذلك فان قيام الدولة غير المنحازة بالارتباط بأى من هاتين القوتين ، وتأييدها دبلوماسيا في مجال أو مجالات معينه لايتعارض مع جوهر عدم الانحياز ، على الا يكون ذلك الارتباط في جميع القضايا والمجالات .

ويشير مفهوم عدم الانحياز الى بقاء الدولة غير المنحازة بعيدا عن الصراعات والمنازعات بين القوتين العظميين وان كان من الممكن بالنسبة لها ان تقدم في مناسبات معينة الخطط والوسائل التى تكفل الوصول الى التسويات السلمية في هذه المنازعات .

وفي هذا الاطار ، فان عدم الانحياز يؤدى الى زيادة قوة الدولة التى تمارسه كتوجية لسياستها الخارجية في التاثير على البيئة الدولية ، واتاحة مزيد من من الفرص لها في حرية الحركة ، وتشكيل سياستها في ضوء احتياجاتها الذاتية ـ الأمر الذى لايتوافر للدول المرتبطة بالاحلاف العسكرية(١)

وليس ثمة ... منحازة ، وان تكون في نفس الوقت عضوا في تحالـ عسكرى او ايدولوجى او اقتصادى داخل النطا الاقليمى ، بسبب مايوجد بينها وبين الدول الاخر من مصالح مشتركة . ومن الامثلة على ذلك دول عد الانحياز الاعضاء في الجامعة العربية او في منظمة الوحدة الافريقية او غير ذلك من المنظمات الاقليمية او الاقتصادية .

وبالاضافة الى هذا التحديد لمفهوم عدم الانحياز ، فانه من المفيد في هذا السياق ان نورد خصائص او معايير الدول التى تتبنى هذا التوجه او دول حركة عدم الانحياز ، وفقا لما تقرر في الاجتماع التحضيرى المنعقد في القاهرة في يونيو عام ١٩٦١ وذلك على النحو الآتى :

اولا ـ ان تكون سياستها مستقلة مبنية على التعايش السلمى وعدم الانحياز ، وان يكون اتجاهها وديا ازاء هذه السياسة .

ثانيا ـ ان تكون مؤيدة لحركات التحرر الوطنى .

ثالثا ـ ان تكون غير مشتركة في اى حلف عسكرى جماعى يجعلها طرفا في الصدام بين الدول الكبرى .

رابعا ـ ان تكون غير مشتركة في اى حلف ثنائى مع دول كبرى .

خامسا ـ الا تكون قد سمحت لدولة أجنبية باقامة قواعد عسكرية في اراضيها .

وفي ضوء ماتقدم ، فان حركة عدم الانحياز لاتشكل تنظيما او تكتلا دوليا على غرار الاحلاف أو المنظمات الدولية أو الاقليمية ، ولكنها بمثابة تجمع للدول التى تتبنى وتمارس هذه الاستراتيجية . وقد وضح الرئيس عبد الناصر هذا المعنى في خطابه أمام مؤتمر بلجراد (سبتمبر ١٩٦١) بقوله إنه لاينبغى ان يكون في طريقة عمل هذا المؤتمر ... مايمكن ان يوحى من قريب أو بعيد بأن الدول الملتزمة بسياسة عدم الانيحاز تصنع بنشاطها كتلة دولية ثالثة ، إننا نعيش في عالم يعانى من الصراع بين كتلتين ، ولا نتصور أن تدخل الحلبة كتلة ثالثة تزيد من حدة هذا الصراع .

وقد ظهر اصطلاح « عدم الانحياز » لأول مرة في ادب حركة عدم الانحياز ، عندما استخدم الرئيس عبدالناصر استخداما مرادفا لاصطلاح « الحياد

---

(١) انظر بالتفصيل .. Holsti (K .J) : International Politics . 3 rd ed , Prentice Hall , U . S .A 1977 PP .112 -115 .

الايجابى » [٢] وكان ذلك قبل تأسيس حركة عدم الانحياز التى بدأت بمؤتمر بلجراد عام ١٩٦١ . ويقول على سبيل المثال فى خطابه فى المؤتمر التعاونى المنعقد بجامعة القاهرة فى ٥ ديسمبر سنة ١٩٥٧ « ظهر فى المنطقة الحياد الايجابى وعدم الانحياز .. كل مواطن فى المنطقة العربية كان ينادى بعدم الانحياز .. الحياد الايجابى » وكذلك فى خطابه فى بورسعيد فى ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٥٧ بقوله « ان سياستنا هى سياسة الحياد الايجابى وعدم الانحياز » أما اصطلاح « الحياد الايجابى » فانه تعبير هندى [٣] شاع استخدامه فى مؤتمر باندونج (١٩٥٥) المعروف بالمؤتمر الآسيوى الافريقى الذى يعد أحد المقدمات الاساسية التى انبثقت منها حركة عدم الانحياز [٤] والذى تشكلت فيه كثير من المبادىء التى تقوم عليها هذه الحركة مثل التعايش السلمى ، ومناهضة الأحلاف ، وتأييد قضايا التحرر ، ودعم السلام والتعاون الدولى .

البعد الاقتصادى لحركة عدم الانحياز

وفى جانب مبدأ دعم التعاون الدولى ، ركزت حركة عدم الانحياز منذ البدايات الأولى لنشأتها ، على البعد الاقتصادى لهذا التعاون - الأمر الذى لايدع مجالا للجدل الذى أثير منذ عدة سنوات بأن حركة عدم الانحياز قد خرجت عن مضمونها السياسى الى الاهتمام بالقضايا الاقتصادية التى أخذت تطغى على الجوانب السياسية للحركة .

وتجدر الاشارة فى هذا الصدد الى ما تضمنته قرارات مؤتمر باندونج من التأكيد على التعاون الاقتصادى بين البلاد المشتركة فى المؤتمر لتنمية التطور الاقتصادى على أساس المصلحة المتبادلة ، وكذلك التعاون مع بلاد خارج المنطقة (الآسيوية الافريقية) بما فى ذلك استثمار رأس المال الأجنبى . كما دعا الى التبكير بانشاء صندوق خاص للأمم المتحدة للتقدم الاقتصادى ، واقامة هيئة مالية دولية لتشجيع الجهود المشتركة بين البلاد الآسيوية الافريقية ، بما يكفل تنمية مصالحها العامة . وأوصى كذلك باتخاذ عمل جماعى من جانب الدول المشتركة بغية إقرار الاسعار الدولية . والطلب على السلع الأولية بواسطة ترتيبات ثنائية او متعددة الجوانب ، وبأن عليها أن تتخذ موقفا موحدا تجاه موضوع اللجنة الاستشارية الدائمة المختصة بالتجارة الدولية للسلع التابعة للأمم المتحدة ، وتجاه الهيئات الدولية المماثلة . [٥]

كما تضمنت قرارات مؤتمر عدم الانحياز الأول فى بلجراد الدعوة الى منح البلاد الاقل تطورا من الناحية الاقتصادية شروطا عادلة فى التجارة ، وغير ذلك من المبادىء والأسس التى يقوم عليها حل مشاكل وقضايا الاقتصاد العالمى . ومن أبرز ما جاء فى هذه القرارات :

« ترى البلاد المشتركة فى المؤتمر وجوب بذل الجهود لازالة عدم التفاهم الاقتصادى الموروث من الاستعمار بأنواعه ، وترى ضرورة سد الثغرات دائمة الاتساع بمستويات المعيشة بين البلاد القليلة المتقدمة اقتصاديا والبلاد الكثيرة الاقل تطورا .. وتوصى البلاد المشتركة فى المؤتمر ان يتم فورا انشاء وتشغيل صندوق للتنمية تابع للامم المتحدة .. وتطالب بمنح البلاد الاقل تطورا من الناحية الاقتصادية شروطا عادلة فى التجارة ، كما تطالب بصفة خاصة ببذل جهود بناءة للقضاء على التقلبات الشديدة فى تجارة السلع الأولية ، وعلى التدابير والاعمال التى تعوق وتضر تجارة البلاد حديثة التطور وتؤثر فى دخولها .. وتدعو البلاد المشتركة فى المؤتمر جميع الدول الآخذة بأسباب التقدم أن تتعاون تعاونا فعالا فى الميادين الاقتصادية والتجارية لمنع التكتلات الاقتصادية ..وتدعو جميع الدول المعنية الى بحث فكرة عقد مؤتمر دولى فى اقرب فرصة لمناقشة مشاكلها المشتركة .. وتطالب بتطبيق ثمار الثورة العلمية والفنية فى جميع ميادين التطور الاقتصادى ، وذلك للاسراع بتحقيق العدالة الاجتماعية ... [٦]

ومن هذه القرارات التى انبثقت من المقدمات الأولى لحركة عدم الانحياز تبلورت القضايا الاقتصادية التى اصبحت منذ السبعينات تطغى على مختلف مشاكل

---

(٢) ويميز فيه القانون الدولى بين الحياد بانواعه المختلفة من ناحية وعدم الانحياز من ناحية اخرى . انظر على سبيل المثال : دكتور حامد سلطان واخرون : القانون الدولى العام - دار النهضة العربية - القاهرة ١٩٧٧ ص ٨٣٥ - ٨٤٦ .

(٣) دكتور محمد انيس : المؤتمر الاسيوى الافريقى - اخترنا لك - القاهرة ١٩٥٧ ص ٣٢

(٤) وكان اول مؤتمر يجمع دولا اسيوية وافريقية هو المؤتمر الآسيوى المنعقد فى نيودلهى من ٢٠ الى ٢٣ يناير ١٩٤٩ والذى يعد نموذجا سابقا لمؤتمر باندونج ، وكان يضم - على الرغم من تسميته بالمؤتمر الآسيوى وفود دول من الشرق الاوسط (ومنها مصر) وجنوب اسيا والباسفيك ؛ ومن ذلك ايضا المؤتمر المنعقد فى القاهرة فى فجر الثورة المصرية عام ١٩٥٢ وكان يضم المملكة العربية السعودية والاردن وافغانستان والهند وإيران وسوريا وباكستان .

انظر د . محمد انيس - مرجع سابق ص ١٠ - ١٦

(٥) دكتور محمد انيس - نفس المرجع ص ١١٧ - ١٢١ .

(٦) مؤتمر عدم الانحياز - مصلحة الاستعلامات - ص ١٠٤ - ١٠٥

وقضايا السياسة العالمية(٧) كما تولدت الدعوة الى اقامة نظام اقتصادى عالمى جديد .ففى عام ١٩٦٤ – اى بعد مؤتمر عدم الانحيا، لاوف بثلاث سنوات – تكونت مجموعة السبع والسبعين التى أغلبها من دول عدم الانحياز (٨) فى أول مؤتمر للأمم المتحدة للتجارة والتنمية unctad ، واصدرت قرارا بتوحيد تصويتها فى المؤتمر ، مما يؤدى الى تزايد فرصها فى تحقيق اهدافها الاقتصادية . وقد اصبحت اجتماعات دائمة ودورية . وفى عام ١٩٧٩ تزايد حجم عضويتها الى ١١٩ دولة وما زالت تسمى باسم مجموعة السبع والسبعين Group of 77 وتعتبر الاداة الرئيسية لتجميع مصالح الدول الفقيرة فى العالم والتعبير عن هذه المصالح (٩) .وقد اخذ تفاعل هذه المجموعة فى القضايا الاقتصادية العالمية يتصاعد منذ تأسيسها ويتزايد تاثيرها الى ما اصبح يعرف بحوار الجنوب / الجنوب وحوار الشمال/ الجنوب ، ودعوة العالم الثالث الى النطام الاقتصادى العالمى الجديد NIEO – الأمر الذى لا يدع مجالا للشك فى أن الروح التى تسود هذه المجموعة ما هى الا امتداد لروح مؤتمرى باندونج وبلجراد .

عدم الانحياز وارتباطه بالقضايا الحيوية لمصر

لقد استمدت مصر ايمانها بعدم الانحياز من طبيعة موقعها الجغرافى الذى يتوسط دول العالم ، وبحكم تراثها الثقافى العربى والاسلامى ، وشخصيتها الافريقية ، وانتمائها الى العالم الثالث ، ونتيجة لتجاربها المريرة مس القوى الاستعمارية – الأمر الذى يعنى أن تحديد معالم هذا الطريق كان فى اساسه تعبيرا عن تعدد مجالات الدور المصرى فى العالم ، ودعامة لتشكيل علاقات مصر وحركتها على الصعيد العالمى . وفضلا عن ذلك كله فإن هذه السياسة نبعت من الاحتياجات القومية للبلاد ، وارتبطت ارتباطا وثيقا بأمانيها ومصالحها الحيوية ، وتفاعلت مع سلسلة الاحداث التى كانت تتلاحق تلاحقا سريعا فى أعقاب قيام الثورة ، والتى أسهمت فى اقامة بنيان الدولة المصرية العصرية ، مما جعلها تستقر فى ضمير مصر ووجدانها .

فغداة تفجر ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ، كانت قضايا الاستقلال الوطنى ، والقضاء على الاستعمار ، وإحداث تغيير جوهرى فى الاقتصاد القومى للخروج بالبلاد من دائرة التخلف ، ودعم كفاح الشعب الفلسطينى ، وموازرة حركات التحرر فى افريقيا وآسيا ... تمثل الركائز الاساسية للسيادة المصرية على الصعيدين القومى والعالمى .وفى مقدمة هذه القضايا جميعا ، كانت تبرز قضية محورية ، وهى إقامة جيش وطنى قوى باعتباره الضمانة الحقيقية لاستقلال البلاد سياسيا واقتصاديا ، والدعامة الاساسية التى تكفل حرية حركة مصر فى اداء التزاماتها القومية ، وتجنب البلاد مغبة الرضوخ للضغوط البريطانية فى مفاوضات الجلاء ، وتقيها من الانزلاق والتورط فى الاحلاف العسكرية وبصفة خاصة حلف بغداد الذى استحدثته أمريكا فى المنطقة فى فبراير عام ١٩٥٥ لضمان أمن وسلامة اسرائيل .

وفى هذه الظروف كان أول تلاحم مصرى بحركة عدم الانحياز (أو الحياد الايجابى) عندما تلقت مصر الدعوة للاشتراك فى مؤتمر باندونج فى إبريل عام ١٩٥٥ ولم يكن قد مضى على الغارة الاسرائيلية على غزة سوى شهر واحد .

وقد أبرز الكاتب الفرنسى المعروف جان جاك سرفان شرايبر فى كتابه القيم بعنوان « التحدى العالمى » (١٩٨٠) مدى الترابط وافتماسك بين قضايا مصر ومصالحها الحيوية من ناحية وايمانها بمبادىء عدم الانحياز من ناحية أخرى على نحو جعل منها جميعا خيوطا متداخلة فى نسيج واحد . فيقول إن الرئيس عبد الناصر بينما كان يتأهب لتلبية الدعوة الى مؤتمر باندونج ، انتابته الشكوك فى مؤامرة أمريكية أو بريطانية لمنعه من حضور المؤتمر لما ينطوى عليه التحالف الافريقى الآسيوى من تهديد لمصالح الغرب فى المنطقة الافريقية الآسيوية ، مما جعله يفقد الثقة فى

---

(٧) وإذا كانت القضايا الاقتصادية قد برزت فى التفاعلات العالمية منذ السبعينات واصبحت تسيطر على جداول اعمال مؤتمرات وإجتماعات رؤساء الدول والحكومات ، كما اصبحت تشكل المحور المركزى للعلاقات بين الشمال والجنوب ؛ فانها تعد كذلك قضايا سياسية عالمية من حيث ان نتائجها تتاثر بالاجراءات التى تتخذها الحكومات فى إقتصادياتها القومية وفى علاقاتها الاقتصادية الخارجية . انظر بالتفصيل :

Boyd ,& Pentland (Ed) : Issues in Global Politics . The Free Press New York , 1981 . PP . 235 - 240 .

(٨) Holsti : OP . cit - P . 114 .

(٩) Boyd & Pentland : OP . cit . PP . 247 - 250

الخطوط الجوية الغربية .ولذلك ، فإنه لكى يذهب من القاهرة الى باندونج ، حجز على طائرة هندية وهبط في نيودلهى ليلحق برفيقه الرئيس نهرو .واستقل الزعيمان الطائرة التى هبطت بهما في مطار رانجون في بورما حيث كان في انتظارهما شواين لاى رئيس الوزراء الجديد للصين الشعبية ، وكان قد توقف في بورما وهو في طريقه الى باندونج .وفي اللقاء الذى جمع الزعماء الثلاثة احاط عبد الناصر رئيس الوزراء الصينى علما بالضغوط والمؤامرات الغربية التى تتعرض لها مصر ، واعرب له عن مخاوفه من تعرض البلاد لهجوم مرتقب ، وحاجة البلاد الملحة الى اسلحة للدفاع عنها .. كما اشار الى رفض باريس تسليح الجيش المصرى ، واصرار واشنجطون على أن يكون تسليح مصر مشروطا بتوقيع اتفاق عسكرى ، وعندئذ اماط اللثام عن رغبته في التسلح من المعسكر الشرقى قائلا : « لست ادرى ما اذا كان الاتحاد السوفيتى على استعداد لبيع أسلحة لنا ؟ » واستجابة لهذا الطلب ، عرض شواين لاى قيام بلاده بدور الوسيط مع السوفيت ، وذكر في تقريلاه الذى بعث به الى ماوتسى تونج — مع الاقتراح بعرضه على موسكو — أن عبد الناصر يؤمن ايمانا شديدا بسياسة عدم الانحياز كاستراتيجية طويلة الأمد ، وأن خلافه مع الغرب ليس مجرد خلاف تكتيكى أو مرحلى ، والا لما كانت قد اثيرت الأزمة الحالية.(١٠)

وهكذا بدأت صفقة الاسحة التى تلقتها مصر من تشكسلوفكيا .وقد ردت الولايات المتحدة على ذلك بالتهديد بقطع المعونة الفنية والاقتصادية عن مصر ، وقطع العلاقات الدبلوماسيمعها ، واعتراض الطريق في اعالى البحار على السفن التى تحمل الاسلحة الى مصر .وقبل هذه الصفقة .كانت الولايات المتحدة وبريطانيا والبنك الدولى قد وافقت على تمويل السد العالى .

وفي صيف عام ١٩٥٦ التقى في بريونى تيتو ونهرو وعبد الناصر ، وهم قادة حركة عدم الانحياز ، وكان التركيز في هذا اللقاء على قضية التعايش السلمى بين المعسكرين الشرقى والغربى ، والتاكيد على تجنب الانضمام الى اى منهما .وفي الوقت الذى كان عبد الناصر يغادر فيه هذا الاجتماع ، استدعى دالاس وزير الخارجية الامريكى سفير مصر في واشنجطون وأبلغه بقرار الحكومة الامريكية بسحب تمويل مشروع السد العالى .واعقب ذلك مباشرة اعلان مصر تاميم قناة السويس ، ثم حدوث العدوان الثلاثى الذى نبع من اعتقادا يدين بأن قناة السويس جزء من الامبراطورية وتجسيد لكرامة بريطانيا ومستقبلها في اعالى البحار ، وكذلك من ايمان جى موله رئيس الوزراء الفرنسى بأن القضاء على مصر يعنى نهاية التمرد المتصاعد في الجزائر ضد قوات الاحتلال الفرنسى .وعندما خرج عبد الناصر من مجنة العدوان الثلاثى على اثر الانذار السوفيتى المعروف بانذار بولجانين ، بدأ الاتفاق مع السوفيت لبناء السد العالى الذى كان يعد رمز للتنمية الاقتصادية في البلاد .

الالتزام المصرى بتوجه عدم الانحياز

وازاء هذا الدور المتعدد الجوانب الذى قامت به موسكو وهو تزويد البلاد بالأسلحة ، والتهديد الذى وجهته الى اسرائيل لوقف العدوان والانسحاب من الاراضى المصرية ، ثم المساعدة في بناء السد العالى ، كما اثيرت قضية تزايد النفوذ السوفيتى في البلاد ، كما طرح التساؤل عما اذا كانت مصر قد تخلت عن التزامها بأسس ومبادىء عدم الانحياز .

وفي هذا الصدد ، أوضح الرئيس عبد الناصر في العديد من المناسبات أن مصر ماتزمة التزاما شديدا بعدم الانحياز — الأمر الذى يتبدى من تفسيره لمفهوم سياسة عدم الانحياز بقوله (١١) ... فعدم الانحياز يعنى انه ينبغى أن نقرر سيلستنا وفقا لما نعتقده ، لا وفقا لما يرضى هذه الدولة او تلك .واذا كانت هناك مشكلة مثلا فاننا نتخذ قرارنا بشأنها لفهمنا وطبقا لوعينا لتفاصيلها ولوجه الحق فيها ، هذا الوضع هو ما ينبغى أن نتخذه ازاء المشكلات ، ولن نغير هذا الوضع بالمرة لارضاء الولايات المتحدة أو الاتحاد السوفيتى ...هذا هو عدم الانحياز وهو يعنى أن سياستنا ليست مرتبطة بسياسة اى بلد من البلدان الاخرى أو الدول الكبرى . (١١)

وفي خلال مؤتمر بلجراد (١٩٦١) كان التزام مصر بعدم الانحياز واضحا بصورة لا لبس فيها عندما وافق المؤتمر على اقتراح عبد الناصر بتوجيه رسالة من المؤتمر إلى كل من كنيدى وخروشوف لحثهما على

---

(١٠) Schreiber : The World Challenge . Coollins , London , 1981 . PP . 103 - 104 .

(١١) من خطاب الرئيس عبد الناصر في مؤتمر عدم الانحياز الاول في بلجراد ١ — ٦ سبتمبر سنة ١٩٦١ .

المسارعة الى التفاوض من اجل السلام بسبب خطورة الأزمة التى تهدد العالم ، والحاجة الى تفادى التطورات التى قد تنجم عنها . وقد حملت الرسالتان كلا من الرئيسين الامريكى والسوفيتى على السواء وبصورة متكافئة مسئولية ازالة خطر الحرب من هذا العالم وانقاذ السلام العالمى .

كما ظهر التزام مصر بعدم الانحياز بصورة اكثر وضوحا فى مسلكها بتأييد الثورة الكوبية بقيادة فيدل كاسترو فى ديسمبر ١٩٥٨ ثم التنديد بالمحاولات الامريكية لغزو كوبا بسبب حملة الكراهية التى شنتها ضد الولايات المتحدة ، واقامتها علاقات وثيقة مع الاتحاد السوفيتى .وقد اتخذت مصر هذا الموقف فى الوقت الذى كانت العلاقات المصرية السوفيتية تجتاز ازمة حادة نتيجة لرفض مصر تدخل خروشوف فى شئون البلاد الداخلية ومحاولات فرض الصيغة الاشتراكية السوفيتية على مصر وقد اعيد طرح مسألة – عدم التزام مصر بسياسة عدم الانحياز فى مؤتمر القمة السادس المنعقد فى هافانا بكوبا عام ١٩٧٩ على هيئة حملة تشكيك محمومة لتجميد عضويتها فى حركة عدم الانحياز بدعوى انحيازها الى الولايات المتحدة على اثر قيامها بدور الشريك الكامل فى توقيع معاهدة السلام بين مصر واسرائيل .

وحقيقة ان الأمر هذه الدعوة لم تكن مخلصة لمفهوم ومبادىء عدم الانحياز بقدر ما كانت تمثل انحيازا شديد التطرف من جانب الدول الراديكالية وعلى رأسها كوبا الى الاتحاد السوفيتى الذى دأب على السعى الى بسط نفوذه على حركة عدم الانحياز .

وبالرغم مما يقال من ان العلاقات المصرية الأمريكية قد تجاوزت مساعدة مصر فى استعادة اراضيها تبعا لاتفاقية السلام ، وامتدت الى تزويد مصر بالاسلحة وتقديم المعونات الاقتصادية لها ، الا ان ذلك لا يمس جوهر عدم الانحياز على اعتبار ان مصر لم ترتبط بالولايات المتحدة كدولة عظمى بعلاقات فى جميع المجالات فلقد قالت مصر لامريكا : لا قواعد عسكرية على الاراضى المصرية ولا احلاف عسكرية ... إن المعيار الوحيد الذى ترتضيه مصر لتحديد مواقفها فى العلاقات الدولية إنما هو مدى التطابق مع مبادئها ومصالحها الوطنية[12] وفضلا عن ذلك فان السياسة المصرية الراهنة عمدت فيما يتعلق باعطاء تسهيلات عسكرية للولايات المتحدة للدفاع عن اى دولة عربية او اسلامية الى تقييد هذا المبدأ بدرجة كبيرة وهو ما يتضح من قول الرئيس مبارك باننا على استعداد لأن نعطى الجانب الأمريكى تسهيلات حينما يكون هناك سبب معين تقبله مصر وفى نفس الوقت نفى ان تكون لقوات التدخل السريع الامريكية قيادة مركزية او غير مركزية فى مصر واكد ان مصر لن تسمح بوجود عسكرى اجنبى فوق اراضيها ولكن اذا تعرضت دولة عربية او اسلامية للخطر وطلبت النجدة فمن الممكن ان نعطى تسهيلات للولايات المتحدة الامريكية لمساعدتها[13]

وتجدر الاشارة فى هذا السياق الى ان ما يشوب العلاقات المصرية السوفيتية من مشاكل لم يؤثر على علاقات مصر وتعاونها مع كثير من بلدان الكتلة الشرقية او الدول الاشتراكية الأخرى . كما ان المسئولين المصريين كثيرا ما يعربون عن رغبة مصر فى اقامة علاقات ودية مع الاتحاد السوفيتى على اساس مبدأ الاحترام المتبادل وعدم التدخل فى الشئون الداخلية للبلاد وهذا ما اكده الرئيس مبارك بقوله « سيأتى اليوم الذى تعود فيه العلاقات مع الاتحاد السوفيتى[14]

واذا كان السلوك المصرى قد غلب عليه حينا النزوع نحو الاتحاد السوفيتى وحينا اخر نحو الولايات المتحدة فان ذلك لا ينقص من التزام مصر وايمانها بأسس ومبادىء عدم الانحياز . فالدولة لا تتبنى توجه عدم الانحياز الا بوحى من مصالحها القومية ، الامر الذى يعنى انه وسيلة لحصولها على اكبر قدر ممكن من المنافع من البيئة الدولية . وغنى عن البيان أن انخراطها فى تنظيمات او احلاف عسكرية دائمة مع احدى الكتلتين يعنى عزلها عن المعسكر الاخر كمصدر للحصول على الموارد والأسواق والمعونات والمساعدات وغير ذلك من المزايا . ويلاحظ البروفسور هولستى فى هذا السياق ان عدم الانحياز يمثل سياسة ناجحة بالنسبة لدول العالم الثالث بصفة خاصة ، فكلما تنوعت مصادر المعونة المتاحة لها ، ازدادت قدراتها وامكانياتها فى مواجهة التهديدات بقطع المعونة عنها[15]

نظرة مستقبلية للالتزام المصرى بعدم الانحياز

لقد كان للنجاح العظيم الذى احرزته مصر والهند

---

(١٢) نقلا عن دكتور بطرس غالى – سياسة مصر الخارجية فى مرحلة ما بعد السادات مجلة السياسة الدولية – عدد ٦٩ ص ٨٨ .

(١٣) الاهرام فى ٢١ /٢ /١٩٨٣ .

(١٤) الاهرام فى ٢١ /٢ /١٩٨٣ .

(١٥) Holsti : OP . cit . P . 116 .

ويوغوسلافيا فى استعادة حركة عدم الانحياز الى قياداتها الاصيلة اثر كبير فى توطيد اركانها وترسيخ دعائمها الأمر الذى يتبدى بصورة واضحة من اهتمام العالم على نطاق واسع بمؤتمر القمة المنعقد فى نيودلهى وادراكه لأهمية الدور الذى تؤديه هذه الحركة فى دعم قضية السلام . ولئن كانت حركة عدم الانحياز قد قوبلت عند نشأتها الاولى بالفتور والاستنكار واللامبالاة من جانب الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى فانها اصبحت اليوم موضع اهتمامهما ومحط انظارهما . ففى خلال مؤتمر باندونج اشار اليه جون فوستر دالاس وزير الخارجية الأمريكى بقوله انه مؤتمر زائف . كما ذكر خروشوف فى مقابلة له مع والتر ليبمان حينذاك انه ليست هنالك دول محايدة ، ولا يمكن ان توجد ولا ينبغى ان توجد[١٦] وقد تغير هذا الموقف فى الوقت الراهن ، فالاتحاد السوفيتى يتطلع الى كسب تأييد الحركة من خلال القوى الراديكالية داخلها ، كما ان الرئيس الأمريكى رونالد ريجان اعرب فى رسالته الى السيدة انديرا غاندى بوصفها رئيسة المؤتمر (الحالى) عن التزام الولايات المتحدة بالمبادىء التى قامت على اساسها حركة عدم الانحياز[١٧] وهذا الموقف الذى يدل على تقبل حركة عدم الانحياز من جانب العملاقين حتى ولو كان ذلك من قبيل المناورات او المجاملات السياسية يعكس الحاجة الملحة التى يشعر بها العالم الى استمرارها وبقائها للقيام بدورها المنوط بها فى انقاذ البشرية من نتائج السباق النووى المحموم وخاصة بعد ان توارت سياسة الوفاق خلف استراتيجيات توازن الرعب والردع النووى فى اعقاب احداث بولندا والغزو السوفيتى لافغانستان .

ومن خلال هذه التوقعات التى تنىء عن مواصلة حركة عدم الانحياز اداء رسالتها المنوطة بها يبرز التساؤل عن الدور الذى يتعين على مصر القيام به فى المستقبل باعتبار ان ارتباطها بمبادىء عدم الانحياز يمثل التزاما مصيريا ، وتيارا مستمرا فى الحاضر والمستقبل واتجاها ثابتا لا يتزعزع[١٨]

ويكتسب هذا الدور اهمية خاصة بحكم التزامات مصر القومية والافريقية والعربية فعلى المستوى القومى تبرز القضايا الامنية والاقتصادية التى تتمثل فى دعم الأمن والاستقرار والقضاء على كل اسباب المنازعات المسلحة فى منطقة الشرق الأوسط وتعزيز التعاون الاقتصادى الدولى بما يمكن البلاد من تحقيق اهداف التنمية والتحديث . وعلى الصعيد الأفريقى ، ما زالت قضايا التمييز العنصرى والتدخلات العسكرية الأجنبية والمنازعات المسلحة تشكل مصدرا من مصادر تهديد السلام والأمن الدوليين .

وفى نطاق التزامات مصر العربية ، تبرز المشكلة الفلسطينية التى لم يتم حلها بعد والتى تحتل اولوية خاصة فى اهتمامات السياسة المصرية

---

١) Schreiber : OP . cit . PP 100 & 105

) الاهرام ٣ /٣ /١٩٨٣

) من رسالة الرئيس حسنى مبارك الى صحفيى عدم الانحياز ـ الاهرام ١٣ /٢ /١٩٨٣



قمـــة نيودلهـــــى

.. وأزمـــــة عدم الانحياز

دينا الخواجة

بـدأت حـركة عدم الانحياز مـواجهة جـديدة على الصعيدين الداخلى والخارجى بانعقاد قمتها السابعة فى نيودلهى من ٧ ــ ١٢ مارس ، وإزدادت الآمال المعقـودة على استرجاع الحركة لفاعليتها وتمـاسكها فى ضـوء التصريحات الهندية السابقة على المؤتمر والتـى اكدت على اهتمامها بمناقشة القضايا التى تثير توحد الحركة وفـاعليتها على السـاحة الدولية دونمـا الخـوض فى القضايا الخلافية بين الدول الأعضاء ..

وقد سبقت اجتماعات القمـة مـرحلتان : اولاهمـا الاجتماعات الثنائية والجماعية لتحديد أهـم القضـايا المطـروحة على المؤتمـر وعقـدت فى الفتـرة بين ٢و٣ مارس ، وثانيتهما مرحلة اجتماعات وزراء الخـارجية والتى استمرت من ٣ إلى ٦ مـارس وأهتمـت بشـكل اساسى بالوصول إلى اتفـاق عام حـول قضـية تمثيل كمبـوتشيا ومناقشـة المقتـرحات المصرية والخليجية بشأن إنهاء الحرب العراقية الايرانية .

واذا كانت الهند تـطرح التمـاسك فى مـــواجهة الخلاف ، والاستقلال فى مـواجهة التبعية ، والتنمية فى مواجهة التخلف كشعارات للمؤتمر فان صعوبة المهـام المنوط بها قيامها لا تقل بحال عما تصل إليه الطموحات المختلفة والمتعلقة بمستقبل حركة عدم الانحياز .

فالحركة ، ومهما بدت متماسكة تواجه وبشكل حاد العديد من الأزمات الداخلية التى توضح ــ أكثر من ذى قبل ــ انتقال ساحة الخلاف مـن مـواجهة بين الدول النامية ودول الشـمال الى مـواجهة بين الدول النامية ذاتها ، هذه الدول الاعضاء فى الحركة .

اولا : قمة نيودلهى ومظاهر الازمة :

تمثـل القضـايا الخـلافية والمشكلات الاقليمية المطروحة بحدة على مؤتمر القمـة السابع ومـراحله الثلاث المظاهر الواضحة للأزمة والتى تمثلت فى قضـية تمثيل كمبوتشيا ومحاولات إنهـاء الحـرب العـراقية الايرانية والتواجد السوفييتى فى أفغانستان والخـلاف المصرى ــ السورى الليبى بالاضافة إلى العـديد مـن الخلافات الهامشية التى زخرت بها المناقشات .

١) قضية تمثيل كمبوتشيا :

تعد قضية تمثيل كمبوتشيا القضية الأسـاسية التـى ناقشها اجتماع وزراء الخارجية من ٣ إلى ٦ مـارس والتى احتدم حولها الخلاف بين مجمـوعة جنوب شرق أسيا متمثلة فى سنغافورة وماليزيا واندونسـيا والتـى تؤيد تمثيل الأمير نورودوم سـيهانوك لكمبـوتشيا رغم احتلال بلاده والنظم الراديكالية التى تـؤيد نظـام هنج سـامرين المدعوم مـن فيتنام فى بنوم بنه والحـاكم فى كمبوتشيا .

وقد شهد المؤتمر فى هذا الصدد ثلاث وجهـات نظـر فيما يتعلق بالموضوع : أولهـا مجمـوعة الدول التـى انتقدت رفض الحكومة الهندية لدعوة الأمير سـيهانوك بصفة شخصية كأحد مؤسسى الحركة لكى يتمـكن مـن الدفاع عن حقه فى تمثيل كمبوتشيا وثانى وجهات النظر تمثلت فى تأييد بعض الحكومات الاشتراكية لنظام هنج سامرين مؤكدة على حقه فى تمثيل كمبـوتشيا ومقـارنة بذلك موقف الهند من قبول تمثيل حسين حبرى لتشـاد ومشكلة هذا الفريق انه لا يملك أغلبية الأصوات . اما

ثالث هذه الأراء فقد تمثل فى اقتراح الوصول إلى حل وسط وتأييد استمرار بقاء مقعد كمبوتشيا شاغرا على غرار ما حدث فى قمة هافانا السادسة ١٩٧٩ .

ويبدو أن المنهج الذى اتبعته الهند فى هذا الصدد هو تشجيع وجهة النظر الأخيرة والتى تحول دون وقوع أية خلافات جديدة سواء بين مجموعة جنوب شرق أسيا والهند أو على مستوى الحركة ككل ، وقد احبطت الهند بأسلوبها هذا تهديدات كل من ماليزا واندونيسيا بعدم الاشتراك فى المؤتمر إحتجاجا على عدم تمثيل سيهانوك والاستمرار فى الأخذ بفكرة المقعد الشاغر التى فرضتها كوبا (المساندة لنظام سامرين)

٢) : **الحرب العراقية الايرانية :**

توقعت الاطراف المختلفة ان تحتل مشكلة الحرب العراقية الايرانية مكان الصدارة فى مناقشات المؤتمر وذلك لعدة أسباب منها : الصدى الواسع الذى أحدثه قرار إلغاء انعقاد المؤتمر فى بغداد فى سبتمبر ١٩٨٢ بسبب الحرب ، فضلا عن كون الدولتين المتحاربتين عضوين فى حركة عدم الانحياز ، وأخيرا لما تثيره هذه الحرب من مخاطر على أمن دول دول الخليج بأسرها .

ورغم كثافة الجهود المبذولة لانهاء الحرب والتوصل لصيغة مقبولة من الطرفين ، الا أن هذه الجهود لم تصل إلى اى قرار فاصل بشأن الحرب ، فبرغم تعدد الخطط المقترحة من قبل مجموعة دول الخليج ومن العراق لانهاء الحرب الدائرة والتوصل الى تسوية شاملة ترضى الطرفين بالاضافة إلى عرض كل من مصر والأردن الوساطة لانهاء القتال ، إلا أن هذه الصيغ وبمجملها لم تلق قبول الوفد الايرانى .

وبينما أشارت التوقعات الأولى اثناء مرحلة الاجتماعات الوزارية إلى امكانية السعى لفرض عقوبات من جانب الأمم المتحدة على الدولة التى ترفض شروط خطة التسوية سواء كانت العراق أو ايران ، الا ان مجرى الأحداث اكد على عجز الحركة عن تعبئة اعضائها نحو حل حقيقى بهذه الصورة .

وعلى جانب أخر حاولت الخطة العراقية الحصول على التأييد ولكن دون جدوى ، هذا رغم قيامها على أساس تشكيل لجنة تحكيم مكونة من الدول السبع التى شهدت مؤتمرات قمة حركة عدم الانحياز فى عواصمها فى حالة قبول الطرفين لفكرة التحكيم أو قيام اللجنة من الهند وكوبا وسيريلانكا حتى فى حالة رفض احد الطرفين المتحاربين الفكرة وعدم نص الخطة على أية تفاصيل بشأن مطالب أى من الدولتين فى حالة التسوية ولا يقتصر الأمر على عدم التوصل لتسوية للحرب قدر ما يدفع بالخلافات العراقية – الايرانية إلى داخل الحركة حيث عارضت ايران عقد مؤتمر القمة القادم فى بغداد رغم تأكيد العراق على قدرته فى تأمين إنعقاد المؤتمر بل وتعدت المعارضة الى التصريح باستبعاد اى نجاح محتمل لمحاولات الحركة انهاء الحرب مدعية ان المنبر المناسب لحل الخلاف بين دولتين إسلاميتين هو المؤتمر الاسلامى .

واذا كان فشل المؤتمر فى التوصل الى حل بصدد الحرب أو إيقاف القتال قد أحبط الكثير من الأمال المعقودة على المؤتمر إلا أن النتيجة الأخيرة لا تصادف اى تناقض مع تاريخ الحركة فى مواجهة النزاعات الاقليمية التى قامت أو تقوم بين إعضائها أو مع نوايا رئاسة المؤتمر فى عدم الفصل فى القضايا الخلافية مما قد يؤثر بصورة سلبية على نجاح القمة السابعة ..

٣) **التدخل السوفييتى فى افغانستان :**

رغم تفاؤل النظم المعتدلة وأمالها المعقودة على انعقاد المؤتمر فى نيودلى لطرح قضية التواجد السوفييتى فى افغانستان على جدول المؤتمر ، خاصة بعد فشل التوصل إلى إدانة صريحة للاتحاد السوفييتى فى قمة هافانا السابقة ، إلا أن تزامن المؤتمر مع ازدياد امكانيات البدء فى المفاوضات بين الاتحاد السوفييتى والمقاومة الافغانية قد حال دون حصول القضية على الاهتمام المتوقع ، ففى أثناء الاجتماعات الوزارية طرح وزير خارجية باكستان توقعاته فى التوصل إلى تسوية بشأن المسألة الافغانية وأعلن توقعه لبدء المفاوضات بين باكستان والاتحاد السوفييتى والحكومة الافغانية وطالب ان فيما يتعلق بالوجود السوفييتى العسكرى واللاجئين الافغان الذين وصل عددهم الى ٣ مليون لاجىء فى باكستان .

وفى الحقيقة ، أن أهمية الموضوع لا ترتبط بطرحه على مؤتمرات قمة الحركة قدر ما ترتبط ببداية مرحلة جديدة من العلاقات بين الحركة والاتحاد السوفييتى ، فالأخير وبتدخله العسكرى فى أفغانستان قد أنهى مرحلة إعتبار الاتحاد السوفييتى الحليف الطبيعى للحركة ، لتطرح مفهوم مواجهة تغلغل القطبين فى الدول غير المنحازة مقابل مبدأ معاداة الامبريالية – الذى ساد منذ بداية الحركة – ولتخرج البيانات الرسمية لمؤتمر القمة مهاجمة للموقف السوفييتى ولأول مرة وحتى وان لم تصل إلى حدتها فى مهاجمة السياسات الامبريالية الامريكية .

وفى النهاية فان عدم التوصل لادانة صريحة للاتحاد السوفييتى فى مؤتمر نيودلهى لم يرتبط بطبيعة توجهات الهند أو علاقتها بالاتحاد السوفييتى قدر ما ارتبط بتصريحات القيادة السوفيتية الجديدة وبهذه السرعة عن محاولة إنهاء الموقف المتأزم فى أفغانستان وطرح مبدأ المفاوضات بين الأطراف المعنية .

٤) حول عضوية مصر في المؤتمر

.. اء الاهتمام المتزايد الذى طرحه النظام المصرى الجديد بحركة عدم الانحياز وتأكيده على انتمائه التاريخى والفعلى لها قدمت كل من سوريا وليبيا وكوبا طلبا بتعليق عضوية مصر في المؤتمر لدخولها في معاهدة سلام مع اسرائيل الذى تراه هذه الدول متنافيا مع روح ومبادىء حركة عدم الانحياز . ومن المفهوم ان مثل هذا الاقتراح لم يطرح بهدف التنفيذ قدر ما كان يهدف لضرب مصداقية النظام المصرى الجديد فيما يتعلق بعلاقته بالحركة . وبغض النظر عن الردود المصرية على هذا المطلب سواء اعلاميا او داخل الحركة الا انه من المؤكد ان الخلافات العربية التى طرحت على الساحة لم تتجاوز هذا الموضوع ..

فعلى عكس توقعات كثيرة رفضت العديد من الدول العربية المطلب الثلاث , بتعليق عضوية مصر فضلا عما شهده المؤتمر من اجتماعات ولقاءات مكثفة على المستوى العربى عكست ولأول مرة .. ومنذ زمن بعيد امكانيات ما بين الدول العربية « المعتدلة » خاصة فيما يتعلق بالحرب العراقية الايرانية والغزو الاسرائيلى للبنان او طرح القضية الفلسطينية على بساط المناقشة .

وبعد تشكيل المؤتمر للجنة متابعة للقضية الفلسطينية وشئون الشرق الأوسط أحد مؤشرات نجاح منظمة التحرير الفلسطينية خاصة والدول العربية عامة في طرح القضية ودون إثارة للخلافات المعتادة حولها .

ولا تقتصر القضايا الخلافية على تمثيل كمبوتشيا أو النزاع العراقى الايرانى أو التدخل السوفييتى في افغانستان او المواجهة المصرية ــ الليبية السورية فحسب . وإنما يمتد الأمر ليشمل الكثير من القضايا التى لم تلق نفس الاهتمام رغم تأكيدها على نفس الفكرة وهى احتدام النزاعات القائمة بين دول العالم الثالث بعضها وبعض خاصة فيما يتعلق بالنزاعات الاقليمية او المواجهات الأيديولوجية . وكمثال لتكرر طرح مثل هذه القضايا نجد إصرار ليبيا على تمثيل وفد جوكونى عويضى المخلوع لتشاد رغم اعتراف معظم دول الحركة بنظام حسين حبرى القائم في تشاد ورغم عدم توجيه الدعوة لجوكونى عويضى اصلا لحضور المؤتمر .

ثانيا : الأزمة والاختلاف حول مضمون الحركة :

إذا كانت القضايا السابقة تمثل مظاهر الأزمة التى طرحت نفسها على , قمة نيودلهى . فان جذور الأزمة تتعلق بالخلافات بين الدول غير المنحازة حول مفهوم ودور الحركة وتبلور نفسها في العديد من القضايا والاتجاهات لتؤكد ان هناك ثمة تغييرا اقرته الحركة بوعى أو بدون وعى ــ تمثل في استبدال قضايا العالم الثالث الكبرى ومواقفها من النظام الاقتصادى العالمى ومعاداة الاستقطاب ومحاربة الامبريالية بطرح قضايا لا تؤكد بأى حال من الأحوال إلا احتدام التعصب الاقليمى , والأيديولوجى مـ . تراجع الاحساس بالانتماء للحركة ومبادئها . فعدم الانحياز لم يعد يمثل لكثير من الدول غير المنحازة اكثر من كونه محفلا من المحافل الدولية التى يمكن من خلالها طرح المشاكل والنزاعات الاقليمية سعيا لكسب التأييد العالمى .

ــ ويرتبط بهذا سمة اخرى اكثر خطورة وهى عدم وضوح إتفاق عام بين الدول والمجموعات الاقليمية حول مفهوم الحركة او اهدافها ودورها في تكتيل دول العالم الثالث على الساحة الدولية . نتيجة لتناقض نماذج التنمية المتبعة وطبيعة التحالفات القائمة مع كلا القوتين العظميين .

ــ واخيرا فان الدول غير المنحازة تختلف فيما بينها حول دور الحركة في تسوية النزاعات القائمة بين اعضائها . وهذا ما حدث في قمة هافانا السادسة عام ١٩٧٩ . فعلى حين طرحت سيريلانكا . اقتراحا بتكوين لجنة خاصة بالحركة لتسوية نزاعات الحدود بين الدول غير المنحازة . قام إتجاه ثان بالمعارضة على اساس ان الحركة ليست مؤهلة من حيث القدرات والأهداف للقيام بمثل هذه المهمة . وان الأخذ باقتراح مماثل قد يحول الحركة الى محفل دولى للعالم الثالث لن يستطيع أن يؤدى ما تقوم به المحافل الدولية من مهام . مما يحيد بالحركة عن أهداف قيامها الأصلية مكرسا قضايا النزاع .

ورأى اتجاه ثالث ان اية محاولات للتسوية تقوم بها الحركة قد تقيد من حرية الدول غير المنحازة خارجيا وداخليا حتى ولو عولج كل نزاع على حدة . مما يؤكد على عدم رغبة الدول غير المنحازة ــ أو الجانب الأكبر منها ــ في توسيع مهام الحركة إلى هذا الحد .

إلا أنه من المجحف التصور بأن الحركة أصبحت مسرحا للخلاف فحسب . ففى الوقت الذى تشير فيه بعض القضايا إلى الاختلاف حول مفهوم الحركة ودورها . , تؤكد قضايا أخرى على استمرار دعم الحركة لعديد من مشاكل العالم الثالث . فلا يمكن إغفال مجهودات الحركة فيما يتعلق بالحوار بين الشمال والجنوب أو السعى لارساء نظام اقتصادى عالمى جديد فضلا عن طرحها المستمر لقضية ديون العالم الثالث ومشاكل السيولة وأزمات الغذاء ومطالبتها الملحة بنزع السلاح وتخفيض الانفاق على التسلح .

إلا ان مثل هذه القضايا التى تحظى بالاتفاق العام تدفعها فئة محدودة من الدول غير المنحازة دون غيرها مما يثير الكثير من الشكوك حول استمرار طرحها خاصة في ضوء تنامى عمليات الاستقطاب التى

تمارسها الدول العظمى والتى تتناقض مصالحها مع مثل هذه القضايا .

فاذا ما أعتبرت القضايا السابقة محورا للازمة على المستوى الداخلى للحركة ، فهناك ايضا العديد من الضغوط الخارجية ، والتى قد تكون فى اطار السياق الدولى الحالى اكثر خطورة على فاعلية عدم الانحياز ، فالحركة بالاساس تنشط فى سياق دولى معين ، وترتبط فى فاعليتها بخصائص النظام الدولى المتغيرة ، والتى تفرض تكيفا مستمرا لمفاهيمها واهدافها وفق هذه الخصائص ومتطلبات واهداف الدول النامية .

ثالثا : الاطار الدولى للازمة :

يؤكد التطور التاريخى للحركة صحة التفسير القائم على ارتباط فاعلية عدم الانحياز بتكيفه مع خصائص النظام الدولى السائدة كما سبقت الاشارة ، ففى بداية ظهور حركة عدم الانحياز اتسمت علاقة القطبين بما أطلق عليه الحرب الباردة وكانت بعض الدول النامية (الان) تطالب بالاستقلال وبعضها الاخر حصل عليه فعليا ، مما بلور أتفاقا عاما بين هذه الدول ـ المستقلة ـ على تبنى مفهوم اللا انحياز للحفاظ على استقلالها فى اطار المناخ الدولى المتصادم من جهة وإنهاء سيطرة الاستعمار على سائر الدول النامية من جهة أخرى فضلا عن أن مرحلة ما بعد الاستقلال لم تطرح بحدة على الدول النامية مشاكل وتحديات التنمية أو تدهور الأوضاع الاقتصادية بالقدر الموجود حاليا ، مما كان يقلل من امكانيات الاستقطاب يمينا أو يسارا . وهكذا حققت الحركة معظم أهدافها الاولى فى الاستقلال لاستيعابها الطبيعة القطبية للنظام الدولى وأهداف الدول النامية حينئذ ـ

وفى مرحلة ثانية ظهرت مرحلة الوفاق ما بين القطبين ، وبدأت مرحلة ما بعد الاستقلال تفرض اختيار نماذج للتنمية وكانت الحركة فى هذه المرحلة تدفع فى اتجاه تبنى نماذج تنموية غير تابعة ، وتؤكد على السمات المشتركة التى تواجهها الدول النامية مما حدا بالحركة فى اتجاه ايجابى دعمته الظروف الدولية حينئذ .

وإذا كانت نماذج التنمية المستقلة قد عجزت فى معظم الحالات عن تحقيق اهدافها فى الوقت الذى هيأت فيه مرحلة الوفاق لكلا القطبين فرصة تطوير أنماط جديدة للتبعية بعيدة عن التدخل العسكرى واتباع مداخل اقتصادية وعقائدية ، فان المحصلة النهائية لهذه المرحلة قد عكست انتشار تحول نماذج التنمية ـ فى الدول النامية ـ من الاستقلال إلى التبعية وما ارتبط بذلك من تحديد ـ ان لم يكن تقييدا ـ لقدرة هذه الدول على الحركة وتطوير نماذج وسياسات مستقلة . واغلب الظن ان هذه المرحلة فى شهدت تبلورها بداية تسريب القطبين لمفهوم النظم الراديكالية فى مواجهة النظم المعتدلة إلى داخل الحركة مما استتبعه تزايد الخلافات على مستوى الدول النامية .

ولم ينفصل التطور الذى شهدته الدول غير المنحازة عن مجمل التطورات على الصعيد الدولى والتى بدأت تشير بعد انتخاب الادارة الامريكية الجديدة التى تصاعد التصادم بين القطبين من جديد نتواجه الحركة بذلك واقعا جديدا يتمثل فى تدعيم التبعية بين الدول غير المنحازة من ناحية وارتفاع حدة الاستقطاب الدولى من ناحية اخرى .

وفى الواقع ان المرحلة الجديدة تمثل التحدى الحقيقى والرئيسى لحركة عدم الانحياز إذ ان ارتفاع حدة الصراع الدولى فى ظل التواجد الفاعل للدول العظمى سياسيا واقتصاديا واجتماعيا داخل الدول غير المنحازة يجعل الحركة ـ ان لم تطور مفاهيمها ـ تجمعا صوريا وغير ذى مضمون لمجموعة من الدول المنحازة ذات المصالح المتناقضة ، ولا تتعدد الاختيارات المتاحة أمام الحركة إزاء هذا الواقع إذا ما نشدت الاستمرار والفاعلية ، فمن الواضح ان تدهور الوضع الاقتصادى للدول غير المنحازة وإخفاق التوصل لنتائج حقيقية من حوار الشمال والجنوب كان له أبعد الاثر على استسلام الدول النامية للاستقطاب ، ومن هنا لابد ان تبدأ الحركة فى دفع هذه القضايا الى الساحة الدولية لتكتسب من جديد قدرا من صدق الانتماء والتماسك من جانب الدول غير المنحازة ، هذا الى جانب ان تحقيق مثل هذه المكاسب قد يدفع التنمية فى كثير من الدول الاعضاء فى الحركة الى تنمية مستقلة نسبيا ، والتى لا يمكن للحركة ان تستمر أو حتى تقوم بدونها لما سينتج عن هذه التنمية من كسر حصار الاستقطاب المضروب على الحركة □



صحفيو عدم الانحياز والنظام العالمي الجديد للاعلام

صلاح الدين حافظ

برزت في هذا العقد ظاهرتان واضحتان لمسيرة حركة عدم الانحياز :

– الظاهرة الاولى هي تضخم أعضاء الحركة ، نتيجة لانضمام عدد كبير من دول العالم الثالث ، حاملة معها افكارها وآراءها السياسية ، وايضا ارتباطاتها وتحالفاتها الدولية ، بصرف النظر عن التطبيق الحرفي والامين لمقاييس عدم الانحياز عند الانضمام .

– الظاهرة الثانية هي نجاح القوى العظمى ، في اختراق حركة عدم الانحياز ، اختراقا مؤثرا ، حول الحركة الى تابع ، نقيض لفلسفة عدم الانحياز فيمعظم الاحيان .

وقد حدثت هاتان الظاهرتان الواضحتان نتيجة عدة عوامل اهمها :

ان ثوب عدم الانحياز اصبح واسعا فضفاضا ، يجمع داخله خليطا غير محدد الهوية ، وربما نقول غير منسجم أو متفاهم بحيث يصعب فرز الانتماءات .

ان المفاهيم الاصلية لعدم الانحياز ، كما وضعها المؤسسون التاريخيون : نهرو وناصر وتيتو وسوكارنو ، قد هجنت بمفاهيم جديدة ، هي الاخرى واسعة فضفاضة ، وبالتالي لم تطبق المقاييس الحقيقية لعدم الانحياز ، على الاعضاء المنضوين تحت علم الحركة ، والذين تعدوا التسعين عضوا . ان نشاط حركة الاستقطاب الدولي ، خاصة بين الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتي ، قد وضع حركة عدم الانحياز في مفترق الطرق ... وبحكم تفوق القوى العظمى وقدرتها السياسية والاقتصادية والايد يولوجية والعسكرية ، فانها تمكنت من ممارسة قواعد الاستقطاب ، على دول صغيرة ، عبر التحالفات السرية أو العلنية ، وعبر المساعدات الاقتصادية والعسكرية ، وعبر الدعم السياسي في القضايا المحلية والاقليمية والدولية ... فرأينا دولا أعضاء في حركة عدم الانحياز تتحالف سياسيا وعسكريا مع هذه القوة العظمى أو تلك ، وتحتفظ في نفس الوقت بعضويتها غير المنحازة !

وهكذا أصبح الوضع الان رغم تشاؤمية النظرة – حيث انقسمت الغالبية الكبرى من دول عدم الانحياز ، الى نوعين محددين : دول يفترض انها غير منحازة ، انحازت واقعيا الى الولايات المتحدة الامريكية ودول اخرى يفترض ايضا انها غير منحازة انحازت للاتحاد السوفيتي ...

* شهدت القاهرة في فبراير الماضي المؤتمر الثاني لصحفيي دول عدم الانحياز بدعوة من نقابة الصحفيين المصرية وكانت بغداد قد شهدت انعقاد المؤتمر الأول عام ١٩٧٩ .

وبالتالى عرفت حركة عدم الانحياز لاول مرة الاتهام بالانحياز والاتهام المضاد ، وتحولت ساحتها الى شىء اشبه بقاعة الجمعية العامة للامم المتحدة ، حيث يصوت جزء من الاعضاء مع الولايات المتحدة ، ويصوت الجزء الاخر تلقائيا مع الاتحاد السوفيتى .. لقد اخترق العملاقان الحركة بنجاح يبدو الان فى أوج صورة ... ودلائل ذلك كثيرة لا حصر لها ، من خلال المواقف والازمات الدولية ... بل من خلال مؤتمرات حركة عدم الانحياز نفسها ! !

ان مراجعة متانية لوثائق مؤتمرات ولقاءات حركة عدم الانحياز خلال عقد السبعينات ، تعطينا صورة محددة ، عن هذا الوضع ، الذى تشتت فيه الافكار والمفاهيم وبالتالى السلوك والمواقف .

ورغم أن نجاح الاستقطاب الدولى ، فى اختراق عدم الانحياز ، قد تحقق أولا نتيجة صراع القوتين العظميين فى مواجهة بعضهما البعض ، وثانيا نتيجة خضوع دول الحركة لاغراءات الدول العظمى المتنوعة الاشكال والاساليب ، فانه تحقق ثالثا نتيجة المساهمة الفعالة التى قام بها الصحفيون والاعلاميون من دول عدم الانحياز ، للترويج بوعى أو بدون وعى ، لهذا الاستقطاب وللتمهيد للاختيارات العقائدية والسياسية لدولهم — التى يفترض انها غير منحازة — بل ولتمرير الاختراق بحسم شديد ، خاصة عبر الغزو الثقافى والاعلامى شديد الاثر ، خطير المغزى !

وبقدر ما أوقعت دول عدم الانحياز نفسها فى هذا الفخ الذى نصبته القوى العظمى ، صاحبة فلسفات الاستقطاب والاحتواء بقدر ما أوقع صحفيو عدم الانحياز انفسهم فى هذا المأزق الخطر ، الذى يجب ان نتنبه له جميعا الان ، وقبل فوات الاوان ، والا افرغت الحركة من محتواها الفكرى والسياسى ، بعد أن تكون المحاور قد غزتها بل وخربتها من الداخل نهائيا .

ولكى نصبح محددين اكثر يجب أن نعيد تقييم المواقف للدول الاعضاء فى الحركة والمواقف السياسية والفكرية لصحافة وصحفيى عدم الانحياز .

فما هى هذه الواجبات والمهام الملقاة على عاتق صحفيى واعلامى دول عدم الانحياز اليوم خاصة فى ظل الروح الايجابية التى اشاعتها اليونسكو ، عن طريق اقرار النظام العالمى الجديد للاعلام ، الذى يحاول تعديل التوازن المفقود ، بين الدول النامية ودول المتقدمة ! !

النظام الاعلامى العالمى
وصحافة عدم الانحياز

نستطيع فى هذه العجالة الاشارة الى انواع واشكال الضغوط التى تتعرض لها حرية الصحافة والاعلام ، بدءا من الضغوط المالية والتعقيدات التقنية وانتهاء بتسلل الاجهزة السرية والخفية الى المجال الاعلامى لاحتلاله من الداخل ، مرورا بالعقبات الاجتماعية والسياسية ، والقيود الادارية والرقابية ... وكلها تكشف مدى ظلم وظلام الجو الذى يعمل فيه الصحفيون والاعلاميون فى العالم دون استثناء وفى دول عدم الانحياز بالتحديد ... ، لكنها فى نفس الوقت تولد لديهم تحديا جديدا كل يوم ، لمواجهة هذه القيود والحدود التى لا نهاية لها ، والتى تفرضها الانظمة الحاكمة فى الدول المختلفة لتضمن سيطرتها المطلقة على هذه الالة الجهنمية التى اسمها الاعلام ...

وإذا كانت هناك جهود دولية تبذل — من خلال منظمات دولية كثيرة — وفى نطاق الامم المتحدة — كما فى اطار نشاط المنظمات الصحفية والاعلامية الدولية ، بهدف الاتفاق على ضمانات محددة للعمل الصحفى ، توفر للمهنة استقلالها وحريتها ، وتؤمن للبشر العاملين فيها امنهم واستقرارهم ، فان العالم يتحدث اليوم كذلك عن قضية حرية تدفق الاعلام بين ارجائه المختلفة دون قيود هنا او سدود هناك

وهى قضية تهم دول عدم الانحياز بالتحديد اكثر من غيرها ..

وهى كذلك قضية بالغة التعقيد بسبب اختلاف الايديولوجيات والسياسات للنظم الحاكمة شرقا وغربا ... شمالا وجنوبا ، لكنها بنفس الدرجة بالغة الاهمية بسبب الخلل الواضح فى مسيرة الاعلام المتلازم مع الخلل فى مجال الاقتصاد ، فالعلاقات الدولية تعانى فى عصرنا الراهن من عدم توازن واضح تنعكس اثاره اكثر ما تنعكس فى مجالى الاقتصاد والاعلام .

وفى هذا الصدد فاننا نستطيع ان نضع ايدينا على عدة نماذج ، ابتداء من خلل تحرك الاعلام فيما بين المنولوج والديالوج ، وانتهاء بحركته من الاحتكار الى التوازن ، مرورا بتذبذبه بين الانحياز وعدم الانحياز ...

من المنولوج الى الديالوج :

من الواضح أن حرية الاعلام ما زالت — حتى فى الديموقراطيات الغربية — قاصرة حتى اليوم ، بسبب التدفق ذى الاتجاه الواحد للاعلام ...

فالذى يحدث اليوم هو ان وسائل الاعلام ما زالت — فى الاغلب تمارس عملها عن طريق المنولوج — أى الحديث المنفرد فى اتجاه واحد ... من القمة الى القاعدة ..

بينما يجب أن نعيد اليوم تركيب عملية التدفق الاعلامى لنحقق الاعلام الديموقراطى الحقيقى — أى أن نحول الحديث المنفرد الى حوار مشترك ... نحول المونولوج الى ديالوج ، لنحصل على تبادل افقى مستمر ، وليس على مجرد تدفق راسى زاحف .. أن نحصل على حق الاتصال بمفهومه الايجابى الذى يحقق العمل فى اتجاهين ... اخذ وعطاء ... اعلام

واعلام متبادل ، الامر الذى يتيح للفرد والمجتمع على السواء قدرا اكبر من ممارسة حرياته العامة دون ضغط مباشر او تدفق اعلامي رأسي .

ولقد ادت ثورة الالكترونيات وتطور العامل التقنى فى مجال وسائل الاعلام والاتصال ، الى تمركز قدرة خفية هائلة – هي القادرة والقابضة على هذه الوسائل – فى ايد قليلة وسرية الهوية ... سواء كانت فى شكل حكومات ونظم حاكمة ، او فى شكل شركات عملاقة وهيئات محتكرة ... الامر الذى ضاعف من غموض اهداف الاعلام وعرقلة حريته الحقيقية واختفاء الديالوج فى ظل سيطرة المونولوج ، كما اثار قضية ملكية وسائل الاعلام والسيطرة عليها

وفى هذا الاطار فقد حصل القابضون والمتحكمون فى قيادة الاعلام على مزيد من السلطة المركزة فى أيديهم ، واستغلوها فى توجيه الاعلام وتجديد مواده المطلوب نشرها واخفاء أو تحريف الحقائق التى لا يراد اذاعتها ، مما يعكس تمركز سلطة اتخاذ القرار فى ايدى قلة لا تعرف عنها جماهير المتلقين للاعلام – القراء والمستمعين والمشاهدين – شيئا يذكر ! ! ولقد وضحت خطورة ذلك على تشكيل الرأى العام ، خلال العشرين سنة الاخيرة التى شهدت انفجار ثورتين ، هما :

ثورة المعلومات ، وثورة الالكترونيات ...

وقد خدمت كل منهما الاخرى ، وقدمت لها المساعدة للنمو والتأثير الطاغى المتزايد ، فبفضل ثورة الالكترونيات استطاعت وسائل الاعلام ان تصب كما هائلا من المعلومات وتوصلها الى الجماهير بأسرع وأحدث السبل ... وبفضل ثورة المعلومات استطاعت الاجهزة الالكترونية الحديثة – خاصة فى مجال الاتصال – أن تنتشر وتغزو كل بيت وترافق كل فرد فى أى مكان يذهب اليه ..

ولن يتحقق التدفق الافقى للاعلام ، ولن ترسخ حرية الصحافة الا بجعل الاعلام اكثر ديموقراطية عن طريق تسهيل تدفقه وانسيابه ليصل الى جميع فئات الشعب وتيسير صدوره عنها فى نفس الوقت واعطاء الاتصال مفهومه الحقيقى بجعله حوارا اساسه التبادل والعلاقات الافقية ، لا أن يظل اتصالا راسيا فى اتجاه واحد .

اكتشفت البلاد الفقيرة – ممثلة فى كتلة عدم الانحياز – تزايد عمق الفجوة العميقة المتزايدة الاتساع ،بين اعلامها بكل امكانياته ووسائله وبين اعلام الدول الفنية والصناعية المتقدمة . وبحكم أن الدول الصناعية الغربية كانت هى الدول التى استعمرت الدول النامية – العالم الثالث – فان هذه ورثت من عهد الاستعمار اوضاعا سياسية واقتصادية واجتماعية واعلامية وثقافية متناقضة ،الامر الذى ترك نوعا من العلاقات المعقدة بين التبعية والاستقلال .

ولقد برزت ملامح هذه العلاقة المعقدة واضحة فى عدة مجالات اهمها المجال الاقتصادى والمجال الاعلامى .. وفى وضع كلاهما اقتصر دور العالم الثالث حديث الاستقلال على الخضوع للاحتكارات الاقتصادية والاعلامية الاستعمارية القديمة .. واصبحت هذه الدول تكتفى بتلقى السلع مثلما تكتفى بتلقى المعلومات والاعلام ..

ولذلك برزت ضرورة بناء نظامين جديدين للاقتصاد العالمى والاعلام العالمى .. وبينهما ترابط وثيق ..

فتحرير صحافة الدول النامية ، جزء لايتجزأ من الكفاح الشامل لتحقيق الاستقلال السياسى والاقتصادى والاجتماعى ، ويتساوى الاستقلال ازاء مصادر المعلومات فى اهميته ، مع الاستقلال التكنولوجى ، لان التبعية فى مجال الاعلام تؤدى بدورها الى عرقلة النمو السياسى والاقتصادى ، والاجتماعى والثقافى على السواء .

والامر المؤكد ان هناك حاجة ماسة فى العالم اليوم الى احداث تغييرات ضرورية فى مجال التطور المتوازن للاعلام ، نظرا لان الجزء الاعظم من دول العالم المتمثل فى الدول الفقيرة مازال فقيرا فى الحصول على اعلام حر ، ومازال يعانى من اختلال التوازن فى التداول الاعلامى ، حيث تتدفق الكمية الكبرى – مع النوعية المتقدمة – من الاعلام من عدد محدود من المجتمعات المتطورة نحو المجتمعات المتخلفة ، وثمة دليل بسيط على ذلك هو التليفزيون مثلا ...

واذا ماوضعنا فى الاعتبار خطورة الدور الاعلامى الذى يلعبه التليفزيون فى الدول المتخلفة حيث تسود الامية ، لاكتشفنا الى أى حد تسيطر الدول المتطورة والمتقدمة على عقلية وتفكير الدول النامية ، وتشكل – بواسطة برامجها هذه – سلوك الافراد وتنشر مفاهيمها وقيمها الاجتماعية والثقافية فى بلاد العالم الثالث ، الغريبة عنها بل المتناقضة معها فى معظم الاحوال . ناهيك عن اضطرار بلدان العالم الثالث الى استيراد المعدات الفنية والتقنية اللازمة لتشغيل التليفزيون من الخارج بما يعنيه ذلك من اكمال سيطرة الدول المتقدمة .

واذا ء إنتقلنا من التليفزيون الى وكالات الانباء كوسيلة اعلامية ضرورية فى تحقيق انتشار الاعلام الحر المتوازن نجد ان ثلاثين دولة عضوا فى الامم المتحدة مازالت تفتقر حتى اليوم الى وكالات انباء وطنية .

ويفتقر ثلثا وكالات الانباء الحالية فى العالم الى الاجهزة التقنية الحديثة لبث المعلومات من بلدها الى البلدان الاخرى .

بينما تسيطر خمس وكالات انباء كبرى – هى يونيتدبرس واسوشيتد برس الامريكيتان ورويتر

البريطانية وتأس السوفيتية والوكالة الفرنسية — على شبكة التداول الاعلامى العالمى فى معظمه .

وكل ذلك يعكس سيطرة احتكارات محدودة العدد قوية النفوذ على سوق الاعلام العالمى ، بما يعنيه ذلك من عدوان فكرى على الاغلبية المطلقة من دول العالم . ومن سيطرة مطلقة على حرية الفرد فى تلقى الاعلام الذى يريد ويحتاج!

□ من الاحتكار الى التوازن :

كان الاعلام ومازال منقسما ومطاردا بين عدة ضغوط وضغوط مضادة ... وفى كل الحالات كان ومازال محاصرا مقهورا ..

ولا يمكننا الحديث عن حرية الصحافة وديموقراطية الاعلام ولا عن الأمل المستهدف تحقيقة لعدالة اكثر وتوازن أوضح ، دون الحديث عن الاختلال الواضح فى كل المجالات — خاصة الاقتصادية والتقنية — بين شطرى العالم .. اى المتقدمين والمتخلفين

لقد ساعد التراكم الرأسمالى والتقدم الصناعى والثورة التكنولوجية مجموعة البلاد المتقدمة على احكام قبضتها على حركة العالم ،من خلال التحكم فى شرايين نشاطه خاصة الاقتصاد والاعلام . ولذلك استمر ميزان العلاقات مختلا ...

ففى الوقت الذى يتركز فى مجموعة الدول المتقدمة ٢٥٪ من سكان العالم ويتركز ٧٥٪ فى الدول النامية ، تحتكر الدول المتقدمة ٧٠٪ من الدخل العالمى مقابل ٣٠٪ للدول النامية ، وفى الوقت الذى يبلغ فيه متوسط دخل الفرد الذى يعيش فى البلاد المتقدمة صناعيا حوالى ٢٤٠٠ دولار فى العام ، يبلغ هذا الدخل ١٨٠ دولارا سنويا فقط للفرد فى العالم النامى!! بل يصل الى اقل من ذلك — ١٠٠دولار فحسب — فى ٢٤ دولة تلك التى يمكن تسميتها بالعالم الرابع اى الدول الاشد فقرا!!

وهنا يجب أن نرصد ظاهرة ازدياد الاغنياء ثراء ، والفقراء فقرا ... حيث من المتوقع أن يصل دخل الفرد فى الدول النامية — نتيجة جهود التنمية — الى ٢٨٠ دولارا ... لكن هذا الدخل سوف يقفز الى ٣٤٠٠ دولار للفرد فى الدول الصناعة!! بالاضافة الى ان نصيب الدول النامية من تجارة العالم لايتجاوز ١٧٪بينما وصلت ديونها فى نهاية عقد السبعينات الى ٢٣٣٠٠٠ مليون دولار هى الان تتضاعف تقريبا .

واذا ماترجمنا هذه الارقام الى معان ،فانها تقول ببساطة أن اقلية من المواطنين تتحكم فى الاكثرية ، وان هذه الاقلية تمارس هيمنة سياسية كونية تعتبر امتدادا لعصور سيطرة الاستعمار القديم بكل اشكاله ...

ولذلك فلن تسود العدالة — عالم اليوم دون التوصل الى طريقة لازالة هذا الخلل الواضح فى العلاقات الدولية ، ودون محاولة تضييق الهوة العميقة التى تزداد اتساعا يوما بعد يوم لتفصل اثرياء الشمال عن فقراء الجنوب .

أما اذا انتقلنا الى الاعلام ، بعد الاقتصادالدولى ، لوجدنا الصورة مشابهةوالميزان مائل دائما لصالح اغنياء الشمال ايضا ، مع مايمثلة ذلك من مخاطر ليس على حرية تدفق الاعلام دوليا وعلى ممارسة هذه الحرية وطنيافحسب ، بل على السلام العالمى كله . ذلك ان الاعلام يلعب دورا هاما وحاسما فى العلاقات الدولية ، بعد ثورة الالكترونيات التى قدمت له وسائل تقنية حديثة بالغة السرعة والدقة

لكننا يجب — ايضا أن نرصد ظاهرة هامة هنا وهى ان نظام الاعلام العالمى السسارى الان يتسم بعدم التوازن ، حيث تسيطر الدول المتقدمة على دورة المعلومات عبر اجهزة الاعلام فى العالم كله ، وبالتالى تتحكم فى مصادرة واجهزته وتوجهه الوجهة التى تريد ، وتستخدمه فى صالح احتكاراتها بل وضد (ديموقراطية الاعلام) نفسها

وبنفس المنهج الاحصائى نستطيع القول ان خمس وكالات انباء عملاقة — هىاسوشيتدبرس ويونيتدبرس الامريكيتان ورويتر البريطانية وتاس السوفيتية والوكالة الفرنسية — تسيطر وحدها على ٨٠٪ من حركة تدفق الانباء ذهابا وايابا فى العالم لصالح الدول المتقدمة طبعا . كما ان اذاعات هذه الدول تسيطر على ٩٠٪ من شبكات الذبذبات والترددات الاذاعية والتليفزيونية .

ومعنى ذلك ان ٨٠٪ من التدفق الاخبارى العالمى محتكر للوكالات الخمس الاساسية ، بينما لاتترك الا ٢٠٪ فقط لباقى وكالات انباء العالم!!

هكذا تبدو السيطرة والهيمنة بأوسع واعمق معانيها فى المجال الاعلامى — مثلما وضحت فى المجال الاقتصادى — وكلاهما شديد الارتباط ، فمثلما تتحكم الدول المتقدمة فى الاقتصاد والتكنولوجيا وأسواق المال فى العالم ، ولاتترك للدول النامية الا هامشا صغيرا من ممارسة العلاقات الدولية ، فهى ايضا تمارس نفس السياسة الاحتكارية فى مجال الاعلام وتضغط بها فى نفس الوقت على حرية الاعلام دوليا ووطنيا .

بالاضافة الى ان هذه السياسة تعكس عدة حقائق اهمها :

١— التجاهل الكامل من جانب حكومات واعلام الدول المتقدمة لحقيقة الاوضاع السياسة والاقتصادية والاجتماعية والثقافية فى الدول النامية تلك التى تغلى بأحداث تطور وثورات تغير عميقة الجذور هائلة التاثير .

٢— هذه الحقيقة ترتبط بأصرار العالم المتقدم على ابقاء عصر السيادة الاستعمارى .

٣ـ نتيجة للتخلف الاقتصادي والثقافي والاجتماعي في البلدان النامية ،ونتيجة لسريان روح واساليب الهيمنة الاستعمارية من جانب وسائل الاعلام التابعة للدول المتقدمة ـ خاصة دول الاستعمار القديم ـ على وسائل اعلام الدول النامية غير المنحازة ،انفتح المجال واسعا امام نظم الحكم في معظم دول العالم الثالث لممارسة الضغط على حرية الاعلام في بلادها ، باسم حماية الاستقلال أو الدفاع عن الثورة ، بل باسم الديموقراطية غالبا!! وهذا تناقض مثير للقلق!!

ولقد ساعد التناقض العميق في العلاقات الدولية على ترسيخ الممارسات الخاطئة في الدول النامية ، ولا يمكن لنا اخفاء الشك الذى يقترب الى حد اليقين ، من أن روح السيطرة الاستعمارية الضارية اليوم هى التى ابقت الدول النامية على تخلفها في جميع المجالات ، وهى التى حفرت هوة السقوط التى تعانى منها حرية الاعلام ـ بل والتجربة الديموقراطية بكاملها ـ في ثلاثة ارباع العالم الذى هو عالم عدم الانحياز ...

وبنفس اليقين يمكننا القول ان ممارسه حرية الاعلام في دولة من الدول خاصة النامية ، يجب ان تمر عبر ممارسة توازن الاعلام وحريته على مستوى العالم كله .

ممارستان . كلاهما مترابط وكلاهما لا ينفصل عن الاخر ...

فالحرية كل لا يتجزأ ... والحرية وحدة واحدة مهما حدثت بها انشقاقات أو برزت فيها عيوب وثقوب !!!

ولعل ذلك كله يفرض على صحافة وصحفيى عدم الانحياز ، واجبات محددة ومهام مؤكدة!

مهام مقترحة :

انطلاقا من ذلك الاستعراض المختصر للمفاهيم والاتجاهات التى فرضت على المجتمع الدولى ـ عبر اليونسكو ـ تبنى واقرار النظام العالمى الجديد للاعلام ... يجب علينا أن نسأل انفسنا سؤالا محددا ...

اين موقع صحفيى عدم الانحياز ... وما هى حدود مسئولياتهم وواجباتهم ، دعما لفلسفة عدم الانحياز أولا ، ومساندة لفكرة نظام دولى جديد للاعلام ثانيا

بناء على اجتهاد شخصى ، يمكن أن نحدد هذه المهام على الوجه الآتى ، (دون مصادرة بالطبع على حق احد آخر) في اضافة او تعديل مايراه ضروريا في هذا الشأن .

أولا : العمل على اعادة حركة عدم الانحياز الى مناهلها ومنابع افكارها والتزامها الاصلى ، مع مراعاة المتغيرات الدولية ، والمستجدات التى طرات على الحركة نفسها ، كل ذلك بهدف اعادة التوازن الفكرى والسياسى والعملى لهذه المجموعة غير المنحازة ، التى تعرضت كما سبق ان اوضحنا للاستقطاب الدولى ، وبالتالى للسقوط في فخ اختراق القوتين العظميين لها .

ولقد وضحت معالم هذا الاستقطاب ـ نعنى خلال العقد الاخير بشكل لا يدعو الانحياز ـ للاندهاش فقط ، ولكنه يدعو ايضا الى التنبه والعمل استعادة الحركة لتوازنها الدقيق ، اذا ما كان لا يزال لدينا تصميم صادق على ان تستمر فكرة عدم الانحياز وتزدهر .

ومن نظرة سريعة على مسار الحركة خلال السنوات الخمس الاخيرة ، يمكن للمرء ان يكتشف بسهولة ، مدى سريان الاستقطاب الدولى وسطوته ...

★ ★ ★ ★

ثانيا : مقاومة الاستقطاب والغزو الفكرى والاعلامى ، عن طريق بناء هياكل الاعلام في كل دولة من دول عدم الانحياز ، على حدة وتنسيق تعاون هذه الوسائل داخل الحركة من ناحية أخرى .

ولقد كشفت لجنة ماكبرايد التى شكلها اليونسكو لدراسة مشاكل الاعلام في العالم ، من خلال تقريرها النهائى (اصوات متعددة وعالم واحد) عمق الفجوة التى تفصل بين وسائل الاعلام في العالم النامى ـ ومعظمه من الدول غير المنحازة ـ وبين تلك التى يمتلكها ويسيطر عليها العالم الصناعى المتقدم غربا وشرقا على السواء . حيث يسيطر هذا الاخير على ما متوسطه ٨٠ ٪ من وسائل الاعلام والاتصال ذات النشاط الدولى ...

ويكفينا ـ حافزا ـ أن ندرك من واقع أرقام اليونسكو ، التى أولت اهتماما بالغا لهذا الموضوع الهام والشائك منذ مؤتمر نيروبى عام ١٩٧٦ ، انه في مجال معدلات الصحافة على سبيل المثال ، هناك ١٤ نسخة لكل الف من السكان في افريقيا ، مقابل ٦٤ نسخة لكل الف من السكان في آسيا ، و ٧٠ نسخة لكل الف من السكان في امريكا اللاتينية ـ التى تبدو اكثر حظا ـ مقابل ٣١٢ نسخة لكل الف من سكان العالم المتقدم .

ولنا أن نعرف أن القارة الافريقية الضخمة كلها التى تزيد دولها على الخمسين دولة مستقلة ، لا تملك سوى ١٨٠ صحيفة يومية ،وهناك ثمانى دول في القارة لا تملك صحفا يومية على الاطلاق ، في حين هناك ١٣ دولة لاتملك الا صحيفة يومية واحدة . في نفس الوقت ، لو أخذنا القارة الافريقية كنموذج ايضا في مجالات وكالات الانباء ، فان هناك ١٨ دولة افريقية ، لا تملك وكالة انباء وطنية ... ومعنى ذلك انها تعتمد بنسبة

١٠٠ ٪ على وكالات انباء غير الوطنية ، سـواء كانت اقليمية ، او دولية .

في حين ان ما ينشر - مثلا - في الصحافة العالمية من انبـاء وتحقيقـات تخص القـارة الافـريقية في مجموعها ، لا يتعـدى ٥ ٪ مـن مجمـوع مـوادها المنشورة .

ونفس الوضع الخطير في نشر الكتب ، اذ ان افريقيا كلها تصدر كتبا بنسبة لاتتعدى ٢ ٪ من مجموع الكتب المنشورة في العالم .

امـا اذا انتقلنا الى جهـازى الراديو والتليفـزيون الحيويين كأفضل وسـيلة للاتصـال ، فـالوضع ليس احسن حالا ... حيث يوجد جهاز راديو واحـد لكل ١٨ افريقى مقابل جهـاز على الأقـل لكل فـرد في العـالم المتقدم ، وهناك ١٤ - ١٦ دولة افريقية فقط هى التى اقامت محطات تليفزيون وطنية ، وفي كل القـارة هناك اقل من خمسة مـلايين جهـاز تلفـزيون ، مـركزة في معظمها بدول شمال افـريقيا ، وكل القـارة تسـتورد ٥٠ - ٧٠ ٪ من برامجها من خارج حدودها وبـالطبع من العالم المتقدم .

اما السينما فهـى في وضـع اسـوأ حيث أن هناك ٢٥٠٠ دار للعرض السينمائى في كل القارة

ورغم قتامة الصـورة ، عند المقـاونة مـع العـالم المتقدم ، فان الأمر يتطلب من دول عدم الانحياز حـركة افضل واسرع واكثر ايجابية نحو الأحسن .

ثالثا : ترشيد وتوجيه الرأى العـام نحـو الاختيارات السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، والمتشـية مـع حركة عدم الانحياز .

فالذى لا شك فيه ان ، جزءا رئيسيا من أزمـة عدم الانحياز الآن ، يعود في الاسـاس ، لتخـطى عدد كبير من اعضائها للمبادىء الأصلية والالتزامات الجـوهرية لفلسفة عدم الانحياز .

ورغم عدم قبول منطق التدخل في الشـئون الداخلية للدول المسـتقلة ، الا اننا نسـتطيع القـول ، ان الاختيارات السـياسية والاقتصـادية والاجتمـاعية والتحالفات العسكرية ، السرية او العلنية ، هى التـى شجعت ، بل وحرفت كثيرا من اعضـاء مجمـوعة عدم الانحياز ، عن المسـار المتـوازن ، ودفعـت بهـا الى الارتباط بهذه القوة العظمى أو تلك ، وبالتالى ساعدت قدرة القوى العظمى على التغلغل في اعماق حـركة عدم الانحياز .

ولا شـك ايضـا ان وسـائل الاعلام والاتصـال الجمـاهيرى ، التـى تلعـب دورا خـطيرا في دول عدم الانحياز ، حيث تسود نسب عالية مـن الامية ، وحيث يتدنى المستوى الاقتصادى والاجتماعى والثقـافى هـى التى مهدت الرأى العام ، أو قادته نحو هذه الاختيارات السابق ذكرها .

وسواء كانت وسائل الاعلام والاتصال تلك ، مملوكة للدولة خاضعة لسلطتها بطريق مباشر - كما هو الحال في معظم دول العالم النامى - او كانت مؤسسة خاصة ذات ملكية فردية تتمتع بقدرة من الحرية ، فان المحصلة النهائية التى تبدو واضحة من اوضاعنا الحـالية ، ان جميعها ساهم بقدر او بآخر في تحويل مسار حركة عدم الانحياز .

ومن ثم اصبح الواجب الان اعادة النظر في كل ذلك ، بما يعيد التوازن من جـديد للحـركة سـواء مـن حيث الاستراتيجية العامة او من حيث التكتيكات المرحلية

رابعا : الدفـاع عن الحـريات الصـحيفة وحمـاية الصحفيين ... وذلك في ضوء مبدأين اساسيين ، أولهما ان تـأمين الصـحفيين بضـمانات قـانونية ، ومهنية وسياسية واجتماعية قوية ، هـو العـاصم الاساسى الرئيسى لهم من بطش السلطات ومن اغراءات الجـذب والاستقطاب ، عند قيامهم بـواجب تـرشيد وتـوجيه الرأى العام .

وثانيهما هو أن حرية الصحافة - بل نتوسع فنقول حرية الاتصال - واحدة من الحريات العامة الاساسية والضرورية لكل مجتمـع انسـانى ، خـاصة في العصر الذى نعيشه الان ، حيث انفجـار ثـورتى المعلومـات والتكنولوجيا .

ولو القينا نظـرة سريعـة على وضـع المـارسات القمعية ضـد الحـريات السـياسية والاجتمـاعية والصحفية والاعلامية ، في بلاد العـالم النامـى - عدم الانحياز - لاكتشفناكم هـى مـروعة صـورة هـذه الممارسات !

ونستعيد الان تلك الاراء الشـجاعة ، التـى اعلنها السيد احمـد مختـار امبـو ، المدير العـام لليونسكو ، في مـؤتمر صـحفى عقـده ، في ديسـمبر ١٩٨٢ ، عقب نجاح المؤتمر العام لليونسكو في دورتـه الاستثنائية لاقرار الخطة متوسطة الأجل ، التى تمثـل عملا ثقافيا وفكريا عميقـا تجـاه المشكلات العـالمية الكبرى ، التـى تـرهق جميع الدول بمختلف انظمتهـا ومذاهبها ...

قال امبو في قضية حرية الصحافة :

- ان حرية الصـحافة ، تتحقـق ، عندمـا يتخلص الصحفى من اى ضغط خـارجى ، سـواء مـن الدولة صاحبة وسائل الاعلام ، أو مـن رأس المال المسـيطر المالك للصحف ووسائل الاعلام .
- ان القيود على حرية الصحافة ، ليست قـاصرة

على دول العالم الثالث فحسب ، لكنها موجودة في دول أخرى ، يحتكر فيها راس المال ، كل وسائل الاعلام ...وهو يشير هنا الى الدول الصناعية الغربية .

□ ان حرية الصحفي هي الاساس والمنطلق الحقيق لحرية الصحافة .

□ ان الذين يهاجمون وسائل اعلام الدول النامية ، اليوم ، لم يكونوا يهاجمونها بالأمس ، عندما انشأها الاستعمار القديم في العالم الثالث

خامسا : التجمع التنظيمي والوحدة ...

من البديهي القول انه كلما توحلت جهود الصحفيين والاعلاميين في دول عدم الأنحياز كلما تمكنوا من دفع جهودهم تجاه تحقيق اهدافهم ، وتجاه اقرار ضمانات حمايتهم عند ممارستهم لأعمالهم الصحفية .

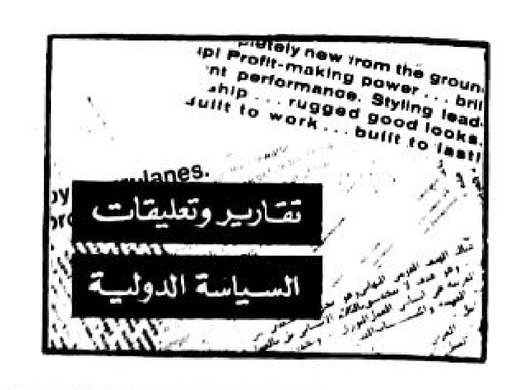
وثمة مقارنه بسيطة بين اوضاع انتهاك الحريات العامة والحريات الصحفية كما وردت في الفقرات السابقة ، وبين اوضاع الصحفيين النقابية والمهنية ، السارية الآن تعطينا ولاشك مؤشرا حقيقيا على ضرورة اعادة النظر في مجمل هذه الأوضاع وصولا الى تشكيل تنظيم اوسع يجمع ويوحد كل النشاطات ، ويصبها في مجرى واحد هدفه تدعيم النضال من اجل كل الحريات العامة ... ومن اجل حريات الصحافة والصحفيين في الأساس .

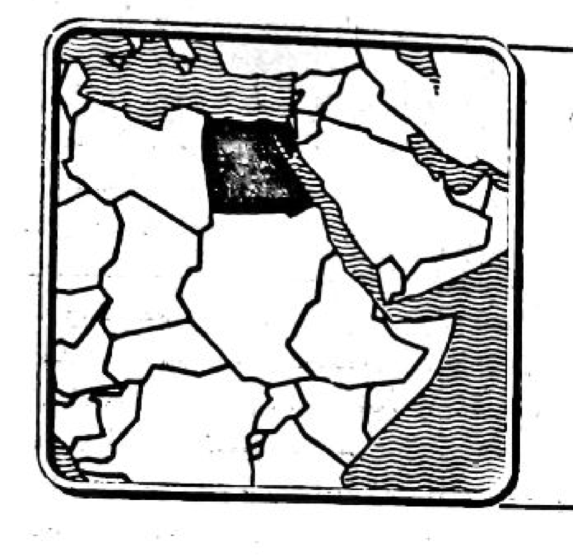
ولقد توزع صحفيو العالم الثالث بصورة غير منظمة ولا نعتقد انها مقصورة ومخططة ، على مجموعة كبيرة من المنظمات الصحفية الأقليمية والدولية ...

ونستطيع ان نذكر النماذج التالية كمنطق لدراسة الوضع المهني النقابي ، حيث هناك نقابات ومنظمات صحفية من دول عدم الأنحياز منظمة او منتسبة للاتحادات الأقليمية والدولية التالية :

(١) المنظمة الدولية للصحفيين ومقرها براج .
(٢) الاتحاد العالمي للصحفيين ومقره بروكسل .
(٣) الاتحاد الكاثوليكي للصحافة ومقره جنيف .
(٤) اتحاد الصحفيين العرب .
(٥) اتحاد الصحفيين الأفريقيين .
(٦) اتحاد صحفيي امريكا اللاتينية .
(٧) الاتحاد الأسيوي للصحافة (ويضم صحفيي اندونيسيا والفلبين وسنغافورة وماليزيا وتايلاند فقط)

وربما كان من المفيد ان تنتشر نشاطات صحفيي عدم الأنحياز بهذا الشكل الواسع عبر منظمات دولية او اقليمية راكزة لكن ذلك يطرح علينا في الوقت نفسه عدة تساؤلات وهي كيف نستفيد الى اقصى حد من هذه التعددية والى اى مدى تتفق او تتعارض ، عضوية منظمات الصحفيين بدول عدم الأنحياز ، في هذه المنظمات الأقليمية الدولية مع المبادىء الأساسية والفلسفة الأصلية لعدم الأنحياز وهل من الأفضل ان يدعم صحفيو عدم الأنحياز نشاطاتهم عبر هذا الأنتشار الواسع ، ام ان من الأفضل التمركز والتمحور عبر تنظيم موحد يجمع كل صحفي عدم الأنحياز !!





رحلة الرئيس مبارك الى واشنطن .. الاهداف والنتائج

هالة مصطفى

تأتى زيارة مبارك الأخيرة الى واشنطن فى اطار التوجهات المطروحة من اجل ايجاد تسوية سلمية لأزمة الشرق الأوسط . وهى تحمل دلالات ومؤشرات خاصة ، فهذا اللقاء قد يكون هو آخر فرصة لدفع واشنطن للقيامبدور ايجابى قبل انشغالها فى معركة الانتخابات للرئاسة القادمة ، كما انه يأتى فى ظل معطيات اقليمية ودولية خاصة . حيث تشهد المنطقة تصاعدا لاتجاهات تسوية النزاع العربى الاسرائيلى سلميا وطرحت اكثر من مبادرة للسلام بدأ ـ بمشروع السلام المصرى الفرنسى الى مبادرة ريجان وقمة فاس العربية . ومن ناحية ثالثة ، يأتى هذا اللقاء بعد مرور عام على اول زيارة قام بها الرئيس المصرى الى واشنطن منذ تولية السلطة . قامت اسرائيل خلاله بأنتهاكات متواصلة لكافه الالتزامات الدولية وبالتحديد لنصوص كامب ديفيد ومعاهدة السلام ، فضلا عن غزوها للبنان وارتكاب مذابح صابرا وشاتيلا .. هذا التحدى الاسرائيلى جعل مصداقية الموقف الامريكى تجاة التسوية محل تساؤل . وطرح العديد من الاستفسارات حول مدى قدرة الولايات المتحدة على تحقيق تقدم ملموس مشجع للأطراف العربية ومدى رغبتها فى استخدام نفوذها للتأثير ـ وليس للضغط ـ على اسرائيل حتى تكون هناك امكانية للحديث عن تسوية شاملة وعادلة للنزاع فى المنطقة .

ازمة الشرق الأوسط :

حاولت الزيارة اعطاء دفعة جديدة للجهود المبذولة من اجل القضية الفلسطينية من خلال التقدم بمراحل التسوية الشاملة وان اتخذت مبادرة « ريجان » منطلقا اساسيا لها . وتحددت ملامح الرؤية المصرية حول عدة نقاط :

١ ـ المطالبة لموقف امريكى اكثر حسما تجاة الأزمة اللبنانية التى تمثل اولوية مطلقة لان اخفاق الجانب الامريكى فى الزام اسرائيل بالانسحاب العاجل من لبنان بفقد الثقة فى مصداقية المواقف الأمريكية المعلنة تجاة الأزمة ويشكك فى قدرة الولايات المتحدة على تحقيق تقدم فعلى فى الضفة وغزة .

٢ ـ اعطاء دفعة ايجابية لتنفيذ مبادرة ريجان مع التأكيد على ـ عنصر الوقت ـ وتشجيع الفلسطينيين على الانضمام الى المباحثات من خلال وفد اردنى فلسطينى مشترك .

٣ ـ ربط استئناف مباحثات الحكم الذاتى الموسعة بالانسحاب الاسرائيلى من لبنان .

٤ ـ قضية المستوطنات والعراقيل التى تثيرها

اسرائيل فى مواجهة جهود السلام والمتمثلة فى المخططات الاسرائيلية فى الضفة الغربية وقطاع غزة .

– وفى مقابل تلك النظرة الشاملة للقضية ، تميل الرؤية الامريكية الى التعامل مع كل مشكلة على حدة اى انها لا ترى ضرورة الربط المباشر بين المشكلة اللبنانية وجهود التسوية الشاملة لأزمة الشرق الاوسط

– وبالنسبة لقضية الاستيطان الصهيونى – التى تعتبر من اهم القضايا المتعلقة بالنزاع العربى الاسرائيلى . فالموقف الامريكى كما حددته مبادرة ريجان » يتجاهل موضوع المستوطنات الاسرائيلية المقامة فى الاراضى العربية المحتلة ، ويكتفى بمجرد مناشدة اسرائيل عدم اقامة مستوطنات جديدة فى تلك الاراضى .

– اما قضية الشعب الفلسطينى فترى الولايات المتحدة ضرورة تحقيق الحكم الذاتى لسكان الضفة وغزة وفقا لاطار كامب دافيد وذلك خلال الفترة الانتقالية على ان يتم تحديد مستقبل المنطقتين فى اعقاب ذلك باتفاق الأطراف المعنية (الفلسطينيون ، مصر ، الأردن ، واسرائيل) وان كانت الولايات المتحدة تؤيد بشدة انضمام الضفة وغزة بشكل ما الى الأردن متجاهلة فى ذلك اية اشارة الى الجسد السياسى المعبر عن ارادة الشعب الفلسطينى والمتمثل فى منظمة التحرير الفلسطينية وهو ما يمثل عقبة اساسية امام استئناف مفاوضات السلام ، ويرجع هذا التجاهل الى التعهد الذى قطعته الولايات المتحدة على نفسها عام ١٩٧٥ بعدم الاعتراف بالمنظمة طالما انها لم تعترف صراحة باسرائيل .

– واذا كانت مسألة التمثيل هذه تعتبر ثانوية بالقياس الى المعايير الأخرى التى حددت اهداف زيارة مبارك الى واشنطن – واهمها الحصول على تأكيد امريكى بالعمل على تنفيذ مبادرة ريجان واقناعه بالضغط على اسرائيل بشأن المستوطنات – فان مغادرة الرئيس المصرى للعاصمة الأمريكية دون حسم لهاتين المسألتين قد ادخلا جهود التسوية فى حلقة مفرغة

– فعلى الرغم من ان مطلب الانسحاب الفورى لاسرائيل من لبنان حظى باهتمام خاص خلال المحادثات التى جرت فى واشنطن – واعتبرته مصر هو البداية الطبيعية لوضع مبادرة ريجان موضع التنفيذ – الا ان الادارة الامريكية امتنعت عن التعهد بانجاز الخطوات السريعة لتحقيق هذا الانسحاب . ولا يخفى ان اسرائيل تعتبر استمرار احتلالها للأراضى اللبنانية ورقة ضغط تجاه الاطراف العربية كما يعطيها قوة فى تعطيل المبادرة الامريكية اذا ما كانت لا تتناسب مع رؤيتها الاستراتيجية لقضية السلام فى المنطقة .

العلاقات الثنائية .

على الرغم من ان الهدف الاساسى للزيارة كان هدفا سياسيا الا ان القضايا الاقتصادية احتلت مساحة هامة من المباحثات ركزت مصر خلالها على نقطتين اساسيتين :

اولهما : تحقيق قدر من المرونة فى استخدام معونات الاقتصادية الامريكية لمصر .

ثانيهما : زيادة حجم الاستثمار الامريكى فى القطاعين العام والخاص فى ضوء حقيقة هامة وهى عدم تناسب حجم الاستثمارات الامريكية مع القدرة الاقتصادية للولايات المتحدة فالمعروف ان هناك صعوبات ما زالت تحول دون الاستخدام الامثل لبرنامج المعونة الامريكية وما زال معدل استخدامها غير كبير فضلا عن ان نسبة الاستخدام فى برنامج الواردات السلعية . الذى يعتمد على استيراد سلع امريكية تسد احتياجات السوق المصرية تفوق مثيلتها فى البرنامج المخصص للمشروعات الانتاجية والتى تبلغ ٣٧٪ من جملة الأموال المخصصة لهذا البرنامج مقابل ٧٦٪ فى البرنامج الأول .

ومن الجانب الآخر فان قيمة الاستثمارات الامريكية المباشرة ما زالت ضئيلة ولا تشكل سوى ٥٪ فقط من جملة الاستثمارات الاجنبية فى مصر يتركز ٧٥٪ منها فى قطاع النفط وحده .

ولم تكن هذه هى المرة الأولى التى تثير فيها مصر المسألة المتعلقة بالمساعدات الامريكية وتطالب بتحقيق قدر اكبر من المرونة فى نطاق حرية التصرف داخل القطاع الواحد – حتى تتوزع مبالغ المعونة على القطاعات وفقا لأولوياتها – اذ ناقشتها خلال المحادثات التى جرت فى واشنطن فى العام الماضى ورغم ابداء الولايات المتحدة لتفهمها وموافقتها على طلب مصر الا ان المسألة لم تحسم نهائيا من الجانب الامريكى .

ولكن على ضوء المباحثات الأخيرة يمكن القول :

– ان هناك قناعة امريكية بالحفاظ على معدل المعونة الراهنة

– ازدياد ثقة الجانب الامريكى فى الموقف المصرى الراهن الذى لا يتعارض مع العلاقات الامريكية المصرية

– كذلك كان هناك قناعة امريكية بضرورة اعطاء قدر من المرونة فى مشكلة المساعدات ودفعا لهذا الاتجاه تم تخصيص ١٢٥٠ مليون دولار لمشروعات الصرف الصحى فى القاهرة والاسكندرية تقدم على خمس سنوات

ـ اما الطلب المصرى الخاص بتطوير نمط المساعدات الاقتصادية من نظام المشروع الى النمط القطاعى فالمرجح ان واشنطن تربطه بادخال بعض التعديلات الجوهرية لعدد من السياسات الاقتصادية المتعلقة بالدعم واتجاهات السياسة الاقتصادية فى مصر .

ـ الدور الامريكى .. والتحدى الاسرائيلى

اذا جاز القول ان رحلة الرئيس مبارك الى واشنطن قد حققت بعض النتائج على الصعيد الاقتصادى الا ان الحكم على نتائجها فيما يتعلق بقضية الشرق الاوسط مازال يتطلب نوعا من الترقب .. فلا شك ان مصر كانت تنتظر اجابات امريكية واضحة حول مراحل التسوية المقبلة لاخراج المفاوضات اللبنانية ـ الاسرائيلية من مأزقها الحالى والبدء فعلا فى تحريك مبادرة ريجان على الساحة الاردنية ـ الفلسطينية وهو ما وضع الموقف الامريكى تجاه الأزمة محل تساؤل ..

فالمعروف ان البداية الفعلية لعملية التسوية ارتبطت بتزايد الوجود الامريكى فى المنطقة او اضطلاع الولايات المتحدة بالدور الرئيسى فى هذه العملية

وفى هذا الاطار جاءت مبادرة ريجان للسلام التى اعلن عنها فى سبتمبر الماضى والتى ارتبطت الى حد كبير بنتائج حرب لبنان ومن أهمها :

☐ خروج الفدائيين الفلسطينين وقيادات منظمة التحرير الى الشتات وما يعينه ذلك من تفتت البنية العسكرية للمنظمة .

☐ وضوح التفوق العسكرى لاسرائيل فى المنطقة .

☐ تصاعد الخلافات العربية بصورة غير مسبوقة تجاه الغزو .

ورغم ان المبادرة اوضحت الخط العام الذى يحدد السياسة الامريكية تجاه المنطقة ـ والتى تأخذ اتفاقيات كامب ديفيد اساسا لاى تسوية سلمية ـ فقد سارعت اسرائيل باعلان رفضها للمبادرة فور اعلانها وخاصة فيما يتعلق فيها بوضع القدس وتجميد المستوطنات وباشراك الاردن فى خطة الحكم الذاتى الفلسطينى .. كما امتد الرفض الاسرائيلى ليشمل المقترحات المصرية لاستئناف الحكم الذاتى واهمها وقف الأنشطة الاستيطانية التى تقوم بها اسرائيل فى الاراضى المحتلة مع توسيع نطاق المفاوضات بمشاركة اطراف عربية اخرى (الأردن وممثلين عن الفلسطينين) وعندما اعلن ريجان مبادئه الجديدة ووافقت عليها مصر ، اتهمت اسرائيل كل من واشنطن والقاهرة بالخروج على اطار كامب ديفيد ، الذى تعتبره اسرائيل الاساسى الوحيد للسلام فى المنطقة ، ورد اعلى ما دعت اليه المبادرة من تجميد اقامة المستوطنات الاسرائيلية فى الأراضى العربية المحتلة .

اتخذت حكومة بيجين قرارا بانشاء ٢٠ مستوطنة جديدة هناك واصبح موقفها من مفاوضات لبنان ورفضها الانسحاب من اراضيه يشكل تحديا جديدا امام مباحثات السلام .

وبذلك تمضى اسرائيل فى محاولتها لفرض الأمر الواقع فى الضفة الغربية وغزة فى الوقت الذى تسعى فيه الى فرض معاهدة سلام مع لبنان دون ان تواجهه باى ضغط امريكى لوضع مبادرة ريجان موضع التنفيذ .

ورغم مرور حوالى خمسة اشهر على بدء اعلانها الا انه لم يبد فى الافق ما يشير الى انها يمكن ان تتجسد فى ايه خطوات محددة بل ان الخلاف الامريكى الاسرائيلى حول المبادرة لم يتعد نطاق التصريحات وتأجيل الرئيس الامريكى لزيارة بيجين التى كان ينوى القيام بها الى الولايات المتحدة فى منتصف فبراير الماضى .

وفى ضوء ذلك ، لا يجب المبالغة فى التعويل على امكانية حدوث ضغط امريكى على اسرائيل لتحقيق التسوية العادلة فى المنطقة ، خاصة وان الولايات المتحدة ستنشغل بعد اشهر معدودة فى الاعداد لانتخابات الرئاسة القادمة والتى تعطى فيها الادارة الامريكية اهتماما كبيرا للصوت اليهودى .

لذلك فان تغيير الموقف فى الشرق الاوسط لصالح القضية الفلسطينية يرتهن بحدوث موقف عربى موحد لا يكون سجين التحرك داخل الدائرة الامريكية ـ التى تتداخل الى حد كبير مع الدائرة الاسرائيلية ـ هذا التغيير يقتضى تحركا عربيا على ثلاثة مستويات :

١ ـ ان يكون هناك نوع من التنسيق الشامل بين التحرك المصرى والتحرك العربى . فالمعروف ان هناك اتصالات منتظمة تجرى بين مصر وعدد من العواصم العربية ـ بالذات بين عمان وبيروت والرباط ـ منذ عدة شهور ولكنها لم تصل الى درجة التنسيق الكامل . وبذلك يصبح من الضرورى تطوير هذه الاتصالات فى اتجاه تنسيق مصرى عربى شامل ـ وهو ما يقتضى بالضرورة ايجاد صيغة ملائمة لعودة مصر الى الصف العربى .

٢ ـ تحريك مبادرة فاس ، التى حظيت بنوع من القبول من قبل منظمة التحرير ، الى جانب انها تقوى من المركز التفاوضى للأطراف العربية فى تحركهم السياسى ـ وذلك فى اطار المبادرات السلمية المطروحة .

٣ ـ السعى نحو ايجاد نوع من التوازن العسكرى فى المنطقة ـ الذى وضح انه يميل لصالح اسرائيل بعد حرب لبنان. ☐



مأزق مفاوضات
الانسحاب الاسرائيلي من لبنان

حسن أبوطالب

في الثامن والعشرين من ديسمبر ١٩٨٢ ، وقبل انقضاء عام الغزو الاسرائيلي للبنان ، بدأت المفاوضات اللبنانية ــ الاسرائيلية بالمشاركة الامريكية تأخذ مجراها وسط تفاؤل دولي وترقب عربي وقلق لبناني . وبعد اكثر من عشرين جولة تبادلت فيها الوفود الثلاثة المشاركة في المفاوضات اماكن اللقاء بين خلدة اللبنانية ، والخالصة [كريات شمونه] بشمال فلسطين المحتلة وناتانيا ، يبدو أن المفاوضين لم يستطيعوا بعد التوصل الى اية نقاط إتفاق جوهرية تعكس ولو تقدما محدودا . وفي ظل هذا التطور المليء بالغموض يظل التساؤل قائما هل من مخرج لهذا الطريق المسدود الذي وصلت إليه المفاوضات الثلاثية ، وهو التساؤل الذي يدلل على عمق الفجوة بين المواقف اللبنانية والاسرائيلية واهدافها من هذه المفاوضات ، الامر الذي يمثل بدوره مأزقا حقيقيا مازال يواجه المتفاوضون .

اولا : الأجواء العامة للمفاوضات وخصوصية الحالة اللبنانية :

بدخول لبنان الى حلقة المفاوضات المباشرة مع اسرائيل ، يكون بذلك الطرف الثاني ــ بعد مصر ــ الذي قدر له الجلوس المباشر مع الطرف الاسرائيلي . هذا من ناحية القياس الشكلي ، أما موضوعيا فالامر به عديد من أوجه الاختلاف ابرزها : ــ

١ ــ أن مصر هي التي اقدمت على المفاوضات المباشرة بملء إرادتها والتي دشنت فعليا بزيارة الرئيس الراحل السادات الى القدس نوفمبر ١٩٧٧ ، في حين ان الجانب اللبناني يدخل هذه المفاوضات وهو مكره بفعل ضغوط الاحتلال الاسرائيلي وتأثيرات الواقع الاقليمي والدولي .

٢ ــ ان الجانب المصري حينما شرع في مفاوضاته المباشرة مع الجانب الاسرائيلي لم يكن يعاني مثلما هو الحال في لبنان من توترات امنية داخلية ، وانقسامات حادة في البنية الداخلية مع غياب سلطة الدولة غيابا فعليا حتى على كثير من الاجزاء التي تخضع لسيطرتها الاسمية فضلا عن وجود قوات مسلحة غير لبنانية فوق الارض اللبنانية ، عربية وغير عربية .

٣ ــ من الفروق ايضا بين الحالتين المصرية واللبنانية ، ذلك الاختلاف في الوزن النسبي الذي يمثله كل طرف في التوازنات العربية والاقليمية . وهنا فالمقارنة توضح ان الدور الذي تلعبه مصر في التوازنات العربية والاقليمية والعربية ، فضلا عن امكانياتها البشرية والعسكرية والاقتصادية ، هي عوامل اتاحت لمصر قدرا من الندية في المفاوضات مع اسرائيل عبر مراحلها المختلفة ، وهو امر غير متوفر للجانب اللبناني الذي ضاعت قدراته الاقتصادية فضلا عن تبعثر امكانياته العسكرية الهشة اصلا عبر سنوات الحرب الأهلية السبع الماضية .

٤ ــ أن المفاوضات اللبنانية ــ الاسرائيلية جاءت لاحقة لغزو اسرائيلي ساحق للعاصمة اللبنانية ، في حين ان الأجواء العامة للحالة المصرية كانت تعكس مناخا آخر من جوا للا سلم واللا حرب المتوازن .

٥ ــ وجود احتلال اسرائيلي لكلا الطرفين ــ المصري واللبناني ــ مع الفارق ان الاحتلال الاسرائيلي في الحالة المصرية كان محصورا في شبه جزيرة سيناء المعزولة طبيعيا عن باقي اجزاء مصر مما يقلل من ضغوط الاحتلال ويحد منها كثيرا . وهو مانشهد عكسه في الحالة اللبنانية حيث ان الاحتلال الاسرائيلي يسيطر تماما على الجنوب اللبناني ، ويحيط بالعاصمة بيروت نفسها ، فضلا عن ان الاحتلال الاسرائيلي يمد بعلاقاته مع كثير من القوى السياسية اللبنانية المسيحية ذات التأثير والفعالية على مسرح السياسة اللبنانية ، ومستغلا التوازنات الطائفية لصالحه ومجسدا تواجده الفعلي عبر التعامل اليومي مع المواطنين اللبناني في المناطق التي يسيطر عليها من خلال السلع والمنتوجات الاسرائيلية ، وكل هذه تمثل

اوراق ضغط قوية بيد المفاوض الاسرائيلي كان محروما من مثيلاتها في الحالة المصرية .

٦ - غياب الاتفاق على طبيعة الدور الامريكي في المفاوضات ، وهو مالم نشهد له مثيلا في الحالة المصرية ، والتي لعب فيها الطرف الامريكي دورا محددا سلفا من قبل المفاوضين المصريين والاسرائيليين باعتباره شريكا كاملا في المفاوضات بينهما .

٧ - تباين المواقف العربية في الحالتين ففي الحالة المصرية ، وجد اتفاق عربي شامل على رفض السلوك المصرى ومايترتب عليه من اثار ونتائج . اما في الحالة اللبنانية فتعكس موقف عربيا مختلفا حيث غياب الرفض العربي والذى غلف بتبرير مؤداه تفهم أوضاع لبنان الخاصة . ويمكن القول ان الموقف العربي - بما فيه اكثر اطرافه تشددا - مال الى الموافقة الضمنية على خوض لبنان لهذه المفاوضات في اطار الانسحاب الأسرائيلى من لبنان ، مع تحذير المفاوض اللبنانى من توقيع اتفاقيات ومعاهدات مماثلة للمعاهدات والاتفاقات التى نتجت عن المفاوضات المصرية الأسرائيلية .

ومع الوضع في الاعتبار مثل هذه الاختلافات بين الحالة المصرية والحالة اللبنانية تبرز خصوصية الحالة اللبنانية ، كما تتوضح مجموعة العوائق التى تحد من احراز المفاوضات اى تقدم ملموس . وبصفة عامة فالحالة اللبنانية في المفاوضات مع اسرائيل تعكس نوعا من المفاوضات غير المتوازنة بين طرفيها الاساسيين نظرا لغياب حالة التوازن العسكرى والسياسى بينهما . وهذه الحالة من اللاتوازن الفعلى ، تثير قضية « الجبرية » ومدى قدرة أحد الأطراف على فرض ارائه واهدافه على الطرف الآخر ، واعترافا من الجانب اللبنانى بخصوصية حالته ، مهدت السلطة اللبنانية الأجواء السياسية المصاحبة لبدء المفاوضات بالتشديد على ان لبنان ليس هو مصر . مع المناداه بالحرص على مد السلطة الشرعية الى كل اجزاء لبنان ، وبضرورة اعتماد المبادىء الواردة في اتفاقية الهدنة لعام ١٩٤٩ لصياغة نمط العلاقات اللبنانية الأسرائيلية المستقبلية فضلا عن اهمية تطبيق القرارين الدولية التى اقرتها الامم المتحدة ولاسيما قرارى ٥٠٨ ، ٥٠٩ واللذين اقرا مع الايام الاولى لغزو اسرائيل للأراضي اللبنانية .

اما الشق العربي في جهود السلطة الشرعية اللبنانية لتمهيد الأجواء السياسية لبدء المفاوضات اللبنانية الأسرائيلية فقد تمثلت في جولة قام بها الرئيس امين الجميل الى عدد من العواصم العربية ، وهى الزيارات التى قادت الى التأييد العربي الضمني للموقف اللبنانى في حدود معينة إذا ماتجاوزها . فالعواصم العربية لن يكون بمقدورها حينذاك تقديم الدعم الاقتصادى اللازم لاعادة إعمار لبنان . وقد أظهر ذلك الموقف العربي براجماتية سياسية فضلا عما يمثله من ضغوط حقيقية على موقف المفاوض اللبنانى لاتقل قوة عن الضغوط الاخرى المصاحبة للمفاوضات . ولعل قوة الضغوط العربية هى المبرر في تشديد الجانب اللبنانى - على السنة رئيسه وكبار مسئوليه - في عدة مناسبات على تمسك لبنان بعروبته وانها لقدره المحتوم . وهذه المبالغة في اللغة السياسية الرسمية اللبنانية تعكس هى الاخرى ردا لبنانيا براجماتيا من نفس المستوى ونفس المدى الذى عبرت عنها الضغوط العربية على الطرف اللبنانى .

ثانيا : تطور المفاوضات : -

بالرغم من تجاوز المفاوضات الثلاثية رقم العشرين جولة ، الا انه يمكن القول ان الجولات الحاسمة والتى اقر فيها نوع من الاتفاق هى جولات نادرة . وحتى تلك التى توصل فيها الاطراف المتفاوضة الى نوع من الاتفاق ، كان مثل هذا الاتفاق محصورا في تحديد بعض الجوانب الاجرائية دون التقدم خطوة حقيقية نحو تحديد اتفاق حول المسائل الجوهرية كالانسحاب او صياغة العلاقات الثنائية او تحديد المسائل والترتيبات الامنية .

ونظره على هذه الجولات العشرين والتى عقدت اخرها في بلدة ناتانيا بفلسطين المحتلة في الثالث من مارس ، يمكن تحديد الجولات الفاصلة وهى : -

(١) الجولة الاولى والتى عقدت في خلدة اللبنانية [٢٨ ديسمبر ١٩٨٢] وذلك باعتبارها جولة الافتتاح حيث ظهر فيها عمق الفجوة بين المواقف اللبنانية والمواقف الاسرائيلية ، فالجانب اللبنانى وضع برنامجا من ثلاث نقاط وفق الترتيب التالى أ - برمجة الانسحاب للقوات غير اللبنانية ب - الاتفاق على ترتيبات امنية ج - بحث الوضع السياسى . اما الجانب الاسرائيلى فقد طرح برنامجا مختلفا بدأه بالتفاوض على تطبيع العلاقات بين البلدين ، ثم الترتيبات الامنية واخيرا برمجة الانسحاب .

(٢) الجولة السادسة التى عقدت في الخالصة [كريات شمونة] ١٣ يناير ١٩٨٣ والتى نتج عنها اتفاق المتفاوضين على جدول الاعمال الحر الذى اقترحه الجانب الامريكي ونص على مايلي : تم التوافق بين الفرقاء على ان مواضيع جدول الاعمال الآتية تبحث معا نظرا الى مابينها من تداخل ! انهاء

حالة الحرب – ترتيبات أمنية – إطار علاقات متبادلة بما فيها مسائل كالتالى الاتصال – انهاء الحملات الدعائية العدائية – حركة البضائع والاشخاص ، برنامج الانسحاب الكاملة ، ظروف الانسحاب الاسرائيلى فى إطار انسحاب جميع القوات غير اللبنانية – الضمانات المحتملة . – ووفقا لهذا الاتفاق تم تاليف لجان فرعية مشتركة بين الاطراف الثلاثية واعطى كل رئيس لجنة فرعية صلاحية المشاركة فى اعمال اللجان الفرعية الاخرى .

(٣) الجولة الرابعة عشر [الخالصة ١٠ فبراير ١٩٨٣] . فقد نوقش فيها لاول مرة تفصيلات ترتيبات الامن . وقد تاثرت مناقشات الوفود بتطورات الاوضاع الاسرائيلية الداخلية [اذاعة تقرير كاهان] وفيما يتعلق بترتيبات الأمن اقترح الجانب اللبنانى الا يتجاوز عمق المنطقة ١٨ كم . فى حين اصر الجانب الاسرائيلى على ان يبلغ مداها ٤٥ كم ولكن لم يصر على ضرورة ان تشمل المنطقة مراكز انذار مبكر كتلك القائمة فى سيناء المصرية واقتصر الطلب الاسرائيلى على ان تكون هناك نقاط مراقبة غرضها مراقبة نشاط وتحركات المسلحين الفلسطنيين ومنع تسللهم ، كما قبل الجانب الاسرائيلى ان يكون الجيش اللبنانى هو المنوط به مراقبة الأوضاع فى هذه المنطقة مع رفض للاقتراح الامريكى بان يكون هناك مراقبون دوليون تابعون للامم المتحدة . وفى اطار العلاقات المتبادلة اصرت اسرائيل على انشاء مكتب اتصال اسرائيلى فى بيروت ، فى حين اقترح لبنان ان يكون هناك ايضا مكتب اتصال امريكى بجانب المكتب الاسرائيلى بالرغم من ملاحظة الوفد الامريكى بان هناك سفارة امريكية فى بيروت .

(٤) الجولة ١٦ والتى عقدت فى ناتانيا بفلسطين المحتلة ٢/١٧ وقد تم فيها إقرار تعيين ضابط اتصال بين البلدين فى ضوء تنسيق ترتيبات الامن ، كما بحث لأول مرة موضوع قوات الرائد المنشق سعد حداد ، ولاسيما وان الأيام السابقة على هذه الجولة شهدت تحرك قوات سعد حداد لمد سيطرتها على مناطق جديدة فى الجنوب اللبنانى تمثل نفس المناطق التى طالبت الجانب الاسرائيلى بان تمثل عمقا معترفا به لترتيبات الامن بين البلدين .

ومن الاستعراض السابق لاهم الجولات واهم مادار فيها يتضح مايلى : –

أ – انه بالرغم من انعقاد عشرين جولة من المفاوضات فإنه لم يتم التوصل بعد الى إتفاقيات ذات شأن فيما يتعلق بالقضايا الجوهرية كالانسحاب وترتيبات الامن وإطار العلاقات المتبادلة وان جل ماتم التوصل اليه هو بعض الاتفاقات ذات الطابع الاجرائى وحسب . ب – ان هناك اليه ، او دوره دلت عليها تطورات المفاوضات مؤدى هذه الاليه تصلب الأطراف المتفاوضة عبر عدة جولات ، يأتى بعدها المبعوث الخاص للرئيس الامريكى ريجان فيليب حبيب الى المنطقة ويكون حافزا لأن يتوصل الاطراف المتفاوضون الى اتفاق ذو طابع اجرائى . وقد ظهر ذلك فى الجولتين السادسة والرابعة عشر ، حيث وصل حبيب الى منطقة الشرق الأوسط قبل انعقاد الجولتين المذكورتين بيوم او يومين اتصل خلالهما بالمسئولين المعنيين بالامر فى كل من بيروت وتل ابيب وكان من نتيجة هذه الاتصالات توصل المتفاوضين الى اتفاقيات ثانوية . ومثل هذه الالية تثير التساؤلات حول المدى الحقيقى الذى يمكن ان تلعبه الولايات المتحدة فى دفع وتنشيط المفاوضات وصولا الى اتفاقات جوهرية وليس اتفاقات اجرائية ثانوية وحسب .

ثالثا : اهداف الأطراف المتفاوضة : –

من استعراض كافة المواقف التى عبر عنها المفاوض اللبنانى عبر الجلسات العشرين الماضية يمكن القول ان إدراك الجانب اللبنانى شمل امرين رئيسيين اولهما ، ان لبنان لم يكن يحارب اسرائيل ومن هنا جاء التمسك بصلاحية اتفاقية الهدنة المبرمة فى ١٩٤٩ وثانيهما ان الاراضى اللبنانية كانت مسرحا للقتال بين الاطراف الفلسطينية والاسرائيلية ويكفى ان يكون الثمن هو خروج المقاومة الفلسطينية من بيروت واجزاء اخرى من لبنان ، واستنادا الى هذا العامل يتمسك الجانب اللبنانى بخروج كل القوات اللبنانية بما فيها القوات الاسرائيلية ، وذلك كمقدمة لمد الشرعية اللبنانية على اراضيها مع اصرار على رفض التطبيع باية صورة .

ويعد هذا الأدراك اللبنانى الذى ظهر فى مناقشات المفاوضات امتدادا للمواقف اللبنانية التى تم اقرارها فى الاجتماع الوزارى للحكومة اللبنانية ، السابق على بدء المفاوضات مباشرة والذى حددت فيه الحكومة اللبنانية مطالبها من المفاوضات بناء على الاسس التالية : –

أ – جلاء القوات غير اللبنانية وغير الشرعية عن الاراضى اللبنانية ب – بسط سلطة الدولة وسيادتها وقوانينها على كل الاراضى اللبنانية ج – زيادة القوات الدولية المتعددة الجنسيات وتوسيع رقعة إنتشارها واشراك قوات جديدة فيها د – اجراء الانسحاب على مرحلتين وفقا للاقتراحات المقدمة من المبعوث الأمريكى فيليب حبيب هـ – وضع ترتيبات دولية معينة تضمن عدم تعرض اى دولة مجاورة من خلال الاراضى اللبنانية

وجا الرد الأرسرائيلى رافضا التصور اللبنانى

باعتباره لايقدم اساسا صالحا للتفاوض وقدم بدوره تصورا شمل النقاط الآتيه أ ـ ان اسرائيل تنازلت مؤقتا عن شرط توقيع معاهدة سلام وترى ان البديل هو توقيع اتفاق يكون بمثابة معاهدة عدم اعتدا ب ـ هذه الأتفاقية الأمنية يجب ان تتم فى اطار مفاوضات سياسية تفرض ترتيبات امنية معينة تتخذ بين اسرائيل ولبنان بعمق ٤٥ الى ٥٠ كم داخل الأراضى اللبنانية (فى الجنوب) وهى الترتيبات التى تحدد حجم القوات المسلحة اللبنانية التى يسمح لها بالتواجد فى تلك المنطقة ونوع السلاح الذى يحق لها استعماله لحفظ الأمن الداخلى ج ـ يحق لأسرائيل استخدام مراكز مراقبة عسكرية داخل الأراضى اللبنانية فى منطقة الجنوب وفى قمة جبل الباروك مع تأمين الخطوط العسكرية التى تسهل إبقا الأتصال مؤمنا مع خطوط مراكز المراقبة . د ـ الدخول فى مفاوضات لتطبيع العلاقات الأقتصادية والأبقا على الحدود مفتوحة بين البلدين .

رابعا : حدود الدور الامريكى ومستقبل المفاوضات

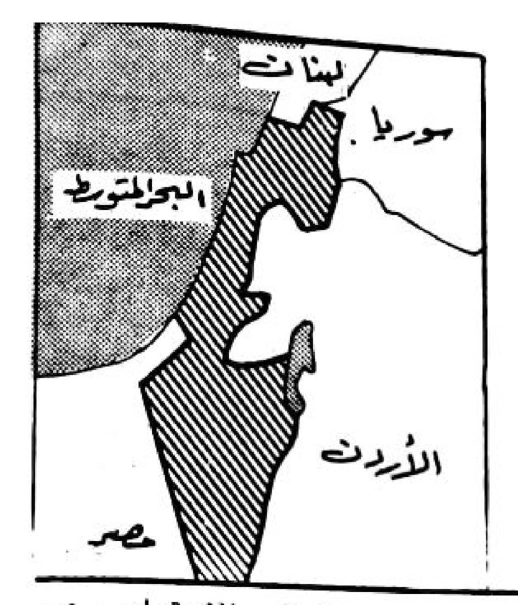
والموقفين المتعارضين يوضحان جملة من نقاط الأختلاف من بينها مايتعلق بالهدف من المفاوضات حيث يحصرها الجانب اللبنانى فى تحقيق الانسحاب الأسرائيلى من لبنان اما الجانب الاسرائيلى فيرى ان الهدف منها هو تحديد نمط العلاقات المستقبلية بين البلدين ، وحول حدود الدور الامريكى فى المفاوضات فيرى الجانب اللبنانى ان هذا هو دور الشريك الكامل فى المفاوضات وليس دور المراقب او الوسيط كما يطالب الجانب الاسرائيلى ، وفيما يتعلق بتواجد القوات الدولية التابعة للامم المتحدة فهناك ميل لبنانى الى الأستعانة بها فى مناطق ترتيبات الامن بينما يرفض الجانب الاسرائيلى اى تواجد للقوات التابعة للامم المتحدة حيث انها تمثل فى نظره عودة لاتفاقية الهدنة المرفوضة اسرائيليا . وحول انسحابات القوات غير اللبنانية . فيصر الجانب اللبنانى على انجاز انسحابات اسرائيلية مبرمجة زمنينا دون التقيد بانسحاب متازمن مع القوات السورية او الفلسطينية كما يطالب بذلك الجانب الاسرائيلى . اما التطبيع الذى يعتبره المفاوض الاسرائيلى هو الهدف الرئيسى من المفاوضات ، فيرفضه الجانب اللبنانى جملة وتفصيلا ويحيل رفضه الى عدم قدرة لبنان على مواجهة النتائج التى قد يلجأ اليها العرب لمقاطعة لبنان اقتصاديا وسياسيا حال تورطه فى توقيع اتفاقات تطبيع مع الجانب الاسرائيلى .

وفى ضوء نقاط الخلاف هذه ، هل يمكن الحديث عن إحتمالات انفراج نسبى فى الجولات القادمة . ان ذلك مرتبط بثلاث عوامل مجتمعة ، اولها : مدى الضغوط المادية والمعنوية التى يمكن ان يمارسها الجانب الامريكى على الجانب الاسرائيلى للتخفيف من درجة تصلبه ، ثانيها : مدى قدرة الطرف اللبنانى على مواجهة التصلب الاسرائيلى وضغوطة والاصرار فى نفس الوقت على مطلبه المشروع بالانسحاب الاسرائيلى دون شروط ومد الشرعية اللبنانية الى كل الاراضى اللبنانية . وثالثها : تغير الادراك الاسرائيلى الى ضرورة الاسراع بتحقيق انسحابات ـ ولو جزئية ـ من الاراضى اللبنانية .

وفى الواقع ان العوامل الثلاث تشير بدرجة او باخرى الى الحدود التى يمكن ان يصل اليها الجانب الامريكى فى دفع المفاوضات . ومن خبرة الجولات العشرين السابقة يتضح ان الدور الامريكى مازال مقيدا او على الاقل غير راغب فى حمل الجانب الاسرائيلى على التوصل الى اتفاقيات مقبولة لبنانيا ومن ثم عربيا . والالتزامات التى اخذها على عاتقه الرئيس ريجان بالحفاظ على سيادة لبنان وتحقيق انسحابات للقوات غير اللبنانية مازالت تتعثر فى التبلور والتحول الى حقائق مملوسة . ومع ان المفاوض الامريكى يميل الى الخطوط العامة للموقف اللبنانى الا ان الجولات العشرين من المفاوضات بجانب جهود المبعوث الخاص فيليب حبيب مازالت تشير الى عجز الجانب الامريكى عجزا فعليا وهو مايمثل مأزق حقيقيا للدور الامريكى ليس فقط فى مفاوضات الانسحاب الثلاثية الدائرة بل ايضا فى امكانية دفع وتنشيط عملية التسوية السياسية للمشكلة الفلسطينية برمتها .

ويأتى عنصر الوقت والمرتبط بقرب انغماس الادارة الامريكية الحالية فى معارك الانتخابات الرئاسية ليزيد من حدة هذا المأزق والمستقبل القريب يحمل احد امرين ان تدفع الانتخابات الامريكية بالادارة الحالية الى محاولة احراز نجاح فى مفاوضات الانسحاب من لبنان بغرض توظيف هذا النجاح فى معارك الانتخابات الرئاسية القادمة وإما ان تفرض عملية الانتخابات على الرئيس ريجان الاهتمام بدرجة اكبر بالمشكلات الداخلية للمجتمع الامريكى مع ترك جانبا المشكلات الخارجية ، ومنها عملية التسوية فى الشرق الاوسط ومفاوضات الانسحاب الى تطورها الذاتى حتى مابعد الانتخابات .

والرهان فى اسرائيل هو على الاحتمال الثانى ، اما الرهان العربى واللبنانى فهو على الاحتمال الاول ، الامر الذى يفسر ذلك القدر من التفاؤل الذى يبديه كثير من المسئولين اللبنانيين والعرب على السواء . □



لجنة «كاهان» وسياسة «الاحتواء» الاسرائيلية

السيد زهرة

فى صباح يوم السادس عشر من شهر سبتمبر ١٩٨٢ قامت القوات الاسرائيلية بمحاصرة مخيمى « صابرا وشاتيلا » الفلسطينيين فى لبنان . ومنذ ذلك الوقت وعلى امتداد ثلاثة ايام ، كانت قوات « الكتائب » تقوم بارتكاب ابشع مذبحة داخل المخيمين ، راح ضحيتها مايزيد على ثلاثة آلاف فلسطينى من المدنيين . بعد ذلك ، شكلت فى اسرائيل « لجنة كاهان » وانيطت بها مهمة التحقيق فى مدى « المسئولية » الاسرائيلية عن المذبحة . واستغرق عمل اللجنة ٦٠ جلسة ، استمعت خلالها الى ٥٨ شاهدا . وقبيل انتهاء عملها ، وجهت اللجنة انذارات الى تسعة من كبار المسئولين الاسرائيليين ، تتضمن احتمال « اصابتهم بالضرر » اذا اثبت تورطهم وثبتت مسئوليتهم عن المذبحة وفى النهاية اصدرت اللجنة تقريرها النهائى ، الذى تضمن عددا من التوصيات فى مقدمتها « التوصية بنقل شارون من وزارة الدفاع الى موقع آخر فى الحكومة » وعددا آخر من التوصيات ضد مسئولين اخرين فى مقدمتهم رئيس الاركان ، وقائد المنطقة الشمالية ورئيس المخابرات .. الخ ..

والحقيقة ان قضية تشكيل اللجنة بداية وما اصدرته من توصيات يثير عددا من التساؤلات الهامة فى مقدمتها تساؤلات ثلاث : ـ

☐ ما الذى دفع الحكومة الاسرائيلية ابتداء الى تشكيل اللجنة والى تجنيد كافة الامكانيات لمساعدتها فى عملها ؟

☐ هل يتضمن التقرير الذى اصدرته اللجنة ، وما تضمنه من توصيات ، إدانة فعلية لاسرائيل أو حتى للمسئولين الذين تناولتهم التوصيات ؟

☐ ثم ، ما هى القيمة العملية الحقيقية لما اصدرته اللجنة من توصيات ؟

اللجنة .. وسياسة « الاحتواء »

« الاحتواء » هو احد الاساليب الاساسية المعروفة فى السياسة الاسرائيلية وتقوم سياسة « الاحتواء » على الاقدام على اى فعل عدوانى ايا كانت نتائجه وايا كانت آثاره الخارجية المعروفة مقدما ، وبعد ان يتحول الفعل الى امر واقع تسعى السياسة الاسرائيلية الى محاولة « احتواء » آثاره وردود فعله بعد ذلك وأساليب « الاحتواء » الاسرائيلية متعددة ومعروفة من كثرة استخداماتها فعادة ماتلجأ اسرائيل الى دعاوى من قبيل « حيوية فعل معين وضرورته لامن اسرائيل » .. واعتبار فعل اخر من قبيل « الاساليب الدفاعية » .. والقول باستناد فعل معين الى « الحقوق التاريخية للشعب اليهودى » ... الخ .. واذا كنا فى العالم العربى نعرف كذب مثل هذه الدعاوى دائما ، الا أن لها فى الخارج وفى الغرب بالذات ، قوة تأثير كبيرة ، خاصة فى ضوء سيطرة الدوائر الصهيونية على عديد من الوسائل الاعلامية فى الغرب ، وقدرتها على استخدامها الاستخدام الامثل .

فى هذا الاطار ، جاء تشكيل لجنة « كاهان » تحديدا محاولة اسرائيلية « لاحتواء » الآثار وردود الفعل الواسعة النطاق داخليا وخارجيا ، والتى ترتبت على عملية غزو لبنان . بعبارة اخرى ، فان هدف اللجنة الحقيقى كان من البداية هدفا « اعلاميا » لا للتحقيق فعلا فى مسئولية اسرائيل عن مذبحة « صابرا وشاتيلا » .

☐ فقد اثار الغزو ، كما هو معروف موجة معارضة داخلية واسعة نسبيا فى اسرائيل وايا كان الخلاف حول الحدود الحقيقية لمثل هذه المعارضة ، وحول مدى تأثيرها على صنع السياسة فى اسرائيل ، الا انها تضمنت عددا من الظواهر التى لم تشهدها اسرائيل من قبل ، فى مقدمتها امران : ـ

الاول : معارضة قطاعات من الجيش الاسرائيلى للغزو ، فى اثناء عملية الغزو ذاتها ومطالبتهم باستقالة كبار القادة العسكريين .

الثانى : انه لاول مرة يحدث داخل اسرائيل ، التشكيك

فى مدى ضرورة خطوة عسكرية كبيرة مثل غزو لبنان « للامن الاسرائيلى » الحجة الابدية التى تلجأ اليها اسرائيل « لتبرير » كل اعمالها العدوانية .

☐ ولأول مرة ايضا تشهد اسرائيل مثل هذه المعارضة الواسعة النطاق لسياساتها فى الخارج ، وفى البلاد الغربية بالذات ، والتى يهم اسرائيل امرها فى المقام الاول . هذه المعارضة التى امتدت حتى الى بعض الاوساط المؤيدة تقليديا لاسرائيل .

ولاشك ان اسرائيل كان يهمها احتواء ردود فعل غزو لبنان على هذا النحو ، داخليا وخارجيا ، وبأسرع وقت ممكن ، خاصة وانها مقدمة على خطوات عدوانية جديدة ، يهمها تهيئة الرأى العام الداخلى والغربى لتقبلها . فهى مقدمة على ابقاء احتلالها للبنان ، والتمهيد لتقسيمه ، ومقدمة ايضا على حروب جديدة مع الاردن او سوريا .

حول تقرير اللجنة :

الحقيقة ان القراءة الدقيقة لتقرير اللجنة تثبت بما لايدع مجالا للشك حقيقة النوايا الاسرائيلية من تشكيل اللجنة ، والضجة الاعلامية التى اثيرت حولها وحول التقرير فرغم اغراق التقرير فى التفاصيل وايراداه لعشرات الشهادات عن المذبحة ، الا انه جاء فى النهاية لينفى عن اسرائيل اية مسئولية عما حدث فى « صابرا وشاتيلا » بل ولينفى المسئولية الفعلية حتى عن القادة الاسرائيليين الذين تضمنتهم توصيات التقرير .

وهذا امر يمكن تبينه مما يلى : —

☐ تحاشى التقرير بداية الحديث مطلقا عن عملية غزو لبنان ذاتها ، بحجة ان هذه المهمة خارج اختصاص عمل اللجنة . ولو كان الامر متعلقا فعلا بتحقيق عادل فى المذبحة ، لاقتضى الامر التعرض لعملية الغزو وتحديد موقف منها . فمن البديهى ان المذبحة لم تكن لتحدث ابتداء لو لم يحدث الغزو ذاته ، ولو لم تحدث عشرات الجرائم التى ارتكبتها القوات الاسرائيلية اثناءه ضد المدنيين اللبنانيين والفلسطينيين .

☐ ان التقرير فى واقع الامر لم يحمل المسئولين الاسرائيلين الذين اوصى باتخاذ اجراءات ضدهم ، اية مسئولية فعلية عما حدث بما فى ذلك شارون نفسه فتقرير اللجنة ينص على انه « ترى اللجنة ان المسئولية تقع على وزير الدفاع شارون لانه أساء تقدير احتمال قيام رجال الكتائب باعمال وحشية ودموية داخل مخيمات اللاجئين . وفشل فى أن يضع هذا الخطر فى الاعتبار عندما اتخذ قراره النهائى بادخالهم الى هناك » أى ان الخطأ الذى وقع فيه شارون يتمثل فقط فى « اساءته للتقدير » وبالمثل فان وزير الخارجية شامير ، يتحمل المسئولية لانه لم يتأكد من مكالمة تليفونية وتقرير تلقاه عما يحدث داخل المخيمات .. وهكذا .

بعبارة اخرى ، ينفى التقرير عن هؤلاء المسئولين « شبهة » العلم المسبق بالمذبحة أو العلم الكامل اثناءها او المشاركة فيها بطبيعة الحال — ومن ثم ، فمسئوليتهم ناتجة عن « الاهمال » و« سوء التقرير » و« سوء التصرف » فقط !!

الأكثر من هذا ، ان التقرير وفى اكثر من موضع يشيد اشادة بالغة « بالخدمات الجليلة » التى قدمها هؤلاء المسئولون انفسهم لاسرائيل مع ملاحظة ان هؤلاء هم الذين قادوا عملية الغزو ابتداء .

☐ والقضية المحورية ، التى يحاول التقرير من خلالها تبرئة اسرائيل من المشاركة فى المذبحة ، هى تأكيده على ان الكتائب وحدهم يتحملون مسئوليتها دون علم مسبق من جانب القادة الاسرائيليين ويقع فى نفس الوقت فى تناقض واضح اذ يؤكد على ان دخول المخيمات كان بناء على اتفاق كامل بين قادة الكتائب والقادة الاسرائيليين وبداهة ، لايمكن تصور الاتفاق الكامل على دخول المخيمات دون ان يحاط الاسرائيليون علما بما سوف يحدث بداخلها ، خاصة فى ضوء علاقات الصداقة الوطيدة التى تربط بين الكتائب واسرائيل منذ سنوات طويلة والتى يسردها التقرير ذاته . يضاف الى هذا التناقض ان التقرير يعود فيؤكد علم بعض القادة الاسرائيليين ببعض تفاصيل مايجرى من مذابح داخل المخيمات اثناء ارتكابها ، فهل هذا لايعد هذا مشاركة فعلية فى المذابح ؟ وهل يعد كما يقول التقرير ، مجرد « سوء تصرف » خاصة فى ضوء حقيقة ان القوات الاسرائيلية هى التى تولت حصار المخيمين ومنع اى اتصال بينهما وبين الخارج ، وتولت امر اضاءتها ليلا لتسهيل مهمة الكتائب .

☐ احدى الحجج التى يستند اليها التقرير ايضا لتبرير عدم المسئولية الاسرائيلية عن المذبحة مايذكره من ان هذه المذابح « تتناف مع الاخلاق القتالية لجيش الدفاع الاسرائيلى » ! كما لو كان تاريخ اسرائيل نظيفا تماما وخال من اية مذابح مشابهة ، وكما لو كانت الجرائم التى ارتكبت اثناء الغزو ذاته ضد المدنيين تعد من قبيل « الاعمال المشروعة » التى « تتمشى مع الروح القتالية للجيش الاسرائيلى » .

القيمة العملية لتوصيات اللجنة :

يضاف الى ما سبق ، ان التوصيات التى تضمنها تقرير اللجنة ، والتى نفذ بعضها فعلا ، وخاصة فيما يتعلق بشارون ، ليست لها فعليا اية قيمة عملية . بداية

لم يكن هناك مايلزم الحكومة الاسرائيلية قانونا بتنفيذ قرارات اللجنة ، فهى مجرد « توصيات » من حقها ان تأخذ بها او لاتأخذ .

☐ وفيما يتعلق بشارون بالذات ، ينبغى عدم المبالغة فيما لحق به من ضرر .. من جراء توصيات اللجنة .

☐ فمركزه لازال قويا فى اوساط حزب « حيروت » والطريق مفتوح امامه ليصارع حتى على زعامة ليكود ذاته

☐ ان الطريق مفتوح امامه ايضا ، ليعود فى ضوء الانتخابات القادمة ، ليتصدر مقاعد السلطة فى اسرائيل .

والحقيقة ان ازاحة شارون عن وزارة الدفاع من الامور الهامة للحكومة الاسرائيلية فى الوقت الحالى واغلب الظن انها كانت ستلجأ لهذه الخطوة ، حتى لو لم تتشكل اللجنة اصلا ، ولو لم تصدر توصية بهذا المعنى فشارون كان من اكثر المسئولين الاسرائيليين تعرضا للنقد والادانة داخليا وخارجيا لما فعله فى لبنان وبقاؤه كان يعنى مبررا قويا لاستمرار حملة الهجوم فى الغرب بالذات على السياسة الاسرائيلية . ومن ثم ، كان من المهم ابعاده ولو لفترة .

وينبغى ملاحظة ان وزير الدفاع الجديد الذى حل محله لايقل عنه تشددا عدوانيه فأرينز كان من اكبر المعارضين للانسحاب الاسرائيلى من سيناء بحجة « تهديد مثل هذه الخطوة لامن اسرائيل » .

كما يتصدر فى الوقت الحاضر الدعوة لعدم الانسحاب الاسرائيلى من لبنان .

هذه اذ ن هى الحدود الفعلية للجنة كاهان وللتقرير الذى اصدرته . فهى باختصار ، خطوة اريد بها محاولة امتصاص ردود الفعل التى احدثها غزو لبنان ، واريد بها عمليا اخلاء ساحة اسرائيل وتبرئتها من اية مسئولية فى مذابح صابرا وشاتيلا .☐



موشى أرينز ومستقبل السلام في الشرق الأوسط

الفت أغا

أثار تعيين موشى أرينز سفير اسرائيل لدى الولايات المتحدة الامريكية في منصب وزير الدفاع خلفا للوزير المستقيل ارئيل شارون كثيرا من التساؤلات حول مدى التغيير الذى سوف يطرأ على السياسة الاسرائيلية تجاه قضايا التسوية في الشرق الأوسط . الا ان رئيس الوزراء مناحم بيجين قد بادر وأعلن ان التغييرات الوزراية لن يكون لها اى تأثير على مشكلة السلام في المنطقة . كما نسب راديو اسرائيل الى موشى ارينز قوله « ان السياسة الاسرائيلية ازاء انسحاب القوات الاسرائيلية من لبنان وإزاء القضية الفلسطينية لن تتغير بعد استقالة شارون . » وكان تقرير لجنة كاهان لتقصى الحقائق بشأن المذابح التى ارتكبتها اسرائيل في مخيمى صابرا وشاتيلا في لبنان قد أوصى باستقالة شارون او اقالته لتحمله مسئولية هذه المذابح .

وقال ارينز في مقابلة اذاعها راديو اسرائيل « ان سياسة اسرائيل لا تعتمد على شخصية واحدة ، حتى لو كانت هذه شخصية هامة مثل شارون » . واضاف ان « هذه السياسة هى سياسة الحكومة الاسرائيلية وتؤيدها اغلبية الاسرائيلين في الكنيست الاسرائيلى . »

ولقد رحبت الصحف الاسرائيلية في مجموعها بتولى موشى ارينز مسئوليات منصبه الجديد كوزير للدفاع . فقالت معاريف : ان موشى ارينز حظى على الفور باعجاب زملائه من اعضاء الحكومة وادخل اسلوبا جديدا في مناقشات الحكومة . وذكرت صحيفة جيروسالم بوست : انه من المتوقع ان يحقق موشى ارينز النظام وان ينفذ عملية عقلانية من اجل الدفاع الوطنى . وسيتطلب ذلك جهدا وتدريبا سريعين ومثابرة ، ولكنه قادر على مواجهة هذا التحدى .

أما صحيفة يديعوت احرونوت فقد ذكرت ان ارينز قد صرح لاحد معاونيه الرئيسيين انه يحب العمل كفريق ، وان العمل يتم بصورة افضل ويحقق نتائج طيبة عندما ينجز بروح الفريق المتعاون .

وعلقت صحيفة دافار الهستدروتية قائلة : ان ارينز يقدر المسئولية التى القيت على عاتقه ، وهذا تغيير مشجع بالمقارنة مع سلفه وستتوفر لنا الاسباب في المستقبل لنعارض سبيل الوزير الجديد ، لكنه يستحق في هذه اللحظة كل تشجيع لازم في الفترة العصيبة التى تمر بها وزارته

من هو موشى ارينز ؟

ولد ارينز عام ١٩٢٦ في ليتوانيا . وكان والده رجل صناعة ثرى ووالدته طبيبة أسنان . وعند نشوب الحرب العالمية الثانية هاجرت عائلته الى الولايات المتحدة الامريكية حيث نشأ في جو صهيونى . وكان عضوا في حركة شباب رجعية وهى « بيتار » .

حصل ارينز على بكالوريوس العلوم في معهد ماساشوستس للتكنولوجيا سنة ١٩٤٧ ، ثم عاد الى اسرائيل سنة ١٩٤٨ ، وانضم الى جماعة الارجون تحت قيادة بيجين ، وهو يشاركه معظم معتقداته السياسية . وفي سنة ١٩٥١ عاد ، ثانية الى الولايات المتحدة لاستكمال دراسته في هندسة الطيران ، وحصل على درجة الماجستير من معهد كاليفورنيا للتكنولوجيا سنة ١٩٥٣ وعمل في الولايات المتحدة لمدة ثلاث سنوات .. وعند عودته الى اسرائيل عين في هيئة التدريس في معهد التكنولوجيا في اسرائيل (التخنيون) . وفي عام ١٩٦٢ عرض على ارينز الانتقال لهيئة الصناعة الجوية في منصب كبير ، وقد قبل العرض ووصل الى منصب نائب مدير الصناعة الجوية في اسرائيل . وقد كان مسئولا ايضا عن تطوير طائرة النقل « عرافا » وحصل على جائزة أمن اسرائيل بفضل عمله العلمى ، وبعد ذلك عاد الى « التخنيون » وعين عميدا لكلية هندسة الطيران . وكان لارينز نشاط سياسى ملحوظ في اطار حزب حيروت . وبعد شغله منصب رئيس فرع الحزب في تل

ابيب ثم رئيس لجنة المركزية للحزب . انتخب عضوا فى الكنيست سنة ١٩٧٤ . ولقد ظهر بسرعة كواحد من الصقور المتطرفين فى المعارضة . ولكن المؤيدين والخصوم على حد سواء نظروا اليه نظرة احترام لاسلوبه الذى اتبعه فى التعبير عن ارائه . وازدادت مكانته فى حيروت قوة . وبعد انتصار الليكود فى انتخابات سنة ١٩٧٧ وصعوده الى الحكم اصبح ارينز رئيسا للجنة الدفاع والشئون الخارجية فى الكنيست .

ولقد صوت ارينز ضد اتفاقيات كامب ديفيد معتبرا ان اسرائيل دفعت ثمنا غاليا لمصر . وان انسحاب اسرائيل من سيناء يعد كارثة . وقد كان مرشحا لشغل منصب وزير الدفاع بعد استقالة عزرا وايزمان سنة ١٩٨٠ . ولكنه رفض الانضمام الى وزارة ملتزمة بمعاهدة السلام المصرية ـ الاسرائيلية اما اليوم فهو يؤيد المعاهدة باعتبارها امرا واقعا . ولقد فسر ارينز معارضته للسلام مع مصر بأنه كان يعتقد ان الثمن الذى دفعته اسرائيل لدخول هذه المرحلة غال جدا . اما الان ، وبعد ان دفعنا الثمن فينبغى ان نبذل كل جهد ممكن لكى نضمن اننا وصلنا الى هدفنا » .

وفى فبراير سنة ١٩٨٢ عين ارينز سفيرا لاسرائيل فى الولايات المتحدة الامريكية ، وقد نجح فى اقامة علاقات طيبة مع رجال الادارة الامريكية وهو يعتبر من افضل من شرحوا وأوضحوا السياسة الاسرائيلية فى الولايات المتحدة . وكان هنالك من يظن ان فترة وجوده فى الولايات المتحدة الامريكية ساهمت فى تليين وجهات نظره المتشددة ولكنه ينفى ذلك .

موقفه من غزو لبنان :

تزعم ارينز الاتجاه الذى يرى ان تعدد الاطراف التى تلعب أدوارا متعارضة فى لبنان يجعل من الدور الاسرائيلى دورا مشروعا بحكم الأمر الواقع . ويرى هذا الاتجاه ايضا انه ليس هناك مصلحة لامريكا فى التورط فى الأزمة اللبنانية باعتبار ان لبنان قد انتهى ، ولذا فيجب على الحكومة الامريكية الا تضع القيود امام اسرائيل للقيام بعملياتها العسكرية فى الجنوب اللبنانى .

وصرح ارينز بعد عملية غزو لبنان ان الولايات المتحدة قد ابلغت اسرائيل بالا تغزو لبنان ، ونفى الانباء الصحفية الاسرائيلية التى قالت ان الامريكيين قد اعطوا اسرائيل « الضوء الاخضر » لكى تقوم بالغزو . وأضاف بأن الولايات المتحدة على أى الاحوال تقدر بالفعل الفرص التى اتيحت بالقضاء على القوة العسكرية لكل من منظمة التحرير الفلسطينية ولسوريا من داخل لبنان ، والضربة غير المباشرة التى وجهت الى الاتحاد السوفيتى . واعترف ارينز بأن العملية العسكرية الاسرائيلية قد احدثت تغييرا جيوبولوتيكيا رئيسيا وان الولايات المتحدة هى الطرف الرئيسى المستفيد من هذا التغيير .

اما بخصوص المفاوضات الاسرائيلية اللبنانية فيعتقد ارينز ان هناك مجال كبير للتفاؤل الا انه صرح بأن المحادثات قد تعقدت نتيجة تعدد الاطراف المشاركة ، فبجانب اسرائيل ولبنان والولايات المتحدة ، هناك « الفضوليون » وهم العربية السعودية والاردن ، والاطراف غير المشاركة فى المحادثات مثل السوريين الذين يتوقف فى الواقع عليهم كل شىء ، مع وضع الاتحاد السوفيتى فى خلفية هذا كله .

ولقد نشرت صحيفة الواشنطن بوست حديثا مع ارينز جاء فيه ان المفاوضات الاسرائيلية اللبنانية ليست بمفاوضات من اجل انسحاب القوات الاسرائيلية من لبنان وانما هى مفاوضات حول مستقبل العلاقات بين البلدين . وهكذا عكس ارينز موقف الحكومة الاسرائيلية التى تعطى اولوية لتطبيع العلاقات الاسرائيلية اللبنانية على انسحاب القوات الاسرائيلية من لبنان .

واشار ارينز ايضا الى ان حكومة بيجين على اقتناع بأن سلطات بيروت لن يتسنى لها قبل مضى وقت طويل ان تحافظ على الامن فى جنوب لبنان دون مساعدة اسرائيل ، وقال ان اقامة علاقات طيبة بين الحكومتين تعد امرا جوهريا للحفاظ على الاستقرار فى لبنان . وذكر ان البلدين تستطيعان التوصل الى اتفاق بينهما ، بما فى ذلك انسحاب الجيش الاسرائيلى خلال مدة زمنية قصيرة ، غير أن المشكلة تتمثل فى انسحاب القوات السورية . ولقد دعا ارينز الى التفاؤل والصبر وقال ان الهدف الرئيسى لاسرائيل هو التاكد من ان لبنان لن يعود قاعدة للنشاط الارهابى ضد اسرائيل وان تعود لبنان دولة حرة مستقلة . فهو يرى ان اسرائيل يجب ان تركز على هدفها المبدئى الذى شنت من أجله الحرب وهو تامين مستوطناتها على الحدود الشمالية فاذا حدث ان انسحبت القوات الاسرائيلية من لبنان وعادت اليها منظمة التحرير الفلسطينية فسيكون فى ذلك نهاية للبنان ونهاية لاى أمل لعودة الاستقرار الى المنطقة .

سياسة المستوطنات الاسرائيلية :

دافع ارينز عن سياسة المستوطنات الاسرائيلية واعلن انه لا يوافق الرئيس الامريكى ريجان على رأية فى أن هذه السياسة كانت عقبة فى سبيل السلام . وقال انه يود ان يذكر الرئيس ريجان بأن تسعة عشر عاما

مصت في الضفة الغربية تحت الحكم الاردني لم توجد خلالها اي مستوطنات اسرائيلية ، ورغم ذلك لم يكن هناك سلام ، ولم يأت الملك حسين ليناقش فكرة السلام . واضاف ارينز ان المستوطنات اليهودية تمثل الان حوالي ٣٪ من السكان ، وهنا يتساءل قائلا هل يمكن ان يكون ذلك عقبة في سبيل السلام ؟

وفي حديث مع ممثلي المستوطنات في الضفة الغربية قال ارينز انه يؤيد توسيع الاستيطان اليهودي في الضفة والقطاع ، واضاف انه يجب ايجاد الظروف الملائمة لاقامة مصانع في المستوطنات بحيث يتم تشغيل اسرائيليين فيها فقط .

مشاركة الاردن في المفاوضات :

لقد رفضت الحكومة الاسرائيلية مبادرة الرئيس الامريكي ريجان التي دعت الى المشاركة الاردنية في مفاوضات الحكم الذاتي مع اسرائيل ومصر والولايات المتحدة . ويرى ارينز ان نمط صنع السلام في الشرق الاوسط قد ارسى قواعده الرئيس بيجين والرئيس الراحل انور السادات الذي ذهب الى القدس لاجراء مفاوضات مباشرة وبدون اي شروط مسبقة . فعلى الملك حسين الآن ان يتبع نفس الأسلوب . وهنا يقول ارينز ان هذا قد يكون صعبا على الملك حسين وقد يكون غير متحمس له ، ولكن ليس هناك مفر . يجب عليه الذهاب الى القدس أو دعوة الرئيس بيجين للذهاب الى عمان لاجراء مفاوضات بدون شروط مسبقة مثل وقف بناء المستوطنات الاسرائيلية في الاراضي المحتلة .

واشار ارينز الى ان اسرائيل ترى ان الدول العربية لن تتفاوض الا بعد أن تقتنع باستحالة التغلب على اسرائيل بالقوة .

العلاقات الاسرائيلية ـ الامريكية :

علقت جريدة بالتيمورصن الامريكية على تعيين موشي ارينز في منصبه الجديد قائلة انه لم يحدث ان ارتبط مسئول كبير في القدس بروابط وثيقة مع الولايات المتحدة منذ أن تولت جولدا مائير رئاسة الوزراء اكثر من موشي ارينز وزير الدفاع الاسرائيلي الجديد . والسؤال الآن هو هل سيجعله ذلك وزير دفاع لين الجانب مع صانعي السياسة الامريكية على النقيض من ارييل شارون وزير الدفاع السابق ؟ هناك شك في ذلك . واضافت الجريدة قائلة ان ارينز يمكن ان يتحدث مثل الامريكيين ويفهم وجهة النظر الامريكية تجاه العالم ، ولكنه يعد من الصقور ، فيما يتعلق بأمن اسرائيل . فهو مثله مثل مناحم بيجين وارييل شارون يعارض مبادرة الرئيس ريجان للتوصل الى اتفاق حول الضفة الغربية لانه كما أعلن في خطاب القاه في شهر سبتمبر الماضي في بالتيمور بأمريكا ان مبادرة الرئيس ريجان ستجعل اسرائيل تتخلى عن أراض داخل اسرائيل ذاتها .

كان ارينز يعبر عن آرائه اليمينية ومنها ان المستوطنين الاسرائيليين في الضفة الغربية ما هم الا مثل الرواد الامريكيين الأوائل الذين اتجهوا غربا ، اما الفلسطينيون فلقد شبههم بالهنود الحمر ، وقال انهم سوف يلاقوا نفس المصير .

قد يتبادر الى الذهن ان كونه سفيرا سابقا في الولايات المتحدة قد جعله اكثر اعتدالا . فصحيح انه اقترح يوما تجميد عملية بناء المستوطنات في الضفة الغربية لمدة ثلاثة اشهر ولكنه شرح هذا الاقتراح بعد ذلك على انه كان مجرد تكتيك لتحسين المناخ العام قبل الزيارة الرسمية التي قام بها بيجين الى وشنطن بعد عملية غزو لبنان .

صرح ارينز خلال اجتماع مجلس الوزراء الاسرائيلي بأن الاعوام المقبلة ستكون حاسمة بالنسبة لمستقبل العلاقات بين اسرائيل والولايات المتحدة الامريكية ، واضاف ارينز في بيانه عن العلاقات بين الدولتين ان موقف واشنطن حيال اسرائيل يعتبر حاليا اكثر ايجابية مما كان عليه في بداية عملية غزو لبنان .

ان المشكلة في رأي ارينز تتمثل في أن لدى بعض المسئولين الامريكيين افكارا مثالية حول السرعة التي يمكن بها الوصول الى حل تفاوضي في لبنان .. وقد صرح ارينز في اول حديث يجرى معه منذ اعلن ترشيحه بأن الولايات المتحدة قد استفادت من المكاسب العسكرية التي حققتها اسرائيل في لبنان . الا انه اضاف ان هناك بعض الاشخاص في الحكومة الامريكية ممن يرغبون في الحصول على المكاسب ومضايقة اسرائيل في نفس الوقت .

وأعلن ارينز ان اسرائيل والولايات المتحدة اتفقتا على وضع خطة لتبادل المعلومات التي حصلت عليها اسرائيل اثناء عملية غزو لبنان . وقال ارينز في حديث لمجلة التليفزيون كيبل نيوز انه من المؤكد ان هذه المعلومات ستصل الى الولايات المتحدة سريعا .

كما اشار ارينز الى ان اسرائيل والولايات المتحدة حليفتان وثيقتان للغاية على الرغم من وجود بعض الخلافات التي لا مناص منها .

ويعتقد المراقبون ان اكبر مصدر لقوة ارينز تكمن في ادراكه ان الامن الاسرائيلي يمكن ان يخدم بطريقة افضل عن طريق التعامل مع الولايات المتحدة وليس ضدها . ويرى المراقبون في اسرائيل ان اسوأ شيء

يمكن ان يقال عن تعيين ارينز فى منصب وزير الدفاع هو ! اسرائيل خسرت بذلك سفيرا ممتازا فى الولايات المتحدة .

يختلف ارينز عن سلفه شارون فيما يتعلق باستقلال اسرائيل عن الولايات المتحدة . فارينز وخاصة منذ ان عمل فى واشنطن ، زاد اقتناعه بان العلاقات يجب ان تكون وطيده بين البلدين . كما ان التاييد الامريكى يعتبر امرا حيويا بالنسبة لاسرائيل لاكثر من سبب ، ولضمان هذا التاييد فان على اسرائيل ان تقبل حلولا وسطى فى امور ليس فيها تهديد لبقائها واستمرار وجودها .

اما شارون فيرى ان امريكا فى حاجة الى اسرائيل مثل ما اسرائيل فى حاجة الى امريكا بل واكثر . ان البلايين التى تحصل عليها اسرائيل كمعونة تعتبر ثمنا بخسا ، فى راى شارون ، لما ياخذه الامريكيون خاصة والغرب عامة من اسرائيل فى المقابل .

لقد ظهر ارينز فى وسائل الاعلام الامريكية واستطاع ان يصد هجوم المعلقين الذى واجهوه باسئلة من الصعب الاجابة عليها مثل المبادىء الاخلاقية فى حرب لبنان وضرب المدنيين وقذف بيروت وسياسة الاستيطان الاسرائيلية . وكان عليه ان يشرح ايضا تصلب اسرائيل وعنادها بخصوص مبادرة الرئيس ريجان للسلام . لقد اختلف المراقبون معه فى تفاصيل حجته ولكنهم اجمعوا على انهم امام صوت عاقل وله قدرة فائقة على الاقناع .

من اقوال موشى ارينز :

– « لم يكن والدى سعيدا بعودتى الى اسرائيل واراد ان اقيم فى الولايات المتحدة الامريكية واصبح مليونيرا ، ولكن كان لزاما على ان اعود . »

– « عندما يسالنى الناس لماذا عدت الى اسرائيل سنة ١٩٤٨ ؟ اجيب ولماذا لم تعودوا انتم ؟ لقد جئت من ليتوانيا حيث حطم الالمان كل شىء ، ٩٥ ٪ من اليهود ابيدوا . وكانت الفرصة الاخيرة سنة ١٩٤٨ التى كان على اليهود ان يثبتوا انهم قادرين على البقاء . »

– « برغم ان هناك تعاطف وتاييد لاسرائيل فى الولايات المتحدة ، الا ان هناك ايضا تحيز قوى ضد اسرائيل . وهذا يقلقنى . »

– « من الاهمية بمكان ضمان بقاء الشعب اليهودى . وخاصة انى شهدت محاولات لتصفيته فى حياتى . »

– « ان ممارسة الضغط على اسرائيل عن طريق فرض عقوبات اقتصادية عليها ليست بسياسة فعالة بل تأتى بنتائج عكسية فان دولة على استعداد للتضحية بفلذات اكبادها من اجل امنها ستكون بالتاكيد على استعداد للتضحية [illegible] فاهميتها الاقتصادية كذلك . »

– « اننى احب اسرائيل ، فهى اعظم دولة صغيرة فى هذا العالم . »

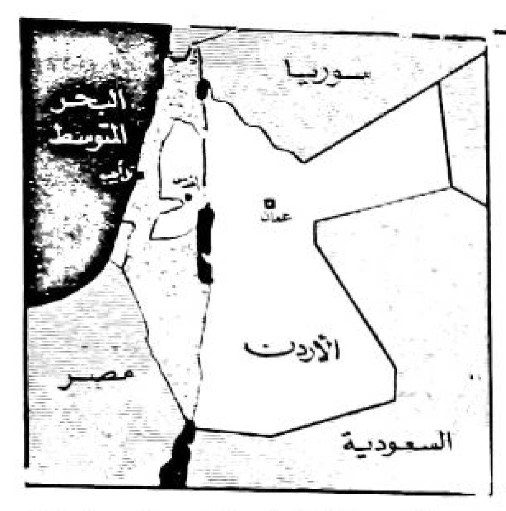
السؤال المطروح الآن هو هل سيؤدى تعيين ارينز فى تغيير فى سياسة اسرائيل الدفاعية ؟ وهنا يـ[illegible] القول ان سياسة اسرائيل قد تعرض باسلوب مختلف ولكن بدون اى تغيير يذكر . اى ان ارينز سوف يعبر عن اراء مشابهة فى مضمونها لسلفة شارون ولكن باسلوب مختلف تماما . فاذا كان هناك وجه للمقارنة بين شارون وارينز فيمكن القول ان كلاهما من الصقور المتشددين الذين اظهرت اراؤهم فى بعض الاحيان رئيس الوزراء بيجن وكانه من المعتدلين . ولكن بخلاف شارون ، يرى المراقبون ان ارينز ليس عنده تعطش للسلطة وقد قالها بصراحة ان اكثر ما يمتعه هو العيش فى اسرائيل وتصميم الطائرات .

وفيما يتعلق بشروط الانسحاب الاسرائيلى من لبنان سوف يطالب ارينز بالحد الاقصى ، ولكنه قد يكون اكثر مراعاة للمواقف الامريكية واللبنانية عن سلفة شارون .

قد يعطى ارينز قوة دفع لمشروع الطائرة المقاتلة الاسرائيلية (لاف) وسيدعو الى الاسراع بانتاج الاسلحة محليا . ان ارينز يدخل وزارة الدفاع الاسرائيلية بتاييد مطلق من بيجين الذى رشحه من قبل لهذا المنصب كما يتمتع ارينز ايضا بتاييد كل اعضاء الحكومة الذين يروا اهمية المفاوضات بمشاركة الولايات المتحدة . هذا بالاضافة الى التاييد الشعبى الكبير له والثقة المتزايدة التى يحظى بها ارينز من قبل قوات الجيش الاسرائيلى .

ولكل هذا سيكون باستطاعة ارينز ان يصد اية محاولة لشارون لفرض رايه كوزير بدون وزارة فى الحكومة الاسرائيلية . ان عدم قدرة شارون على كسب صوت واحد فى صفه تبين مدى عزلته فى الحياة السياسية الاسرائيلية .

يمكن القول انه لا يوجد اى أساس للاعتقاد بأن استقالة اريل شارون من وزارة الدفاع وتعيين موشى ارينز لهذا المنصب سوف تلين مواقف اسرائيل المتشدده اذ لايوجد اى شىء فى ماضيه يبرر هذا الاعتقاد . بل يمكن القول ان وزير الدفاع الجديد اكثر حنكة فى الموضوعات المتعلقة بامن اسرائيل . ان الخط السياسى الذى يتمسك به ومنه السعى الى ضم المناطق المحتلة الى اسرائيل والاستمرار فى سياسة بناء المستوطنات سيجعله احد العناصر الخطيرة فى الحكومة الاسرائيلية . هذا بالاضافة الى ان وجود موشى ارينز على راس وزارة الدفاع واسحاق شامير فى الخارجية ليس من شانه ان يدخل تغييرات جذرية فى خيارات حكومة بيجين التى تتمسك بدورها باللاءات الثلاثة : (لا) لمشروع فهد ، (لا) لمشروع السلام العربى ، و (لا) لمبادرة الرئيس ريجان . ▭



الاقتصاد الاسرائيلى وأعباء الدفاع

صفاء جمال الدين

لقد أصبح لتزايد أعباء الدفاع خاصة بعد حرب ١٩٧٣ تأثيرا هاما على الاقتصاد الاسرائيلى . بيد انه لو استطاعت اسرائيل اجراء تخفيض نسبى فى نفقات الدفاع أو اجراء تعديل أو تغيير مافى استراتيجيتها أوتبنى استراتيجية أخرى فى هذا المجال تتناسب مع ظروف المجتمع الاسرائيلى ، فربما استطاعت من خلال ذلك ان تخفف من حدة الضغوط التضخمية المتزايدة على اقتصادها ، أو التخفيف من حدة العجز فى ميزان المدفوعات ، وربما استطاعت أن تخصص مزيدا من الموارد للتنمية والرخاء ورفع مستوى معيشة المواطن الذى يعانى بشدة من الضغوط المتزايدة علية مع تزايد الانفاق من جانب الدولة على الأغراض الحربية دون غيرها .

عبء الدفاع والميزانية :

ان تشخيصا صحيحا لمشكلات الاقتصادى الاسرائيلى فى أواخر الستينات وحتى يومنا هذا يتطلب فهما لتطور هام فى هذه الفترة الا وهو الزيادة الكبيرة فى العبء الحقيقى للأمن على الاقتصاد ، وبالتالى زيادة النفقات الحربية خاصة بعد حربى ١٩٦٧ ، ١٩٧٣ . فاسرائيل تنفق ثلث ميزانيتها او اكثر على الدفاع .ففى عام ١٩٧٧ مثلا بلغ اجمالى الميزانية المخصصة لذلك حوالى ١,٧ مليار دولار من اجمالى الميزانية العامة . زادت الى ٢,٣ مليار دولار تقريبا فى عام ١٩٧٨ . اما فى عام ١٩٨٠ فقد بلغ نصيب النفقات العسكرية حوالى ثلث الميزانية ، كما زادات النفقات المحلية لوزارة الدفاع فى هذا العام بنسبة ١٥٪ بالحجم الحقيقى بالمقارنة مع عام ١٩٧٩ ، وبالاضافة الى المساعدات الامريكية بلغت نفقات الوزارة حوالى ١٥ ــ ١٨٪ من الناتج القومى الاجمالى

وبالرغم من جملة التخفيضات فى الميزانية التى جرت فى أوائل عام ١٩٨٢ ، الا انه تم الاتفاق بين كل من وزير المالية ووزير الدفاع . اطار ميزانية الوزارة لعام ١٩٨٣ والتى تبلغ ١,٥ مليار دولار مضافا اليها المساعدات العسكرية الأمريكية ، وقد جرى الاتفاق بين الوزيرين على أن تسرى هذه الميزانية لمدة خمس سنوات .

وهذا وقد أصبحت النفقات الدفاعية فى السنوات الاخيرة تشكل طبقا لتصريحات أمنون نويفاك بوزارة المالية حوالى ٢٠٪ من الناتج القومى الاجمالى فى اسرائيل ، فى حين كانت تتراوح فى الخمسنيات مابين ٦ ــ ٨٪ فقط ، كما تضاعفت الطاقة البشرية فى المؤسسة العسكرية ثلاث مرات فى الخمسة عشرة سنة الأخيرة مقابل زيادة بنسبة ٥٠٪ فى جميع القطاعات الأخرى خلال هذه الفترة ، وتضاعف نصيب الفرد من هذه النفقات واصبح يمثل اربعة أضعاف مثيله فى دول حلف الاطلنطى وخمسة اضعاف مثيلة فى دول حلف وارسو . ويأتى ذلك فى جانب منه على حساب النمو الاقتصادى ومستوى المعيشة طالما بقيت مشكلة الأمن بالمفهوم الاسرائيلى للأمن م... نسبية للحفاظ على وجود الدولة .

ومن الواضح ان اسرائيل لاتستطيع وحدها تحمل عبء كهذا لفترة طويلة ، ومن هنا فانها تعتمد فى تحمل جانب من هذا العبء على الولايات المتحدة ، وعلى ماتقدمة لها من المساعدات بعضها فى شكل هبات وبعضها الاخر فى شكل قروض ذات شروط ميسرة عند السداد لكن جزاء بارزا من المعونة الامريكية يبقى قروضا بفائدة يجب تسديدها ، اما القول بأنه يتم تأجيل جزء من عبء التسديد للمستقبل فهو قول مردود ، حيث أن تسديد الفائدة فقط على بقية الدين الخارجى يبلغ أكثر من ١,٥ مليار دولار فى السنة ، كما تشكل قروض المساعدة الامريكية نسبة كبيرة من مجموع الزيادة فى ديون الدولة الخارجية ففى عام ١٩٧٩ مثلا زادت الديون الخارجية بالمقارنة مع عام ١٩٧٨ بحوالى ٣,١ مليار دولار ، شكلت قروض المساعدة الامريكية ٨١ ٪ من مجموع هذه الزيادة ، وبالاضافة الى ذلك فقد بدأت اسرائيل بالفعل فى أوائل

العام الحالي تسديد الديون الخاصة ببعض القروض التي حلصت عليها من الولايات المتحدة عام ١٩٧٣ ، وان كان ذلك في اجماله لاينفي اهمية الجزء الذي يمنح في صورة هبات وخاصة الهبات العسكرية والدور الذي تلعبة في تحمل جانب من العبء الحربي .

عبء الدفاع والواردات الامنية :

لقد تجمعت عدة عوامل وظروف سياسية واقتصادية عديدة أدت في النهاية الى ان اصبحت الواردات الاسرائيلية تشكل عبئا ثقيلا على الاقتصاد منها طبيعة هذا الاقتصاد كاقتصاد غريب ومفروض في المنطقة ، الى جانب عدم استقرار السلام في المنطقة ، فاذا كان فائض الواردات المتزايد يمثل احد المشكلات الاقتصادية الهامة فان عبء الدفاع يعد سببا رئيسيا لهذا الفائض المتزايد ، وهناك ايضا عوامل أخرى لتزايد الواردات مثل طبيعة هيكل الاقتصاد وفقره في الموارد الطبيعية مما ادى الى تزايد الاعتماد على الواردات الاجنبية التي تأتي من الدول الاخرى خاصة واردات الطاقة والوقود .

ويوضح موشي زنبار مدير بنك اسرائيل مدى ضخامة عبء وردات الدفاع على الاقتصاد فيقول : في ضوء ميزانية عام ١٩٧٦ كان من المفروض ان تستورد الدولة ماقيمته ٧,٨ مليار دولار وتصدر ماقيمته ٤ مليار دولار بما يولد عجزا تجاريا صافيا قيمته ٣,٨ مليار دولار ، وقد كانت واردات الدفاع تستحوذ فقط على ١,٨ مليار دولار من اجمالي الواردات فاذا تم خصم قيمتها من قيمة اجمالي الوردات المقدرة لتلك السنة فقط ، فقد كان العجز التجاري الصافي المقدر سيكون ٢ مليار دولار فقط . وهذا العجز يقل بما قيمته ١,٨ مليار دولار عن العجز المتولد في الميزان مع وجود الواردات الدفاعية المقدرة بما سوف يترتب عليها من تزايد التبعية ولكن ذلك لايعني ان العبء الحقيقي للدفاع يكمن في الوردات الامنية فقط ، ولكنه ينتج ايضا عن التكلفة المحلية الباهظة على الاغراض الحربية كما سبق ايضاحه .

مواقف وزراء الليكود :

لقد حاول بعض رجال الاقتصاد في اسرائيل التخفيف من حدة هذا العبء على الاقتصاد والذى لاتغطى المساعدات الامريكية سوى جزءا منه مما ينتج عنه وقوع الدولة فريسة للدين الخارجي ، ولكن لم تنجح تلك الجهود في التخفيف من حدة هذه المشكلة عن طريق بعض السياسات المالية والاقتصادية التي استهدفت ضغط مستوى المعيشة ، وتخفيض النفقات العامة .. الخ فعلى سبيل المثال حاول ايجال هورفيتش وزير المالية السابق معالجة الوضع الاقتصادي ... في أواخر السبعينات من خلال مقترحات محددة استهدفت اساسا الحد من النفقات الحكومية وخاصة ميزانية الدفاع وغيرها من الاجراءات الا ان مقترحات هوروفيش قوبلت بالمعارضة الشديدة وبالتالي أحيلت للمناقشة امام الحكومة بكامل اعضائها ، وقد أدت معارضة وايزمان الى استقالته من منصبه كوزير للدفاع في اواخر مايو ١٩٨٠ وهددت بحدوث أزمة وزارية في ذلك الوقت داخل الحكومة الاسرائيلية .

هذا وقد تركز الخلاف بعد ذلك بين هورفيش من جهة والمؤسسة العسكرية ممثلة برئيس الاركان روفائيل ايتان من جهة اخرى ، وفي حين طالب ايتان بالابقاء على الميزانية الحربية بدون أية تخفيضات للحفاظ على حجم الجيش بل وزيادة حجم الميزانية لمواجهة الاخطار المتوقعة المحدقة باسرائيل (كما كان يراها رئيس الاركان) طالب وزير المالية في المقابل بتخفيض نسبة كبيرة من ميزانية الدفاع وبالتالي لم تكن تلك الازمة الوزارية تتمثل في موقف وزير الدفاع وحده ، وانما كانت تعكس موقف رئيس الاركان كما سبق ايضاحه وموقف اكثرية قيادة الجيش التي رفضت التخفيضات تماما فمن وجهة نظر هؤلاء تصبح هناك ضرورة دائمة في المدى القصير لمضاعفة النفقات الحربية باستمرار ، كضرورة للاحتفاظ بجيش قوي وللمحافظة على ميزان القوى في المنطقة لصالح اسرائيل .

وتفتقد وجهة النظر هذه الى الدقة والموضوعية الى حدما في معالجة الامور ، فاستمرار المعدلات المرتفعة للتضخم ، النزاعات العمالية ، و لاضرابات الدائمة ، وجمود الاستثمارات الخارجية ، وانخفاض فائض العملة الصعبة ، وازدياد الديون الخارجية وفوائدها في اسرائيل ، وتزايد العجز في ميزان المدفوعات وخاصة في الجانب غير المدني ان كل ذلك وغيره قد يجعل المسار السلبي للاوضاع الاقتصادية والامنية اكثر سرعة . ففي وضع كهذا ستتزايد الهجرة من اسرائيل ، وفي النهاية مهما كان الجيش قويا فانه سيتضرر من سوء الاوضاع الاقتصادية وموجات الهجرة والاهتمام بالاعتبارات العسكرية والامنية دون غيرها من الاعتبارات الاقتصادية الهامة الاخرى .

ومما تجدر الاشارة اليه انه في حين حاول هورفيش وزير المالية السابق تخفيض مخصصات الانفاق الحربي في الميزانية ، فان يورام اريدور وزير المالية الحالي لايحاول على العكس من ذلك المساس باطار الميزانية العسكرية بل اكثر من ذلك فان اريدور

يعتقد بأن الزيادة فى جانب الاستيراد الأمنى هى زيادة حيوية لأمن الدولة . ففى حديث أجرته معه صحيفه هارتس الاسرائيلية فى شهر يونيه الماضى اثناء الغزو الاسرائيلى للبنان يقول وزير المالية :

ان الزيادة فى عجز ميزان المدفوعات فى السنوات الأخيرة لاتعكس القدرة الاقتصادية لاسرائيل فقد حدثت هذه الزيادة بسبب الزيادة فى الاستيراد الامنى وواضح الآن تماما اكثر منه فى الماضى ان هذه الزيادة كانت حيوية لأمن الدولة ، وبالتالى فان الذين يوجهون نقدا لزيادة الاستيراد الأمنى ينسون أن المقصود ليس فقط الانفاق المالى بل الاموال التى توفر دماء . اما عن المخرج الذى يراه وزير المالية مناسبا للتخلص من تزايد العجز فى ميزان المدفوعات (وهو مالا يتحمس له اريدور بشدة) ، وفى نفس الوقت المحافظة على التفوق الحربى للجيش الاسرائيلى فيتلخص فى ضرورة العمل على اسقرار العجز التجارى المدنى وبذل الجهود اللازمة لمنع زيادة هذا العجز ، بالاضافة الى الاستعانة بعناصر خارجية فى شكل منح وهبات لامداد اسرائيل بالمساعدات التى تستطيع من خلالها تحمل سباق التسلح فى الشرق الأوسط .وبالطبع فان اريدور يعنى بتعبير (العناصر الخارجية) الولايات المتحدة فى المقام الاول ويعنى بتحمل سباق التسلح فى الشرق الأوسط ضرورة المحافظة على توازن القوى فى المنطقة لصالح اسرائيل وتضييق الفجوة بين القوة العسكرية لبلدان المنطقة من جانب واسرائيل من الجانب الاخر .

واذا كانت خبرة السنوات السابقة قد أثبتت فشل السياسة الاقتصادية فى مجال مكافحة العجز التجارى المدنى بل انه يتضح من مشروع ميزانية عام ١٩٨٣ ان العجز المدنى سيزيد هذا العام بحوالى ٣٧٠ مليون دولار فبالتالى يصبح المجال الوحيد المتاح هو المطالبة بمزيد من المساعدات خاصة الامريكية للحفاظ على التفوق الحربى للجيش ، وطالما ان هذا التفوق يوافق المصالح الامريكية فى المنطقة فلا مناص من زيادة حجم المساعدات العسكرية وبالذات الجزء الذى يمنح فى صورة هبات ، وهو ماحدث مؤخرا بالفعل حين صادقت لجنة المساعدات الخارجية فى مجلس النواب الامريكى عام ٨٣ بمقدار ٣٠٠ مليون دولار منها ٢٠٠ مليون دولار فى شكل هبة ١٠٠ مليون دولار فى صورة قرض ، واصبح بذلك حجم المساعدات الاجمالى ٢,٥ مليار دولار منها ١,٧ مليار قيمة المساعدات العسكرية ، وازداد بذلك ايضا حجم الهبة فى المساعدات العسكرية من ٥٥٠ مليون دولار الى ٧٥٠ مليون دولار .

وربما يقودنا ذلك الى أن الاختلاف فى موقف كل من وزيرى المالية السابق والحالى تجاه مسالة اعباء الدفاع انما يرجع الى الاختلاف بينهما فى كيفية معالجة كل منهما للمشكلات الاقتصادية ، والأولويات التى يضعها فى حل هذه المشكلات . فيورام أريدور مثلا يحاول التغلب على الصعوبات الاقتصادية الملحة دون ان يهتم بزيادة العجز فى ميزان المدفوعات ، فى نفس الوقت الذى يهتم فيه بشدة بتحقيق خفض معين فى التضخم فى المدى القصير . فسياسة اريدور تغذى الجمود الاقتصادى ، ولاتعطى الاهتمام اللازم لتجديد النمو ، وتجديد معدلات الاستثمار ، مما قد يعرض القطاعات الانتاجية لاضرار كبيرة كما قد يعرض الاقتصاد لمخاطر القضاء على المخزون الراسمالى والتقدم التكنولوجى الذى يعيشه المجتمع الاسرائيلى الآن .

وربما يعود الاختلاف فى موقف كل منهما الى ان يورام اريدور ينطلق من وجهة النظر التى تركز على الجانب الايجابى لهذه النفقات من ناحية تأثيرها على الاقتصاد من عدة زوايا منها مثلا التأثيرت الايجابية لقطاع الصناعات الحربية وتنشيطه للقطاعات الأخرى المتشابكة معه وامتصاصه لجانب كبير من القوى العاملة ، ومن ناحية ماتدره هذه النفقات من عائد على الاقتصاد نتيجة صادرات السلاح ومايترتب على ذلك من دعاية لاسرائيل فى الخارج ، فضلا عما قد يترتب على هذه الصادرات من علاقات خارجية مع دول أخرى تهتم اسرائيل من الناحية الاستراتيجية باقامة علاقات معها مثل ايران وبعض الدول الافريقية الأخرى ، كما ينطلق وزير المالية من زاوية الاثار الايجابية لهذه النفقات على الاقتصاد من وجهة النظر الاسرائيلية فى حالة القيام بحرب مثل غزو لبنان وماقد يترتب على مثل هذا الغزو من توسع فى المنطقة أو زيادة فى صادرات السلاح أو تزايد فى اعداد الهجرة الى داخل اسرائيل ، أو اقامة معاملات خارجية فى ظل علاقات طبيعية مع هذه الدولة وغيرها من الاثار الايجابية من وجهة نظر الاسرائيلين .

واذا كانت هذه الاثار تخضع لظروف ومتغيرات عديدة لتحقيقها قد تخرج عن نطاق الغزو نفسه الا ان ذلك لايمنع اريدور من التفاؤل والنظر الى الجوانب الايجابية ثم مكافأة وزارة الدفاع وتعويضها فيما بعد باصدار قرار بزيادة ميزانيتها لتعويضها عما انفقته ، وهو ماحدث بالفعل فى اعقاب غزو لبنان حين قررت وزارة المالية تخصيص ميزانية اضافية لتغطية نفقات الغزو بحوالى ١,١ مليار دولار على أن تضاف هذه الميزانية الى ميزانية وزارة الدفاع على مدى عامين

والامنية فقط

خاتمة :

وفى النهـاية فإن تناول مـوضوع أعبـاء الدفاع على الاقتصاد الاسرائيلى يقودنا إلى الملاحظات التالية :

اولا : بينما نجح الاقتصاد الاسرائيلى فى تحقيق نمـو سريع وفى تخصيص أجزاء متزايدة من الناتج القـومى للاحتياجات الحربية خـلال الخمسـينات والسـتينات وحتى حرب ١٩٧٣ بسبب تدفق رؤوس الاموال بصورة مطردة واتبـاع سـياسة اقتصـادية حـافظت على اسـتثمارت فى أغلب الأحيان على حسـاب الميزانيات الحربية وحافظت فى نفس الوقت على معدل نمو سنوى للاقتصاد يقدر بحوالى ٨،٥٪ فى الفتـرة مـن ١٩٦٤ – ١٩٧٢ وعلى نسبة تتـرواح مـا بين ١١ – ١٩٪ مـن الناتج القومى الاجمالى كمخصصات للدفاع فان هـذه الصورة تغيرت بعد حرب ١٩٧٣ حيث تباطأت معـدلات النمـو فى الاقتصـاد الاسرائيلى وانخفضـت معـدلات الزيادة السنوية فى الناتج القومى الاجمـالى وتقلصت استثمارات التنمية على حساب زيادة الانفاق الامنى .

ثانيا : يخشى الخبراء العسكريون فى اسرائيل المجازفة أو التعرض لهزيمة عسكرية مهما كان حجمها لذا فـانه يتم دائما منذ حرب ١٩٧٣ تخصيص الحد الاقصى مـن الموارد فى المدى القصير لاغراض الأمن والدفاع كما إنه عند القيام بأى حـرب مثـل غزو لبنان يتـم تجـاهل الاعتبارات الاقتصادية والاهتمام بالاعتبارات العسكرية والامنية فقط

ثالثا : ان الأزمة الاقتصادية والمشـكلات المتـردية فى الاقتصاد ذات الانعكاسات الهامة على الأوضاع الأمنية قد ادت فى السنوات الأخيرة إلى طرح مـوضوع الأمـن والدفاع لنقاش اكثر علانية وإلى إثارة الخلافات حـول المسـائل الامنية ودعوة البعض الى إعادة النظـر فى مخصصات الدفاع وضرورة تقليصـها وتقليص حجـم القـوات البشرية فى الجيش الاسرائيلى حتـى يسـهل استئناف النمو الاقتصادى وضمان قدرة دفاعية أكبر فى المستقبل وكلها مسائل لم يكن ممكنهامن قبـل تناولهـا وربما يقود ذلك فى المسـتقبل إلى اتجـاه اسرائيل إلى اجراء تغيير أو تعديل فى استراتجيتها الحربية وربمـا تتجه فى المدى الطويل إلى تبنى اسـتراتيجية أخـرى فى هذا المجال أو الاتجاه نحو تخفيض النفقات الدفـاعية لاطلاق قوة بشرية ومادية كبيرة للاسـتثمارات والنمـو فقد بدات بعض الاراء التى تدعو لتقليص هذه النفقـات تجد جانبا من الاستجابة . ففى هذا الصدد مثـلا قـرر وزير الدفاع السابق تخفيض حجـم القـوات الاسرائيلية بمقـدار ٥٠٠٠ – ٦٠٠٠ شخص فى عام واحـد حتـى ابـريل ١٩٨٣ وأعلن ان هؤلاء سـيؤخذون مـن الجيش الدائم والمدنيين والموظفين كمـا قـرر وزير الدفـاع الحـالى تقليص حجم الادارات الامنية ومـن يدرى مـاذا يحمله المستقبل من تغيرات اخرى خاصة مـع تـوقيع اتفـاق بالتعاون الاستراتيجى بين امريكا واسرائيل □



بيان المجلس الوطنى الفلسطينى
فى ضوء البرنامج السياسى المرحلى للمنظمة

ضياء رشوان

يعد البرنامج السياسى المرحلى لمنظمة التحرير الفلسطينية ، احد وثيقتين اساسيتين يتشكل الموقف والفعل الفلسطينى على ضوئهما ، والوثيقة الثانية هى الميثاق الوطنى الفلسطينى الذى اقرته الدورة الرابعة للمجلس الوطنى الفلسطينى ف القاهرة عام ١٩٦٨

وقد كان اللجوء الى صياغة برنامج سياسى للمنظمة ، مسألة ضرورية بالنظر الى المتغيرات الجديدة ف القضية الفلسطينية ابان مرحلة مابعد حرب اكتوبر ١٩٧٣ ، والتى صاحبها بعض الاختلافات الفلسطينية حول مايجب عمله . فكان ان شكلت اللجنة التنفيذية للمنظمة ، لجنة للحوار الوطنى ضمت الأمناء العامين لكافة المنظمات الفدائية ، وممثلا عن الجبهة الوطنية ف الأرض المحتلة ، حيث توصلت اللجنة الى صياغة برنامج من عشر نقاط تم عرضه على الدورة الثانية عشرة للمجلس الوطنى التى عقدت ف ١٩٧٤/٦/١ حيث تم اقراره .

والبرنامج السياسى بصورته الأخيرة يتمتع بسمات اساسية : فهو يعد استجابة وثائقية لمرحلة ذات طبيعة ومتغيرات محددة ، وهو يشكل الاطار العام الذى يجب ان يستوعب العمل الفلسطينى بداخله على اساس نقاطه العشرة ، كما انه بذلك يتمتع بالزام يفوق اى قرار آخر من قرارات مستويات المنظمة المختلفة ، حيث انه حصيلة الحد الادنى للاتفاق بين فصائلها المختلفة

وبذلك الفهم لطبيعة البرنامج ، فانه من المتاح — بل والمطلوب — تحليل القرارات التى اتخذها المجلس الوطنى الفلسطينى ف دورته السادسة عشرة التى عقد ف الفترة من (١٤ــ١٩٨٣/٢/٢٢) على ضوء نقاط البرنامج العشرة ، وسوف يتجه ذلك التحليل الى محاولة تحديد نقاط ثلاثة :

الأولى : اكتشاف مدى التزام المجلس الوطنى بالحد الادنى للعمل المنصوص عليه فى البرنامج

الثانية : تحديد الطبيعة العامة للقضايا المتغيرة ف الموقف الفلسطينى ، والتعرف على المؤثرات الكامنة وراء التغيير

الثالثة : فهم آثار ذلك التغير على العمل الفلسطينى ، وعلى تطور القضية ذاتها

اولا : قرارات المجلس الوطنى ونقاط البرنامج السياسى :

بقراءة بيان المجلس الوطنى ، فى ضوء كل نقطة من نقاط البرنامج الرئيسية يمكن اكتشاف مدى الالتزام بها وقضايا التغير فى الموقف الفلسطينى :

— تنص النقطة الاولى فى البرنامج على رفض قرار الأمم المتحدة رقم ٢٤٢ انطلاقا من تعامله مع القضية كمشكلة لاجئين ، وطمسه الحقوق الوطنية والقومية للشعب الفلسطينى ، ولا يختلف البيان كثيرا فى ذلك فهو يعلن قبول المجلس الوطنى لقرارات الأمم المتحدة التى تؤكد الحقوق الوطنية الثابتة غير القابلة للتصرف للشعب الفلسطينى

— تثير النقطة الثانية عددا من القضايا ، فهى اولا تعلن عن تعدد اساليب النضال الفلسطينى وعلى رأسها الكفاح المسلح . ويأتى بيان المجلس ليؤكد ذات المعنى ، وان اوضح تفصيلا ان اسلوب النضال يعتمد على ثنائية « الكفاح المسلح والعمل السياسى » ومن ناحية ثانية تحدد تلك النقطة الهدف الأساسى للنضال الفلسطينى فى : تحرير الأرض الفلسطينية ، فى الوقت الذى يطرح البيان مفهوم (الأرض المحتلة) . وفى الحالتين لم يتضح المقصود بهذه الأرض تحديدا ، مما

يلقى شبهة الاختلاف بين البرنامج والبيان ، ومن ناحية ثالثة فان تلك النقطة تحدد الهدف الثانى للنضال الفلسطينى فى اقامة سلطة الشعب الوطنية المستقلة المقاتلة ، ويتفق البيان على نفس الهدف مع اسقاط صفة (المقاتلة) عن تلك السلطة المستقلة

– تعد النقطة الثالثة من اهم نقاط البرنامج ، ومن المناسب قراءة نصها كاملا : تناضل منظمة التحرير ضد اى مشروع كيان فلسطينى ثمنه الاعتراف ، والصلح والحدود الآمنة ، والتنازل عن الحق الوطنى ، وحرمان شعبنا من حقوقه فى العودة ، وحقه فى تقرير مصيره فوق ترابه الوطنى

وبمراجعة بيان المجلس ، نجده قد اضاف شرطا جديدا لقبول اى مشروع ، وهو وحدانية تمثيل المنظمة للشعب الفلسطينى ، ورفضه لأى مشروع يمس ذلك الحق عبر اى صيغة كالتفويض او الانابة ، او المشاركة فى حق التمثيل

الا ان البيان يعتمد بعد ذلك فى تحديد موقفه من المشروعات المطروحة للتسوية على ذلك الشرط المضاف بشكل رئيسى مع التجاوز عن بعض الشروط التى صاغها البرنامج ، فهو يقبل كلا من المشروع العربى للتسوية ، ومشروع بريجينيف ، بالرغم من احتوائهما على معظم محظورات البرنامج ، مثل الاعتراف الصريح او الضمنى ، والحدود الآمنة والصلح .

كما ان البيان يرفض مشروع ريجان ، بمنطق عدم تلبيته للحقوق الوطنية الفلسطينية ، وعدم اعترافه بوحدانية التمثيل لمنظمة التحرير ، دون الاشارة الى تضمنه كافة المحظورات السابقة وهى اساسية فيه

– وتتناول النقطتان الخامسة والسادسة شكل العلاقة مع الأردن وهى تتحدد على اساس شعبى فقط حيث النضال المشترك مع القوى الوطنية الأردنية لاقامة جبهة وطنية اردنية – فلسطينية ، هدفها اقامة حكم وطنى ديمقراطى فى الأردن يتلاحم مع الكيان الفلسطينى ويتبنى البيان مفهوما جديدا للعلاقة يتخلى فيه عن الصدام مع النظام الأردنى والتعاون الاحادى مع القوى الوطنية الأردنية ، ويطرح موقف التعاون مع الأردن بنظامه وحدوده القائمة ، ويحدد بدقة مفهوم « التلاحم » ، بأنه يقوم على اسس كونفدرالية بين دولتين مستقلتين .

ثانيا : التغير فى الموقف الفلسطينى (الطبيعة – المؤثرات) :

يشير الاستعراض السابق ، الى وجود درجات متفاوتة من ابتعاد قرارات المجلس الوطنى عن نقاط البرنامج السياسى . ويظهر ذلك التباعد فى عدد من القضايا التى تتركز فى محورين :

□ الاول ويشمل القضايا التى يختلف فيها البيان تماما عن البرنامج ويدخل فيها : اسقاط صفة « المقاتلة » عن السلطة الوطنية الفلسطينية المرجوة ، وقبوله لمشروعى فاس وبريجينيف ، وفى تحديده لطبيعة العلاقة مع الأردن ، واضافته لشرط وحدانية التمثيل لقبول اى مشروع للتسوية

□ الثانى ويتضمن القضايا التى لا يتضح فيها التباعد بشكل سافر ، ولكنه يتحمل تعدد التفسيرات وهى : الموقف من قرارات الأمم المتحدة ، ومفهوم الأرض التى تستهدف المقاومة تحريرها

وبصدد البحث عن تفسير اسباب ذلك التباعد بمحوريه فان نوعين رئيسيين من المؤشرات يمكن الحديث عنهما : الأولى تأتى من مضمون وصياغة البرنامج السياسى ذاته ، والثانية تعود الى التطورات الجديدة التى شهدتها القضية الفلسطينية فى الفترة التالية لصياغة البرنامج

– فمضمون وصياغة البرنامج قد ساهما الى حد كبير فى خلق ذلك التباعد وخاصة فى المجموعة الثانية من القضايا ، فلقد احتوى البرنامج على عدد من المفاهيم التى لم يحددها بشكل واضح لا يقبل التأويل ، فالبرنامج – على سبيل المثال – لم يشر بشكل واضح الى حدود الأرض الفلسطينية المراد تحريرها ، وتركها تتراوح مابين كامل التراب الفلسطينى وبين جزء او آخر من ذلك التراب . وعلى ذلك فقد طرح البيان مفهوما ، هو ايضا غير محدد المعالم (مفهوم الأرض المحتلة) والذى وكما تشير لغة القضية الفلسطينية يعنى تلك الأرض التى احتلت بعد ١٩٦٧ فقط .

كما ان النص فى النقطة الثالثة على تحديد سمات المشروعات التى ترفضها المنظمة ، فقد جاء هو الآخر يحتمل اكثر من تفسير فظاهر النص يعنى رفض اى مشروع يكون ثمنه كل تلك المحظورات معا ، فى حين ان تفسيرات اخرى قد ترى ان توافر محظور واحد ، كالاعتراف يكون كافيا لرفضه

على ذلك النحو كان لعدم تحديد المضمون والصياغة فى بعض نقاط البرنامج اثره فى عدم تحديد الالتزام الفلسطينى بها ، واللا تحديد ، ليس بالضرورة ظاهرة سلبية فى البرنامج ، فالبرنامج السياسى عادة ما يحتوى على نقاط واسعة عامة ، ويرجع ذلك الى طبيعته كاتفاق على الحد الادنى بين اطراف متعددة لا يمكن تطابق اهدافها جميعا ، كما ان قدرا من المرونة يكون مطلوبا لمواءمة التغيرات فى تطور القضية . ولكن يبقى ان عدم التحديد والمرونة يجب الا يمتدا الى القضايا الاساسية لنضال المقاومة ، فتلك يجب الاستقرار

الواضح على تحديدها ، ومن هنا فان عدم التحديد بصدد قرارات الأمم المتحدة يكون مقبولا ، اما امتداده الى مفهوم الأرض المراد تحريرها ، او فى شروط القبول بمشروعات التسوية ، وهى صلب النضال الفلسطينى ، فانه يعبر عن وضع سلبى كانت آثاره واضحة الى حد ما فى صياغة القرار الفلسطينى فى المجلس الوطنى

– يبقى ان مضمون وصياغة البرنامج ، ايا كان عدم التحديد فيها ، ليست هى الفاعل الاصلى وراء التباعد بين نقاط البرنامج وقرارات البيان ، فلاشك ان ما استجد من متغيرات على ساحة الصراع العربى – الصهيونى ، فى الفترة التالية لصياغة البرنامج يعد الأساس الحقيقى للتغير فى الموقف الفلسطينى ، فقد تضافرت تلك المتغيرات لتضفى على القضية الفلسطينية طابعا مختلفا ، ولتدخل الصراع مرحلة جديدة شكلت ابعاد التغير الفلسطينى

– فقد ساهمت مشروعات الصلح ، مابين بعض الأنظمة العربية واسرائيل بدءا من فك الاشتباك الأول فى سيادة ما يسمى مرحلة « الواقعية العربية » والتى كان اساسها قبول وجود اسرائيل كدولة معترف بها فى اطار المنطقة ، وان اختلف هذا الاعتراف من صريح فى اتفاقية كامب ديفيد ، او ضمنى فى المشروع العربى للتسوية

– كما ان الاختلال الواضح فى التوازن الاستراتيجى فى المنطقة لصالح اسرائيل ، والذى دعم من قدرة الدولة الصهيونية على فرض احلامها فى المنطقة ، وهو الأمر الذى كان غزو لبنان منعطفا خطيرا فى تأكيده ، قد ادى الى افراط الأنظمة العربية فى « واقعيتها » ، وقبولها تدريجيا بعناصر المفهوم الاسرائيلى للتسوية

– ويضاف الى ما سبق ، ذلك التزايد فى الدور الأمريكى داخل المنطقة ، والذى اعطى بانحيازه الكامل لمصالح اسرائيل ، وقدرته على الضغط الفعال على الأنظمة العربية ، دفعا جديدا لقوى (الواقعية) ورسخ كثيرا من تصوراتها حول حل الصراع ، وخاصة قبول مبدأ التفاوض عبر الاعتراف .

كل تلك العوامل – وغيرها – تفاعلت لتحاصر المقاومة الفلسطينية معنويا وماديا ، وكان التخاذل العربى المقترن بشراسة الآلة العسكرية الصهيونية ، ابان حرب لبنان ، من قبيل اجبار المقاومة لكى تتنازل عما يسميه عرب السبعينات « بالتطرف الفلسطينى » ، ولتكون اكثر قبولا بالواقعية العربية الجديدة ؟ !

وتكون المحصلة الأخيرة ان تضطر المقاومة ، التى تشكل جزءا من المحيط العربى الأوسع ، ان تستجيب ، بصراحة او مواربة لتلك الضغوط ، وتأتى قرارات مجلسها الوطنى متناقضة مع برنامجها السياسى ، الذى يعد الى حد ما تعبيرا عن مرحلة ذات سمات وتفاعلات مختلفة ، كانت تسمح له بأن يتبنى بعض المفاهيم التى اصبحت فى القاموس الجديد للقضية تعنى التطرف ومن هنا ، فان تفسير بعض قضايا التباين بين البرنامج والبيان ، يعود الى ذلك التحليل ، فاسقاط صفة « المقاتلة » عن السلطة الوطنية الفلسطينية ، يبدو منطقيا فى ظل الواقع الجديد الذى يضغط باتجاه تحويل المنظمة الى كيان سياسى يقبل المفاوضة كما ان القبول بمشروعى فاس وبريجنيف ، بالرغم من تناقضهم الواضح مع البرنامج خاصة فى الاعتراف والحدود الامنة لايبدو غريبا فى ضوء ان ذلك هو الموقف العربى الاجماعى الان بصقوره وحمائمه خاصة اذا وضع فى الاعتبار ذلك القدر الهائل من الضغوط الذى يمارسه كل هؤلاء – او يمكن يمارسوه – على المقاومة الفلسطينية وهى فى الشتات الجديد بعد خروجها من بيروت .

ثالثا : اثار تغير الموقف الفلسطينى ..

على ضوء المعطيات السابقة فان التساؤل عن اثار التغير الفلسطينى يبدو مشروعا ومنطقيا او الاجابة يمكن لها ان ترصد ثلاثة اثار رئيسية : –

□ فقرارات المجلس الوطنى قد دشنت دخول المقاومة الفلسطينية الى مرحلة سبق لكافة الانظمة العربية دخولها وهى التجريبية او التعامل مع الواقع كجزئيات كما هى دون الالتزام بخط استراتيجى واضح فامتداد النظر الى ماقبل البرنامج السياسى الى حيث الميثاق الوطنى الفلسطينى وملاحظة التطور المتراكم للمواقف الفلسطينية حتى بيان المجلس يؤكد تلك النتيجة فالمقاومة الان تتبنى اطروحات جديدة تكاد تنسف اى التزام بهاتين الوثيقتين . فمن الاصرار فى الميثاق الوطنى على أن الكفاح المسلح هو الطريق الوحيد لتحرير فلسطين « مادة – ٩ » وان الثورة الفلسطينية ترفض كل الحلول البديلة عن تحرير فلسطين تحريرا كاملا « مادة – ٢١ [illegible] الاقرار فى البرنامج السياسى بأن النضال بهو ضال بكافة الوسائل : على رأسها الكفاح المسلح « مادة – ٢ » وليحل « تحرير الارض الفلسطينية « مادة – ٢ » محل كامل التراب الفلسطينى واخيرا يعلن بيان المجلس ، ان النضال يعتمد على الكفاح المسلح والعمل السياسى « الديباجة » وان الهدف هو تحرير الارض المحتلة « الديباجة » دونما اى تحديد لها .

– ويطرح منطق التجريبية نتيجة اخرى هامة ، وهى ترتبط بطبيعة تشكيل المنظمة كصيغة جبهوية بين

اطراف عديدة ، فحالة عدم الالتزام بوثائق محددة ومتفق عليها ، تفتح باب الاجتهاد واسعا امام الفصائل وهو الامر الذي يهدد صيغة المنظمة ذاتها .

– واخيرا فان القبول الفلسطيني بالدخول الى مرحلة التجريبية و« اللاوثائقية » بمنطق الحصول على بعض المكاسب للثورة والشعب الفلسطيني انما يواجه عقبات تصل به الى درجة الفشل . فالجانب الاسرائيلي لايزال مصرا على توسعه – ورفض الانسحاب من لبنان حتى الآن يؤكد ذلك – وهو لايقبل المشروعات العربية المستوية حتى في حدودها الدنيا الحالية ، كما ان تهويد الأرض المحتلة وبناء المستوطنات يسير طبقا للخطط الأسرائيلية بدون تغيير .

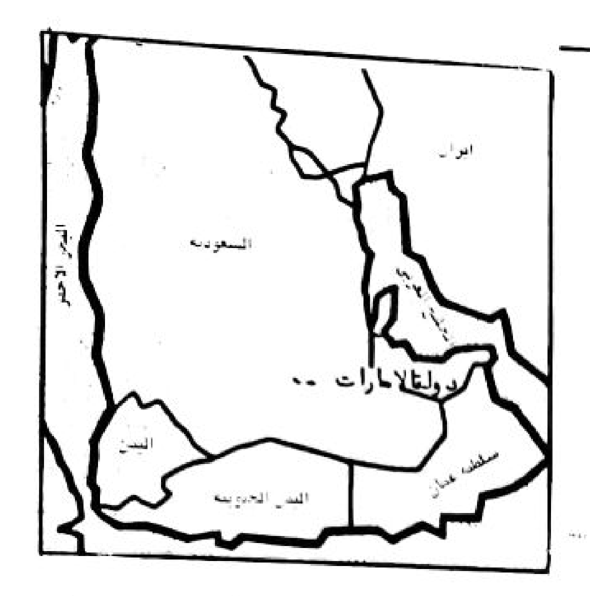
في اللحظة التي لايملك الجانب العربي الرسمي من وسائل الضغط – وما قد يحدثه خفض اسعار النفط وتهوي الأوبك من انهيار لما تبقى من هذه الوسائل – مايمكنه من تحقيق اهدافه المتواضعة .

وفي ظل هذا فان المقاومة قد تجد نفسها مضطرة بعد فترة الى القبول بما هو ادنى مما وصل اليه المجلس الوطني ، ولن يكون لديها مع تزايد التفوق الاسرائيلي ، بديلا عن ذلك ؟!

خاتمة :

لايعني التحليل السابق وخاصة الجزء الأخير منه ان هناك نمطا جامدا لسلوك حركات التحرر الوطني وإرتباطها بوثائقها الأساسية ولكن المسألة هي ان المقاومة الفلسطينية وبحكم طبيعتها تمثل ثورة شعب يبحث عن وطن وعن حقوق وهي ليست نظاما سياسيا او حكومة رسمية وهذا يعني وبالأساس ان اهدافها ومن ثم سلوكها الفعلي يكون مختلفا فالحركات الثورية الا تملك الا ان ترفع اهدافها المثالية القصوى ولايجب ان تتنازل عنها على الأقل في وثائقها ولايعني ذلك ان الثورة تظل جامدة ازاء التغيرات التي يطرحها تطور قضيتها فتلك يجب الأستجابة لها في ضوء التحديد الواضح الدقيق لأهدافها الأستراتيجية بحيث ان تلك الأستجابة لاتعوق تحقيق تلك الأهداف والا فقدت تلك الثورة طريقها واصبحت جزءا من تاريخ وذكريات قديمة . ☐

أبعاد المصالحة العربية بين عمان واليمن الجنوبية



جمال على زهران

في السابع والعشرين من اكتوبر ١٩٨٢ م شهدت « الكويت » توقيع اتفاق بالأحرف الاولى بين كل من دولتى عمان ، واليمن الجنوبية .. وقد وقعه وزيرى خارجية كل من الدولتين بحضور وزير خارجية كل من الكويت ، والامارات العربية .وفى الثانى عشر من نوفمبر ١٩٨٢ تم التصديق النهائى على الاتفاق فى كل من عمان ، واليمن الجنوبية وأعلن الاتفاق رسميا من عاصمتى الدولتين (مسقط ، وعدن) . والواقع انه بهذا الاتفاق فقد بدأ النزاع بين الدولتين فى طريقه نحو الانتهاء . ومن ثم فان التساؤل الرئيسى يدور حول كيفية التوصل الى هذا الاتفاق بين الدولتين ؟ وعلاقة هذا الاتفاق بالوضع العربى العام ثم بالوضع العربى فى منطقة الخليج والجزيرة العربية بصفة خاصة ؟ وحتى نستطيع الاجابة لهذا التساؤل نرى لزاما علينا التعرض لعدة نقاط هامة : اولها مايتعلق بطبيعة النزاع بين الدولتين وتطوراته ، والنقطة الثانية تتعلق بجهود الوساطة العربية لحل هذا النزاع ومراحلها . ثم النقطة الثالثة وتتعلق بمضمون وطبيعة هذا الاتفاق . اما النقطة الرابعة والأخيرة فتتعلق بابعاد هذه المصالحة وانعكاساتها

اولا : طبيعة النزاع بين الدولتين وتطوراته :

ان جوهر النزاع بين هاتين الدولتين بصفة خاصة فى منطقة الخليج العربى يدور حول مسألة « الحدود » وقد لعب الاستعمار البريطانى خاصة فى هذه المنطقة دورا كبيرا فى هذا بهدف جعل هذه المنطقة فى حالة نزاع دائمة وعدم استقرار بما يعوق تحقيق التكامل بين هذه البقعة من الوطن العربى شأنها شأن بقية بقاع المنطقة العربية كلها . ولكن سرعان ماترتب على نزاع الحدود هذا درجة اكبر من النزاع واضحى للنزاع بعد ايديولوجى التباين نظامى الحكم فى الدولتين . وكان لتطور هذا النزاع أن اعطى الفرصة لتدخل دول خارجية فى تزكيته الى الحد الذى استمر خمسة عشر عاما . وترجع بداية هذا النزاع الى الانسحاب البريطانى من منطقة الخليج فى أواخر الستينات فأحدثت فراغا امنيا فى المنطقة كان بداية لاثارة القلاقل ونزاعات الحدود بين الوحدات السياسية فى الخليج . فى الوقت الذى حصلت اليمن الجنوبية على استقلالها فى عام ١٩٦٧ وقامت جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ذات الاتجاه الثورى التقدمى . وعلى الجانب الآخر حيث تشكلت جبهة من الشباب فى اقليم جبل (ظفار) - الواقع على حدود اليمن الجنوبية - وذلك لمقاومة واسقاط نظام الحكم فى عمان الذى كان يقوده السلطان / سعيد بن تيمور ، ثم تحرير عمان من الوجود الاستعمارى البريطانى وعرفت هذه الجماعة من الشباب بتوجهها الايديولوجى ذات النزعة الماركسية الى الحد الذى كانت تستهدف قلب نظام الحكم واقامة نظام حكم ماركسى . وفى يوليو ١٩٧٠ م تم خلع السلطان / سعيد بن تيمور سلطان « مسقط » فى « حركة تصحيحية » قام بها إبنه وبمساندة أطراف خارجية متمثلة بصفة اساسية فى « بريطانيا » ومن ثم تولى السلطان قابوس بن سعيد الحكم بدلا من والده . واعلن توحيد البلاد وتغيير اسمها من سلطنة مسقط الى سلطنة « عمان » وتحرك تجاه الثوار طالبا التفاهم معهم بهدف التعاون من اجل اصلاح البلاد مما يستلزم المصالحة والتعايش بين جميع ابناء الشعب وعرض « قابوس » أن يشترك معه الثوار فى المسئولية وفى شغل عدد من المناصب الوزارية . ولم يتمخض هذا عن شىء رغم قبول البعض من الثوار واستجابوا لمنطق « قابوس » ونزلوا من معاقلهم فى جبال ظفار واقتنعوا بالوضع الجديد . مما قاد السلطان قابوس بعد ذلك باكثر من عام فى محاولة السيطرة على جبال ظفار ومواجهة « الثوار » فى الوقت

الذى بدأ هؤلاء تلقى مساعدات وتدعيم من نظام اليمن الجنوبية الذى فتح البلاد امامهم للهرب من سلطنة عمان وقام النظام العدنى بتدريبهم ومن هنا زادت حدة نزاعات الحدود .. فقد كانت البداية مجرد نزاع على منطقة ، حدود ، انتقلت الى نزاع يحكمه بعد ايديولوجى .. فقد تلاقت جبهة تحرير ، ظفار ، بتوجهها الماركسى مع نظام حكم اليمن الجنوبى فكان الاخير مدعما لها فى مواجهة نظام الحكم العمانى . فتعمق الخلاف بين عمان ، وبين اليمن الجنوبية وصلت الى حد الاشتباكات على الحدود بين ان وآخر .. ووقعت اشتباكات الاسبوع الاول من مايو ١٩٧٢ بعد لجوء عدد من ثوار جبهة تحرير اقليم ظفار الى اليمن الجنوبية ، ثم تكررت الاشتباكات فى ١٩٧٤ ، وفى عام ١٩٧٥ ، وايضا فى اكتوبر ١٩٧٨ م ، وفى مايو عام ١٩٧٩ م ، ثم فى سبتمبر ١٩٨٠ وكذلك فى فبراير ١٩٨١ ، وايضا فى مارس ١٩٨٢ م . وعلى اية حال كانت هذه الاشتباكات فى حدها الادنى مجرد مناوشات وتهديدات بسيطة ، ولم تتخط فى حدها الاقصى مجرد هجوم واحد بالطائرات من عمان على بعض القرى القريبة من حدودها فى اقليم ظفار . ورغم ذلك فان هذه الاشتباكات كانت تشكل تهديدا للمنطقة بأسرها خاصة لاصطباغها ببعد ايديولوجى . على الرغم ـ ايضا ـ من تمكن السلطان قابوس من القضاء نهائيا على الثوار فى جبال ظفار واستعادة الاقليم واتمام توحيد البلاد وذلك فى عام ١٩٧٥ وفر جزء كبير من هؤلاء الثوار الى اليمن الجنوبية . ومثل هذه الاشتباكات ونزاعات الدولتين تتفاقم فى الوقت الذى حاولت جهود الوساطة شق طريقها لحل النزاع بين الدولتين .

ثانيا : جهود الوساطة لحل النزاع : ـ

إن اهم سمة بداية لجهود الوساطة أنها لم تخرج عن الاطار العربى منذ بدايتها ورغم تعثرها طويلا دون ان تصل الى شىء سواء اكانت جهودا فردية أم جهودا جماعية .. الا انها توصلت فى النهاية الى اتفاق الدولتين على حل مابينهما من نزاعات وبوساطة عربية خليجية . وفى الحقيقة انه قد بذلت جهود كبيرة وتوسطت اطراف عربية متعددة . وذلك طوال فترة النزاع . وقد بدأت جهود الوساطة الجامعة العربية نظرا لاشتعال القتال فى جنوبى سلطنة عمان واليمن الجنوبية . وقد شكلت الجامعة لجنة توفيق عربية من / مصر ، وسوريا ، والجزائر ، والكويت ، وتونس ، وليبيا ، بناء على قرار لوزراء الخارجية العرب خلال ابريل / ١٩٧٤ م وذلك لايجاد تسوية للخلاف بين عمان ، واليمن الجنوبية . وتم وضع برنامج عمل لهذه اللجنة للاتصال بالاطراف . واستمر عملها نحو الشهرين ثم سرعان ماتوقف لمدة [illegible] شهور تقريبا ثم عاودت الاجتماع ثانية فى يناير / ١٩٧٥ م ثم رفضت اليمن الجنوبية استقبال اللجنة فتجمد عملها حتى اجتماع وزراء الخارجية العرب فى اكتوبر ١٩٧٥ وبحثوا الوضع المتوتر بين الدولتين لمحاولة ايجاد صيغة بين البلدين للانتقال الى مرحلة متقدمة يمكن ان تتم فيها تسوية الموقف بينهما واعداد صيغة مصالحة بين الحكومة العمانية وبين جبهة تحرير عمان .. ولم تسفر المناقشة عن نتيجة إيجابية فاضطر وزراء الخارجية الى التوصية باستمرار لجنة جنوبى عمان السابق تشكيلها فى مساعيها لتحقيق هذا الفرض / وعموما : فان جهود الوساطة الجماعية من خلال الجامعة العربية لم تسفر عن اى شىء .

★ وبالنظر الى جهود الوساطة الفردية اى من قبل دولة عربية ما : فانها قد بدأت بوساطة الرئيس السودانى / جعفر نميرى حيث قام بزيارة البلدين خلال فبراير / مارس / ١٩٧٧ لوضع حد لخلافهما واكد الرئيس نميرى فى حديث لصحيفة القبس الكويتية فى (١٩٧٧/٣/٢٤) انذاك ـ ان نتائج وساطته بين عمان وعدن ـ انه لن يكون هناك قتال بين عمان ، وعدن ـ وان القطرين يعملان على ازالة الرواسب بينهما . والواقع ان محاولة الرئيس نميرى لم تخرج عن كونها محاولة للتقريب بين وجهتى نظر الدولتين واقتصرت على مجرد زيارته لكلتا الدولتين فحسب .

ـ ثم بدأت دولة « الكويت » فى بذل مساعيها وحدها للوساطة بين الدولتين فى فبراير ١٩٨٠ الا انها لم تصل الى شىء حتى منتصف مايو ١٩٨٠ ، ثم انضمت (الامارات) الى الكويت بعد عام من المحاولة الاولى وفى ابريل / ١٩٨١ بدأت جهود الدولتين (الكويت والامارات) فى بذل مساعيهما لحل النزاع بين الدولتين ، وقد بدأت الوساطة بزيارة عدن ، ثم لعمان .. بتشكيل فريق عمل من وزيرى خارجية الدولتين لتوضيح وتأكيد ان شعب المنطقة سيتفهم المخاطر التى تثيرها القوى العظمى وانهاء الخلاف بين البلدين فى مصلحتيهما معا . ولكن هذه المحاولة ايضا لم تسفر عن شىء بل زاد التوتر بين الدولتين .. فى نفس الوقت اشترط رئيس اليمن الجنوبية ـ حتى تتم المفاوضات ـ ان تلغى عمان اتفاق التسهيلات العسكرية مع الولايات المتحدة بينما لم يشترط الجانب العمانى اى شىء سوى علاقات حسن الجوار . ولما باءت هذه المحاولة بالفشل وزاد التوتر بين الدولتين

فان هذا كان حافزا لمحاولة جديدة للوساطة من (الكويت ، والامارات) ايضا في يونيو ١٩٨١ واستمرت حتى نوفمبر ١٩٨١ بدون نتيجة حاسمة مما قاد الى محاولة استعانة الدولتين بوسطاء آخرين تمثلوا في (الرئيس الجزائري الاسبق / احمد بن بيلا) وايضا بعض زعماء منظمة التحرير الفلسطينية ولكن ايضا دون جدوى .

وعلى الرغم من ذلك فان الجهود التي بذلتها (الكويت والامارات) وبموافقة مجلس التعاون الخليجي الذي تشكل في نهاير ١٩٨١ م وبقوة دفع من السعودية .. فانها قد اثمرت في النهاية على موافقة الطرفين (عمان ، عدن) على تشكيل وفد لكل منهما على مستوى مديري الادارات السياسية في كلتا الدولتين والاجتماع في الكويت خلال الاسبوع الاول من يوليو ١٩٨٢ واستغرقت المباحثات خمسة ايام وتم الاتفاق في ختام الجلسة يوم ٧ يوليو / ١٩٨٢ على استئناف المفاوضات في وقت لاحق بهدف تطبيع العلاقات بين الدولتين وعلى مستوى وزيري خارجية الدولتين . وكان هذا اول لقاء رسمي بين المسئولين في عدن وعمان منذ استقلال اليمن الجنوبية قبل ١٥ عاما (في عام ١٩٦٧) .

– وبالفعل تم اللقاء المتفق عليه على مستوى وزيري خارجية عمان ، واليمن الجنوبية – حيث التقى كل منهما على رأس وفد من دولتيهما في الكويت وبحضور وزيري خارجية الكويت ، والامارات وقد بدأ هذا اللقاء في ٢٥ اكتوبر ١٩٨٢ واستمر نحو ثلاثة ايام ايضا وكان جدول اعمال المصالحة بين الدولتين يتضمن اربع نقاط رئيسية (تسوية نزاع الحدود ، وقف الحملات الاعلامية ووضع القوات العسكرية الأجنبية ، واقامة العلاقات الدبلوماسية بين البلدين) واسفر هذا اللقاء على التوقيع بالحروف الأولى على اتفاق بين الدولتين في الكويت في السابع والعشرين من اكتوبر ١٩٨٢ . وتم التصديق عليه – كما سبق الاشارة في ١٢ نوفمبر ١٩٨٢ . وخلاصة هذه النقطة ان الكويت والامارات لعبتا دورا هاما ورئيسيا في بذل مساعيهما لحل الخلاف بين الدولتين ورغم تعثرهما طويلا مما استلزم جهدا اضافيا كبيرا وفي ضوء اصرارهما على دورهما الوساطي لحل النزاع فقد نجحتا في تجميع الدولتين والتوفيق بينهما بما يساعد على استقرار وامن منطقة الخليج . ولكن السؤال يبقى ماهو مضمون هذا الاتفاق بين كل من عمان واليمن الجنوبية ؟ .

ثالثا : مضمون الاتفاق بين الدولتين : –

أن اتفاق المصالحة بين الدولتين وفقا لما اعلن فور تصديقهما عليه في ١٢ نوفمبر ١٩٨٢ قد تضمن اربع نقاط رئيسية :

الاولى : التزام البلدين باقامة علاقات طبيعية فيما بينهما على اساس الاحترام المتبادل وعدم التدخل في الشئون الداخلية واحترام السيادة الوطنية لكل منهما وحسن الجوار والتعاون معا وحل خلافاتهما بالطرق السلمية والودية وعدم السماح لاى اعمال معادية تؤدي الى زعزعة الاستقرار والامن بالانطلاق من اراضي البلدين . ومن ثم اتفق الطرفان ايضا على تشكيل لجنة فنية تشارك فيها كل من دولة الكويت ودولة الامارات تعرض امامها جميع الوثائق والمستندات بغرض الوصول الى حل نهائي لقضية الحدود بموجب حدود كل منهما في ٣٠ نوفمبر عام ١٩٦٧ .

والنقطة الثانية : بالاتفاق على عدم السماح لاى قوات اجنبية باستخدام اراضي اي من الدولتين للعدوان والتسلط على البلد الثاني .

والنقطة الثالثة : التزام الطرفين بوقف الحملات الاعلامية من وسائل الاذاعة والتليفزيون والصحافة وكافة انواع الدعاية والنشر الرسمية ضد اى منهما .

والنقطة الرابعة : اتفاق الطرفين على تبادل التمثيل الدبلوماسي ودعم العلاقات الثنائية وفتح مجالات مثمرة للتعاون ويتم الاتفاق بالاتصالات الثنائية على اعلان اقامة العلاقات الثنائية كذلك اشير ضمن المباحثات الى ضرورة عقد مؤتمر قمة بين رئيسى دولة عمان ، واليمن الجنوبية وذلك في اقرب وقت ممكن والملاحظ ان الامر لايقتصر عند حد النص في الاتفاق فحسب بل مدى ترجمة الدولتين لهذا النص .. والواضح انه عقب توقيع الاتفاق اوقفت عدن الحملات الاعلامية ضد عمان ، وايضا اغلقت مكتب جبهة تحرير عمان في عدن – في الوقت الذي يصر فيه الطرف العماني على التمسك ببنود الاتفاق وضرورة تنفيذه سعيا وراء اقرار السلام في المنطقة وعلى الفور اصدرت عمان عفوا عاما لاعضاء جبهة تحرير عمان والمتعاطفين معها والموجودين باليمن الجنوبية ودعتهم الى العودة لبلادهم ولن يتم توقيع عقوبة على الثوار وحددت ٣٠ ابريل / ١٩٨٣ م موعدا نهائيا لعودتهم .

رابعا : آفاق المصالحة والتحديات المطروحة :

ولاشك ان هذا الاتفاق للمصالحة بين عمان واليمن الجنوبية قد تم في وقت تعاني فيه الأمة العربية من تفاقم حالة التقصير الكامل ازاء احداث لبنان والتدخل الاسرائيلي فيها واحتلال اجزاء واسعة من اراضيها . وايضا بعد احداث « صبرا وشاتيلا » . بعبارة اخرى

فقد تم توقيع الاتفاق في ظل تحديات كبرى تواجه النظام العربي من اهمها محاولات الاستفزاز الاسرائيلي للادارة العربية دون ان يكون هناك استجابة عربية لذلك التحدي الاسرائيلي . ومن ثم فان هذا الاتفاق قد ابرز عددا من النتائج الهامة وطرح عددا من التحديات لاتقل اهمية عن النتائج المستخلصة .

فيما يتعلق بالنتائج المستخلصة : -

(١) قدرة النظام العربي على حل المنازعات بين وحداته السياسية بالطرق السلمية في اطار تباين الأنظمة العربية دون تدخل من اطراف غير عربية بما يؤكد حيوية هذا النظام الفائقة على حل نزاعاته من الداخل وبالاعتماد على فاعلية النظام العربي ذاته في ضوء مبدأ توزيع الأدوار .

(٢) ان منطقة الخليج والجزيرة العربية اصبحت كتلة واحدة نظرا لما تجابهها من تحديات مشتركة متداخلة الابعاد (بعد اقتصادي - بعد امني - بعد استراتيجي) .. ومن ثم فان الاتفاق وان اكد هذه الحقيقة الا انه يؤكد مدى استعداد الأنظمة العربية - رغم تباينها سياسيا وايديولوجيا - للتعايش وحل المنازعات بالطرق السلمية .

(٣) اكدت الاتفاقية مدى الدور الهام الذي تلعبه الدبلوماسية الكويتية في المنطقة بمساعدة دبلوماسية الامارات بما يصبغ على هاتين الدولتين دورا قائدا بموافقة وتدعيم من السعودية - في داخل منطقة الخليج ويأتي دورها في اتمام هذه المصالحة . متمما لدورها في المصالحة واتفاق الوحدة بين اليمن الشمالية واليمن الجنوبية منذ فترة ليست ببعيدة . ومع ذلك فان فهمنا لدور الكويت في المنطقة ياتي في اطار توزيع الأدوار في ادارة المنطقة بالتنسيق الدائم بينها وبين المملكة السعودية . ولعل الموافقة العلنية لمجلس التعاون الخليجي على جهود الكويت والامارات ، ثم الموافقة فيما بعد على الاتفاق الذي تم خير تأكيد لذلك .

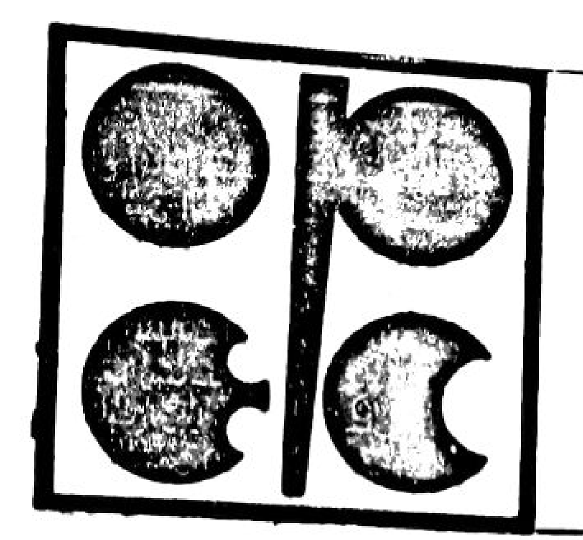
(٤) يعود نجاح الكويت في الاضطلاع بهذا الدور القائد نسبيا ذلك الوضع التوازني لها من الناحية الايديولوجية ، حيث تحتفظ بعلاقات طيبة مع الغرب والولايات المتحدة في نفس الوقت قامت بتبادل التمثيل الدبلوماسي مع الاتحاد السوفيتي وعلاقات طيبة مع الكتلة الشرقية مما كان عاملا هاما في تأثيرها على اليمن الجنوبية ذات التوجه الماركسي ، وعمان ذات التوجه الليبرالي . وذلك الى جانب مؤثر هام وهو البعد الاقتصادى حيث يحتاج الطرفان (عمان ، عدن) الى مساعدات ضخمة ولعل ماتقدمه السعودية ، والكويت والامارات خير ضمان لنجاح هذا الدور التأثيري عليهما .

(٥) لاشك ان هذا الاتفاق قد وفر جهدا كبيرا من مقدرات النظام العربي حيث ان الاستقرار في هذه المنطقة يؤدي الى التركيز على قضايا اخرى ويعبىء النظام العربي تجاه القضية الاصلية وهي الصراع العربي الاسرائيلي .

(٦) اتضح من هذا الاتفاق مدى تغليب دول المنطقة لعنصر المصلحة القومية على الاتجاه الايديولوجي وان قبول اليمن الجنوبية للتعايش وإنهاءها لحركة تحرير عمان والخليج واغلاق مكاتبها لديها في الوقت الذي تتعاون فيه مع السعودية وتحصل على معونات اقتصادية فيها .. الى كل هذا تأكيد للاستنتاج باهمية عنصر المصلحة بشكل اكبر من عنصر الايديولوجية .

(٧) أن هذا الاتفاق جاء ليؤكد تلك الجهود التي تبذل من جانب اطراف عربية مختلفة لعل في مقدمتها المملكة السعودية لحل النزاعات العربية .. وان النجاح بتوقيع هذا الاتفاق سيكون مقدمة لاتفاقيات قادمة من اهمها بين الجزائر والمغرب ، حول الصحراء الغربية ومحاولة ... بين سوريا والعراق . والتساؤل المطروح هو هل يمكن حل (الخلاف المصرى الليبي السوداني) ... هذا النهج ؟!

وعموما وبكل المعايير فان هذا الاتفاق يأتي في صالح المنطقة العربية من كافة الزوايا ومع ذلك فان التحدى المطروح في ظل هذا التفاق هل سيتقلص النفوذ السوفيتي في منطقة الخليج في ضوء هذا الاتفاق ؟ بعبارة اخرى هل ستتمكن منطقة الخليج بقيادة السعودية من استيعاب النظام من اليمن الجنوبية واحتوائه من خلال البعد الاقتصادى وخلق اساليب للتفاهم والتوافق والتعايش معه ؟ ام سيتمكن الاتحاد السوفيتي رغم الاتفاق من استثمار اليمن الجنوبية وسيطا لها في تنفيذ مخططاته في المنطقة والى اى مدى ؟ بعبارة ثالثة : هل انتهى النزاع - نتيجة هذا الاتفاق - الى الابد أم ستظل النيران تحت الرماد تتأجج بفعل عوامل خارجية من هنا او هناك بما يؤثر على امن واستقرار المنطقة ؟ هذا هو التحدى والاجابة عليه ستكشف لنا عنه الفترة القادمة ☐



الأوبيك .. والانهيار الأخير

عبد الفتاح الجبالى

تتعرض منظمة الأقطار المصدرة للبترول « أوبيك » فى الآونة الأخيرة لأخطر ازمة تمر بها منذ نشأتها وحتى الآن . وهى الأزمة الناجمة عن الفشل الذى منيت به فى مؤتمرها الأخير الذى عقد فى أواخر يناير من العام الحالى . وأصبح التساؤل المطروح الآن عن مدى قدرة المنظمة على السيطرة على اسعار البترول فى السوق العالمى وهو الدور الذى كانت منوطة به خلال حقبة السبعينيات وحتى الآن ولاشك ان الاجابة على هذا التساؤل ينبغى ان تبدأ بدراسة التطورات التى حدثت فى السوق العالمى للبترول وتطور دور منظمة الأوبيك فى التأثير على الأسعار وهو الأمر الذى يمكننا من استشراف المستقبل بالنسبة لوجود « الأوبيك » ودورها خلال حقبة الثمانينات »

اولا : تطورات الموقف العالمى من البترول :

اذا ما تتبعنا التطورات التى حدثت فى السوق العالمى للبترول سوف نلحظ على الفور ان الطلب العالمى على البترول قد بدأ منذ عام ١٩٧٩ فى الانخفاض وبصورة سريعة عما كان متوقعا . فبعد ان كان حجم هذا الطلب حوالى ٥٢,١ مليون برميل يوميا فى عام ٧٩ انخفض الى حوالى ٤٩,٥ ، ٤٧,١ ، ٤٥,٤ مليون برميل يوميا فى اعوام ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ على التوالى . ولاشك ان هذا الانخفاض يعود الى العديد من الأسباب منها — على سبيل المثال لا الحصر — الانخفاض الملحوظ فى النمو الحقيقى لمعظم البلدان المستوردة للبترول وذلك كنتيجة للأزمة الاقتصادية التى تمر بها بالاضافة الى حالة الكساد والبطالة التى تمر بها هذه البلدان وارتفاع معدلات التضخم بها .. الخ هذا من ناحية . ومن ناحية اخرى فان الانخفاض فى الطلب العالمى على البترول يعود الى اتباع الدول المستوردة للبترول لسياسات تهدف الى التقليل من الاحتياجات من البترول وذلك عن طريق تطوير وتحسين التكنولوجيات المستخدمة للبترول وطرق ادارتها وزيادة الجهود فى البحث عن بدائل للبترول واستخدام منتجات جديدة اقل استهلاكا للطاقة .

كل هذه العوامل وغيرها ساهمت كثيرا فى تقليل الطلب على البترول . وعلى العكس من ذلك ورغم ان موقف الدول الأعضاء فى « منظمة الأوبيك » كان خفض الانتاج خلال نفس الفترة من ٣١,٤ مليون برميل يوميا الى ٢٧,٤ ، ٢٣,٢ ، ١٩,٣ مليون برميل خلال الأعوام ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ على التوالى . الا ان هذا الانخفاض فى الانتاج كان لا يتناسب مع الانخفاض الملحوظ فى الطلب العالمى على البترول وخاصة اذا اخذنا فى الحسبان ان الدول البترولية الأخرى — الغير اعضاء فى المنظمة — قد زادت من انتاجها من البترول وبالتالى المعروض فى الأسواق من حوالى ١٩,٩ مليون برميل يوميا عام ١٩٧٩ ارتفع الى ٢١,٢ مليون برميل يوميا عام ١٩٨١ . وان كان هذا الرقم قد انخفض فى عام ١٩٨٢ الى حوالى ٢١,٢ مليون برميل يوميا . الا انه مازال مرتفعا وايضا يلاحظ زيادة انتاج البترول فى دول شرق اوروبا والاتحاد السوفيتى الى ١٣,٧ مليون برميل يوميا .

تطور دور منظمة « الاوبيك » :

من المعروف ان منظمة الأوبيك لم تلعب دورا هاما ومحسوسا على الصعيد العالمى الا فى اعقاب اكتوبر ١٩٧٣ . وذلك عندما حصنت الدول العربية من صادراتها للبترول وهو الأمر الذى ادى الى حدوث اضطرابات فى السوق العالمى للبترول وبالتالى الاقبال على شراء النفط من بعض البلدان الاخرى كنيجيريا وايران بأسعار تجاوزت ١٧ دولار للبرميل الواحد هذا مع التذكير بأن السعر المعلن للبرميل من النفط العربى الخفيف كان ٢,٨٩ دولار فى هذه الفترة .

وقد جاء قرار منظمة « الأوبيك » برفع سعر النفط عام ٧٤ لأربعة امثاله ليضرب مثالا هاما لما يمكن احداثه من تغيير ملموس فى ميزان القوى بين الدول الصناعية الغنية والدول المصدرة للسلع الأولية . وهو

ما اتاح آفاقا جديدة لاعادة تشكيل العلاقات الاقتصادية الدولية بين الدول الصناعية المتقدمة والدول المصدرة للسلع الأولية . وقد لاحت فى الأفق امكانيات جديدة لأن تستخدم دول منظمة الأوبيك قوتها الجديدة فى المساومة وتدعيم المطالب الاقتصادية الأخرى لبلدان العالم الثالث ككل مما يساعد فى دعم القوة التفاوضية الجماعية لها .

وظلت اوبيك منذ ذلك التاريخ قادرة على الامساك بزمام السعر المرجعي للنفط الخام فى اسواق التجارة الدولية واستطاعت بذلك تامين العديد من المنافع المادية الملموسة للدول الأعضاء . الا ان هذا النجاح لم يدم طويلا وشهدت الفترة بين ٧٤ ـ ٧٨ تطورات مثيرة على صعيد النفط . وكانت ردود الفعل فى البلدان المستوردة عنيفة وخاصة اذا اخذنا فى الحسبان ان رفع اسعار البترول جاء فى الوقت الذى كانت فيه الدول الأعضاء الصناعية المتقدمة تعانى من مصاعب التضخم والكساد وبوادر الأزمة الاقتصادية .. الخ . وهو ما دفعها الى محاولة التغلب على هذه المشكلة وتمثل ذلك فى تأسيس « وكالة الطاقة الدولية » والتى كان هدفها الأساسى هو تقليل الاعتماد على النفط المستورد من الخارج وهو ما دفعها الى تشجيع عمليات التنقيب عن البترول واستخراجه من الدول الصناعية الغربية وخصوصا من منطقة بحر الشمال بالاضافة الى البحث عن بدائل جديدة للطاقة هذا مع التوسع فى تخزين البترول وزيادة حجم المخزون الاستراتيجى منه . وتدل التطورات اللاحقة على انشائها على انها قد استطاعت ان تحقق نجاحا لا يجوز الاستهانة به او التقليل من شأنه ـ فآخر الاحصائيات المنشورة تشير الى انخفاض الواردات البترولية للدول الأعضاء فيها وعددها ٢١ دولة صناعية فى الربع الأول من عام ١٩٨٢ بنسبة ١٥,٦ ٪ عنه فى الربع الأول من عام ١٩٨١ لتبلغ ٢٢٠ مليون طن مقابل ٢٦١ مليون طن فى الفترة السابقة . كما انخفض حجم استهلاكها من البترول بنسبة ٧٠ ٪ ليبلغ ٣٧١ مليون طن مقابل ٤٠٠ مليون طن خلال نفس الفترة . يضاف الى ذلك الاستثمارات الضخمة التى وجهت الى مجالات الطاقة البديلة « كالطاقة النووية » .

ولاشك ان نجاح وكالة الطاقة الدولية فى تحقيق اهدافها قد ساعد كثيرا فى تدهور موقف الدول الأعضاء فى منظمة الأوبيك وخاصة اذا اضفنا الى ذلك التطورات السياسية التى حدثت وخاصة الحرب العراقية / الايرانية وهى ما ادت الى هبوط مستوى الانتاج فى السوق العالمى فبعد ان كانت صادرات ايران ٦ مليون برميل يوميا وصلت الى حوالى ٢,٥ مليون برميل .

الأمر الذى ادى الى ارتفاع الأسعار فى السوق الفورية للبترول من ١٥ دولار للبرميل الى ٤٠ دولار ، وذلك على الرغم من تغطية السعودية لفارق الانتاج العراقى والايرانى الا ان التطورات فى سوق البترول ـ وخاصة قيام الشركات الكبرى المسيطرة على اسواق البترول باتباع اسلوب التخزين كخطوة احترازية لمواجهة اى احتمالات مستقبلية قد ساعد كثيرا فى رفع هذه الأسعار . هذا بالاضافة الى الانقسامات والاختلافات داخل كل دولة على حدة من الدول الأعضاء فى المنظمة ـ وهو الخلاف الذى يرجع اساسا الى وجود هدف لكل دولة من الدول الأعضاء يتعارض مع الهدف الجماعى للمنظمة

فهدف كل دولة على حدة هو تعظيم عائداتها من البترول الى اقصى حد ممكن وذلك لأن هذه العائدات قد اصبحت المصدر الأساسى فى تمويل مخططات التنمية بها اما الهدف الجماعى لأعضاء المنظمة ككل هو ضبط الأسعار وتأمين الأنصبة التجميعة فى السوق العالمى واخذ زمام المبادرة فى تحديد الأسعار

وبدأ تضافر هذه العوامل مع ظهور بدائل اخرى كالنفط المنتج فى منطقة بحر الشمال والمكسيك . وتدابير الاستهلاك من الطاقة تؤتى ثمارها . وهو ما ادى الى اضعاف « دول الأوبيك » على صعيد القدرة على التحكم فى الأسعار . وبالفعل بدأت اسعار البترول تنحدر حتى نهاية عام ١٩٨١ . وفشلت المنظمة فى توحيد الأسعار وذلك بعد مؤتمر الجزائر ، ومؤتمر بالى فى اندونيسيا فى عام ١٩٨٠ ، الا انها استطاعت فى مؤتمر جنيف ـ اكتوبر ٨١ ـ ان توحد اسعارها عند مستوى ٣٤ دولار للبرميل كسعر اساسى . الا ان التطورات الأخيرة فى سوق البترول تشير الى هبوط الأسعار الى حوالى ٢٩ دولار للبرميل ويرى الكثيرون ان ذلك هو بداية النهاية بالنسبة لقدرة المنظمة على التحكم فى الأسعار فى السوق العالمى .

آثار انخفاض الأسعار على الدول الأعضاء فى منظمة الأوبك :

أ ـ الأثر على استثمارات هذه الدول :

مما لاشك فيه ان اولى آثار انخفاض اسعار البترول هو اثره على عائدات هذه الدول فمن المعروف ان مجرد انقاص دولار واحد للبرميل يمثل بالنسبة لجميع دول الأوبيك هبوطا فى عائداتها السنوية يبلغ ٦,٢٥ بليون دولار .

ولعل اهم ما يميز « الحقبة النفطية الجديدة » خاصة فى العالم العربى منذ ارتفاع اسعار البترول فى نهاية ٧٣ . هو ان الزيادة الكبيرة فى ايرادات

الصـادرات البتـرولية لاتـرجع الى زيادة مقـابلة فى الانتاجية او فى حجم التراكم الراسمالى . وانمـا هـو نتيجة مباشرة للتحسن الكبير والمفاجىء الذى طرأ على معدلات التبادل الخارجى لصالح صادرات النفط ولكن هذا التحسن فى معدلات التبادل التجارى الخـارجى لم يصـاحبه تحـويل لموارد حقيقية مـن الدول الغـربية المستوردة للنفط الى الدول العـربية المصـدرة للنفـط وانما ظهر فى صورة تراكم فوائض فى موازين المدفوعات للدول المصدرة للنفط يتـم اعادة اسـتثمارها فى الدول الغربية . وهو ما ادى الى ادمـاج الاقـطار المصـدرة للبترول فى السوق الراسمالية العالمية . وجدير بـالذكر ان جملة الاستثمارات الخارجية لدول الاوبيك بلغـت فى الفتـرة مـن (٧٤ ــ ٧٨) حـوالى ٣٦٣ بليون دولار منها ٢٠٣ بليون دولار اسـتثمارات طـويلة الأجـل . واصبح هذا الوضع بمكان بحيث يمـكننا القـول بـأن تضخم الفوائض المالية لدى الدول الأعضاء فى منظمـة الاوبيك وخاصة العربية قد ادى الى ضعاف هذه الدول ككيان مستقل وادى الى ادماجها بشكل رئيسى واساسى فى السوق العالمى . هذا بالاضافة الى نمط الاسـتهلاك الذى اتبعته هذه البلدان وتزايد اعتمادها على الخـارج بحيث ارتفع حجم التجارة الخارجية بـالنسبة للناتـج القومى الاجمالى من ٦٠ ٪ فى بـداية السـبعينات الى ٨٨ ٪ فى عام ١٩٨١ . وهى ظـاهرة بـالغة الخـطورة خاصة اذا ربطناها بمستوى هذا التبـادل التجـارى . وهنا تجدر الاشارة الى ان حجم الاسـتهلاك العـربى خلال عام ١٩٧٩ بلغ ١٦٠ مليار دولار امريكى وهو ما يعادل قيمة النفط العربى المنتج خلال نفسة السنة

ب ــ الأثر على الوضع الاقتصادى الداخلى :

لاشك ان خفض اسعار البترول وصادراته يمكن ان تحدث تطورات هـامة وخـطيرة فى هـذه البلدان ويخلق صعوبات شديدة امامها وخاصة ان معـظم هـذه الدول ربطت خطط التنمية التى وضعتها بمقدار هذه العـوائد فاذا لم تتحقق فهـو يعنى مـزيدا مـن الاعتمـاد على القروض الخارجية وخاصة التسهيلات الانتمائية وذلك فى الوقت الذى تزايدت فيه معدلات القروض اصلا فعلى سبيل المثال ادى انخفاض صادرات العراق البتـرولية من ٣,٢ مليون برميل يوميا عام ١٩٨٠ الى اقـل مـن ٦٥٠ الف برميل يوميا حاليا الى مزيدا من القـروض . فقد حصل العراق منذ بداية حربه مع ايران على قروض من السعودية والكويت فقد حصـل العـراق منذ بـداية حربه مع ايران على قـروض مـن السـعودية والكويت وقطر والامارات تبلغ حوالى ٢٥ بليون دولار بالاضافة الى الطلب الذى تقدم به مؤخرا للحصـول على ٧ بليون دولار من هذه الدول بالاضافة الى الاتفاق الذى وقعه مع سوق العملات الاوروبية بقرض قيمته حـوالى ٥٠٠ مليون دولار .

ومثال اخر نيجيريا التى بلغت ديونها حـوالى ٩,٣ بليون دولار ٩,٣ بليون دولار فى منتصـف ١٩٨٢ ثـم قامت اخيرا بسحب اكثـر مـن ٧٤٠ مليون دولار مـن صندوق النقد الدولى فى صورة وحدات حقـوق سـحب خاصة وذلك لدعم احتياطاتها مـن العمـلات الأجنبية التى انخفضت الى ١,٤ بليون دولار فى نهـاية مـارس ١٩٨٢ وهو ما لا يكفى لتغطية قيمة وارداتها عن شـهر واحد . هذا بالاضافة الى القرض الذى قـدمته اليهـا السعودية بحوالى بليون دولار .

ومن هنا فان بعض الخبراء الماليون يرون ان البنوك الامريكية الكبرى سـتكون مـن اكبـر الخـاسرين اذا انخفض سعر برميل البترول بنسبة اكبر من ٥ دولارات لان هذه البنوك قد عقدت لبعض الدول المصدرة للبترول قـروضا تبلغ قيمتهـا الاجمـالية الف مليار دولار . وبالتالى سيكون من الصـعب على هـذه الدول تسـديد ديونها اذا انخفضت مواردها من البتـرول انخفـاضا حادا

منظمة الاوبيك واحتمالات المستقبل :

فى غضون الثلاثة شهور الأولى من العـام الحـالى (١٩٨٣) فشلت الدول الأعضاء فى المنظمة فى الاتفاق على سعر موحد للبترول وذلك للخلاف الشديد الذى برز بين البلدان الأفريقية (ليبيا والجزائر ونيجيريا) مـن جهة والبلدان الخليجية من جهـة اخـرى وذلك بشـأن الفروق التفضيلية للاسعار . فبينما اتفق الأعضاء على خفض الانتاج العام من ١٨,٥ مليون بـرميل يوميا الى ١٧,٥ مليون بـرميل . الا ان هـذا الاتفـاق لم يكلل بالنجاح وذلك لاصرار السـعودية والكويت على ربـط الاتفاق بالفروق التفضيلية التى تحسـب على اسـاس النوعية والقرب مـن الأسـواق حيث طـالبت هـذان الدولتان ومعهما الدول الخليجية بزيادة هـذه الفـروق على النفط الافريقى الخفيف حتى تصل الى ٣,٨ دولار للبرميل الواحد وذلك بدلا من ١,٥ دولارا المعمـول بهـا الا ان الدول الافريقية اصرت على تخفيض الدول الاخرى لأسعارها بحوالى ١,٥ دولار لكل برميل لأن هذه الدول فى وضع افضل منها من الناحية الاقتصادية .

وهكذا فشـلت المنظمـة فى التـوصل الى اتفـاقية للتنسيق بينها فيما يتعلق بالأسعار او الانتاج .

وعقب اعلان هذا الفشل حدث اضطراب فى اسـواق النفط العـالمى وبـدأت الدول تعلن عن خفض اسـعار نفطها الرسمى وتمثلت المبادرة الأولى فى هذا الصدد من

دول خارج اوبيك متمثلا في القرار البريطاني في ١٨ فبراير بانقاص سعر بترولها ثلاثة دولارات في البرميل ـ ومن المعروف انه قد قامت في مارس الماضي باجراء خفض اخر وصل الي ٤ دولارات في البرميل ـ وتلى ذلك قرار النرويج بتخفيض سعر بترولها بحوالي ٣,٥ دولار للبرميل ثم امريكا بحوالي دولار واحد والاتحاد السوفيتي بمقدار ٢,١٥ دولار للبرميل .

ازاء ذلك الخفض المتتالي في اسعار النفط لم تستطع نيجيريا وهي الدولة العضو في المنظمة الالتزام تحت شرعية منظمة الاوبيك واتخذت قرارها الانفرادي بتخفيض سعر نفطها حوالي ٥,٥ دولار للبرميل ويعود ذلك الي تشابه نوعية نفطها الخفيف بنفط منطقة بحر الشمال . وادت حرب الاسعار هذه وسياسة الانتاج في غضون شهر واحد منذ يناير في بداية العام حتى اوائل فبراير الي هبوط في الانتاج الاجمالي للاوبيك للاوبك من حوالي ١٨ مليون برميل يوميا الي مابين ١٤ و١٤,٥ مليون برميل يوميا اي بفارق ٥ مليون برميل في شهر واحد .

ويري الكثيرون ان هذا الفشل يعتبر انهيارا للمنظمة الأوبيك وبالتالي عودة الي تمسك الدول الصناعية المتقدمة لزمام الأمور مرة اخرى . ولاشك ان هذا الرأى يجانبه بعض الصواب لأن حدوث تدهور شديد في الأسعار يؤدي الي العديد من الآثار السلبية ليس فقط على الدول الاعضاء في منظمة الاوبيك ولكن ايضا على الدول المستوردة للنفط فالشركات البترولية ليس من صالحها حدوث انخفاض شديد في الأسعار وذلك لأن التدهور الشديد في الأسعار يمكن ان يؤدي الي اضعاف عائدات استثماراتها وما تجنيه من رسوم علي المبيعات النفطية فعلى سبيل المثال تشير الاحصاءات المحققة الى ان واردات الخزينة في الدول الصناعية الغربية من الضرائب عن مبيعات البترول المستورد بسعر ٣٤ دولار عام ١٩٨٢ قد بلغت ٢٠٠ مليار دولار كان من نصيب الخزانة الامريكية حوالي ٥٠ مليار دولار .
وعلي الجانب الآخر نجد ان خفض دولار واحد من سعر البرميل من البترول يؤدي الي توفير ٦,٥ مليار دولار سنويا في الدول الصناعية . هذا بالاضافة الي ان بعض الشركات التي تقدم المعدات والخدمات للصناعة البترولية ستجد نفسها عاطلة عن العمل وبالتالي مزيدا من المتعطلين يضافون الي قوة العمل العاطلة في هذه البلدان .

هذا من جانب ومن جانب اخر نلاحظ ان الولايات المتحدة الامريكية ـ او بمعنى ادق رأس المال الامريكي ـ هو المستفيد الرئيسي من ارتفاع اسعار البترول وخاصة في صراعه مع رأس المال اليابانى ورأس المال الاوروبى في محاولة القضاء على منافسة رؤوس الاموال هذه في الاسواق الداخلية والخارجية حيث ان رفع اثمان البترول يصيب هذه البلدان ـ سواء التي تستورد كل الطاقة كاليابان او التي تستورد معظم احتياجاتها منها كبلدان اوروبا الغربية ـ وهو الامر الذى يؤدى الى زيادة نفقة الانتاج في هذه البلدان وبالتالي عجزها عن منافسة السلع الامريكية وذلك في الوقت الذى تقل فيه انتاجية العمل في امريكا عن انتاجية في اقتصاديات المانيا الغربية او اليابان .

ولا ننسى في هذا الصدد ان الدول المستهلكة للبترول قد اقرت برامج لانتاج مصادر بديلة من الطاقة سواء انتاجها في اراضيها البترول والغاز . او التركيز على الطاقة النووية وزيادة انتاج الفحم الحجرى . وبالتالي فليس في وسعها التخلي عن منجزاتها في هذه المجالات وتعريض نفسها لخطر مواجهة صدمة بترولية ثالثة في التسعينات . هذا بالاضافة الى التخوف مما يمكن ان يحدثه انخفاض شديد في اسعار النفط العالمي على النظام المالي والنقدى والمرتبط جزئيا بعائدات البترول ، وخاصة اذا اخذنا في الحسبان التأثير المتبادل « لمثلث الرعب » كما اطلق عليه وهو « الدولار والبترول والذهب » على بعضها البعض فمن المعروف ان انخفاض اسعار البترول سيتبعه بلاشك انخفاض في الطلب على الدولار ومن ثم انخفاض في سعره وهذا بدوره يؤدى بشكل مباشر الى ارتفاع في اسعار الذهب وحدوث اضطرابات في اسواق المالي الاوروبي او الامريكى نتيجة لانعكاساته على اسعار الفائدة والنظام النقدى الدولي . وديون العالم الثالث ... الخ

وتأثير منظمة الاوبيك في هذه الأسعار يتوقف علي مدى الاتفاق بين الدول الاعضاء في المنظمة ذاتها والتغلب على الصراعات الداخلية التي نشبت بين الأعضاء وهنا تجدر الاشارة الى ان وزير النفط الايرانى اعتبر فُشل المؤتمر الاخير للأوبيك هو انتصار لايران وقال في مؤتمر صحفى « ان السعودية فقدت تفوقها في اوبيك وبعض اصدقائها انتقل الى معسكرنا »

وهو ما يعني ان الامور علي المسألة بأكملها عبارة عن حرب داخلية بين الدول الاعضاء في المنظمة ، وهي النظرة التي يمكن ان تؤدي الي فشل المنظمة ككل في قدرته علي التحكم في الأسعار وبالتالي انهيار اول تكتل من العالم الثالث يملك زمام الأمور في سوق احدي المواد الاولية التي ينتجها واخذ المبادرة كاملة . وينبغي ان نذكر بأن البترول ثروة نافذة وغير متجددة وبالتالي فالبلدان الاعضاء في اوبيك في سباق مع الزمن للوصول باقتصادها الى مرحلة النمو المستمر وهو المأزق الحقيقى لهذه البلدان .



أفريقيا والمساعدات الاقتصادية الدولية

احمد طه محمد

من الملاحظ فى الفترة الاخيرة تزايد الاهتمام بالمؤتمرات التى تعقد لدعوة الدول المانحة لمساعدة الدول النامية خاصة الدول الافريقية ، ومن اخر هذه المؤتمرات تلك التى انعقدت مؤخرا فى ماسيرو عاصمة ليسوتو فى أواخر يناير ١٩٨٣ لتنسيق التنمية الاقتصادية للجنوب الافريقى ، وكذلك مؤتمرات باماكو وكيجالى والمؤتمر الخاص بتشاد الذى انعقد فى جنيف .

والواقع أن الاهتمام على المستوى الدولى والافريقى بهذه المؤتمرات يتطلب المتابعة لانشطتها وتقييم نتائجها فى مجال العلاقات الدولية ، باعتبار انها تشكل صورة جديدة من صور التعاون الدولى بين الدول المتقدمة والدول النامية ، كما تشكل اهمية خاصة للقارة الافريقية التى تتطلع الى المساعدات الاقتصادية العاجلة لتحقيق التنمية فيها .

ويمكن فى مجال عرض الاتجاه الجديد على مستوى العلاقات الدولية لعقد مؤتمرات الدول المانحة خاصة بالنسبة للدول الافريقية ابراز مجموعة الاطارات التى انعقدت فيها المؤتمرات المشار اليها التى سوف نبرز هنا ما تم فيها .

ومن هذه الاطارات أن ينعقد المؤتمر فى اطار تجمع له هدف سياسى واقتصادى معين بين الدول الاعضاء فى هذا التجمع تدعى له الدول المتقدمة والمانحة للاشتراك لاعلان مساهماتها لتحقيق الهدف من انعقاد المؤتمر — وصورة ذلك المؤتمر الذى عقدته مؤخرا فى ماسيرو فى أواخر يناير الماضى دول تجمع تنسيق التنمية الاقتصادية للجنوب الافريقى .

ومنها أن ينعقد المؤتمر لصالح الدول النامية المستفيدة بتنظيم برنامج الامم المتحدة للتنمية ... الاجهزة الدولية المعنية وذلك فى ضوء توصية ... باريس لعام ١٩٨١ حول البلدان الاقل تقدما وهو المؤتمر الذى اوصى بعقد مثل هذه المؤتمرات ، ويبرز فى هذا الشأن المؤتمر الدولى للدول المانحة الذى انعقد لصالح جمهورية مالى فى باماكو ، وكذلك مؤتمر المائدة المستديرة للمساعدات الاجنبية لرواندا ، وهما المؤتمران اللذان تم انعقادهما فى شهر ديسمبر الماضى هذا فضلا عن المؤتمر الدولى لمساعدة تشاد الذى انعقد قبلهما فى جنيف فى اخر نوفمبر فى مدينة جنيف .

مؤتمر تنسيق التنمية للجنوب الافريقى

انعقد فى ماسيرو عاصمة ليسوتو مؤتمر SA DCC يومى ٢٧ و٢٨ يناير الماضى وسبقه اجتماع على مستوى الخبراء يومى ٢٥ و٢٦ يناير ، ويعتبر هذا المؤتمر هو المؤتمر الرابع لدول تجمع تنسيق التنمية الاقتصادية للجنوب الافريقى

Southern African Developmemt Co - ordinating Conference

وقد سبق ان انشىء هذا التجمع فى ابريل عام ١٩٨٠ ، ويضم فى عضويته كلا من زامبيا وزيمبابوى وانجولا وموزامبيق وتنزانيا ومالاوى وليسوتو وبتسوانا وسوازيلاند .

ويهدف التجمع من الناحية الاقتصادية الى تحرير اقتصاديات دوله من جنوب افريقيا العنصرية حيث تعتمد هذه الاخيرة على استقاء احتياجاتها من المواد الخام والايدى العاملة من هذه الدول واتخاذها سوقا لمنتجاتها الصناعية ، كما يهدف التجمع الى العمل على تحقيق التنسيق والتكامل الاقليمى بين الدول الاعضاء ، كذلك يهدف التجمع من الناحية السياسية إلى مقاومة حركة المشروعات التى يعمل اتحاد جنوب افريقيا العنصرى على اقامتها فى منطقة الجنوب الافريقى والتى يحاول فيه ضم الدول الافريقية المجاورة

وفى مؤتمر التجمع فى ابريل عام ١٩٨٠ قرر رؤساء دول وحكومات التجمع أن يجتمعوا بصفة دورية كل عام مع الدول المانحة والمعاونة فى العالم ، وكان قد عقد الاجتماع الاول فى أروث عام ١٩٧٩ والثانى فى مابوتو عام ١٩٨٠ والثالث فى بلانتير عام ١٩٨١ ، وكان الهدف واضحا فى مختلف هذه المؤتمرات فى العمل على تعبئة الموارد المحلية والاقليمية لتنفيذ السياسات الاقليميه التنسيقية فيما بين الدول الاعضاء ، وفى العمل على خلق تفهم وتأييد على المستوى العالمى لاستراتيجية الدول الاعضاء وتجمعها ، بحيث تهيىء هذه المؤتمرات الفرصة للحكومات والوكالات المانحة لتقديم الموارد الاضافية لبرنامج عمل التجمع .

وقد اهتمت دول مؤتمرات تجمع للنقل والمواصلات بمنطقة الجنوب الافريقى وتدعيم التعاون فى مجالات التنمية الزراعية والصناعية بما فى ذلك الأمن الغذائى والثروة السمكية والرقابة على أمراض الحيوانات ، فضلا عن تنمية مصادر الطاقة والقوى العاملة .

أما الدول المانحة التى اشتركت فى مؤتمرات تجمع الـ SADCC فهى تضم الدول الاوربية (فرنسا وألمانيا الاتحادية وايطاليا وبريطانيا وبلجيكا وهولندا والسويد وسويسرا والدانمرك وايرلندا والبرتغال وفنلندا وكذلك ألمانيا الديمقراطية) ، كما تضم الولايات المتحدة وكندا والبرازيل ، فضلا عن استراليا واليابان والهند ـ كما اشتركت فى المؤتمرات المذكورة مجموعة من المنظمات الدولية والاقليمية ، كبنك التنمية الافريقى والمصرف العربى للتنمية الاقتصادية لافريقيا واللجنة الاقتصادية لأفريقيا وبنك الاستثمار الأوربى ومنظمة الاغذية والزراعة ومنظمة العمل الدولية ومنظمة التنمية الصناعية والانكتاد وغيرها .

وفى مؤتمر ماسيرو الاخير لوحظ ازدياد نسبة الاشتراك من جانب الدول والمنظمات المانحة حيث حضر المؤتمر ثلاثة الاف مشترك الى جانب مندوبى الدول التسع لاعضاء فى التجمع ، حيث اشتركت فى المؤتمر ٢٩ دولة مانحة و٢٣ منظمة دولية .

وفى هذا المؤتمر ركزت دول التجمع على المشروعات الصناعية التى من شأنها المساعدة على تنمية الزراعة وخاصة ما يتعلق بالانتاج الغذائى وتطوير الزراعة من ناحية انتاج الاسمدة والمبيدات الحشرية ومن ناحية تهيئة الميكنة الزراعيه ، أما المجال الصناعى ذاته ، فقد ركزت دول التجمع كذلك على الاهتمام الخاص بصناعات الغزل والنسيج والاسمنت والورق فضلا عن الاهتمام بالطاقة الكهربائية .

وكان الواضح الاهتمام باختيار المشروعات التى من شأنها استثمار رأس المال المتوافر الى أقصى حد لصالح كل دولة من دول التجمع ، وظهر من الدراسات والمناقشات أن هناك مجموعة من المشروعات المعدة للتنفيذ يصل عددها الى ٥٥ مشروعا ، هذا بالاضافة الى ٣٣ مشروعا آخر تحت الدراسة .

وكانت دول التجمع تخطط للحصول من الدول والمنظمات المانحة فى مؤتمر ماسيرو على ثلاثة ونصف بليون دولار لتنفيذ البرنامج الطويل الأجل الذى أعدته دول التجمع والخاص ببناء شبكة مرافق وخدمات هدفها انهاء اعتماد هذه الدول على خدمات اتحاد جنوب افريقيا ، ولكن ما تم الحصول عليه بمناسبة المؤتمر من الدول الغربية وصل الى ٢٠٦,٥ مليون دولار فى صورة هبات وقروض اضافية لدول التجمع ، منها مساهمة الولايات المتحدة التى تبلغ ١٨٠ مليون دولار وهى نفس قيمة المساهمة التى تتقدم بها كل عام الولايات المتحدة فى مؤتمر الـ SADCC

مؤتمر المائدة المستديرة لمساعدة خطة تنمية رواندا :

انعقد فى كيجالى فى الفترة من أول الى ٤ ديسمبر ١٩٨٢ مؤتمر المائدة المستديرة الثالثة للمساعدات الاجنبية من أجل خطة التنمية الثالثة فى رواندا ، وكان الهدف منه هو الحصول على المساعدات الخارجية من معونات وقروض لتمويل المشروعات التى تضمنتها الخطة الثالثة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية فى رواندا لفترة خمس سنوات (من عام ١٩٨٢ الى عام ١٩٨٦) .

وقد اشترك فى المؤتمر ممثلو ١٧ دولة فضلا عن مندوبى ١٧ منظمة من المنظمات الدولية والاقليمية و٨ من المنظمات والمؤسسات المالية والدولية والاقليمية والعربية ـ كصندوق التنمية السعودى ـ بالاضافة الى بعض المؤسسات والشركات الاوربية خاصة الفرنسية والبلجيكية .

وقد برز فى المؤتمر اهتمام الخطة بتوفير الاكتفاء الغذائى والحد من انفجار السكان فضلا عن الاشارة الى الصعوبات التى تعانى منها رواندا من حيث ندرة الاراضى الزراعية وقلة الموارد الطبيعية فضلا عن مشكلات الانغلاق الجغرافى والطاقة والتعليم ، كما برز فى المؤتمر الوضع الاقتصادى الروانـدى الذى ينصب الجانب الاكبر منه على قطاع الامن الغذائى ويعانى من الاستهلاك مع ضعف الدخول الفردية وقلة المدخرات وعدم كفاية رؤوس الاموال .

وعلى الرغم من أن المؤتمر انعقد فى أطار التوصيات

التى أصدرها مؤتمر الأمم المتحدة حول الدول الأكثر تخلفا الذى انعقد فى باريس فى سبتمبر عام ١٩٨١ الا أن الملاحظ أن بعض الدول والمؤسسات التى اشتركت فيه اكتفت باعلان دعوة عامة مع طلب دراسات أكثر تفصيلا عن بعض المشروعات المقدمة ، وان كان البعض الآخر قد قدم وعودا محددة والافصاح عن الاهتمام ببعض المشروعات ، وقد أعلن الصندوق السعودى للتنمية الاستعداد للمشاركة فى تمويل بعض الطرق واحدى المستشفيات ، كما أبدى البنك العربى للتنمية الاقتصادية فى أفريقيا استعداده للمساهمة فى تمويل بعض الطرق .

المؤتمر الدولى للدول المانحة لمالى :

انعقد المؤتمر الدولى للدول المانحة لمالى فى باماكو فى الفترة من ١١ الى ١٦ ديسمبر الماضى ، وقد نظمه برنامج الأمم المتحدة للتنمية بناء على توصية مؤتمر باريس عام ١٩٨١ حول البلاد الأقل نموا .

وقد حضر المؤتمر مندوبون لست عشرة دولة فضلا عن ممثلى ٣٤ منظمة منها ١٩ منظمة تابعة للأمم المتحدة و٢١ منظمة غير حكومية ، وتضم الدول التى حضرت المؤتمر ألمانيا الاتحادية وبلجيكا وبريطانيا وفرنسا وايطاليا وهولندا وسويسرا فضلا عن الولايات المتحدة وكندا واليابان والاتحاد السوفييتى ، ومصر والجزائر .

وقد قدمت مالى فى المؤتمر مشروع خطتها الخمسية عن الأعوام من ١٩٨١ الى ١٩٨٥ وتصل تقديرات هذه الخطة مبلغ ١٥٦٠ مليون دولار ، منها مبلغ ١٠٥١ مليون دولار كتمويل خارجى أى أن نسبة هذا التمويل تصل الى ٨٥,٥٪ من اجمالى تكاليف الخطة .

والواقع أن جمهورية مالى تعتبر من الدول الأقل نموا ، وقد تناقص انتاجها الغذائى فى الفترة من عام ١٩٧٨ الى عام ١٩٨٠ ، كما أن من مشكلاتها انخفاض متوسط نصيب الفرد من الدخل القومى الحقيقى وارتفاع نسبة الأمية والمشكلات الصحية والعلاجية ، الأمر الذى تحتاج معه للمساعدة فى مجال التعليم والصحة .

تضاف الى ذلك مشكلات الخدمات العامة ، والاعتماد فى الزراعة أساسا على الأمطار وقد قلت فى الأعوام الماضية ، كما أن المعروف أن مالى دولة داخلية ليس لها اتصال بالبحر الا من خلال الدول المجاورة مما يحد من امكانيات التصدير ويرفع من أسعار الواردات .

ويمكن القول بأن المؤتمر لم يحقق من الناحية العملية نتائج كبيرة من حيث الحصول على الدعم المالى والتمويل ، وان كان قد تم أثناء المؤتمر الاتفاق على مساهمة اليابان فى الانتاج الغذائى فى مالى وذلك بمبلغ ٢٠٠ مليون ين يابانى وذلك فى شكل آلات زراعية وبذور ومبيدات حشرية .

المؤتمر الدولى لمساعدة تشاد

انعقد المؤتمر الدولى لمساعدة تشاد فى جنيف فى الفترة من ٢٩ الى ٣٠ نوفمبر عام ١٩٨٢ واشتركت فيه ٣٧ دولة فضلا عن مجموعة كبيرة من الوكالات الدولية المتخصصة والمنظمات والمؤسسات غير الحكومية ذات الطابع الانسانى ، وقد تم تنظيم المؤتمر باشراف هيئة الأمم المتحدة وبالتعاون مع كل من منظمة الوحدة الأفريقية والحكومة التشادية وكان ذلك تطبيقا لقرار الجمعية العامة للأمم المتحدة الصادر فى ١٧ ديسمبر ١٩٨١ .

وقد اشتركت فى المؤتمر من الدول الغربية الولايات المتحدة وفرنسا وألمانيا الاتحادية وبلجيكا والنمسا واليونان وأسبانيا وهولندا وأيرلندا وبريطانيا والنرويج وتركيا ، واشتركت بصفة مراقب كل من سويسرا واليابان واستراليا ، كما حضرته من دول أوربا الشرقية كل من يوغوسلافيا ورومانيا وحضرته فنزويلا من أمريكا اللاتينية ، ومن آسيا حضرته الهند والباكستان وأندونيسيا والسعودية ، كما حضرت لبنان بصفة مراقب .

وقد تضمن بيان ممثل السكرتير العام للأمم المتحدة فى المؤتمر الاشارة الى أن تشاد تعتبر واحدة من أفقر دول العالم وأقلها نموا ، وأنها فى أمس الحاجة الى مختلف المساعدات الدولية من المجتمع الدولى خاصة فى مجال الغذاء والتعليم والصحة والمواصلات والبناء واعادة البناء والتعمير ، وأن احتياجات تشاد تقدر تكاليفها بمبلغ ٣٧٠ مليون دولارا على مدى عامى ١٩٨٣ و ١٩٨٤ وذلك من أجل اعادة بناء وتعمير البلاد بعد الحرب الأهلية التى دمرت الجانب الأكبر من البناء الأساسى للبلاد .

وقد تضمنت المعلومات التى عرضت على المؤتمر أن ٣٠ ٪ من المبانى والمساكن قد تم تدميره فى تشاد بسبب الحرب الأهلية ، وأن حالة الطرق والمطارات سيئة للغاية مع تناقص الطاقة الكهربائية وانعدام المعدات الفنية وتدمير مرافق المياه ، وأن العجز فى مجال الغلال والمواد الغذائية يبلغ ٢٠٠ ألف طن فضلا عن خشية الحكومة التشادية من انتشار الأوبئة والأمراض خاصة وباء الملاريا مع عدم توافر الأدوية اللازمة ، كل هذا بالاضافة الى مشكلة المصارف وعدم توافر موارد مالية لدى خزانة الدولة للصرف على مرتبات الموظفين .

وبالرغم من أن حجم المساهمات فى المؤتمر لم يصل للقدر المطلوب الا أن المؤتمر أتاح الفرصة للدول والمنظمات المشتركة للتعرف على الموقف فى تشاد واحتياجاتها المطلوبة من أجل تعمير البلاد ، مما قد تهيؤه امكانيات التبرع والمساهمة مستقبلا وقد بلغت مساعدة الولايات المتحدة عشرين مليون دولار قدمتها لمجالات الزراعة والصحة والغذاء والتعليم ، كما بلغت معونة

... الأوروبية المشتركة ١,٥ مليون فرنك ، ومعونة سويسرا ... مليون فرنك سويسرى ، ومعونة ألمانيا الاتحادية ٥١ ... مارك ألمانى ومعونة بلجيكا ٨ مليون فرنك بلجيكى ، أما المنظمات التى اشتركت فقد بلغت مساعدة البنك الأفريقى للتنمية ١٥ ألف دولار ومساعدات اليونيسيف الفنية بما قيمته ١٣,٥ مليون دولار خلال العامين القادمين ، ومساعدة برنامج الأمم المتحدة للتنمية ١٧,٥ مليون دولار لقطاعات الطاقة والمناجم والخدمات الاجتماعية ، ومساهمة برنامج الغذاء العالمى ١٠ مليون دولار كل عام للمشروعات المتعلقة بالمناطق الزراعية .

تقييم مؤتمرات الدول المانحة

ويمكن القول بصفة عامة بأن الاتجاه الجديد على مستوى العلاقات الدولية لعقد مؤتمرات الدول المانحة قد أسهم فى تحقيق مجموعة من المزايا والأهداف ، فى الوقت الذى ترد عليه مجموعة أخرى من الملاحظات من الناحية العملية .

أما المزايا والأهداف ، فمنها أن مؤتمرات الدول المانحة تبرز الاهتمام على المستوى العالمى بالمشكلات السياسية والاقتصادية التى تعانى منها الدول المستفيدة التى تعقد هذه المؤتمرات لصالحها ، ومن المفهوم أن عقد هذه المؤتمرات تصحبه من الناحية العملية تغطيات اعلامية وصحفية على نطاق واسع ، عن أهدافها وعن مشكلات الدول النامية المستفيدة فضلا عن الاعلام بالنسبة لكل دولة مانحة عن اشتراكها ومساهماتها .

وتظهر الأهمية السياسية لمشاركة الدول المانحة المتقدمة على وجه الخصوص فى المؤتمرات التى يرتبط هدفها الاقتصادى بالهدف السياسى ، وهذا واضح فى مؤتمر دول تجمع تنسيق التنمية الاقتصادية للجنوب الأفريقى المشار اليه ، حيث أن اشتراك الدول المتقدمة فى المؤتمر يشكل صورة جديدة من صور الضغط على اتحاد جنوب أفريقيا ومساعدة دول التجمع على تحقيق هدفها فى ابعادها عن أى استغلال من جانب الدول العنصرية .

كذلك فان الحضور الجماعى فى هذه المؤتمرات من جانب الدول المانحة من شأنه تجنيب الدول المستفيدة حرج الالتجاء اليها دولة دولة بما يتطلبه ذلك من عديد من الاتصالات والاجراءات الأمر الذى يعطل امكانيات تنفيذها لخططها سواء بصفة كاملة أو جزئية ، بل ان عقد مؤتمر الدول المانحة مؤداه أن تتمكن الدولة المستفيدة فى وقت واحد من التعرف على مدى المساهمات التى يمكن أن تقدم لها دفعة واحدة تخطط بناء عليها امكانيات قيامها بتنفيذ خطط مشروعاتها .

ومن الناحية الأخرى ، فان الدولة المستفيدة من عقد المؤتمر ، تتيح لها فرصة المؤتمر التمكن من التحضير المدروس لعرض خططها ومشروعاتها مرة واحدة على الوفود المجتمعة التى تضم خبراء الدول المانحة ، كما تتيح فى الوقت نفسه الفرصة لمناقشة هذه الخطط والمشروعات بمعرفة هؤلاء الخبراء ، فضلا عن التعرف فى وقت واحد على اهتمامات الدول المانحة ... الخطط والمشروعات التى يهمها المساهمة فيها .

يضاف الى ذلك العنصر السياسى من الـ... السيكولوجية ، حيث أن مؤتمر الدول المانحة قد يسفر عن امكانيات فتح مجال للمنافسة بين الدول المجتمعة ، بحيث تستطيع الدولة المستفيدة أن تحصل من جراء ذلك على مساعدات ومساهمات أكبر نسبيا مما لو لم ينعقد المؤتمر لها ولجأت الى العلاقات الثنائية لمحاولة الحصول عليها .

ومن الناحية التنظيمية ، تفيد الدول المستفيدة من امكانيات واتصالات المنظمات الدولية التى تساعدها فى عقد وتنظيم المؤتمر ، حيث يكون لمكانة الأمم المتحدة ومنظماتها المعنية أثرها فى تنشيط اشتراك الدول المانحة وتشجيعها على المساهمة والمساعدة ، فى الوقت الذى يكون المؤتمر ذاته فرصة لتجميع مختلف المتخصصة التى تستطيع تقديم المساعدات سواء منها المالية أم الفنية .

كذلك قد يترتب على انعقاد المؤتمر ترتيب تنظيم لعملية استمرار الاتصال بين سلطات الدولة النامية المستفيدة والجهات المعنية لدى الدول المانحة بقصد تحقيق المتابعة لتنفيذ البرامج الموضوعة والتعرف على الاحتياجات وامكانيات المساهمة المستقبلة .

أما عن الملاحظات من الناحية العملية ، فالواضح على الرغم من المزايا التى تحققها مؤتمرات الدول المانحة لصالح الدول النامية المستفيدة ، الا أن هذه الأخيرة لا تحصل فى العادة على كل ماتتوقع ، وهذه النتيجة تؤثر بالطبع فى امكانيات الدولة المستفيدة فى تنفيذ براجها وخططها بالدرجة الكاملة وان كانت على أى حال تحقق بعض الانجاز فى مجال تهيئة الامكانيات المالية والفنية اللازمة لتنفيذ بعض هذه الخطط والبرامج .

كذلك قد تشترك بعض الدول المتقدمة فى هذه المؤتمرات لاظهار اهتمامها وتضامنها مع الهدف من انعقادها ولارضاء الدولة المستفيدة فى ضوء اهتمامها بالعلاقات معها من أية ناحية من النواحى ، فى الوقت الذى لا تستطيع أو لا تريد الالتزام بمساهمة معينة لصالح الدولة المستفيدة .

ومن الناحية الأخرى ، قد تحضر بعض الدول المانحة هذه المؤتمرات بصفة مراقب ، أو قد توفد وفود للمتابعة دون أن تكون لديها الرغبة فى الالتزام بمساهمات ذات فعالية وقد تكون الوفود المشتركة فى المؤتمر ليست مفوضة من جانب حكوماتها فى الافصاح عن أية مساعدة أو أية مبالغ محددة .

كما قد تتحرج بعض الدول المانحة من تقديم المساعدات أو الالتزام بها دون أن يتوافر لها المزيد من المعلومات عن الخطط والبرامج المرغوب المساهمة فى مساعدة الدولة النامية على تنفيذها ، حتى تتمكن من تقييم جديتها والأثر المتوقع لمساهمتها فيها ، وان كان هذا لا يمنع من متابعة الدولة المستفيدة للموقف مع الدولة المانحة المترددة لحثها على المساهمة باعطائها المزيد من المعلومات وتأكيد الاطار الجدى للمشروعات المرغوب فى تنفيذها مع بذل الجهود لحث الدولة المانحة على التقدم بالمساهمة .

مساهمات مصر فى مؤتمرات الدول المانحة

أما عن موقف جمهورية مصر العربية ، فقد اهتمت بالاشتراك فى مؤتمرات الدول المانحة جميعها ، فى ضوء موقفها الايجابى لمساعدة شقيقاتها من الدول الأفريقية ، وفى ضوء ايمانها بأهمية التنمية الاقتصادية فى هذه الدول ، بل ان الملاحظ أن مصر لم تتخلف عن المشاركة الايجابية فى مختلف مؤتمرات الدول المانحة التى سبق انعقادها خلاف المؤتمرات المشار اليها لصالح الدول الأفريقية المستقلة حديثا ، ولصالح حل وخدمة القضايا الأفريقية التى تتطلب تضافر جهود الدول المتقدمة والنامية معا من أجل المساهمة فى حلها .

ومن أمثلة المؤتمرات السابقة التى ساهمت فيها مصر والتى انعقدت لصالح الدول الأفريقية المستقلة حديثا ، مؤتمر الدول المانحة الذى انعقد فى هارارى فى مايو ١٩٨١ لصالح جمهورية زيمبابوى ، حيث أسهمت مصر فى هذا المؤتمر بمبلغ مليونى دولار تقدم فى شكل معونات فنية من منح وخبراء .

ومن أمثلة مؤتمرات الدول المانحة التى عقدت لصالح القضايا الافريقية العامة ، المؤتمر الدولى لمساعدة اللاجئين الأفريقيين الذى انعقد فى جنيف فى ابريل عام ١٩٨٢ ، حيث ساهمت مصر فى هذا المؤتمر بمبلغ مليون دولار ، فى شكل ايفاد أطباء مصريين للعمل فى مناطق اللاجئين فى القارة الأفريقية ، وهو الالتزام الذى قام بتنفيذه (الصندوق المصرى للتعاون الفنى لأفريقيا) .

وفى مؤتمرات الدول المانحة المشار اليها والتى انعقدت فى ماسيرو لتنسيق التنمية الاقتصادية للجنوب الافريقى ، وفى كل من كيجالى لصالح رواندا وباماكو لصالح مالى وجنيف لصالح تشاد ، أعلنت جمهورية مصر العربية ماقدمته لصالح التنمية فى هذه الدول فى شكل المعونات الفنية التى تهتم مصر بتقديمها لما لها من أثر ايجابى عميق فى سد الاحتياجات الأفريقية من الخبرة الفنية وتدريب القوى العاملة .

فبالنسبة لدول تنسيق التنمية الاقتصادية للجنوب الافريقى ، قدمت مصر مساعدات فنية تتمثل فى ايفاد خبراء من مختلف التخصصات الى كل من زامبيا وزيمبابوى وتنزانيا ومالاوى وبتسوانا وليسوتو ، فضلا عن منح تعليمية وتدريبية تقدمها مصر لأبناء هذه الدول للدراسة والتدريب فى مختلف مجالات التعليم والتدريب ، وكذلك الشأن بالنسبة للدول الأفريقية الأخرى التى انعقدت مؤتمرات الدول المانحة لصالحها وهى رواندا ومالى وتشاد .

هذا ويتم ايفاد الخبراء المصريين الى هذه الدول عن طريق الصندوق المصرى للتعاون الفنى لأفريقيا وكذلك الصندوق العربى للمعونة الفنية للدول الأفريقية ، كما يشترك فى تقديم المنح التعليمية والتدريبية الجهات المعنية فى مصر ، كوزارة التعليم العالى والأزهر الشريف ، فضلا عن المركز المصرى الدولى للزراعة .

ويبلغ مجموع الخبراء المصريين للدول المشار اليها أكثر من مائة خبير بما فيهم الخبراء الذين استقبلتهم هذه الدول أو الذين تم الاتفاق على ايفادهم اليها ، أما المنح التعليمية والتى تصل فى مجموعها الى ٦٨٠ منحة تعليمية وتدريبية مقدمة من الأجهزة المصرية المعنية السابقة الذكر ، يضاف الى ذلك معونات الأدوية والمواد الطبية التى قدمتها مصر الى هذه الدول .

وواضح أن المساهمات المصرية للدول الأفريقية التى عقدت مؤتمرات الدول المانحة لصالحها تتركز بصفة أساسية فى المعونات الفنية ، خاصة فيما يتعلق بايفاد الخبراء المصريين فى مختلف المجالات وكذلك بالنسبة لمجال التعليم والتدريب عن طريق تقديم المنح التعليمية والتدريبية .

والواقع أن هذه المساهمات تعتبر من أهم المساهمات للدول النامية الافريقية ، وذلك على أساس احتياج هذه الدول الى الخبراء الأكفاء فى مجالات التنمية الاقتصادية والاجتماعية والصحية والتعليمية ، وهى المجالات التى تركز عليها هذه الدول فى خططها وبرامجها الاقتصادية ◘



التحرك الدبلوماسى الصينى فى افريقيا

محمد عيسى الشرقاوى

فى اطار الاهتمام المتزايد الذى تبديه جمهورية الصين الشعبية ازاء توثيق علاقاتها السياسية والدبلوماسية والاقتصادية مع دول العالم الثالث ، انطلاقا من المقولة الفكرية التى تلح الصين على ترسيخها حول انتمائها للعالم الثالث وتصديها لهيمنة القوتين العظميين ، قام تشاوتسى يانج رئيس وزراء الصين بجولة افريقية واسعة استمرت حوالى شهر من ٢١ ديسمبر ١٩٨٢ حتى ١٧ يناير ١٩٨٣ ، وزار خلالها ١١ دولة افريقية .

وبداية ، فان جولة رئيس وزراء الصين هذه شملت بلادا تتباين فى انظمتها الاجتماعية ومواقفها السياسية الدولية ، ولعل هذا يعنى ان التحرك الدبلوماسى الصينى الحالى فى اتجاه افريقيا والعالم الثالث يستهدف مايمكن ان يطلق عليه السعى لتشكيل اكبر تجمع عالمى لمناهضة هيمنة القوتين العظميين .

ويلاحظ هنا ان دول العالم الثالث وخاصة الدول الافريقية تشكل غالبية اعضاء حركة عدم الانحياز . ومن ثم فان توثيق الصين علاقاتها معها يعد خطوة اساسية للتصدى لهيمنة القوتين العظميين وليس ادل على ذلك من ان الاحدى عشر دولة التى زارها تشاوتسى يانج هى من دول عدم الانحياز وهى : مصر والجزائر والمغرب وغنينيا والجابون وزائير والكونغو وزامبيا وتنزانيا وزيمبابوى وكينيا . وقد التقى خلال زيارته لزامبيا بممثلى حركات التحرر الوطنى فى جنوب افريقيا وناميبيا .

وعموما تاتى جولة يانج فى نطاق موقف مبدئى حددته الصين ازاء علاقاتها بالعالم الثالث . وقد بلور يانج هذا الموقف فى خطابين القاهما فى مايو ١٩٨٢ عند زيارة كل من رئيس غينيا بيساو ونائب الرئيس الصومالى لبكين . فقد اكد ان المبادىء الثلاثة التالية هى اساس السياسة الخارجية للصين :

اولا : ان الاولوية امام القيادة الصينية فى المرحلة القادمة هى تاكيد انتماء الصين الى العالم الثالث . ومن ثم العمل على تعزيز وحدة دول العالم الثالث .

ثانيا : تصدى الصين لهيمنة القوتين العظميين . واعتبار بكين ان الصراع بين موسكو وواشنطن هو سبب التوتر والاضطراب اللذان يسودان العالم ..

وترى الصين ان الدول الكبرى تستغل الخلافات القائمة بين دول العالم الثالث وتزيد من حدتها فى اطار سعيها لاحكام هيمنتها وسيطرتها على هذه الدول . وتؤمن بكين ان الوسيلة الوحيدة لضمان اقرار السلام والامن الدولين يتمثل فى التصدى باستمرار للهيمنة [انظر مجلة « بكين ريفيو » الصينية عدد ١٧ يناير ١٩٨٣]

ثالثا : ايمان الصين بأن رفع المستويات المادية والثقافية لشعبها ولشعوب العالم الثالث يقتضى فترة اطول من السلام العالمى [انظر مجلة السياسة الدولية ، العدد ٦٩ ، يوليو ١٩٨٢ ، ص ٩٨١ و١٨٢]

ولقد حرص تشاوتسى يانج خلال زيارته لمصر فى مستهل جولته الافريقية ان يؤكد على التزام الصين بالمبادىء الخمسة التى اعلنها شواين لاى رئيس وزراء الصين الراحل عند زيارته لمصر عام ١٩٦٤ ، والتى تحكم العلاقات بين الصين والدول العربية والافريقية .

١ – تاييد جمهورية الصين الشعبية لنضال الدول العربية والافريقية فى كفاحها ضد الامبريالية والاستعمار القديم والجديد من أجل استقلال الوطن .

٢ – تاييد الصين لسياسة الحياد الايجابى وعدم الانحياز التى تتبعها الدول العربية والافريقية .

٣ – تاييد الصين للحلول التى تتوصل اليها الدول العربية والافريقية . كل الخلافات فيما بينها عن طريق المشاورات السلمية .

٤ – تاييد الصين للطريق الذى يختاره الشعب العربى لتحقيق الوحدة .

٥ – على كافة الدول ان تحترم استقلال وسيادة الدول العربية والافريقية والا تتدخل فى شئونها .

طابع العلاقات بين الصين وافريقيا

وعند هذا الحد ، وحتى يمكن الوقوف على دلالة التحرك الصينى الجديد فى افريقيا ، فانه ينبغى الاشارة فى ايجاز الى طابع ومراحل العلاقات بين الصين وافريقيا وهنا يمكن ان نلاحظ الاتى :

اولا : بدات الصين منذ منتصف الخمسينات تحركها الدبلوماسى النشط فى اتجاه تدعيم علاقاتها بالدول المستقلة . حديثا فى اسيا وافريقيا وكذا بحركات التحرر الوطنى فى القارتين . وقد وضح هذا منذ مؤتمر باندونج » الذى انعقد عام ١٩٥٥ . فقد التقى شواين لاى رئيس وزراء الصين انذاك بالعديد من الوفود الافريقية والاسيوية المشتركة فى المؤتمر وتمكن من تنمية علاقات وثيقة بين الصين وعدد من الدول الاسيوية والافريقية منذ ذلك الحين ولعل العلاقات التقليدية بين مصر والصين دليلا على ذلك .

ثم بلغت العلاقات بين الصين وافريقيا ذروتها فى مستهل الستينات . وقد بدا ذلك من خلال الجولة الصينية الواسعة الاولى فى القارة والتى قام بها شواين لاى خلال عام ١٩٦٣ – ١٩٦٤ وشملت زيارة ١٠ دول افريقية هى الجزائر والمغرب وتونس ومصر واثيوبيا وغانا وغنينيا ومالى والصومال والسودان .

وهنا يتعين الاشارة الى ان اهتمام الصين بافريقيا والعالم الثالث ينبع من عدة اعتبارات ابرزها فى ذلك الحين .

– ان الصين انطلاقا من افكار ماوتسى تونج تعد دولة من دول العالم الثالث ، باعتبارها دولة نامية عانت من الاحتلال الاجنبى وقامت بحرب تحرير شعبية لنيل استقلالها . ولقد كان « ماو » يقسم العالم المعاصر الى « ٣ عوالم » على النحو التالى (١) العالم الاول « ويضم القوتين العظميين اللذان يسعيان الى الهيمنة على دول العالم » (٢) العالم الثانى « ويشمل اوربا واليابان وكندا وهى دول تمارس سيطرتها واستغلالها للعالم الثالث بينما تتعرض فى الوقت نفسه لهيمنة القوتين العظميين و(٣) العالم الثالث « ويضم الدول النامية والمتخلفة فى اسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية » وهى اكبر من يعانى من الاضطهاد من جانب العالم الاول بصفة خاصة واشد من ينهض بالمقاومة وهى القوة الرئيسية فيما تسميه الصين بالنضال ضد الامبريالية والاستعمار والهيمنة

– رغبة الصين فى التصدى لنفوذ الاتحاد السوفيتى فى افريقيا وخاصة اثر الخلاف الايدلوجى الذى استعر بين موسكو وبكين منذ مستهل الستينات حول تفسير النظرية الماركسية اللينينية واتهام الصين للاتحاد السوفييتى بانه انحرف عن هذه النظرية وخاصة فيما يتعلق بحركة التحرر الوطنى والثورة فى البلاد النامية والمتخلفة .

ولهذا فقد رأى بعض الدارسين « أن السياسة الصينية فى افريقيا منذ الستينات وحتى بداية الثمانينات – هى انعكاسا مباشرا للصراع الايدولوجى الصينى السوفييتى . وهى تتمثل اساسا فى معاداة السوفييت والتصدى لاى تحرك سوفيتى فى القارة . ولهذا فان الصين كانت تؤيد اى بلد وأى حركة افريقية طالما ان موسكو لايؤيدها ايا كان المنطلق الفكرى والانتماء السياسى الدولى لهذا البلد او تلك الحركة .

وليس ادل على ذلك من موقف الصين ازاء الحرب الاهلية الانجولية عام ١٩٧٥ . فقد وقفت الصين الى جانب الحركتين الانجولتين اللتين تحظيان بمساندة ومساعدة الولايات المتحدة بينما عارضت الجبهة الشعبية لتحرير انجولا . لمجرد ان السوفييت يؤيدونها . والجدير بالذكر ان الجبهة الشعبية قد وصلت الى السلطة بمساندة القوات الكوبية والتأييد والمساعدات السوفيتية .

ومما لاشك فيه ان هذا الصراع الايديولوجى الصينى السوفيتى كان ينطوى على اثار سلبية بالنسبة لحركة التحرر الوطنى ليس فى افريقيا وحدها وانما فى دول العالم الثالث باسرها فقد اسفر ضمن اشياء اخرى عن خلق اجنحة موالية للصين داخل حركات التحرر الوطنى الافريقية مما ادى الى نشوب صراعات مسلحة احيانا بينها وبين الاجنحة التى يؤيدها الاتحاد السوفيتى ، ويمكن ان نجد امثلة لهذا فى زائير وانجولا وزيمبابوى .

ثانيا : تقلص اهتمام الصين الى حد ما بالعالم الخارجى خلال فترة الثورة الثقافية التى شهدتها الصين منذ ١٩٦٥ وحتى حوالى ١٩٦٩ . وقد كان لهذا اثرا سلبيا بالنسبة للدبلوماسية الصينية داخل افريقيا والعالم الثالث .

ثالثا : تجدد اهتمام الصين بالعالم الثالث عقب تصفية الاتجاه اليسارى المتطرف الذى يمثله ما اصطلح على تسميته بعصابة الاربعة بزعامة ارملة ماوتسى تونج وبروز القيادة الصينية الجديدة التى تنادى بالانفتاح والتحديث فى الصين .

ويتميز اتجاه القيادة الصينية الجديدة فى مجال السياسة الخارجية بالحرص على توثيق العلاقات بين الصين والعالم الثالث وتاكيد انتماء الصين لهذا العالم والسعى لتشكيل جبهة عالمية واسعة ضد هيمنة القوتين

العظميين انطلاقا من نظرية ماوتسى تونج عن العوالم الثلاثة التى سلفت الاشارة اليها .

وفى ضوء هذا ، بدات الصين تحركها الدبلوماسى الجديد فى افريقيا بعد ١٩ عاما من جولة شواين لاى رئيس الوزراء الراحل للقارة .

دلالة التحرك الصينى فى افريقيا

والواقع ان الجولة التى قام بها تشاوتسى يانج رئيس وزراء الصين لافريقيا قد انطوت على رموز ودلالات سياسية مهمة من شانها ان تفسر ليس دوافع السياسة الخارجية للصين تجاه افريقيا والعالم الثالث فحسب ، وانما تنبىء كذلك باتجاهات هذه السياسة فى المستقبل المنظور ولعل ابرز ما يمكن رصده من هذه الرموز وتلك الدلالات الاتى .

اولا : حرص الصين على تاكيد انتماءها للعالم الثالث ونفيها نفيا قاطعا مايثار من تكهنات تطلقها بعض اجهزة الاعلام الغربية حول رغبتها فى تولى زعامة العالم الثالث فقد اكدت صحيفة الشعب الصينية خلال جولة يانج ان الصين لن تحاول قط ان تتصرف باعتبارها زعيمة للعامل الثالث او لاى كتلة اخرى من البلاد .

ثانيا : تخلى الصين فيما يبدو عن موافقها السابقة غير المؤيدة لحركات التحرر الوطنى الافريقية التى يساندها الاتحاد السوفيتى وقد وضح هذا من خلال اجتماع رئيس وزراء الصين عنه زيارته لزامبيا مع ممثلى وزعماء حزب المؤتمر الوطنى الافريقى ومنظمة شعب جنوب غرب افريقيا المعرفة اسم سوابو والتى تحظى بتأييد موسكو .

وقد علق المراقبون السياسيون على هذا اللقاء بقولهم ان اجتماع رئيس وزراء الصين مع الحركتين المعارضتين لنظام جنوب افريقيا العنصرى داخل جنوب افريقا ذاتها وفى اقليم ناميبيا يعد بمثابة تحول فى سياسة الصين ازاء افريقيا الجنوبية ذلك ان بكين كانت قبل هذا اللقاء تؤيد تلقائيا الحركات الافريقية التى لاتحظى بمساندة موسكو . ويرى هؤلاء المراقبون ان الصين تستهدف من ذلك تقديم نفسها باعتبارها الحليف الول للعالم الثالث فى مواجهة الهيمنة السوفيتية والاستعمار الغربى على السواء [انظر وكالة الانباء الفرنسية فى ١٩٨٢/١/٦]

وايا كان ماتستهدفه الصين من ذلك التحول السياسى فانه يحقق فى المقام الاول مصالح حركة التحرر الوطنى الافريقية ويدعم موقف دول المواجهة الافريقية فى الجنوب الافريقى

ويأتى فى اطار هذا التحول السياسى الصينى اعتراف الصين خلال جولة رئيس وزراءها لافريقيا بانجولا . وتاكيد تشاوتسى يانج معارضته لاى ربط بينه بين مسالة استقلال ناميبيا وانسحاب الوجود الكوبى من انجولا . واكد فى مؤتمر صحفى عقده فى دار السلام فى ١٩٨٣/١/١٤ ان الصين ستعارض اية محاولة لاستخدام الوجود الكوبى فى انجولا كذريعة او كشرط مسبق لاستقلال ناميبيا

ومن الجدير بالذكر ان الولايات المتحدة وحكومة جنوب افريقيا العنصرية تشترك تشترط انسحاب القوات الكوبية من انجولا كشرط مسبق لاستقلال ناميبيا وتحررها من سيطرة جنوب افريقيا

ثالثا : اهتمام الصين بمشاكل التنمية الاقتصادية فى افريقيا على اعتبار ان دعم الاستقلال الاقتصادى هو السند الاساسى لتعميق وصيانة الاستقلال السياسى واوضح تشاوتسى يانج استعداد الصين لمساعدة الدول الافريقية على تنمية طاقاتها الاقتصادية والتكنولوجية من اجل ضمان استقلالها ازاء الاعيب القوى الخارجية ، واكد ان الصين فى تعاونها مع افريقيا لاتفرض اى شروط سياسى .

واخيرا .. فلا جدال فى ان توثيق اواصر الصداقة والتعاون بين الصين وافريقيا فى ضوء الاسس والمبادىء والممارسات التى كشفت عنها جولة رئيس وزراء الصين للقارة تعد نقطة بداية هامة لتوسيع نطاق الحركة السياسية المستقلة امام الدول الافريقية فى اتجاه تحقيق مصالحها الوطنية فى عالم يحكمه الصراع الاستراتيجى بين القوتين العظميين .

التطورات الجديدة لمشكلة اللاجئين فى افريقيا

ايمان ميشيل فرج ...



أصدرت الحكومة النيجيرية فى السابع عشر من يناير قرارا بإنهاء اقامة العاملين الأفارقة الموجودين بنيجيريا بصفة غير شرعية .

وحدد القرار الذى أعلنه الحاجى على بابا وزير الداخلية النيجيرى مهلة ١٥ يوما يتم خلالها تنفيذ ذلك القرار . ثم عادت نيجيريا ومدت تلك المهله الى الأول من مارس بالنسبة للموظفين والعاملين على أساس عقود رسمية . وقد أرجع المسئول النيجيرى سبب إتخاذ تلك الاجراءات الى دور الأجانب فى الاضطرابات الطائفية التى شملت بعض المدن الشمالية النيجيرية وأسفرت عن مصرع ما يزيد على ٤٥٠ شخصا . كما اتهم الرئيس النيجيرى هؤلاء العاملين بتخريب الاقتصاد والاستحواذ على فرص العمل . وبذلك اكتملت حلقات أضخم هجرة إجبارية عرفتها القارة الافريقية منذ منتصف القرن التاسع عشر حين . م شاكا زعيم قبائل الزولو بمطاردة فلول معارضيه واجبرهم على الهجرة عبر غرب افريقيا .

وعلى فور صدور القرار النيجيرى سادت البلاد موجة من الذعر والفوضى نتيجة لتسابق العمال الافارقة على مغادرة نيجيريا ، وأسفر ذلك عن مصرع العديد من الأشخاص جوعا او نتيجة للحوادث على الحدود بين نيجيريا وبنين .

والواقع ان هذه ليست الهجرة الاجبارية الأولى التى تشهدها افريقيا فى السنوات القليلة الماضية . فقد قامت غانا بترحيل عشرين الف نيجيرى فى ١٩٦٩ . كذلك أجبرت أوغندا ٤٥٠٠ من أبناء روندا على مغادرة البلاد فى العام الماضى . كما ان الجابون قد طرد فى ١٩٧٨ اكثر من ١٠ آلاف مواطن ينتمون الى دولة بنين . وقد قدر عدد اللاجئين فى ١٩٧٨ بـ ٢ مليون لاجىء وقد ارتبط ظهور مشكلة اللاجئين بالحدود المصطنعة التى رسمها المستعمرون ثم بظهور حركات التـ ـ وتدخل الدول لمساندتها وبروز مشكلات اللجوء السياسى . ثم تطورت هذه المشكلة لترتبط ببعد جديد هو حركة الأيدى العاملة وعوامل الجذب والطرد الاقتصادية .

على ان اهمية هذه الهجرة ـ التى تسبب فيها القرار النيجيرى ـ ترجع الى حجمها الضخم والى الملابسات السياسية المحيطة بها .

ولا يوجد حتى الآن حصر دقيق لعدد الأشخاص الذين إضطروا لمغادرة البلاد وان كان يتراوح بين مليون ونصف ـ حسب تقديرات لاجوس ـ و٣ ملايين ونصفهم من الغانيين . وكان هؤلاء اخترقوا حدود دولة بنين ثم توجو للوصول الى بلادهم . وينتمى النصف الآخر من المهاجرين الى بلدان افريقيا المجاورة وهى توجو وفولتا وبنين والنيجر وتشاد والكاميرون ومالى .

وقد اثار القرار النيجيرى ردود فعل عنيفة على المستوى الافريقى . فبداية يسجل المراقبون دهشتهم من اقدام نيجيريا على اتخاذ اجراء يؤثر فى حياة الملايين من الأفراد ، ثم العديد من الدول المحيطة ، بشكل منفرد والمعروف أن شروط انتقال الأفراد بين بلدان غرب أفريقيا تتعدد وفقا لاتفاقات الجماعة الاقتصادية لبلدان غرب افريقيا E cowas التى وقعت فى لاجوس فى نوفمبر عام ١٩٧٦ ، ونصت على ازالة الحواجز المعوقه لانتقال الأفراد عبر الدول . وقد اكد الاجتماع الخامس للجماعة فى مايو عام ١٩٨٢ على هذا ، كما اشار فى التقرير الختامى للدورة الى قرب التوقيع على اتفاقية تفصيلية تتعلق بالنقل والانتقالات بين دول المجموعة ، وفى هذا الاجتماع اكد الرئيس النيجيرى « شجارى » ضرورة تدعيم أسس الاعتماد الجماعى المتبادل واضفاء مزيد من الصلاحيات على مجلس وزراء « الايكواس » . ولذلك لم يكن من المستغرب ان يوجه الى نيجيريا إتهاما بخرق اتفاقيات الايكواس . وقد رد النيجيريون ... ذلك بقولهم ان

التطورات الجديدة لمشكلة اللاجئين فى افريقيا

ايمان ميشيل فرج ...



أصدرت الحكومة النيجيرية فى السابع عشر من يناير قرارا بإنهاء اقامة العاملين الافارقة الموجودين بنيجيريا بصفة غير شرعية .

وحدد القرار الذى أعلنه الحاجى على بابا وزير الداخلية النيجيرى مهلة ١٥ يوما يتم خلالها تنفيذ ذلك القرار . ثم عادت نيجيريا ومدت تلك المهله الى الاول من مارس بالنسبة للموظفين والعاملين على اساس عقود رسمية . وقد ارجع المسئول النيجيرى سبب إتخاذ تلك الاجراءات الى دور الاجانب فى الاضطرابات الطائفية التى شملت بعض المدن الشمالية النيجيرية وأسفرت عن مصرع ما يزيد على ٤٥٠ شخصا . كما اتهم الرئيس النيجيرى هؤلاء العاملين بتخريب الاقتصاد والاستحواذ على فرص العمل . وبذلك اكتملت حلقات أضخم هجرة إجبارية عرفتها القارة الافريقية منذ منتصف القرن التاسع عشر حين . . م شاكا زعيم قبائل الزولو بمطاردة فلول معارضيه واجبرهم على الهجرة عبر غرب افريقيا .

وعلى فور صدور القرار النيجيرى سادت البلاد موجة من الذعر والفوضى نتيجة لتسابق العمال الافارقة على مغادرة نيجيريا ، وأسفر ذلك عن مصرع العديد من الأشخاص جوعا او نتيجة للحوادث على الحدود بين نيجيريا وبنين .

والواقع ان هذه ليست الهجرة الاجبارية الأولى التى تشهدها افريقيا فى السنوات القليلة الماضية . فقد قامت غانا بترحيل عشرين الف نيجيرى فى ١٩٦٩ . كذلك أجبرت أوغندا ٤٥٠٠ من أبناء روندا على مغادرة البلاد فى العام الماضى . كما ان الجابون قد طرد فى ١٩٧٨ اكثر من ١٠ الآف مواطن ينتمون الى دولة بنين . وقد قدر عدد اللاجئين فى ١٩٧٨ بـ ٢ مليون لاجىء وقد ارتبط ظهور مشكلة اللاجئين بالحدود المصطنعة التى رسمها المستعمرون ثم بظهور حركات التـ ـ وتدخل الدول لمساندتها وبروز مشكلات اللجوء ا. ياسى . ثم تطورت هذه المشكلة لترتبط ببعد جديد هو حركة الأيدى العاملة وعوامل الجذب والطرد الاقتصادية .

على ان اهمية هذه الهجرة — التى تسبب فيها القرار النيجيرى — ترجع الى حجمها الضخم والى الملابسات السياسية المحيطة بها .

ولا يوجد حتى الآن حصر دقيق لعدد الأشخاص الذين إضطروا لمغادرة البلاد وان كان يتراوح بين مليون ونصف — حسب تقديرات لاجوس — و٣ ملايين ونصفهم من الغانيين . وكان هؤلاء اخترقوا حدود دولة بنين ثم توجو للوصول الى بلادهم . وينتمى النصف الآخر من المهاجرين الى بلدان افريقيا المجاورة وهى توجو وفولتا وبنين والنيجر وتشاد والكاميرون ومالى .

وقد اثار القرار النيجيرى ردود فعل عنيفة على المستوى الأفريقى . فبداية يسجل المراقبون دهشتهم من اقدام نيجيريا على اتخاذ اجراء يؤثر فى حياة الملايين من الافراد ، ثم العديد من الدول المحيطة ، بشكل منفرد والمعروف أن شروط انتقال الأفراد بين بلدان غرب أفريقيا تتحدد وفقا لاتفاقات الجماعة الاقتصادية لبلدان غرب افريقيا E cowas التى وقعت فى لاجوس فى نوفمبر عام ١٩٧٦ ، ونصت على ازالة الحواجز المعوقه لانتقال الأفراد عبر الدول . وقد اكد الاجتماع الخامس للجماعة فى مايو عام ١٩٨٢ على هذا ، كما أشار فى التقرير الختامى للدورة الى قرب التوقيع على اتفاقية تفصيلية تتعلق بالنقل والانتقالات بين دول المجموعة ، وفى هذا الاجتماع اكد الرئيس النيجيرى « شجارى » ضرورة تدعيم أسس الاعتماد الجماعى المتبادل واضفاء مزيد من الصلاحيات على مجلس وزراء « الايكواس » ، ولذلك لم يكن من المستغرب ان يوجه الى نيجيريا إتهاما بخرق اتفاقيات الايكواس . وقد رد النيجيريون . . ذلك بقولهم ان

... حرية الانتقال داخل المنطقة لاتنطبق على قواعد العمل والاقامة . واضاف الرئيس النيجيرى انه بموجب هذه الاتفاقيات يتمتع مواطنو دول الايكواس بتصريح دخول مدته ٩٠ يوما فقط وان معظم النازحين الى نيجيريا من جيرانها يدعى المجىء للسياحة ثم يمد اقامته ويمارس العمل داخل البلاد بشكل غير شرعى . واتهم الرئيس النيجيرى الصحافة الغربية بتضخيم الاحداث والمبالغة وتشويه الصورة النيجيرية .

□ تاثير الازمة على الدول المجاورة :

اثر القرار النيجيرى بشكل عميق على الاحوال الداخلية للدول المجاورة . ففيما يتعلق بدولة بنين الواقعة على حدود نيجيريا تم إغلاق الحدود بشكل مؤقت عند بداية الأزمة ثم عادت بنين وفتحت الحدود أمام اللاجئين وشارك الرئيس البنينى « كيروكو » فى اعمال الانقاذ وترحيل النازحين من نيجيريا الى بلادهم . ومن المعروف ان اقتصاد بنين يعتمد بشكل كلى على التجارة مع نيجيريا وان إغلاق هذه الحدود كان يعنى تعرض الدولة للافلاس . ويذكر أن بنين تتميز بقوة الانتماءات القبلية فى داخلها وانها قد اصدرت فى مارس عام ١٩٧٧ قوانين مقيده لحركة الاجانب ؛ على ان تأثير الأزمة على بنين يقتصر على عودة الأفراد الذين كانوا يعملون بنيجيريا ويعودون الى بلادهم فى عطلة نهاية الأسبوع . كما ان اوضاع الاستقرار السياسى والاقتصادى لن تتأثر كثيرا ، إذ يقتصر وجود اللاجئين على المرور عبر اراضى بنين فقط وصولا الى توجو ثم غانا . ويشار الى ان بنين ذات خبرة فى استقبال اللاجئين منذ قيامها فى عام ١٩٧٨ باستقبال رعاياها المطرودين من الجابون .

وفيما يتعلق بتشاد فقد وجهت تحذيرا من الاعتداء على مواطنيها من اللاجئين الذى يتراوح عددهم بين ٢٠ و٣٠ الف شخص . وتواجه عجزا فى الحبوب مقداره ٢٦٠,٠٠٠ طن ، فضلا عن طاعون الابقار المنتشر فيها حاليا . وقد تلقت تشاد دعما فرنسيا لمواجهة تلك الازمات .

وتشير التقارير الى ان توجو كانت الدولة الوحيدة التى تمكنت من السيطرة على الموقف بشكل كامل سواء فيما يتعلق باستقبال مواطنيها العائدين او بترحيل حشود اللاجئين المتوجهه الى غانا عبر توجو .

وربما كانت غانا اكثر الدول التى تأثرت بالقرار النيجيرى . ويرجع ذلك الى حجم الغانيين العائدين الى بلادهم من ناحية والى الظروف السياسية والاقتصادية السائدة فى غانا من ناحية اخرى . وكانت غانا قد اغلقت حدودها مع توجو منذ سبتمبر عام ١٩٨٢ بسبب اعمال التخريب الجارية على الحدود ، مشكلة بذلك اول خرق لحرية الانتقال التى نصت عليها قرارا الايكواس . وقد رفضت غانا فى بادىء الأمر بفتح حدودها أمام فيض العائدين الى بلادهم ثم إستسلمت إزاء الضغوط الدولية والافريقية خاصة من قبل توجو وبنين . وقد ظهرت بوادر الازمة السياسية بين غانا ونيجيريا على اثر تصريح اتهم فيه الرئيس الغانى « جارى رولنجز » . نيجيريا بتصعيد الأزمة والتآمر ضد نظام الحكم الثورى فى غانا ؛ وذلك فى حين حمل الرئيس « شجارى » غانا مسئولية الاضطرابات التى وقعت فى المنطقة نتيجة لتأخرها فى فتح الحدود . على ان زيارة وزير الداخلية الغانى للاجوس ولقاءه مع نظيره النيجيرى يشكل بادرة لتخفيف حدة التوتر بين البلدين ، وهو اللقاء الذى تم بعد يومين من انتهاء المهله الأولى لمغادرة البلاد .

وفى الايام الاولى لفتح الحدود كان عدد اللاجئين يضيف على حجم السكان ١٠٪ يوميا تقريبا . وشهدت العاصمة كوتونو التى يبلغ عدد سكانها ٣٠٠ الف نسمة ارتفاعا فى اسعار السلع وعجزت مرافق المدينة عن تحمل عبء النازحين الجدد .

وكان الرئيس الغانى قد صرح بأن بلاده تنوى الاستفادة من اللاجئين فى دفع جهود التنمية والقيام بتجربة رائدة فى هذا المجال . على ان المراقب للأوضاع الاقتصادية والسياسية فى غانا يدرك صعوبة تحقيق ذلك .

تشهد غانا ازمة فى المواد الغذائية دفعتها الى اصدار نداء عالمى لمساعدتها اقتصاديا على مواجهة الاعباء الاضافية لأزمة اللاجئين فقد بلغ العجز فى الحبوب مقدار ٣٨٠,٠٠٠ طن . ويزيد من تعقيد الازمة ان موسم الحصاد لايحين موعده إلا فى نوفمبر القادم . كما ان انتاج الكاساتا وهو المحصول الغذائى الرئيسى هبط الى ١,٨ مليون طن فى مقابل ٣,٦ مليون طن قبل عشر سنوات . على ان الانفاق الأساسى الذى يواجهه النظام الغانى هو التدهور السريع فى انتاج الكاكاو الذى يشكل ٧٠٪ من الصادرات . فقد بلغ الانتاج لهذا العام ٢٠٠,٠٠٠ طن فى مقابل ٥٠٠,٠٠٠ طن فى عام ١٩٧٠ . ومن جانب آخر فقد بلغت الديون الخارجية الغانية ٢ بليون دولار . كما تسعى غانا للحصول على قرض من صندوق النقد الدولى تبلغ قيمته ٤٠٠ مليون دولار . ويتوقع ان يطلب الصندوق اجراء تخفيض ملحوظ فى قيمة العملة المحلية ، مما قد يضاعف من المشكلات السياسية التى يواجهها النظام .

ومن الناحية السياسية فانه بعد ١٤ شهرا من عودة

جارى رولنجز الى السلطة لازالت الاوضاع السياسية فى غانا تفتقد الى الاستقرار . ويشار الى قيام محاولة انقلاب فاشلة فى بداية هذا العام والى استمرار الحرب ضد الفساد السياسى والرشوة . واحد العناصر الكامنة فى بيئة النظام الغانى والدافعة نحو التوتر المستمر هى الانقسام الافقى بين النخبة العسكرية الحاكمة وتعدد ولاءاتها القبلية . ويضاف الى هذه العوامل موقف الدول المحافظة المحيطة بالنظام الثورى الغانى . والواقع ان كافة هذه العوامل من شانها ان تؤكد على ان استيعاب اللاجئين فى غانا سوف يتم بتكاليف مرتفعة قد يكون استمرار النظام ذاته من بينها

☐ تفسير الموقف النيجيرى :

يقدم المسئولون النيجيريون من جهتهم تفسيرا يرجعون فيه طرد العاملين الافارقة من نيجيريا الى قيام هؤلاء بأنشطة تخريبية وبإشعال الفتنة داخل البلاد . ويرى المحللون ان الدافع الاساسى وراء القرار النيجيرى بطرد العمال الافارقة يرجع الى التدهور السريع فى اسعار البترول والكميات المنتجه منه . وتبعا للارقام الحكومية فإن انتاج البترول لعام ١٩٨٣ يبلغ ٨٠٠,٠٠٠ برميل يوميا فى مقابل ٢,٤ مليون برميل منذ ثلاث سنوات . كما انخفض سعر البرميل من ٤٠ دولارا فى عام ١٩٨٠ الى ٣٥,٥ دولار فى عام ١٩٨٢ . كما انخفضت عائدات البترول من ٢٧ مليار الى ١٦ مليار دولار لذات الفترة . ويشكل البترول ٩٠٪ من الصادرات و٨٠ ٪ من الدخل القومى . وقد ادى تدهور انتاج البترول الى زيادة العجز فى ميزان المدفوعات ثم فرضت الحكومة فى ابريل عام ١٩٨٢ إجراءات تقشف جاءت متأخرة وادت الى المزيد من الاختناقات والبطالة . لقد كان تدفق الأيدى العاملة الافريقية الى نيجيريا مرتبطا بصعود امكانياتها البترولية . ومع انخفاض اسعار البترول العالمية وانقشاع السراب النفطى ، فإن القدرة الاستيعابية للنظام الاقتصادى النيجيرى قد انخفضت . ومن ثم لجأت الحكومة النيجيرية الى طرد العمال الافريقيين على الرغم من النتائج التى رتبها ذلك الاجراء على أوضاع الدول الافريقية المحيطة .

ومما يذكر ايضا ان الاجراء النيجيرى يجىء قبل ١٦ شهرا من الانتخابات العامة الأولى التى تجرى فى البلاد بعد عودة الحكم المدنى الى نيجيريا .

ويمكن القول ان طرد العاملين الافارقة على اعتبار انهم يتسببون فى خلق البطالة والازمات الداخلية من شأنه زيادة شعبية الرئيس « شجارى » وتدعيم موقفه فى الانتخابات القادمة وايجاد قدر من الاجماع القومى حول قيادته .

ومع هذا فإن احد قادة المعارضة وهو « نفادى ازيكوى » يصف اجراء حكومته بأنه لا اخلاقى .

ويدعونا هذا للتساؤل حول النتائج الحقيقية المتوقعة بهذا الاجراء على وضع نيجيريا الداخلى والخارجى .

☐ اثر قرار طرد العمالة الافريقية على اوضاع نيجيريا .

اول ما يثار فى هذا الصدد هو تاثير ذلك القرار على الاقتصاد النيجيرى . تشير التقارير الواردة من لاجوس الى ان العمل قد توقف فى العديد من المشروعات التى تعتمد بشكل أساسى على عمل الأجانب . وخاصة مشروعات الانشاء والتعمير الضخمة وأوجه الانفاق المظهرى المرتبطة بها والتى بدأتها الدولة مع تصاعد عوائد النفط . ويشكل الاجانب ثلثى القوى العاملة فى هذه المشروعات .

كما يحجم الواطنيون عن العمل فيها ايضا خشية ان تحسبهم السلطات الحكومية من الاجانب المتهربين ؛ حيث ان نظام البطاقات الشخصية غير معمول به فى البلاد . وأغلب الظن ان طرد اليد العاملة الافريقية لن يعدل الكفة التى انقلبت مع انخفاض اسعار النفط ، كما انه سوف يتسبب فى توقف العديد من المشروعات . وسوف تمر فترة طويلة قبل ان تتمكن الحكومة النيجيرية من ضغط الانفاق واعادة توجيهه وتقليص المشروعات غير المطلوبة بشكل مقبول جماهيريا . او ان تتمكن من احلال العنصر الوطنى محل الاجنبى . والى ان يتم هذا فان حالة الاستقرار السياسى سوف تظل عرضه للاهتزاز .

ويرى أحد المحللين ان الاجراء الذى اتخذته نيجيريا سوف يؤدى الى تعزيز الانتماءات القبلية وإضعاف التماسك الداخلى الذى يكون دائما عرضه لاعادة النظر فى الدول التى تتجاوز فيها المجموعات الاجتماعية دون تداخل وهو ما يسميه بالدولة الموزايكو L'etat Mosaique.

والخلاصة أنه اذا كانت الحكومة النيجيرية قد تخلصت من الوجود الأجنبى الذى اعتبرته معوقا لحل المشكلات التى تواجهها البلاد ؛ فيبقى أمامها مواجهة تلك المشكلات او البحث عن مبرارات أخرى فى حالة اخفاقها فى الاستجابة للمطالب الداخلية .

وتبقى الاشارة الى تأثير قرار طرد الايدى العاملة الافريقية على وضع نيجيريا داخل القارة . احتلت نيجيريا مكانا متميزا داخل القارة وفى الجزء الغربى منها بالتحديد نتيجة للثقل السكانى الذى تمثله ١٠٠ مليون نسمة . ومع صعود اسهم البترول ١٠٠ مليون

طن فقد ارتفعت مكانة نيجيريا واتجهت الى ممارسة دور دولى نشط . وف داخل القارة مارست دور الشقيقة الكبرى – حسب تعبير المحللين – ف مد الدول الافريقية المجاوره بالمعونات وتقديم فرص العمل . كما اتجهت الى ممارسة دور نشط ف داخل منظمة الوحدة الافريقية . ومن المرجح ان يسفر القرار النيجيرى عن تدهوره ف المكانة الدولية والافريقية وتراجع ف النشاط السياسى الخارجى لنيجيريا .

□ خلاصة :

ثمة دلالات معينة يمكن استنتاجها من حلقات الازمة التى مرت بها القارة الافريقية ف الشهور الماضية ..

□ أولها : ان الاوضاع الحالية السائدة على المستوى الدولى والافريقى لا تقدم اية ضمانات للحيلولة دون تكرار مثل هذه الازمات .

□ ثانيها : يتعلق بمسار التنمية ف نيجيريا . ويمكن القول ان محاولات التنمية ف دول العالم الثالث ، وحتى الدول النفطية المحظوظة منها – سوف تظل خاضعة لتقلبات النظام الاقتصادى العالمى – الذى تسيطر عليه الدول الصناعية الكبرى . وذلك لاعتماد الدول النفطية الكلى على التصدير وعلى سلعة واحدة ولقدرة الدول الصناعية على شروط التبادل . وتوضح خبرة البلدان الافريقية بشكل عام إنها كانت أول من تحمل عبء ارتفاع اسعار النفط واول من تضرر من انخفاض هذه الاسعار – كما هو واضح ف الخبرة التى نحن بصددها . اى أنها كانت ف الحالتين خاسره لانها شروط نموها لعناصر لا تتحكم فيها

التساؤل الثالث يدور حول دور منظمة الوحدة الافريقية ف معالجة الازمات الافريقية وفيما يتعلق بالتطورات الاخيرة لازمة اللاجئين فقد قامت المنظمة بإرسال لجنة من المراقبين الى لاجوس وابدت اهتماما انسانيا بحال اللاجئين وهو الموقف الذى اتخذته المنظمة على الدوام من هذه القضية . لحرصها على تبين موقف متوازن إزاء كافة الدول الاطراف ف المنازعات وتغليب اعتبارات الامن والحفاظ على الوضع القائم على اعتبارات الفعالية ف مواجهة المشكلات . فعلى الرغم من وجود مكتب للاجئين ف المنظمة وعلى الرغم من محاولات تطوير الاتفاقيات الدولية للاجئين لعام ١٩٥١ بحيث تتلاءم مع ظروف هذه المشكلة ف افريقيا إلا ان غياب القدرة على الالزام – ف حالة توافر الرغبة – يفقد المنظمة دورها ف حل الازمات الافريقية .

□ وإذا أخذنا ف الاعتبار ان اطراف ازمة اللاجئين التى تشهد القارة الافريقية احد حلقاتها الآن هم اعضاء ف منظمة اقليمية واحدة هى المجموعة الاقتصادية لدول غرب افريقيا التى تهدف الى رفع الحواجز بين الدول الاعضاء وادماجها ف نطاق اقليمى واحد ، فان التساؤل يدور حول جدوى وفعالية هذه المنظمة وما على شاكلتها من منظمات تجمع بين دول مختلفة بل ومتناقضة من حيث الامكانيات والتوجه السياسى والمصالح ، ويتربص حكامها ببعضهم البعض ولا يجمع بينها سوى أطار جغراف . □



تمثيل كمبوتشيا فى الأمم المتحدة فى مؤتمرات دول عدم الانحياز

محمد عبدالوهاب الساكت

جاءت توصية المؤتمر السابع لدول عدم الانحياز (مارس ٨٣) حول تمثيل كمبوتشيا فى المؤتمر متمشية مع الانقسام الواضح فى الرأى بين أعضاء المؤتمر ونتيجة للدور الذى قامت به الدول الكبرى فى هذا الموضوع ، اذ اخذ المؤتمر باقتراح مصر بترك المقعد شاغرا أسوة بما تم الاخذ به فى المؤتمر السادس لدول عدم الانحياز . وهكذا لم يتم تمثيل اى من الحكومتين : حكومة كمبوتشيا الديمقراطية برئاسة سيهانوك أو الحكومة الشعبية الديمقراطية الموجودة بالحكم الآن .

والواقع أن هذا الموضوع ـ وهو موضوع تنازع حكومتين على حق تمثيل دولتيهما ـ ظل مثارا فى المحافل الدولية منذ عام سنة ١٩٧٠ بعد إقصاء سيهانوك عن الحكم فى كمبوديا ، فاثير لاول مرة أثناء مناقشة تقرير لجنة أوراق الاعتماد فى الدورة السادسة والعشرين للجمعية العامة للامم المتحدة ثم ادرج كبند مستقل فى جدول أعمال الدورة الثامنة والعشرين للجمعية العامة بناء على طلب ٣٣ دولة وتحت عنوان « استعادة الحقوق الشرعية للحكومة الملكية للاتحاد الوطنى فى كمبوديا فى الامم المتحدة وباغلبية ٦٩ صوتا ضد ٣٤ وامتناع ٣٩ عن التصويت ، وقد استندت هذه الدول فى طلبها الى الأسباب التالية : ـ

١ ـ أن الحكومة الملكية للاتحاد الوطنى لكمبوديا التى يراسها رئيس الدولة ، نوردوم سيهانوك هى الحكومة الشرعية الوحيدة لكمبوديا التى تعترف بها هذه الدول وهو ماظهر فى الموافقة على اشتراكها ممثلة لكمبوديا فى المؤتمر الرابع لرؤساء دول وحكومات دول عدم الانحياز الذى عقد . بالجزائر فى سبتمبر سنة ١٩٧٣ واشتركت فيه غالبية الدول الاعضاء فى الامم المتحدة وقد أعلن المؤتمر ان الحكومة الملكية للاتحاد الوطنى لكمبوديا التى يراسها رئيس الدولة الامير نوردوم سيهانوك ـ هى الحكومة الشرعية الوحيدة لكمبوديا ، كما دعا دول عدم الانحياز والدول الاخرى الى الاعتراف بهذه الحكومة ، كذلك فقد تعهد المؤتمر بتأييد الحكومة الملكية للاتحاد الوطنى لكمبوديا فى صراعها من اجل استعادة حقوقها الشرعية فى تمثيل كمبوديا فى الامم المتحدة وغيرها من المنظمات الدولية .

٢ ـ ان الانقلاب الذى الذى تم فى مارس سنة ١٩٧٠ بواسطة مجموعة لون نول وبمساعدة قوات أجنبية قد اقصى الحكومة الشرعية عن حقها فى تمثيل دولة كمبوديا فى الامم المتحدة وفى غيرها من المنظمات .

٣ ـ أن شعب كمبوديا قد شن نضالا مستميتا من أجل استعادة حريته واستقلاله وأن الحكومة الملكية للاتحاد الوطنى لكمبوديا تمارس السيطرة على تسعة أعشار الارض الوطنية وتتمتع بتأييد الشعب الكمبودى وتلتزم بسياسة السلام وعدم الانحياز والصداقة مع جميع البلدان ، كما انها قد اقامت سلطة شرعية فى المناطق التى سيطرت عليها على اساس الانتخابات الحرة الديمقراطية . وقد قدمت مجموعة الدول المشار اليها مشروع قرار تقرر فيه الجمعية العامة استعادة الحقوق الشرعية للحكومة الملكية للاتحاد الوطنى لكمبوديا فى الامم المتحدة وتعترف فيه بممثليها باعتبارهم الممثلين الشرعيين الوحيدين لكمبوديا وذلك مع طرد ممثلى مجموعة لون نول من المقعد الذى احتلته بصورة غير شرعية فى الامم المتحدة وفى المنظمات المرتبطة بها .

وقد رد على ذلك وزير خارجية جمهورية خمير فى ١٩٧٣/١٠/٢٣ بارسال نص القرار الذى أصدره برلمان جمهورية خمير والذى يدعو السكرتير العام الى حث الدول الاعضاء المشتركين فى الدورة الثامنة والعشرين للجمعية العامة وطبقا للمادة ٢ ف ٧ من الميثاق على أن يمتنعوا عن اثارة موضوعات تتعلق بجمهورية خمير ، لاسيما تلك المتعلقة باختيار النظام السياسى أو نظام

الحكومة وهو الامر الذى يقع بصفة كاملة فى نطاق حق وسلطة الشعب الخميرى .

وبتاريخ ١٩٧٣/١٠/٢٤ قدم ممثلو كل من اندونيسيا واليابان وماليزيا ونيوزيلندا والفلبين والسنغافورة وتايلاند مذكرة للسكرتير العام ، تتضمن افكارهم المشتركة حول الموقف فى خمير ، ويشيرون الى ضرورة ان يسمح للشعب هناك ان يحل مشاكله السياسية بنفسه بطريقة سلمية وبعيدا عن اى تدخل اجنبى وعلى ان تمتنع الامم المتحدة عن اتخاذ اى عمل من شانه التأثير على قرار الشعب او يطيل المعاناة المؤلمة والخسائر فى الارواح والممتلكات هناك . وفى ٢٣ نوفمبر سنة ١٩٧٣ قدم ممثلو ٢١دولة الى الامين العام ، نص البيان الذى اصدره الامير سيهانوك فى ٢٣ نوفمبر ١٩٧٣ وتضمن تصميمه على مواصلة النضال حتى ينتهى العدوان الاجنبى ضد بلاده وقيام الحكومة الملكية بممارسة عملها بصورة كاملة فى كمبوديا التى تمارس عليها سلطة كاملة .

وقد قامت الجمعية العامة بمناقشة هذا الموضوع خلال يومى ٤ ، ٥ ديسمبر سنة ١٩٧٣ وحيث انقسمت الاراء الى قسم يؤيد اعتراف الامم المتحدة ـ بحكومة الامير سيهانوك بدل حكومة لون نول وقسم يعارض ذلك وفقا لما يلى : ـ

ا ـ القسم الذى يؤيد الاعتراف بحكومة سيهانوك وقد تزعمته كل من الصين والجزائر بدعوى مايلى :

١ ـ انه حتى ١٨ مارس سنة ١٩٧٠ فان كمبوديا كانت تتبع سياسة الحياد التى ساعدت على مواجهة ضغوط الولايات المتحدة والعدوان المتعدد . وكذلك انتهاكات السيادة . كما لم تواجه بمعارضة داخلية تؤدى الى اسقاطها .

٢ ـ ان تغيير النظام الذى تم فى ١٨ مارس سنة ١٩٧٠ بمساعدة قوى اجنبية اثناء تغيب رئيس الدولة فى الخارج . لم يتم قبوله سواء من سيهانوك او من الشعب الكمبودى .

كما لم يحظ بالقبول والاعتراف به من العديد من دول العالم التى استمرت فى الاعتراف بحكومة سيهانوك وحدها .

٣ ـ ان حكومة سيهانوك تمارس عملها داخل الاراضى الكمبودية باستثناء رئيس الدولة ووزير الخارجية وهى وان كانت لاتسيطر على العاصمة الا انها تسيطر على ٩٠ ٪ من اراضى كمبوديا ، ٨٠ ٪ من الشعب .

٤ ـ انه قد سبق لكثير من دول العالم ان اعترفت بحكومات مؤقتة تعمل خارج اراضى الدولة ولاتمارس نشاطها من عاصمة البلاد ، ومن ذلك الاعتراف بالحكومة المؤقتة لجمهورية الجزائر التى مارست عملها فى تونس فى الفترة من عام ١٩٥٨ ـ ١٩٦٢ ، واكتسبت تأييدا عالميا باعتبارها الحكومة الشرعية الوحيدة الممثلة للشعب الجزائرى وكذلك مانالته لجنة التحرير الوطنى الفرنسية التى شكلها بالجزائر الجنرال ديجول فى الفترة من ١٩٤٣ ـ ١٩٤٤ من اعتراف بتمثيلها للشعب الفرنسى برغم ممارستها لعملها خارج الاراضى الفرنسية وبعيدا عن العاصمة باريس .

٥ ـ للاسباب السابقة كلها فان نظام لون نول غير الشرعى لايمثل فى الامم المتحدة الا المجموعة التى مازالت تسيطر على العاصمة بنوم بنه التى لايمكن ان تتحدث بفعالية أو تتصرف باسم الشعب الكمبودى لاسيما مع وجود المقاومة والصعاب الاقتصادية فى المناطق التى تسيطر عليها . ونظرا لعدم الموافقة المستمرة والمتزايدة التى تبديها وفود الدول فى الجمعية العامة ضد أوراق اعتماد ممثلى لون نول فانه من واجب الجمعية العامة ان تعترف على الفور بحكومة سيهانوك باعتبارها الممثلة الوحيدة للشعب الكمبودى وان يحتل ممثلوها مقعد كمبوديا فى الامم المتحدة ، وهى بذلك لاتسلب الشعب الكمبودى حقه فى اختيار ممثليه وانما تؤكد وتعترف بما سبق للشعب الكمبودى ان اختارهم ممثلين له . وبهذا فانها تدعم مركز وسلطة الامم المتحدة بضمانها التمثيل الحقيقى للشعوب التى تكون الامم المتحدة .

ب ـ القسم الذى يدعو الى عدم احداث تغيير فى تمثيل خمير فى الامم المتحدة :

ويتزعمه ممثلو حكومة لون نول والولايات المتحدة وبعض الدول الآسيوية وذلك للاعتبارات التالية : ـ

١) أن ماوقع فى كمبوديا فى ١٨ مارس سنة ١٩٧٠ لم يكن انقلابا او تغييرا ثوريا فى نظام الحكم وانما كان إجراء دستوريا قام فيه مجلس البرلمان فى كمبوديا المنتخب من اعضاء الحزب السياسى الذى يراسه سيهانوك باتخاذ قرار مشترك باقصاء سيهانوك عن منصب رئيس الدولة وتعيين رئيس الجمعية الوطنية رئيسا مؤقتا للدولة طبقا للدستور الى حين انتخاب رئيس جديد للدولة . وذلك استجابة لرغبة الشعب ومطالبه .

وهو الامر الذى يؤكده استمرار رئيس الحكومة والوزراء فى القيام باعمالهم وعدم حدوث اى تغيير بينهم .

وقد قام مجلس البرلمان في ١٩٧٠/١٠/٩ باعلان الجمهورية كما قاما في ١٩٧٢/٤/٣٠ باقرار الدستور الجديد للجمهورية .

٢) ان رئيس الدولة الحالى لون نول والحكومة الحالية قد جاءت نتيجة لانتخابات حرة وعن طريق الاقتراع العام والمباشر من قبل الغالبية العظمى لشعب خمير في ١٩٧٢/٦/٣ ، كما تبع ذلك اجراء انتخابات تشريعية لانتخاب أول مجلس شيوخ وأول جمعية وطنية للجمهورية ، وهذه الحكومة تسيطر على ٨٠ ٪ من أراضى خمير حيث يدين لها بالولاء ٢٣ مقاطعة من مجموع عدد المقاطعات البالغ ٢٧ مقاطعة ، كما انها تسيطر على الغالبية العظمى من السكان والذى يقدر عددهم بستة ملايين مواطن من اجمالى عدد السكان البالغ سبعة ملايين ، وذلك مع ملاحظة انها تسيطر ايضا على العاصمة التى يبلغ عدد سكانها مليونى مواطن وهو الامر الذى يدل عليه قيامها بمنح تصاريح الطيران الاجنبى فوق أراضى خمير .

٣) انه لايوجد مايدل على وجود اية تنظيمات لحكومة سيهانوك في الاراضى الكمبودية وهي لايمكن ان تعد إلا حكومة في المنفى حيث تقيم في عاصمة دولة اجنبية يفصل بينها وبين خمير ثلاث دول هى « فيتنام الشمالية ، ولاوس ، وفيتنام الجنوبية » ، وهى بذلك لاتستطيع اداء اية التزامات دولية .

أما بالنسبة للمناطق التى تجد الحكومة صعوبة في السيطرة عليها فان ذلك بسبب احتلالها من قبل قوات فيتنام الشمالية والفيت كونج ، واتخاذها قاعدة للهجوم على اراضى فيتنام الجنوبية . وقد كان هذا هو السبب الرئيسى في اقصاء سيهانوك عن الحكم لسماحه لهذه القوات بالاقامة في اراضى كمبوديا ، كما أنه الان يطلب مساعدة هذه القوات الاجنبية لاعادته الى الحكم مما يعد خيانة وطنية .

٤) ان شعب خمير لم يمنح سيهانوك حقا مقدسا في الاستمرار في حكمه وانه يطلب اتاحة الفرصة له لممارسة حقه في اختيار نظام حكمه وعدم تدخل الامم المتحدة في شئونه الداخلية . لاسيما وأن حكومته قد ابدت استعدادها لاحترام التزاماتها الدولية بطلب المساعدة من اجل تحقيق المصالحة الوطنية في بلادها .

٥) ان حكومة خمير تطلب اعادة عمل اللجنة الدولية للرقابة التى انشئت - بموجب اتفاقيات جنيف لعام ١٩٥٤ ، وتنفيذ المادة ٢٠ من اتفاقيات باريس الموقعة مابين فيتنام الشمالية والولايات المتحدة في ٧٣/٦/١٣ والتى تدعو الى سحب القوات الاجنبية من خمير .

وقد اسفرت نتيجة المناقشات الى قيام الجمعية العامة بارجاء النظر في هذا الموضوع الى دورتها التاسعة والعشرين وعدم اتخاذ اى قرار بشأن تمثيل خمير في الامم المتحدة وذلك باغلبية ٥٥ صوتا ضد ٥٥ وامتناع ١٧ دولة عن التصويت .

وفي الدورة التاسعة والعشرين اعيد بحث هذا الموضوع مرة أخرى خلال الفترة من ٢٦ - ١٩٧٤/١١/٢٩ حيث قدم مشروعا قرارين أحدهما من ٢٣ دولة والآخر من ٣٧ دولة ينص على استعادة الحقوق الشرعية للحكومة الوطنية لكمبوديا في الامم المتحدة والاعتراف بممثليها باعتبارهم الممثلين الشرعيين الوحيدين لكمبوديا وطرد ممثلى مجموعة لون نول من المقعد الذى احتلوه بصورة غير شرعية في الامم المتحدة والمنظمات المرتبطة بها .

وفي ٢٧ نوفمبر أعطت الجمعية العامة الاولوية للتصويت على مشروع قرار الدول الثلاثة والعشرين ، ووافقت عليه بموجب القرار رقم ٣٢٣٨ وباغلبية ٥٦ صوتا ضد ٥٤ وامتناع ٢٤ عن التصويت ، وحيث تضمن أنه « نظرا لان الحكومة الملكية للاتحاد الوطنى لكمبوديا التى يراسها الامير نورودوم سيهانوك تمارس السلطة على جزء فقط من كمبوديا وأن حكومة جمهورية خمير لاتزال تحتفظ بالسيطرة على الجانب الاكبر من الشعب الكمبودى ، وايمانا منها بأن الشعب الكمبودى يجب أن تتاح له الفرصة لحل خلافاته الاساسية بعيدا عن التدخل الخارجي وأن هذه التسوية السياسية يجب ان تتم بين الاطراف المعنية بدون تدخل خارجي ، فانها تدعو كل الشعوب التى لها تأثير على طرفى النزاع لاستخدام مساعيهم الحميدة للوساطة بين الفريقين المتصارعين من أجل استعادة السلام في كمبوديا ، كما يدعو القرار الامين العام الى تقديم المساعدة اللازمة للطرفين المتصارعين اللذين يدعيان الحقوق القانونية في كمبوديا وتقديم تقرير بذلك الى الجمعية العامة في دورتها الثلاثين ، وعلى ألا تتخذ الجمعية العامة اى قرار حتى تتاح الفرصة للدول الاعضاء لدراسة تقرير الامين العام .

ومن العوامل التى ساعدت على صدور ذلك القرار بهذا الشكل موقف الصين وغالبية الدول الافريقية الآسيوية المؤيدة لحكومة سيهانوك من جانب واعتراف كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى بحكومة لون نول الجديدة واستمرار علاقاتها الدبلوماسية معها ، وذلك علاوة على تخوف عدد من الدول من انغماس الامم المتحدة في تقرير شرعية الحكومات في المنفى .

وفى ابريل سنة ١٩٧٥ حدث انقلاب عسكرى موال للصين برئاسة بول بوت ، الذى استمر فى الحكم وحتى ٧ يناير ١٩٧٩ حيث استولى على الحكم هنج سامرين الذى قام بتغيير اسم الدولة من جمهورية كمبوتشيا الديمقراطية الى جمهورية كمبوتشيا الشعبية .

ونظرا لان هذا الإنقلاب قد تم بمساعدة فيتنام التى كانت أول دولة تبادر للاعتراف به فقد ثارت مرة أخرى فى الامم المتحدة وفى المحافل الدولية مشكلة تمثيل كمبوتشيا وكان أول مظهر لها اثناء انعقاد مجلس الامن فى ١٩٧٩/١/١١ لمناقشة الشكوى السابق تقديمها من حكومة بول بوت ضد فيتنام حيث وافق المجلس على قبول أوراق اعتماد وفد حكومة بول بوت برئاسة الامير سيهانوك بدلا من وفد الحكومة الجديدة ، وذلك نظرا لما أثير من توليها السلطة بمساعدة دولة أجنبية . وفى المؤتمر التحضيرى لمؤتمر دول عدم الانحياز فى كولومبيو سنة ١٩٧٩ صوتت الدول الاعضاء لصالح تمثيل حكومة بول بوت لكمبوتشيا دون أن تسمح لها بالاشتراك فى الاجتماعات .

وفى مؤتمر هافانا لدول عدم الانحياز عام ١٩٧٩ تم التوصل الى اتفاق بترك مقعد كمبوتشيا خاليا وان تترك بدون تمثيل انه فى الوقت الذى وجدت فيه أغلبية تشكك فى صلاحية حكومة بول بوت فانه لم توجد أغلبية تؤيد تمثيل حكومة هنج سامرين .

كذلك فقد قررت الجمعية العامة بناء على اقتراح الهند فى الدورة الرابعة والثلاثين حلا مماثلا بعد ان اتضح أن هناك عددا كبيرا من اعضاء الوفود ليست على استعداد لقبول تمثيل حكومة هنج سامرين لكمبوتشيا باعتباره نظاما يعتمد على تأييد فيتنام له ـ الامر الذى يخالف مبادىء الميثاق فى حق تقرير المصير وتحريم استخدام القوة . ومن الناحية الاخرى فقد ايد انصار هذه الحكومة لن المسألة ليست مسألة الاختيار بين حكومتين لتمثيل كمبوتشيا وانما هى مسألة شكلية .. تتعلق بتقدير صلاحية أوراق الاعتماد الصادرة من السلطة الفعالة الوحيدة فى الدولة ... غير ان الاتجاه العام لدى الدول الأعضاء كان يميل الى عدم اتخاذ قرار بهذا الشأن وحتى لايفسر الأمر وكأنه بمثابة تاييد للتدخل العسكرى لفيتنام فى كمبوتشيا . ☐



الاتجاهات الجديدة في السياسة الدفاعية اليابانية

نزيرة الافندى

ابتداء من اليوم .. اول ابريل عام ١٩٨٣ .. تسرى الميزانية اليابانية الجديدة . واذا كان اقرار ميزانيه ما وبدء العمل بها ، يعد حدثا دوريا يقع بصفة متوالية ، على صعيد الدول والمؤسسات الدولية والاقليمية والمحليةعلى حد سواء .

الا ان الواقع بالنسبة للميزانية اليابانية الجديدة ، يعد مختلفا اذا نظرنا اليها من داخل اليابان ، أو من الخارج ومن منظور دولى . ومنبع هذا الاختلاف ناجم عن تميزها بسمتين أساسيتين :

اولاهما :

- الانخفاض الواضح فى معدل زيادتها ، حيث لم يتجاوز ١,٤ فى المائة ، وهو ادنى معدل للزيادة على مدى ثلاث عقود اما السمة الثانية ، فتتمثل فى الاتجاه المضاد الذى اتخذه الانفاق الدفاعى فى الميزانية اليابانية ، حيث قررت الحكومة اليابانية زيادة هذا الانفاق بنسبة ٦,٥ فى المائة ليصل اجمالى مخصصات زيادة هذا الانفاق ٢,٧٥٤ الف مليارين ، أو ما يعادل ١١,٨٢ مليار دولار وباستبعاد اثر التضخم نجد أن الميزانية الدفاعيه قد ارتفعت بنسبة ٤ فى المائة .

ومن واقع هذه الزيادة ، نجدها تتعارض والاتجاه التقشفى الذى اتخذته الميزانية ، بصفة عامة حيث تضمنت تجميد الأجور بالنسبة للعاملين فى الحكومة والخدمات العامة ، وتخفيض الانفاق فى مجال التعليم والمعاشات .

كما أن هذه الزيادة تتجاوز ما تطالب به الولايات المتحدة حلفاءها من الدول الغربية الاعضاء فى منظمة حلف الاطلنطى ، حيث ان نسبة الزيادة الحقيقية لاتتجاوز ٣ فى المائة ، بينما ارتفع الانفاق اليابانى فى مجال الدفاع بنسبة تتجاوز ٤ فى المائة .

يضاف الى هذا وذاك ، ان زيادة الانفاق العسكرى اليابانى ، قد جاءت فى وقت ازدادت فيه المطالب الامريكية خاصة والغربية عامة ، بضرورة تحمل اليابان . لمسؤلياتها فى مجال الدفاع فى منطقة الشرق الا... بعد ان تفرقت طويلا لعملية النمو الاقتصادى فى اطار الحماية العسكرية والمظلة النووية التى توفرها « واشنطون » لطوكيو .

كما يلاحظ أن القرار اليابانى الأخير ، وان كان معدل الزيادة أقل منه مقارنا بعام ١٩٨٢ ، حيث كان ٧,٨ فى المائة . الا انه رفع النسبة التى تستقطع من اجمالى الناتج القومى من ٩٣ فى المائة الى ٩٨ فى المائة ، وذلك نتيجة للتقشف والجمود فى اوجه الانفاق الأخرى . واذا اخذنا فى الاعتبار بعض البنود الاخرى مثل التعويضات والمعاشات العسكرية . سنجد أن النسبة التى تنفقها طوكيو تتجاوز ١,٦ فى المائة من اجمالى الناتج القومى .

والواقع أن هذا التطور المالى ، اذا أخذ فى اطار أوسع واشمل تمثلا فى تغيير القيادة السياسية اليابانية وما أعقبه من سلسلة التصريحات والتحركات الرامية الى تدعيم التحالف السياسى والعسكرى مع واشنطون ، نجد ان هناك اتجاهات جديدة فى السياسة الدفاعية تتجمع فى سماء الحياة السياسية اليابانية ، وان هذه الاتجاهات يتجدد الحديث بشأنها بين الحين والحين ، وان كانت قد اتخذت صورة اكثر وضوحا فى الفترة الأخيرة ، وذلك نتيجة تلاقى الأهداف التى تسعى الى تحقيقها كل من الولايات المتحدة الأمريكية وبعض الساسة المحافظين فى اليابان ، بالاضافة الى ضغوط رجال الصناعة واصحاب الشركات والذين يشكلون قوة دعم وضغط وراء هؤلاء الساسة .

الجدل الجديد .. القديم :

والقول بأن هناك اتجاهات جديدة فى السياسة الدفاعية اليابانية ، وان الحديث حولها يتجدد بين الحين والحين ، نابعا من تتبع الجدل المثار حول السياسة الدفاعية اليابانية منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية . وقد اشار الى هذه النقطة احد اساتذة العلوم السياسية فى اليابان وهو « كاميشيها جيرو » الذى اوضح أن « المادة التاسعة من الدستور اليابانى » والذى نبذت طوكيو طبقا لها ، استخدام القوة كوسيلة

لحل المنازعات ووافقت على عدم حيازة امكانيات عسكرية تتيح لها شن الحرب . قد تم صياغتها من جانب سلطات الاحتلال الامريكية ... والمثير في الأمر ان الولايات المتحدة ذاتها هي التي تطالب الآن ، بتعديل هذه المادة ، وتنصرف وجهة نظره الى ان الاتجاه المعادي لواشنطون والذي تفجر إبان الستينات ، هو الذي دفع بالولايات المتحدة الى انتهاج هذا التكتيك . كما أن هذه الدولة ليس هناك خيار امامها سوى الاستمرار في أن تلعب دور « رجل البوليس في العالم » وهو الدور الذي اختارته واشنطون لنفسها وبارادتها . واذا تغيرت الظروف الى غير ذلك ، فان هناك سياسات بديلة يمكن اللجوء اليها « حينئذ .

واذا حاولنا تقسيم المراحل التي مر بها هذا الجدل الجديد – القديم حتى هذه اللحظة ، نجده ينقسم الى خمسة مراحل رئيسية تقريبا :

(١) وفيما يتعلق بالمرحلة الاولى وهي التي تمتد من عام ١٩٤٦ وحتى عام ١٩٥٧ . فقد شهدت هذه المرحلة مناقشات حادة في البرلمان الياباني وكذلك الدوائر القانونية ، حول الاتجاهات السلمية في الدستور الياباني بالاضافة الى معاهدة الأمن المتبادل الموقعة مع الولايات المتحدة الأمريكية . حيث شهدت هذه الفترة ، اندلاع الحرب الكورية ، وتوقيع معاهدة « سان فرانسسكو » في الثامن من سبتمبر ١٩٥١ ، لمعاهدتي السلام والأمن المتبادل مع واشنطون .

وطبقا للخطاب الذي ارسله الجنرال « ماك آرثر » الى رئيس الوزراء الياباني « يوشيدا » في الثامن من يوليو ١٩٥٠ ، تم تكوين قوات حكومية من ٧٥ الف فرد تحت اسم « احتياطي البوليس القومي هو الاساس في تكوين « قوات الدفاع الذاتي » بعد ذلك . وعلى الرغم من أن القوات الاخيرة قد تم تشكيلها في اطار تشريعات صادرة عن البرلمان « الدايت » ، الا أن هذا لم يمح مشاعر اليابانيين ، بالاحساس بأنها في البداية كانت« طفلا غير شرعي ولدته الحرب الكورية » ونتيجة لقرار تتخذ من جانب سلطات الاحتلال .

وبعد دخول معاهدة السلام الموقعة مع الولايات المتحدة الى حيز التنفيذ وابتداء من ٢٨ ابريل ١٩٥٢ ، وارتباط الأمن القومي الياباني بالاستراتيجية الامريكية في منطقة الشرق الاوسط الشرق الاقصى ، بدأت الولايات المتحدة في مطالبة « طوكيو » بضرورة دعم قواتها الدفاعية ، واتضح هذا الاتجاه خلال عام ١٩٥٣ بصفة خاصة . حيث أثيرت خلال هذا العام مناقشات حادة حول « قبول أو رفض اليابان لقانون الأمن المتبادل » . حيث أن هذا القانون كان يتضمن تقديم الأسلحة الى حلفاء الولايات المتحدة ، مقابل اعلان الدول المتلقية لهذه الأسلحة ، الز التزامها ببناء قدراتها الدفاعية .

وقد دام الجدل حول هذه النقطة طيلة الفترة من ١٩٥٣ وحتى مارس ١٩٥٤ ، حيث تم في التاريخ الاخير توقيع اربع اتفاقيات بين الدولتين تدخل في اطار « قانون الأمن المتبادل » .

وقد اعقب هذا التوقيع مناقشات عنيفة في « الدايت » انتهت بسقوط حكومة « يوشيدا » في ديسمبر ١٩٥٤ ، ليخلفه « هاتوياما » وتزداد حدة الجدل حول اعادة المادة التاسعة من الدستور وطبيعة ومفهوم القوة الدفاعية . بينما كان تفسير رئيس الوزراء الاول ينصرف الى أن « احتياطي البوليس القومي » لا يعد خرقا لقواعد الدستور ، حيث أنه لم يصل الى مرتبة القوات القادرة على خوض العمليات الحربية الحديثة نجد أن تفسير « هاتوياما » ينصرف الى انه ليس في معارضة الدستور من شيء ، الاحتفاظبالحد الأدنى من الامكانيات الحربية اللازمة للدفاع عن النفس » الا أن محاولات الحزب الديمقراطي الحر ، باءت بالفشل في مجال تعديل الدستور وبما يسمح بالاعتراف « بقوات الدفاع عن النفس » بأن تكون قوة عسكرية ضخمة . وذلك لتعثر حصولها على نسبة الثلثين في مجلس النواب والشيوخ . ومن هنا كان الطريق الوحيد امام الحكومات التالية ، هو النزوع الى السياسة التدريجية في بناء القوة الدفاعية اليابانية وفي اطار الدستور القائم .

المرحلة الثانية وتمتد من ١٩٥٧ – ١٩٦٤ :

تميزت هذه المرحلة بتزايد الحساسية القومية تجاه معاهدة الامن الياباني ، حيث أن القوة الاقتصادية التي حققتها اليابان واتضحت ابعادها في هذه الفترة ، ايقظت لدى لأفراد الاحساس بأن المعاهدة تضمنت النص على التزام طوكيو بمساعدة الولايات المتحدة عن طريق توفير القواعد العسكرية وبينما التزام الطرف الاخر وهو « واشنطون » لم يأخذ صورة عملية .

والواقع أن هذه الحساسية استشعرتها كل من الحكومة المنبثقة عن الحزب الديمقراطي الليبرالي ، وكذلك المعارضة وان اختلفت دوافع كل منها فقد كان موقف الطرف الاول نابعا عن الرغبة في الحد ، بل وازالة اى سبب من أسباب التباعد بين « واشنطون » « وطوكيو » وبما يؤدي الى تدعيم العلاقات . أما الطرف الثاني ممثلا في الحزب الاشتراكي الياباني والاحزاب التقدمية الاخرى ، فقد كانت تريد الغاء هذه

المعاهدة وليس مجرد مواجهة النقص فيها .

وقد تصاعدت الاحداث خلال هذه الفترة ، وامتدت من ، قضية معارضة المعاهدة اليابانية الامريكية ، الى المساس بقضية الديمقراطية ذاتها ، نتيجة الموقف الذى اتخذه الحزب الديمقراطى الليبرالى الحاكم والذى تجاهل فيه الاحزاب السياسية الاخرى ، والذى تم خلاله اقرار المعاهدة الجديدة بين الدولتين فى ١٨ يوليو ١٩٦٠ . واعقب ذلك موافقة مجلس الشيوخ الامريكى فى الثانى والعشرين من نفس الشهر خلال ذات العام .

واذا كان الحزب الديمقراطى الليبرالى ، قد سار قدما فى تنفيذ سياسته الخاصة بالعلاقات مع الولايات المتحدة الامريكية ، الا انه تحمل فى مقابل ذلك ، غضبة شعبية وحزبية عنيفة ، ادت الى سقوط حكومة « نوبوسوك كيشى » . وقد خلفه فى منصبه « هاياتو إيكيدا » الذى ركز على الجوانب الاقتصادية على حساب المجالات السياسية واصبح اهم شعار يتردد فى البلاد هو مضاعفة الدخل من خلال النمو الاقتصادى المرتفع

(٢) المرحلة الثالثة من عام ١٩٦٤ – ١٩٧٢ :

ويطلق على هذه الفترة اسم حكومة « ساتو » . حيث تولى فى نوفمبر ١٩٦٤ ، « ايزاكو ساتو » منصب رئيس الوزراء وقد اتخذت هذه الحكومة مواقف مواجهة مع المعارضة السياسية فى العديد من المجالات الخاصة بالسياسة الخارجية ومن بينها اعادة النظر فى معاهدة الأمن الموقعة مع الولايات المتحدة وبما يتواءم مع ظروف السبعينات ، الى جانب بحث وضع قاعدة « أوكيناوا » ، وسياسة الحكومة فى نطاق الدفاع حيث كانت الترتيبات تعد للخطة الرابعة لبناء القوة الدفاعية اليابانية (١٩٧٢ – ١٩٧٦) . وكانت حرب « فيتنام » بمثابة الوقود الذى أشعل المواجهة السياسية بين الحكومة والأحزاب السياسية ، حيث اتخذت حكومة « ساتو » موقفا مؤيدا لواشنطون على الرغم من خرقها لميثاق الامم المتحدة ، ومعاهدة الأمن المتبادل بين الجانبين . وقد عبر عن موقف الحكومة تصريح وزير الخارجية ، تعليقا على زيارة غواصة نووية لاحدى الموانىء اليابانية فى ١٠ مايو ١٩٦٥ ، فقد اوضح أن هذه الزيارة تتفق والمعاهدة الموقعة بين الدولتين والتى تلتزم بمقتضاها « طوكيو » بتقديم المساعدة العسكرية « لواشنطون »

وبعد ذلك حدث تطور خاص بالسياسة الدفاعية اليابانية فى اطار معاهدتها الموقعة مع الولايات المتحدة . حيث جاء ذكر المبادىء الثلاثة الخاصة بالسياسة النووية اليابانية (عدم انتاج ، أو تملك أو السماح بدخول مثل هذه الأسلحة الى البلاد) فى اطار المظلة النووية الأمريكية . على ان تشمل جهود « طوكيو » العمل على نزع السلاح النووى ، وتشجيع الاستخدام السلمى للطاقة النووية .

وعندما تولى « ياسوهيرو ناكاسونى » رئيس الوزراء الحالى ، منصب المدير العام لوكالة الدفاع اليابانية حث فى يونيو ١٩٧٠ . اعلن عن خطة دفاعية تعتمد على الذات يتم تنفيذها خلال السبعينات ، وذلك فى اطار اعلان ريتشارد نيكسون عن ضرورة اعتماد كل دولة – على نفسها بالدرجة الأولى – فى نطاق دفاعها .

وقد تبلورت السمات العامة لخطة « ناكاسونى » فى ضرورة احداث تغيير فى السياسة اليابانية الخاصة بالدفاع القومى ، والتى اتجهت منذ عام ١٩٥٧ طبقا لما أعلن بمجلس الدفاع وبحيث تعتمد السياسة الدفاعية على النفس بالدرجة الاولى ، على أن تكون معاهدة الأمن المتبادل مع الولايات المتحدة ، عنصرا مكملا لها .

يضاف الى ما سبق ضرورة أن تمارس القوات الجوية والبحرية حقها فى الدفاع عن الذات فى أعالى البحار والفضاء الجوى الدولى ، فى حالة تعرضها للغزو الأجنبى ، وذلك فى اطار قيادة موحدة للقوتين .

وقد تمت الموافقة على مقترحات « نيكاسونى » فى اطار الخطة الرابعة لبناء القوات الدفاعية . فى أبريل ١٩٧١ . وواعلى هذا بدورة ، التزامه أمام الحكومة الأمريكية ، بتنفيذ هذه الخطة .

الا ان الرياح جاءت بما لا تشتهى السفن ، حيث كان للخطوات المتلاحقة التى اتخذتها الولايات المتحدة فى مجال التقارب مع بكين ، وقف التحويل التلقائى بين الدولار والذهب ، الى جانب تزايد النقد الداخلى لهذه الخطة وتغيير الحكومة اليابانية وتولى « كاكادى تاناكا » لمنصب رئيس الوزراء . اثرها فى ادخال تعديلات جذرية على الخطة الرابعة لبناء القوة الدفاعية كما هى مقترحة من جانب « ناكاسونى » ، بحيث فقدت اهم سماتها عندما اعتمدها « مجلس الدفاع القومى » فى التاسع من اكتوبر ١٩٧٢ .

المرحلة الرابعة : ١٩٧٢ – ١٩٧٨

١ عده المرحلة نجد أن الجدل حول السياسة الدفاعية كانت له دوافع أخرى غير تلك المحركة له خلال فترة الستينات فبينما كانت السياسة العدوانية الا .ريكية فى فيتنام هى الدافع ايساسى للمطالبة

ضرورة اعادة النظر في معاهدة الأمن المتبادل الموقعة مع واشنطون . نجد انه خلال السبعينات ، كان للتقارب بين الولايات المتحدة والصين ، اثره الفعال الحاسم في التقارب بين الدولة الاخيرة وبكين بعد سبعة اشهر من قيام الرئيس الامريكي بزيارة الصين في فبراير ١٩٧٢ . وعندما حدث هذا التقارب الاول وما اعقبه من تقارب ، بل وتطبيع العلاقات بين الدولتين الآسيوتين ارتفعت ملا مرة أخرى مطالبة الاحزاب السياسية المعارضة ، بضرورة التخلي من معاهدة الامن مع الولايات المتحدة ، وكذلك عدم تنفيذ الخطة الرابعة لبناء القوة الدفاعية اليابانية . حيث أن حدة التوتر في أسيا قد انخفضت ، كما ان تكلفة تنفيذ هذه الخطة اصبح يعادل ضعف تكلفة تنفيذ الخطة السابقة عليها وهي الثالثة .

وبعد تولي تناكيويكي ، لرئاسة الوزراء خلفا « بكاكاوي تاناكا » طرأ تغيير على مفهوم صياغة السياسة الدفاعية اليابانية ، حيث ادخل مفهوم « القوة الدفاعية الاساسية » في صياغة البرنامج الدفاعي الذي سيبدأ العمل فيه في السنة المالية ١٩٧٧ بعد اتمام الخطة الدفاعية الرابعة . ثم جاء قرار الرئيس كارتر في هذا العام ، بسحب القوات الأمريكية المرابطة في كوريا ليعيد من جديد الجدل حول القدرات الدفاعية لليابان . خ حيث ان وجود القوات الأمريكية كان عنصرا اساسيا في استقرار الأوضاع في « شبه الجزيرة الكورية » وبالتالي فان انسحابها يقتضي اعادة النظر في مفهوم « القوة الدفاعية الاساسية »

وقد انقسمت الآراء داخل اليابان الى قسمين احدهما يمثله المدنيون ، الذين لايرون دافعا لاعادة تقييم السياسة الدفاعية للبلاد . اما القسم الآخر فقد كان يمثله العسكريون الذين يرون ضرورة تطوير القدرات العسكرية لليابان حيث أن مفهوم القوة الف الدفاعية الذاتية يجب الا يكون جامدا ، وانما صونا ى ويتلاءم مع التطور ـ العلمي والتكنولوجي في اى وقت كان .

الاتجاهات الجديدة .. ودوافعها :

ومنذ نهاية السبعينات وحتى الآن ، ومع توالي الرئاسات في الحكومات اليابانية ابتداء من « تاى تاكيو نوكودا » وحتى « سوزوكى » ثم « ناكاسونى » أخيرا . اشتد الجدل مرة أخرى حول السياسة الدفاعية اليابانية ، وذلك نتيجة للضغوط الامريكية الناتجة عن تعثر ادائها التجاري مع « طوكيو » وكذلك الصعوبات الاقتصادية التي تواجهها في الداخل ، والتي تتلاقى منه ـ ازمة النظام الاقتصادي الغربي عامة

بل ، على س صعيد العالم . .

جاء تولي « ناكاسونى » ، الذى كان يشغل صبمدير عام وكالة الدفاع الذاتي ، لمنصب رئيس الوزراء في نوفمبر ليزيد من حدة هذا الجدل . بالنظر الى تصريحاته الجزئية في هذا الصمود ابان زيادة زيارته « لواشنطون » في بداية عام ١٩٨٣ ، ثم الخطوات الايجابية التى أعلنها في مجال زيادة الانفاق العسكرى وعلى التخفيض من الاتجاه التقشفي العام في ميزانية عام ١٩٨٣ ، القرار المتخذ من جانب حكومته ايضا بالسماح بتمديد التكنولوجيا العسكرية الى واشنطون .

ولا شك أن كل هذه الخطوات انما تعكس وجهة النظر المتقاربة مع واشنطون بدرجة واضحة من جانب « ناكاسونى » كما انها تعد امتدادا لمفهومه الخاص بالسياسة الدفاعية اليابانية ، والذى يتركز في ضرورة صياغة هذا المفهوم في اطار « الأمن الشامل » ، الط الذى يشمل الجهود الدبلوماسية ـ والتعاون الاقتصادى ، الى جانب الرأى العام العالى ، بالاضافة الى « قوات الدفاع على النفس » ، وعلى أن تبلغ المخصصات الخاصة « بالأمن الشامل » ما لا يقل عن ٣ في المائة من اجمالي الناتج القومي كما أن السياسة الدفاعية اليابانية والاستراتيجية الشاملة الخاصة بها ، يتعين أن تأخذ في اعتباره العوامل السياسية والاقتصادية ، التكنولوجية والعلمية ، والعلاقات بين الكتل والقوتين الاعظم في العالم .

واذا كان « ناكاسونى » قد عبر عن هذا الموقف منذ توليه لمنصبه في وكالة الدفاع عام ١٩٧٠ ، ورددوه في العديد من المواقف والمقالات الصحفية . فاننا يجب الا تفسد الاتجاه الاخير الذى اتخذته السياسة الدفاعية اليابانية ، الى شخصه فحسب والط والظروف التى أدت الى توليد لمنصبه . ولكن تتيح الواقع يشير الى أن الجدل حول زيادة الانفاق العسكرى « لطوكيو » كان مطروحا على مدى ثمانية عشر شهرا قبل توليه لمنصبه ، الا أن « سوزوكى » كان يخشى اتخاذ قرار في هذا الصدد ، يفجر عاصفة سياسية من جانب المعارضة الحزبية في داخل حزبه أو الاحزاب الاخرى ، بالاضافة الى الحركات المؤيدة للسلام . ومن ثم فان الجراة الشخصية « لناكاسونى » هى التى عجلت بهذا التطور الذى سبق رد التزام ب« سوزوكى » في واشنطون في مايو ١٩٨١ .

بل ويؤكد من هذا الاتجاه المتزايد نحو اعادة النظر في السياسة الدفاعية اليابانية ، التدريبات العسكرية المشتركة والمناورات التى قامت بها القوات الامريكية

الاشت ت مع القوات الامـريكية ف نوفمبـر ١٩٨٢ ، ذلك ذول مرة ، وعلى مدى تسعة ايام ف منطقة تبعـد ٦ ميلا عن غرب طوكيو .

وفيما يتعلق بقرار التوسع ف « الانفاق الدفـاعي » يجب الا نحضره ف نطاق الضغوط الامـريكية والدول المتحالفة معها ف « الناتو » ، ولكن لابد أن ننظـر اليه ـن داخـل « اليابـان » ذاتهـا حيث أن الشركات الصناعية العملاقة وبخاصة العـاملة ف نطـاق انتـاج الاليكترونات والطائرات . اصـبحت تتـطلع الى زيادة نشاطها ف هذا المجـال ، ولتـكن الخـطوة الاولى على الصعيد القومى ، يتبعها التغلغل ف الاسواق الدولية ، الت ى التي لازالت ملىء على القوتين الاعظـم وبعض الدول الاوروبية . ويبرز ف هذا الصور ، اسم مؤسسة « ميتوبيشى » للصـناعات الثقيلة . حيث تقـوم هـذه المؤسسة بالاضافة الى اربعة مؤسسات اخرى ، بانتاج ما يقرب من ٨٠ ف المائة من المعدات العسكرية . التـى تقوم تقدم وكالة الدفاع الذاتى بشرائها .

يضاف الى هذا معدل النمو ف الصناعات الحـربية اليابانية ، يعادل ضعف معـدل النمـو ف الصـناعات التحويلية عامة . ومن ثم فان زيادة الانفاق الدفـاعى اليابانى عامة ، وف مجـال شراء الاسـلحة خـاصة ، يعنى المزيد من فرض النمـو والربـح امـام الشركات والمؤسسات الصناعية الكبرى ، التي تمثل به بـدورها « سـتدل اش اسـاسيا » للحـزب الديمقـراطى الديمقراطى الليبرالى الحاكم . ويدخل ف هذا النطـاق القرار بتصدير التـكنولوجيا العسـكرية اليابـانية الى « واشنطون » . فعلى الرغم من التسليم بتخلف هـذه التـكنولوجيا عن نظيرتهـا الامـريكية . الا ان تـوجد مجالات مثل صناعة « الواح التتانيوم » التى تستخدم ف بناء المقـاتلات والقـاذفات ، وكذلك الاجهـزة الاليكترونية كفيلة بامتصاص مـوجات الرادار . تتميز فيها اليابان بتفوق واضح مقارنة ، بالولايات المتحدة . ومن ثـم فـان منح اسـواق الدولة الاخيرة . امـام الشركات الد شركات الدولة الاولى يحقـق مـكاسب للجانبين .

ويبدو أن الحافز نحو تحقيق الربح وتسيع الاسواق ف الداخـل والخـارج .. ولو عن طـريق زيادة انتـاج « صناعة الموت » هو العامل الاساسى ف الجـدل الدائر والمناقشات السياسية العنيفـة الى تشـهدها اليابـان حاليا « حـول الاتجـاهات الجـديدة ف السـياسة الدفاعية » ⊟



مستقبل تايوان فى اطار العلاقات الصينية الامريكية

اسماعيل صبرى

أعلنت وكالة انباء الصين الجديدة عن الزيارة التى قام بها جورج شولتز وزير الخارجية الأمريكية للصين فى الاسبوع الأول من شهر فبراير الماضى ان زيارة المسئول الأمريكى فشلت فى ازالة العقبات التى تقف فى طريق تحسين العلاقات بين الصين والولايات المتحدة وان بكين معنية « بالاعمال وليس بالكلمات الجوفاء » وقبل هذه الزيارة كانت الولايات المتحدة قد فرضت فى اوائل العام الحالى قيودا على واردات النسيج الصينى وردت الصين على ذلك باجراءات مضادة . ويتردد الآن فى واشنطن ان الرئيس رونالد ريجان لن يزور الصين خلال الجولة التى سيقوم بها للشرق الأقصى خلال العام الحالى .... وهكذا تتجمع الشواهد ان التوعك الذى اصاب العلاقات الصينية الأمريكية منذ وصول ريجان للحكم — وبعد عقد من النمو المطرد فى هذه العلاقات — اصبح هو الاتجاه الغالب .

وكان الرئيس ريجان قد بعث فى فبراير ١٩٨٢ برسالة الى رئيس الوزراء الصينى بمناسبة مرور عشر سنوات على صدور بيان شنغهاى الذى وضع اسس تطبيع العلاقات الصينية الامريكية اكد فيها على المبادىء التى يجب ان تحكم العلاقات بين الدولتين لم يسارع بالرد على رسالة الرئيس الامريكى مما عكس عدم رضاء الصين عن سياسة الادارة الامريكية . والسبب الرئيسى لهذا التدهور فى العلاقات هو الخلاف حول امدادات الاسلحة الأمريكية لتايوان الذى لم يثر فى اى من الرسالتين على نحو مباشر غير ان الرئيس ريجان اعرب فى رسالته عن رغبته فى التغلب على الخلافات القائمة بين الدولتين فى حين عبر زهاو زيانج عن امله أن يسمح الالتزام بالمبادىء المعترف بها من جانب الحكومتين — وخاصة مبدأ وجود دولة صينية واحدة — بالتغلب على العوائق الحالية واكد ان الحكومة الصينية راغبة فى بذل الجهود مع الحكومة الأمريكية فى هذا الاتجاه . وقد اسفرت هذه الجهود — خاصة المفاوضات التى اجراها نائب الرئيس الامريكى جورج بوش خلال زيارته الى بكين فى الفترة من ٥ الى ٩ مايو ١٩٨٢ — عن التوصل الى بيان ١٧ اغسطس ١٩٨٢ حول مبيعات الأسلحة لتايوان وقد اعتمد هذا البيان المشترك على المبادىء التى جاءت فى بيان شنغهاى واتفاق تطبيع العلاقات بيد انه جعل ما كان متضمنا فى البيان والاتفاق واضحا صريحا وقد اشار المراقبون فى ذلك الوقت الى ان اعتقاد الجانبين ان تطوير العلاقات الطيبة بينهما يتطابق مع مصالح الشعبين ومع السلام والاستقرار فى آسيا وفى العالم التوصل الى اصدار هذا البيان امرا ممكنا . وقدرت الاوساط الامريكية مثل وزارة الخارجية ان المصالح المشتركة للصين والولايات المتحدة على المستوى العالمى والمستوى الاقليمى اكثر اهمية من خلافاتهما التى كان بيان ١٧ اغسطس محاولة لتجنب تفاقمها . وقد اكدت الصين فى هذا البيان على ان سياستها الأساسية هى السعى لتوحيد تايوان مع الوطن الأم بالطرق السلمية بينما اكدت الولايات المتحدة فى البيان انه ليس فى نيتها التعدى على سيادة الصين ووحدة اراضيها او اتباع سياسة تنادى « بدولتين صينيتين » أو « بدولة صينية واحدة وتايوان المستقلة » وانها لاتحاول اتباع سياسة طويلة لتزويد تايوان بالاسلحة وان مبيعات الأسلحة لتايوان لن تتجاوز مستويات امدادات عام ١٩٧٨ وانها تنوى تخفيض هذه المبيعات بالتدريج . وتعهدت الدولتان ببذل الجهود الكفيلة بإيجاد الاطار الذى يمكن من خلاله تسوية مسألة مبيعات الأسلحة لتايوان .

بيد ان البيان حول مبيعات الأسلحة لتايوان — الذى صيغ بدقة وعناية حتى لايتضمن اى التزام امريكى — لم يحل الخلافات القائمة بين الدولتين ... فالخلافات لا تنصب على مجرد مبيعات الأسلحة الأمريكية لتايوان

ولكن حول مستقبل نظام الحكم القائم في تايوان ووضعه الدولي وفي هذا الاطار ترفض سلطات تايبية بصفة مستمرة اجراء اية اتصالات مع بكين كمنطلق لاعادة توحيد الصين .... ذلك على الرغم من اعتراف حكومة تايوان بأن وضعها الدولي اصبح غير مستقر .

مقترحات جديدة لاعادة التوحيد :

كان الاحتفال بمرور ٧٠ عاما على انشاء جمهورية الصين فرصة مواتية امام بكين لتقديم مقترحات جديدة لعودة تايوان الى الوطن الام ، وقد اصبح عرض مثل هذه المقترحات شيئا مألوفا ومتوقعا في كل التصريحات الهامة للقيادة الصينية منذ ثلاثين عاما الا ان المقترحات الاخيرة التي اعلنت في ٣٠ سبتمبر ١٩٨١ ذهبت ابعد من كل المقترحات السابقة . وتضمنت هذه المقترحات التي جاءت في رسالة وجهها المارشال يي جيانج الى « المواطنين الصينيين في تايوان » ٩ نقاط تقضي بتمتع تايوان بوضع « المنطقة الادارية الخاصة » وبحكم ذاتي ذي سلطات واسعة واحتفاظها بقواتها المسلحة وبنظامها الاجتماعي والاقتصادي ، كما تضمنت المقترحات دعوة للشخصيات السياسية في تايوان لشغل مناصب قيادية في السلطات العليا للدولة الصينية ودعوة للمستثمرين التايوانيين لاستثمار اموالهم في الوطن الام والالتزام بتقديم المعونات التي يحتاجها الاقليم في حالة وجود صعوبات اقتصادية وتأكيد على « ان الحكومة المركزية لن تتدخل في الشئون الداخلية لتايوان ».

كذلك اقترحت بكين اعادة العلاقات البريدية مع تايوان ونقل جثمان تشانج كاي تشك ليدفن في ارض اجداده وهو ما يحظى باحترام شبه ديني لدى المواطن التايواني التقليدي . ولم يلق هذا العرض اي استجابة . من تايبية وفي الواقع فان بكين لم تكن تتوقع اي استجابة .

وقد سبق هذا « الهجوم الودي » عدة خطوات استهدفت تحقيق التقارب بين الصين وتايوان وفتح الباب امام امكانية اجراء اتصالات ومن بين هذه الخطوات التأبين الفخم الذي اقيم في بكين لوفاة السيدة سونج كنجلنج زوجة الرئيس صن يات صن منشيء جمهورية الصين واخت زوجة تشانج كاي تشك وايضا التخفيف من سياسة بكين التقليدية تجاه الصينيين الذين يعيشون في الخارج وانشاء منطقة اقتصادية مفتوحة امام رؤوس الاموال الاجنبية في اقليم فرجيان — اقرب الاقاليم الصينية لتايوان — وعقد عدة اتفاقيات خاصة بالنقل الجوي مع هونج كونج تسمح لطائرات التجارية الصينية بالاضافة الى الطائرات التايوانية بالهبوط مطار كايتال . وقد عاد هو ياوبانج السكرتير العام للحزب الشيوعي الصيني واكد على مبدأ « دولة واحدة ونظامين اقتصاديين » في يونيو ١٩٨٢ ، وهو المبدأ الذي تبنته السياسة الصينية في سعيها لتسوية قضية تايوان وايضا وضع كل من هونج كونج ومكاو في المستقبل وقد استهدفت هذه المبادرات بشكل اساسي طمأنة الرأي العام العالمي بعدم وجود اي نوايا عدوانية لدى الصين وطمأنة الرأي العام الامريكي بما يسمح بدفع المفاوضات العسكرية الثنائية التي بدأت بزيارة هارولد براون وزير الدفاع الامريكي للصين في اوائل عام ١٩٨٠ والزيارة التي قام بها نائب رئيس وزراء الصين جنج بياو للولايات المتحدة عام ١٩٨٠ ثم تبعتها زيادة هيج لبكين في ابريل ١٩٨١ وزيارة الجنرال ليو هيواكنج رئيس اركان الجيش الصيني في الولايات المتحدة في نوفمبر ١٩٨١ . وتركزت هذه المحادثات على التحديث الضروري للجيش الصيني وفقا لشروط ميسرة لاتشكل عبئا على اقتصاد يعاني بالفعل من مصاعب عديدة غير ان تولي الرئيس ريجان للرئاسة كان بداية انعكاس في اتجاه العلاقات بين الصين والولايات المتحدة ما لبث ان تأكد بمرور الوقت .

العلاقات الصينية الامريكية في عهد ريجان :

على الرغم من وجود المشكلة التايوانية بشكل دائم في خلفية العلاقات الامريكية الصينية فانها اصبحت تسمم تلك العلاقات بشكل متزايد منذ انتخاب ريجان لمنصب الرئاسة . بل قبل ان يتولى منصب الرئاسة ادت التصريحات التي ادلى بها في اغسطس ١٩٨٠ اثناء حملته الانتخابية — والتي اكد فيها على رغبته في اعادة العلاقات الرسمية مع تايوان — الى اثارة مخاوف بكين وتطلب الامر توجه بوش الى بكين في نفس الشهر للتخفيف من مضمون هذه التصريحات ورغم ان الرئيس ريجان صرح بشكل علني بعد وصوله للبيت الابيض انه مقتنع بضرورة الحفاظ على اتفاقيات التطبيع التي ابرمت عام ١٩٧٩ الا انه اعرب مرارا عن التزامه تجاه تايوان . بالاضافة الى ذلك فانه محاط بعدد من الشخصيات الصديقة لتايوان . ولم يتخل ريجان عن خطط بيع طائرات ب — إف إكس — المتقدمة التي طلبت تايوان شراءها الا تحت الضغط الشديد والمتكاتف لكل من وزارة الخارجية ووزارة الدفاع ووكالة المخابرات الامريكية . وسعت الدبلوماسية الامريكية تحت قيادة الكسندر هيج الى طمأنة الصين دون ان تقطع علاقاتها وتعاونها مع تايوان ولكن المحاولة لاقامة مثل هذه العلاقة المذدوجة وبيع اسلحة لتايوان مع عدم اغضاب الصين ليس

بالامر الهين . فقرار تزويد تايوان بطائرات « إف — ٥ » الاقل تقدما من طائرات — إف إكس — اسفر عن انتقادات من جانب تايوان وتهديدات من جانب بكين .

بيد ان الرئيس ريجان ليست لديه النية او المقدرة على قطع العلاقات مع اى طرف ارضاء للطرف الآخر . ان قطع العلاقات مع الصين هو شئ لا يمكن التفكير فيه فالرئيس ريجان مدرك للمزايا الاستراتيجية والاقتصادية للعلاقات بين واشنطن وبكين وهو يعى بوجه خاص ان تعميق الخلافات مع الصين قد يؤدى الى تحسن العلاقات بينها وبين الاتحاد السوفيتى او تقاربها مع الشركاء التجاريين الآخرين مثل اليابان .

لكن فى نفس الوقت ترى الادارة الامريكية انه فيما يتعلق بسياستها فى آسيا فإنه من العبث محاولة استغلال الورقة الصينية كما اراد ان يفعل بريجينسكى — يجب الابقاء على العلاقات الودية مع بكين بل والتعاون معها غير ان سياسات الصين غير مستقرة وامكانياتها الاستراتيجية محدودة لكى تعلق عليها آمال كبيرة كما فعلت الادارة الديمقراطية فى عهد الرئيس كارتر فضلا عن ذلك فالقدرة العسكرية الصينية محدودة وذات طبيعة دفاعية بشكل اساسى وحتى اذا كانت الصين ثالث دولة فى العالم من حيث حجم ميزانيتها العسكرية وقيامها حاليا بتطوير قدراتها فى مجال الصواريخ العابرة للقارات فإنها لا تملك القدرة على التأثير فى المناطق التى تقع خارج حدودها . وترى الادارة الامريكية ان الصين تبقى فى المجال العسكرى قوة اقليمية بالرغم من كونها — نظرا لحجمها الديمجرافى والجغرافى — قوة اقليمية ذات تأثير دولى ملحوظ ؛ لكن على المدى الطويل هل ستظل الصين قوة اقليمية ؟

فى الواقع تضع الولايات المتحدة نصب أعينها احتمالات بروز قوة الصين فى المستقبل وهو العامل الذى يدعم موقف الجهات التى تؤيد تدعيم العلاقات مع بكين فى واشنطن .

من جهة اخرى يعد قطع العلاقات مع تايوان امرا مستبعدا على الأقل فى المدى القريب فذلك سيعنى تخلى الولايات المتحدة عن مصالحها فحجم العلاقات التجارية على سبيل المثال بين الولايات المتحدة وتايوان ضعف حجم التجارة مع الصين فهناك تناقض لمصالح الصين والولايات المتحدة ليس فقط فى تايوان ولكن فى جنوب شرق آسيا وفى كوريا كذلك قطع العلاقات مع تايوان يعنى تخلى الرئيس ريجان عن جزء من قاعدته الانتخابية وخرق مبدأ طالما دافع عنه وهو ان الولايات المتحدة لن تكون موضع ثقة إذا تخلت عن اصدقائها . فضلا عن ذلك فليس هناك رئيس امريكى يمكن ان يخاطر بترك انطباع بأن قوة اجنبية وبالاخص شيوعية تفرض عليه سياسة معينة كما ان تغيرا فى العلاقات غير الرسمية مع تايوان او حتى وقف امدادات الاسلحة لتايوان يتطلب موافقة الكونجرس بمجلسيه نظرا لأن قانون العلاقات مع تايوان الذى وافق عليه الكونجرس عام ١٩٨١ يلزم الولايات المتحدة بمد تايوان الاسلحة الكافية للحفاظ على قدراتها الدفاعية الذاتية .

وخلال المفاوضات التى جرت قبل التوصل الى الاتفاق على البيان الخاص بمبيعات الأسلحة لم تطالب الصين بالالغاء الكامل والفورى لمبيعات الاسلحة الامريكية لتايوان لكنها طالبت بتحديدها فى الكمية والنوعية مع تحديد تاريخ تتوقف فيه واشنطن عن تقديم مثل هذه الاسلحة واوضحت الصين انه اذا تم التوصل الى حل مرضى فإنه ليس هناك ما يمنع ان تضمن الولايات المتحدة الدفاع عن تايوان كما كان الرئيس السابق نيكسون قد اقترح : ورغم تأكيد الرئيس ريجان فى ٥ ابريل ١٩٨٢ على اعتقاده بأن حاجات تايوان من الأسلحة ستتقلص تدريجيا فى اطار التقدم نحو الحل السلمى للمشكلة فانه لم يقدم اى وعود ولم يحدد اى تاريخ لتوقف هذه الامدادات وهو نفس الموقف الذى التزمت به الولايات المتحدة فى الاتفاق الخاص بمبيعات الأسلحة لتايوان . وقد اكدت وكالة ابناء الصين الجديدة فى تعليق نشر بمناسبة العيد العاشر لبيان شنغهاى انه اذا فشلت الحكومة الصينية فى جهودها من اجل التوصل الى ترتيب مناسب مع واشنطن فإنها مستعدة لاتخاذ الموقف الذى يتوافق مع ذلك وانه فى اطار احتمال تدهور العلاقات الصينية الأمريكية فان الصين ستستمر فى اتباع السياسة التى التزمت بها خلال السنوات الأخيرة وخاصة سياسة الباب المفتوح . وهذا يعنى ان الازمة الحالية مسألة تتعلق بالعلاقات الثنائية بين الولايات المتحدة والصين . وهو الامر الذى يثير القلق فى واشنطن إذ انها ستتحمل وحدها النتائج التى ستتمخض عنها هذه الازمة .

ونظرا لخيبة امل بكين المتزايدة ازاء سياسة واشنطن التى يبدو انها لن تقدم للصين سوى « كلمات جوفاء » بدأت الصين بالفعل فى اعادة تقييم سياستها ومراجعة مجمل علاقاتها الدولية . وكان ابرز الاتجاهات الجديدة للسياسة الصينية ابداء بكين استعدادها لبحث امكانيات تحسين العلاقات بينها وبين الاتحاد السوفيتى .

وكان برجنيف قد دعا فى ٢٤ مارس ١٩٨٢ فى طشقند الى اجراء محادثات ثنائية واعادة استئناف المفاوضات حول الخلافات القائمة بين الدولتين دون شروط مسبقة . ورغم انه من المستبعد ان تحدث

تحولات درامية فى العلاقات الصينية السوفيتية فإنه من الواضح ان الصين ستعمل من الآن فصاعدا على تحقيق توازن اكبر فى علاقاتها مع مختلف القوى الدولية .

تايوان فى مواجهة التحدى :

اجبرت بكين مصرا مؤكدا على السماح [illegible]
[illegible] ولكن تايوان [illegible]
من ان تكون فقدت كل شىء بسبب حيوية اقتصادها وعلاقاتها التجارية ومناهضتها الشديدة للشيوعية . مع ذلك فإن العلاقات الدولية والقوى والاستراتيجيات قد تغيرت ويبدو ان الرفض المستمر لأى مفاوضات مع الصين قد يغضب اصدقاء تايوان من المستثمرين اليابانيين ويعرقل عمل « اللوبى » التايوانى فى واشنطن الذى مارس تأثيرا كبيرا على العلاقات الصينية الامريكية منذ ثلاثين عاما . تصر تايوان بالرغم من هذا على رفض اى مفاوضات او حل وسط . وان الطريق الوحيد لاعادة توحيد الصين يمر برفض الشيوعية وتبنى مبادىء صن يات صن الثلاثة : وطنية وديمقراطية والرفاهية الاجتماعية . كما هى مطبقة فى تايوان وتبنى المبادىء الرأسمالية الكونفوشية التى تعتقد تايوان أن الصين بدأت تتأثر بها . إلى ان يحدث هذا . وهو بالطبع بعيد الاحتمال . تتبع تايوان سياسية الانتظار والترقب .

لكن اصدقاء تايوان وعلى رأسهم الولايات المتحدة لن يستمروا فى **مساندتها الى الابد** فاختبار القوة بين بكين وواشنطن وتايوان الذى تدرج يتصاعد منذ وصول ريجان إلى الرئاسة قد اصبح ذا بعد سياسى مؤثر ومرتبط بالاوضاع الدولية . بالاضافة إلى انه يؤثر على العلاقات الامريكية الصينية بشكل يثير القلق فهل ريجان مستعد لاعادة النظر فى العلاقات الصينية الامريكية . وبالتالى الاتفاق الاستراتيجى المناهض للسوفيت من اجل سرب طائرات متقدمة وعد بها الرئيس السابق كارتر تايوان ؟ . يهدد قادة بكين الذين يعتبرون هذه الصفقة اعتداء على سيادتهم بتخفيض العلاقات الدبلوماسية مع واشنطن كما فعلوا لعقاب هولندا التى أمدت تايوان بعدد من الغواصات . ان كانت الجهات الرسمية فى تايبيه تبدى عدم الاهتمام حيث انها ترى المشكلة خاصة ببكين وواشنطن إلا ان المخاوف بشأن تخلى امريكى جديد عنها كبيرة . وفى مواجهة وضعها الدبلوماسى غير المريح ومستقبلها السياسى غير المضمون تتمسك تايوان بالحاضر وبتطور وتحسين نموذجها الاقتصادى الذى يعتبر فى النهاية افضل حججه فى مواجهة بكين وفى الحفاظ على علاقتها المثمرة غير الرسمية — مع مايقارب ١٥٠ دولة ان تنويع العلاقات التجارية هو احدى الاستراتيجيات الاساسية التى تلجأ اليها تايوان فى صراعها ضد محاولات بكين الوحدوية وللحفاظ على الوضع القائم الذى يضمن لها البقاء السياسى المتميز والمستقل وفى نفس الوقت تنمية اسواقها لتعويض جانب العلاقات الدبلوماسية . وقد توج تطبيق هذه السياسة باسلوب عملى مرن بنجاح كبير فى المجال الاقتصادى خاصة تجاه اوربا الغربية وذلك بعد ثلاث سنوات من « تخلى الحليف الامريكى » عنها وقطع العلاقات الدبلوماسية معها . تطبيق هذه السياسة متعددة الأبعاد فنمت تايوان اتصالاتها وتبادلها التجارى مع بعض دول اوربا الشرقية (بولندا ، المانيا الشرقية على وجه الخصوص) كذلك مع الصين الشعبية — بشكل غير مباشر — عن طريق اعادة التصدير من خلال هونج كونج وقد بلغت قيمة هذه المبادلات من النوع الاخير عدة مئات من ملايين الجنيهات . لكن كما هى الحال فى الدول حديثة التصنيع فى شرق اسيا (سنغافورة — كوريا الجنوبية — هونج كونج) تواجه تايوان خلال هذا العقد نوعين من مشاكل التنمية يتوقف استمرار النجاح الاقتصادى على النجاح فى حلهما : اولا ادى الارتفاع الكبير فى معدلات التضخم والاجور فى تلك الدول إلى فقدان قدرتها التنافسية فى انتاج السلع البسيطة التى كانت اساس نجاحها لصالح الدول النامية فى المنطقة (الفلبين — تايلاند — اندونسيا — ماليزيا وسيريلانكا) وهى دول فيها الأيدى العاملة رخيصة . هذا بالاضافة إلى الصين الشعبية — يضاف إلى ذلك الكساد فى الاسواق الغربية وصعود الاتجاه نحو الحماية الجمركية واسلوب تحديد الحصص — ثانيا ستقوم ضرورة الانتقال إلى مرحلة اقتصادية اعلى باتمام عملية نقل ضخمة للتكنولوجيا إلى منافسة القوى الصناعية الغربية واليابانية فى نفس المنتجات وعلى نفس الاسواق التى تتمتع فيها هذه القوى بمزايا ومواقف قوية بالفعل . ومع ذلك فإن الحل الوحيد لاستمرار النجاح الاقتصادى هو عملية نقل للتكنولوجيا على الطريقة اليابانية . فتايوان لم تعد دولة الايدى العاملة الرخيصة ففى خلال العقود الثلاثة الاخيرة . ازدادت الاجور بسرعة اكبر من زيادة الانتاجية . وانخفضت الاستثمارات وزيادة الصادرات التى بلغت ٢٧٪ فى عام ١٩٨٠ لم تكن الا ١٧٪ فى عام ١٩٨١ . لذلك يرى المسئولون فى تايوان الضرورة الملحة [illegible] الهياكل الصناعية والتجارية بحيث يعتمد اساسها

الاقتصادي على الصناعات الالكترونية والادوات المنزلية واجهزة المعلومات والكمبيوتر التي يرتفع فيها هامش الربح بدرجة كبيرة وفى نفس الوقت . الحفاظ على نشاطات القطاع الصناعي التقليدي المزدهر الذي يتكون من عدد كبير من المشروعات الصغيرة و ... امكانية التراكم الراسمالي . (من الجدير بالذكر ان معدل نمو الدخل القومي عام ١٩٨١ بلغ ٦.٥٪ والنمو الصناعي اعلى من ٨٪ والارقام الرسمية للبطالة ١.٣٠٪ ومعدل التضخم يقترب من ١٨٪) الهدف الاساسي هو الخروج من مرحلة التجميع وتشطيب المواد نصف المصنعة لاقامة صناعة بكل مراحلها الاساسية لكن عملية نقل التكنولوجيا هذه تعترضها مشاكل ضخمة فلابد من ايجاد الاسس الانسانية والعملية والتكنولوجية الوطنية التي ستقود عملية النقل واعداد الاخصائيين وانخفاض الاعتمادات الممنوحة للابحاث العلمية والتكنولوجية حيث لاتمثل الا ١٪ من الميزانية كما ان هناك المشكلة الخطيرة الخاصة بهروب العلماء والمتخصصين . فمن ٧ الاف طالب يذهبون سنويا للدراسة في الولايات المتحدة يعود بين ١٥ و ١٠٪ فقط وذلك لعدة اسباب اهمها طبيعة المجتمع العسكرية في تايوان حيث ان قانون الاحكام العرفية قائم هناك منذ ١٩٤٩ والتبرير الرسمي له حالة الحرب مع القارة التي لم تنقض حتى الآن وكل معارضة منظمة ممنوعة طبقا لهذا القانون ان اي إثارة لمشكلة ... ديمقراطية لابد ان تقود إلى إثارة التساؤلات ... قانون الطوارئ وبالتالي ادعاء الكومنتانج ب... شرعية

فهذه الشرعية لم تعد تتمتع بمصداقية كبيرة لكن الحكومة لاتقبل ان تكون شرعيتها محل نظر ولو بشكل غير مباشر ويدل على ذلك عنف قمع ناشري ومحرري مجلة « فورموزا » التي اصبحت مركزا للمطالبين باستقلال الجزيرة في الداخل وفي الخارج خاصة في الولايات المتحدة ان المبدا القائل بوجود « صين واحدة » هو في الواقع الاتفاق الفعلي الوحيد بين حكومة تايوان والصين الشعبية حيث تدافع كل من الحكومتين عن هذا المبدا بشدة وترفض اي معارضة داخلية له . ان النجاح الاقتصادي هو في النهاية اساس الشرعية الكومنتانج فهو الذي قاد هذا النجاح الذي ادى الى ان يكون متوسط دخل الفرد يزيد عن ٢٠٠٠ دولار في العام اى عشرة امثال متوسط دخل الفرد في الصين وهو الذي سيقود عملية نقل التكنولوجيا التى تضمن مستقبل تايوان إلا ان تجربة التغير الصناعي مازالت في بدايتها . بالنسبة للقوى الصناعية الغربية التي تعاني من المشاكل الاقتصادية ومن تدفق المنتجات اليابانية المعتمدة على التكنولوجيا المتطورة فإن تايوان تثير المخاوف اكثر مما تثير الاعجاب . اما تايوان التي تعاني من انعزال دبلوماسي وتهديد مستمر من سعي الصين لاعادة التوحيد فانه ليس هناك فرصة لفقد التحدى التكنولوجي الصناعي في ردود الفعل الدولية والداخلية لمثل هذا الفشل الاقتصادي ستكون ايذانا بنهاية النظام الذي اقامة الكومنتانج على جزيرة تايوان □



العلاقات الهندية - الصينية .. الجذور والافاق

دكتور مصطفى الفقي

تمثل العلاقات الهندية - الصينيه أهمية خاصة فى ترتيب المسائل الجوهرية للعلاقات الدولية فى آسيا على اعتبار أن الدولتين تمثلان قوتين هامتين فى جنوب وشرق القاره ، ويكفى أن نتذكر أن المناطق الواقعه بينهما معروفة تاريخيا تحت اسم (الهند الصينية) تسليما بالتداخل بين الحضارتين القديمتين والتأثير المتبادل بينهما ثقافيا وسياسيا فى تلك المناطق التى عرفت نوعا من التزاوج بين تعاليم بوذا الذى انطلق من الهند ووصايا كونفوشيوس فيلسوف الصين ..

فاذا انظرنا إلى العلاقات السياسية بين العملاقين الأسيويين فى القرون الثلاثة الأخيرة لوجدنا أنها قد جاءت فى اطار العلاقات بين بريطانيا والصين بينما كانت منطقة الحدود الهندية - الصينية مركزا للاهتمام المتبادل بين بريطانيا وروسيا لأهميتها الاستراتيجية للدولتين القويتين المتنافستين لعدة قرون فى وسط وجنوب أسيا .. وعند استقلال الهند فى ١٩٤٧ أقامت علاقات دبلوماسية مع الصين الوطنية فى العام نفسه وحين قامت جمهورية الصين الشعبية فى أول اكتوبر ١٩٤٩ اعترفت بها الهند بعد ثلاثة شهور من قيامها .. ويمكن التمييز بين فترات ثلاث فى تاريخ علاقات البلدين :

١ - احتلت مسألة تخطيط الحدود بين الدولتين اهمية كبرى فى تحديد مسار العلاقات بينهما فقد أعطت حكومة الصين الشعبية اهتماما مبكرا لاقليم التبت فتحركت القوات الصينية صوب اراضى التبت فى ٢٥ اكتوبر ١٩٥٠ حتى توقيع اتفاق من سبع عشرة نقطة بين الصين الشعبية والتبت فى ٢٣ مايو ١٩٥١ أعطت الأخيرة بمقتضاه للأولى حق الاشراف على سياستها الخارجية وجدير بالذكر أن مسألة الحدود بين الصين والهند ذات ابعاد تاريخية طويلة كان أخرها خط الحدود الذى رسمته بريطانيا فى ١٩١٤ بالتفاوض بينها وبين السلطات المحلية فى التبت من وراء ظهر الحكومة المركزية فى بكين حينذاك حيث أملت بريطانيا على ممثلى التبت خط الحدود المسمى (خط مكماهون) فى اتفاقية سميلا للحدود الهندية التبتية وهو خط الحدود القائم حاليا فى القطاع الشرقى بين الهند والصين والذى رفضته الاخيرة فى حينه بل ان بريطانيا ذاتها لم تجرؤ على تدوين (خط مكماهون) فى الطبعة السنوية لدائرة المعارف البريطانية الا فى عام ١٩٢٨ والملاحظ حاليا أن هناك ثلاث قطاعات رئيسية للحدود بين الهند والصين وهى الشرقى والأوسط والغربى وتتركز الدعاوى التاريخية للصين فى القطاع الشرقى بينما تتركز الدعاوى التاريخية للهندا فى القطاع الغربى حيث لايمثل القطاع الأوسط للحدود المباشرة بين البلدين مشكلة ذات بال ..

٢ - مرت العلاقات الهندية - الصينية بفترة حرجه انتهت بتوقيع اتفاق النقاط الخمس (البنشاشيللا) للتعايش السلمى بين البلدين متضمنا تسوية مسألة التبت وقبول الهندا للوضع القائم بها وزار شواين لاى الهند لأول مرة فى ٢٥ يونيو ١٩٥٤ كما زار نهرو الصين الشعبية فى ١٨ اكتوبر ١٩٥٤ وشاركت الدولتان فى اعمال مؤتمر باندونج التى بدأت فى ١٨ ابريل ١٩٥٥ كما قام شواين لاى بزيارة ثانية للهند ولمدة تسعه ايام بدأت فى ٢٨ نوفمبر ١٩٥٦ كما عرفت مناطق الحدود بين البلدين فتره هادئة استمرت قرابة ثلاث سنوات الى ان قامت الدوريات الصينية على حدود الدولتين فى ٢٠ اكتوبر ١٩٥٩ بقتل تسعة جنود وأسر عشرة أخرين من حرس الحدود الهنود عند ممر كونجا Kongk Pass فكانت بداية للمرحلة من التوتر على حدود البلدين والترقب الحذر لمستقبل الأحداث بينهما حتى بدأ الهجوم الصينى المكثف على الحدود الهندية معلنا بداية حرب الحدود بين البلدين فى ٢٠ أكتوبر ١٩٦٢ حتى قبلت الصين وقف اطلاق النار من الجانبين بعد أن حققت بعض المكاسب الاقليمية فى الأراضى الهندية وحسمت بالعمل العسكرى مسألة اقليم التبت التى فرضها الدلاى لاما صاحب الزعامتين الروحية والسياسية للشعب التبتى ولجأ الى الأراضى الهندية ، وقد حاولت مجموعة الدول غير المنحازة - أن تمارس دورا ايجابيا لحسم النزاع بين دولتين من مجموعة باندونج فاجتمع ممثلو ست دول غير منحازه - من بينهم مصر - بكولمبو فى ١٢ ديسمبر ١٩٦٢ لجمع طرفى النزاع على مائدة مؤتمرهم ولتسوية الخلاف بينهما

٣ ـ انتهت الحرب بنصر عسكري نسبي للصين حتى أن حرب ١٩٦٢ تعد بحق الهزيمة العسكرية والسياسية الوحيدة في تاريخ الهند المستقلة بل ان خصوم نهرو يعتبرونها الخطأ الذى لايغتفر في حياته السياسية كلها والذين عرفوه عن قرب يدركون ان نهرو بعد حرب الصين ١٩٦٢ قد أصبح غيره قبلها وقد ادت الحرب الى قطيعة دبلوماسية بين نيودلهي وبكين لسنوات مارست خلالها ظاهرة الاستقطاب الدولى في الستينات واوائل السبعينات دورا مؤثرا في شكل العلاقات الدولية الاسيوية حتى بدأت التحولات الجذرية في الخريطة السياسية للقارة مع بداية الفترة التمهيدية لتطبيع العلاقات الصينية ـ الامريكية منذ ادارة الرئيس نيكسون الأمر الذى انعكس على العلاقات الثنائية بين دول المنطقة كما أن الخلاف الصينى ـ السوفيتى بجذوره القومية ومظاهره الايديولوجية قد أدى الى تقارب اكثر بين موسكو ونيودلهى الى ان شهدت المنطقة في السنوات الأخيرة ارهاصات متبادلة لتحسين العلاقات بين الهند والصين كان أولها مشاركة الفريق الصينى في مسابقات التنس الدولية في كلكتا من ٦ الى ١١ فبراير ١٩٧٥ ثم أعلنت الهند عن ارسال سفير لها في بكين لأول مرة بعد الحرب وذلك في ١٥ ابريل ١٩٧٦ كما حضر وزير خارجية الهند الاحتفال بالعيد القومى الصينى في نيويورك يوم أول اكتوبر ١٩٧٧ وتبادلت الدولتان بعد ذلك الوفود التجارية والدبلوماسية على امتداد السنوات الخمس الماضية .

آفاق جديدة :

درجت العسكرية الهندية التقليدية على اعتبار أن طريق الغزوات الأجنبية الى الهند يأتي من حدودها الشمالية الغربية على اعتبار أن سلاسل الجبال الشاهقه الارتفاع في الشمال الشرقى تصنع حدودا طبيعية منيعة تفصل الهند عن وسط أسيا واقليم التبت ، ولكن التحولات الاستراتيجية المعاصرة جعلت ذلك مجرد مفهوم تاريخى فقط وهو مايجعل لمسألة التبت أهمية خاصه لأمن حدود الهند الشمالية والشرقية وذلك يفسر بالطبع مدى التعاطف الهندى مع الدلاى لاما بعد لجوئه اليها حيث تبنت الحكومات الهندية المتعاقبة قضية لأجيء التبت طوال الستينات وايضا في السبعينات ولكن بدرجة أقل اذ أن حرارة القضية قد خفت دوليا بعد تطبيع العلاقات الصينية ـ الامريكية مع مطلع العقد الماضى . . ولقد مارست القوتان الاعظم دورا محدودا بالنسبة لآمال التبتيين تركز اساسا على علاقة كل من القوتين بالصين الشعبية فحين كانت علاقات الولايات المتحدة بها معدومة ابدى الأمريكيون تعاطفا خلال الخمسينات والستينات مع الدلاى لاما ومؤيديه ولكن بعد التحولات الجذرية في علاقات واشنطن ـ بكين تحول الموقف الأمريكى تجاه التبت ليصبح مجرد استخدام سياسى لأحد الأسلحة الدبلوماسية في المنطقة لا اكثر ، اما بالنسبة للاتحاد السوفيتى فانه قد تجاهل مسألة التبت تماما خلال الخمسينات حين كانت علاقاته مع الصين لا تزال طيبة والحقيقة ان الاتحاد السوفيتى كان يهمه خلال تلك الفترة أن يحصل على موافقة ضمنية من كل من الولايات المتحدة والصين الشعبية بالوضع في جمهورية منغوليا الشعبية كدولة مستقلة ذات سيادة على حدوده الجنوبية وفي سبيل ذلك قبل الاتحاد السوفيتى أن يصم أذانه عن مطالب أهل تركستان والتبت ، بل ان اصدقاء الاتحاد السوفيتى من الساسة الهنود قد ايدوا الصين في موقفها بالتبت ، وانتقدوا أية محاولة هندية حكومية لتنظيم القوى المتعاطفه مع الدلاى لاما وشعب التبت . . ونشير هنا الى بعض التطورات التى عكست نفسها على علاقات بكين ـ نيودلهى والتى تبدو كأمثلة لمجريات الأمور بينهما : -

١ ـ نشرت صحيفة التايمزاوف انديا يوم ٢٠ مايو ١٩٧٩ ان اللاجئين التبتيين الذين ارادوا العودة الى التبت مؤخرا قد فوجئوا باصرار السلطات الصينية على معاملتهم كمواطنين صينيين باعتبارهم ينتمون الى أرض تعتبر صينية حاليا وتمثل مشكلة هؤلاء اللاجئين عبئا يقع على عاتق الدول المجاورة إذ أنه فضلا عن ٨٠ الف لاجيء في الهند وحدها فان مملكة بوتان الصغيرة في جبال الهملايا الشرقيه تجأر دائما بالشكوى منهم وخصوصا الآلاف الاربع الباقية ممن لم يقبلوا جنسية بوتان حين عرضت عليهم وبقوا مصدرا لازعاج الملك البوتانى وحكومته حتى صرح في ٢ نوفمبر ١٩٧٩ بأنه قد تم ابعاد ٩٢ من هؤلاء اللاجئين التبتيين عن أراضى المملكة وهو لاينسى دورهم في محاولة اغتياله عام ١٩٧٤ والتى تورط فيها ممثل الدلاى لاما في التبت وزوجة والده ملك بوتان الراحل وهى تبتية الأصل .

٢ ـ ظهر مقال في المجلة الهندية المصور الاسبوعى في منتصف اكتوبر ١٩٧٩ تحت عنوان الغلاف (هل نسينا التبت) وفيه يحتج الكاتب على التسليم الهندى بحقوق تاريخية للصين في التبت ويحمل الرئيس الهندى الراحل « نهرو » وسفيره في بكين خلال الخمسينات البروفسيور (بانيكار) مسئولية هذا التسلم الذى يعتمد فقط على السوابق التاريخية للسياسة البريطانية تجاه التبت واعتبارها حيازة صينية للحيلولة بدون نفوذ روسيا القيصرية في المنطقة حينذاك ، ويضيف المقال ان سيطرة الصين الشعبية على التبت قد أو حدث حدودا طويلة مشتركة لها مع الهند على امتداد الشمال الشرقى لشبه القارة الهندية .

٣ ـ قدمت الحكومة الصينية مبادرة لحل مشكلة الحدود مع الهند في ٢١ يونيو ١٩٨٠ ، حيث صرح نائب رئيس وزراء الصين لمراسل صحفى هندى في بكين ان بلاده تدعو الى حل مسألة الحدود مع الهند في (صفقة واحدة) بحيث تتخلى الدولتان عن المطالبات التاريخية لكل منهما في اقاليم الأخرى مع الاعتراف بخط الحدود القائم حاليا ، وذكر مسئول صينى تعقيبا على ذلك بأن الاقتراح الذى قدمه نائب رئيس وزراء بلاده يمثل تضحية كبيرة من الصين حيث ان لها مطالب في أراضى هندية في الولايات الشرقية تصل مساحتها الى ٩٠ الف كيلو متر مربع بها

لاتزيد المساحات التى تقع تحت سيطرة الصين وتطالب بها الهند فى القطاع الغربى للحدود عن ٢٥ الف كيلو متر مربع وجدير بالذكر هنا ان الاوساط الهندية المعنية تردد دائما ان للصين اطماعها فى الولايات الهندية الشرقية بل ان الهنود لاينسون الخريطة الرسمية التى اصدرتها الحكومة الصينية فى منتصف الخمسينيات معتبرة الولايات الشرقية الهندية جزءا لايتجزأ من الاقاليم الصينية . . كما ان هناك مشكلة اخرى تقلق الهنود وهى مجموعة الطرق التى انشأتها الصين فى المدة من ١٩٥١ الى ١٩٥٦ خصوصا على حدودها الغربية مع الهند الى جانب الطريق الذى افتتح مؤخرا ليربط بين المناطق الصينية والباكستانية وهو طريق Karakuram وتبدو الاهمية الحقيقية لتلك الطرق من انها طرق ذات طابع يتصل بالاستراتيجية العسكرية بالدرجة الاولى ومن ذلك تأتى مخاوف الهنود . . وجدير بالذكر ان المبادرة الصينية ليست جديدة ولكنها ترجع الى سنوات ماقبل حرب الحدود فى ١٩٦٢ فقد بعث « شواين لاى » برسالة الى « نهرو » فى عام ١٩٥٩ ذكره فيها بأن الحدود الهندية -الصينية لم يتم تخطيطها رسميا عبر التاريخ واقترح فى رسالة ان يقبل الطرفان الأمر الواقع بحيث تسلم الهند بسيادة الصين المطلقة فى منطقة « اسكاى شين » فرد نهرو برسالة ذكرفيها للرئيس الصينى ان هناك دلائل كافية لدى الهند لاثبات حدودها مع الصين الشعبية ، كما كرر « شواين لاى » نفس العرض الصينى اثناء زيارته الرسمية للهند فى عام ١٩٦٠ ولكن الزعيم الهندى رفضها لأنه كان قد بنى سياسته فى تلك الفترة على التشدد مع الصين ولم يشأ ان يتراجع فى تصريحاته الحادة بهذا الخصوص كما انه كان هناك تيار معارضة قوى فى البرلمان الهندى ضد الصين فى ذلك الوقت ، وجدير بالذكر ان الصين قد كررت نفس المبادرة لوزير خارجية الهند A.B. Vajpayee أثناء زيارته لبكين فى فبراير ١٩٧٩ خلال حكم « الجاناتا » فى الهند وهو نفسه الذى اجاب على سؤال فى البرلمان الهندى يوم ٢٠ يوليو ١٩٧٨ مقررا بأن الهند لن تدخل حربا او تسعى لاستخدام القوة فى حل مشكلات الحدود مع الصين الشعبية وان الهند لديها من الصبر الطويل مايجعلها تنتظر حتى ترى ثمار الصداقة الهندية - الصينية ، كما ان مسز غاندى قد قررت نفس المعنى فى خطب عديدة منذ عودتها الى السلطة فى يناير ١٩٨٠ وبعثت بوكيل الخارجية الهندية « كونسالنس » الى بكين فى عدة جولات من التفاوض لتطبيع العلاقات بين الدولتين .

أدلى (وانج بنج) رئيس لجنة العلاقات الخارجية الصينية فى اواخر يونيو ١٩٨٠ بحديث متشدد لمراسل صحيفة (ذكرينت) العسكرية الهندية فى بكين حيث ذكر ان هناك وثائق تاريخية جديدة تتعارض مع الموقف الهندى الذى يعتمد على ان اتفاقية (سملا) ١٩١٤ هى التى اتخذت خط (مكماهون) كخط الحدود التقليدى فى القطاع الشرقى بـ(مكماهون) الذى كان يمثل الصين والهند وأضاف ان (مكماهون) قدم مجرد اقتراح بخط الحدود المشار اليه ولكن الحكومة البريطانية قد اختلقت وثائق فيما بعد تقول ان خط (مكماهون) قد تقرر فى مؤتمر (سملا) بينما الحقيقة أنه كان مجرد اقتراح من الجانب البريطانى ثم ألمح المسئول الصينى الى حرب ١٩٦٢ مع الهند وكيف ان القوات الصينية قد عبرت خط (مكماهون) ثم انسحبت بعد ذلك بإرادتها وأضاف ان الطرفين يمكنهما تسوية مسألة الحدود بينهما بالواقعية وختم حديثه قائلا ان الحكومة الهندية واصلت التمسك بمطالبها فى القطاعين الشرقى والغربى للحدود فإن مسألة الحدود لن تحل ابدا . .

طلب مبعوث هندى فى زيارته للصين عام ١٩٨٠ (وكيل الخارجية كونسالنس) من حكومة بكين اصدار بيان رسمى تعلن فيه أنها لاتساعد المتمردين وذوى النزعات الانفصالية فى الولايات الهندية الشرقية فكان رد الجانب الصينى ان مساعدتهم لبعض العناصر فى الولايات الهندية الشرقية هى تاريخ قد انتهى منذ سنوات وانهم يسعون لايجاد روح جديدة لبناء التفاهم وتنمية العلاقات بين البلدين وان الصين تطلب تنحية مسألة الحدود جانبا بحيث لاتعوق مسيرة العلاقات بين البلدين كما ذكر نائب رئيس الوزراء الصينى للمبعوث الهندى ان ١٧٠٠ مليون (مجموع تعداد الصين والهند) يمكنهم ان يلعبوا دورا هاما فى استقرار آسيا وسلام العالم كله .

الخلاصة : ان العلاقات الهندية - الصينية لاتقف عند مجرد قضية الحدود والخلاف المزمن حولها ولكنها تتجاوز ذلك الى أبعاد اخرى تنبع من اختلاف المصالح القومية بين العملاقين الاسيويين ولعل موقف الدولتين من « مشكلة كمبوشيا » تعبير عن هذه الحقيقة فاعتراف حكومة مسز غاندى بنظام « سامرين » فضلا عن ردود فعلية لدى دول مجموعة الاسيان يمثل درجة خلاف اساس مع السياسة الصينية المؤيدة لأئتلاف الأمير « نوردم سيهانوك » كما إن التأييد الدائم من جانب الهند للسياسة الفيتنامية فى اطار الصداقة التقليدية بين نيودلهى وموسكو امر يثير حذر وترقب حكومة بكين . . وجدير بالذكر ان مسألة التبت لاتمثل فى حد ذاتها قضية أساسية بالنسبة للهند ولكنهاتبدو فى غاية الاهمية حين تأتى فى إطار العلاقات الحساسة بين الهند والصين ، وقد استقبلت العاصمة الهندية مؤخرا الزعيم الروحى للتبت « الدلاى لاما » بعد جولة له فى الدول الغربية والولايات المتحدة الامريكية وتحدث الزعيم التبتى فى لقاء مفتوح وسط حفاوة هندية واضحة ولكنه قصر حديثه على الجانب الروحى لزعامته دون الدخول فى اية موضوعات ذات طابع سياسى ، وقد حدث فى اوائل ديسمبر ١٩٨٢ واثناء الحفل الختامى للدورة الاسيوية التاسعة للألعاب الرياضية فى نيودلهى ان مر امام المشاهدين من ضيوف الدورة وفى حضور رئيسة الوزراء انديرا غاندى فرقة رقص شعبى لاحدى الولايات الهندية الشرقية الصغيرة التى تطالب بها الصين فاحتجت بكين

رسميا على تمثيل تلك الولاية واعتبارها هندية مما ادى الى الغاء الهند ـ كرد فعل لذلك زيارة وفد برلمان هندى الى الصين كان من المقرر اتمامها فى الاسبوع الأول من ديسمبر الماضى .

ويحسن ان نسجل هنا الملاحظات الأتية : ـ

أ ـ تسعى الصين الى تنمية التفاهم مع الهند لخلق نوع من التوازن فى العلاقات المضطردة بين دلهى وموسكو كما ان الهند تسعى الى عدم التورط فى مشكلات جنوب أسيا بشكل مباشر وترى ان تطبيع العلاقات مع الهند يخدم هذا الهدف .

ب ـ ترغب الهند من جانبها ايضا فى ايجاد صيغة التوازن ـ التى تعبر من تقاليد الدبلوماسية الهندية ـ فى علاقاتها مع القوى الكبرى فى العالم كما ان ظروف الهند الداخلية خصوصا موقفها فى الولايات الشرقية وظهور عدد من النزاعات الانفصالية بها يدفعها الى تحسين العلاقات مع الصين ولو بشكل مؤقت

ج ـ يتابع السوفيت بترقب الاتصالات الدبلوماسية بين بكين ونيودلهى وحدث ان حضر بعض اعضاء السفارة السوفيتية فى نيودلهى جلسة البرلمان الهندى التى أدلى فيها وزير الخارجية (راو) بأول رد فعل رسمى للمبادرة الصينية وذلك فى يوليو ١٩٨٠ وقامت دبلوماسية سوفيتية بتدوين مناقشات الجلسة من مقاعد الزوار فلفت بعض النواب وموظفى المجلس نظرها الى ان ذلك يتعارض مع تقاليد البرلمان الهندى [illegible] نشرت الصحف الهندية تفاصيل ماحدث فى اليوم التالى ☐



أزمة الديون الخارجية للدول النامية

ابراهيم أحمد ابراهيم

تشير أخر الاحصاءات إلى ان إجمالى المديونية المستحقة على الدول النامية ودول الكتلة الشرقية قد بلغت رقما فلكيا يزيد على ٨٥٣ مليار دولار ، وهو ما يزيد ١٤ مرة عن احتياطى رأس المال لدى المنظمات النقدية الدولية (٦٧ مليار دولار) ، ويتعين على حوالى مائة دولة ان تقوم بسداد هذه الديون كاملة فى غضون السنوات الثلاث القادمة . (لوموند ديبلوماتيك نوفمبر ١٩٨٢) .

وقد بدأت قصة أزمة الديون الخارجية للدول النامية ولدول الكتلة الشرقية ، فى مارس سنة ١٩٨١ عندما أعلنت بولندا (المدينة بـ ٢٧ مليار دولار) انها لن تستطيع دفع ٢,٥ مليار دولارا يتعين عليها دفعها للدائنين . وتفجرت المشكلة أكثر عندما أعلنت المسيك فى اغسطس ١٩٨٢ انها لن تستطيع دفع الفائدة على ديونها (٨٠ مليار دولار) .

كما أعلنت البرازيل أيضا أنها لن تستطيع مواجهة خدمة ديونها (٨٧ مليار دولار) وفى نفس الوقت امتنعت الارجنتين عن دفع فوائد ديونها . (ويبلغ إجمالى ديون الدول الثلاث الأخيرة ما يزيد على مائتى مليار دولار) .

وقد قرر صندوق النقد الدولى تقديم قرض عاجل للمكسيك يقدر بحوالى ٤ مليار دولار لمساعدتها فى سداد ديونها ، كما تعهد بتقديم ما يزيد على سبعة مليارات اخرى فى العام القادم لمواجهة الموقف المالى الخطير للمكسيك .

وتتوالى تلك الانباء فى وقت تشير فيه التقارير إلى ان ٣٤ دولة من دول العالم الثالث وأوربا الشرقية قد أصبحت مشرفة على الافلاس بعد ان ارتفع حجم المديونية المستحق عليها بحوالى مائة مليار دولار . جديدة فى غضون عام ١٩٨١ فقط . والجدول التالى يبين لنا تطور ديون الدول النامية غير البترولية : -

جدول (١) تطور الدين الخارجي للدول النامية غير البترولية .

مليار دولار

السنة	١٩٧٣	١٩٧٤	١٩٧٥	١٩٧٦	١٩٧٧	١٩٧٨	١٩٧٩	١٩٨٠	١٩٨١
الدين الكلى	٩٧,٣	١٢٠,٦	١٤٧,١	١٧٦,٥	٢١٦,٧	٢٧٢,٧	٣٢٢,٨	٣٧٠,١	٤٢٥,٢
رسمية (١)	٤٩,١	٥٩,٣	٦٩,٣	٨١,٢	٩٧,٨	١١٧,٨	١٣٤,٨	١٥٥,٨	١٨٠
من القطاع الخاص	٤٨,٣	٦١,٢	٧٧,٩	٩٤,٤	١١٨,٩	١٥٤,٩	١٨٨	٢١٤,٣	٢٤٥,٣
خدمة الدين	١٦,١	١٧,٥	٢١,٤	٢٣,٨	٣٠,٣	٤٣,٧	٦٠,٥	٧٥,٢	٩٦,٤
نسبته إلى الدين (٢)	١٤٪	١١٪	١٣٪	١٢٪	١٣٪	١٧٪	١٨٪	١٨٪	٢٠٪

لوموند ديبلوماتيك نوفمبر ١٩٨٢

(١) حكومات ومنظمات دولية .
(٢) العلاقة بين خدمة الدين (اقساط وفوائد) وبين الصادرات السلعية والخدمات

وتظهر من الجدول السابق زيادة الدين الاجمالى حوالى ٤,٥ مرة من ٩٧,٣ مليار دولار عام ١٩٧٣ إلى ٤٢٥,٥ مليار دولار سنة ١٩٨١ . وقد زادت نسبة خدمة الديون (العلاقة بين الاقساط والفوائد وبين صادرات السلع والخدمات) ست مرات من ١٦ مليار دولار إلى ٩٦ مليار دولار سنة ١٩٨١ .

أسباب ازمة الديون :

أشار تقرير للبنك الدولى إلى اسباب تلك الزيادة الرهيبة فى مديونية البلاد النامية ولخصها فى عدة نقاط :

ا ـ الارتفاع الرهيب فى الانفاق العسكرى لدول العالم الثالث .

ب ـ ارتفاع اسعار البترول ومواد الطاقة .

ج ـ التزايد المستمر فى معدلات الفائدة التى تفرضها البنوك ومؤسسات الأقراض .

كما اشار التقرير أيضا الى مسئولية الدول الصناعية الكبرى عن تردى الاوضاع الاقتصادية فى دول العالم الثالث .

وللنظر فى تفصيلات اسباب ازدياد المديونية لبلاد العالم الثالث ، نجد ان البلاد الغنية بالبترول مثل المكسيك ونيجيريا وفنزويلا واندونيسيا ارادت الاقتراض لتمويل خطط التنمية فيها وللتحصيل المبكر لعائدات البترول . اما الدول النامية الغير منتجة للبترول وهى الغالبية فهى تريد الاقتراض لسداد فاتورة الطاقة المتزايدة ولزيادة نسبة التنمية الاقتصادية المتردية لديها .

ومن ناحية ثالثة نجد أن هناك العديد من الدول النامية قد اقترضت لأسباب بذخية . فقد أقترضت ليبيريا لكى تستضيف منظمة الوحدة الافريقية ، كما أن نيجيريا اقترضت لاستضافة مؤتمر دولى . وقد حول السياسيون فى زائير القروض الى حساباتهم السرية فى سويسرا . كما أن افريقيا الوسطى انفقت ٥٠ مليون دولار (نصف الميزانية السنوية للدولة) فى سنة ١٩٧٧ لحفلات تتويج الامبراطور بوكاسا الذى أطيح به فيما بعد ، وهكذا ..

ومن ناحية الظروف الاقتصادية العالمية نجد أن الكساد التضخمى الحادث حاليا فى البلاد الصناعية المتقدمة منذ سنة ١٩٧٣ قد سبب ارتفاع اسعار الفائدة الى نسب عالية جدا (١٨٪) (وإن مال للانخفاض فيما بعد) . وكان هدف رفع سعر الفائدة فى البنوك الامريكية هو اجتذاب رؤوس الاموال خاصة البترو دولارات اليها . كما ادى الكساد التضخمى إلى تخفيض الصادرات وازدياد اساليب الحماية التجارية فى الدول الصناعية فى وجه صادرات الدول النامية .

كما أن معدلات التبادل الدولى قد انهارت لغير صالح الدول النامية حيث ارتفعت اسعار السلع الصناعية باسرع من زيادة اسعار صادرات الدول النامية ، ما عدا البترول . فبين سنة ١٩٨٠ والآن فان اسعار السلع فى العالم ماعدا البترول قد نقصت ب ٣٥٪ وقد نقص سعر السكر (انتاج البرازيل وكوبا الرئيسى) من ٤٩٥ دولارا إلى ١٢٠ دولارا للطن ، وانخفضت اسعار النحاس (انتاج رئيسى لزامبيا) من ٩٥ سنتا للرطل إلى ٦٩ سنتا وقد لخص جوليوس نيريرى رئيس تنزانيا الوضع فى المثال التالى ، لشراء سيارة حمولة نقل ٧ طن فى عام ١٩٨١ ، فأن على تنزانيا ان تنتج أربعة أضعاف انتاجها الحالى من القطن ، وثلاثة أضعاف انتاجها من البن أو عشرة أضعاف انتاجها من الدخان إذا ما اشترت نفس السيارة منذ خمس سنوات مضت .

ومن ناحية اخرى ، فان خدمة الديون المتزايدة تلتهم جزءا أكبر من صادرات الدول النامية . والجدول التالى يبين زيادة نسب خدمة الدين (أى نسبة الأقساط والفوائد إلى إجمالى الصادرات السلعية والغير سلعية) .

جدول (٢) نسب خدمة الديون مقسمة على مجموعات الدخل للدول

	١٩٧٦	١٩٨٠	١٩٨١	١٩٨٢
دول غير اعضاء فى الاوبك				
ـ دول ذات دخل منخفض	١٤	١٧	١٩	٢٣
منها اقل الدول دخلا	١١	١٥	١٨	٢٣
ـ الدول متوسطة الدخل	١١	١٢	١٤	١٦
ـ الدول المصنعة حديثا	١٦	١٨	٢١	٢٤
إجمالى الدول غير الاعضاء فى الاوبك	١٤	١٦	١٩	٢١
ـ دول الاوبك ـ	٥	٧	١٠	١٤
إجمالى الدول النامية	١٠	١٢	١٥	١٩

المصدر مجلس التعاون والتنمية الاقتصادية ، تطور التعاون ١٩٨٢ .

ومن الجدول السابق تبين ان خدمة الدين قد زاد من ١٠٪ سنة ١٩٧٦ إلى ١٩٪ سنة ١٩٨٢ . فما يضيف سببا جديدا لتزايد طلب الدول النامية لقروض جديدة لسداد تلك النفقات المتزايدة . كما أن الدول المقترضة تعرف انه فى ظرف التضخم العالمى السائد حاليا فان قروضها « تنكمش » قيمتها مع التضخم مما يجعلها تظن بأنها تدفع أقل فى اخر القرض مما يجعلها للاستزادة من هذه القروض الرخيصة .

ونجد أن الأزمة المالية للدول النامية هي في قلب الأزمة الاقتصادية العالمية الحالية . اذ يقول احد الخبراء الاقتصاديين الامريكيين انه « لا يمكن ان يكون من المبالغة ان الكساد والمعدلات المرتفعة للفائدة في الدول الصناعية الكبرى هي في قلب مصاعب الدول النامية في دفع ديونها وفوائدها » . وبالتالي نجد أن الأزمة المالية للدول النامية في دفع ديونها وفوائدها » وبالتالي نجد أن الأزمة المالية للدول النامية هي مظهر وجزء من الأزمة الاقتصادية العالمية السائدة حاليا لسببين : -

١ - ان النظام المالي العالمي هو جزء مندمج في الاقتصاد العالمي . فبدون القروض فان دول العالم الثالث ستشتري أقل من بلاد الغرب الصناعية . والتي كانت ستعاني من ركود اكبر مما تعاني حاليا . وبكلمات اخرى فان ارتفاع الدخول البترولية ودورة البترودولارات في البنوك الغربية تدخل في دورة السيولة للنظام المالي العالمي ، حيث يعاد اقراضها للدول النامية ، لكي تشتري سلعا من الدول الصناعية .

٢ - ان الأزمة ليست مالية فقط بل اقتصادية في الأساس ، لأنها أزمة انتاج بالدرجة الأولى ، فالانتاج هو حافز قوي للاستهلاك ، خاصة اذا ما تذكرنا بناء السكك الحديدية في الغرب وصناعة السيارات وصناعات الحروب .. الخ ان مساعدة الدول المتقدمة للدول النامية ماليا قد سببت الأزمة المالية الحالية ، ولكنها أضعفت في نفس الوقت من اشتداد أزمة الانتاج في العالم الغربي .

ومن ناحية اخرى نجد ان المؤسسات المالية الخاصة قد بحثت عن الربح العاجل وفي الأجل القصير بأقراضها للدول النامية باسعار فائدة فاحشة . فمن سنة ١٩٧٤ إلى سنة ١٩٧٨ زادت البنوك التجارية من قروضها الخارجية من ٢٨٠ مليار دولار إلى ٩٠٠ مليار دولار . وقد بلغ نصيب البنوك الخاصة في هذا الدين للدول النامية الى ٤٩٪ من الاجمالي عام ١٩٧٣ وتجاوز ٥٧٪ في عام ١٩٨١ أي زاد في ٨ أعوام من ٤٨ مليار دولار إلى ٢٤٥ مليار دولار . كما اننا نجد أن شبكة البنوك التجارية الخاصة مندمجة جدا في ديون الدول النامية ، اذ أن هناك ١٦٠٠ بنكا تجاريا خاصا مشتركا في عمليات المديونية للمكسيك . وتتجه البنوك التجارية الخاصة حاليا الى القروض العامة خاصة من المنظمات الدولية (صندوق النقد الدولي والبنك الدولي) لحل الأزمة المالية الحالية

حلول الأزمة .

يضع صندوق النقد الدولي لحل الأزمة الحالية . « وصفة » صارمة . إذانه قرر تقديم قرض عاجل للمكسيك يقدر بحوالي ٤ مليارات دولار على ان يتم تقديم ما يزيد على سبعة مليارات اخرى في العام القدام لمواجهة الانهيار الخطير في الوضع الاقتصادي للمكسيك . وبمقتضى هذا القرض تعهدت المكسيك للبنك بأن تضع الخطط الخاصة بخفض إجمالي العجز الذي تعانيه ميزانيتها من ٦,٥ مليار دولار إلى ٤,٢٥ مليار دولار وخفض معدلات التضخم السنوي الذي يصل الآن الى ١٠٠٪ بنسبة النصف تقريبا . وتعهدت المكسيك بالغاء الدعم الذي تقدمه إلى مؤسسات القطاع العام أو تقليصها مع تجميد الأجور والتوظيف ووقف الاستثمارات في مشروعات الانفاق العام والخدمات كنهج جديد في سياستها الاقتصادية النقدية . وكل ذلك سيؤدي الى خفض الناتج القومي للمكسيك ٥٪ للعام ١٩٨٣ . وهكذا فان مستوى معيشة ٧٥ مليون نسمة ستقل بنسبة ٨٪ أو ٩٪ . وتلك هي « وصفة » صندوق النقد الدولي للتقليل أو التخلص من الديون الخارجية .

ولكن نجد ان حل أزمة الديون الخارجية للدول النامية الحالية يرتكز على شقين : -

الأول : **حدوث تحول في الاقتصاد العالمي نحو الانتعاش .**

والثاني : **اصلاح النظام النقدي العالمي ومؤسساته الحالية .**

فازدياد نمو الدول الصناعية وزوال الكساد ، وزوال الدعوة للحماية الجمركية ، وازدياد الطلب على منتجات الدول المتقدمة هو ما سيحسن من اقتصاديات الدول النامية ويجعل من الأسهل لها ان تدفع قروضها في الوقت المحدود بالكامل . كذلك فان انخفاض سعر الفائدة الى (١١٪) في البنوك الامريكية سوف يساعد الدول المقترضة . حيث ان انخفاض اسعار الفائدة سيساعد على النمو والانتعاش في الدول الصناعية مما يزيد طلبها على منتجات الدول النامية . كما ان انخفاض أسعار الفائدة سوف يعني انخفاض تكلفة القروض الجديدة التي تعقدها الدول النامية .

وثانيا : فأن الأمر يتطلب اصلاح النظام المالي الحالي وخاصة المؤسسات العالمية القائمة عليه . حيث يعتقد بعض الخبراء ان العالم في حاجة إلى منظمة جديدة لمساعدة الدول المقترضة . وتتركز المناقشات حاليا في كيف تزيد الاقتصاديات المتقدمة في العالم من قروضها القصيرة الأجل للدول النامية وكيف يمكن مساعدة صندوق النقد الدولي في هذا الصدد . حيث يحتاج صندوق النقد الدولي لأموال جديدة حيث أن موارده قد

استهلكت بواسطة معاملاته خاصة مع المكسيك والبرازيل وباقى دول العالم الثالث .

وقد اصدرت لجنة برانت الدولية تقريرا فى لندن حذرت فيه من حالة الفوضى التى يمكن ان يترك العالم فيها اذا لم يتخذ السياسات المناسبة للحيلولة دون تحول اتجاهات الركود إلى حالة كساد عام ودعت إلى تقديم المزيد من المساعدات الى الدول النامية لأنه السبيل المتاح لاعادة تنشيط الاقتصاد العالمى .

ومن ناحية اخرى دعت مجموعة الى ٢٤ الممثلة للدول النامية فى صندوق النقد الدولى فى فبراير ١٩٨٣ ، إلى مضاعفة الموارد المالية لصندوق النقد الدولي . واوضح متحدث باسم المجموعة بأن الدول النامية لن تستطيع دفع ديونها الباهظة ، للدول المتقدمة وبنوكها الخاصة ما لم يتم اجراء اصلاحات فى النظام المالى الدولى . وقد حدد بيان مجموعته إلـ ٢٤ مجموعة من الاقتراحات التى تهدف إلى انقاذ النظام الاقتصادي العالمي من المشكلات الخطيرة التى يواجهها حاليا . ومن ضمن هذه الاقتراحات : ـ

١ ـ وضع برنامج انعاش اقتصادي عالمي يهدف الى بذل الجهود لزيادة النمو الاقتصادى ومشاركة الدول النامية والدول المتقدمة فى تأثير هذا النمو مع السماح بتدفق رؤوس الاموال من الدول المتقدمة والمؤسسات النقدية الى الدول الفقيرة .

٢ ـ وضع خطة متوسطة الأمد يستطيع خلالها صندوق النقد الدولى تقديم قروض متوسطة الأجل للدول النامية .

٣ ـ طالب البيان صندوق النقد الدول بالمرونة فى شروطه الخاصة بتقديم القروض للدول الفقيرة .

ونتيجة لجهود الولايات المتحدة المعارضة لزيادة موارد الصندوق بنسبة كبيرة فقد وصلت اللجنة المؤقته لصندوق النقد الدولى إلى اتفاق بزيادة حصص دول الصندوق بنسبة ٤٧٪ (بدلا من ١٠٠٪ التى طالبت بها الدول النامية) . وأعلنت الولايات المتحدة انها غير مستعدة بسبب معارضة الكونجرس الأمريكى لزيادة حصتها فى الصندوق . (أى أكثر من ٤٠٪) بينما وافقت الدول المتقدمة الاخرى على زيادة نسبتها وتتراوح ما بين ٥٠٪ إلى ٦٥٪ من الحصص التى تشترك بها فى الصندوق .

ولكن تلك الزيادات الطفيفة ستؤدى لتأجيل الأزمة الى حين ، وليس إلى انهائها فهى حلول مؤقتة اذ تشير اللجنة الدولية التى يرأسها فيلى برانت فى تقرير نشر فى لندن ان دول الشمال لا يمكنها ان تتجاهل أوضاع الاضطراب

ملحق احصائي : الديون الخارجية لبعض الدول بالمليار دولار

الدولة	إجمالى فى منتصف ٨٢	خدمة الدين لعام ٨٣	المدفوعات٪ للصادرات
البرازيل	٨٧,٠	٣٠,٨	٪١١٧
المكسيك	٨٠,١	٤٣,١	١٢٦
الإرجنتين	٤٣,٠	١٨,٤	١٥٣
جنوب كوريا	٣٦,٠	١٥,٧	٤٩
فنزويلا	٢٨,٠	١٩,٩	١٠١
اسرائيل	٢٦,٧	١٥,٢	١٢٦
بولندا	٢٦,٠	٧,٨	٩٤
الاتحاد السوفيتي	٢٣,٠	١٢,٢	٢٥
مصر	١٩,٢	٦,٠	٤٦
يوغوسلافيا	١٩,٠	٦,٠	٤١
الفلبين	١٦,٦	٧,٠	٧٩
المانيا الديمقراطية	١٤,٠	٦,٣	٨٣
بيرو	١١,٥	٣,٩	٧٨
رومانيا	٩,٩	٩,٥	٩١
نيجيريا	٩,٣	٤,٩	٢٨
المجر	٧,٠	٣,٥	٥٥
زائير	٥,١	١,٢	٨٣
زامبيا	٤,٩	٢,٠	١٩٥
بوليفيا	٣,١	١,٠	١١٨

المصدر : مجلة التايم عدد ١٠ يناير ١٩٨٣ .

الاقتصادية السائدة فى دول الجنوب لأن هذا يؤثر عليها بالتالى . واشار التقرير إلى ان اتباع الدول الصناعية لسياسات تقشف داخلية ولجوئها إلى اجراءات الحماية التجارية لتقييد وارداتها وزيادة صادراتها يعقد الحلول المناسبة . ويوشك ان يؤدى إلى حالة من التفكك الاجتماعي وخلق الظروف المناسبة للفوضى الاجتماعية . وقالت اللجنة انه على الرغم من النتائج الايجابية الضئيلة للغاية التى اسفر عنها مؤتمر الحوار بين الشمال والجنوب والذى عقد بالمكسيك فى عام ١٩٨١ إلا أنها مازالت توصي باستمرار الحوار ودعمه من خلال اعطاء دفعة سياسية به لأن دول العالم جميعا تقبع فى قارب واحد معرض للغرق حاليا □

في الإستراتيجية العسكرية

الاخطار الناشئة عن الاقمار الصناعية التي تعمل بالطاقة الذرية

لواء اركان حرب خضر الدهراوى

منذ اطلاق أول قمر صناعي في العالم (سبوتنيك - ١) السوفييتي يوم ٤ اكتوبر ١٩٥٧ ، ازدحم الفضاء باكبر حشد من الاقمار الصناعية التي تدور حول الارض بسرعة تبلغ آلاف الاميال في الساعة ، ونشأت مشاكل خطيرة نتيجة تزويد الاقمار الصناعية بمفاعلات نووية . وحتي الان نجا العالم من عدة كوارث كانت تهدد كوكب الارض من الفضاء ، وكانت مؤشرا لظاهرة خطيرة تستحق التامل لان سباق التسلح انتقل بصورة مخيفة الي الفضاء باستخدام عنصر من عناصر اسلحة التدمير الشامل ومن امثلة هذه الاخطار : -

١ - حادث سقوط القمر الصناعي السوفييتي كوزموس ٩٥٤

في ١٨ سبتمبر ١٩٧٨ اطلق الاتحاد السوفييتي هذا القمر من قاعدة الاطلاق في كازاخستان بالاراضي السوفيتيه . وعلى متنه مفاعل نووي يحمل شحنة نووية وزنها ١٠٠ رطل من مادة اليورانيوم ٢٣٥ ذات النشاط الاشعاعي المرتفع أي مايعادل شحنة قنبلة ذرية قوية . ومن المعتقد ان هذا القمر كان قائما بمهمة التفتيش في قاع المحيطات بحثا عن الغواصات ثم بدأ القمر يعاني في الفضاء الخارجي من مشكلات وصعوبات فنية من شأنها ان تؤدي الي انهياره وعودته الى الغلاف الجوى المحيط بالارض وتحطيم مفاعله النووى وامكانية انتشار الشحنة والاشعاع الذرى . وكانت وكالة تاس السوفيتية قد اعلنت ان المفاعل النووى الذى يحمله القمر يقوم بتوليد الطاقة الكهربائية اللازمة ، وهو مصمم لكي يدمر نفسه عند دخوله الطبقات الكثيفة للغلاف الجوى ، كما صرحت الوكالة بان المفاعل النووي احترق مع القمر الصناعي عند اختراق الغلاف الجوى .

ولكن القمر الصناعي سقط فوق بحيرة العبيد الكبرى شمال غرب كندا بالقرب من قرية بلونايف في منطقة يسكنها حوالى ١٠,٠٠٠ نسمة من الاسكيمو ، وانتشرت اشلاؤه المعدنية والبقايا النووية له على مساحة ١٥٠٠٠ ميل مربع الامر الذي كلف الحكومة الكندية ٦ ملايين دولار لتطهير المنطقة من الاخطار الاشعاعية وساهم الاتحاد السوفييتي بثلاثة ملايين دولار منها . وثارت في ذلك الوقت دعوات عالمية لحظر استعمال مركبات فضائية تعمل بالطاقة النووية

٢ - حادث سقوط القمر الصناعي السوفييتي كوزموس ١٤٠٢

أ - المعلومات الاولية من مركز قيادة الدفاع الفضائي الامريكي ابلغت اجهزة الرصد الامريكية المكلفة بتتبع مسارات جميع الاقمار الصناعية من مختلف الجنسيات حول الارض عن رصدها مركبة فضائية توشك أن تسقط من مدارها وتم تحديد موقعها . وبعث الخبراء في مركز قيادة الدفاع SPACE (s d c) DEFENCE CENTER القائم تحت الارض بالقرب من ينابيع كلورادو بتحزيز الي وزارة الدفاع الامريكية من أن قمر التجسس الصناعي السوفييتي الذي يعمل بالطاقة النووية قد خرج من مداره وان خط سيره غير منتظم ، ومن المحتمل أن يسقط على الارض في اواخر هذا الشهر .

كما ابلغت قيادة الدفاع الجوى لشمال امريكا انها تراقب القمر عن كثب منذ أن ترك مساره ، وأن محطات المراقبة الرادارية الامريكية تتابع سقوط حطام القمر ، وان الشظايا التي تخترق المجال الجوى قد تنتشر على مساحة اكثر من ٥١٨ الف كيلومتر مربع .

ب ـ على ضوء هذه المعلومات أعلنت مصادر الحكومة الامريكية في ٦ يناير ١٩٨٣ ان احد اقمار التجسس السوفيتية الذى يعمل بالطاقة النووية قد خرج عن دائرة تحكم المحطات الارضية السوفيتية وانه تعرض لعطب ومن المتوقع ان يسقط في أواخر يناير الحالى على الارض في مكان ما من العالم محدثا اخطارا اشعاعية . واعلن جون هيوز المتحدث باسم وزارة الخارجية الامريكية ان واشنطن تجرى اتصالات عاجلة عن طريق القنوات الدبلوماسية مع موسكو لمعرفة المزيد من المعلومات عن هذا القمر .

ج ـ التصريحات السوفيتية

بالرغم من التأكيدات السوفيتية في بادىء الامر بأن القمر الصناعى لن يسقط وانه يتحرك بشكل طبيعى في مساره حول الارض . عادت وكالة الانباء السوفيتية مساء يوم ٧ ـ ١ ـ ١٩٨٣ لتعلن أن القمر الصناعى السوفييتى كوزموس ١٤٠٢ الذى يدور حول الارض منذ شهر اغسطس ١٩٨٢ في مهمة استطلاعية للمحيطات قد تحطم يوم ٢٨ ديسمبر ١٩٨٢ . وقالت ان محطات المراقبة الارضية السوفيتية قامت بنسف القمر الصناعى الذى يعمل بالطاقة النووية . واضافت وكالة تاس أن القمر انشطر الى عدة أجزاء صغيرة بهدف عزل الخلية النووية بالقمر قبل دخوله المجال الجوى للارض ، وأن الوقود النووى بها قد احترق في طبقات الجو العليا . وقالت ان معدل النشاط الاشعاعى في الغلاف الجوى سيظل في اطار حدوده الطبيعية عقب احتراق الوقود النووى في الغلاف الجوى .

ولكن واشنطن اكدت أنها لاتنظر بجدية الى التوقعات التى ترددها موسكو عن مصير قمر التجسس كوزموس ١٤٠٢ وما تؤكده من أنه سيحترق في الجو دون أن يسبب أى ضرر ، وأعلنت أنها لاتزال تعتقد أن المفاعل النووى سيهوى بالتأكيد على الارض .

د ـ التوقعات عن مكان وزمان سقوط حطام القمر

لم يتأكد بشكل محدد ما اذا كان الجزء الذى يحتوى على المفاعل النووى سيحترق عند احتكاكه بالغلاف الجوى للارض ، كما لم يتأكد اين يمكن أن تسقط القطع المشعة التى تنجح في اختراق هذا الغلاف دون ان تتلاشى . ولهذا تؤكد وكالة الفضاء الامريكية انها لن تستطيع على وجه الدقة معرفة المنطقة التى سيهوى عليها الحطام الا في الساعات السبع أو الاثنتى عشرة الاخيرة من عمر هذا القمر .

أما الاتحاد السوفييتى فقد أبلغ هيئة الامم المتحدة رسميا أن الجزء الرئيسى من كتلة قمر التجسس سوف يدخل الغلاف الجوى للارض ويهوى بسرعة ٣ كيلو مترات في الساعة فوق بحر العرب قرب الساحل العمانى .

وقد كانت التوقعات أن احتمالات سقوط القمر في البحار والمحيطات هى ٧٠٪ واحتمالات سقوطه على اليابس هى ٣٠٪ وهى نفس نسبة المياه لليابس في الكرة الارضية .

هـ ـ المخاطر المحتملة لسقوط القمر

يقول الخبراء انه ستكون هناك اخطار قوية للتلوث الاشعاعى اذا سقط الجزء النووى من القمر كاملا . وعبروا عن مخاوفهم من حدوث هذا التلوث وقالوا ان حطام القمر قد ينجح في اختراق المجال الجوى دون أن يتلاشى ، وانه قد يتسبب في نشر اشعاعات نووية في أى مكان يسقط فيه . ولكن هناك توقعا اخر وهو أن يحترق هذا خلال عملية دخول الغلاف الجوى وقبل أن يرتطم بالارض .

وبالنسبة لاحتمالات اصابة الافراد باضرار نتيجة لهذا الحادث قدرت الوكالة الامريكية للطوارىء اصابة شخص واحد من بين كل عشرة الاف شخص .

و ـ خطط الطوارىء لمواجهة الاخطار

اتخذت دولا كثيرة اجراءات حاسمة لمواجهة نتائج احتمال سقوط كوزموس ١٤٠٢ على اراضيها وأعلنت حالة الطوارىء .

ففى الولايات المتحدة الامريكية أعلنت حالة التأهب وخصصت فرق انقاذ نووى يمكنها التوجه الى أى جهة استعدادا لاحتمال سقوط بقايا قمر التجسس السوفييتى على الاراضى الامريكية ، كما أبدت الولايات المتحدة استعدادها لتقديم مساعدات فورية لاية دولة تسقط على أراضيها البقايا المشعة لهذا القمر .

وفي المانيا الغربية وضعت خطة طوارىء لاحتمال وقوع القمر فوق أراضيها ، وأقامت مكتبا في بون لامداد الولايات الالمانية بالمعلومات السريعة عن مكان حطام القمر وتنسيق تزويد المنطقة التى يقع بها بالمعونة ، كما تعد قرارا بالغاء الرحلات الجوية القادمة اليها في حالة وقوع القمر على أراضيها .

وفي ايطاليا أعلنت حالة الطوارىء بين صفوف قواتها المسلحة وقوات البوليس والمطافىء تأهبا لاحتمال سقوط بقايا القمر السوفييتى .

ووضعت كندا خططا لشن عملية بحث مكثف في حالة سقوط قمر التجسس السوفييتى في أراضى كندا . وبالرغم من أن احتمال حدوث ذلك لايتجاوز نسبة ضئيلة الا أن المسئولين وضعوا خطط الطوارىء اللازمة لمواجهة أسوأ الاحتمالات .

وقامت دول كثيرة باتخاذ مثل هذه الاجراءات .

ز ـ امكانيات تدمير القمر في الفضاء

كانت هناك صعوبات في تنفيذ هذه الفكرة لان المدار الذى يدور فيه القمر الصناعى يبلغ ارتفاعه عن سطح الارض حوالى ٢٥٠ كيلومتر مما يجعل من الصعب

تدميره بصاروخ مضاد للصواريخ من أماكن التمركز المحددة (حول العاصمة) فى اتفاقية سولت = ١ واتفاقية عام ١٩٧٤ بين الاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة الامريكية ، كما ان هذا التدمير - فى حالة تنفيذه حتى ولو بالاعتراض بقمر صناعى آخر - قد يترتب عليه تناثر مواد انشطارية فى الطبقات العليا من الغلاف الجوى تسقط بعد ذلك على مساحات كبيرة من الكرة الارضية ..

تأثير الانفجارات النووية فى الفضاء

اجريت فى الخمسينات والستينات ابحاث عديدة عن تأثير الانفجارات النووية فى الفضاء للوقوف على مدى معدلات الاشعاع النووى ؛ ففى عام ١٩٥٨ أطلق صاروخ نووى انفجر على ارتفاع ٣٦٠ كيلومتر فوق جنوب الاطلنطى شمال شرق ساحل البرازيل ؛ وسمع سكان البرازيل الذين لايعلمون شيئا عن التجربة سلسلة من الانفجارات الهائلة فى السماء ؛ وتبع الوميض الاول للانفجار الذى بلغت قوته كيلو طن واحد خيط ضوئى رفيع فى الافق كما لو كان بداية فجر صناعى . وعلى بعد ٦٤٠٠ كيلومتر الى الجنوب شوهد فجر صناعى مماثل واحاط بالارض حزام اشعاعى : وقام القمر الصناعى الامريكى اكسبلور = ٤ الذى اطلق قبل التجربة ؛ بتحديد موقعه وكثافته . وقد تكررت هذه التجربة مرتين بعد ذلك . وبعد تحليل نتائج هذه التجربة تم فى عام ١٩٥٩ اعداد خطط لاجراء التجارب بسلسلة انفجارات اقوى على ابعاد اعمق فى الفضاء ولكن الرئيس الامريكى الاسبق ايزنهاور رأى فى ذلك الوقت تأجيلها الى الوقت المناسب الذى يسمح فيه الجو السياسى . وعندما استأنف الاتحاد السوفييتى تجاربه فى هذا المجال فى عام ١٩٦١ كان من الممكن سياسيا أن تتابع الولايات المتحدة سلسلة تجاربها فكانت التجربة التالية المقترحة فى تفجير نووى عالى القوة على ارتفاع ٨٠٠ كيلومتر بالقرب من الحزام الاشعاعى الطبيعى للارض المسمى بحزام (فان الن) الذى يحمى الارض من الاشعة الكونية التى لو وصلت الى الارض فانها ستغير جذريا بناء الجينات بطرية قد تسبب كارثة للحياة على الارض . وخشى العلماء فى مختلف انحاء العالم من هذا التفجير لانه سيجعل حزام (فان الن) يندفع نحو الغلاف الجوى مسببا خللا دائما فيه .

الجهود الدولية نحو تحديد الاخطار الفضائية

أصدرت الجمعية العامة للامم المتحدة فى دورتها الثامنة عشرة فى عام ١٩٦٣ اعلان المبادىء القانونية التى تقضى بتحريم استخدام الفضاء الخارجى فى الاغراض العسكرية . وفى يناير ١٩٦٧ تم التوقيع على معاهدة استخدام الفضاء الخارجى . وقد تضمنت المادة الرابعة فيها تعهدا من اطرافها بالامتناع عن وضع اى شىء يحمل اسلحة نووية او اسلحة تدمير شامل فى اى مدار حول الارض أو على الاجرام السماوية او فى اى مكان اخر فى الفضاء . وتحرم هذه المادة أيضا اقامة قواعد او منشآت او تحصينات عسكرية او اجراء اية مناورات عسكرية او تجارب اسلحة نووية فى هذه المجالات . وطبقا لهذه المادة تحرم المعاهدة استخدام الأسلحة النووية او تخزينها او تداولها فى الفضاء الخارجى او بين الاجرام السماوية .

ومن الملاحظ ان نص المادة واضح وصريح ولكن نفس المادة تركت الباب مفتوحا لاجراء تجارب علمية فى الفضاء الخارجى وتوجيه الابحاث من اجل الاغراض السلمية . وهذا هو الباب الذى دخل منه الاتحاد السوفييتى فأرسل الى الفضاء الخارجى عدة سفن فضائية تحمل مفاعلات ذرية لاجراء تجارب علمية . وكان كل من الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفييتى يؤيد هذا النص ويتمسك به رغم أن الدول الاخرى فى لجنة الفضاء الخارجى ومنها الدول الاوروبية حاولت أن تجعل تحريم وضع أية اجسام تحمل اسلحة نووية أو مفاعلات نووية تحريما تماما بينما رفضت الدولتان رفضا باتا .

حظر اطلاق الاقمار الصناعية التى تعمل بالطاقة النووية

اثر حادث سقوط القمر الصناعى السوفييتى كوزموس ٩٥٤ فوق شمال غرب كندا ، دعا الرئيس الامريكى كارتر الاتحاد السوفييتى الى الموافقة على ابرام معاهدة سوفيتية - امريكية تحظر اطلاق الاقمار الصناعية التى تعمل بالطاقة النووية وتدور فى مدارات حول الارض وذلك مالم يتم التوصل الى اجهزة امن فى غاية الدقة تضمن عدم سقوط هذه الاقمار . واضاف الرئيس الامركى فى مؤتمر صحفى أنه سيبحث مع المسئولين السوفييت فرض حظر شامل على هذا النوع من الاقمار حتى يتم التوصل الى معايير امن دقيقة .

وجاء أيضا فى تعليق الرئيس كارتر على هذا الحادث أن الوقت قد حان لاعادة النظر فى مسألة الانفجارات الذرية فى الفضاء التى كانت تحرمها معاهدة معقودة منذ زمن . وقال ان حادث تفتت القمر الصناعى ٩٥٤ قد اظهر أننا لم نكن نتخذ الاحتياطات الكافية لمتطلبات الامن بالنسبة للوقود النووى فى الفضاء ، وأننا الآن فى سبيل تقرير ما يمكننا عمله للتقليل بقدر الامكان من هذا الخطر فى الفضاء .

وبالنسبة لتعويض الدولة التى يصيبها اضرار نتيجة اى حادث فضائى محتمل نجد ان المادة الثانية من الاتفاقية التى اقرتها الجمعية العامة للامم المتحدة بقرارها رقم ٢٧٧٧ فى ٢٩ نوفمبر ١٩٧١ قد حددت تحميل الدولة التى تقوم باطلاق اى قمر او مركبة فضائية المسئولية المطلقة عن الضرر الذى يحدثه القمر او المركبة الفضائية بسطح الارض وبالطائرات فى الجو . اى انها تلتزم بالتعويض حتى لو كانت قدمت من جانبها بكل ما يمكنها من اجراءات الحيطة والامان . كما قررت المادة الخامسة من الاتفاقية تضامن الدول التى تشترك فى عملية اطلاق واحدة فى المسئولية عما ينتج عن تلك العملية من اضرار .

والجدير بالذكر انه اثناء مناقشة هذه الاتفاقية اقترح ان تدفع الدولة التى تتسبب احدى سفنها الفضائية فى احداث اضرار وخسائر بالارواح او الممتلكات تعويضا حده الاقصى ٥٠٠ مليون دولار . ولكن اللجنة المكونة من ممثلى ٢٨ دولة رفضت هذه الفكرة رفضا باتا لان هذا الحد الاقصى رغم جسامته قد يكون اقل بكثير من قيمة الاضرار التى يسببها سقوط السفينة او القمر او اجزاء منه فى اماكن مليئة بالسكان . ولهذا نصت الاتفاقية على ان يترك الامر للمفاوضات بين الدول لتحديد حجم الخسارة وحجم التعويض ، وأن يكون من حق الدول أن تلجأ الى محكمة العدل الدولية . وبذلك تكون القواعد التى تضمنتها هذه الاتفاقية الدولية قد حققت مبدا العدالة الدولية بضمان تعويض المضرورين نتيجة الحوادث التى تنجم عن النشاطات الفضائية عما يصيبهم من اضرار .

الخلاصة

بالرغم من التاكيدات الامريكية حول قرب سقوط قمر تجسس صناعى سوفييتى أعلن السوفييت أن القمر كوزموس ١٤٠٢ يسير وفقا للبرنامج المعد له من قبل ، **وانه يتحرك بشكل طبيعى فى مساره حول الارض ، وانه لن يسقط ثم عادت وكالة الانباء السوفيتية مساء اليوم التالى ٧ ــ ١ ــ ١٩٨٣ لتؤكد ان القمر قد تحطم بالفعل بعد انتهاء مهمته العلمية يوم** ٢٨ ديسمبر ١٩٨٢ وأنه تفتت وانقسم الى اجزاء شتى بواسطة أجهزة التحكم الارضية .

ولذا يجب على الدول التى تطلق الاقمار الصناعية ابلاغ هيئة الامم المتحدة والدول المعنية اذا تعرض قمر صناعى يعمل بالطاقة النووية لخلل ما واصبح هناك احتمال لعودته الى الارض وسقوطه فى دولة ما لكى يمكن اتخاذ الاجراءات الخاصة بالوقاية من اخطار الاشعاعات .

كما تتضح اهمية اتخاذ الخطوات نحو خطر اطلاق الاقمار الصناعية التى تعمل بالطاقة النووية . □

مؤتمرات
وندوات
دولية

المؤتمر الافريقي الامريكي الثالث عشر

هدايت عبد النبى

انعقد المؤتمر الافريقي ــ الامريكي الثالث عشر في الفترة من ١٠ الى ١٤ يناير الحالي بهراري عاصمة زيمبابوي التي حصلت على الاستقلال في ابريل عام ١٩٨٠ .

وكان المؤتمر مثله مثل المؤتمرات السابقة يضم حشدا كبيرا من الامريكيين سواء كان هؤلاء من المسئولين في الادارة الامريكية مثل تشستر كروكر . وكيل الخارجية الامريكية للشئون الافريقية . او من رجال وسيدات الكونجرس الامريكي المهتمين بالشئون الافريقية . بالاضافة الى عدد كبير من الامريكيين خارج الادارة والكونجرس ..

ومن الجانب الافريقي كان التمثيل الرسمي ايضا واسعا فقد حضر المؤتمر وزراء خارجية السودان واوغندا ونيجيريا وزامبيا وزيمبابوي ، ووزير زراعة زائير ، ووزير اعلام موزامبيق ، ووزير اقتصاد زائير .

كما حضر المؤتمر ممثلو حركات التحرير في جنوب القارة الافريقية . سام انجومو . رئيس منظمة « سوابو » وجون ماكاتيني . عضو اللجنة التنفيذية للمؤتمر الافريقي القومي ANC وممثلون عن Pan Africanist Congress of Azania

وبطبيعة الحال فان اختيار زيمبابوي يحمل دلالة خاصة ، اذ ان المؤتمرات السابقة الامريكية ــ الافريقية كانت تناقش من بين الموضوعات الخاصة بالجنوب الافريقي استقلال زيمبابوي ، وكانت تناقش ايضا ما اذا كان للولايات المتحدة سياسة تجاه افريقيا .. اما اليوم بانعقاد هذا المؤتمر في احدث دولة افريقية فمعناه ان الامريكيين يقولون للعالم انه لو كنا قد تغيبنا خلال سنوات حرب الاستقلال . الا اننا سنعمل بعد هذه المرحلة على ان نمد جسور الصداقة مع الدول الافريقية وبصفة خاصة دول الجنوب الافريقي .

بينما كان السؤال الذى يطرحه الجانب الافريقي ، في اطار هذه الرسالة التي ابرقت بها الولايات المتحدة من خلال مؤسسات غير رسمية اشرفت على المؤتمر ، هو هل الولايات المتحدة صديق حقيقي لافريقيا . وهل تستطيع ان تعوض الدول الافريقية مواقفها السابقة ؟ وهل تستطيع تدارك وقوفها مع الرجل الابيض سواء في زيمبابوي قبل الاستقلال او في ناميبيا وجنوب افريقيا ضد الاغلبية الافريقية في هذا الجزء من العالم ...

وقد انقسم المؤتمر الى عدد من الجلسات العامة ناقشت الموضوعات الاتية :ــ

(١) احتياجات افريقيا الامنية والتدخل الخارجي .

(٢) اقتصاديات افريقيا . المصاعب والتنمية

وانقسمت هذه الجلسة العامة الى عدد من مجموعات العمل المحدودة العدد بحثت الموضوعات التالية :

١ ـ هل الاستثمار الخاص حقيقة واقعة فى التنمية الافريقية .
ب ـ هل هناك تعارض بين خطة عمل لاجوس وجدول اعمال البنك الدولى
ج ـ الاولويات الافريقية وبرنامج المعونة الامريكية
د ـ احتياجات الزراعة والغذاء والتنمية القومية
هـ ـ الاثار الاقتصادية لمساهمة المراة فى التنمية .

(٣) الراى العام الامريكي وافريقيا .

(٤) الموقف فى الجنوب الافريقي وردود الفعل الامريكية والافريقية .

(٥) ناميبيا .

وتميز المؤتمر بالصراحة المطلقة فى تبادل الاراء ووجهات النظر ، ولعل اروع الجلسات تلك التى اختتم المؤتمر بها اعماله وهى جلسات مشاكل الجنوب الافريقي وناميبيا . فقد اضاف الى حرارة هذه الجلسات وصول وفد كبير من الكونجرس الامريكي قادما من جنوب افريقيا الى قاعة المؤتمر برئاسة زابلو كي ، رئيس لجنة الشئون الخارجية فى مجلس النواب الامريكي . وجاء هذا الوفد ليشرح ماسمعه فى جنوب افريقيا حول مبررات الرجل الابيض فى الاصلاح الدستورى بايجاد ثلاثة مجالس نيابة للرجل الابيض ، والملون ، والهندى ، دون ان يكون للافريقي نصيب فى هذا التمثيل وكان التفسير الذى قدمه المسئولون فى حكومة بريتوريا الى رجال الكونجرس ان الافريقيين لديهم مجالسهم فى مجتمعاتهم المعزولة (الفصل العنصرى) !! وقد كان لهذا الراى ردود فعل سيئة للغاية لدى التجمع الافريقي والامريكي (من غير المسئولين) على حد سواء .

وقد اوضحت المناقشات المختلفة ان الموقف الامريكي او السياسة الامريكية ازاء افريقيا تترابط مع مجموع المشاكل الافريقية . فقد ذكر مسئول امريكي فى برنامج المعونة الامريكيه لافريقيا انه يعتقد ان حجم المعونة الامريكية لافريقيا جنوب الصحراء ستزداد بعد استقلال ناميبيا ، ولكنه مع ذلك لايحبذ زيادة المعونة العسكرية الامريكية لدول الجنوب التسع فى المواجهة المستمرة بينهم وبين جنوب افريقيا .. واكد مسئول امريكى اخر ان استقلال ناميبيا مرهون بانسحاب القوات الكوبية من انجولا ... اذن فنرى ان المشاكل الافريقية مترابطة اى التنمية الاقتصادية ترتبط بزيادة المساعدات الخاصة باستقلال ناميبيا ، وناميبيا بدورها مرتبطة بقضية اخرى فى العقل السياسى الامريكي وصناع القرار السياسى .

ومن بين الاراء التى طرحت بالنسبة للراى العام الامريكي وجنوب افريقيا قضية جنوب افريقيا وماتنفقه من اموال للاعلانات بالولايات المتحدة الامريكية بالاضافة الى الحياة التى توفرها للمراسلين الاجانب التى تجعل الصورة التى تنطلق من الجنوب الافريقي هى فى غالبية الامر صورة من صنع الرجل الابيض فى بريتوريا . وقد نادى بعض الامريكيين من غير الرسميين بقطع العلاقات الدبلوماسية مع جنوب افريقيا وفرض عليها العقوبات فى صورة مقاطعة وأن تتوقف الولايات المتحدة عن استثماراتها فى جنوب افريقيا

ومن بين الاقتراحات التى طرحت امام هذا الحشد الضخم من الافريقيين والامريكيين اقتراح روبرت موجابى ، رئيس وزراء زيمبابوى ، فى الكلمة التى القاها فى افتتاح المؤتمر ، بانشاء نظام عالمى للامن الغذائى ، بمعنى ايجاد فائض قومى من المواد الغذائية لمواجهة ـ من الان ـ التوسع السكانى .

وطرحت السيدة نانسى كاسبوم ، عضو الكونجرس الامريكى ورئيسة اللجنة الفرعية لافريقيا ، رؤيتها لمشاكل القارة الافريقية بقولها ان الانسان الافريقى يعانى من عدم توفر المواد الغذائية بشكل متناقص عن الفترة التى سبقت تقديم المعونات الدولية الحالية لافريقيا والتى تبلغ خمسة بلايين من الدولارات ، وان ذلك يدعو الى طرح عدد من المخاوف ويعد موقفا مأساويا بالنسبة لقارة لديها امكانيات هائلة من الثروة الزراعية ، واكدت انه اذا أستمر هذا الاتجاه فان حوالى ½ ماتحتاجه افريقيا من المواد الغذائية سيتم استيراده من الخارج فى نهاية القرن الحالى .

كما طرح السيد الشاذلى العيارى ، رئيس البنك العربى للتنمية فى افريقيا المعروف باسم « باديا » عددا من النقاط الهامة حول المشاكل الاقتصادية لافريقيا اوضح فيها مايلى :

(١) ان عددا قليلا من الدول الافريقية يمكنها توفير الغذاء لشعبها ، وهذا العدد يقل اكثر ، فاكثر بسبب النمو السكانى .

(٢) ان نمط استراتيجية التصنيع خاطئة فى افريقيا ، وقد اكد انه فى مجال الزراعة لابد من المولين العالميين ان يساعدوا الدول الافريقية حتى لو أدى ذلك الى خسارة مالية لهم .

(٣) ان تشجيع التجارة بين الدول الافريقية مسالة هامة للغاية من اجل Massive Transfer of Resources .

(٤) نريد ان نساعد فى افريقيا « الدول الصناعية الجديدة » .

Newly Industrialized Countries وتندرج تحت هذه الدول :

نيجيريا ، ساحل العاج ، زيمبابوى ، مصر . وعلينا مساعدة هذه الدول بفتح اسواق الدول المتقدمة لها .

(٥) ان يتم مساعدة الدول الدائنة فى افريقيا مثلما يتم مساعدة الدول الدائنة فى امريكا اللاتينية .

واوضح فى هذا الصدد انه لوهوت نيجيريا اقتصاديا وساحل العاج ، على سبيل المثال ، فان النظم السياسية والاجتماعية فى عدد كبير من الدول الافريقية ستواجه مازقا . واذا ارادت الولايات المتحدة ان تساعد الدول الصناعية الجديدة فهذا هو مجال المساعدة التى يمكن ان تقدم اليها . اذ ان هذه المنطقة يجب ان تؤخذ فى الاعتبار بالنسبة للحزام الامنى ليس من منطلق السلاح والذخيرة ولكن من منطلق التنمية والرفاهية التى هى صمام الامن العالمى ، واملى انه بوجود رجل مثل جورج شولتز ، وزير الخارجية الامريكى ، الذى نضع فيه ثقتنا الكاملة ، يمكننا ان نرى دورا هاما فى تشكيل الفلسفة الريجانية ازاء التنمية .

تلك كانت لمحات واراء من داخل المؤتمر الافريقى الامريكى الثالث عشر تعكس مادار فى المؤتمر خلال اربعة ايام والرسائل المتبادلة مابين الجانبين الامريكى والافريقى .... التى يمكننا ان نرى نتيجتها سلبا او ايجابا من خلال قضية استقلال ناميبيا والانتخابات الامريكية المقبلة .[ ]

سمنار سالسبورج : العلاقات الاوروبية الامريكية

(سالسبورج ٩ ـ ٢١ فبراير ١٩٨٣)

نبية الاصفهانى

فى منطقة « ليوبولدسكرون » على بعد ٢٠ دقيقة من وسط مدينة سالسبورج (النمسا) يقع قصر عتيق او « شلوس » يرجع تاريخ بنائه إلى عام ١٧٣٦ . ان هذا القصر قد اصبح ملكا لـ « سمنار سالسبورج للدراسات الامريكية » وهذه هيئة خاصة ومستقلة ذات اهداف ثقافية بحتة انشأها فى عام ١٩٤٧ عدد من طلبة جامعة هارفارد وقد ادمجت فيما بعد ضمن ولاية « ماساشوستس » .

وهدف هذه الهيئة هو دراسة المشاكل والقضايا المعاصرة ذات الأهمية العالمية ، وذلك على اعلى مستوى هذا بالاضافة الى تناولها بالدراسة لجوانب متعددة للحياة الامريكية . ومن خلال هذا الهدف يطمع السمنار فى اتاحة الفرصة امام باحثين غير امريكيين لكى يزدادوا معرفة ببعض الجوانب المتطورة التى تحرك المجتمع الامريكى ، وفى الوقت نفسه زيادة ادراك المشاركين الامريكيين بأهم الافكار والمواقف التى تشغل المجتمعات الأخرى .

ويضم برنامج ١٩٨٣ لسمنار سالسبورج تسع دورات تنوعت موضوعاتها : من اقتصادية ومالية وسياسية واستراتيجية وثقافية وصحية وقانونية وزراعية . وذلك على النحو الآتى .

١) معدلات الفائدة وتكوين الرأسمال والنمو والتشغيل .
٢) العلاقات الأوروبية ـ الامريكية .
٣) عامل الطاقة فى صناعة القرارات فى السياسات الخارجية .
٤) الشركات الكوربوراشن وحكمها .
٥) السينما .
٦) الصحة والانتاجية والشيخوخة .
٧) القانون الامريكى والمنظمات القانونية .
٨) ادارة الصراع فى العلاقات الدولية .
٩) الزراعة كيفية استعمال التكنولوجيا الجديدة فى الالة الحاسبة من اجل تحسين صياغة القرار وزيادة الامدادات الغذائية فى العالم .

وقد ابدى السمنار اهمية خاصة للعلاقات الاوروبية ـ الامريكية ، لذا خصص لها دورات سنوية .

وقد تناولت دورة هذا العام (١٢ فبراير ـ ٢١ فبراير) جوانب خاصة من الأزمة التى سادت هذه العلاقات فى محاولة التوفيق بين الأراء المتبادلة : الجانب الاقتصادى خاصة بعد أن تفجرت الأزمة الأخيرة الناتجة عن صفقة الغاز بين فرنسا والاتحاد السوفييتى ، والجانب الدفاعى والعسكرى وما ضر

عد.. من تطورات منذ ان اقترح الجانب الامريكى اقامة صواريخ « بيدشنج / ٢ » وكروز على اراضى المانيا الغربية لتقوم بدور الرادع امام اى خطر اعتداء يمكن ان يقوم به الاتحاد السوفييت .

والملاحظ ان ازمة الصواريخ هذه قد ابرزت مدى الاختلافات بين الرؤية الغربية للخطر الذى يشكله الاتحاد السوفييتى والرؤية الأمريكية . وهذا ماتناولته هذه الدورة بالدراسة المستفيضة والمناقشات الطويلة على مدى تسعة ايام .

وقد افتتحت الدورة بمحاضرة عامة القاها الأستاذ الامريكى « روبرت بووى » من جامعة هارفارد . تناول فيها موضوع مصادر التأزم فى العلاقات الأوروبية - الامريكية ثم تلتها مناقشة شارك فيها جميع الحاضرين . وفى صباح اليوم التالى القى « سير مايكل باليزر » من وزارة الخارجية البريطانية والذى كان اول سفير بريطانى يمثل بلاده داخل الجماعات الأوروبية ، محاضرة حول المشاكل الاقتصادية . وبعد ذلك تم توزيع المشاركين على أربع لجان عكفت كل منها على دراسة جانب من المحاضرات العامة التى كانت تلقى فى الصباح ومن بين هذه المحاضرات :

● محاضرة للاستاذ الامريكى « لنكولن - بلومفيلد » التابع لمعهد ماساشوستس للتكنولوجيا ؛ وكان موضوعها عن حدود الأبعاد الشاملة فى العلاقات الاوروبية - الامريكية . وقد ركز المحاضر على انتقاد العلاقات الاوروبية - الامريكية بصروف الموضوعية الكفيلة بايجاد تعاون مثمر ومتطور بين دول حلف الأطلنطى وذلك فيما يتعلق بالمشاكل الدولية خارج القارة الاوروبية . ويرى المحاضر انه منذ قيام الاتحاد السوفييتى بغزو افغانستان فانه يمكن التأكيد بان منطقة الشرق الاوسط قد اصبحت هدفا للتوسع السوفييتى المسلح . وبالتالى فان مايشكله الاتحاد السوفييتى من تهديد لدول اوروبا الغربية قد امتد الى منطقة حيوية بالنسبة لهذه الدول وقريبة منها وهى الشرق الأوسط . وهذا التطور يستدعى مزيدا من توحيد الصفوف بين الحلف الاطلنطى لمواجهة هذا الخطر . كذلك ابرز المحاضر مدى تباين بين دول اوروبا الغربية من جهة والولايات المتحدة من جهة اخرى . وذلك فيما يتعلق بالاوضاع فى دول خارج نطاقهما مثل نيكاراجوا والسلفادور . وقد نادى الاستاذ بلومفيلد باجراء مزيدا من المشاورات الثنائية بين الدول المعنية وكذلك بالعمل المشترك من اجل توحيد المواقف ازاء قائمة من المشاكل خارج القارة الاوروبية والولايات المتحدة ولكنها تحتل مكان الصدارة على الساحة الدولية بل وتشكل تحديا للقيم الديمقراطية وللحريات السياسية التى تجمع بين دول اوروبا الغربيه وحليفتها الامريكية

● محاضرة عامة القاها السفير السابق الفرنسى (فرنسوا دى روز) وقد تناول فيها موضوع الدفاع عن أوروبا الغربيه . ومن اهم ماجاء فيها استعراضه للالتزام المطروح أخيرا والخاص بالامتناع عن البدء فى استعمال الاسلحة النووية من قبل حلف الاطلنطى وحلف وارسو والذى قبول من الاتحاد السوفيتى .

ويرى السفير (دى روز) ان مثل هذا الالتزام المتبادل من قبل القوتين العظميين لن يمنع باى حال التفوق السوفيتى من حيث حجم القوات التقليدية ، وبالتالى فانه حتى فى حالة احتكار أو تفوق من جانب الولايات المتحدة فى السلاح النووى فان ذلك لن يشكل رادعا كافيا بالنسبة للجانب الأخر ، طالما هذا الأخير يتمتع بتفوق ماموس فى أسلحة التقليدية . ويحاول المحاضر صياغة مفهوم معدل للدفاع عن أوروبا الغربية على نحو يراه كفيلا باعادة الثقه فى الردع ومنع الحرب فيناشد الدول الغربية التركيز على دعم القوات التقليدية داخل الحلف الاطلنطى على حد قوله (حتى تحصل هذه المنظمة ، الدفاعية على القدرة الكافية لصد اى هجوم من قبل قوات حلف وارسو . وهو ما يسميه المحاضر الردع بالقوات التقليدية ، اما اذا تمكنت قوات الحلف وارسو عبور الخط الفاصل بين الجانبين ، ففى هذه الحالة يصبح الالتزام بعدم البدء باللجو الى السلاح النووى غير مقبول . ولهذا يقترح المحاضر ادخال تعديل جوهرى فى مفهوم (الردع المرن) على نحو يسمح له بالبدء فى الالتجاء الى السلاح النووى على ان يكون هذا السلاح موجها فقط ضد القوات المغايره . يطلق المحاضر على هذه النظرية تسمية (الرد الغير مرن)

وقد زود جميع المشاركين فى الدورة بملف تضمن اهم التطورات والدراسات التى تناولت العلاقات الاوروربية - الامريكية وأيضا نتائج استفتاء اجرى فى سبع دول أوروبية غربية (فرنسا ، المانيا الغربية ، بريطانيا ، النرويج ، اسبانيا ، هولندا ، ايطاليا) والولايات المتحدة . وقد تضمن الاستفتاء عددا من الاسئلة تتعلق بأزمة العلاقات الأوروبية الامريكية . وهناك سؤال يحاول التعرف على رأى الشعوب المعنية فيما يتعلق بالمسئول الاكبر عن التأزمات المتحدة بين الجانبين . ولنذكر بعض النتائج التى أسفر عنها هذا الاستفتاء : فى المانيا الغربية نجد ٥٥٪ وهى نسبة كبيرة يلقون المسئولية الكبرى على البناء العسكرى السوفيتى و ٣٩٪ على البناء العسكرى الامريكى و٣٦٪ على عدم اتحاد الدول الغربية الاوروبية فى مواجهة الكتلة الشرقية و٢٨٪ على السياسات العدوانية التى تسلكها الولايات المتحدة ازاء الاتحاد السوفيتى . اما فى فرنسا ، فان ٤٥٪ وهى أيضا نسبة كبيرة يذكرون معدلات الفائدة المرتفعة التى تمارسها الولايات المتحدة وكذلك الدور الذى يقوم به الدولار الامريكى و٢٩٪ تحركات القوتين العظميين فى العالم الثالث و٢٦٪ افتقاد اوروبا الغربية وحدة الصفوف الكافية . وفى بريطانيا نجد ٣٣٪ وهى اكبر نسبة يرجحون التأزمات الحالية الى تطوير القوات العسكرية السوفيتية و٢٤٪ الى السياسات العدوانية التى تسلكها الولايات المتحدة ازاء الاتحاد السوفيتى و١٩٪ الى تزايد النفوذ السوفيتى . وفى النرويج ٥٧٪ يلقون التبعة على البناء العسكرى السوفيتى و٣٠٪ على السياسات العدوانية الامريكية ازاء الاتحاد السوفيتى و٢٨٪ على البناء العسكرى الامريكى

ونفس النسبة عن تحركات الدول العظمى فى العالم الثالث . اما فى سبتمبر فان اكبر نسبة وهى ٣١٪ يرون ان تحركات الدول العظمى فى العالم الثالث من أهم مصادر التأزمات الدولية الحالية بينما ٣٠٪ يرون ذلك فى السياسات العدوانية التى تسلكها الولايات المتحدة ازاء الاتحاد السوفيتى . وفى هولندا ٣٨٪ يلقون التبعة على البناء العسكرى السوفيتى و٢٤ على البناء العسكرى الامريكى . واخيرا فى ايطاليا ، نجد ٣٧٪ يتهمون السياسات العسكرية السوفيتية و٢٦٪ السياسات العدوانية التى تنتهجها الولايات المتحدة ازاء الاتحاد السوفيتى .

من خلال هذه النتائج وحدها ، يمكننا ان نلمس مدى الاختلافات فى الاراء داخل الدول الغربية الأوروبية حول الاسباب التى ادت الى التأزمات الحالية . ويلاحظ أيضا ان نسبة الاراء التى ترى فى التيارات السلمية والحيادية التى ظهرت فى السنوات الأخيرة فى أوروبا الغربية على انها من اهم مصادر التأزمات ضئيلة فى هذه الدول اذ تتراوح فيما بين ٥ و١٠٪ . كذلك فان نسبة الذين يرون فى رغبة الحكومات الأوروبية فى التسامح مع الاتحاد السوفيتى من اسباب التازم ضئيلة ايضا . باستثناء الوضع فى المانيا الغربية حيث تصل هذه النسبة الى ١٦٪ وتتراوح فيما بين ٤٪ و ٩٪ .

كذلك فان التركيز الشديد للرأى العام الأوروبى على احد الاسباب لانجده فى الولايات المتحدة . فان نتائج الاستفتاء تظهر توزيعا شبه عادل على تسعة اسباب تتراوح النسب فيها بين ١٠ و٢٧٪ وبالتالى فان اهم ما ابرزه هذا الاستفتاء هو مدى تباين وجهات النظر والتصورات فى صفوف الرأى العام الأوروبى الغربى . ويرجع البعض ذلك الى شدة الاستقطابات الحزبية فى أوروبا الغربية ، بالمقارنة الى ماهو كائن فى الولايات المتحدة .

واخيرا ، فان هذه الدورة حول العلاقات الأوروبية - الامريكية كانت تفتقد الى تمثيل أكبر من قبل دول العالم الثالث وخاصة منها دول الشرق الاوسط . فان ازمة الشرق الاوسط وما أل اليه الصراع العربى الاسرائيلى ، خاصة بعد حرب لبنان الدامية كانا يفرضان تواجدا اكثر ثقلا لعناصر تمثل المنطقة التى تشكل اليوم بؤرة تأزم وتصعيد لا يمكن ان تتجاهلها أوروبا الغربية عندما تناقش وسائل الدفاع عن نفسها . فلا يخفى على أحد ان سباق التسلح الجارى حاليا فى المنطقة ماهو سوى صورة جديدة من الصراع القائم بين القوتين العظميين . ثم ان موضوع الدفاع عن أوروبا الغربية لا يمكن بأى حال ان يحسم منفصلا عن الأمن فى المناطق الأخرى . فان تعدد الاستقطابات فى العالم المعاصر من جهة وتحركات الدول العظمى خارج اوروبا ماهو الا امتداد لصراع الخط الساخن الذى يفصل القارة الاوروبية كما ظاهرة الاعتماد المتبادل بين الدول التى تأكدت فى السنوات الأخيرة واصبحت حقيقة دعمتها الأزمة الاقتصادية العالية تفرض على ان يكون للدول والشعوب الأخرى الكلمة فيما سيتقرر بالنسبة للدفاع عن اوروبا . على سبيل المثال اذا اتجه الغرب فى اوروبا الى التركيز على تطوير ودعم لسلاح التقليدى فهناك فى العالم بؤرات تأزم اخرى سوف تدفع ثمن هذا الاختيار . وقد بدا هذا واضحا فى حرب لبنان : فان السلاح المتطور الذى استعملته اسرائيل فى الحرب كان سلاحا امريكيا جديدا اختبرت فعاليته فى مواجهة السلاح السوفيتى المتمثل فى قواعد سام السورية فى وادى البقاع . وهذا أمر لايمكن السكوت عليه .

التصور الخيالى وصناعة التاريخ من مصر الفرعونية إلى الحركة السان سيمونية

[مارسيليا : ١٧ - ١٩ يناير ١٩٨٣]

نبية الاصفهانى

من دون جميع الموانى الاوروبية التى تطل على البحر المتوسط فان مارسيليا هى ، دون شك ، المدينة التى تحمل اكثر من غيرها البصمات التاريخية للحضارات المتوسطية . ولايسع الزائر الا أن يقف مبهورا امام كثرة الاثار التى تسجل عبر عصور تلاحم الشرق والغرب : وكانت مارسيليا على حد ما كتبه الصحفى « جان بلاسيو » تملك مفاتيح الشرق بالنسبة للاوربيين .

ولكن مارسيليا اليوم تواجه مشكلة عويصة خاصة بتركيبتها السكانية . فأن مجموع سكانها يبلغ حوالى مليونا ونصف نسمة ولكن نصف مليون فقط هم من الفرنسيين الأصليين . فهناك مايقرب من مليون ونصف من الاوربيين الأجانب - أسبان ، يونانيون ، ايطاليون - بالأضافة الى الأرمن واليهود والفرنسيين الذين ولدوا فى شمال افريقيا والعرب وغيرهم من الاجناس . وللعمالة العربية التى قدمت من تونس والمغرب والجزائر وزن

لايمكن اغفاله على النشاط الاقتصادى لمارسيليا فهم يشكلون مالايقل عن نصف القوة العاملة . وعليهم يتوقف نصف نشاط المصانع داخل محافظة بروفانس كما انهم العصب الحيوى فى قطاع الاشغال العمومية والصناعية والزراعية ايضا .

اما المشكلة القائمة - وقد ارادت حدتها نتيجة لتضخم والأزمة الاقتصادية - فهى تتمثل فى ان هؤلاء العمال يرفضون الاندماج داخل المجتمع الفرنسى حتى لايفقدوا شخصيتهم الاسلامية العربية وهم فى نفس الوقت يطالبون بكافة المزايا التى يتمتع بها كل فرد يعمل داخل هذا المجتمع . وقد اصبح هذا التمزق يشكل خطرا على المجتمع الفرنسى فى مارسيليا حيث ظهرت تيارات معادية للجنس العربى .

وقد رأى المسئولون فى بلدية مارسيليا ان الامر يستوجب ايجاد قنوات اتصال تتيح مزيدا من التجاوب بين الجماعات الفرنسية والعربية وتكسو من حدة المعاداة . وهنا يأتى التاريخ بكامل ثقله لينسج الخطوط التى يمكن ان تؤدى الى هذا التجاوب . لهذا نظمت دار الوثائق التابعة للبلدية مجموعة من المعارض - مالايقل عن ١٧ معرضا - وذلك على مدى شهور استهدفت المام الجمهور الفرنسى والعربى بكافة العلاقات التجارية والثقافية التى قامت فى الماضى على مدى سبعة قرون بين مارسيليا والشرق العربى والتى كانت من اهم الاسس التى ادت الى ازدهارها . ولكى تحقق هذا الهدف لم تفعل البلدية صغيرة او كبيرة بل اشركت الاطفال فى المدارس ليساهموا بمجهودهم فى اقامة معرض يروى قصة الزرافة التى اهداها محمد على باشا الى الملك شارل العاشر تقديرا للمجهود الذى بذله الخبراء الفرنسيون الذين قدموا الى مصر من اجل تحديثها .

وبالاضافة الى هذه المعارض التى جمعت بين الفن التصويرى والوثائق التاريخية الدقيقة ، قام المسئولون عن دار الوثائق التابعة للبلدية بتنظيم لقاءات فكرية بين مجموعتين من الباحثين الفرنسيين والمصريين . وعلى مدى ثلاثة ايام بأكملها ، تناول الحاضرون العلاقات التاريخية التى قامت بين فرنسا ومصر وما يوازيها من تصورات خيالية من الجانبين .

والملاحظ ان لاختيار مصر لمثل هذه اللقاءات الحضارية اكثر من مبرر : فان لهذا البلد مكانة خاصة فى اذهان الفرنسيين . وهى مكانة تغذت من الاكتشافات العلمية التى تمت على يد شامبليون والمنجزات العظيمة مثل شق قناة السويس على يد فرديناند دى ليسبس ، ولكنها تغرس جذورها ايضا فى اعماق التاريخ القديم والوسيط : فمدينة الاسكندرية تمثل الأثر الحى للحضارة الأغريقية فى ذروتها كما ان طريق الحج الى القدس فى العصور الوسطى كان يمر عبر مصر .

بل ان التصور الوجدانى الاوربى لمصر كان له دور فى خلق التاريخ نفسه فهو الذى ادى الى حملة نابليون الى مصر وايضا الى توجه العديد من اتباع سان سيمونين الى هذا البلد فى محاولة خلق لقاء حضارى مثمر بين الغرب والشرق .

وقد رأى المسئولون فى مارسيليا ان هذا التلاحم بين التصور الخيالى وسحره من جهة والحادث التاريخى من جهة اخرى يستوجب الايضاح والفرز . لهذا الغرض جاءت هذه اللقاءات لتتناول بالبحث والمناقشة كيفية مواجهة الخيال بالحقيقة ومامادى ذلك الى اتصالات او مواجهات بين معتقدات فرنسية ومصرية وعلى هذا الاساس جاء اختيار الموضوعات المطروحة للمناقشة فى شكل ماسمى « بالنظرات المتلاقية » وقد خصص اليوم الاول من هذه اللقاءات (١٧ يناير) للاجابة على السؤال التالى : ماهو تصور الفرنسيين لمصر وكيف ينظر المصريون الى ماضيهم ؟ وقد اختير فى هذا المجال موضوعان يستحوزان على اهتمام الجانبين وهما : مصر الفرعونية والاسكندرية نموذج للالتحام بين الثقافات . وقد قدمت عدة ابحاث قيمة شارك فيها مثقفون مصريون وفرنسيون وكان كل جانب يطرح على الأخر تصوراته مستعينا فى ذلك بالتاريخ احينا وبما انتجته بلاده من كتب ادبية وروايات . ومن اهم هذه الابحاث : دراسة قدمت عن مصر الفرعونية فى الأدب الفرنسى فى القرن الثامنعشر اعده الاستاذ هنرى كولبى من جامعة « ايكس » التى تعد المركز الثقافى للمحافظة . ودراسة اخرى عن مصر الفرعونية من الرواية الفرنسية الى الرواية المصرية اعدتها الاستاذة ليلى عنان من جامعة القاهرة .

ويمكن تلخيص الأراء التى طرحت على النحو الأتى : بالنسبة للباحثين الفرنسيين فانهم يلاحظون مدى ثقل وتعدد التصورات التى لدى العديد من الكتاب والمفكرين الفرنسيين من امثال مونتسكيو وفولتير وديدرو ولكنهم يؤكدون مع ذلك ان اسطورة مصر الفرعونية قد جذبت اليها لفترة تاريخية طويلة المفكرين الروحانيين الى ان جاء عصر التنوير فى القرن الثامن عشر فتولى المفكرون القولانيين نبذ هذه الاسطورة واحلال حكم العقلانية محلها . ولكنه فى بداية القرن التاسع عشر بعثت الاسطورة من جديد لتتبلور فى واقع تاريخى تمثل فى الحملة التى قدمها نابليون بونابرت الى مصر وايضا فى تطلع قادة الحركة اسان سيمونيه الى مصر كنقطة التقاء حضارى بين الشرق واغرب .

اما بالنسبة للبحثين مصريين فانهم ركزوا على تصحيح التصورات الفرنسية عن مصر الفرعونية وهم فى ذلك يستعينون بالتاريخ . ولكن الحكم الأخير على هذه التصورات كم بدأ ذلك واضح فى البحث الذى قدمته الأستاذة ليلى عنان هو انها نابعة عن خيال البورجوازية الفرنسية لايمت للواقع بصلة اما الحدث التاريخى فقد كان له اثر متبادل فى شكل حركة جدلية على سبيل المثال ان الحملة الفرنسية الى مصر قد اثرت عل الفكر المصرى ولكنه انعكس ايضا صحيح ولكنه ظهور الدراسات الشرقية هو الذى قدم لأوربا عالما خياليا لايطابق الواقع .

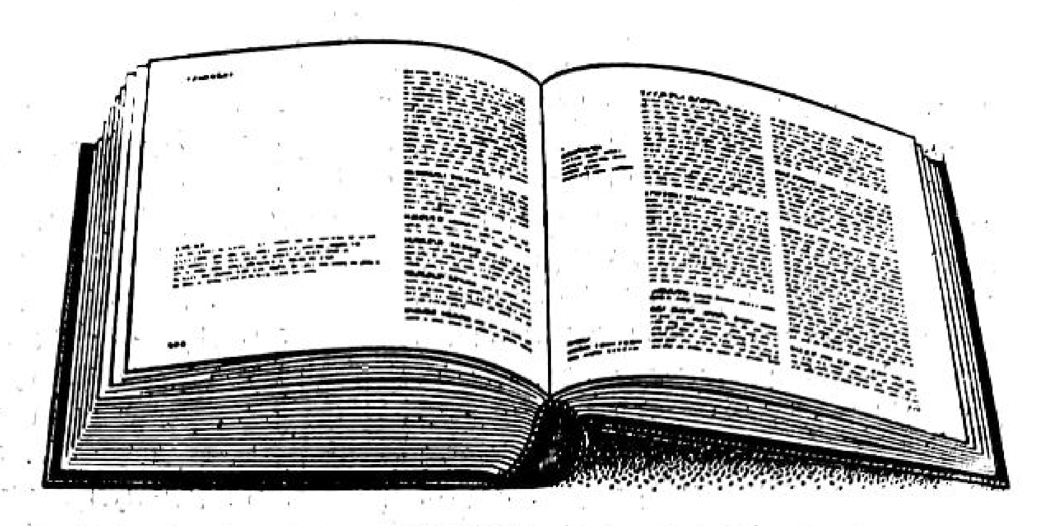
وينظر الفرنسيون الى مدينة الاسكندرية على انها يمكن ان تكون نموذجا للقاءات الثقافية ومركز اشعاع للالتحام الحضارى بين الشرق والغرب وينبع هذا التصور عن وجود مجتمع كوزموبوليتى كان قد ازدهر فى الاسكندرية حتى مهد قريب وأدى الى مولد شعراء يونانيين مثال « كافافيس » وكتاب مثل « لورانس دوريل » ولكن هذا التصور يراه الجانب المصرى مناقضا للواقع لأنه يطمس معالم المجتمع الشرقى المصرى ولا

عصبة ... والتى ... لازدهار الحضارى ... مدينة الاسكندرية تجمع بين الشرق والغرب ... حقيقة ... بين فكر عربى وفكر غربى وفكر عربى آخر . وهو ما بدا واضحا فى اذهان الباحثين المصريين الذين شاركوا فى ... الفيلم المصرى الذى عرض فى مساء هذا اليوم وهو : الاسكندرية ليه ؟ . الذى انتجه يوسف شاهين .

... اليوم الثانى (١٨ يناير) فقد خصص لدراسة ... بين التصورات والافكار المصرية والفرنسية وقد وقع الاختيار على موضوعين للمناقشة هما : قناة السويس ، طريق الهند ، وطريق الاراضى المقدسة . ومن خلال الابحاث التى قدمت فى هذين موضوعين يمكن تلخيص الاراء كالآتى : فقد ... الفرنسيون العلاقات الوثيقة التى قامت بين مارسيليا والاسكندرية فى بداية القرن التاسع عشر والتى عليها قامت حركة اقتصادية نشطة فى مصر فى عهد محمد على وسعيد باشا واسماعيل باشا وكانت الحافز الى شق قناة السويس على يد فردناند دى ليسبس . فان ملحمة قناة السويس كامنة فى قلوب الفرنسيين التى يرونها انجاز جليلا لصالح الانسانية بأجمعها تشهد بمجد فرنسا .

... الجانب المصرى فقد كان يرى فى هذه الملحمة تجربة مريرة ... صيغ ... القناة التى اشترتها بريطانيا ... احتلال مصر بعد فشل ثورة احمد عرابى وقد كان لقناة السويس اثر عميق على مسار الحركة السياسية فى مصر طوال القرن العشرين التى استفادت من درس قناة السويس . فان مصر التى كانت قد فتحت ابوابها على مصراعيها امام الاجانب من اجل التحديث قد اصبحت منذ مأساة القناة حريصة على تمصير ... شركاتها وعلى الحد من النفوذ الاجنبى على ارضها ... التمصير هو الخط الثابت للسياسة المصرية منذ هذا التاريخ واخيرا تناول المشتركون فى اليوم الثالث (١٩ يناير) التصورات التى تكونت من خلال انطباعات الرحالة والمغامرين الذين نزحوا الى الشرق والتى استقرت فى اذهان المؤسسين حتى يومنا هذا وقدمت فى هذا الموضوع عدد من الابحاث القيمة من هذه : ورقة حول المصادر التى لدى مدينة مارسيليا عن الشرق كما بدا فى عصر الرومانسية الفرنسية قدمها الاستاذ انور لوقا وأخرى بمناسبة مرور مائة وخمسين عاما على رحيل اول فوج من السان سيمونين الى الشرق (١٨٣٣) قدمه الاستاذ دانيال آرموجات . فيما يتعلق بالسان سيمونية قدمت الاستاذة امينة رشيد من جامعة القاهرة دراسة مقارنة ممتازة عن سوزان فولكان السان سيمونين التى اقامت فى مصر وعن رفاعة الطهطاوى الذى كتب عن رحلته الى باريس فى نفس الفترة تقريبا فجاء البحث ممثلا لتلاقى بين الفكر المصرى والفكر الفرنسى . كذلك قدمت الاستاذة هدى وصفى من جامعة عين شمس بحثا عن « موليير والمسرح المصرى » مع التركيز على اوجه التوافق فى نقد المجتمع .

وبصفة عامة يمكن القول بان هذه اللقاءات بين الثقافتين المصرية والفرنسية والتى دعمتها الزيارات العديدة الى المتاحف كانت مثمرة للغاية كما انها تشهد بمديعمق العلاقات التى قامت منذ زمن بعيد بين مصر وفرنسا . ويكفى التنويه فى هذا المجال : ان فى مدينة مارسيليا ميدان باسم « السكاكينى » . فقد كان السكاكينى باشا يمثل مصالح رجال الاعمال المصريين والاجانب فى مدينة مارسيليا .



مكتبة السياسة الدولية

مجــزرة صـــابرا وشـــاتيلا

Amnon Kapeliouk
Sabra et Chatila Enquere
sur un massocre
Edition du Seuil Decembre 1982

مر الوطـن العـربى فى الصـيف الماضى بـاحداث جسام ، شكلت نقـطة انقـلاب فى تـاريخ وتـوازنات المنطقة ، فالاجتياح الاسرائيلى للبنان ومانتج عنه مـن تشتيت لقـوات المقـاومة الفلسـطينية ووقـوع الاف الضحايا من المدنيين الفلسطينيين واللبنانيين فضلا عن المجازر الجماعية فى مخيمى صـابرا وشـاتيلا والتـى فاقت فى بشاعتها كل ماسفك مـن الدمـاء العـربية منذ مذبحة دير ياسين ، هذه الاحداث تعد وبحق اقسى مامر به الوطن العربى منذ بداية مـواجهته لاسرائيل . وقـد كانت احداث لبنان المحك الحقيقى لفرز مدى مصـداقية الدعاوى الاسرائيلية عن التسـوية او السـلام او الديموقراطية ، وتعرض الكيان الصـهيونى لاول مـرة للادانة الدولية بعد تمتعه منذ قيامه بالتقدير والاحتـرام الدوليين . ولكن رغم الادانة الدولية التـى تلقتهـا اسرائيل اثناء وبعد الغزو ، الا انهـا حـاولت وبـطرق متعددة استرجاع صورتها امام العالم الخارجى . ولم تكن لجنة كاهان ونتـائجها او البيانات الصـادرة عن الحكومة الاسرائيلية إزاء المذابح او اثار احتلال بيروت الغربية الا محاولات فى هذا الصدد .

وعلى صعيد اخر ، بدأت لجنة اسرائيلية مشكلة من مثقفين وكتاب محاولة اثبات مواقفها المعارضة للغـزو ولسـياسات الليكود ، ولم ينحصر الامـر على اعلان اوجه النظر هذه داخل اسرائيل وانمـا امتـد ليعـرض نفسه امام الراى العام الدولى . ومـن بين الكتـابات الاسرائيلية التى حاولت شرح وجهـه نظـر المعـارضة الاسرائيلية نجد كتاب امنون كابليوك عن مجازر صابرا وشاتيلا ، وقد اثار ضجة فى أوربـا الغـربية والولايات المتحدة وقت صدوره وذلك لامـرين ، اولهمـا : تمتـع امنون كابليوك بشهرة واسعة فى الاوسـاط الاوربية ، فهو احد محررى صحيفة هـاعولام هـذيه الاسرائيلية واحد الكتاب البارزين فى مجلة نيو اوت لوك بتـل ابيب فضلا عن كتاباته العديدة فى صحيفة الموند الفرنسية .

وتتبع كتابات كابليوك يوضح معارضته لسـياسات الحكومة الاسرائيلية الحالية وتأييده لمبدأ التسـوية ، فهو أحد اعضاء حزب مـابام الاسرائيلى ومـن ابـرز اعضـاء حـركة الرفض الاسرائيلية « السـلام الان » وبناء عليه فانه يعد أحـد اهـم الأصـوات الاسرائيلية المعارضة والتى تلقى تفهمـا كبيرا لمواقفهـا فى الدوائر الغربية .

أما ثانى اسباب انتشار الكتاب : فيكمن فى المنهـج الذى اتبعه الكاتب فى عرض كتـابه والذى لم يحـدد فيه

موقفا واضحا من القوات الاسرائيلية أو من مسئوليتها عن وقوع المذابح ، والقى بالمسئولية الكاملة على قوات الكتائب اللبنانية . والأسلوب المتبع في الكتاب يبدو غاية في الحياد ، فهو مكون من يوميات تبدأ بيوم ١٤ سبتمبر (يوم اغتيال بشير الجميل) وتنتهي بيوم ٢٠ سبتمبر (اجتماع الكنيست الاسرائيلي لمناقشة مسئولية اسرائيل عن وقوع المذابح) . والكاتب يؤكد ومنذ البداية اعتماده على مصادر اسرائيلية وغربية ولبنانية على حد سواء ، وعلى شهادات الاسرائيليين من العسكريين والمدنيين وكذلك اللبنانيين والفلسطينيين ، فضلا عن تاكيده على استخدام الاذاعات العربية وبياناتها ووكالات الانباء اللبنانية والغربية والاسرائيلية وتقاريرها . كل ذلك ليثبت عدم ارتباطه بأية فكرة مسبقة يريد طرحها ، وانما يذكر أن هدفه هو تسجيل الحقائق للوصول الى النتائج الحقيقية عن المسئولين والضحايا .

وإذا كانت مصادر الكتاب تشهد للكاتب بعدم التحيز ، فالكتاب وعبر صفحاته يؤكد على تحيزه لفرضية محددة وهي المسئولية الكاملة لقوات الكتائب عما حدث ويحدث في لبنان . وبالرجوع الى يوميات الكتاب نجد ان هناك اربع قضايا اساسية يناقشها الكاتب من حيث اسباب وقوعها والدور الاسرائيلي في دفعها ودور الكتائب فيها واخيرا موقف الرأي العام الاسرائيلي منها وهي :

(١) اغتيال بشير الجميل .
(٢) اقتحام القوات الاسرائيلية لبيروت الغربية .
(٣) وقوع مذابح صابرا وشاتيلا .
(٤) ردود الفعل الأسرائيلية ازاء المذابح .

اولا : اغتيال بشير الجميل :

يستعرض الكاتب علاقة بشير الجميل بالحكومة الاسرائيلية وتحالفه معها قبل واثناء الغزو ، ووعود بشير الجميل لاسرائيل بتوقيع معاهدة سلام مع اسرائيل بعد انتخابه بشرط مساعدة اسرائيل له في الفوز بالرئاسة ، ويؤكد المؤلف على ان انتخاب بشير الجميل قبل اغتياله كان يعد نصرا لاسرائيل خاصة في ضوء سياسات الجميل الداخلية واختلافاته مع سائر القوى السياسية في لبنان .

ويرجع الكاتب الى ماقبل يوم ١٤ سبتمبر ليروى اخر اجتماع بين بيجين وشارون وبشير الجميل في نهاريا بلبنان ، والذى ابدى الرئيس اللبنانى خلاله تحفظه على توقيع معاهدة سلام مع اسرائيل قبل الانسحاب النهائي للقوات الاسرائيلية من لبنان ، وتاكيده على خطورة توقيع المعاهدة وماسينتج عنها من عزل لبنان عن الوطن العربي الذى يعتمد عليه بالاساس في اعادة تشييد لبنان .

ويذكر الكاتب كيف احتدم النقاش بين الجميل والقادة الاسرائيليين بعد اصراره على عدم توقيع المعاهدة في الوقت الحالي وهو مااعتبرته اسرائيل مناقضا لوعوده السابقة والتي ساندته اسرائيل على اساسها في التخلص من قوات المقاومة الفلسطينية وفي الفوز بانتخابات الرئاسة اللبنانية .

ثم ينتقل الكاتب لينقل تصريحات اريل شارون وزير الدفاع الاسرائيلي اثر الاجتماع في كريات شمونة باسرائيل والتي اكد فيها على انه في حالة عدم توقيع معاهدة سلام مع اسرائيل فان قواته ستبقى في جنوب لبنان بعمق يتراوح بين ٤٠ و٥٠ كيلو مترا ، وستبقى القوات السورية في سهل البقاع مما سيجعل من بشير الجميل في النهاية رئيسا لمنطقة بيروت فقط . ويسجل المؤلف حادث اغتيال بشير الجميل بمقر الكتائب الرئيسي بحي الاشرفية ، ويحاول تقدير حجم المتفجرات المستخدمة في الحادث دون ان يذكر اي الاطراف يمكن ان يكون الفاعل او يمتلك هذه الذخيرة ويستطيع الوصول بها الى مقر الكتائب .

وعقب عملية الاغتيال بنحو ست ساعات يتم استدعاء الجنرال اتيان رئيس اركان القوات الاسرائيلية ويصدر القرار الاسرائيلي باحتلال بيروت الغربية . ويعتقد الكاتب ان شارون قد اتخذ القرار بمعرفة بيجين وشامير فقط . ولا تستغرق عمليات الاعداد الاسرائيلية اكثر من خمس ساعات والتي ينتهي إتيان من اختبارها في كفر سيل بجنوب لبنان في منتصف الليل لاتمام العملية في اليوم التالي . والكاتب لايحاول في هذا الصدد الربط بين اغتيال بشير الجميل واقتحام القوات الاسرائيلية لبيروت الغربية ، ولايرى اي مصلحة لاسرائيل في اغتيال الجميل رغم ذكره للخلافات بين الرئيس اللبناني والقادة الاسرائيليين ورغم فهمه وتاكيده على ان اغتيال الجميل يعد المبرر الوحيد لاقتحام القوات الاسرائيلية لبيروت الغربية خاصة بعد انتفاء الخطر الرئيسي على الكتائب والاسرائيليين بخروج قوات المقاومة الفلسطينية .

ثانيا : اقتحام بيروت الغربية :

يبدأ الكاتب عرض عملية اقتحام بيروت بتسجيل الاجتماعات المشتركة بين القوات الاسرائيلية وقيادات الكتائب والتي تم الاتفاق خلالها على انفراد القوات الاسرائيلية بعملية الاقتحام في مقابل ترك مهمة دخول المخيمات لقوات الكتائب ، ويذكر كيف رحبت قوات الكتائب بعملية الاقتحام لما يمنحه لها ذلك من فرصة للاجهاز على الفلسطينيين في المخيمات والانفراد بالمهمة التي انتظرتها طويلا (بناء على شهادة شارون بذلك

ف الكنيست يوم ٢٢ سبتمبر) . ثم تبدأ عملية الاقتحام ف الساعة الخامسة صباحا على ان تتفادى بكل الامكانيات اراقة الدماء ، ويتم تحديد خمسة مداحل لحصار بيروت الغربية والبدء ف البحث عن مخازن الاسلحة التى خلفتها المقاومة (وعلى الاصح منعت من حملها معها عند خروجها من لبنان) ، ويسوق الكاتب رواية عن قيام احد الباعة المتجولين اللبنانيين بارشاد القوات الاسرائيلية عن كل مخازن السلاح ، وهو اغلب الظن يؤكد بها على عدم وجود اى معارضة لبنانية حقيقية لاحتلال بيروت الغربية . ويستشهد الكاتب بالارقام ليؤكد على الضعف الشديد الذى اتسمت به مقاومة احتلال بيروت الغربية ليذكر ان كل مانجم من خسائر على الجانب الاسرائيلى بعد عملية الاقتحام كان قتيلين وخمسين جريحا . وينتقل الكاتب لتسجيل تصريح الجنرال اتيان ف اليوم التالى عن السهولة الواضحة للعملية التى لم تستغرق اكثر من ثلاثين ساعة ، وليؤكد ان هدف العملية هو حصار الاف الارهابيين الذين خلفتهم المقاومة الفلسطينية وراءها ف لبنان . ويقارن الكاتب تصريح إتيان هذا بتصريح سابق له (قبل الاقتحام بثلاثة ايام) ذكر فيه انه لم يبق ف بيروت الغربية سوى بضعة ارهابيين ومكتب صغير خالى للمنظمة . وعلى صعيد اخر يستعرض المؤلف المقابلات الاسرائيلية مع موريس درابر مساعد فيليب حبيب والتى فرضت فيها اسرائيل ارادتها على الولايات المتحدة بابلاغها اقتحام بيروت بعد تنفيذه فعلا ، الا أن الاعتقاد بأن اسرائيل اقتحمت بيروت الغربية بدون علم مسبق من الولايات المتحدة مسألة لايمكن قبولها ببساطة ، ذلك لان اسرائيل كان لديها من الاسباب مايكفى لاقناع الولايات المتحدة والحصول على موافقتها خاصة ف ضوء خروج القوات الفرنسية من مواقعها قبل الموعد المحدد لها بعشرة ايام واغتيال بشير الجميل ، وهو الأمر الذى صورته الحكومة الإسرائيلية للادارة الامريكية بأنه بداية دمار كامل للبنان من تجدد القتال بين الفئات المسيحية والمسلمة والفلسطينيين وبأن عملية الإقتحام (كما صرح بيجين) عملية محدودة من حيث الوقت والاهداف ومرتبطة بأمن لبنان (الكنيست ١٥ سبتمبر) . ولايعير المؤلف اهتماما كبيرا لتدمير القوات الإسرائيلية لاحياء كاملة مثل حى الحمرا التجارى ، بل لايتعدى وصفه لما جرى من حرق المحال ونسف العربات وتفجير وتدمير المنازل وسرقة معظم السلع والنقود وقتل المارة اكثر من سطر واحد . ثم ينتقل الكاتب ليوضح قرب المواقع التى اتخذتها القوات الاسرائيلية بعد الاقتحام من مخيمات اللاجئين الفلسطينيين ، والاجتماعات الدائرة بين القادة الاسرائيليين لاحكام السيطرة على بيروت الغربية او تلك المشتركة بين القوات الاسرائيلية وقوات الكتائب لاعداد خطة دخول المخيمات .

ثالثا : وقوع المذابح :

بعد الغاء العمل بالخطة اللبنانية التى كانت تمنع الكتائب من التنسيق مع القوات الاسرائيلية والتى امر بها شفيق الوزان ، بدأت الاستعدادات الاسرائيلية الكتائبية لدخول المخيمات فيعقد اتصال جرى بين شارون وإتيان ، ثم ارسال الجنرال امير دروري للتأكد من استعداد قوات الكتائب للمهمة ، كما تم تحديد الساعة الثانية عشر مساء ليدء تحرك قوات الكتائب من مواقعها والتى قدرت بنحو ١٥٠٠ جندى كبداية لاقتحام المخيمات ، ويحاول الكاتب الاستشهاد بالمخاوف الاسرائيلية من قسوة الكتائب وتهورهم ف الانتقام ، وخاصة الجنرال دروري الذى اكد على ان نوايا الكتائبيين لم تكن تقتصر على ابادة المسلحين فحسب وانما كان التخلص من الفلسطينيين هدف الكتائب الرئيسي منذ بداية الغزو . ويسجل اخر الاجتماعات الاعدادية للعملية بقيادة الياس حبيكه والتى اصر فيها على انفراد قوات الكتائب بدخول المخيمات وانهاء العملية . وف الساعة الخامسة بدأ حصار المخيمات وقتل مئات من سكان مخيم شاتيلا ، وتم اطلاق الرصاص على جميع المارة ف الشوارع ، واقتحام المنازل وقتل عائلات بأكملها وهى ف منازلها نائمة ، وذبح اطفال مابين الثالثة والرابعة من العمر ف اسرتهم ، ولم يقتصر الامر على القتل بل امتد للتمثيل بالجثث والقاء الأذرع والرؤوس المقطوعة داخل حفر كبيرة وتفجير رؤوس الاطفال الرضع وبقر بطون السيدات الحوامل واغتصاب السيدات والفتيات حتى الموت ، وكان جنود الكتائب يتركون احيانا احد افراد اسرة قتلت بأكملها ليروى ماحدث ف المخيم واختفت تسع سيدات يهوديات كن من سكان المخيم وزوجات لفلسطينيين . ويروى الكاتب كيف ان القوات الاسرائيلية خارج المخيمات قد استخدمت القنابل المضيئة لضمان استمرار العملية بعد انقطاع الكهرباء عن المخيمات ، وان أول تقرير قدمته قوات الكتائب لمقر القوات الاسرائيلية بعد ست ساعات (الساعة الحادية عشرة مساء) كان تقديره للقتلى ف مخيم شاتيلا يفوق الثلاثمائة شخص ، هذا الى جانب ٨٢ جريحا الى مستشفى غزة وعكا قرب المخيم لانقاذ انفسهم او ذويهم من طلقات الرصاص والجروح . ويقرر الكاتب ان مايجرى ف المخيم لم يبدأ ف الانتشار ف انحاء لبنان الا ف صباح يوم الجمعة ، حيث قام اطباء وممرضو مستشفى عكا بابلاغ مقر القوات الاسرائيلية ومراسله

وكالات الانباء بأن المدنيين من سكان المخيمات يتعرضون لمذابح جماعية . ومع بدء ثانى ايام المجزرة بدأت عربات نقل ومدرعات فى دخول المخيمات واجبار المئات من الرجال والنساء والشيوخ باستقلال العربات لأماكن مجهولة ، وقد صورت عدسات التليفزيون الدانمركى تكتيل الاطفال والشيوخ والرجال والنساء من سكان المخيم فى عربات كتائبية واكدت ان ماحدث كان على بعد ٤٠٠ متر من مقر القوات الاسرائيلية . وفى مكان اخر إجتمعت قوات من الكتائب امام مستشفى عكا واقتحمته وقتلت كل المرضى فى اسرتهم واعتدت على ممرضة فلسطينية وشوهت جسدها تماما وكما اجبرت اربعين شخصا من مرضى واطباء وممرضين فلسطينيين ولبنانيين على استقلال سيارة نقل اختفت بهم بعد ذلك . وتبعد مستشفى عكا عن المقر الاسرائيلى مسافة ٢٠٠ متر . ويطرح الكاتب تساؤل احد الصحفيين الاسرائيليين فى صحيفة يديعوت احرونوت عن مدى قدرة الكتائب وحدها على القيام بهذه المجازر وعلى هذا النحو والاستمرار فيها لمدة اربعين ساعة متواصلة دون مساعدة اسرائيلية مكثفة ، ثم ينتقل المؤلف لينقل مايدور خارج المخيمات من اتصال بين إتيان وشارون ابلغ فيه الأول وزير الدفاع بأن الكتائب يبالغون فى قسوتهم تجاه سكان المخيمات وانه ليس من المؤكد وجود اى تصد مسلح للكتائب داخل المخيمات . ويسترجع الكاتب ماحدث ليؤكد ان كل هذه الاستعدادات للقتل والتدمير وتفجير المنازل واختفاء المئات لابد وان يكون نتيجة خطة مسبقة (وان كان لايحدد اطرافها) لتدمير المجتمع الفلسطينى فى لبنان تدميرا شاملا من افراد ومنازل ومدارس وهيئات . وينتقل الكاتب الى اسرائيل حيث يسجل الاحتفالات براس السنة العبرية (يوم الجمعة ١٧ سبتمبر) وعدم صدور الصحف او اذاعة الاخبار وكيف ان احد مراسلى صحيفة هآرتز الاسرائيلية فى لبنان حاول الاتصال بشارون لابلاغه بما يحدث داخل المخيمات وعدم اهتمام وزير الدفاع بمعلومات الصحفى الاسرائيلى .. ثم يرجع الكاتب الى داخل المخيمات حيث تتقدم قوات الكتائب الى مخيم صابرا فى اقل من ساعتين من نهار الجمعة ليتم سرقة كل ماله قيمة داخل المنازل قبل تدميرها وابادة الجميع ، ويروى الكاتب ان مجموعة من رجال المخيم تمكنت من الهرب والوصول الى سفارة الكويت لابلاغ الجهات الرسمية مايحدث داخل المخيمات وان هذه المجموعة قد وجدت مقتولة بعد ذلك بساعات خلف مبنى السفارة ويذكر الكاتب ان الفاعل هنا « مجهول » . وبعد نجاح هذه المجموعة من الهرب ، نجحت القوات الاسرائيلية فى منع اى محاولة للهرب من المخيمات بالاقناع او العنف واستمرت بالاضافة الى هذا فى اضاءة المخيمات لليوم الثانى لتستمر المذابح فى صابرا . ويسجل الكاتب المحاولات العديدة التى قام بها الصحفيون والدبلوماسيون لدخول المخيمات وانقاذ المدنيين ومنع القوات الاسرائيلية هذه المحاولات بالقوة وتستمر المجازر لتشهد يومها الثالث ليستمر حتى منتصف النهار وليجهز الكتائبيون على ماتبقى من افراد فى المخيمين حتى اولئك الذين رفعوا الرايات البيضاء معلنين الاستسلام ولتجبر البقية الباقية على ركوب العربات ذات الطريق المجهول . ويختتم الكاتب هذه القضية باستعراض شهادات من بقوا على قيد الحياة من سكان المخيمين ليؤكد على اجماع كل الشهادات على قيام قوات الكتائب وسعد حداد وحدها بالمذابح . ويشير الكاتب بعد ذلك الى عناوين الصحف الاسرائيلية المتعلقة بالمجزرة والتى تدين اية محاولة لالقاء المسئولية على اسرائيل او حتى تصوير المجازر مؤكدة ان ذلك لن يفيد الا (الارهابيين) الفلسطينيين . وفى النهاية يقدر الكاتب العدد التقريبى للضحايا باكثر من ٣٥٠٠ قتيل عثر على ٢٠٠٠ جثة منهم ملقاه فى المخيمات هذا الى جانب مئات اخرى مثل الجثث التى لم يتمكنوا من اخراجها من تحت انقاض المنازل او السكان الذين تم اسرهم الى اماكن مجهولة والتى اعترضت قوات الكتائب بابادتهم بعد ذلك وقد قدرت وكالة الانباء الفرنسية عدد الاسرى بنحو ٢٠٠٠ رجل ومراة وطفل واخيرا اولئك التى قامت القوات الكتائبية بدفنهم بعد قتلهم . ويقدر الكاتب نسبة الضحايا اللبنانيين بربع عدد الضحايا الكلى ومن الجدير بالاشارة ان تقرير لجنة كاهان قد قدر العدد الكلى لضحايا المخيمات بـ ٨٠٠ شخص بين مقتول ومختف .

رابعا : ردود الافعال الاسرائيلية بعد المذابح :ـ

بعد انتشار انباء المذابح داخل اسرائيل وخارجها ، بدأت كثير من ردود الافعال فى البلورة فعلى الصعيد الداخلى فى اسرائيل قامت الحكومة باصدار بيان رسمى شجبت فيه عنف المجازر وابدت فيه حزنها الشديد على قتل الابرياء ، كما نفت اية مسئولية تقع على عاتقها فى المجزرة ، كما اعقبه بيان لوزاره الخارجية الاسرائيلية يقدم العزاء لضحايا المجازر ويؤكد على براءة الحكومة من المسئولية المنسوبة اليها فيما يتعلق بالمذابح .

وينتقل الكاتب للولايات المتحدة ، حيث يلقى الرئيس ريجان خطابا يدين فيه حكومة اسرائيل لاهمالها وعدم تصديها لوقف المجازر فى المخيمات ، كما يستعرض ردود افعال الجالية اليهودية فى الولايات المتحدة وادانتها الحكومة ومطالبتها بالاستقالة . وفى اسرائيل

لم يحاول الكاتب التركيز على ردود الافعال الرسمية بقدر اهتمامه بتسجيل المعارضة الشعبية داخل اسرائيل ، وفى هذا الصدد يستعرض الكاتب المظاهرة الشعبية التى قامت (يوم ٢٣ سبتمبر) بالتنسيق بين حركة السلام الان والتجمع العمالى والتى قدر عدد المشتركين بها بـ ٤٠٠ الف مواطن اسرائيلى فضلاً عن المظاهرات الاخرى التى حاصرت مقر اقامة رئيس الوزراء وطالبته بالاستقالة لمسئوليته عن وقوع المذابح . واهتم المؤلف بتسجيل اراء ومواقف النخبة المثقفة فى اسرائيل ومعارضتها الغزو والمذابح وتنديدها بالسياسات المتبعة من قبل الليكود والتى دفعت باسرائيل فى هذه المذابح كمسئول بشكل او بآخر . اما فيما يتعلق بالحكومة الاسرائيلية منذ أستمر الكاتب فى موقفه المعارض لها مسجلاً جلسات الكنيست الاسرائيلى وتصريحات القادة وشهاداتهم عن المذابح ليؤكد على تضارب الشهادات فيما يتعلق ببدء العلم بما يجرى داخل المخيمات او التخطيط المسبق لدخول الكتائب المخيمات لقتل المدنيين ، كما استعرض المؤلف المناقشة الحادة التى دارت بين شارون وزير الدفاع وشيمون بيريز زعيم التجمع العمال ، والذى اتهم كل منهما الاخر فيه باراقة دماء المدنيين فى صابرا وشاتيلا وتل الزعتر . ثم يتتبع كابليوك تطور موقف الحكومة الاسرائيلية من اقتراح حزبى العمل وشينوى بتشكيل لجان تحقيق ، ويؤكد ان الحكومة لم تماطل فى قبول الفكرة لخوفها من الادانة وانما لكسب الوقت وتهدئة الرأى العام الداخلى والخارجى فضلاً عن تأكيد التزام الحكومة بالديموقراطية . وعلى غرار مواقف الكاتب السابقة من الحكومة الاسرائيلية او من الكتائب نجده يسخر من لجان التحقيق سواء فى اسرائيل او فى لبنان حيث يسجل جلسات لجنة تحقيق الكتائب بقيادة الياس حبيكة (المدبر الأول لعملية اقتحام المخيمات) والتى تنتهى الى ان المذابح جرت بين فئات من قوات سعد حداد والكتائب ضد سكان المخيمين لما لاقته هذه القوات من تصد مسلح ومقاومة عنيفة .

واذا كانت هذه الافكار تعكس فى مجملها خطأ واحدا يتمثل فى الهجوم السافر على قوات الكتائب والقاء المسئولية الكاملة على عاتقهم ليس فيما يتعلق بالمذابح فقط وانما منذ بداية الغزو ، ففى رأى الكاتب انهم عملاء لاسرائيل متحالفون معها ضد سائر القوى السياسية فى لبنان وخاصة فى سبيل التخلص من الوجود الفلسطينى فى لبنان . وتكمن خطورة هذا التحليل فى انه لايحدد المسئولية الاسرائيلية تحديدا صحيحا سواء من حيث الحجم او النوايا ، فهو يصورها على انها ردود افعال لمطالب الكتائب المسيحية سواء فيما يتعلق بالغزو من حيث المبدأ او اقتحام بيروت الغربية او العلم بالمذابح .

فيما يتعلق باغتيال بشير الجميل ، لا يحاول الكاتب التكهن بالفاعل ، ولايقدر ان المستفيد الأكبر من الاغتيال هى اسرائيل . فبالاغتيال تحتل اسرائيل بيروت الغربية وتسيطر على الكتائب مرة أخرى وتبدأ جولة جديدة قد تنتهى بعقد معاهدة السلام المنشورة من جانبها وبناء على اسس افضل بناء على مواقعها الجديدة .

اما فيما يتعلق باقتحام بيروت فيرى الكاتب ان المسئولية لاتقع على كاهل الحكومة الاسرائيلية باكملها بقدر ماتنصب على الثالوث [بيجين - شارون - إتيان] والذى اكد على اتخاذهم قرار الاقتحام دون الرجوع الى الكنيست . وهو بهذا يضع فاصلاً تعسفيا بين الثالوث والحكومة من جهة ، والحكومة والشعب الاسرائيلى المعارض من جهة اخرى

وفى موضوع المذابح والذى يعد القضية المحورية لهذا الكتاب (وخاصة ان امنون كابليوك اسرائيلى ومعارض لليكود) فلا نجد غير تسجيل انتقائى للأحداث التى تؤكد عدم دخول اى قوات اسرائيلية للمخيمات من جانب ومحاولات الصحفيين الاسرائيليين فى لبنان فى وقف المذابح واثارة الرأى العام الاسرائيلى . هذا الرأى العام الذى يصور معارضته للغزو وللتورط فى المذابح ، ويحاول الضغط على الحكومة لتشكيل لجان تحقيق ولدفعها للاستقالة . وهنا يسوق المؤلف استطلاعا للرأى اجراه معهد جالوب على عينة مكونة من ١٧٠٠ شخص ليثبت ان :
٦٠٪ من الاسرائيليين يعتبرون الحكومة مسئولة بشكل او بأخر عن المجازر .
٨٠٪ من الاسرائيليين يعتبرون ان غزو لبنان قد دفع بأسرائيل لارتكاب مزيد من الأخطاء الفادحة (اجرى الأستطلاع يوم ٢٣ سبتمبر)

وفى هذا الصدد نجد ان استخدام الكاتب لهذا الأستطلاع بعينة جاء مجافيا للحقيقة حيث نجد العديد من استطلاعات الرأى الأخرى المجراة فى اسرائيل وفى ذات الوقت تؤكد على نتائج مختلفة من التصويت فى صالح بيجين كأصلح رئيس للحكومة او ارتفاع عدد مقاعد الليكود (اذا ماأجريت الانتخابات ثانية) من ٤٨ مقعدا فى الانتخابات الأخيرة الى ٥٤ مقعدا (١ اكتوبر ٨٢)

وازاء القضية الرابعة من القضايا المثارة من خلال الكتاب نجد ان محاولة تبرئة الشعب الاسرائيلى مما وقع من جرائم فى لبنان تكاد تكون الهدف الرئيسى من وراء هذا الكتاب ، وتصبح هذه المحاولة منطقية بل

وضرورية من وجهة النظر الاسرائيلية اذا مارست الى السياق الدولى الذى ابتعد ولاول مرة عن تأييد الكيان الصهيونى لصالح الشعبين اللبنانى والفلسطينى .

وبهذا العرض نصل الى نتيجة اساسية وهى عدم تعليق كثير من الامال على المواقف الاسرائيلية المعارضة مهما بدت حادة ، لانها فى النهاية لاتعدو مهما اختلفت أن تكون تعبيرا عن وجهة نظر تضع مصالح اسرائيل القومية والاستراتيجية وتعاطف الرأى العام العالمى معها فى المقام الاول ، بل واذا اقتضى الأمر ، فهى تستغيث فى ابراز التناقضات الجارية على الساحة العربية (مثل ما حدث ازاء لبنان) لتؤكد على ان تصريحات اسرائيل فى المنطقة لاتعدو ان تكون مجرد ردود افعال تحاول كسر الحصار العربى المفروض عليها مما يتنافى مع واقع وتاريخ ومستقبل الاحداث .

دينا الخواجة

الولايات المتحدة والفلسطينيون

The United States and The Palestinians.
By Mohammed Shadid,
Croom Helm, London 1981

المشكلة الفلسطينية هى بؤرة الصراع الحالى بين إسرائيل والعرب ، بل إنها من اهم الموضوعات الساخنة فى ساحة الشرق الأوسط فى الوقت الحاضر .

ومن المنافذ المطروحة فى السياسة والفكر كمحاولة لتحريك الحل نحو هذه المشكلة ، فتح باب الحوار بين منظمة التحرير الفلسطينية والولايات المتحدة ، وهو احد مظاهر التسليم باحلال منطق التفاوض محل المواجهة العسكرية كطريقة وحيدة لحل المشكلة .

ولقد ظهر الكثير من الدراسات لتصور الحلول المختلفة فى إطار التفاوض ،ولكننا نرحب بشكل خاص بالكتابات العلمية الفلسطينية وهى الصوت العاقل وسط ضجيج المواقف السياسية المتأثرة بالكثير من الاعتبارات التى يمليها الواقع السياسى العربى ، ومن حق هذا الصوت العاقل الفلسطينى علينا أن يتم عرضه ومناقشته .

والكتاب الذى بين ايدينا حول الولايات المتحدة والفلسطينيين هو فى الأصل دراسة تقدم بها صاحبها ، وهو فلسطينى شاب يعيش فى الولايات المتحدة ، لنيل درجة الدكتوراه فى العلوم السياسية من جامعة جورج واشنطن . وهو يعالج تطور موقف الولايات المتحدة من الفلسطينيين فى إطار تطور المصالح الامريكية فى الشرق الأوسط . ويبدو انه آثر أن يعالج الموقف الامريكى من الفلسطينيين وليس من المسألة أو المشكلة أو القضية الفلسطينية ، على غرار الخط الذى انتهجه الكثيرون فى هذا الصدد ، وفى ذهنه أن المشكلة الفلسطينية لاحقة تاريخيا على الفلسطينيين كشعب عاش فى فلسطين ، فضلا عن أنه قصد إلى التأكيد على ان الولايات المتحدة لم تنظر إلى الفلسطينيين كمشكلة سياسية ، وإنما تصورت لهم دورا فى مسار الصراع فى المنطقة ، وفى تصور تسويته . ولذلك يؤكد المؤلف فى المقدمة على أنه ليس صحيحا ما يقال عادة من أن الولايات المتحدة ليس لديها سياسة تجاه الفلسطينيين وإنما لديها فقط سياسة تجاه الشرق الأوسط بشكل عام . ويشير إلى أن النظرة الأمريكية للفلسطينيين قد تطورت بتطور المصالح الأمريكية فى المنطقة . ففيما قبل الحرب العالمية الثانية كانت مصالح الولايات المتحدة ثقافية واقتصادية حيث تركت المصالح الاستراتيجية للأنجليز والفرنسيين بحكم درايتهم وعمق ارتباطهم بالمنطقة .

وبعد الحرب العالمية الثانية تنوعت المصالح الأمريكية وتشعبت وانتشرت فى المجالات الاقتصادية والاستراتيجية فى ضوء الصراع الجديد مع الشيوعية العالمية ، فأصبحت المسألة الفلسطينية عنصرا رئيسيا فى السياسة الأمريكية فى الشرق الأوسط ، ورغم أن صانعى السياسة الأمريكية قد صوروها على أنها مسألة ثانوية .

ويقرر المؤلف أن السياسة الامريكية تجاه

الفلسطينيين مرت بمراحل ثلاث أساسية اتسمت كل منها بظروف فلسطينية وعربية وامريكية ودولية معنية .. ففى المرحلة الأولى ٤٨ ـ ١٩٦٨ كانت المسألة فى نظر الولايات المتحدة لاتعدو ان تكون قضية لاجئين يتعين إيجاد حل لها من منطلق إنسانى فى معظم الاحوال ، مع الاخذ فى الاعتبار جانبا سياسيا رقيقا فى بعض الاحوال .وجاءت المرحلة الثانية مع ظهور المقاومة المسلحة الفلسطينية ابتداء من عام ١٩٦٨ حيث بدأ سجل العمليات الفدائية الدولية فقلبت النظر إلى اتخاذ الاجراءات المختلفة لمواجهتهم وليس لبحث دوافع اعمالهم ، ولكن التطور إلى البحث فى هذه الدوافع واعتبارها جاء فى المرحلة الثالثة حيث بدأ الحديث عن كيان فلسطينى منذ أوائل السبعينات ، ثم ترددت عبارات ليس لها مدلولات محددة مثل الشعب الفلسطينى ، والمصالح الفلسطينية ثم الحقوق المشروعة للفلسطينيين وهى أعلى درجات التصاعد فى إبراز القضية من وجهة النظر الأمريكية فى أوائل عهد الرئيس كارتر .

وإذا كانت هذه المراحل الثلاثة قد إرتبطت بقيام إسرائيل ، والعلاقات الاسرائيلية الامريكية كعنصر هام فى الموقف الأمريكى قبل الفلسطينيين ، فان المؤلف يقرر أن الاهتمام والتعاطف الرسمى الأمريكى رافق تطورات ومراحل الحركة الصهيونية ، وتطور الطريق نحو تحول الأقلية اليهودية إلى دولة إسرائيل ، مقابل تحول الأغلبية العربية إلى اقلية عربية داخل إسرائيل وآخرين فى الشتات ، فضلا عن سكان الضفة والقطاع .

فقد لعب زعماء الصهيونية فى امريكا من امثال بلاكستون دورا هاما فى الدعاية للحركة الصهيونية حتى قبل انعقاد مؤتمر بال ١٨٩٧ وتأثر الرئيس ويلسون بصديقه الحميم الصهيونى لويس برانديس ، مما جعله يشجع بلفور على إصدار تصريحه فالثابت ان الانجليز قد استأنسوا برأى الرئيس ويلسون قبل إصدار تصريحهم ، كما أن زعماء الصهاينة فى امريكا قد نجحوا فى إقناع الكونجرس باصدار قرار شهير عام ١٩٢٢ يؤيد فكرة الوطن القومى اليهودى كما ورد فى وعد بلفور ، وبرر هنرى كابوت لودج رئيس لجنة العلاقات الخارجية فى مجلس الشيوخ الأمريكى عقب صدور هذا القرار تحمسه لتقديم مشروعه ، قائلا انه كان دائما يشعر أن بقاء القدس وفلسطين فى يد الاتراك المسلمين ، وفيها مقدسات المسيحيين واليهود ، وصمة فى جبين المدنية يجب إزالتها » .

وهكذا صارت واشنطن ملاذ الحركة الصهيونية منذ وقت مبكر كلما اغضبتهم السياسات البريطانية بشأن تقييد الهجرة اليهودية الى فلسطين ، ونجحت الحركة الصهيونية فى ضمان تأييد الكونجرس والبيت الابيض لمطالبها ، وكذلك الضغط الامريكى على الدول الاخرى للموافقة على قرار التقسيم عام ١٩٤٧ . ولئن ترددت السياسة الامريكية حينذاك بين التقسيم ، ووضع فلسطين تحت الوصاية فما ذلك إلا انعكاسات للضغوط الكثيرة التى تعرض لها الرئيس ترومان بين جانبين هما الجانب المؤيد للعرب الرافضين للتقسيم ويضم وزارتى الخارجية والدفاع ، وممثلى شركات البترول ، والجانب المؤيد للتقسيم . فبعد أن اقترح المندوب الأمريكى فى الامم المتحدة رسميا إلغاء التقسيم وتطبيق نظام الوصاية على فلسطين ، اعلن الرئيس ترومان أن الوصاية المقترحة ليست بديلا عن التقسيم ، ولكنها محاولة لملء الفراغ الذى نشأ نتيجة لانهاء الانتداب البريطانى .

وخلال فترة حكم ترومان لم تكن لامريكا سياسة تجاه الشعب الفلسطينى ، وإنما انصبت سياستها واهتمامها على الصهاينة والدول العربية ، وكان همها إنشاء وطن لليهود دون إضرار بمصالحها فى العالم العربى ، واعتبرت الفلسطينيين الذى كانوا يشكلون ٩٥٪ من سكان فلسطين « جماعات غير يهودية » وانهم عقبة فى سبيل تحقيق وعد بلفور

ولم يكن انشغال المؤلف بمتابعة السياسة الأمريكية تجاه الفلسطينيين قبل عام ١٩٤٨ فى الفصلين الاول والثانى من كتابه الذى يضم سبعة فصول وخاتمة ، هربا إلى التاريخ ، وإنما كان ذلك ضروريا لحسن فهم الخط الأمريكى بعد ذلك .

وعرض المؤلف بالتفصيل فى الفصل الثالث للسياسة الأمريكية تجاه اللاجئين الفلسطينيين عقب عام ١٩٤٨ حيث اعتبرت الولايات المتحدة أن مشكلة اللاجئين هى اهم ماتخلف عن الحرب وقيام اسرائيل وسلكت الولايات المتحدة طريقين لحل المشكلة هما تقديم الدعم المالى لمنظمة الانروا ، وفى نفس الوقت محاولة النظر إلى المشكلة بوصفها مشكلة بين العرب وإسرائيل .

وركزت السياسة الأمريكية تجاه اللاجئين بين العودة أو التعويض ، أو إدماجهم فى الدول العربية مقابل تعويض إسرائيلى ودعم مالى أمريكى لهذه الدول . مع ميل اكبر نحو الحل الثانى . وانعكس هذا الخط الذى استمر حتى عام ١٩٦٧ ، فى صورة المقترحات والمحاولات ذات الطابع الاقتصادى التى صدرت عن الجانب الامريكى بدءا بمشروع Mc ghee عام ١٩٤٩ الخاص بتوطين اللاجئين فى دول عربية (سوريا والعراق أساسا) والبعثة الاقتصادية عام ١٩٤٩ برئاسة جوردون كلاب التى أوصت بالعودة ، ثم

الجهود الأمريكية لانشاء الانروا بناء على توصية كلاب . وظهر بعد ذلك مشروع بلاند فورد (مدير الانروا) عام ١٩٥١ لتتولى الجمعية العامة المساهمة المالية من أجل توطين اللاجئين وفي الدول العربية ، ثم بعثة جونسون وغيرها عام ١٩٥٤ . واقترح دالاس عام ١٩٥٥ أن تتم العودة مع مراعاة أمن اسرائيل ، مع التركيز على تنمية وادي الأردن لتوطيد اللاجئين فيه ، ومنذ ١٩٥٦ اتجهت أمريكا الى استبعاد العودة من سياستها تجاه اللاجئين مع تزايد الضغط الاسرائيلي والصهيوني .

ولكن كينيدي كان أول من اهتم بالجانب السياسى لمشكلة اللاجئين فتبنى فكرة استفتاء اللاجئين أن تتم فيما يرونه كحل لمشكلتهم ، وذلك بناء على توصيات بعثات عديدة أرسلها كانت أبرزها بعثة جونسون رئيس مؤسسة كارينجي للسلام عامى ٦١ ، ١٩٦٢ .

وعقب حرب ١٩٦٧ حدث تحول جوهري في الموقف الأمريكي ، ظهر في البداية في مبادىء جونسون الخمسة في ١٩٦٧/٦/١٩ ، وتبلور في القرار ٢٤٢ ، حيث أغفلت فكرة توطين اللاجئين في البلاد العربية ، وحل محلها الاتجاه الى تحقيق العدالة لهم في إطار تسوية شاملة للنزاع العربي الاسرائيلي .

ويتابع المؤلف في الفصل الرابع تحرك الموقف الأمريكي ٦٧ ـ ١٩٧٦ نحو الاعتراف بهوية الشعب الفلسطيني ، لكن روجرز ترك ترجمة هذا الادراك لما يتفق عليه بين الأردن وإسرائيل ، بينما أغفل كيسنجر تماما العنصر الفلسطيني في التسوية مركزا على الدول العربية وإسرائيل . ويعزى المؤلف تحول الموقف الأمريكي نحو إدراك الهوية الفلسطينية إلى تصاعد دور المقاومة الفلسطينية وتخلصها من الوصاية العربية بعد فشل النظم العربية في نكسة ١٩٦٧ . بل ظهرت دعوات في وقت مبكر تطالب باقامة دولة فلسطينية مستقلة ، في الضفة والقطاع والقدس الشرقية ، ومن أبرزها دعوة ريتشارد نولت (السفير الأمريكي المعين حينذاك في مصر) في أعقاب سبتمبر ١٩٧٠ .

ويخصص المؤلف الفصل الخامس لمعالجة تطور موقف أمريكا من الفلسطينيين وفي ضوء « العنف الثوري » وهي مرحلة امتدت من ١٩٦٨ تاريخ أول عملية دولية فدائية ، وعام ١٩٨٠ نهاية فترة كارتر : ويرى أن هناك علاقة وثيقة بين تحسن نظرة أمريكا للفلسطينيين وبين تصاعد أعمال العنف الفلسطينية ، وربما كان هذا الفصل هو أضعف فصول الكتاب من الوجهة العلمية السياسية .

صحيح أن تصاعد أعمال المقاومة كانت من أهم عناصر الموقف العربى بعد النكسة ، وأكثر صوره إشراقا وأملا ودليلا على أن الجسم العربي لايزال ينبض بعد الهزيمة في احد اجزائه إلا أن أمانة البحث العلمي التي تتوخى المنطق والحقائق السياسية تقتضي من الباحث ، مع تقديرنا لكونه من جيل المقاومة وحماسه لها ، الا يندفع في حماسه لاغفال الحقائق الموضوعية النافعة لدراسة الموقف الفلسطيني ، فهناك عوامل كثيرة أخرى اثرت على الموقف الأمريكي ليس اهمها العنف الثورى الفلسطيني خصوصا بعد حرب اكتوبر ١٩٧٣ ، وبدايات التقارب المصري الامريكى والإجماع العربي في الجزائر والرباط على ابراز منظمة التحرير والا كيف يفسر المؤلف تحول أمريكا من الحديث عن المصالح والاهتمامات الفلسطينية ٧١ ـ ١٩٧٢ الى الحديث عن مصالح الفلسطينيين المشروعة ٧٣ ـ ١٩٧٤ ، الى طرح فكرة الحقوق الفلسطينية ٧٥ ـ ١٩٧٦ ، ثم الحديث عن وطن فلسطيني عام ١٩٧٧ .

لقد أشار المؤلف إشارة عابرة في الفصل السادس بصدد استعراضه لسياسة أمريكا قبل الفلسطينيين كشعب ، إلى أن البيان الامريكي السوفيتي الصادر في ١٩٧٧/١٠/٢ تضمن نقطتين هامتين هما الاشارة الى الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني واشتراك ممثلي الشعب الفلسطيني في مفاوضات جنيف ، استنتج المؤلف من ذلك أنه تطور في الموقف الأمريكي انطوى على اتجاه بقبول ضمني لمنظمة التحرير الفلسطينية وكنا نود أن يعطي هذا التحول حقه من التحليل يتفق مع اهميته ، وإلى أي حد أثر الاتحاد السوفيتي في هذا التحول ، أيا كانت قيمة هذا الأثر ، مادام المؤلف قد لمح هذا التحول لأول مرة في بيان سوفيتي أمريكي .

كذلك لم يفلح المؤلف في تقديم تحليل موضوعي لتعاطف حكومة كارتر وتساهلها قبل منظمة التحرير ، فهي التى رفعت المنظمة من سجل وزارة العدل بوصفها منظمة إرهابية ، وأدخل في أغسطس ١٩٧٧ تشريع الغى فيه شرط موافقة وزارة العدل على زيارات أعضاء المنظمة للولايات المتحدة ، وإن كان أنصار اسرائيل نجحوا في الغاء هذا التشريع بعد ذلك في ١٩٧٩/٥/١٠ ؛ وخلال إدارة كارتر تردد لأول مرة الحديث عن الحوار بين أمريكا ومنظمة التحرير إن هي اعترفت باسرائيل وبالقرار ٢٤٢ . وفي هذا الصدد عرض المؤلف بالتفصيل لموقف المنظمة من هذا الشرط الأمريكي ، وتجاهل الاشارة إلى اية اجتهادات مصرية في هذا الصدد ، وخصوصا اقتراح مصر الذى قدمته عدة مرات آخرها في اجتماعات مكتب تنسيق حركة عدم الانحياز في الكويت في أوائل أبريل ١٩٨٢ والخاص بالاعتراف المتبادل والتزامن بين المنظمة واسرائيل وافتقار المؤلف

الى الموضوعية واغفاله التام للجوانب الايجابية فى جهود مصر واقتصاره على مايراه جوانب سلبيه ، اوقعه فى اخطاء كثيرة منها تأكيده ان العلاقات بين المنظمة وأمريكا قد ساءت عام ١٩٧٧ ، بسبب معارضة المنظمة لمبادلة الرئيس السادات ، ثم يعود فيقرر ان موقف أمريكا قد تحسن من المنظمة مع نهاية عام ١٩٧٨ علما بأنها كانت لاتزال تعارض المبادرة وتطور العلاقات بين مصر واسرائيل

وهذه النظرة غير العلمية جعلت كتابه امتدادا للمواقف السياسية لمنظمة التحرير ، دون أن يحاول تقديم الأدلة المنطقية والمقنعة لهذه المواقف السياسية مراعاة للفارق بين من يخاطبهم كتابه ، ومن تخاطبهم بيانات المنظمة والظروف التى تملى هذه البيانات والتى تختلف عن دواعى كتابة دراسة علمية فى هذا الشأن .

ففى مجال تحليله لاتفاقتى كامب دافيد ، يسود الانطباع بأنه لم يقراهما ويدرسهما بعقلية الباحث . فهو يسجل أن اتفاقيتى كامب دافيد قد استبعدتا حق الفلسطينيين فى إقامة دولة وفى تقرير مصيرهم ، وانهما انكرت حق الفلسطينيين الطبيعى فى العودة الى ديارهم ، وانهما بذلك انتهاك للاجماع الدولى حول المشكله الفلسطينيه ويحدد مساوىء الاتفاقيتين أيضا فيرى انهما وضعتا صيغة نهائية والى الابد لمصير الشعب الفلسطينى ، وهى تسوية مفروضة لم يشترك فيها الفلسطينيون ، ولم يوافقوا عليها مثلها فى ذلك مثل وعد بلفور ، والانتداب ، والتقسيم ، والقرار رقم ٢٤٢ لعام ١٩٦٧ ، وأن الاتفاقيتين تضعان القدس خارج كامب دافيد ، ولم تمنع الاتفاقيتان إسرائيل من توسيع المستوطنات وبناء مستوطنات جديدة . والواقع أن استعراض اتفاقية الاطار الخاصة بالضفة والقطاع ، ومراجعة مواقف مصر فى محادثات الحكم الذاتى ، بل ومواقفها منذ زيارة الرئيس السادات للقدس ، يكشف ذلك كله عن عدد من الحقائق التى اغفلها المؤلف ، وأول هذه الحقائق أنه تقرر فى كامب دافيد إقامة حكم ذاتى كامل ، وأن هذا الحكم مرحلة انتقالية يتقرر بعدها مستقبل شكل الحكم والسيادة على الأراضى الفلسطينيه بمعرفة أهلها .

والحقيقة الثانية : هى أن مصر لم تتخل فى اى وقت عن فكرة الدولة الفلسطينية ، حيث أشار اليها الرئيس السادات فى خطابه أمام الكنيست بوصفها إحدى مطالب الجانب العربى .

والحقيقة الثالثة : هى أن مصر حاولت أن تعالج موضوع القدس فى كامب دافيد ، ولما رفضت اسرائيل إدراجها ، سجلت مصر موقفها فى وثائق وأعمال مؤتمر كامب دافيد . وهذا يتصل بالحقيقة الرابعة وفحواها ان الفرق بين ما جاء باتفاقيتى كامب دافيد وما تقرر فى الامم المتحدة لصالح الشعب الفلسطينيى هو الفرق ذاته بين وثيقة احد اطرافها إسرائيل المطالبة بالتنفيذ ، وبين قرارات عامة من المنظمة الدولية صدرت بفضل الاغلبية الكبيرة فى الجمعية العامة المؤيد لحقوق الفلسطينيين لكنها لم تشمل إسرائيل ، ومهما كان لهذه القرارات من آثار قانونية ، فان ماتقبله إسرائيل صراحة فى اتفاقية محددة هو وحده القابل للتنفيذ .

وقد لمس المؤلف فى الفصل السابع والأخير موضوعا هاما لكنه لم يقدم فيه جديدا رغم أن عنوانه يلقى الأمل فى روع القارىء بهذا الجديد ، فهو يحاول تقصى سبل التأثير على السياسة الأمريكية الفلسطينية ، مستعرضا محددات هذه السياسة وهى المحددات الداخلية ، والضغوط الخارجية ، ثم العوامل الدولية ، واخيرا الفلسطينيون . اما المحددات الداخلية للسياسة الامريكية قبل الفلسطينيين فهى ثلاثة : رجال الأعمال الأمريكية ثم اللوبى اليهودى حيث تشكل الجالية اليهودية ٣٪ من سكان الولايات المتحدة وساهمت بحوالى ٦٠٪ من نفقات تمويل الحملات الانتخابية للحزب الديمقراطى ، وحوالى ٤٠٪ من حملات الحزب الجمهورى ، كما تعتمد الحكومة على قوة اليهود وفى الكونجرس لتمرير قوانين وفى مسائل أخرى ، فضلا عن أن صور اسرائيل لدى الرأى العام الأمريكى طيبة ومشجعة .

ويرى المؤلف أن موقف امريكا تجاه الفلسطينيين تأثر بعامل الفلسطينين أنفسهم بالنظر الى اصرارهم على البقاء رغم محاولات تصفيتهم ، والتفاهم حول منظمة التحرير الفلسطينية ، واعتدال مطالب زعامة المقاومة ومعقوليتها .

ومهما كانت نقاط الخلاف مع المؤلف ، فلا شك أنه قدم رؤية فلسطينية لتطور موقف أمريكا من الفلسطينيين ، وأضاف إلى الأدب السياسى فى هذا المجال ، وهو أمر يستحق التشجيع لما له من دور هام فى تنوير الرأى العام الغربى بالقضية ، وإسماعه للصوت الآخر الذى ظل مكبوتا ، وكانت أعظم الفرص لاسماع هذا الصوت تلك التى أتاحتها مبادرة السلام المصرية عام ١٩٧٧ .

د . عبد الله الأشعل

المؤلفات العربية السياسية

مذكرات حسن يوسف
القصر ودوره فى السياسة المصرية ١٩٢٢ ـ ١٩٥٢

مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام .
القاهرة ـ ١٩٨٢

« فكتابة التاريخ أمانة فى أعناقنا نؤديها كاملة إلى جيلنا الحاضر وإلى الأجيال المقبلة . فإذا أعوزتنا الأسانيد الرسمية لنصل إلى الحق فلا أقل من أن نستعين بالمنطق » .

لم تأت هذه الكلمات فى مقدمة كتاب « القصر ودورة فى السياسة المصرية ١٩٢٢ ـ ١٩٥٢ » ، مذكرات : حسن يوسف ، .. إنما أتت فى رجائه إلى الكتاب والمؤرخين . واختتم به المؤلف الفصل العشرين من كتابه والخاص بإلغاء المعاهدة ، متوجها إليهم أن يستعينوا فيما يكتبونه بالوثائق الرسمية أو شبه الرسمية . فإن اختلف مع وجهة نظرهم كان لهم الحق فى تفنيدها إثباتا للرأى والرأى الآخر .

إن كتابة مذكرات عن الفترة المذكورة خاصة فى وقتنا هذا الذى يشفق فيه الجيل الذى عاصرها مما أصابها من تشويه ويتشوق الجيل الحالى إلى معرفة حقائقها ليس بالأمر اليسير خاصة إذا زهد صاحبها فى توثيقها وهوامشها قانعا من ذلك براحة الضمير .

لم يتطلع الكاتب إلى منصب أو جاه وهو فى القصر ـ فقد تبادل عدد كبير من السياسيين منصب رئيس الديوان ولم يتوله ، وقد كان وكيلا له فى عهد الملك بالانابة فى فترات متقطعة ، فإنه من الأدعى الآن أن يكون أكثر زهدا ولا يبغى من مذكراته سوى وجه الله والوطن والتاريخ .

وقد قضى الكاتب معظم حياته السياسية متنقلا من الخارجية إلى الصحافة إلى الديوان ، فعودة إلى الصحافة حتى الآن بوحدة البحوث التاريخية بمركز الدراسات الاستراتيجية والسياسية بالأهرام . وهو لهذا يلتهب وطنية فى كل موقع . ولا أدل على ذلك من أنه قد ينسى ما حرص عليه دائما من تحرج أن يدلى برأيه ـ فنراه أحيانا يخرج عن هذا إذا أصابت الأحداث كيان مصر . وقد إحتفظ وهو فى منصبه بالقصر بصداقة الجميع . ولا أدل على ذلك من إجتماع ثقة الملك فاروق والنحاس فيه فى وقت واحد حتى أن النحاس رشحه فى إحدى مقابلاته مع الملك لمنصب رئيس الديوان .

وقد بدأ المؤلف كتابه بمقدمة عن نشأة الحياة النيابية فى عهد الخديو اسماعيل ، ثم توقف التطور الديمقراطى نتيجة التدخل الاجنبى ثم نشاط الحركة الوطنية بقيادة أحمد عرابى وإنتكاسها حتى ثورة ١٩١٩ التى أدت إلى رفع الحماية عن مصر وإعتبارها دولة مستقلة ذات سيادة فى مارس ١٩٢٢ وهو تاريخ بدء المذكرات ..

يتعرض الكاتب فى الفصل الأول إلى لجنة وضع الدستور والصراع بين الملك فؤاد وجريدة الأهرام التى كانت تتعجل وضع الدستور ، وتدخل الانجليز لمنع وضع المواد الخاصة بالسودان وتبعيته لملك مصر وتحذيرهم للملك من عواقب إتجاهاته الأوتوقراطية ، وما تبع ذلك من صدور دستور ١٩٢٣ والذى إعتبره المؤلف مدخلا لبيان الحقوق الدستورية لملك مصر مع التعرض لما بين بعضها من تناقض أدى إلى إحتدام الصراع بين القصر والوزارات خاصة الوفدية منها ..

ويتعرض المؤلف إلى منصب رئيس الديوان بالذات وتطلعات شاغلية إلى رئاسة الوزارة وتبادل السياسيين للمنصبين ، ثم محاولة إنشاء وزارة للقصر والاكتفاء بوكيل برلمانى ، ثم أفاض المؤلف بإسهاب فى تنظيم الادارات المختلفة بالقصر مع شرح إختصاصاتها وارشيف السراى ونظام العمل بالقصر .

ويخصص المؤلف الفصلين الثانى والثالث لسيرة ذاتية عن عمله بوزارة الخارجية التى هيمن القصر عليها فى ذلك الوقت بتعيين أصهار الأسرة المالكة فى مناصبها الرئيسية ـ ثم يسترجع المؤلف تنقله فى قنصليات مصر ومفوضياتها بالخارج ، ولا يخلو ذلك من عرض لسياسة الدول الخارجية التى مثل مصر فيها خاصة تلك الفترة التى قضاها بلندن ، كما لا يخلو عرضه من ذكريات

ممتعه . ثم ينتقل الكاتب إلى ذكريات عمله بالصحافة كمدير لمكتبها ويتزامن ذلك مع سياسة الانفتاح على الشرق العربى والاسلامى ونشاط دول المحور في مصر قبل الحرب العالمية الثانية ، ومناقشة قضية فلسطين بمؤتمر لندن ١٩٣٨ . كما قام المؤلف بالسكرتارية البرلمانية لوزارة الخارجية ، ثم إنتدب مديرا لمراقبة النشر . ويسهب الكاتب في توضيح تنظيم مصلحة الرقابة الصحف والمجلات وتعليمات الرقابة ونظام العمل بها ومهمة الرقيب والازمات التى تعرض لها بسبب تسرب الأسرار العسكرية إلى الصحف وإستقالته من الرقابة وعودته إلى وزارة الخارجية ، ثم يتطرق المؤلف إلى قصة التحاقه بالعمل بالقصر والتى بدأت بإختياره كضابط إتصال بين مفوضيه مصر بلندن والامير فاروق ولى عهد مصر ١٩٣٥ . كما إستعاد المؤلف ذكرياته عن ترشيحه لرئاسة جريدة الاهرام .

ويبدأ المؤلف فصول الكتاب بعرض موقف القصر من الحركة الوطنية ، ويوضح في بيان زمنى تبادل السلطة الفعلية بين القصر بواسطة احزاب الاقلية ، والوفد ممثلا للاغلبية الشعبية ، وموقف الانجليز وتأثيرهم على هذا بالدبلوماسية الهادئه أو بدبلوماسية المدافع . ثم يتطرق إلى المفاوضات بعد ثورة ١٩١٩ إبتداء بمفاوضات تشمبرلين وإنتهاء بمعاهدة ١٩٣٦ ثم مشروع صدقي ـ بيفن وأسباب فشله وعرض قضية مصر على مجلس الأمن ، وموقف الدول الكبرى وملابساته ثم مفاوضات صلاح الدين ـ بيفن ثم إلغاء معاهدة ١٩٣٦ .

ويتطرق المؤلف إلى موقف الملك فؤاد من الأزمات الدستورية إبتداء من ازمة تعيين خمسى أعضاء مجلس الشيوخ وتحكيم النائب العام البلجيكى لدى المحاكم المختلطة والذى أيد وجهة نظر سعد زغلول رئيس الوزراء في حق الوزارة في التعيين ، ثم الازمة الازهر والسعى وراء الخلافة وإتصاله بالملوك والوزراء المفرضين وتعيين وكيل الديوان ومنح الاوسمة دون مشاورة رئيس الوزراء الامر الذى إنتهى بترضية الملك لرئيس وزرائه ، إلا أن هذا لم يستمر إذ تفجرت الازمة مرة اخرى بحادث إغتيال السردار والذى إتخذ ذريعه للاطاحة بالوزارة والبرلمان الامر الذى شهد أبشع سابقة في تاريخ الحياة النيابية . إذ صدر الأمر الملكي بحل مجلس النواب في نفس يوم إفتتاحه بسبب سقوط مرشح الحكومة وفوز سعد زغلول برئاسة المجلس ثم تبادل عودة الحياة النيابية وتاجيلها وتعطيل دستور ١٩٢٣ ثم ما عرف بمعركة الدستور والتى وصفت بانها صورة مصغرة من ثورة ١٩١٩ وإنتهاء بعودة فؤاد أوضح فيها إنتهازه فرصة الفراغ الشعبى الهائل الذى احدثته وفاة سعد زغلول ليزيد من أوتوقراطية القصر ، ثم تعرض المؤلف لدستور ١٩٣٠ الذى وضعه إسماعيل صدقى وضيق الأمة بهما معا . ثم انهى المؤلف الفصل بوصية الملك فؤاد وتشكيل مجلس الوصاية

وتخصص فصول الكتاب من السادس إلى الثالث والعشرين لعهد الملك فاروق مبتدئا بقبول الوفد الحكم في ظل مجلس الوصاية ١٩٣٦ بعد عودة الدستور ، وتجمع الاحزاب في جبهة قومية حالفها التوفيق في عقد معاهدة ١٩٣٦ وإلغاء الامتيازات الاجنبية ١٩٣٧ ثم محاولة إنشاء وزارة للقصر للحد من نفوذه وإنشاء مناصب الوكلاء البرلمانيين وظهور القمصان الزرقاء وتعيين على ماهر رئيسا للديوان وتطور الخلاف بين الملك والوزاره وورود فكرة عزل الملك . وكان الخلاف اساسا على حل القمصان الزرقاء واليمين القانونية لضباط الجيش وحق التعيين في مجلس الشيوخ . وأراد القصر كعادته ضرب الوفد من الداخل بتغيير احمد ماهر رئيسا للوزراء بعد إقالة النحاس وبعد تمسك القصر بإنشاء لجنة تحكيم ممالئة له ، وإصرار الوزارة على الاحتكام إلى لجنة الشئون الدستورية بالبرلمان ثم تعيين محمد محمود رئيس الاحرار الدستوريين رئيسا للوزراء .

ويخصص الفصل السابع لدور القصر في تجنيب مصر ويلات الحرب عندما الف على ماهر وزارته في اغسطس ١٩٣٩ ، وإعلانه الاحكام العرفية وقطع العلاقات مع المانيا والقبض على رعاياها ، الحرب رسميا والخلاف بين رئيس الوزراء والسفير الانجليزى وإتهام القصر بالميل إلى المحور ودخول إيطاليا الحرب والشك في نية على ماهر من جانب بريطانيا والثقة في الامير محمد على في حالة تحدى الملك ثم إصرار الانجليز على إخراج على ماهر من الوزارة والقصر مع التخلى عن شرط إعلان الحرب على المحور وتمسك الملك بوزارة على ماهر رغم معارضة الوفد والاحرار الدستوريين لها ، وإجتماع الزعماء في القصر وموافقتهم على وجوب إستقالة الوزارة لانعدام الثقة بينها وبين الانجليز وموافقة الملك على ذلك ـ والاجتماع الثانى الذى أصر فيه النحاس مره اخرى على تشكيل وزارة محايدة لاجراء الانتخابات . ويحلل الكاتب موقف على ماهر ومظاهرته للملك في الاستخفاف بقوة الحلفاء والاشادة بانتصارات الالمان والاطمئنان إلى نوايا إيطاليا في حالة إنتصار المحور . ثم يتطرق الكاتب إلى وزارة حسن صبرى الذى خلفه بعد وفاته حسين سرى والذى بين أن وقوف مصر على الحياد لا يعرض قناة السويس للضرب ، وبذلك يستمر إمداد الحلفاء . ثم تعرض المؤلف بعد ذلك إلى موقف الأحزاب من مسألة دخول الحرب وإعلانها إستكمالا للشكليات ولحضور مؤتمر سان فرانسيسكو .

ويتعرض الكاتب في الفصل الثامن لحادث ٤ فبراير ١٩٤٢ ، والذى ظل سرا مكتوما لا تتناوله الصحف حتى أشار إليه النحاس في خطابه في عيد الجهاد الوطنى محملا أحزاب الاقليات المسئولية لتزييفهم الانتخابات في ١٩٣٨ ورده على كبير المستشارين الملكيين . ويذكر الكاتب إ لم يعثر في محفوظات القصر إلا على مذكرة عن إقتحام السفير وحرسه المسلح صالونات التشريفات وصعوده إلى مكتب الملك ، وأخرى عن تجمع الدبابات البريطانية حول القصر ، كما يشير الكاتب إلى ضآلة المعلومات في يوميات لورد كيلرن السفير البريطانى والتى نشرت في الاهرام . وحرص مركز الدراسات الاستراتيجية بالاهرام على نشر الوثائق السرية والبرقيات المتبادلة بين السفير ووزير الخارجية البريطانية والتى الحادث وخلفية ومقدمات الازمة ، ومناورات القصر وترشيح الامير محمد على وصيا على العرش أو إنشاء نظام اخر . كما يسجل الكاتب أن الامر كان صراعا على السلطة . كما تعرض

لموقف الجيش ورئيس الديوان (أحمد حسنين) وموقف امريكا وإهتمامها بكسب الحرب وإحتفاظ الملك بعرشه وضرورة وجود وزارة قوية حائزة على ثقة الشعب . وبذلك تتباعد موقف الحليفتين من الأزمة رغم اتفاقهما على الهدف وهو هزيمة المحور ف شمال أفريقيا . وقد أتاحت زيارة المؤلف ١٩٧١ ف رحلة خاصة للولايات المتحدة فرصة الاطلاع على ملف ٤ فبراير ١٩٤٢ ، ف دار المحفوظات القومية بواشنطن . ويذكر المؤلف إنعكاس هذا الحادث على العلاقة بين قوى النفوذ الثلاث ف مصر .

ويخصص الكاتب الفصل التاسع لأزمة الكتاب الاسود مبتدئا بمقدمة عن وقوف وزارة الوفد ف وجه مطالب الانجليز وتراكم الخلافات بين القصر والوفد بسبب تجاهل الوزارة للملك ف إبلاغه بتطورات الموقف الحربي والخلاف بين وزير الدفاع الاقوى ورئيس الأركان الممالىء للقصر ، ورئاسة حفل الأزهر وإنتقال الوزارة إلى الأسكندرية قبل السراى وتعيين أمير الحج وتحدى النحاس للقصر بإنتقاده مسلكى الملك فؤاد والملك فاروق نحو لها وإخراج مكرم عبيد من الوزارة والوفد ثم مقابلة المؤلف للنحاس ولقاء السفير البريطانى برئيس الديوان والتخطيط لاقالة الوزارة ومقابلة السفير للملك وك ومناقشة الكتاب الاسود ف البرلمان ونشاط رئيس الديوان (احمد حسنين) ف تزويد الأوساط البريطانية بالكتاب الاسود وتحدى الوزارة والملك كل منهما للآخر والتعديل الوزارى . ويختتم المؤلف هذا الفصل بتقييم موضوعى للكتاب الأسود ذاكرا أنه تضمن مائة مسألة اغلبها اصغر من أن يذكر عدا خمسة أو ستة إتهامات لم يستطع مكرم عبيد أن يثبتها .

فيتعرض الكاتب ف الفصل العاشر إلى جهود الملكة نازلى ف تصفية الخلاف بين القصر والوفد الذى سرعان ما إستفحل بتنافس القوتين على إكتساب الشعبية وتكرار الأزمات ف التعيينات القضائية ومحاولة الوزارة عزل شيخ الأزهر والخلاف على ترقيات ضباط الجيش وتباطؤ النحاس ف زيارة الملك بعد إصابته ف حادث القصاصين والتسابق إلى مواساة منكوبى الملاريا ف الصعيد مما أدى إلى إنفصام تام بين القصر والوزارة .

وصدرت مراسم تشكيل وزارة أحمد حسنين وحال إعتراض الانجليز دون تنفيذها ونصحوا بإجراء إنتخابات جديدة أو إستفتاء للشعب ثم إنفراج الازمة او تأجيلها ف الواقع مما يتضح تفصيلا ف الفصل الحادى عشر فقد إستمر الخلاف على شئون وزارة الدفاع والأزهر وجد نزاع جديد حول شئون السودان بعد محاولة إنجلترا منحه الحكم الذاتى ثم إنتقال الوزارة إلى الأسكندرية قبل الملك ثم زيارة الملك لبنك مصر ـ ومصانع المحلة الكبرى ومنازل العمال بها دون إخطار الوزارة وإشتد بذلك التنافس لاكتساب الشعبية وتمت محاولة أخيرة للمصالحة اجهضها حادث وقف مدير الأمن عن العمل بأمر وزير الداخلية لنزعه لافتات يقترن فيها إسم النحاس بالملك ،ثم طالب النحاس ف أغسطس ١٩٢٤ انجلترا بتعديل المعاهدة ، وهدد بالاستقالة إلا أنه تريث ف ذلك حتى يتم توقيع برتوكول جامعة الدول العربية ، وأقال الملك الوزارة وتولى أحمد ماهر رئاسة الوزارة الجديدة وإملك مع شيخ الأزهر ومدير الأمن .

ويسرد المؤلف ف الفصل الثانى عشر علاقة الملك وبريطانيا وامريكا بالوحدة العربية وظهور فكرة الخلافة والخلاف بين سوريا ولبنان وتدخل الملك لفضه وتفجر مشكلة فلسطين وإنعقاد اول مؤتمر قمة عربى وقرار تقسيم فلسطين وبدء الحرب وزيارة الملك للجبهة وتهاون الاردن ومناورات امريكا ف مجلس الأمن وسقوط بير سبع وقيام دولة إسرائيل وظهور فكرة سوريا الكبرى والهلال الخصيب ومغامرات ادماج مصر مع سوريا .

ويخصص المؤلف الفصل الثالث عشر لعلاقة الملك بالقوات المسلحة والخلاف على تعيين رئيس الاركان وترقيات الضباط ومنحهم الرتب المدنية .

اما الفصل الرابع عشر فقد خصص للقصر وعلاقته بشئون السودان وموقف الوفد وإسماعيل صدقى ووزارة النقراشى من السودان وتدابير الانجليز فى الانفصال ومشروعات السودنه وموقف السودان بعد إلغا المعاهدة ولقب ملك مصر والسودان .

اما الفصل الخامس عشر فقد خصص لعلاقة القصر بالازهر ومحاولة إحتوائه من جانب الوفد والقصر وتعديل القانون وتعيين الشيخ مصطفى عبد الرازق ثم الشيخ عبد المجيد سليم

اما الفصل السادس عشر فقد خصصه المؤلف لبحث نظرة الملك إلى الممارسة الديمقراطية مبتدئا بمقدمة عن ضيق الملك فؤاد بالنظام البرلمانى مما جعل المجلس النيابى يتعرض للحل ثلاث مرات ، وتأجيل الانتخابات عدة مرات وإستبدال دستور ١٩٣٠ بدستور ١٩٢٣ وتعطيل الحياة الدستورية تسع سنوات . ويذكر الكاتب أن الحياة النيابية فى عهد الملك فاروق لم تتعرض إلى تأجيل أو تعطيل ، وأن سياسته قامت على إحترام النظام البرلمانى منتهجا سياسة إيجاد توازن بين الأحزاب ، وكان سبيله فى ذلك هو إسناد الحكم إلى إحزاب الأقلية بهدف دعمها ويتبين من أعداد مقاعد النواب فى فترات حكم الأقليات أن التوازن كان مفتعلا .

ويتعرض الكاتب للخلاف على الدوائر المغلقة والمفتوحة بين أحزاب الأقلية ، كما يذكر فى هذا الفصل عن أول مجلس نيابى أتم دورة تشريعية كاملة (١٩٤٥ ـ ١٩٤٩) وكان ممثلا لأحزاب الاقلية فقط ثم يتناول الكاتب التجديد النصفى لمجلس الشيوخ لأحداث التوازن ثم إستقالة رئيس ديوان المحاسبة وإستجواب مصطفى مرعى وأزمة رئيس مجلس الشيوخ ومراسيم التعيين فى المجلس وعريضة المعارضة وإعتبار الملك لها عيبا فى ذاته ورد حكومة الوفد عليها . ويؤكد الكاتب فى تقييمة للممارسة الديمقراطية تمتع الوفد بالاغلبية ومواجهته للقصر والانجليز من خلال الصحافة والبرلمان وإجتماعات الحزب .

أما فى الفصل السابع عشر فيسرد فيه المؤلف مقدمات عودة الوفد إلى الحكم وموجة الارهاب ووزارة إبراهيم عبد الهادى والخلاف بينها وبين القصر ثم وزارة حسين سرى الائتلافية والنزاع على تقسيم الدوائر والتقارب بين القصر والوفد واجرا الانتخابات وفوز الوفد فيها بالاغلبية وتعيين حسين سرى رئيسا للديوان وتشكيل النحاس لوزارته الأخيرة وحل مشكلة تعيين قائد عام للقوات المسلحة .

ويخصص الفصل الثامن عشر لأعمال الوزارة من إلغا الأحكام العرفية ورفع الرقابة عن الصحف ثم توالى الأزمات العابرة والعاتية ومحاولة عزل رئيس مجلس الدولة وتكاليف إصلاح المحروسة وتنحية رئيس الديوان والتدخل فى أسعار القطن .

ويسهب المؤلف في سرد قصة الوثائق المزورة التي تعمد محمد حسين هيكل إستخدامها للتشهير بالوفد ثم ازمة اخبار القصر في الصحف وموقف وزارة الوفد من مشروع السد العالي وحفظه إكتفا بإقامة سدود صغيرة بنفقات زهيدة .

اما الفصل التاسع عشر فقد تعرض المؤلف فيه لقضية الأسلحة الفاسدة والاذن بتفتيش منازل رجال الحاشية ومتعهدي الخاصة الملكية ومراقبة تليفوناتهم والاستجابة لطلب النيابة حتى في إحضار من كان منهم في رحلة صيف مع الملك .

وقد خصص الكاتب الفصل العشرين لاخفاق المفاوضات وإلغا معاهدة ١٩٣٦ بعد مماطلة الانجليز وسرد مقدمات ذلك بموافقة الملك على الإلغا وإعداد المراسيم وتوجس السفيرين الانجليزي والأمريكي وتوقيع المراسيم وإعلانها في البرلمان ورد الفعل بين الأحزاب والجماهير وتجدد روح ثورة ١٩١٩ .

ويتناول المؤلف في الفصل الواحد والعشرين تطور الأحداث بعد ذلك وزوال الشرعية عن قوات الاحتلال وقطع المياه عنها وسحب العمال منها ونشاط الفدائيين .

ويذكر الكاتب تعمد بعض أعضا الحاشية غير المسئولة في القصر الدس والوقيعة بين الملك والوزارة وتفكير الملك في إقالة الوزارة وتعيين حافظ عفيفي رئيسا للوزارة ثم عدوله عن ذلك وموقعة كفر عبده وتوتر الموقف بين القصر والوزارة لتأجيل بعض المراسيم وتهديد النحاس بالإستقالة وتعيين حافظ عفيفي رئيسا للديوان .

وينتهي الكتاب تاريخيا بالفصل الثاني والعشرين ، وفيه يتعرض المؤلف للمناخ السياسي والاجتماعي في مصر ونشاط الاخوان المسلمين والشيوعيين وحزب مصر الفتاة وتحريضه العمال والفلاحين ودسائس القصر ضد الوزارة خاصة إندراوس ، وتفكير النحاس في الاستقالة مرتين وتفضيله الاستمرار في الكفاح ثم معركة الإسماعيلية وحريق القاهرة ، وتقرير النائب العام ومأدبة الملك يوم الحريق ومحاولته إلغاها والأيدي الأجنبية وقد ناقش المؤلف موقف الإنجليز وتفنيد المزاعم في أن لهم يدا في ذلك إذ أن جالياتهم كانت أشد الجاليات خسارة كما يفند المؤلف إتهام الملك بالحريق للتخلص من وزارة الوفد الوطنية لسهولة ذلك بقبول إستقالة النحاس أو رفض مقابلته أو التباطؤ في توقيع المراسيم . ويرجع المؤلف أسباب الحريق إلى الإخفاق في معالجة القضية ونكسة فلسطين والاستفزازات في منطقة القناة والحالة النفسية لرجال الشرطة .

ويخصص الكاتب الفصل الثالث والعشرين لوزارة الإنقاذ بعد حريق القاهرة ومشورته الشخصية للملك باستمرار الوزارة الوفدية وترشيح حاشية الملك لنجيب الهلالي وإعتذاره وتشكيل وزارة علي ماهر وإستقالتها لاصرار الإنجليز على محاكمة المسئولين عن حوادث القناة وحريق القاهرة قبل إجرا أي مفاوضات ،ثم تشكيل وزارة الهلالي الأولى من المستقلين وحل مجلس النواب ، وبد مفاوضات الجلا والسودان التي لم تلق نجاحا وإستقالة الهلالي وتعيين حسين سري وإستقالته ثم عودة الهلالي إلى الحكم يوما واحدا في ٢٢ يوليه ١٩٥٢ .

هذا وقد تغيب الكاتب عن مصر في الفترة من ٢٤ يونية حتى ٢٩ يولية ١٩٥٢ وتشكل مجلس الوصاية وألغيت وظيفة وكيل الديوان وخفضت درجة رئيس الديوان إلى وكيل وزارة ، وإستمر المؤلف شاغلا لها بلقب رئيس الديوان إلى أن إستقال لاعتراض على ماهر عليه حتى قبض عليه في سبتمبر ١٩٥٢ وظل في المعتقل ٨٥ يوما دون سؤال أو إستجواب .

أما الفصل الرابع والعشرين فقد خصص للأزمات الوزارية التي لم تكن وقفا على وزارات الوفد بل تعدتها إلى الوزارات الأخرى ، إلا أن الازمات الأولى عاتية ترجع إساسا إلى مبدأ الوفد بأن الملك يملك ولا يحكم اما أزمات احزاب الأقلية فقد كانت عابرة من صنع القصر وحده . ويسرد الكاتب في هذا الفصل عدة أزمات لوزارات أحزاب الأقلية إذ أن معظم ازمات الوزارات الوفدية قد سبق ذكرها في فصول الكتاب السابقة .

ثم يخصص المؤلف الفصل الخامس والعشرين لذكريات خاصة مبتدئا بكلمة عن الرتب والنياشين وأزمة نياشين الأمرا السعوديين ومرافقته للملك عبد العزيز وترشيحه وكيلا لوزارة الخارجية وسفارة مصر بواشنطن وعضوية مجلس إدارة قناة السويس وإهدا قلادة محمد علي للجنرال فرانكو وسفره للبرازيل ومهمته في الولايات المتحدة في يونية - يولية ١٩٥٢ .

وينتهي الكتاب بكشاف للاعلام والموضوعات أعده أبو السعود إبراهيم ومجموعة من الصور التذكارية بعض منها يذكرنا بروعة التقاليد البرلمانية التي كانت ولا شك مظهرا للديمقراطية والليبرالية مهما قصرت فتراتها الفعالة .

والكتاب يدمج بين التسلسل التاريخي والموضوعي ، ولهذا لم يكن من السهل تفادي الاسترداد والاسترجاع . وقد تجنب الكاتب تحديد المسئولية في بعض الأحداث مكتفيا بما ورد في الوثائق الرسمية تاركا هذا للباحثين والمؤرخين .

وقد إستعان في مذكراته بوثائق الديوان الملكي أساسا ومحفوظات وزارة الخارجية البريطانية ودار المحفوظات القومية بواشنطن والبيانات الحكومية وخطب الزعما ومقالات الصحف ومذكرات الساسة المصريين مما كان يعطي الكتاب فرصة فريدة للهوامش والتوثيق ، ولو تم هذا لسهل على الباحثين وضاعف لهم الاستفادة منه كمرجع نادر يعكس موقف القصر من الأحداث السياسية ودوره فيها في هذه الفترة .

وقد إقتصر الكاتب في تعرضه لبعض أفراد الحاشية الملكية غير المسئوله على التصرفات التي تمس الجانب السياسي . وهذا طبيعي لكتاب يؤرخ لدور القصر في السياسة إلا أنه من المحتم أن لهذه التصرفات إنعكاس علي الجماهير يرتد بدوره على السياسة ، الأمر الذي يجعل الباحث وحتى القارئ العادي يشعران بالحرمان من فرصة معرفة الحقائق من مصادرها .

ولقد تنزه الكاتب عن أن يتعرض لتصرفات الملك الشخصية ، وهذا أمر يستحق التقدير ، إلا أن للتاريخ أيضا حقه . فمثلا لا يمكن إعتبار طلاق الملكة فريدة مسألة شخصية أو إجتماعية خاصة بالملك نفسه فقط بل كان لهذا الحادث أثره البالغ على شعبية الملك .

ولا شك أن الكاتب قد تعاطف مع الملك خاصة في السنوات الأولى من توليه العرش ، وهذا أمر طبيعي إلا أنه من الصعب إثبات إحترام الملك للنظام البرلماني . وليس أدل على ذلك مما ذكره الكاتب عن إنتهاج الملك سياسة التوازن بين الأحزاب . ولن يكون هذا طبيعيا بأي حال . وحتى هذا أخل به في المجلسين النيابيين ، كما أن الملك كان يضيق دائما بنتائج الانتخابات الحرة ـ بل لجأ أيضا إلى حل المجالس النيابية وتأجيل إنعقادها ، ولم تكتمل دورة تشريعية بإستثنا واحدة كان المجلس النيابي فيها لأحزاب الأقلية .

ومهما يكن فان الكاتب في كتابه هذا ينتقل بالقارى إلى زمان ومكان الأحداث في أسلوب سلس ولغة راقية خلت حتى من الأخطا الشائعة ، ولا عجب في هذا فتاريخ الكاتب في وزارة الخارجية والصحافة والديوان الملكي ثم عودته إلى الصحافة يجعل هذا له أمرا يسيرا .

د . مصطفى مرسي

□□ الدكتور نادر فرجاني : هدر الامكانية، بحث في مدى تقدم الشعب العربي نحو غاياته - دار المستقبل العربي - القاهرة ١٩٨٢ □□

يعتبر الكتاب خطوة متقدمة نحو دراسة موضوع التنمية على المستوى العربي بمنهج شمولي يأخذ في اعتباره نقطتين ذات أهمية خاصة بالنسبة للوضع العربي . فهو أولا ينظر الى التنمية على انها عملية أشمل بكثير من مجرد التمويل ومن التنمية الاقتصادية التي تنصب على تغيرات كمية وكيفية خاصة بالهيكل الاقتصادي أو حتى بالهيكل الاقتصادي - الاجتماعي . فالتنمية التي يعتبرها الكتاب هي أقرب ماتكون الى تغير حضاري شامل تلعب فيه المتغيرات الاقتصادية دورا ولاشك ولكن ليس هو الدور الوحيد أو الدور الأساسي فهو يرى أذن ان التنمية في جوهرها هي عملية تحرير ونهضة حضارية شاملة تقتضي الانعتاق من شبكة علاقات السيطرة - التبعية والعمل على اقامة بنيان اجتماعي - اقتصادي - سياسي جديد متوازن وكفء ويحمل في طياته بذور استمراره وتطوره باطراد (ص ١٦) . ومن هذا المفهوم لعملية التنمية يمكننا استنتاج البعد الثاني لعملية التنمية كما يطرحها الكاتب وهو انها أي التنمية لايمكن ان تتم في إطار العلاقات الدولية والاقليمية الراهنة للمنطقة العربية والتي من شأنها تعميق التبعية للغرب على جميع المستويات، ومن ثم فانها ستعوق ولاشك أية حركة « تنموية » أو « تكاملية » في اطار « الاعتماد الجماعي على النفس » . ولاتختلف المنطقة العربية في ذلك عن أية منطقة أخرى من العالم الثالث في أفريقيا أو آسيا أو امريكا اللاتينية الا في الدرجة الأعمق للاندماج في السوق الرأسمالية الدولية من ناحية وفي الانحراف الأكبر في تخصيص الموارد في غير صالح اشباع الحاجات الأساسية من ناحية أخرى كما أوضح ذلك الدكتور سمير أمين في كتابه عن « الاقتصاد العربي المعاصر » الصادر في باريس سنة ١٩٨٠

يعرض الكاتب في المقدمة (من ص١٣ - ٢٢) تصورا عاما للتخلف على المستوى العربي واسبابه وعن التنمية من حيث المفهوم والغايات والامكانات ومحاور العمل . «تخلف» المنطقة العربية ليس «تأخرا» زمنيا عن مضمار التقدم للدول الصنعة وانما هو تفكك وتشوه البنية الاقتصادية والاجتماعية وهو عدم القدرة على الوفاء بالحاجات الانسانية الأساسية والتبعية العميقة للاقتصاد والحضارة الغربية وهي السمات الهيكلية الثلاث للتخلف كما أوضحها منذ زمن ليس بالقريب فرانسوا بيرو في بحثه الشهير عن «الأدوات التحليلية الثلاث لفهم التخلف الصادر في باريس في أوائل الستينيات » .

وأما سبب هذا التخلف - على مستوى المنطقة العربية أو على مستوى العالم الثالث - فهي السيطرة الأجنبية - المباشرة أو غير المباشرة والتي تتطور أساليبها بتطور النظام الرأسمالي الدولي ودخوله من مرحلة الى مرحلة دون أن يتغير جوهر هذه السيطرة الأجنبية من حيث أهدافها ونتائجها والتي تصب جميعا في تأكيد وتعميق التبعية للنمط الحضاري الغربي في كافة جوانبه .

أما عن غايات وامكانيات ومحاور العمل العربي فيرى الكاتب أن الغايات تتمثل في خمس نقاط يمكن اجمالها في اشباع الحاجات الأساسية لكل الناس في الوطن العربي وتحقيق العدالة والديمقراطية بجانبيها الاقتصادية والاجتماعية في الداخل وتحقيق الاستقلال بأبعاده المختلفة في الخارج . ثم يرى أن الامكانات تتمثل أساسا في القوة البشرية التي تعتبر هدف ووسيلة الوصول الى الغايات اذ أن التنمية في النهاية هي تنمية البشر وليس إقامة الأشياء (ص ١٧) وليس المقصود بطبيعة الحال هوالمعنى التقليدي للتنمية البشرية من حيث التدريب ورفع الانتاجية . فهذه التنمية البشرية هي أولا عملية طويلة الأجل وهي ثانيا تشمل كافة جوانب النظام الاقتصادي - الاجتماعي - السياسي الذي تؤدي صعف كفاءته الى هدر لامفر منه للامكانيات البشرية .

وتنتهي المقدمة الى استعراض سريع للأوضاع في المنطقة العربية على ضوء الفكرة السابقة تخلص منه الى تردي هذه الأوضاع بصورة لم يسبق لها مثيل وعلى كافة المستويات الاقتصادية والسياسية وهنا يحرص الكاتب على إيضاح الهدف من الدراسة التي بين أيدينا وهي مواجهة الخطر الأساسي في الواقع العربي الراهن (وهو) خطر اهدار امكانية تاريخية قائمة لازدهار حضارة عربية معاصرة .

الفصل الثاني وعنوانه « الامكانية » يدرس الامكانات أو الموارد المتاحة على مستوى الوطن العربي . وهويخلص الى القول بأن البشر هو أهم الامكانات أو الموارد العربية وليس النفط أو الثروات المعدنية أو الأرض المزروعة أو القابلة للزراعة أو للري كما سنرى تفصيلا . غير أن البشر ليسوا بالضرورة مصدر قوة وانما الأمر يتوقف على خصائص البشر والتنظيم الاجتماعي الذي ينضون تحته فالعبرة أساسا بتعبئة واستغلال الطاقات البشرية وتوجهها نحو التنمية المستقلة في اطار تنظيم اجتماعي متطور وقادر على الافادة من هذه الطاقات واشراكها في العمل بكل أبعاده وفي ثمار هذا العمل على وجه الخصوص .

فالمقارنة بين الامكانات البشرية (عدد اسكان) ومساحة الأرض القابلة للزراعة لاجمالي الوطن العربي مع الاتحاد السوفييت والكتلة الشرقية من ناحية وأمريكا الشمالية من ناحية أخرى تكشف أن سكان الوطن العربي سنة ٢٠٠٠ يمثلون ٤,٧٪ من حجم السكان في العالم مقابل ٧,١٪ للاتحاد السوفييتي والكتلة الشرقية و ٤,٨٪ لامريكا الشمالية بينما أن الأراضي القابلة للزراعة في الوطن العربي تمثل ٤,٧٪ من اجمالي العالم مقابل ١٥,٨٪ ، ١٦,٢٪ للكتلة الشرقية وأمريكا الشمالية على التوالي .

أما عن الثروة المعدنية فلا تملك المنطقة العربية نسبة تذكر من الاثنتين عشرة مادة خام الأكثر أهمية (الكوبالت - الحديد - الرصاص - الزنك - البوكسيت - الكروم - البلاتين - القصدير - النيكل - المنجنيز - النحاس - اليورانيوم) ولا تملك فضلا من ذلك من الاحتياطات العالمية سوى بعض احتياطيات الفوسفات التي تتركز في المغرب .

أما عن الانتاج المحلي من السلع الغذائية الرئيسية فنجد أن نسبة عجز الانتاج المحلي عن الوفاء بالاحتياجات ترتفع من ٤٧٪ سنة ١٩٨٠ إلى ٥٢٪ سنة ٢٠٠٠ بالنسبة للقمح ومن ٢٣٪ إلى ٤٣٪ بالنسبة للأرز ومن ٢٨٪ إلى ٤٤٪ بالنسبة للذرة الشامية ومن ١٩٪ إلى ٣٦٪ للحوم ومن ٧٪ إلى ٢٣٪ للبيض . هكذا يرتفع العجز بالنسبة لباقي المواد الغذائية الرئيسة (الذرة الرفيعة - الدخان - الشعير - السكر - الألبان) .

ولعل أهم مباحث هذا الفصل هو ذلك الجزء الخاص بالنفط وعائداته كجزء من الامكانيات العربية . ويؤكد هذا الفصل ماسبق أن توصلت اليه العديد من الدراسات الجادة من أن النفط كان ولازال عاملا من عوامل التخلف والفرقة على مستوى الوطن العربي . ففي كتابيه (الأمة العربية) والاقتصاد العربي المعاصر ينتهي الدكتور سمير أمين الى أن النفط كان مصدر التعاسة والتخلف الرئيسي للبلاد العربية في جملتها . وسوف نكتفي في اطار عرضنا للكتاب (هدر الامكانية) ببيان أسباب هذه النتيجة التي توصل اليها الكتاب والتي يتفق فيها مع الدراسات الأخرى التي ذكرنا بعضها . هذه الأسباب هي :

١ - أن البلاد العربية المنتجة للنفط وان كانت استطاعت التحكم نسبيا في الأسعار الا أن الكميات المنتجة ظلت دالة للاحتياجات الغربية وليست لاحتياجات التنمية أو مراعاة ظروف انتاج الموارد غير القابلة للتجدد بالنسبة للبلاد العربية . ومن ثم فان الاحتياطات البترولية العربية معرضة للنفاد خلال خمسين عاما وبافتراض معدلات انتاج سنة ١٩٧٨ .

٢ ـ تزداد أهمية الصورة الصلبة للوقود الحضرى (الفحم) على حساب صورته السائلة (النفط) والغازية (الغاز الطبيعى) كمصدر أساسى للطاقة قبل نهاية القرن الحالى وأن الوطن العربى لا يتمتع بأى احتياطات فحم يمكن استغلاله اقتصاديا .

٣ ـ يترتب على ذلك أنه فى الأجل الطويل يعتبر الوطن العربى منطقة عجز وليست منطقة فائض فى موارد الطاقة .

٤ ـ بالنسبة لعائدات النفط فان ارتفاع أرقامها بعد ١٩٧٣ لاينفى الانخفاض الشديد فى أسعار البترول قبل ذلك التاريخ ومع ذلك فهذا الارتفاع فى القيمة الاسمية لايعكس القيمة الحقيقية ليس فقط بسبب اعادة تقييم الدولار ولكن أيضا بسبب الاسراف الشديد فى استخدام مورد طبيعى غير قابل للتجدد .

٥ ـ أن العائدات البترولية لم تستخدم فقط لاحداث تنمية مستقلة فى الدول العربية النفطية أو غير النفطية بل أن طبيعة العينة الاقتصادية فى البلاد النفطية تعمق الاعتماد على الغرب فى الانتاج و الاستهلاك من ناحية وتعتمد على الطاقة الرخيصة من ناحية أخرى .

٦ ـ أنه حتى بمعدلات التكوين الرأسمالى فان العائدات البترولية لم تسهم بشكل فعال فى رفع معدل التكوين الرأسمالى بالشكل المناسب فمعدل التكوين الرأسمالى فى ايطاليا مثلا سنة ١٩٧٨ يحتاج تحقيقه فى البلاد العربية الى ضعف العائدات النفطية العربية كلها هذا العام .

٧ ـ أن العائدات النفطية قد أحدثت شرخا فى الصف العربى بين دول اليسر ودول العسر وأحلت منطق (الثروة) ومنطق (الثورة) على الساحة العربية .

٨ ـ تتعرض الفوائض النقدية العربية (المستثمرة) فى الغرب لأقصى درجات الخطر والاهدار حتى انها تعد رهينة فى يد الغرب يحكم بها الى حد كبير السلوك السياسى لدول الأوابك .

ويختم الفصل الأول بالتأكيد على أن الوطن العربى غنى فقط فى العنصر البشرى وهذا الغنى ليس الا غنى بالامكانية نظرا لضعف القدرات البشرية العربية واهدار طاقاتها حاليا (ص ٤٨) وعلى أن الوفرة النسبية فى النفط حاليا و العوائد الناجمة عنها يمكن أن تكون عاملا ايجابيا مساعدا لامكانية تنموية حقيقية اذا أجيد استغلالها قوميا (ص ٤٨) .

الفصل الثالث عنوانه السجل التاريخى : الامكانية تهدر (ص من ٥١ ـ ٨٥) يقدم دراسة عما تم انجازه حتى الآن فى إطار الأسلوب الراهن للتنمية التابعة لتطور التقسيم الدولى للعمل . ويبدأ الفصل بتقرير أن (معدلات النمو) مرتفعة نسبيا فى بلدان الوطن العربى ولكن ذلك بطبيعة الحال لا يعبر عن حدوث تنمية حسب المفهوم الذى سبق تحديده فى المقدمة و الذى ينصب أساسا على الاستفادة من الطاقات البشرية الوفيرة نسبيا فى الوطن العربى . وعلى ذلك يعمد الكاتب الى اختيار معايرين للتنمية بهذا المعنى . فهو يستقصى الجهود التى تمت من أجل تحسين خصائص القوى البشرية من حيث المستوى الصحى (مقياس توقع الحياة عند الولادة) ومن حيث المستوى التعليمى (نسبة غير الأميين من الكبار) . ويتضح من الدراسة الاحصائية أن توقع الحياة عند الولادة هو ٥١,٤ سنة و٧٠ سنة و٧٠,٣ سنة لكل من الوطن العربى والاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة على التوالى وأن نسبة غير الأميين من الكبار هى ٣٦,٢٪ و٩٩٪ للوطن العربى ولكل من الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة على التوالى . هذا من ناحية .

ومن ناحية اخرى يبحث الكاتب مدى الاستفادة من القوى البشرية المتاحة فى انشطة انتاجية فعالة فيجد ان معدلات المشاركة فى النشاط الاقتصادى هى ٢٧,٣ ٪ و٤٩,٨ ٪ و٤٤,٢٪ للوطن العربى والاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة على التوالى . ونأخذ على الكاتب هنا انه اعتبر النسبة المطلقة للاستخدام اى نسبة السكان النشطين اقتصاديا الى اجمالى السكان دون ان ينظر الى توجهات استخدامات قوة العمل هذه هل هى اساسا لاشباع الحاجات الأساسية ام لاعادة انتاج النظام الاقتصادى ـ الاجتماعى وهى نقطة بالغة الاهمية لم يتناولها الكاتب من قريب او بعيد . فالعبرة دائما ليست بكم من السكان يعمل ، ولكن اساسا بكيفية توزيع قوة العمل على القطاعات المختلفة وقد تبين فى دراسة للاستاذ سمير امين ان قوة العمل العربية تتجه الى إشباع الاستهلاك الترف واعادة انتاج النظام الاقتصادى والاجتماعى على حساب اشباع الحاجات الاساسية بصورة اكثر حدة بكثير لما يحدث فى الدول الغربية الصناعية كفرنسا (انظر الاقتصاد العربى المعاصر)

ثم يلجأ الكاتب الى محاولة لقياس كل من المشاركة الشعبية والتعاون العربى والتبعية ويخلص من قياسه الى ان ما تحقق فى هذه المجالات لا يختلف عما تحقق فى غيرها من المجالات اى اهدار الامكانية التاريخية القائمة . ويحق لنا ان نسجل للكاتب رؤيته الشمولية للاشيا" . فهو يؤكد على « التوافق الوثيق .. بين ظواهر ثلاث انتظمت حولها علاقة الوطن العربى بالعالم الخارجى خاصة فى النصف الثانى من عقد السبعينات وهى تدهور الديموقراطية ، وتردى التعاون بين البلدان العربية ودعم التبعية للدول الغربية الصناعية ».(ص ٨٥)

الفصل الرابع وعنوانه :

اطلالة على المستقبل (ص ٨٧ ـ ١٠٥) يتضمن مبحثين يتعلق اولهما بعاقبة استمرار الاوضاع الحالية ويحاول ثانيهما استشراف حدود المستقبل . المبحث الاول الذى يتناول النتائج التى تترتب على استمرار الأوضاع الحالية يعتمد على نموذج تقدم به ليونتيف وآخرون الى هيئة الامم المتحدة سنة ١٩٧٧ لمناقشة مستقبل الاقتصاد العالمى . وقد اورد الكاتب العديد من التحفظات على هذا النموذج منها بطبيعة الحال التركيز على المشكلات ذات الاهمية الخاصة للدول المتقدمة اساسا ومنها اغراقه فى التحليل الاقتصادى على حساب « العوامل الاخرى »، ومنها اعتماده على عدد من اليات او ميكانيزمات النمو (علاقة بين الادخار والاستثمار ومعدل النمو مثلا) وهى كلها مآخذ تصم « النظرية الغربية » برمتها ، اذ انها تنظر الى التخلف على انه مسألة « تأخر زمنى »» عن الدول المتقدمة وليس اختلافا جوهريا فى طبيعة البنية الاقتصادية ـ الاجتماعية ـ السياسية فى كلتا المجموعتين من البلاد . ومع ذلك فالكاتب يستشرف المستقبل فى حالة استمرار الاوضاع الراهنة من منظار ذلك النموذج ، فيرى انه رغم التفاوت الكبير الذى سيحدث فى معدلات النمو حتى سنة ٢٠٠٠ بين البلاد النفطية وغير النفطية (مما يهدر فى رأيه امكانات التكامل العربى) الا ان الناتج الاجمالى للفرد فى البلدان العربية النفطية فى عام ٢٠٠٠ لن يتعدى نصف قيمته فى الاتحاد السوفيتى وثلث قيمته فى الولايات المتحدة .وكذا الامر فى كافة المؤشرات الخاصة بالنمو والتى يمكن تقسيمها الى مجموعات ثلاث : مؤشرات اشباع الحاجات الاساسية (الغذاء ـ الصحة ـ التشغيل) ـ مؤشرات القوة الاقتصادية البحتة (الناتج المحلى الاجمالى ـ اجمالى الاصول الرأسمالية ـ ميزان المدفوعات) ـ مؤشرات وصف الاداء الاقتصادى (ناتج محلى اجمالى / فرد ـ استهلاك / فرد ـ أصول رأسمالية / فرد) فكل هذه المؤشرات تفضى اذا ما استمرت الأوضاع الحالية الى تعميق هوة التخلف بين الوطن العربى والعالم المتقدم فى الشرق والغرب .

اما عن المبحث الخاص بحدود المستقبل فالكاتب يجرى مقارنة بين تصورين حتى سنة ٢٠٠٠ . الاول هو بقاء الأوضاع الاقتصادية والسياسية والاجتماعية على ما هى عليه سنة ١٩٨٠ ، ويسمى التصور ٢٠٠٠ (صفر) وهو لا يختلف عما سبق ذكره فى البحث السابق .

اما التصور الثانى فهو الذى تتغير منه الاوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية فى الوطن العربى نحو تحقيق تنمية شاملة فى اطار وحدوى ويسمى التصور ٢٠٠٠ (١) . وقد قام التصور ٢٠٠٠ (١) على استبيان اخرى مع ٢٥ خبيرا اكثر من نصفهم من الاقتصاديين وكلهم من العاملين بالكويت فى مؤسسات مختلفة . ولم يوضح لنا الكاتب أولا أساس اختيار الخبراء ولا علة اختيارهم من بين العاملين فى الكويت على وجة التحديد كم لم يتضمن الملحق اية اشارة الى نص الاستبيان الذى يمكن استنتاج انه يدور حول امكانية تحقيق الغايات السابق تحديدها فى المقدمة على أساس الامكانات المتاحة المحددة فى الفصل الثانى . ونحن نعتقد ان النتائج الاساسية التى توصل اليها هذا البحث لا تختلف فى قليل او كثير عن نتائج جملة البحوث التى قام بها جهاز تنظيم الاسرة بالتعاون مع « الايدكاس » والتى تناولت ثلاثة تصورات بديلة لمستقبل التنمية حتى سنة ٢٠٠٠ .

وعلى أية حال فالرأى عندنا أن هذه التصورات البديلة سوا" فى الكتاب الذى نعرضه اليوم أو فى البحوث المشار اليها هى ضرب من التجريد والخيال البحت (فيما عدا التصورات التى تدور حول استمرار الاوضاع الراهنة) . فالتصورات البديلة تقفز فجأة الى القول بأنه لو وجد تنظيم اجتماعى سياسى اقتصادى موائم لحدث تطور أفضل فى شتى المجالات . ولم تحدد اى من هذه الدراسات « كيفية الوصول » الى هذا التصور البديل ولا يحتاج الامر الى كبير نكا" الى أن « كيفية الوصول » هذه هى التى ستحدد بكل تأكيد كافة معطيات الموقف الجديد ومن ثم فان القصور عندما ينطلق من أرض واقعية وليس بسؤال ٢٥ خبيرا بالكويت أو غيرها « فالصفوة » فى رأينا قد فات وقتها ولم يعد لها الحق ولا الامكانية فى أن تحل محل الشارع السياسى فى طرح تصورات المستقبل .

د . محمد على الدمشاوى

☐ د . عبد العظيم رمضان : الاخوان المسلمون والتنظيم السرى - القاهرة - روزاليوسف - ١٩٨٣ ☐

الكتاب نشرته دار روزاليوسف بالقاهرة عام ١٩٨٢ ويضم بعد التقديم والتمهيد أربعة عشر فصلا تقع فى ٣٢٣ صفحة ثم تسعة ملاحق تحتوى بقية الكتاب الذى يقع فى مجمله فى ٥١٠ صفحة ، وتضم الملاحق حوارا طويلا بين المؤلف والأستاذ صلاح شادى وآخرين . والمؤلف هو الأستاذ الدكتور عبد العظيم رمضان أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر بجامعة المنوفية والكاتب المؤرخ المعروف الذى تعود بين الحين والآخر ان يتحف المكتبة التاريخية بأبحاثه التى تتناول موضوعات ذات طبيعة متميزة، تفجر الكثير من المناقشات والحوار خاصة مايتعلق منها بالموضوعات المعاصرة ، على نحو ماأثاره ويثيره هذا الكتاب الهام .

وفكرة الكتاب تعود فى الأصل الى حلقة علمية اشترك فيها المؤلف ونظمها المركز القومى البحوث الاجتماعية والجنائية عام ١٩٧٩ . وكان بحث المؤلف عن جماعة الأخوان المسلمين والعنف، ثم وسع نطاق الدراسة على تحقيق المزيد من تفصيلاتها لتخرج لنا فى النهاية فى ثوب هذا الكتاب .

ـ والواقع أن الدراسة تنصب أساسا على حادث المنشية ، مع العودة بالأصول التاريخية لنشاطات الأخوان المسلمين السرية . . أو هو بمعنى آخر قصة حادث المنشية التى رأى المؤلف لكى يتوصل الى الحقيقة التاريخية بشأنه ـ أنه يجب ألا يروى قصتها من خاتمتها أو منبت الصلة ببدايتها وسياقها التاريخى ومن ثم أخذ على عاتقه دراسة فكرة استخدام العنف لدى الاخوان ونشأتها، وكيف نشأ التنظيم الخاص أو السرى للأخوان ثم تطوره والدور الذى لعبه فى السياسة المصرية قبل ثورة ٢٣ يوليو وعلاقته بالثورة حتى وقوع حادث المنشية، لتحديد مدى مسئوليتهم عن هذا الحادث . . . وان كان المؤلف قد أعقب دراسته هذه بفصل أخير عن الاخوان وحركة ١٩٦٥

ـ وفى الفصل الأول تناول المؤلف نشأة وتطور حركة الاخوان المسلمين وكيف انها انشأت جيشا كبيرا تحت اسم برى‌الله حسب تعبيره هو فرق الرحلات واستنتج أن حركة الاخوان لم تدفع اليها عوامل سياسية بقضايا الاستقلال والدستور، أو رفض النظام القائم وانما دفعت اليها أفكارا سلفية لمعارضة تيار التغريب . أما فكرة العنف والسعى للوصول الى الحكم بالقوة فلم تكن واردة فى رؤوس أصحابها، وأنه مع انتشار الدعوة كان على الجماعة أن تحدد موقفها الفكرى من القضايا الاسلامية والسياسية العامة ، حيث برزت لها أيديلوجية متكاملة واضحة المعالم تختلف عما بدأت به . . ومن ثم كان نزول الأخوان الى العمل السياسى علانية عام ١٩٣٨ مع اصدار مجلة النذير . الأمر الذى يفسره المؤلف بنمو قوة الاخوان الذاتية بفضل نشاط الشيخ حسن البنا وديناميكيته ، الى جانب ربطه بين حدوث ذلك وحدوث انتقال السلطة فى مصر الى حكومة محمد محمود وأحزاب الأقلية عام ١٩٣٨ وليقف البنا ـ حسب تعبيره ـ الى جانب القصر الذى حرص على استخدام شعارات دينية لاجتذاب الجماهير، وليخلص المؤلف من هذا الربط بنتيجة مؤداها أن جماعة الاخوان كانت تزدهر دائما فيما أسماه «بالعهود الرجعية» .

ـ أما الفصل الثانى «نشأة جيش الأخوان وتكوين الجهاز السرى » فقد تناول دراسة فرق الرحلات التى ذكر الشيخ ابنا انها أنشئت عقب نشأة الدعوة وكانت تلازم أول شعبها وجودا، ثم نمت عامى ٣٤ ، ١٩٣٧ ، حتى لقد وصفتها مجلة الاخوان بأنها الفرق عسكرية ثم انضواء هذه الفرق رسميا تحت تشكيل النظام العام لجمعية الكشافة ثم الحصول على الأسلحة وتخزينها، ويعلل المؤلف ذلك ليس بهدف المقاومة السرية ضد الانجليز أثناء الحرب العالمية الثانية وانما بالرغبة فى طلب الحكم والسلطة .

ثم ينتقل الى الحديث عن محنة الأخوان وتكوين النظام الخاص، وقد تمثلت هذه المحنة فى صدام السلطة بالأخوان فى عهد حسين سرى الذى صادرت حكومته ، بطلب من

السلطات البريطانية بحق التعارف والشباع الاسبوعيتين ، والعبث لم يحصر علية تقرر . ثم منعت طبع أي رسالة من رسائل الاخوان بالاضافة الى اغلاق مطبعتهم ومنع اجتماعاتهم ، وحظرها على الصحف نشر اخبارهم ، بل أكثر من هذا اعتقلت السلطات كلا من حسن البنا واحمد السكرى وعبد الحكيم عابدين في أكتوبر ١٩٤١ ويضيف المؤلف أن القصر تدخل لانقاذ الاخوان والافرج عن زعمائهم الثلاثة الذين كان عليهم بعد ذلك تحاشى الصدام مع الانجليز . والأهم من ذلك بناء التنظيم السرى عام ١٩٤٢ أو قبله بقليل

وقد وضع الشيخ البنا نظاما يعرف بنظام الأسر للتربية الروحية للاخوان ، ولم يلبث نظام الأسر أن تحول الى نظام لتخريج «الاخوة المجاهدين» وهم خاصة الاخوان ، وقد استعاض البنا ايضا حال الكتائب ، وقد ذكر أن هذه الأسر كانت المدخل الى النظام الخاص (التنظيم السرى) وذلك أنه روعى في نظامها أن ينقل العضو الى النظام الخاص انتقالا تدريجيا وطبيعيا . وكان كل عضو في الجهاز السرى يرمز له برقم خاص وبالحروف الأولى من اسمه ، كما كان يخضع لنظام مراقبة دقيق وصارم كذلك كانت كل مجموعة مكونة من خمسة أشخاص ، يتدربون على السلاح في المناطق الصحراوية ويؤخذون حلف يمين الطاعة والكتمان ، وقد جهز التنظيم الخاص بجهاز مخابرات على جانب كبير من المهارة ، ويضيف المؤلف أن فكرة الجهاد في أذهان أفراد الجهاز السرى كانت منصرفة في البداية الى الانجليز كما أوحى رؤساؤهم بذلك ، ثم جرى تحويل أفكارهم الى الداخل تدريجيا . . . وقد تغلغلت تنظيمات الاخوان في الجيش والبوليس ، وعموما كان التنظيم السرى يتبع المرشد العام مباشرة يديره بواسطة جهاز خاص له ميزانية مستقلة عن ميزانية النشاط العام للاخوان .

ـ وفي الفصل الثالث تتبع المؤلف نشاط هذا الجهاز في أعمال العنف (٤٤ ـ ١٩٤٨) ويتناول موقف الاخوان من اغتيال أحمد ماهر في فبراير ١٩٤٥ وفيه يشير الى مسئولية الاخوان عن الحادث على اعتبار أن انتماء القاتل للحزب الوطنى كان انتماء صوريا وانه يخفى انتماءه الحقيقى لجماعة الاخوان المسلمين ، ثم لايجزم بذلك حين يقول «إذا صح أن اغتيال أحمد ماهر كان من تدبير الاخوان فان هذه تكون المرة الأولى التى يستخدمون فيها العنف»

ثم ينتقل المؤلف الى الحديث عن تصاعد الاحتكاكات بين الاخوان والوفد ، وأن عام ١٩٤٦ شهد أعنف هذه الاشتباكات حيث لم يتردد الاخوان في استخدام مااسماه بالوسائل الفاشية للهجوم على الشباب مستندا الى مذكرات أحمد حسين عن مدى تغلغل نفوذ الجماعة في ذلك الحين ، وتصرف البنا كأنه وزير داخلية . . . ثم أضاف المؤلف أن أحمد السكرى اختلف مع حسن البنا حول رغبة الأول في الدخول في وحدة عضوية مع الوفد ، واعتراضه على سيطرة البنا المطلقة على الجماعة ، وأن هذا الخلاف أسفر عن طرد السكرى من الجماعة عام ١٩٤٧ ، حيث عين صالح عشماوى ـ رئيس التنظيم السرى ـ خلفا له ـ ثم انتقال قيادة التنظيم السرى من عشماوى الى عبد الرحمن السندى . . وقد تمثل نشاط التنظيم آنئذ في الاعتداء على اليهود المصريين ، بعد تطورات القضية الفلسطينية والغارات الجوية الاسرائيلية على مصر ، ولقيام بعمليات الاغتيال والقاء القنابل على الجنود الانجليز حيث حوكم فيها أحد عشر متهما أمام أحمد الخازندار ، الذى حكم عليهم بأحكام قاسية ، وذكر المؤلف أنه لم يكن أحد من المتهمين ينتمى للتنظيم الخاص بالاخوان ، بالرغم من أن الخازندار قد قتل بعد ذلك بشهور بواسطة أثنين من الاخوان انتقاما للحكم الذى أصدره ضد الوطنيين وقد أنكرت جماعة الاخوان مسئوليتها عن الحادث وان كانت قد ذكرت مايبرره بقسوة أحكام القاضى .

ويذكر المؤلف أنه حتى اواخر عام ١٩٤٨ كان الاخوان قد أصبحوا دولة داخل الدولة لها أسلحتها وجيشها ومصانعها وشركاتها ومدارسها ومستشفياتها ولم يبق سوى القفز على السلطة ولكن في ٨ ديسمبر ١٩٤٨ أصدر النقراشى باشا قرارا بحل الجماعة والقبض بالاعتقال والمصادرة على أعضائهم وأموالهم فانتهت بذلك صفحة حافلة من نشاط الاخوان وبدأت صفحة أخرى ، وبررت الحكومة ذلك بأن الجماعة تهدف الى قلب النظم السياسية للهيئة الاجتماعية بوسائل ارهابية ترهب خصومها وتمارس أعمال العنف والقاء القنابل وتتدرب على السلاح وصنع القنابل والمفرقعات . . الخ وقد عبر المؤلف ذلك كله ولم ير فيها سببا مقنعا لتصفية الجماعة ليخلص الى أن الدافع الحقيقى هو خوف القصر وحكومة النقراشى من تزايد قوة الاخوان في الحياة السياسية . . .

أعقب ذلك انتقام الاخوان من الحكومة والذى بدأ عندما ضبطت سيارة جيب صدفة في ١٥ نوفمبر لبحث الحكومة من خلال التحقيق بتسبب في وضع يدها على ٣٢ من قادة الجهاز السرى على رأسهم رئيسه عبد الرحمن السندى ، من خلال الأوراق والمستندات التى عثر عليها داخل السيارة حيث تبينت من خلال ذلك كله معالم التنظيم السرى ، وامكن للحكومة تقويض شبكة الاتصالات في التنظيم كما قوضت كل وسائل الانضباط . وانتهز النقراشى فرصة القلاقل التى وقعت بالجامعة ومصرع سليم زكى حكمدار القاهرة واتهم الاخوان بقتله واغلق صحيفتهم وفي ٨ ديسمبر أصدر قراره بحل الجماعة . . . . ورغم أن التنظيم السرى كان مضروبا الا أنه تمكن من قتل النقراشى في ٢٨ ديسمبر ١٩٤٨ ، فردت الحكومة بقتل الشيخ حسن البنا في ١٢ فبراير ١٩٤٩ فرد التنظيم السرى بمحاولة قتل ابراهيم عبد الهادى رئيس الوزارة في ٥ مايو ١٩٤٩ ويرى المؤلف انه لو كانت هذه العمليات تم ضمن عملية كبرى للاستيلاء على السلطة واقامة الحكومة الاسلامية لكان لها مايبررها ولكانت تمثل نجاحا هدف اسمى ، ولكنها قامت لغير غرض ثورى حقيق . .

ـ أما الفصل الرابع فيتتبع الصراع بين الشيخ حسن الهضيبى ـ خليفة البنا ـ وبين عبد الرحمن السندى ، مصورا كيف اختير الهضيبى مرشدا عاما للجماعة ، وما تضمنه ذلك من معنى ارضاء القصر . . . لعودتهم [illegible] شرعيته وعودة اموالهم [illegible] ثم اعلان الهضيبى سياسته الجديدة [illegible] . . . الروحية التى تدعو اليها الجماعة لا القوة المادية ، مما أحدث مواجهة بين المرشد الجديد وبين التنظيم السرى ، تلك المواجهة التى أصبحت تعكس أنقساما ما داخل الجماعة ، حيث ظهر فريق يطالب بانهاء النظام الخاص ، وهو فريق الأغلبية الذى نجح في تعيين الهضيبى مرشدا عاما ، أما الفريق الأخر فقد كان على رأسه السندى وقادة النظام الخاص ، وشكلت لجنة لازالة الخلاف توصلت الى حل وسط مؤداه ادماج الأسر التى تنتمى للتنظيميين العام و الخاص في قسم واحد يخضع لأوامر مكتب الارشاد ، وازالة السرية تدريجيا عن النظام الخاص ، ونظرا لعجز اللجنة عن عزل السندى فقد بقى في التنظيم وعين حلمى عبد المجيد رئيسا للجهاز . . وهكذا بقى النظام السرى بكامل تسليحه وبقى السندى فيه ، بل عاد الى قيادته بعد قيادته بعد .

ـ أما الفصول من الخامس حتى الثامن فتتناول دراسة علاقة الاخوان بثورة يوليو ١٩٥٢ ، والصراعات الداخلية بين الاخوان أنفسهم ، ثم موقفهم خلال أزمتى فبراير ومارس ١٩٥٤ ، واستئناف صراعهم مع الثورة . . ويرجع المؤلف علاقات الاخوان بالثورة الى ظهور شخصيات شابة تملك القدرة على الاعتدال والتطرف مثل صالح أبو رقيق وحسن العشماوى وغيرهما ، وعن طريقهما أقيمت جسور العلاقة بين الاخوان وحركة الضباط حيث ساند الاخوان الحركة حتى تبينت الجماعة أن الثورة لاتنوى ـ بتعبير المؤلف ـ أن تمضى الى جيوبهم وحين قرر مجلس قيادة الثورة اشراك الاخوان في الوزارة عارض مكتب الارشاد . وفصل الشيخ الباقورى لقبوله الوزارة ، ثم صدر قانون تنظيم الاحزاب السياسية ، الذى ترك للجماعة الحق في أن تعلن نفسها حزبا سياسيا أو تمتنع كلية عن النشاط السياسى ، وقد سبب هذا انقساما في الرأى داخلها ، ثم استقرار رايها على فصل العمل الدينى عن العمل السياسى ، فيتولى العمل السياسى شطرا منها ويقدم اخطارا باعتباره حزبا سياسيا ، وحدث هذا فعلا في ٨ نوفمبر ١٩٥٢ ، أعلنوا فيه نيتهم للاشتغال بالسياسة صراحة على اعتبار أن الاسلام لايفرق بين الدين والدولة ، على أن الجناح المؤيد للثورة داخل الجماعة قد [illegible] من قرار حل الاحزاب ، وخلال مفاوضات الجلاء راى المؤلف أن الاخوان في صراع مع الثورة قد آثروا موقف الاعتدال أثناء المفاوضات حتى لا [illegible] في

جبهتين فى وقت واحد ، جبهة الثورة وجبهة الانجليز ، ومن ثم وافقت جماعة الاخوان على ماقبله عبد الناصر فى اتفاق الجلاء بعد ذلك بعام ، ورأى المؤلف فى ذلك أن الاخوان كانوا يسعون لكى يوجدوا لدى الانجليز انطباعابانهم ليسوا بالتطرف الذى كانوا يخشونه ..

وقد اخذ عبد الناصر فيما بعد فى ضرب الاخوان من الداخل باستغلال الصراعات التى تفاقت بين جماعة الهضيبى وجماعة صالح عشماوى من جهة ، وبين جماعة الهضيبى والتنظيم السرى من جهة ثانية ، وقد طالبهم عبد الناصر بحل تنظيمهم السرى حماية لحركة الجيش ، ولكن لم يلق سوى استجابة شكلية ، حيث قبل السندى التنحى عن رئاسة التنظيم ، فحل محله محمود الصباغ ، ولكن السندى مالبث ان تبين ان الهضيبى يقوم بتكوين تنظيم جديد من انصاره ، فقرر السندى ألا يتعاون مع المرشد ، الذى نجح فى النفاذ الى اسرار الجهاز السرى بعد ان ضم اليه السيد فايز ، الرجل الثانى فى التنظيم الذى مالبث ان اغتيل ، فصدر قرار مكتب الارشاد بفصل عبد الرحمن السندى ومحمود الصباغ واحمد زكى واحمد عادل ، وانتهز خصوم الهضيبى هذا الفصل وبدأوا يحركون القاعدة الشبابية للاخوان ضده .. فضعف الفريقان وكان ذلك لحساب عبد الناصر ، ثم ما لبث مكتب الارشاد ان أذاع قرارا بفصل صالح عشماوى ومحمد الغزالى واحمد عبد العزيز جلال ، وشرع الهضيبى فى ممارسة سيطرته على التنظيم السرى ومن خلال جهاز اشراف اقامه لذلك ، ولم يعد فى وسع عبد الناصر أن ينتظر حتى يعاد تنظيم الجهاز لضرب الثورة ، وفى ظروف صراع عبد الناصر مع محمد نجيب ، اتصل الأخير بالاخوان لمعاونتهم (والتخلص من هذا العهد) ويذكر المؤلف ان شروط نجيب للتعاون معه تتلخص فى انهاء الحكم العسكرى واقامة حياة ديمقراطية وعودة الاحزاب والغاء الرقابة على الصحف ، ولكن الاخوان رفضوا ذلك ، وطلبوا فقط ان ينفرد نجيب بالحكم ويقضى على عبد الناصر وأعضاء مجلس قيادة الثورة وان تشكل حكومة مدنية بموافقة الاخوان وان يعين رشاد مهنا قائد عاما للقوات المسلحة ، وقد ذكر نجيب انه رفض ذلك لان معناه سيطرة الاخوان على الحكم وفى ١٤ يناير ١٩٥٤ صدر قرار مجلس قيادة الثورة باعتبار جماعة الاخوان حزبا سياسيا ينطبق عليها قرار الغاء الأحزاب ، وجرت حملة اعتقالات واسعة للاخوان ثم تكشفت اتجاهات عبد الناصر ازاء الجماعة حين شنت الحكومة حملة صحفية على الهضيبى وانصاره وحين زار عبد الناصر قبر حسن البنا ، واشترط لاعادة الجماعة من جديد ابتعادها عن النشاط السياسى و إيقاف نشاطها داخل الجيش والبوليس ثم حل التنظيم السرى ، ولكن الاخوان وجدوا انفسهم فى موقع التأييد لمحمد نجيب ، فاعتقل عبد القادر عودة - رئيس الجماعة فى فترة اعتقال الهضيبى - ومعه خمسة واربعون ، فأنعزلت معظم قيادات الاخوان فى السجون عن احداث مارس ١٩٥٤ الشهيرة ، ولكن عبد الناصر مالبث ان افرج عن الجماعة فسبق نجيب اليها بما يسميه المؤلف تكتيكا خاصا من عبد الناصر يبتغى به مهادنتهم ليشترى صمتهم ، وبالفعل افرج عبد الناصر عن الاخوان المدنيين وماطل فى الافراج عن العسكريين ومنهم رؤساء الجهاز السرى ، فهرب عبد المنعم عبد الرؤوف ولعب دورا هاما فى تطوير الجهاز السرى .. وحين وقع عبد الناصر بالاحرف الاولى على اسس اتفاقية الجلاء اعلن الهضيبى رفضه لهذه الاسس ، فرد عبد الناصر بمصادرة نشاط الجماعة بكل الوانه ، ودخلت العلاقات فى شكل صدام حتمى ، فاختفى المرشد وحسن عشماوى وكثيرون من الاخوان ، ويقرر المؤلف انه منذ ذلك الحين انتقل النشاط الرئيسى للاخوان من العلانية الى السرية وتحولت الجماعة الى جهازسرى كبير !

وفى الفصول من التاسع حتى الحادى عشر عرض المؤلف للتشكيل للسرى الجديد ونشاطه . ثم التمزق الداخلى فى الاخوان .. وبالنسبة للتشكيل فقد عين يوسف طلعت رئيسا للنظام الخاص ، واتفق معه الهضيبى على الا تحدث اية جرائم او ارهاب . بعد الافراج عن الجماعة ايضا حيث استانفت نشاطها من جديد ، وكان عبدالمنعم عبدالرؤوف قد وضع خطة التشكيل الجديد خلال فترة اختفائه ، وكان أهم ما تميز به التشكيل الجديدهو الربط بين النظام الخاص والنظام العام ، وكان هناك انفصال قام بين رؤساء الجهازين ، واصبح رئيس المنطقة هو رئيس جهازها السرى ، ويذكر المؤلف ان خطورة هذا الأمر تمثلت فى اتساع اختصاصات رئيس الجهاز السرى لتشمل رؤساء الجهاز العلنى ، ثم انتقل المؤلف للحديث عن تسليح الفصائل ونظام التدريب ، ونقل عن محمد خميس ان عدد افراد الجهاز السرى عند تولية يوسف طلعت رئاسته كان « فى حدود الف او الفين » ، ثم تناول المؤلف دراسة المجلس الاعلى للجهاد ، وسلطة اتخاذ القرار فى الجهاز السرى ، وافاد بان الهضيبى كان يرجع اليه فقط فى الامور الجليلة لا فى التفصيلات .. وكانت الجماعة تمارس حرب منشورات لتعبئة الراى العام ضد المعاهدة مستخدمة فى منشوراتها لغة الدين لاثارة روح الحماسة والتضحية فى نفوس الاخوان ، كما اصدر الجهاز السرى مجلة سرية بعنوان « الاخوان فى المعركة ».

وبينما كانت جماعة الهضيبى تمارس ذلك النشاط السرى ، كانت تتعرض لمعارضة فريقين هامين من الاخوان هما فريق خميس حميدة وكيل الاخوان ونائب المرشد وفريق صالح عشماوى ورفاقه المفصولين من الجماعة والذى كان يصدر مجلة « الدعوة »، وكان الجهاز السرى برئاسة يوسف طلعت فى صف الهضيبى ومجموعته ، كما كان الخلاف حول الموقف من الثورة بين مجموعة مؤيدة لها يترأسها خميس حميدة ومجموعة معارضة للثورة برئاسة الهضيبى .. وقد نتج عن صراع الفريقين ان عقد اجتماع للهيئة التأسيسية فى ٢٣ سبتمبر برئاسة خميس حميدة حضره ١٤٧ عضوا واستمر ١٨ ساعة انتهزت مجموعة الهضيبى خلالها مغادرة معظم الاعضاء الاجتماع واتخذوا قرارا بحل الهيئة التأسيسية وتجديد البيعة للهضيبى مدى الحياة وتعديل قانون الجماعة فيما يتعلق بانتخاب الهيئة التأسيسية وسلطة مكتب الارشاد ومسئوليته وأعلن عبدالقادر عودة هذه القرارات للصحافة باعتبارها تتفق علميا من قبل جميع الاخوان .. فصدمت جماعة صالح عشماوى الذى كتب مقالا خطيرا بعد أساس فكرة التكفير والهجرة التى اعتنقتها « جماعة المسلمين » التى عرفت باسم جماعة التكفير والهجرة فيما بعد .. والمقال بعنوان « هجرة وتمييز » اتهم فيه دعوة الاخوان بالانحراف ودعا الى الهجرة لتمييز العناصر الطيبة من الخبيثة .. ثم اسفرت جهود الفريق المعارض للهضيبى من اعضاء الهيئة التأسيسية المنحلة (٧٠ عضوا) عن اجتماع فى ٢٠ اكتوبر اتخذوا فيه قرارات تعتبر المرشد فى اجازة وتلغى مكتب الارشاد القائم وكذلك قرارات الفصل والايقاف وتكوين لجنة مؤقتة لادارة شئون الجماعة ، ثم عقد اجتماع مشترك بين مكتب الارشاد واعضاء الهيئة التأسيسية المنحلة اسفر عن ضم اعضاء من الهيئة التأسيسية المنحلة الى مكتب الارشاد المؤقت وتأجيل اجراءات الانتخابات ، ونوقش خلاله التعديل المراد ادخاله على القانون الأساسى للجماعة . ويرى المؤلف ان معنى هذه التغييرات هو اسقاط الحكم الفردى الذى يمثله الهضيبى والذى ورثه عن البناء وانتقال القيادة الى مكتب الارشاد الذى لم يكن له اية سلطة من قبل .

- اما الفصلان الثانى عشر والثالث عشر فيتناولان حادث المنشية لاسقاط حكم عبدالناصر واجراءات المحاكمة وعناصرها ثم القضايا الفكرية التى طرحتها . وقد اشار المؤلف فى البداية الى التمزق الذى اصاب الجماعة والذى افسح المجال لنزول الجهاز السرى الى الميدان .. كما ذكر ان فكرة استخدام العنف قد طرحت فى الاجتماعات السرية لمكتب الارشاد تحت رئاسة الهضيبى ، وكان عبدالمنعم عبدالرؤف قد اقترح بعد هروبه من السجن اعداد اربع أو خمس فصائل مسلحة ترتدى ملابس رجال البوليس الحربى وتقوم باقتحام مجلس الوزراء واحتلاله ، وان يوسف طلعت اعترف بهذه الخطة اثناء المحاكمة ، كما جرت اتصالات بين الهضيبى ونجيب للقيام بتحرك داخل الجيش ليفرض على عبدالناصر ومجلس قيادة الثورة الانسحاب الى ثكناتهم وان الخطة كانت تتضمن تدبير عبدالقادر عودة مظاهرات يتولى التنظيم

السرى حمايتها . ولكن لم تلبث هذه الفكرة . فكرة المظاهرة السلمية او المسلحة التى تعقبها الاغتيالات ، ان سقطت بسبب خوف القيادة السياسية وترددها . وعندئذ احس التنظيم السرى بأنه لم يعد امامه سوى الاعتماد على نفسه ، والتصرف منفردا تبريرا لوجوده ، ويذكر المؤلف انه لما كانت فكرة المظاهرة قد استبعدت ـ وهى فضلاً عن ذلك خارج نطاق اختصاصه ـ فهذا يفسر الخطة الجديدة التى طرحها فى ذلك الحين ، والتى تقوم على البدء بالاغتيال !

واضاف المؤلف ان خطة الاغتيال كانت تقوم على ان يعتمد محمود عبداللطيف على نفسه فى تدبير مقتل عبدالناصر ، وكان هذا هو سبب مفاجأة الجميع بالحادث حيث خرج الأمر الى يد محمود عبداللطيف وحده منذ ان تسلم المسدس من هنداوى دوير عن طريق ابراهيم الطيب . وقد ادلى ثلاثتهم بأقوالهم اما ما سمى بمحكمة الشعب حتى استكملت صورة الحادث ، واستنتج المؤلف من عرضها اثبات مسئولية التنظيم السرى عن حادث المنشية مسئولية كاملة (ص ٢٤٢) اما عن مسئولية القيادة السياسية للاخوان فذكر ان هذه قد دب فيها الاقسام وتفسخت تحت ضغط الصراع مع عبدالناصر حتى ان الهضيبى قدم استقالته الى نائبه عودة وظل عضوا فقط فى الهيئة ، وان كان المؤلف يذكر ان عدم صدور امر من القيادة السياسية بارتكاب الحادث ليس معناه اخلاء مسئوليتها ذلك ان التنظيم السرى هو جهاز الاخوان وانه اذا كانت قد فقدت سيطرتها عليه فان هذا لا يقلل من مسئوليتها بل يضاعفها على حد تعبيره .

ثم صدر كيف سقط هذا التنظيم الكبير فى يد البوليس بسهولة بعد فشل خطة الاغتيال وكيف حاول الاخوان بواسطة عبدالقادر عودة اجراء تسوية للمسألة ومصالحة مع عبدالناصر ولكنه اعتبر ذلك خدعة جديدة منهم . وانتقل المؤلف بعد ذلك لدراسة اركان المحاكمة فخلع على جمال سالم رئيس محكمة الشعب صفة القاضى ، وذكر انه عاملهم اثناء التحقيق معهم بقسوة شديدة وسخر منهم واهانهم اهانات بالغة وجعل المحكمة ساحة للتشفى والانتقام ، وذكر ان عودة فند التهم الموجهة ضده تفنيدا دائما لينفى صلته بالجريمة ، ومهارة جمال سالم فى الايقاع بين المتهمين واستغلاله تلك اللحظات التعسة من لحظات الضعف البشرى وتخفف المتهمين حتى من مبادئهم طمعا فى مجرد الحياة وخسرانهم المبدأ والحياة معا .. ومن ثم تتابعت اعترافات المتهمين على بعضهم البعض وتطوعهم بتفصيلات دقيقة تتناول شتى دقائق التنظيم السرى نتيجة التعذيب والضرب الذى تعرضوا له ونتيجة لاهتزاز ثقة الكثيرين منهم فى النظام السرى وجدواه .. ويرد المؤلف على زعم الاخوان بأن الاقوال التى ادلى بها المتهمون كانت من وضع البوليس السياسى ويذكر ان ذلك يحمل معنى الاستخفاف بعقول الناس لأنه ـ على حد قوله ـ لا يوجد بوليس فى العالم يؤلف اقوالا يستغرق الادلاء بها ١٦٥٠ صفحة ويحمل الناس) القائها كما يجرى فى المسرحيات وحدوث مواجهات بين المتهمين وصدامات فى الرأى بينهم وبين جمال سالم كما ان هذا الاخير كان اهتمامه منصبا على الناحية السياسية من المحاكمة لا الناحية التاريخية .. على كل حال انتقل المؤلف لتبيان كيف تبرأ المتهمون من التنظيم السرى وانكار الارهاب ويعلل ذلك ليس بالجبن والخور فى العزيمة من جانب اعضاء التنظيم مما دفعهم لالتماس النجاة على حساب المبدأ ، ولكن السبب فى رأيه هو افاقتهم من الخديعة الكبرى والممثلة فى الفرق بين الأهداف والمثل التى التحقوا بالتنظيم لتحقيقها وبين النتائج الهزيلة التى تمخض عنها التنظيم .. استعرض المؤلف بعد ذلك المواجهات التى تمت بين جمال سالم وكل من يوسف طلعت وخميس حميدة وحسن الهضيبى منتقلا بعد ذلك الى طرح القضايا الفكرية التى ظهرت خلال المحاكمة عن الحكومة الاسلامية التى قرر بشأنها ان الاخوان لم يقدموا اجتهادات فكرية فى هذا الشأن من واقع ان البناء كان يرى ان مهمة الجماعة ليست تأليف كتب وانما تكوين افراد ، ثم انكار الاخوان عن المسألة القومية وافاد بأن حدود فكرة الوطن فى ذهن الاخوان تنصب على الوطن الاسلامى كله بحيث لم ترد كلمة الوطن العربى على لسانهم ، واخيرا مناقشة قضية قتل المسلم ومشروعيتها واجماع اعضاء التنظيم السرى ـ خلال المحاكمة ـ مع تحريم القتل السياسى .

ـ أما الفصل الرابع عشر والأخير «الاخوان المسلمون وحركة ١٩٦٥» فقد ... يوسف فى عجالة إخراج عبد الناصر عن الاخوان بعد التغيرات التى حدثت فى الجبهة الداخلية لصالحه . حتى خرج الاخوان من السجون عاجزين عن استيعاب التغيرات السياسية والاجتماعية التى حدثت أثناء محنتهم .. ثم بداية دخول تكتلهم فى طور جديد بنشاطات زينب الغزالى وعبد الفتاح اسماعيل «لتنظيم صفوف الجماعة واعادة نشاطها» ثم بلورة ايديولوجية سيد قطب حول جاهلية المجتمع المعاصر والمنهج الاسلامى الجديد ثم البعث الاسلامى وغير ذلك مماورد بكتابه «العالم على الطريق» الذى نظر الى المجتمع المحيط بالاخوان على انه ليس مجتمعا اسلاميا وإنما هو مجتمع جاهلى . وكان هذا هو أساس فكرة التكفير ومن ثم كانت أيديولوجية سيد قطب تقوم على التربية الطويلة والتحول البطىء للمجتمع الجاهلى الى مجتمع اسلامى .. ثم ختم المؤلف دراسته بتصوير كيف «تورط» سيد قطب فى حركة ١٩٦٥ التى اكتشفت أبعادها واعتقل على اثرها مع العديد من القادة مماادخل الاخوان المسلمين فى محنة كبيرة لم تقل هولا عن محنة ١٩٥٤ .

ـ وأهمية الدراسة ودقة وحساسية موضوعها وحداثته ، وكذلك ماعرف عن مؤلفها من القدرة على اصدار الاحكام وسعة الصدر فى الحوار والمناقشة، الأمر الذى ظهر خلال ملاحقها الطويلة، كل هذه الأمور تبيح لنا أن نشترك ببعض المناقشات والتساؤلات فيما يتعلق بمسائل منهجية على الأكثر، وهى ماتعنينا، أكتفاء بما أثارته وتثيره ممايتصل بالنواحى التاريخية والسياسية والتى رأى أصحابها من خلال حوارهم مع المؤلف أن آراءه تحتاج الى بعض المراجعات

ـ وأول هذه التساؤلات يتعلق بالفترة الزمنية التى تعالجها الدراسة، فرغم انها لم تحدد فى عنوانها الا أن الدراسة تتوقف عند عام ١٩٥٤ تقريبا، وان كان الفصل الأخير، قد جذب القارىء الى الستينات متخطيا الحاجز الوهمى ـ الفاصل بين البحث التاريخى والمقال السياسى ، فجاء هذا الفصل فى عجالة شديدة (سبع صفحات خلت من التوثيق التاريخى) حبذا لو أن المؤلف كان قد أشار الى أفكاره الواردة فى هذا الفصل اشارة سريعة فى إحدى فقرات الخاتمة ليقف بنا عند عام ١٩٥٤ حين ألمح فى مقدمة الدراسة الى أن محورها هو حادث المنشية .. الذى تكمن اهمية دراسته هنا، من وجهة نظرنا فى تفجير القضية ذاتها ودعوة الأطراف الذين اشتركوا فيه للادلاء بشهاداتهم للتاريخ، ذلك أن الحقيقة تحتاج الى مزيد من المصادر والشهادات، على اختلاف اتجاهاتها وانتماءاتها .

ـ وهناك نقطة أخرى آثارها المؤلف فى حواره مع صلاح شادى تتصل بالمنهج، حين ذكر أنه «يريد أن يعرض للاخوان فى الصورة التى تخيفهم من أنفسهم ليستفيدوا من هذه الأخطاء ...» (ص ٤٤٩) وربما كان هذا هو الذى جعل محاوره يرد عليه مذكرا بأن رسالة المؤرخ تفقد موضوعيتها اذا توخى شيئا غير استنباط الحقائق من وراء الأحداث .

ـ هل مجلدات «محكمة الشعب» السبعة تمثل بالفعل الوثائق الأهلية «وحدها» أو هى الوثائق الرسمية كما وصفها المؤلف (ص ٢٦٣) وكما كتب عليها حين نشرها ... وأليست هناك مصادر أخرى للمحاكمة غير هذه التى أصدرتها الحكومة أو حتى وافقت عليها وهى خصم الاخوان؟

ـ لقد أورد المؤلف فصولا صغيرة الحجم تتناول موضوعا واحدا، او انها تتصل بموضوع واحد اتصالا عضويا وربما يكون من الأفضل لو أدمجت فى فصول محددة يعالج كل منها موضوعا قائما بذاته مثال ذلك : الفصول من الخامس حتى الثامن تعالج موضوعا أساسيا واحدا هو موقف الاخوان من الثورة قبل حادث المنشية . كذلك الفصول من التاسع حتى الحادى عشر وتعالج موضوع التشكيل السرى الجديد

للاخوان ونشاطه ، أما الفصلان الثاني عشر والثالث عشر فموضوعهما حـدث ١٩٥٤ ومحاكماته .

ـ وأخيرا ذلك التساؤل الذي يمكن أن يثيره انتماء محمود العيسوي قاتل الدكتور أحمد ماهر لجماعة الاخوان المسلمين ، هل يعد هذا الانتماء صحيحا لمجرد اثبات أن انتماءه للحزب الوطني كان انتماء صوريا ، وهل يجوز للمؤرخ أن يقول « . . إذا صح أن اغتيال احمد ماهر كان من تدبير الاخوان ، فان هذه تكون المرة الأولى التي يستخدمون فيها العنف » ص ٦٠ ـ أيصبح من حقنا تعليق قضية تاريخية هي من صميم دراستنا هذه ، على هذا النحو ثم نخرج منها بهذا الاستنتاج الذي لالبس فيه ؟

على كل حال الدراسة مثيرة ومجددة للأذهان والاشجان كدأب الدكتور عبد العظيم في دراساته الأخيرة التي أثرت المكتبة التاريخية ولاتزال .

د . أحمد زكريا الشلق

□ □ هـاني عبد الوهـاب المرعشـلي ـ التجـديد في الفـكر الاسلامي المعاصر : دراسة في فكر جمال الدين الافغـاني ـ رسـالة مـاجستير ـ كلية الآداب قسـم الدراسـات الفلسـفية ـ جـامعة الاسكندرية ـ ١٩٨٢ □ □ .

يعتقد بعض الاكاديميين أن باب مدرسة افلاطون لايفتح الا لدارس القديم ، أي أن البحث الاكاديمي لايستوفي شروطه إذا انصب على دراسة ظاهرة حديثة أو مفكر حديث . وهـو اعتقـاد جامد وضار في أن معا ، إذ يؤدي الى عزلة الفكر عن الحياة .

وموضوع الرسالة التي نتناولها هنا هو جمـال الدين ، وهـو مفكر حسن الحظ كما يذهب الباحث إذ ظفـر بجهـد البـاحثين ، وتوفر عليه النظر والبحث باللغات العربية والاوربية » .

ورغم هذا فان جمال الدين يحتاج للمزيد مـن النظـر والبحـث خاصة وأن هناك حتى الآن « ارشيفا هائلا عنه يتضـمن أوراقـه الخاصة » لم يطلع عليه الباحثون باللغة العربية على كثرتهم .

ولهذا كان اختيار موضوع الرسالة يشكل تحديا للباحث إذ عليه في هذه الحالة أن يأتي بجديد أو أن يطل على جمال الدين إطلالة لم يسبق اليها أحد ، وهو أمر أعتقد أن الباحث نجح فيه الى حد كبير فنحن من أجله لجنة المناقشة التي ضمت الاستاذ الدكتـور محمـد أبو ريان والاستاذ الدكتور عاطف العراقي والاستاذ الدكتور علي عبد المعطي ـ تقدير ممتاز .

وتقع الرسالة في ٣٤٩ صفحة وقد قسـم البـاحث الى مقـدمة وتمهيد وبابين وفصل ختامي هـو خـلاصة مـا انتهـى اليه في دراسته .

في المقدمة ذكر الباحث أهمية موضوع التجديد على المسـتويين اللفكري والحركي ، وأوضـح أنه سـيتبع في دراسـته المنهـاج التحليلي والتاريخي المقارن بأعتباره أفضل المناهج ملاءمة لجمـع وتفتيح الحقائق والاحكام وربط بعضها ببعض في « سياق معقول تتوفر فيه شرائط التحقيق التاريخي والعرض المنطقي » .

اما في الفصل التمهيدي فقد خصصه الباحث للحـديث عن عصر جمال الدين وعرض لحالة أوربا والدولة العثمـانية وحـالة الشرق عموما . ثم عرض فيه للاطار العام لظهور جمال الدين .

وفي هذا الفصل ايضا ، قام الباحث بالوقوف عند مشكلة سيرة جمال الدين ، وعرض عبر سياحة مستفيضة بين المصادر المختلفة لآراء القائلين بسنيته أي بأصله الافغاني وآراء القائلين بشـعبيته اي بأصله الايراني .

وتناول الباحث في البـاب الاول الفلسـفة السـياسية لجمـال

الفصل الأول : تحدث عن فكرة الوحدة والجـامعة الاسـلامية حيث عرض لثلاثة اتجاهات بخصوصها . وكان رأي الباحث بعـد أن عقب على تلك الاتجاهات أن جمال الدين تحـدث عن الوحـدة القومية ووحدة المشرق أكثر من الحديث عن الوحدة الاسـلامية . وهنا قام بنشر نصوص لأول مرة تأكيدا لوجهة نظره .

في الفصل الثاني : تحدث عن مفهوم الحرية والديمقـراطية عند جمال الدين حيث استعرض عنده معاني الحرية ثم معاني السلطة

والامة ثم معانى الدستور والحكم سواء إكان جمهوريا إم نيابيا دستوريا . وعرض لرايه فى الاحزاب السياسية ، واخيرا مفهوم جمال الدين عن فكرة المستبد العادل ونظرية الحكم الالهى . الباب الثانى خصصه الباحث للفكر الفلسفي والاصلاحي لجمال الدين ، وقسم الى فصلين .. عرض فى الفصل الاول لموقف جمال الدين من المادية والمذهب المادي من خلال رسالة « الرد على الدهريين » أوضح انها عبارة عن مجموعة من الاخطاء والخلط بين المفاهيم العلمية والسياسية .

اما فى الفصل الثانى فتناول فيه الطريق العقلي للقضاء على التحجر الفقهي والجمود الفكرى عند المسلمين .

وعرض فيه لمفهوم الفلسفة والعقل عند جمال الدين وكيفية الاجتهاد بالرأى وتفسيرات جمال الدين لعديد من المسائل الهامة مثل الاسلام والنبوة والقرآن والانسان والعالم واخيرا انتهى الباحث بفصل ختامي يعد أهم اجزاء رسالته حيث خلص الى النتائج الآتية :

١ ـ أنه بغض النظر عن الخلاف حول سنية وشيعية جمال الدين ، فانه كانت له دعوة أخرى غير دعوى التذهب ، بل انه نادى بالتقريب بين المذهبين . والمدخل الصحيح لدراسة فكره هو مدخل التجديد وإعلاء شأن العقل فى دراسة وفهم الاسلام .

٢ ـ أن فكر جمال الدين أتسم بالتناقض والغموض ، وكانت فكرة الدين لديه وسيلة لاغاية .

٣ ـ أنه ليس هناك من دليل على انه آمن بفكرة الجامعة الاسلامية أو نادى بها ، انما كان يؤمن بالاطار الشرقي لا الاسلامي . ولهذا كانت الفكرة القومية هي لب دعوته ومحط أهدافه .

٤ ـ كان جمال الدين من أنصار فكرة فصل السلطات . فنادى بسلطتين : زمنية وروحية . كما أنه لم يؤمن بنظام الحكم الجمهورى ، ورفض قيام الاحزاب وآمن بفكرة المستبد العادل .

٥ ـ جاء موقف جمال الدين من المذهب المادي كما تمثل فى رسالته « الرد على الدهريين » موقفا متهافتا بالنسبة لما تعرض له من نظريات علمية على عكس ما هو شائع عنها .

٦ ـ قام جمال الدين بمحاولة جاهدة للتقريب بين ما هو وضعي وما هو إلهي . وتمثل ذلك بوضوح فى قبوله التوحيد بين النبوة والفلسفة ثم فى مطابقته بين الوحي والعقل ، وهذا معناه انه كان أقرب للفلاسفة منه الى علماء الكلام .

٧ ـ الانطباع القوى والبارز الذى تؤكده الدراسة ان كافة المعطيات بالنسبة لجمال الدين ـ (الفكر ، العمل ، الدين .. الخ) إنما كانت مجرد وسائل توظف لغاية واحدة هى السياسة ، لذلك لم يتبق من جمال الدين سوى الثائر المحرك ، او كما قيل عنه ـ جمال الدين الذى « كان يأخذ السوط بيمناه ، ويوزع الثورة بيسراه » .

وبعد ، فان هذه الدراسة تثير قضايا جادة وهامة وتضع على محك التساؤل الكثير من المسلمات القديمة فى وقت يعاد فتح ملف الاسلام ومفكريه فى الشرق والغرب على السواء ، ولهذا تستحق التهنئة لان الباحث خاصة فى موضوع قديم جديد وعاد منه بنتائج تستوقف الفكر والنظر .

صلاح أبو النجا

□ □ الوجود الاسرائيلي والعربي فى افريقيا ـ دراسة اقتصادية سياسية ـ د . محيات امام الشرابي ـ الناشر : دار المعارف ١٩٨٢ □ □

يقع الكتاب فى عشرة فصول . تتناول تباعا اسباب اهتمام اسرائيل بالقارة الافريقية وأهداف التغلغل الاسرائيلي والعوامل التى هيأت له والوسائل التى استخدمتها لتنفيذه ، مشيرة الى ان الوضع الجيوبوليتيكي لإسرائيل قد خلق لها اهتمامات بافريقيا ، وان المقاطعة العربية لاسرائيل مع اغلاق قناة السويس فى وجه الملاحة الاسرائيلية جعل اسرائيل تهتم بخليج العقبة الذى يعطيها اتصالا بافريقيا . ففى عام ١٩٦٠ حصلت معظم الدول الافريقية على استقلالها ، ولما كانت هذه الدول تواجه بعد الاستقلال مشاكل التخلف الاقتصادى ومحاولة اقامة شخصية دولية بالاضافة الى عدم وجود كوادر لبناء الدولة أن استغلت اسرائيل كل هذه العوامل وسارعت فى الاعتراف بهذه الدول واقامة علاقات دبلوماسية معها وابرام اتفاقيات فى المجال الاقتصادى وتوطيد أواصر التعاون الفنى والثقافى وايفاد الخبراء . هذا وتظهر أهداف التغلغل الاسرائيلي فى افريقيا فى :

(١) كسب الرأى العام الافريقى والحصول على تأييده فى مواجهة الرفض العربى لها فى المحافل الدولية .

(٢) الخروج من العزلة .

(٣) تحقيق الأهداف الاستراتيجية لنظرية الأمن الاسرائيلى عن طريق تطويق الدول العربية وخاصة مصر وحرمانها من أى نفوذ داخل القارة ، وتهديد أمن الدول العربية المعتمدة على النيل وخاصة مصر بمحاولة زيادة نفوذها فى الدول المتحكمة فى مياه النيل من منابعه مع التركيز على اقامة مشروعات زراعية تعتمد على سحب المياه من بحيرة فيكتوريا مستغلة فى ذلك العداء التاريخى بين اثيوبيا والعرب وامكاناتها فى التأثير على السياسة الاوغندية بجانب قيامها بتشجيع جنوب السودان فى حركاته الانفصالية .

(٤) العمل على خلق تيار مناهض للعرب عن طريق بث الدعايات المغرضة ومحاولة الحصول على تسهيلات عسكرية فى دول القارة ، واستخدام بعض الدول الافريقية كقاعدة للتجسس على الدول العربية .

ثم أبرزت الباحثة العوامل التى هيأت للتغلغل الاسرائيلى فى القارة الافريقية وساعدت على نجاح اسرائيل فى تنفيذ مخططاتها للتسلل ، مثل :

(١) التراث الحضارى الغربى وتشرب القيادات الافريقية له .

(٢) دور الجاليات اليهودية فى افريقيا فى دعم الهدف السياسى لاسرائيل .

(٣) كيف وجدت الدول الاستعمارية فى اسرائيل بديلا لها تمكن من خلاله المحافظة على ما يمكن المحافظة عليه من مصالحها فى هذه البلاد .

(٤) تولى عناصر عسكرية تلقت تدريبها العسكرى فى اسرائيل زمام الامور فى دول القارة .

(٥) انبهار بعض الدول الافريقية النامية بالنصر العسكرى لاسرائيل فى يونيو ١٩٦٧ .

(٦) امتلاكها اسطولا تجاريا ضخما .

كل ذلك في ظل غياب المنافسة العربية والتى تعتبر اهم العوامل السلبية التى استفادت منها اسرائيل لتحقيق وجود راسخ في افريقيا ، وكذا عدم وجود سياسة عربية موحدة ذات اهداف واضحة تجاه القارة ، مع ضعف البنيان الاقتصادي العربى . وقد تبنت اسرائيل عدة وسائل في تنفيذ مخططاتها للتسلل لافريقيا اهمها تبنيها رسميا لوجهة النظر الافريقية من المشكلات التى تواجهها القارة مثل استنكارها للعنصرية البيضاء في جنوب افريقيا وموقفها من مشكلة روديسيا وتأييدها لحق جميع الدول الافريقية في الاستقلال وان كان واقع اسرائيل خلاف ذلك حيث انها في قرارة نفسها تؤيد الحركات الانفصالية في افريقيا ويتضح ذلك من موقفها من مأساة كل من جنوبى السودان وازمة زائير والحرب الاهلية في نيجيريا .

اما عن تطور العلاقات الاسرائيلية الافريقية ، فتم على ثلاث مراحل : الاولى مرحلة الاستطلاع من ١٩٤٨ حتى ١٩٥٧ ، والثانية مرحلة التغلغل والاقتحام من ١٩٥٧ الى ١٩٦٢ ، والثالثة مرحلة الدعم من ١٩٦٢ حتى ١٩٦٧ . واذا كان عام ١٩٦٧ يمثل ذروة النشاط الاسرائيلى في افريقيا فهو في الوقت نفسه يمثل بداية التدهور الفعلي في اتجاه العلاقات الافرواسرائيلية ، ويرجع ذلك الى مجموعة من الاسباب العديدة والمتداخلة ادت الى بلورة الموقف الافريقى الجديد تجاه اسرائيل والذى يتسم بالرفض الجماعى لها ، وقد انعكس هذا على اجراءات القطع الجماعى للعلاقات الديلوماسية بين اكثر من ٢٩ دولة افريقية واسرائيل عقب حرب اكتوبر ١٩٧٣ . هذا وتعتبر الباحثة الفترة ما بين ١٩٦٧ حتى ١٩٧٣ مرحلة تدهور في العلاقات الافرواسرائيلية .

اما عن مظاهر النشاط الاسرائيلي في افريقيا ، فيقوم على مرتكزين اساسيين :

الاول : مرتكز ذاتى في الخبرات الفنية والقوى البشرية المدربة والفائضة عن حاجة اسرائيل كاثر للتقدم التكنولوجي بها :

والثاني : مرتكز غير ذاتي تمثل في قدرة اسرائيل على تمويل مخططها من مصادر العون الاجنبى :

يضاف الى ذلك دعم الدول الاستعمارية لها ماليا وسياسيا ، وضغط اجهزة الصهيونية العالمية مع اسواق المال في العالم :

ثم توضح الباحثة كيف ان اهتمام اسرائيل بافريقيا اصبح لا ينحصر في اقامة علاقات تجارية تهدف الى زيادة حجم التبادل بينها وبين الدول الافريقية ، بل يتعداه الى تقديم جميع المساعدات الفنية والاقتصادية لكثير من هذه الدول . وهكذا وجدت اسرائيل ضالتها في الاسواق الافريقية حتى تطلع شمس ذلك اليوم الذي تتمكن فيه اسرائيل من تطويع الاسواق العربية .

وعن النشاط العسكري بين اسرائيل والدول الافريقية ، فقد تنوعت الاساليب العسكرية التى تلجأ اليها من اجل استكمال دائرة نفوذها وسيطرتها المباشرة علي المؤسسات السياسية في القارة ، فتنوعت من الاشراف الي انشاء مدرسة للمظليين في الكونغو برازافيل الي اقامة القواعد العسكرية ومراكز الاستخبارات واقامة مدرسة عسكرية في اريتريا لتدريب الاثيوبيين علي حرب العصابات ، والقيام بدور هام في تدريب وتسليح العديد من الجيوش الافريقية سواء في اسرائيل او عن طريق خبرائها العسكريين في دول القارة ، وتدريب الشباب الافريقي على غرار النحال والجدناع ، بالاضافة الي تدريب الطلبة الافريقيين في مجالات الطيران والبحرية في تنزانيا وساحل العاج وغانا وكينيا وليبيريا ، والمشاركة بقوات رمزية اسرائيلية في اعياد استقلال الدول الافريقية : وحرصها على توثيق العلاقات الشخصية بين العسكريين الاسرائيليين والافريقيين ، فتبادل الزيارات العسكرية حققت هدفا هاما تمثل في خلق جماعات من العسكريين الافريقيين تبهرهم التجربة الاسرائيلية وتعمق ايمانهم بدور واهداف ومنجزات المؤسسة العسكرية باسرائيل .

اما عن دور المخابرات الاسرائيلية في القارة ، فتبرز اهميته في انشاء قسم خاصا بافريقيا به يقوم بالآتى :

(١) جمع المعلومات عن الدول الافريقية والقوى السياسية والاجتماعية والاقتصادية فيها .

(٢) تقديم تقارير دورية عن التطورات السياسية المتوقع حدوثها في الدول الافريقية .

(٣) تبادل التقارير بصفة منتظمة مع السفارات الغربية في الدول الافريقية .

(٤) اقامة مراكز تجسس على الدول العربية الافريقية .

هذا وقد ساهمت عدة عوامل في تدهور العلاقات الاسرائيلية الافريقية منها الذاتية كافتقارها للمصادر التمويلية واعتمادها اساسا على المساعدات الاجنبية لسد العجز في ميزانها التجارى ومشاكل اقتصادية داخلية كالتضخم وزيادة الضرائب والنقص في احتياطى النقد الاجنبى ، ثم موقفها من بعض القضايا الافريقية حيث تنبهت الدول الافريقية اخيرا الى موقف اسرائيل ازاء كثير من القضايا الافريقية مثل قضايا الاستقلال وتأييدها لحركات الانفصال والتعاون مع الانظمة العنصرية في افريقيا . ثم هناك العوامل الموضوعية : كالتغييرات التى طرأت على خريطة العلاقات الدولية والخريطة السياسية لافريقيا منذ عام ١٩٦٠ حتى عام ١٩٧٣ حيث دخلت عوامل ساعدت على تذبذب موقف اسرائيل في القارة تمثل في خسرانها تأييد قطاعات كبيرة من الراى العام الافريقى بسبب تواطئها مع المعسكر الاستعمارى المعادى لحركات التحرر الوطنى الافريقى ، وظهور بعض التناقضات بين المصالح الاسرائيلية ومصالح الدول الاستعمارية وتبلور هذا الصدام في المنافسة الحادة التي واجهتها السلع الاسرائيلية من المنتجات الفرنسية والبريطانية والامريكية واليابانية ، والتناقضات بين اسرائيل والدول الاشتراكية ، ثم التقارب العربى الافريقى باعتباره ابرز الاسباب التى حدت وقلصت من التغلغل الاسرائيلى في افريقيا بل انه اسهم في انكماشه وتدهوره في عديد من الدول الافريقية .

عادل السالوسي

□□ نبيل محمود عبد الغفار – السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربى – الأسرائيلى – رسالة ماجستير – كلية الأقتصاد والعلوم السياسية – الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٢ □□

تناول هذا الكتاب الذى نقدم له هذا العرض ، السياسة الأمريكية تجاه فترة من أهم وأحدث فترات النزاع العربى – الأسرائيلى ، تلك الفترة المحصورة بين حرب اكتوبر سنة ١٩٨٣ وحتى اتفاقية كامب ديفيد سنة ١٩٧٨ ، وذلك فى ثلاثة ابواب تعدت صفحاتها ثلاثمائة صفحة ، والكتاب فى الأصل هو رسالة ماجستير قدمت الى كلية الأقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة لنفس المؤلف ....

والكتاب ينقسم الى ثلاثة أبواب ، يتناول فى الباب الأول : الأستراتيجية الأمريكية تجاه منطقة الشرق الأوسط .

أما الباب الثانى ، فقد تناول السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربى – الأسرائيلى فى الفترة من حرب أكتوبر سنة ١٩٧٣ وحتى سبتمبر سنة ١٩٧٥ ، وفى الباب الثالث ، تضمن السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربى – الأسرائيلى فى الفترة من سبتمبر سنة ١٩٧٥ وحتى سبتمبر سنة ١٩٧٨ ، ... .

ويتناول الكتاب بالتحليل القضايا الكبرى التى سيطرت على السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربى – الأسرائيلى فى تلك الفترة وهى أندلاع حرب أكتوبر ، وعقد اتفاقيات الفصل على الجبهتين المصرية والسورية من خلال دبلوماسية « الخطوة – خطوة » الأمريكية ، ثم دبلوماسية الرئيس الأمريكى كارتر التى عرفت « بالدبلوماسية المفتوحة » .

هذا الى جانب مبادرة السلام المصرية فى نوفمبر سنة ١٩٧٧ ، وما أسفرت عنه من مباحثات شاركت فيها الولايات المتحدة الأمريكية سواء فى إطار اللجنة السياسية أو مؤتمر ليدز او مؤتمر كامب ديفيد الذى أثمر فى نهايته عن عقد اتفاقيتى كامب ديفيد فى سبتمبر سنة ١٩٧٨ ولكننا سوف نعرض البعض من تلك القضايا الأساسية بشئ من الأيجاز :

النقطة الأولى هى تطور الأستراتيجية الأمريكية تجاه الصراع العربى – الأسرائيلى منذ الحرب العالمية الثانية وحتى حرب اكتوبر سنة ١٩٧٣ . وفى هذا الصدد نرى أن المؤلف قد بدأ بطريق بعيدة بعض الشئ عن الموضوع المباشر للبحث ، خاصة أن تلك الفترة لاتمثل الجذور او اى أستمرارية للفترة محل البحث ، وذلك بتأكيد المؤلف نفسه ، فقد توصل الى أن حرب اكتوبر كانت بمثابة عامل محورى فى التحول الذى حدث للسياسة الأمريكة تجاه الصراع العربى – الأسرائيلى .

فبلاشك أن الباب الأول من الكتاب والذى تناول تلك النقطة بالتفصيل جاء وكأنه دراسة منفصلة عن الأبواب التالية له ، فهى لاتمثل أى أستمرارية له ، ولم يعقد المؤلف ثمة مقارنة لأظهار التناقض بين السياستين الأمريكية فيما قبل حرب سنة ١٩٧٣ وما بعدها ، إذن ليس هناك اى هدف للمؤلف من التطرق الى تلك المرحلة ، سوى ارتكانه للمعرفة التى اصبحت فى متناول الجميع ، خشية القصور فى دراسة فترات حديثة ..

السياسة الأمريكية – وحرب اكتوبر سنة ١٩٧٣

لعل النقطة الرئيسية فى هذا الجزء ، والتى يحاول المؤلف التأكيد عليها ، هى إخفاق الولايات المتحدة فى التنبؤ بحرب اكتوبر ، وذلك لأن الحرب كانت مفاجأة بالنسبة للأدارة الأمريكية التى اخطأت فى الحسابات والتقديرات بشأن قدرة الطرف العربى على المبادأة وإتخاذ قرار الحرب ، او شن هجوم على إسرائيل . ويستمر الكاتب فى تقديم الدلائل على تلك الحقيقة ، ثم ينتقل الى اثر حرب اكتوبر على السياسة الأمريكية تجاه النزاع العربى – الأسرائيلى ، والتى يرى أنها كانت العامل الرئيسى لتحويل طرق معالجة الأدارة الأمريكية لمشكلة الشرق الأوسط من المحاولات المؤقتة الى بذل الجهود الكثفة للوصول الى اتفاق بين الأطراف المتنافسة .

ثم يستعرض المؤلف الأتصالات الدبلوماسية التى اجراها د . كيسنجر على الجبهتين العربية والأسرائيلية ، وكذلك التصريحات والقرارات وأيضا المواقف الأمريكية التى تشير الى تلك التحول عقب حرب اكتوبر .. ولعلنا فى هذا الجزء يمكن أن نلمس المنهاج التاريخى الذى اتبعه الكاتب فى معظم كتابه بالرغم من انه قد عمد فى مقدمة كتابه على التأكيد من انه سوف يتبع المنهاج التحليلى الى جانب المنهاج التاريخى وذلك من خلال اربعة مستويات وهى (مستوى النظام الدولى – مستوى الدولة – مستوى صنع القرارات – مستوى السياسات البيروقراطية) إلا ان الكتاب قد جاء فى صورة سرد للوقائع التاريخية ، واعتماده على عرض ما جاء فى الوثائق ومقالات الصحف او المراجع دون أن يقوم بالتحليل والتعليق عليها وتوظيفها من أجل الوصول الى الهدف محل البحث ، فلم يستخدمها كوسيلة ولكنه جعل منها هدفا فى ذاتها .

دبلوماسية الخطوة – خطوة

يوضح المؤلف خصائص تلك الدبلوماسية بالتفصيل فيصفها : بأنها تلك التى تهدف الى الأقتراب من المشكلة خطوة – خطوة فى سبيل وضع تسوية نهائية لها . وهى تعد نتاجا لأفكار ومفاهيم د . كيسنجر فى مواجهة الأزمات الدولية الساخنة ، كما انها دبلوماسية السلام المعلق والمنتظر . ويضيف المؤلف الى أن هدف تلك الدبلوماسية إنما هو خلق الأقتناع لدى الأطراف المتصارعة ..

ينكر المؤلف أن تلك الدبلوماسية الأمريكية لم تستخدم فى الشرق الأوسط الا بعد أن تهيأ لها المناخ الملائم لتقبل الدور الأمريكى الجديد ، أى بعد أن تم وقف إطلاق النار على الجبهتين المصرية والسورية ....

وبينما يؤكد المؤلف على أن جوهر تلك الدبلوماسية فى تلك الفترة قد أرتكز على إتباع الولايات المتحدة لأستراتيجية تقوم على تدعيم علاقاتها بإسرائيل من جهة ، وتحسين علاقاتها مع الأطراف العربية وتقديم دعم أمريكى نسبى لها من جهة أخرى ، وكذلك عدم بذل محاولات جادة لحل المشكلة الفلسطينية . وذلك من أجل دعم المصالح القومية للولايات المتحدة فى المنطقة ، وكذلك منع الأتحاد السوفيتى من ممارسة دور بارز فى المفاوضات . ولذلك عرض المؤلف الدور الأمريكى فى دعم وقف إطلاق النار ، وعقد مؤتمر جينيف من ناحية ، واتفاقيات الفصل على الجبهتين المصرية والسورية من ناحية أخرى ، وذلك فى خمسة مباحث ....

مما لاشك فيه أن المؤلف قد وفق فى تقديم الحقائق الأساسية المتعلقة بدبلوماسية الخطوة – خطوة ، وذلك بالرغم من حداثة تلك الفترة ، وندرة الكتابات فيها ، فقد وفق فى التعريف بها ، والخوض فى أبعادها ، وتقديم اهداف د . كيسنجر ، ومدى نجاحه فى تحقيق تلك الأهداف عن طريقها .

ولكن فى تقييم تلك الدبلوماسية ، نلاحظ أن المؤلف لم يحاول

تقديم تفسيرات مقنعة عن اسباب فشل او نجاح تلك الدبلوماسية ف الشرق الأوسط ....

دبلوماسية الرئيس كارتر « الدبلوماسية المفتوحة »

ف هذا الجزء يعالج المؤلف الابعاد الرئيسية لسياسة الرئيس كارتر تجاه الصراع العربي ـ الأسرائيلي من يناير سنة ١٩٧٧ وحتى مبادرة السلام المصرية ف نوفمبر سنة ١٩٧٧ ، هذا فضلا عن متابعة المؤلف لتلك السياسة ف الفترة التالية لها الى عقد مؤتمر كامب دافيد سنة ١٩٧٨ . ثم يأتي بنص لتلك الاتفاقيات ، وذلك ف ثلاثة مباحث ....

يؤكد المؤلف على عزم إدارة الرئيس كارتر على إتخاذ عمل مبكر بشأن مشكلة الشرق الأوسط والتي ترى ف أستمرارها ما يهدد أستقرار المنطقة ، ولذلك عمد الرئيس كارتر الى تقديم مقترحات ، وعقد مؤتمرات صحفية ، أستخدمها فيما بعد لتوجيه مسار الدبلوماسية الأمريكية ، مما دعا البعض الى تسميتها « بالدبلوماسية المفتوحة » .

كذلك يؤكد المؤلف على أن مواقف كارتر ازاء التسوية ف الشرق الأوسط قد جاءت جميعها وفقا لتأثره البالغ بالآراء والمفاهيم التى وردت ف وثيقة بروكينجز ، خاصة فيما يتعلق بضرورة التوصل الى تسوية شاملة ، يمكن أن تنفذ على مراحل ، وترتيبات وضمانات الأمن ، وعدم فرض حل معين على الأطراف ، مع إجراء تعديلات طفيفة ف الحدود متفق عليها .

وف رأينا أن المؤلف قد وفق ف هذا الجزء ، فجاء تحليله قريبا من واقع دبلوماسية الرئيس كارتر ، ولكن نفس النقد يمكن أن يوجه اليه ، نظرا لاعتماده على عرض ما جاء ف الوثائق الرسمية ومقالات الصحف اكثر من تحليله لها ....

ولعل من الأنتقادات التي يمكن أن توجه ايضا الى المؤلف ، هو انه قد انهى كتابه دون اى خاتمة تذكر ، يجمع فيها أهم النقاط التى تناولها الكتاب ، ويركز فيها على بعض النتائج والحقائق التى توصل اليها ، صحيح أن رسالته قد احتوت على خاتمة ، ولكن هذا لايمنع وجود خاتمة قوية للكتاب حتى تتكون صورة متكاملة لدى القارئ ....

وف الختام فنحن نرى أن الكتاب بلا شك قد اضاف الجديد والكثير الى المكتبة العربية ، وكم نحن بحاجة الى مثل تلك الدراسات الجريئة والعملية ...

حمدة حسن بدوى

مسعد ابو راية : عملية إتخاذ القرار ف سياسة الاردن الخارجية الضوابط والمقومات ـ رسالة دكتوراه غير منشورة ـ كلية الاقتصاد والعلوم السياسية جامعة القاهرة اغسطس ١٩٨٢

بداية ، نشير لتميز تلك الرسالة التي وقعت ف ٣٠٠ صفحة ، خاصة من حيث تناولها لموضوع جديد وحساس ف ان واحد . فقليلا ماتتناول اقلام الباحثين العرب سياسات ومشاكل بلادهم ومنطقتهم العربية . لذا حينما يجيء بحث بتناول مايمس اى شيء فيها غالبا مايلفت الانتباه . ومن هنا جاء الاهتمام بعرض هذه الرسالة التى تتناول صنع سياسة الاردن الخارجية والاهم من هذا ان الباحث هنا احد العاملين بالخارجية الاردنية « قنصل الاردن ف مصر ـ سابقا » لذا فهي تجيء من منطلق موقع مسئول . لتجمع بين الصنعة الاكاديمية والخبرة العملية ف ان واحد وهو ما لايتوافر ف اغلب الرسائل والبحوث . ثم ايضا الموضوع الذى تناوله يبدو لاول وهلة جديد ف مضمونه وشكله ، وهذا هو المطلوب دائما ف الرسائل العلمية . فضلا عن ان الرسالة تتزامن مع اهمية الحديث عن دور الأردن ف المرحلة الحالية ف الصراع العربي ـ الاسرائيلي ومدى توفير فرصته له وبأى شكل . كل هذا يعطى الرسالة مذاقا متميزا . ايضا تلعب مصادر البحث دور متميز وبارز ، من حيث اهميتها وندرة بعضها ومدى افادتها للبحث حيث تحتوى على كمية كبيرة من الوثائق الهامة العربية والاجنبية . مما يقوى الناحية العلمية للمنهج المتبع وهذا يرجع لمكانه الباحث ومعرفة المسئول . فضلا عن إستخدامه للمقاييس الكمية والرياضية والاحصائية . وايضا الجدوال الرقمية بشكل علمي متقدم ومتميز بشكل اثرى الرسالة .

ولنخرج من هذا الى الرسالة فهى عبارة عن اطار نظرى واخر تطبيقي وتجيء ف مقدمة الاطار النظرى اعلان باختيار الباحث لاسلوب نموذج معين ف تحليل قرارات السياسة الخارجية خاصة ف الدول النامية ، هو النموذج المعرف ، على اساس انه يعتمد على تفاعل البيئة العملية والنفسية معا وهو مايتسق مع النموذج الاردنى كما يرى .

ففى **الباب الاول ـ الاطار النظرى ـ** يتناول اثر البيئة العملية ثم النفسية على صنع القرار . **فالبيئة العملية هى خارجية وداخلية** ، الخارجية تشمل اثر النظام الدولى والاقليمي العربي على صنع قرار السياسة الخارجية . ثم الداخلية « الموضوعية » وهى الكتلة الحيوية « الاقليم + السكان » ، والخصائص القومية ، ودنيامية الحياة السياسية ف الاردن « الاحزاب ـ الجماعات الضاغطة ـ الفلسطينيين ـ الجيش ـ الدين »

اما البيئة النفسية اي تأثير أو ادراكات ومعتقدات صانع القرار .

وسنتناول هنا التركيز على النقاط البارزة ف الدراسة دون الاشارة للمعلومات التقليدية ، خاصة مثلا تطورات النظام الدولى

من الحرب الباردة الى الانفراج واثره على المنطقة العربية وقد رأى الباحث ان الاردن كانت تحتل مركزا هاما **في قلب العالم العربي من ٤٥ – ١٩٧٠** . ثم تقهقرت بعد ذلك بما أثر على سياستها وضرب عليها شيء من العزلة .

ويشير الباحث لاهمية **الموقع الجغرافي** والتاريخي للاردن قبل وبعد ١٩٦٧ والتطورات اللاحقة عليه ، ولكنها اشارة عابرة دون تفصيل لنوعية الاهمية هذه وكيفية تأثيرها واستغلالها ، كما يشير لدور **العنصر الفلسطيني** ضمن سكان الاردن كعامل مؤثر على السياسة الاردنية داخليا وخارجيا وعلاقته بالتوترات التي حدثت داخله . وأيضا تأثيره على موقف الاردن من القضية الفلسطينية .

وفي الحديث عن **الخصائص القومية** وهي الامكانات الاقتصادية والعسكرية الاردنية . يوضح ان الموارد الاردنية ضعيفة بما يشكل تحدي تنموي واعتمادها على مساعدات خارجية والامكانات العسكرية ايضا ضعيفة خاصة ازاء جارتها من الدول وخاصة اسرائيل وعن اثر **النظام السياسي** على قرار السياسة الخارجية ، اوضح تعدد العناصر الداخلة فيه مثل **الأحزاب** ، فأوضح انها لم تلعب دورا في مجرى الحياة السياسية فلم تشكل قيد صانع القرار فغيابها قوى من سلطة الجهاز التنفيذي ، ثم **جماعات الضغط** ، وهي الفلسطينية ويشير لقوة المنظمات الفلسطينية وايضا الجيش على اساس انه حامي النظام . لهذا لابد من مرضاته حتى لاتحدث حركات انقلابية . ثم الدين ، حيث يشير للعلاقة التاريخية للهاشميين بالدين وان مؤسس المملكة الاردنية الملك عبد الله يفخر بانتمائه لقبيلة الرسول صلى الله عليه وسلم وشهرة الهاشميين في حكمهم لمكة ، مما يعطي شرعية للقيادة السياسية الاردنية فضلا عن اثر وجود اماكن دينية الا ان دور الدين غير واضح في التأثير على السياسة .

وعن البيئة النفسية ، التي تعني كيفية تأثيرا ادراكات ومعتقدات صانع القرار وتتفاعل مع البيئة الموضوعية مما يعطي وزن كبير لشخصية القائد السياسي ويتوقف هذا على مدى اهتمامه بشئون السياسة الخارجية وصفاته الشخصية والنفسية . ومجال التأثير في ناحيتين : – الاستراتيجية – الاسلوب وموضع البحث هنا ، **هو الملك حسين فهو يتخذ قرارا السياسة الخارجية ودوره غير محدد** .

وحلل الباحث هنا عقائد وادراكات الملك حسين عن طريق اسلوب **تحليل المضمون** عن طريق خطبه وأحاديثه ، من خلال مجموعة وثائق الملك حسين المجمعة في ثلاث مجلدات تضم ٤٧٩ وثيقة في فترة ٥٣ – ١٩٧٤ . وقسمها لمرحلتين من « ٥٣ – ٥ يونيو ١٩٦٧ » ثم من « ٦٧ – ١٩٧٤ » الاولى : شهدت نهاية فترة التحالف مع بريطانيا وبداية علاقات ثنائية مع الولايات المتحدة وشهدت متدة الحرب الباردة العربية . ثم الثانية – شهدت عهد الحلول السياسية وبروز دور المقاومة والعلاقات الجديدة مع مصر ومؤتمر الرباط .

فكانت عقائده في المرحلة الاولى : – ضد الاتحاد السوفيتي وهو يقف لجانب عالم الحرية وان حل الصراع هو عن طريق التفاوض الايجابي والسلام . وان للاردن دور دفاعي عن الوطن العربي ومقوماته وفلسطين اساسا مع محاولة حل الخلافات العربية وعدو الاردن هو الصهيونية واليهودية العالمية والشيوعية وقد ربط بين العدوين وقد اعتبر انذاك ان الجمهورية العربية المتحدة عدو فهي مركز لتغلغل الشيوعية في المنطقة وكذا منظمة التحرير ، وكان يدعو دائما بحقه في الدفاع عن تحرير فلسطين **اما المرحلة الثانية** تغيرت معتقداته هنا ، بعد وجود الانفراج وان كان دور الاردن مازال دفاعي في المنطقة وحقوق فلسطين وان زاد الخلاف مع المقاومة . وينحصر عدوه في الصهيونية واسرائيل ثم حدوث تنسيق مع مصر سوريا وبعض الدول العربية مع ميل للحلول الدبلوماسية وقبول الواقع .

اما الباب الثاني ، يبدأ فيه بالحديث عن هيكل صنع القرار اي مؤسسات صنع القرار وموقعها الدستوري والفعلي المؤثر في السلوك السياسي الخارجي ثم كيفية تفاعلها . ويهمنا هنا التوزيع الفعلي المؤثر بتدرج . الملك مجلس الوزراء ووزير الخارجية والسفراء – وزير الدفاع والمؤسسة العسكرية – السلطة التشريعية والاحزاب . ويهمنا هنا الملك صاحب القوة الدستورية والفعلية الاولى وعموما دور وزارة الخارجية وجهازها ليس إلا تلقي المعلومات وجمعها وتقديمها لصانع القرار الاعلى . واسلوب اتخاذ القرار الشائع هو أن يقدم الملك البدائل سلفا ويكون دور الاعضاء التعليق او التوصية دون الزام الملك بها . ويشير الباحث الكفاءة نظام الاتصال الاردني فيما يتعلق بنقل وتبادل المعلومات ، حيث لاتوجد معلومات تحجب عن الملك . ودون ان يوضح كيفية هذه الكفاءة ويرى ان صانع القرار الاردني ينطبق عليه **النموذج المغربي** ، اي الملك يسقط عقائده الذاتية على صناعة القرار ويختار البديل الاكثر اقترابا من عقائده فقط .

ثم لينتقل الباحث الى تناول ٤ **قرارات يطبق عليها الاطار التحليلي النظري في الباب الاول** ،

وقد اوضح اسباب اختياره لهذه القرارات الاربع وهي : – ان هذه القرارات استراتيجية اثرت على متغيرات البيئة العملية مثلت الخط العام للسياسة الاردنية ومثلت ترجمة عملية لمعتقدات الملك – ارتبطت بمشاكل الاردن السياسية التقليدية مثل المساعدات الخارجية والقضية الفلسطينية – عكست مقدرة صانع القرار على المبادأة والمرونة . وهذه القرارات هي : **– قرار رفض الدخول في حلف بغداد – ١٩٥٦ – قرار الاتحاد العربي مع العراق ١٩٥٨ – قرار التحالف مع مصر ١٩٦٧ – ثم قرار المواجهة مع المقاومة الفلسطينية ١٩٧٠ .**

وسنكتفي هنا بتناول القرار الثالث كمثال ، وهو قرار التحالف مع مصر ١٩٦٧ – حيث تكررت الاعتداءات الاسرائيلية على الاراضي الاردنية في ١٣ نوفمبر ١٩٦٦ وعلى سوريا ٧ ابريل ١٩٦٧ ومع وصول معلومات عن حشود على حدود سوريا حفزت مصر الاتخاذ جراءات رادعة لسياسة اسرائيل مما ادى لاعلان حالة الطوارىء . ثم تم انضمام الاردن لمصر في معاهدة دفاع مشترك في ٣٠ مايو – وقد سبقه قرار بتأييد مصر لاغلاق خليج العقبة ثم تبعه قرار دخول حرب ١٩٦٧ .

وقد وقعت حرب ١٩٦٧ في ظل توازن رعب نووي دولي ويشوبه الحذر من كل جانب ، وكان النظام الاقليمي يمثل ضابط على الملك من حيث اسرائيل فضلا عن الوضع الاقتصادي المتردي والضعف العسكري وكان العامل الوحيد المساند هو الرأي العام . الا ان اتخاذ القرار بدخول الحرب مع مصر يتمثل في اعتقاد الملك حسين بأن اسرائيل عدوه الرئيسي وضرورة وحدة الصف العربي . وكان الملك قد نادى قبل الحرب بضرورة ازالة قوات الطوارىء وتخفيف الضغط عن الاردن وقد فعلها عبد الناصر مما احرج الملك وكانت الضغوط الاقليمية داخل وخارج الاردن قوية خاصة سوريا والمنظمة وكان للقرار انعكاس بتحسين صورة الملك عربيا وتحسن العلاقات مع الاتحاد السوفيتي وان ابرز مشاكل الاردن الاقتصادية وخاصة التبعية . ويشير الباحث ايضا لضعف النظام الاتصالي الاردني انذاك في جمع المعلومات وتجهيز التعاون مع مصر في وقت غير كاف .

ويخرج الباحث في الخاتمة ؟ بالاشارة الى ان الدول الصغيرة كالاردن اكثر عرضة للضغوط الخارجية من دول كبيرة او متوسطة . وان اثر النظام الاقليمي قد يفوق الدولي في التأثير على اتخاذ القرار ثم محدودية تأثير ادراك القائد السياسي في اتخاذ

قرار السياسة الخارجية وخاصة ازاء ضغوط معينة وقد اتسمت عملية صناعة القرار بالمرونة والتكيف وسرعة المبادأة . وكذا عدم التعاون بين معتقدات الملك والبيئة العملية او مايعرف بسوء الادراك معظم الاحيان . وعدم وجود تعقيد هيكلى . واخيرا ، نخرج بأن الرسالة جمعت بين الجانب النظرى الاكاديمى والتطبيقى وهو عنصر إيجابى دون شك ، لكن تغلب العنصر النظرى على التطبيقى فى حين كنا نود الاهتمام بالتطبيق بشكل اوسع واكبر .

فضلا عن وجود بعض ملاحظات مبدئية وان تبدو شكلية احيانا الا انها اساسية وبديهية وكانت يجب ان تسترعى الانتباه بداية . حيث كثير من المفاهيم لم تحدد بداية ، حيث كان يجب فى مقدمة الرسالة تعريف مفهوم صنع القرار ومعنى السياسة الخارجية وايضا مفاهيم الضوابط والمقومات كلها مفاهيم يجب ان تفسر . ثم نجد ان الباب الثانى جاء فيه تعريف بانواع قرارات السياسة الخارجية فى حين هذا كان يجب ان يأتى فى البداية مع مجموعة التعريفات التى كان يجب توضيحها بما يفقد الترتيب المنطقى . فضلا عن الجزء الخاص بالحديث عن الاقليم وشرحه كان فى غير موضعه ثم كثرة المفاهيم والالفاظ الاكاديمية التى كان يجب تبسيطها بشكل اكبر . ثم بعض الاجزاء النظرية نقلت بشكل حرفى من مصادرها دون ان تحور بشكل يناسب طريقة عرض الرسالة ، بما يشوه شكل التحليل السليم وان كان اخيرا هى محاولة جيدة يشاد لها بالذكر ولعلها دعوة لزيادة الاغتراف من مشاكل وسياسات المنطقة العربية التى نحن أحوج لتحليلها ودراستها لنجد فيها الكثير والجديد لتقديمه .

طارق حسنى أبو سنه

□ □ عبدالمجيد أحمد عامر – الهوية الوطنية للشعب الفلسطينى : دراسة ميدانية عن حالة مخيم – رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ، جامعة القاهرة – سبتمبر ١٩٨٢ □ □

لعل اهمية هذه الدراسة التى قدمها الباحث الفلسطينى عبدالمجيد عامر ، لا توجد بين الصفحات التى سطرها حول اهمية الدراسة بقدر ما تفرضها الظروف والأحداث السياسية التى سطرتها معارك بيروت ، واختتمت بالمذبحة البشعة لعزل مخيمى صابرا وشاتيلا الفلسطينيين تحت رعاية جيش الدفاع الاسرائيلى فى منتصف سبتمبر ١٩٨٢ .

فعلى حين جاءت أهمية الدراسة النظرية فى أن الهوية الوطنية لاى شعب تمثل جسرا صلبا يعبر كافة الانتماءات والولاءات القبلية ويؤكد تماسك المجتمع السياسى ، فان الأهمية التى أضفتها الأحداث اللاحقة على الدراسة ، تتشكل فى اعتبارات متعددة ، اهمها أن المخيم موضع الدراسة الميدانية وهو مخيم « شاتيلا » قد دمر ودكته الآليات الاسرائيلية والأعوان المحليون بعد أيام من مناقشة هذه الرسالة ، لتصبح وثيقة تاريخية هامة حول ظروف واهتمامات سكان المخيم .. ثم تأتى الأهمية الثانية لهذه الدراسة من الفرضية الاساسية التى سعى الباحث إلى التثبت من صحتها وتتمثل فى بعدين :

اولا : ان فقدان الشعب العربى الفلسطينى لاقليمه الجغرافى نتيجة الاحتلال ، وما ترتب من انهيار لبنية الدولة وهياكلها الأساسية ، وتشتت الشعب الفلسطينى فى جميع الأقطار العربية ، لم يؤد الى فقدان هذا الشعب لهويته الوطنية ، رغم عدم اختلافه عرقيا أو لغويا او دينيا عن الشعوب العربية المضيفة له .

ثانيا : إن ولادة أجيال فلسطينية جديدة فى المهجر لا تعرف فلسطين معرفة حسية ومادية ، لم يؤد الى فقدان هذه الأجيال لهويتها الوطنية الفلسطينية .

– ولعل هذه الفروض ألحت أيضا على الذهن العربى عقب رحيل المقاومة الفلسطينية من بيروت وتشتتها فى عدة دول عربية أبعد جغرافيا لا عن خط المواجهة مع اسرائيل بل عن الدول المواجهة لاسرائيل . إلى أى مدى سيحافظ هؤلاء المهاجرون « هجرتهم الثانية » على هويتهم الوطنية وانتمائهم الفلسطينى ، وهذا ما يقودنا إليه الباحث من خلال دراسته التى استغرقت مائتين وسبعا وثلاثين صفحة من القطع الكبير استخدم الباحث « الاستبيان » اداة رئيسية لجمع المعلومات ، أو بالأصح « الاستبار » بالاضافة

الى الاخباريين . ومهد لدراسته بفصل نظري تناول مسحا لدراسات الهوية .

وتقع هذه الدراسة في ثمانية فصول تسبقها مقدمة وتتبعها خاتمة

الفصل الأول : ضمنه الباحث ، الاطار النظري للبحث ، حيث يشتمل على تأصيل مفهوم الهوية كمفهوم مركب وحديث في مجال علم السياسة ، ويستعرض أهم التعريفات المطروحة في مجال الهوية .

الفصل الثاني : تناول خطة الدراسة الميدانية وإجراءاتها ، وهو يشتمل على ثلاث مباحث ، تبدأ بمجال الدراسة . وقد اختار الباحث مخيم شاتيلا — كما ذكرنا انفا — والذي يقع في ضواحي بيروت ، لاجراء دراسته الميدانية — وفضله عن مخيمات اخرى ومنها مخيم ، صبرا ، لبعد الأول نسبيا عن تأثير المقاومة السياسي — حيث توجد في ، صبرا ، قيادات وكوادر الثورة (وقت إجراء الدراسة الميدانية من اغسطس إلى نوفمبر ١٩٧٩) .

وفي المبحث الثاني يتناول الباحث عينة الدراسة وحجمها مائتا مفردة (ذكور وإناث) ومقسمة بين جيلين مختلفين : — جيل النكبة ، ١٩٤٨ ، (اقل من ٤٥ سنة) وجيل ما قبل النكبة (اكثر من ٤٥ سنة) .

ويتناول في المبحث الثالث تصميم استمارة البحث — الاستبيان — واجراءاتها .

الفصل الثالث : البعد المعرفي : وهو أول الابعاد الخمسة التي طرحها الباحث للهوية الفلسطينية ، وقد تناوله بالبحث من خلال خمسة مؤشرات : الأول : المعرفة بالأحداث التاريخية والأعياد الفلسطينية ، وباستخدام اختبار كا — وهو الاختبار الاحصائي الوحيد المستخدم — وجد دلالة احصائية في متغير النوع ، ولم يجدها في متغير السن . المؤشر الثاني هو معرفة المبحوثين بالثورات التي قامت في فلسطين قبل النكبة ، ويلاحظ أن ٤١.٥ ٪ من افراد العينة لم تستطع الاجابة على هذا السؤال ، وان كانت الفروق الاحصائية تستجيب في متغير السن .

المؤشر الثالث : هو المعرفة بالشخصيات والقيادات الفلسطينية ، واستطاع معظم افراد العينة ٨١.٥٪ الاجابة الصحيحة . ورابعا : القدرة على وصف العلم الفلسطيني ، حيث يرى الباحث فيه رمزا اساسيا للهوية ، وقد تمكن من وصفه ٩٥٪ . المؤشر الخامس : هو المعرفة بالمعالم الجغرافية الفلسطينية واستطاع ٨٩.٥٪ من المبحوثين الاجابة الصحيحة .

الفصل الرابع :

الشعور بالانتماء الفلسطيني . وهذا البعد للهوية الفلسطينية تم قياسه من خلال ثلاثة مؤشرات — وضعها الباحث وصاغ اسئلته حولها . أولها النظرة إلى الذات ثم الاحساس بالفلسطينية وأخيرا الاستعداد لدعم الثورة الفلسطينية والمشاركة الفعلية فيها . وبتوزيع افراد العينة على مقياس الشعور بالانتماء يصل الباحث إلى ان الغالبية العظمى من افراد العينة ٨٧.٥٪ لديهم انتماء قوي . كما انه لا يوجد تأثير لمتغيري السن والنوع في الاحساس بالانتماء (وهما المتغيران الوحيدان التابعان لدى الباحث) . ويتفق الباحث بهذه النتيجة مع الدراسات الامبريقية الاخرى التي اجريت على التجمعات الفلسطينية .

الفصل الخامس :

الاحساس بالفخار والاعتزاز الوطني ، وهو البعد الثالث في الهوية الفلسطينية . يرى الباحث ان إحساس الفرد بالانتماء إلى جماعة ما يرتبط حتما بوعي الفرد بصفات هذه الجماعة ، الأمر الذي ينعكس بالتالي في سلوك الفرد ووعيه من حيث تعبيره عن الافتخار والاعتزاز بتلك الصفات . وقد استخدم الباحث مؤشرين في قياس هذا البعد للهوية الفلسطينية . المؤشر الأول هو تصور المبحوث للصفات والخصال المميزة للفلسطينيين والثاني هو التغني ، بامجاد ومآثر الشعب الفلسطيني . في المؤشر الأول وضع المبحوثين الشجاعة أولى الصفات ثم النضال والبطولة فالكرم وهكذا .. . وفي المؤشر الثاني اعتبر الباحث إطلاق اسماء الشهداء على المولودين مؤشرا إيجابيا وأيضا رد الفعل لنبأ الاستشهاد . وانتهى الي اتفاق كل افراد العينة على المؤشر الثاني ما عدا ثلاث حالات فقط رفضت مبدأ اطلاق اسماء الشهداء . وينتهي الباحث من هذا الفصل الخامس إلى أن الفلسطينيين لديهم إحساس عال بالفخار والاعتزاز الوطني وان الفرد الفلسطيني لديه وعي كامل بخصائص الشخصية الفلسطينية وان هذا الوعي ينعكس في شكل سلوك يعبر عنه الفرد بالافتخار والاعتزاز بشعبه الفلسطيني والتغني بأمجاده ومآثره .

الفصل السادس :

الاحساس بالتمايز ، ويقصد بالتمايز الفلسطيني كأحد أبعاد الهوية الفلسطينية ، إحساس الفلسطيني بالاختلاف عن الوسط المحيط وعزلتهم عن هذا الوسط نتيجة لوجود حواجز مادية ونفسية ، بين الطرفين . ويرى الباحث أن هذا الاحساس بالتمايز ساعد في تقوية الاحساس بالانتماء الفلسطيني واستخدم لقياسه مؤشرين ، احدهما يغطي التبادل الاجتماعي مع غير الفلسطينيين ممثلا في المصاهرة والصداقة ، والآخر تناول مدى الاحتفاظ بنمط الحياة الفلسطيني ممثلا في الحرص على ارتداء الزي الفلسطيني والتمسك بالعادات والتقاليد المرعية في الأعراس ومدى التعلق بحياة المخيم ومدى التمسك باللهجة الفلسطينية .

وبتوزيع افراد العينة على مقياس الاحساس بالتمايز يخرج الباحث بنسبة ٩٣٪ من افراد العينة — أي غالبيتهم العظمى لديهم إحساس قوي بالتمايز . ولم تبين المعالجة الاحصائية — للباحث — اية فروق دالة لمتغيري النوع والسن في هذا البعد . كما يرجع الباحث هذا الاحساس القوي لدى مبحوثيه بالتمايز الى عدة اعتبارات تتعلق بظروف الفلسطينيين ، اهمها الناحية السيكولوجية التي ترى أن اقتلاع الفلسطينيين من اراضيهم وتشتتهم وظروفهم المعيشية المتدنية قد ولد لديهم احساسا

بالاحباط وتفشى ظاهرة الاغتراب ، كما يعود بهذا التمايز الى سوء المعاملة التى لقيها اللاجئون الفلسطينيون فى الوسط المحيط (الحكومى والشعبى) مما ساعد على تكريس حالة العزلة ، ثم تأتى الهامشية الاقتصادية والوضع الاقتصادى السىء للفلسطينيين فى المخيمات مكملا لتلوث مركب العزلة والتمايز ، بيد

الفصل السابع : الحنين الى الوطن ، ويأتى هذا البعد الخامس والاخير للهوية الفلسطينية دالا على اهمية التعلق بالاقليم فى تشكيل الهوية . وان الحدود الجغرافية لشعب ما وقبول جميع الأفراد بهذه الحدود يشكل الرابطة الأساسية لأفراد الشعب .

الفصل الثامن :

تحليل ومناقشة النتائج التى وصل إليها الباحث ، حيث يؤكد على فرضيته الأساسية وهى أن تشتت الشعب الفلسطينى لم يؤثر على احتفاظه بهويته الوطنية . ويخلص بدراسته الى النتائج التالية :

١ ـ الفلسطينيون لديهم إدراك عال بتاريخ وجغرافية فلسطين ولديهم معرفة بثوراتها وقياداتها وعلمها .

٢ ـ مستوى الادراك لدى الذكور أعلى منه لدى الاناث . ولا يوجد فرق احصائى فى متغير السن .

٣ ـ الغالبية العظمى من الفلسطينيين لديهم إحساس قوى بالانتماء للشعب الفلسطينى .

٤ ـ الانتماء الفلسطينى ليس شكليا بل تواكبه مظاهر سلوكية مثل الاستعداد لدعم الثورة .

٥ ـ التوحد بين الفلسطينية والعروبة . فهم لا يجدون فرقا بين انتمائهم الفلسطينى والعربى بل جزء من كل .

٦ ـ إن درجة إحساس الفلسطينى بالفخار والاعتزاز الوطنى عالية جدا .

٧ ـ أوضحت الدراسة أن هناك إحساس بالتمايز (الاختلاف) بين الفلسطينيين فى لبنان والوسط المحيط فالتبادل الاجتماعى مثل المصاهرة والصداقة مقتصر عليهم . كما يحتفظون فى المخيم بنمط الحياة الفلسطينى من ملابس شعبية وعادات الأعراس . اللهجة الفلسطينية .

٨ ـ إن الفلسطينيين لديهم إحساس قوى بالحنين الى الوطن ، ويتمثل ذلك فى رفض المبحوثين لمشروعات التسوية والتأكيد على تحرير كامل التراب الوطنى .

● وقدم الباحث تفسيرا لهذا الاحساس القوى بالهوية الفلسطينية فى ضوء العوامل التالية :

اولا : نظام العائلة ، فالتركيب الاجتماعى العفوى للمخيمات فى لبنان جاء على اساس تجمع سكان كل قرية إلى جوار بعضهم وكأن قرى الجليل انتقلت الى المخيمات . وقد ساعدت تلك الطريقة العفوية فى استمرارية علاقات وقيم القرية الفلسطينية التى سادت قبل النكبة . وبالتالى الحفاظ على المؤسسات الاجتماعية القائمة على روابط القرية والعائلة واستمرار نمط التنشئة الاجتماعية . هذا بالاضافة الى قصر علاقات المصاهرة والتبادل الاجتماعى داخل المخيمات .

ثانيا : عجز الوسط المضيف عن استيعاب الفلسطينيين اقتصاديا واجتماعيا ومن ثم تذويبهم فيه وطمس هويتهم .

ثالثا : ظهور المقاومة الفلسطينية التى لعبت دورا كبيرا فى تقوية الاحساس بالهوية لدى الفلسطينيين . وكان إنشاء منظمة التحرير ١٩٦٤ خطوة هامة . كما لعبت اجهزة الاتصال التابعة للمنظمة دورا هاما تمثل فى تكوين عدد من التنظيمات الشعبية والحفاظ على التراث الشعبى .

رابعا : دور الأدب فى الحفاظ على الهوية الفلسطينية ، حيث ساعدت قصائد الشعراء الفلسطينيين وكتاباتهم فى تقوية الاحساس بالانتماء الفلسطينى ، لعل ابرزها قصائد محمود درويش وسميح القاسم وفدوى طوقان وقصص غسان كنفانى ـ وهكذا يختتم الباحث دراسته بالتاكيد على فرضيته التى طرحها سلفا ، ويورد فى الخاتمة بعض الملاحظات الخاصة بهامشية دور المرأة الفلسطينية ، وقصور تنظيمات المقاومة فى التأثير الجذرى على الحياة الفلسطينية والاهتمام بالتعليم ، وخطورة اللعب على وتر الانتماءات العشائرية .

واخيرا .. فان القارىء لهذه الدراسة يدرك مدى حاجة المكتبة العربية الى ذلك النوع من الدراسات الامبريقية التى تعالج تلك الظواهر المتزاحمة فى مجتمعنا العربى ، والتى يقصر الحديث والتناول النظرى عن سبر أغوارها . كما تؤكد الاحداث السياسية مدى القيمة التى تكتسبها دراسة كهذه .. وتظهر الحاجة لدراسات اخرى فى دول المهجر « الثانى » .

بيد ان جوانب سلبية ومآخذ يمكن ان نسأل عنها الباحث :

اولا : رغم تأكيد الباحث أن الهوية الوطنية تؤكد ولاءا قوميا على ولاءات قبلية أو عشائرية إلا انه اعتمد مجتمعات للبحث تربطه الولاءات القروية ، وتشوش على عملية فصل الولاء القومى بمفرده ، الأمر الذى يمكن تداركه فى مجتمعات من أصول حضرية .

ثانيا : الاقتصار على متغيرى النوع والسن ، كمتغيرين تابعين ـ بيد أن المستوى الاقتصادى الاجتماعى والذى حصل على بياناته بالفعل ـ يشكل متغيرا حاسما فى دراسة كهذه ـ ناهيك عن قصور الاسلوب الاحصائى فى التحليل ، رغم غزارة المادة العلمية المجموعة ، فقد وصل حجم صحيفة الاستبيان الى ٣١ صفحة .

ثالثا : الباحث فى تفسيره للاحساس بالتمايز ـ الفصل السادس ـ يقدم ظاهرة الاغتراب عنصرا مدعما لرأيه ، بيد أن الاغتراب فى بعده الخاص بالعزلة ، يتضارب مع ما وصل إليه الباحث سلفا فى بعد الانتماء القوى ، الأمر الذى يجعلنا نعيد النظر فى دقة مؤشراته بالنسبة لبعد الانتماء وتعريفه له . وهذا ما يقودنا الى :

رابعا : تداخل وتقارب الابعاد التى اعتمدها الباحث للهوية ، بحيث يمكن لباحث اخر أن يدخل مؤشرات بعد من الأبعاد لاخر وهكذا .. وهى بالطبع مشكلة المفاهيم المركبة . الأمر الذى يعطى إحساسا فى نهاية الدراسة بأن النتائج تبدو وكأنها تذييلا لدراسة نظرية وليست ميدانية تفاجئنا بمكنونات مبحوثيها وتشتت مدلولات ظواهرها الامبريقية .

حافظ المرازى

□ □ بورسعيد تاريخها وتطورها منذ نشاتها ١٨٥٩ حتى عام ١٨٨٢ – رسالة ماجستير فى التاريخ الحديث – جامعة عين شمس

فى الاونة الاخيرة نالت الدراسات التاريخية التى تعالج تاريخ مصر الاجتماعى الحديث اهتمام عدد من الباحثين ، ولكن تاريخ المدن المصرية لم ينل اى قدر من هذا الاهتمام باستثناء عدد من الدراسات الميدانية عن بعض المدن الكبرى من الوجهتين الجغرافية والاجتماعية والتى تكاد تقتصر على الحاضر أكثر منه امتدادا فى اغوار التاريخ ..

وقد تناول هذا البحث – الذى نعرض له – تاريخ مدينة بور سعيد منذ نشاتها عام ١٨٥٩ حتى الاحتلال البريطانى عام ١٨٨٢ ، وروعى فى تقسيم الرسالة ان يكون تقسيما موضوعيا لا زمنيا لان هذا الموضوع يحتاج الى دراسة موضوعية تحليلية ، ومن ثم فقد قسم البحث الى مدخل وثمانية فصول وخاتمة .

تناول الفصل الاول نشأة بور سعيد وتطورها ، وخصص الفصلين الثانى والثالث لمعالجة الحياة الاجتماعية والحياة الاقتصادية ، وتناول الفصل الرابع ادارة بور سعيد ، اما مسالة اراضى بور سعيد فقد افرد لها فصلين هما الخامس والسادس ، واوضح الفصل السابع النهضة الثقافية والتعليمية ببور سعيد ، واختتمت هذه الدراسة بفصل عن الاحتلال البريطانى لبورسعيد فى العشرين من اغسطس سنة ١٨٨٢ .

اما المصادر التى اعتمد عليها هذا البحث فتقوم اساسا على الوثائق التاريخية الاصلية المودعة بدار الوثائق القومية وتتمثل فى الوثائق المحلية ومنها سجلات محافظة بورسعيد ومحافظ الداخلية والوثائق السيادية وتتمثل فى سجلات ومحافظ المعية السنية سواء منها العربية او التركية ووثائق عابدين ووثائق مجلس الوزراء وخاصة محافظ قناة السويس والطوائف الدينية والجاليات الاجنبية ووثائق النظارات المختلفة ومنها نظارات الداخلية والحربية والمالية والحقانية ، ووثائق المجلس الخصوصى ، وكذلك الوثائق الخاصة وتتمثل فى وثائق الارشيفات الاوربية مثل الارشيف النمساوى ووثائق قناة السويس ووثائق الثورة العربية ، بالاضافة الى سجلات سواحل البحر الاحمر ووثائق الخدمات التى تتمثل فى وثائق ديوان المدارس (المعارف) ووثائق القومبانية (الشركة) العزيزية ، وكذلك مضابط مجلس شورى النواب المخطوطة المودعة بمكتبة مجلس الشعب ، ووثائق الخارجية البريطانية والمذكرات الشخصية المخطوطة والمنشورة مثل مذكرات احمد عرابى ومحمد عبده والليثى فهمى الى جانب العديد من الدراسات والبحوث المؤلفة والمترجمة .

ولما كانت دراسة المدن قد اتجهت نحو مزيد من التخصص فقد حاولت فى مدخل هذا البحث افساح المجال للدراسات التاريخية لمعالجة التاريخ الاجتماعى للمدن المصرية مؤكدا على ان ذلك ليس حكرا على علوم معينة ، ومن ثم فان هذا النوع من الدراسة يمكن ان يشكل الى جانب الدراسات الخاصة بالريف والاعيان وغيرها . ميدانا جديدا يمكن من خلاله دراسة تاريخ مصر ذلك لان اى دولة من الدول هى فى النهاية مجموعة من المدن والاقاليم ..

وقد اوضحت كيفية نشأة المدن بصفة عامة والعلاقة المؤكدة بين اسباب هذه النشأة وبين العوامل المؤثرة فيها من حيث النمو والتطور والازدهار ، وما تدين به المدن من فضل للدين ، والتجارة والسياسة ، والصناعة اخيرا واحدثته فيها من تحولات اجتماعية وحضارية ..

واذا كان للحملة الفرنسية على مصر اثر لا يمكن انكاره فى الوضع الحضرى بها حيث دخلت مصر اطارا بنائيا حضاريا جديدا وما اضافه محمد على من بناء مصر الحديثة وتطور مدنها ونشأة مدن اخرى فان اكبر تغير حضرى شهدته منطقة الشرق الاوسط خلال القرن التاسع عشر هو ظهور المدن المصرية الواقعة على قناة السويس ..

وترتبط نشأة مدن القناة – فيما عدا مدينة السويس – بحفر قناة السويس فى هذه المنطقة التى كانت حينئذ عبارة عن منطقة قفرة خالية من العمران ، وفيما يختص بمدينة بورسعيد فقد كانت الارض التى نشأت عليها هذه المدينة عبارة عن مستنقعات تغمرها مياه البحر احيانا وهى خالية تماما من كل عناصر الحياة فيما عدا قرية يسكنها بعض الصيادين على مسافة غير قريبة منها ..

واسم بور سعيد أسم مركب من كلمة بورت الفرنسية Port ومعناها ميناء وكلمة سعيد Said التى جعلت علما على حاكم مصر محمد سعيد باشا نجل محمد على ومعناها فى الاصل ميناء سعيد وهو علم على المدينة التى انشئت فى عهده فى عام ١٨٥٩ على)مدخل قناة السويس غرب مدينة الطينة بثمانية وعشرين كيلو مترا ، وظل اسم المدينة يكتب بور سعيد لعدة سنوات .

وقد تحدد الموقع النهائى للمدينة الذى اعيد اختياره على بعد ثمانية وعشرين كيلو مترا من المكان المحدد له فى المشروع التمهيدى للقناة ضمانا لحفظ الميناء من الرياح الشمالية والشمالية الغربية ولأنه اصلب تكوينا من اى نقطة اخرى على خليج بيلوز ، واقرب نقطة امام المياه العميقة لرسو السفن .

ويرجع بدء العمل فى منطقة بورسعيد الى ان هذا الموقع كان أكثر جهات البرزخ قربا لاوربا مما يسهل عمليات استيراد الادوات والآلات والمهمات اللازمة لشركة القناة وتفريغها تجاه بورسعيد او بالاسكندرية ودمياط لان ذلك أجدى من بدء العمل بمنطقة السويس لأنه سيترتب عليه اعادة نقلها الى القاهرة ثم الى السويس .

ونظرا لانخفاض سطح الارض ببورسعيد فقد استغل ناتج حفر القناة فى ردم المستنقعات والمناطق الموصلة لمسافة تصل الى مترين او مترين ونصف المتر تعلية لسطحها لرفع الاساسات التى يتم البناء عليها ومن ثم فقد اقامت المبانى على اعمدة خشبية بارتفاع مترين حتى يتم ردم هذه المسافة بالرمال .

وبعد اقامة رصيف اوجينى (شارع اوجينى فيما بعد) الموازى للشاطىء وتقدم أعمال انشاء الميناء كان لابد من اقامة حاجزين للامواج احدهما فى الغرب والآخر فى الشرق لحمايته من العوامل الطبيعية ولتكون المياه هادئة ولمواجهة الرمال والرواسب التى يدفعها التيار البحرى والرياح لخطورة ذلك على الميناء مع امكان التوسيع لسد حاجات المستقبل وعرف الحاجز الغربى باسم (رصيف دلسبس) وقد بدىء فى بنائه سنة ١٨٥٩ وفرغ منه فى اوائل سنة ١٨٦٩ حيث بلغ طوله ٢٥٠٠ متر وارتفاعه مترين عن سطح البحر وفى عام ١٨٦٣ بدىء فى انشاء جزيرة على امتداد الشاطىء الغربى بعرض خمسة امتار وعمق نصف متر وطول نحو ٦٠ مترا وتمتد فى خط مستقيم نحو بحيرة المنزلة لحماية السفن ولتفريغ السفن القادمة الى بور سعيد ، وكانت مدخلا للثغر ومستودعا للبضائع .. اما الحاجز الشرقى فقد بدىء فى اقامته فى

سنة ١٨٦٦ وفرغ منه في يناير سنة ١٨٦٨ ويبلغ طوله نحو ١٩٠٠ متر وارتفاعه متر واحد عن سطح الماء وينتهي الحاجز الغربي الى المياه التي يبلغ عمقها عشرة امتار اما الشرقي فينتهي الى المياه التي عمقها ثمانية امتار ونصف المتر . كما اقامت شركة القناة احواض الميناء الداخلية لشحن وتفريغ السفن وهي حوض التجارة وحوض الترسانة وحوض شريف .. واقيم اول فنار مؤقت من الخشب في سنة ١٨٥٩ وكان يضيء لمسافة عشرة اميال ، وبعد افتتاح القناة وازدياد حركة السفن لم تعد هذه الاضاءة كافية فأقيم فنار جديد في اوائل سنة ١٨٧٠ من الخرسانة على الحاجز الغربي وكان يضاء بغاز الاستصباح ويضيء لمسافة عشرين ميلا ..

ونظرا لخلو بورسعيد من الحجارة فقد بدىء باستخدام الحجارة من محاجر المكس في اقامة الارصفة والحواجز والاحواض وظل ذلك حتى قام اخوان Dassaud بتصنيع هذه الحجارة ببورسعيد بالوسائل العلمية ..

وقد واجه العاملون بموقع بورسعيد عددا من المشاكل نظرا لخلوها من وسائل العمران وكان اهمها مشكلة توفير مياه الشرب والمواد الغذائية على اختلاف انواعها لافتقار بور سعيد لهذه المواد ، ومشكلة الايواء .. وكان الاجانب احسن حظا من امثالهم من المصريين حيث اقاموا في الخيام وقامت الشركة بجلب كافة مايحتاجونه من المواد الغذائية ومساكن للايواء من الخشب من فرنسا لاقامتهم في حين ظل العمال المصريون يقيمون في العشش لسنوات عديدة ، وقد تحمل العمال المصريون الذين سخروا للعمل بحفر القناة في موقع بورسعيد الكثير من المصاعب وتعرضوا للمجاعات ونقص الماء والامراض ، وقد استخدمت الكراكات فيما بعد الى جانب العمال في اعمال الحفر والردم ..

ويمكن القول ان هناك بعض اوجه الشبه بين مدينتي الاسكندرية وبورسعيد من حيث النشأة فكلاهما نشأت نشأة اجنبية فالاسكندرية انشأها الاسكندر المقدوني وبورسعيد صممت بأيد فرنسية ، وكلاهما نشأ لخدمة مصالح اجنبية وأطماع خارجية .. وقد نشأتا فوق شقة من الارض تفصل بين البحر المتوسط وبين بحيرتي مريوط والمنزلة .. وروعي في اختيار هذين الميناءين عدم وجود رواسب طمية وقد قدر لهذين الميناءين الذين نشأ عند مفترق طرق هامة حيث تلتقي قوافل التجارة فكان ذلك عاملا قويا على زيادة نموها وتقدمها وازدهارهما حتى اكتسبت كل منها تأثيرا قويا على باقي المدن والمواني المصرية ..

وقد اتسمت بورسعيد بحسن التخطيط والتنظيم على نسق المدن الاوربية وخاصة الفرنسية حيث قامت شركة القناة بأعمال التنظيم والتخطيط واستلمت الحكومة المصرية لما تقوم به الشركة من اجراءات في هذا الشأن حتى في الاوقات التي كانت فيه مصلحة التنظيم ببورسعيد تابعة للحكومة .. وكانت الشوارع والطرق متوازية ومتقاطعة مع بعضها واتصفت بالاتساع عن مثيلاتها بمدن القناة برغم اشراف شركة القناة على تنظيمهم وازدانت شوارعها بالاتساق والجمال حيث تتجه من الشمال الى الجنوب مما يعرضها للشمس والرياح ، وقد اطلق عليها اسماء اجنبية مثل Arsenal Scierle Cannebiere وكذلك الميادين مثل De lesseps وكان ذلك بمبادرة من شركة القناة دون مشاركة للادارة المصرية .

ومع نمو مدينة بورسعيد فقد وضح انها قد قسمت الى قسمين رئيسيين لكل منهما مميزاته وطابعه الأول هو المدينة أو الحي الافرنجي ويقع غرب القناة مباشرة ويقيم بها كافة الاجانب وقليل من الوطنيين وابناء العرب (الشوام) وتنتشر بها المحلات التجارية والفنادق وغيرها من المحلات التي يملكها الأجانب وكذلك محلات الادارة المصرية وقد ظهرت بها عدة ضواحي نتيجة لنموها مثل بر الانجليز والرسوة والبر الشرقي (بور فؤاد فيما بعد) والذي خصص في البداية لاقامة الورش والمصانع والمخازن لاصلاح المراكب والكراكات والبواخر التابعة للشركة ثم اقيمت به المباني لاقامة مستخدميها وخاصة الفنيين منهم .

اما القسم الثاني فهو قرية العرب او الحي العربي ويقع الى الغرب من المدينة ويقيم به الوطنيون وابناء العرب وفيه محلاتهم ومساكنهم . وقد قسمت الى حارات او مربعات لكل منها شيخ خاص بها ويرأسهم شيخ القرية ، وفصل بين القسمين مساحة من الأرض الفضاء تضاءلت مع مرور الوقت ، وقد انصرف الوطنيون للاقامة بالقرية حفاظا على حياتهم الاجتماعية والدينية والمعيشية وعلى عاداتهم وتقاليدهم وطباعهم التي تختلف عن الاجانب ولكي يكونوا قريبين من الوطن الأم حيث دمياط والمنزلة ..

وقد ادى نمو المدينة وتطورها الى اختفاء العشش تدريجيا لتحل محلها المباني الفخمة التي استخدم فيها مواد البناء وزادت عدد الابنية وخاصة في الحي الافرنجي ولكنها لم تكن ذات ارتفاع كبير كما اختفت الى حد ما - الأعمدة الخشبية التي كانت طابع المباني التي تطل على ساحل البحر تدريجيا ايضا .. وقد اتسمت معظم المباني بالطابع الأوربي حيث الأسقف المائلة لتحميها من امطار الشتاء ، وجمعت بعض المباني بين الطابعين الاوربي والعربي فظهرت بها الشرفات والفرندات اما المنازل التي اقامتها الشركة فكانت ذات نمط واحد وسرعان ما اختفت لتحل محلها محلات اكثر اتساعا واناقة .. اما المباني التابعة للادارة المصرية فكانت قليلة جدا وقد وجد ببورسعيد عدد من الحدائق الخاصة ببعض الأجانب الى جانب حديقة مستشفى بور سعيد وحديقة المنشية وهي اكبر حدائقها ..

وظلت مشكلة توفير الماء العذب ببورسعيد لسنوات طويلة ولم تفلح محاولات الشركة في جلب الماء من خارجها وفي اقامة مكثفات لتقطير الماء في الداخل في حل هذه المشكلة . كما ان امدادها بالماء في مواسير من الترعة الحلوة (الاسماعيلية) لم يقض تماما على المشكلة نظرا لتزايد عدد السكان الذين كانوا في حالة شجار دائم حول حنفيات المياه وقد قام بعضهم بالاعتداء على احواض الماء التي يمتلكها بعض الأجانب ..

ونظرا لما احدثه افتتاح قناة السويس من آثار اقتصادية وسياسية عالمية فان ماحدث في مصر وعلى الاخص في منطقة القناة كان اكبر اثر حيث ادى الى نموها وتقدمها وخاصة مدينة بورسعيد التي صارت قبلة المهاجرين من كافة انحاء البلاد ومن غيرهم من البلاد الاوربية نظرا لما تمتعت به من مميزات جغرافية واقتصادية واجتماعية وادارية بشكل يكسبها خاصية الجذب والتأثير في المناطق المحيطة بها القابلة للاستقطاب بحيث يجعلها تتجه اليها دائما وكان يوم ١٦ نوفمبر سنة ١٨٦٩ يوما مجيداً في تاريخ بورسعيد حيث اجتمع بها ملوك واباطرة العالم وعظمائه وسفرائه وحشود من الاهالي وابناء العرب والأجانب ونقل الكتاب والصحفيون العالميون اخبارها الى العالم اجمع وكان افتتاح القناة بداية مرحلة جديدة في تاريخ هذه المدينة الناشئة ..

وقد ازداد عدد سكان بور سعيد على مدن القناة الرئيسية فبلغ تعدادهم سنة ١٨٨٢ « ١٦٥٦٠ نسمة » على حين كان عدد سكان الاسماعيلية « ٣٣٦٤ نسمة » والسويس « ١٠٩٠٩ نسمة » وعلى حين كان عدد الاجانب ببورسعيد ٥٨٦٧ كان عددهم بالاسماعيلية ٩٤٣ وبالسويس ١١٨٣ وبذلك يتضح ان عدد سكان بورسعيد كان يفوق سكان مدينتي الاسماعيلية والسويس معاً وان عدد الأجانب بها يكاد يبلغ ثلاثة اضعاف الاجانب بهما معا ..

ويمثل سكان بورسعيد مختلف الجنسيات حيث ان شركة القناة كانت قد استقدمت الكثير من الاوربيين من الفرنسيين واليونانيين

والايطاليين والنمساويين والمالطيين والعثمانيين وغيرهم وكذلك الشوام للعمل بمشروع القناة كما هاجر اليها العديد من الاجانب من الجنسيات المختلفة من الالمان والروس والبلجيكيين والاسبان والايرانيين والاسيويين والهولنديين والدانمركيين وقليل من الامريكيين الى جانب السودانيين واهل النوبة وغيرهم ..

وهكذا جمعت بورسعيد بين هذه الاخلاط من البلدان الاوربية والشرقية والاسيوية كما جمعت بين لغات عديدة يتحدث بها سكانها الاجانب وكان لكل جنس من هذه الاجناس صفات وعادات وطبائع مميزة ومختلفة عن غيرها اى انها جمعت بين اخلاط شتى من التقاليد والعادات واللغات واللهجات والاشكال والازياء والالوان ..

وقد استغل الاجانب ببورسعيد الامتيازات الاجنبية ايما استغلال مخالفين بذلك قوانين البلاد المحلية بل لم تجد محاولات الادارة المصرية لردعهم واخماد ما يثيرونه فيما بينهم – من فتن وقلاقل ومنازعات او فيما بينهم وبين الاهالى ، وامتدت اعتداءاتهم على رجال الادارة انفسهم وهم ممثلو الحكومة المصرية ببور سعيد وقد شجعهم على المضى فى ذلك تأييد قناصلهم وحمايتهم لهم وتسترهم عليهم وبذلك ارتكبوا كافة انواع المخالفات والموبقات التى يعاقب عليها القانون دونما عقاب او حساب ..

وكان التركيب الاجتماعى لسكان بورسعيد شديد التباين والاختلاف فادى ذلك منذ البداية – الى انضمام كل عنصر ذى صفات مشتركة سواء اكانت جنسية او عقائدية او اقليمية او اجتماعية اور روابط طائفية او لارتباط العمل فى جماعة واحدة فظهرت الجاليات الاجنبية مثل اليونانية والفرنسية والايطالية بالنسبة للاجانب وطوائف الشام والاروام والموارنة والارمن والايرانيين واليهود ، وطائفة الصعايدة والعربان والعبيد ثم طوائف الحرف المختلفة سواء ما ارتبط منها بحركة التجارة والملاحة وحركة السفن والصيد مثل حمالى الفحم وحمالى البضائع والفلايكية والقواربية والنجارين والقماشه والقلافطه والسماسرة والبمبوطية والاتشجية والصيادين والفساخة ، وارتبط بعضها بحركة العمران والبناء والتقدم وغيرها من الاعمال مثل البنائين والنقاشين والنجارين والفعلة والبرشمجية والحدادين والسمكرية والبحاسين ومبيضى النحاس كما ارتبط البعض الآخر بالحركة العلمية والتعليمية مثل طائفة اهل العلم وحملة القرآن والعرضحالجية ، وارتبط كثير منها بالاشغال والصناعات والتجارة مثل الصياغين والعطارين والدخاخنية وتجار البنور والزيوت والمتسببين (الباعة الجائلون) وتجار الخضروات وظهرت حرف اخرى مثل القهوجية والشرباتلية والخياطين والمنجدين والسقايين والفراشين والقبانية والجزارين والعياشه (بائعو الخبز) والحلاقين والاسكافية والسرباتية والحماره والجماله والدلالين والخدامين والبوابين ..

ويرجع تكوين هذه الطوائف والحرف الى طبيعة المجتمع المصرى الذى عرف نظام الطوائف منذ العصر العثمانى وعلى الرغم من ان هذا النظام كان يوشك على الاندثار فى اواخر القرن التاسع عشر فان مجتمع بورسعيد قد افرز هذا العدد الكبير من الطوائف والحرف وتميزت فى بورسعيد عن مثيلاتها من المدن المصرية بان شيوخ هذه الطوائف كانوا يتولون مناصبهم بالانتخاب الذى كان يتم فى جو مطلق الحرية ..

وتعد طائفة حمالى الفحم اكبر هذه الطوائف من حيث العدد وقوة التأثير وذلك لأن المئات من الوطنيين وخاصة ابناء الوجه القبلى – المتميزون بالقدرة على الحمل – قد انخرطوا فى هذه الطائفة ويمكن القول ان الارهاصات الأولى للخروج الجماعى للعمال المصريين على شيخ الطائفة وللمطالبة بحقوقهم المختلفة قد قامت بها هذه الطائفة فى اوائل السبعينات من القرن الماضى

واستمرت لسنوات عديدة ..

واذا كان الاجانب ببورسعيد قد تمتعوا بحرياتهم وامتيازاتهم فى كافة الشئون السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعقائدية فان المصريين اصحاب البلاد كانوا فى مركز يلى الاجانب الذين انفردوا بالاقامة فى المدينة على حين اقام الوطنيون بالقرية التى لم تنل من الرعاية والاهتمام بنفس القدر الذى حظيت به المدينة حيث المرافق والخدمات مثل اضاءة شوارع المدينة بالغاز وتوفير الماء العذب بصفة مستمرة ، وقد منع الوطنيون من الاقتراب من بحريتهم فى الفناء الجماعى اثناء العمل ، بل لقد ادعى بعض الاجانب ان بورسعيد بلدهم ، وبذلك يمكن القول ان الوطنيين كانوا بمثابة مواطنين من الدرجة الثانية ..

وحدث نوع من الاحتكاك فيما بينهم ، ولكن احتفظ كل منهما بعاداته وتقاليده فيما عدا عدد من الحوادث ذات الدلالات العميقة ، قد يعطى انطباعا بأن الامتزاج بينهما لم يكن بصورة كبيرة ..

وتمثلت صفوة المجتمع المصرى فى بورسعيد فى كل من علماء الدين نظرا لما تمتعوا به من مكانة علمية واجتماعية ، فكانوا القدوة للوطنيين وكبار رجال الادارة المصرية الذين كانوا فى نظر الوطنيين ممثلو الحكومة المصرية بالعاصمة ، ويليهم الموظفون والضباط والتجار .. اما صفوة المجتمع الاجنبى فكان على راسهم وكلاء القناصل الاجنبية نظرا لما تمتعوا به من مكانة طبقا للاتفاقات الدولية باعتبارهم ممثلون لدولهم يستمدون مكانتهم من مكانتها ، ونتيجة لما تمتعوا به من امتيازات ويليهم كبار رجال الادارة بشركة القناة ثم وكلاء الشركات الاجنبية والبيوتات المالية والتجارية ..

ومن الغريب انه برغم تقدم ونمو بور سعيد وزيادة عدد الوطنيين بها فانه لم يبرز من بينهم الا قلة قليلة جدا لم يكن لها تأثير كبير بدرجة لم تتمكن معها الادارة من انشاء مجلس حسبى بها ، كما ان بورسعيد لم تلعب دورا فى الحياة النيابية فى مصر فى اى من مجلس شورى النواب او مجلس النواب المصرى وحتى دور الانعقاد الاول لمجلس شورى القوانين ، ...

واذا كانت الظروف الطبيعية لبور سعيد قد منعت اقامة اى نوع من النشاط الزراعى فقد ترتب على ذلك ارتفاع اسعار المأكولات والمواد الغذائية بها والتى كانت تستورد من داخل البلاد وخارجها وقد عمل الكثير من الاجانب والوطنيين وابناء العرب بالتجارة فى هذه المواد وقد عمل الوطنيون فى البداية فى شركة القناة ولدى المقاولينوانخرطوا فى العديد من الطوائف والحرف وعمل بعضهم لدى الاجانب الذين عمل معظمهم بالنشاط التجارى وبخاصة اليونانيين واقام بعضهم من جنسيات مختلفة مشروعات استثمارية عديدة مثل مصنع الثلج واضاءة المدينة بالغاز وربط بور سعيد بعدد من المواصلات على حين اتجهت الحكومة الى استخراج الملح من بور سعيد والملاحات القريبة منها الى جانب الاهتمام بميناء بور سعيد وتحصيل الرسوم الجمركية وغيرها من الرسوم والعوائد والاعانات ، كما توقفت اعمال من مشروع خط سكة حديد بور سعيد/العريش ..

وفى الوقت الذى ازدات فيه ثروة الاجانب كان معظم الوطنيين من الفقراء يكدحون فى سبيل اقواتهم وكان عليهم شراء ما يحتاجونه بنفس الاسعار التى يشتريها الاجانب القادرون وبنفس العملات الاجنبية التى راجت فى بورسعيد وخاصة الفرنك ، على حساب العملات المصرية ..

وقد احدثت بورسعيد منذ انشائها آثار اقتصادية اثرت فى عديد من المدن وبخاصة فى منطقة القناة ..

وعلى سبيل المثال فان مدينة السويس لم تعد منذ الستينات هى مكانة السويس نتيجة لنمو وازدهار بورسعيد حيث تدهورت حالة التجارة بها لانها لم تكن مهياة للنمو التجارى والصناعى على

عكس بورسعيد اما الاسماعيلية التي نشأت اصلا كقاعدة للإعمال الهندسية لشق القناة ثم تحولت الى ميناء فـانها كانت ابعـد مـا تكون عن النمو الواثق المطرد برغم ما تهيأ لها من ظروف طبيعية لا تتوفر لبورسعيد وبرغم عناية واهتمام الحكومة بنموها وازدهارها وامتداد الخط الحديدى اليها ..

وقد وجدت الادارة بمنطقة بورسعيد نتيجة لظـروف سـياسية خوفا من سيطرة اطماع اجنبية على هذه المنطقة ومنعا من سيطرة الشركة على ادارتها حفاظا على الامن بها .. وكانت بداية الادارة المصرية بها كمامورية تابعة لمحافظة الاسماعيلية نظرا لبعدها عن القاهرة ولكن تطورها ونموها مكنها من انتزاع مركز الادارة مـن الاسماعيلية لتصبح محافظة تتبعها الاسماعيلية .. وبـرغم تعـدد مهام الادارة في بور سعيد مـن الادارة المالية والمدنية فـان مهمـة حفظ الامن بها كانت اهمها جميعا خاصة وان اكثر الاجانب كانوا من المشاغبين واللصوص والأشرار والعاطلين ومن ثم فقد تحملت ضبطية بورسعيد عبء حفظ الأمن والضبط والربط بها ومواجهة الاعتداءات والحوادث المتكرره مستعينه في ذلك بعناصر عديدة مثل القواصة وعساكر الجهادية والمستحفظين ورجال الطلمبـة (لمنع الحرائق) والهجـانة والجـاويشية البلدية وغفـر السـواحل والخفر ..

والى جانب الوظائف العديدة التي وجدت بديوان المحافظة فقـد وجدت ببورسعيد عدة ادارات فنية ذات مهام متنوعة اهمهـا ادارة الميناء ، والجمرك ، وقلم جوازات السـفر ، ومصـلحة العـوايد والادارة الصحية ،والبريد والتلغراف ، وقلم القضايا والدعاوى ، وكما وجدت بها محـكمتان احـداهما شرعية والأخـرى جـزئية مختلطة نظرا لكثرة عدد الاجانب بها ..

وبرغم تطور ادارة بور سعيد واسـتقلالها فـانها كانت إحيانا تعجز عن مواجهة تحديات الاجانب افرادا او هيئات إذ كان عليها الرجوع دائما الى وكلاء قناصـل الدول الاجنبية في كل امـر يتعلق بالاجانب اذا ما ارتكبوا جرائم من اى نوع ، كمـا سـلمت لادارة شركة القناة في كثير مـن الاجـراءات ، ووقفـت الادارة المصرية عاجزة تماما إزاء تعـدى الاجـانب على الأراضى لاقـامتهم بهـا واستثمارهم لها طالما سمحت لهم الشركة بذلك بل كانت لا تـدرى احيانا بما يتم في داخل بور سعيد من مشروعات طالما ان إصحابها لم يحصلوا على ترخيص منها بذلك ..

اما عن اراضى بورسعيد فترجع هذه المسالة إلى الإمتياز الأول في عام ١٨٥٤ ومـاتلاه مـن امتيازات واتفـاقيات بين الحـكومة المصرية وشركة قناة السـويس خـاصة مـا يتعلق بمشروع القناة ومسالة الاراضى حتى اتفاقى ٢٣ ابريل ١٨٦٩ وقد خـرجت شركة القناة عن كثير من مواد هذه الاتفاقيات بل وسهلت للأجانب إفرادا حصلت عليها بموجب هذه الامتيازات وكانت تقوم بتحصيل اثمان ما قامت به من اصـلاحات لهـا على حين رفضـت إعطـاء اية مساحات منها بالمدينة للواطنيين حيث خصصت لهم مسـاحة مـن الارض في غرب المدينة للاقامة بها عرفت باسم قرية العرب ..

وقد نجحت الحكومة المصرية في عهد الخديو اسماعيل في احباط محاولة شركة محـاولة للسيطرة على الأراضى المصرية وبخـاصة القناة اقامة مستعمرة فرنسية على مسـاحة واسـعة مـن اراضى منطقة القناة وتفتيش الوادى قـوامها بعض المسـحيين الشـوام ويقوم عليها الأمير عبد القادر الجزائرى كما نجحـت في التصـدى للشركة في صراعها معها حول ملكية بعض الاراضى الجديدة التـي عرفت باسم طرح البحر والتى ادت الى اتسـاع رقعـة بـورسعيد بالاضافة الى المساحة التى زادت نتيجة لردم اجـزاء مـن بحيرة المنزلة ولكن الصراع بينهما استمر لسنوات عديدة حتى بعد إضافة ما سمى بالاراضى المشتركة ..

وترتب على موافقة الحـكومة المصرية ببيع اجـزاء مـن اراضى بورسعيد اسراع الكثير من الاجانب لشراء مساحات كبيرة منهـا لاستثمارها وقد خـالفت الشركة الشروط المتفـق عليهـا في هـذا الشأن حيث انفردت بالقيام بكافة اجراءات بيعهـا دون مشـاركة الحكومة المصرية التى اضطرت في النهاية الى استخراج الحجـج الشرعية الخاصة ببيع هذه الاراضي للاجانب حكومات وافراد وقد فاق الاقبال على شراء اراضي بورسعيد ما تم شراؤه بالاسماعيلية برغم ارتفاع الاسعار وانعدام البيع تماما في السويس ..

الاوربى ، فانتشرت المدارس الاجنبية على اختلاف انواعها فمنها مـدارس الارسـاليات الدينية ، ومـدارس الجـاليات الاجنبية والمدارس الاجنبية الاخـرى ، وكان التعليم بهـا اجنبيا في كل مظاهره واشكاله فالمدرسون والطلبة والمناهج والمواد اجنبية ووجد بها عدد قليل من الطلبة المصريين والعرب .. وقد ساهمت الحكومة بنصيب متواضع في هذه النهضة عن طـريق تعيين مـدرس مصرى باحدى هذه المدارس التي اولتها ايضا بعض عنايتها واهتمـامها وحثت المستخدمين والاهالي على ايفـاد ابنائهـم للتعليم بهـا وفي مواجهة هذا التيار العثمانى كان التعليم الوطنى يتمثـل فقـط في التعليم الدينى في الكتاتيب ومع ذلك فقد حظى باهتمام بـالغ مـن المصرية من حيث عدد التلاميذ ..

وامتد نشاط الاجانب الثقافي الى الصـحافة فصـدر عدد مـن الصحف الفرنسية واليونانية والايطـالية ببـورسعيد خـلال تلك الفترة وتنوعت مواد هذه الصحف من اخبارية وتجـارية واعلامية وفنية وادبية وسياسية ولكن محرريها كانوا يخرجون عما امتزموا به من عدم نقـد الحـكومة المصرية او عدم الخـوض في المسـائل السياسية او اصدارها بدون تـرخيص أو اعادة نشرهـا بـأسماء اخرى بعد مصادرتها كما كانوا يتصدون بـالقوة لمحـاولة الادارة اغلاق المطبعة ومصادرة الصحف وقد ذاع صيت احدى الصـحف الفرنسية وامتد نشاطها الى القاهرة على حين لم تـظهر صـحيفة عربية واحدة على الاطلاق ببور سعيد ،كما وجد ببورسيعد مسرح وظهرت بها بعض الفرق الفنية والموسيقية الأجنبية ..

وكان لازدياد التدخل الأجنبي في مصر منذ سنوات عديدة اثر في قيام الثورة العرابية بزعامة احمد عرابى ، وكان اهالى بورسعيد اكثر احساسا بالثورة لما يعانونه نتيجة لما يتمتع به الأجانب مـن امتيازات تجعلهم يتفوقون عليهم كما اثار غضـبهم ازدياد مـرور السفن الحربية بالقناة فاضرب عمـال الفحـم عن العمـل واعلن مستخدمو غفر السواحل مساندتهم التامة للثورة وزعيمهـا وكان توفيق باللجوء الي السفن الإنجليزية اثر في ازدياد غضب الأهالى الذين إتخذوا من مسجد القرية مكانا لتجمعهـم والقـاء الخـطب الدينية والحماسية ، وبرغم تيقظ بكباشى المستحفظين ببـورسعيد لمحاولات الخديو ومساعديه الخادعة للتسـليم للقـوات الانجليزية وإستعداده لمواجهة قوات الاحتلال فانها تمكنت لما تملكه من تفوق في العدد والعدة وبما دبرته من خطة محكمة ومفاجأه ، من احتلال بورسعيد في فجر يوم ٢٠ اغسطس سنة ١٨٨٢ بمساعدة المحافظ

ولا شك انه كان لنشأة بور سعيد ونموها وتـطورها اثـر كبير على ما يجاورها من المدن مثل دمياط والاسـماعيلية والسـويس ورشيد بل كان لها تاثيرها ايضا على المدن والموانى الكبرى مثـل القاهرة والاسكندرية ، وقد استمر تطورها الى الحد الذى انتزعت فيه مكانة فريدة ولتتبوأ مكانة كبيرة بين المدن المصرية تلى القاهرة والاسكندرية في مرحلة تالية ..

زين العابدين شمس الدين نجم

كتب جديدة وردت الى المجلة

عرض : احمد يوسف القرعى

- العلاقات الدولية المعاصر ...
- عبدالناصر والثورة الأفريقية ...
- يوميات ووثائق الوحدة العربية ١٩٨١
- الفلسفة السياسية عن اخوان الصفا
- لمحة عامة الى مصر ....
- مع رواد الفكر ......

العلاقات الدولية المعاصرة

- المؤلف : د . محمد على العويني
- الناشر : مكتبة الانجلو المصرية - القاهرة - ١٩٨٢ .

تحت عنوان [العلاقات الدولية المعاصرة : النظرية ، التطبيق ، الاستخدامات الاعلامية] جاء كتاب الدكتور محمد العويني كدراسة بينية تتداخل فيها تخصصات عديدة وفى مقدمتها السياسة والاعلام . والجمع بين هذين العلمين فى كتاب واحد يعكس وجهة نظر المؤلف الذى يرى ان دراسة العلاقات الدولية يمكن أن تكون دراسة اعلامية سياسية او سياسية اعلامية فى آن واحد ولا يمكن الفصل بين الوجهين باعتبارهما عملة واحدة وفى هذا الصدد يؤيد المؤلف التقسيم الدولى للعلوم السياسية الذى يرى أن دراسة الاعلام قسم من اقسام العلوم السياسية .

وحاول المؤلف تأكيد هذه المقولة فى كل فصول كتابه والتى بلغت ثلاثة عشر فصلا وقد تناول فى البداية عرض من مناهج البحث فى العلاقات الدولية سواء المناهج التقليدية او المعاصرة ثم تتبع تطور النظام السياسى الدولى وحلل العوامل المؤثرة فى السياسة الدولية واوضح مقومات القوة القومية فى العلاقات الدولية وتحدث عن توازن القوى فى العلاقات الدولية وانماطها . وتعرض للحركة الاستعمارية فى العلاقات الدولية باعتبارها شكلا من اشكال السيطرة او الهيمنة تمارس دولة او اكثر من دولة على دولة اخرى او على مجموعة دول اخرى . ثم تناول المؤلف صناعة السياسة الخارجية ووسائل تنفيذها . واوضح الانمدماج الدولى ووسائله واعطى امثلة للحركات التكاملية فى اوروبا والعالم العربى . ثم انتقل المؤلف بعد ذلك لمعالجة ما اسماه الدبلوماسية البترولية . وخصص المؤلف فصلا للامم المتحدة وفصلا آخر قدم فيه نصوصا اعلامية من مجلات وصحف مختلفة تتناول العلاقات الدولية موضحا فى تعقيبه العلاقة بين النص الاعلامى والعلاقات الدولية . وجاء الفصل الاخير بعنوان دور الاعلام فى العلاقات الدولية ويوضح المؤلف من خلاله الاعلام كوسيلة من وسائل السياسات الدولية ، التنظيم الدولى ، التفاهم الدولى .

عبـــد الناصـــر والثـــورة الأفريقيـــة

□ تأليف : محمد فائق
□ الناشر : دار المستقبل العربى - الطبعة الثانية - القاهرة ١٩٨٢

هذا الكتاب شهادة تاريخية لرجل عمل قريبا جدا من الرئيس عبدالناصر فى اطار « الدائرة الثانية » لفلسفة الثورة التى تحركت عليها مصر على الساحة الافريقية . ولم يكن الاستاذ محمد فائق شاهدا فحسب وانما معايشا لأحداث هذه « الدائرة » بالفعل والحركة والرأى منذ وقت مبكر عندما عين مديرا لمكتب الشئون الافريقية برئاسة الجمهورية عام ١٩٥٥ . وكانت القرارات السياسية بشأن افريقيا تمر دائما عبر مكتب الشئون الافريقية وكانت توجيهات تنفيذ هذه السياسة تصدر دائما من هذا المؤتمر .

ولقد شارك المؤلف فى تأسيس الرابطة الافريقية بالقاهرة وقام بجولات عديدة فى افريقيا كممثل خاص للرئيس عبدالناصر واشترك فى مناقشات موضوع قضايا الاستعمار والصهيونية أمام لجان الأمم المتحدة كما مثل مصر فى العديد من الاجتماعات والمؤتمرات الافريقية .

وتأتى مادة هذا الكتاب من واقع هذه المعايشة الحياتية لأفريقيا وللافريقيين . والكتاب يقع فى خمسة فصول تناولت الموضوعات التالية : تطور الحركة السياسية فى افريقيا حتى قيام ثورة يوليو ، عبدالناصر وحركة التحرير الافريقية ، مساعدات جمال عبدالناصر للدول الافريقية حديثة الاستقلال ، ملامح أساسية لسياسة مصر الافريقية ، عبدالناصر وأزمة الكونغو ، جمال عبدالناصر والوحدة الافريقية . وفى خاتمة الكتاب أكد المؤلف على دور مصر بثقلها البشرى والحضارى وبموقعها الجغرافى للقيام بدور فعال ومؤثر فى سياسة القارة .

ولا عجب ان تطلب بعض القيادات الافريقية ترجمة هذا الكتاب الى الانجليزية والفرنسية ليكون فى متناول القارىء الافريقى . ولعل هذا الكتاب يكون الكتاب الأول للمؤلف يتبعه بمزيد من الكتب عن دور مصر الرائد فى افريقيا .

يوميـــات ووثـــائق الوحـــدة العربيـــة ١٩٨١

□ اعداد ونشر : مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت - ١٩٨٢

هذه نوعية من الكتب او المراجع تفتقر اليها المكتبة العربية بصفة عامة ، ويحتاج اليها الباحثون والخبراء فى شئون الوحدة العربية بصفة خاصة . وأدرك مركز دراسات الوحدة العربية اهمية هذه النوعية من الكتب وجاء فى بيانه التأسيسى ان « يعمل المركز على تهيئة المعلومات والبيانات الاحصائية والوثائق ومصادر البحث عن مختلف شئون المجتمع العربى باعتباره كيانا واحدا والقيام باعدادها وتهيئتها بحيث تكون صالحة لمختلف أغراض البحث العلمى فى الوحدة » .

وقام قسم التوثيق بالمركز باعداد الكتاب الأول عام ١٩٧٩ والثانى عام ١٩٨٠ وصدر الكتاب الثالث فى يونيو ١٩٨٢ . ويتضمن الكتاب ابرز الأخبار اليومية والنصوص الوثائقية ذات الصلة بمسار العلاقات بين الأقطار العربية فى شتى المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية وبوجهيها الايجابى والسلبى .

ويبدو واضحا حرص المركز على الموضوعية العلمية والأمانة التاريخية والدقة فى انتقاء النصوص والأخبار مع اعطاء الأولوية الى اوجه التعاون العربى الجماعى المتمثل اولا بجامعة الدول العربية وسائر المؤسسات المنبثقة منها ويلى ذلك التعاون العربى المشترك ، الجماعى منه وشبه الاقليمى قبل الثنائى .

ومن ناحية التبويب فقد قسم الكتاب الى قسمين يشتمل الأول على يوميات الوحدة العربية فيما يتضمن الثانى النصوص الوثائقية كالبيانات والقرارات والتوصيات التى تصدر عن المؤتمرات العربية والندوات وخلافها وكذلك البيانات المشتركة والتصريحات الرسمية والأحاديث الصحفية التى تعبر عن المواقف العربية المشتركة او الفردية حول سائر الأحداث والتطورات .

ولا شك ان هذه المادة الغزيرة بين دفتى كتاب واحد [زادت صفحاته على الألف صفحة] يغنى الباحث او الخبير العربى مشقة البحث الصعب فى مئات الصحف وآلاف الصفحات المتفرقة حينا والمعدومة أحيانا اخرى . كما يتيح هذا الكتاب للباحث والخبير رؤية متكاملة « اخبارية ووثائقية » لمسيرة الوحدة العربية عبر عام من الزمان . □

الفلسفة السياسية عند اخوان الصفا

□ تاليف : د . محمد فريد حجاب

□ الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٢

لعل هذه اول دراسة سياسية جادة لرسائل اخوان الصفا فى القرن العاشر الميلادى تكشف الجوانب السياسية الخفية فى هذه الرسائل التى اشتهرت بالجمع بين المعارف الفلسفية وبين الاشارات الصوفية . ولعل مما يكسب هذه الدراسة اهمية علمية متزايدة هى فى كونها أصلا رسالة جامعية تم اعدادها للحصول على درجة الدكتوراه فى العلوم السياسية واجيزت فعلا بمرتبة الشرف الأولى .

ولقد اوضح الدكتور عزالدين فوده المشرف على اعداد هذه الرسالة فى تقديمه المستفيض للكتاب اهم ما استحدثته وما كشفت عنه دراسة الجانب السياسى لرسائل اخوان الصفاء التى تعتبر من أهم وثائق التراث الاسلامى ان لم نقل التراث العالمى ، فهى بمثابة دائرة معارف ذات هدف واضح ، وتخطيط محكم لجماعة من البشر بدافع من عقيدتهم الفلسفية التى تأصلت فى نفوسهم واخذت عليهم مشاعرهم فأرادوا ان ينشأوا « دولة اهل الخير » التى يمكن ان تحقق السعادتين سعادة الدنيا وسعادة الآخرة .

ومن أهم ما كشفت عنه الدراسة هو حيوية الفكر الاسلامى وقدرته على الانفتاح على مختلف الثقافات الأجنبية والامتزاج بها مع المحافظة على قيمته الذاتية وتميزه الخاص .

ولا شك ان مثل هذه الدراسة تؤكد اهمية التنقيب فى التراث الاسلامى وتتبع مؤثراته فى الفكر الانسانى بصفة عامة . ومن المعلوم ان تاثير اخوان الصفاء لم يقف عند حد عصرهم فحسب بل ان اراءهم التى تضمنتها رسائلهم قد تركت آثارها فى كتابات كثير من فلاسفة ومفكرى الاسلام الذين ظهروا قرابة عصرهم ومنهم الفارابى نفسه .

لمحـــة عامـــة الى مصـــــر

□ تأليف : دكتور ا ب كلوت بك وترجمة محمد مسعود
□ الناشر : دار الموقف العربى . القاهرة ١٩٨٢

يستمد هذا الكتاب أهميته من كونه مرجع تاريخى نادر برصيد حياة المصريين وانماطها ومعتقداتهم وسلوكهم الاجتماعى . وبادرت دار الموقف العربى بترجمته ونشره باعتباره من كتب التراث المكتوبة بأقلام أجنبية .

والمؤلف لم يكن رحالا أو زائرا عابرا لمصر وانما عاش فيها لسنوات طويلة فهو طبيب فرنسى شهير من مواليد ١٧٩٣ وجاء الى مصر وعمره نحو ٣٢ عاما وعين طبيبا خاصا لمحمد على باشا وترك هذا الطبيب بصماته على الحياة المصرية فى مصر فقد أسس مجلس الصحة والادارة الصحية كما انشأ مستشفى ومدرسة للطب فى أبى زعبل عام ١٨٢٧ ونقلهما الى القاهرة بقصر العينى عام ١٨٣٣ ثم تولى اداراتهما عام ١٨٥٨ . ولا عجب ان يطلق اسم هذا الطبيب على أحد شوارع القاهرة .

وكما يذكر المؤلف فقد وضع الكتاب بعد مرور خمسة عشر سنة على اقامته فى مصر « وتقصت فيها أحوال اهلها وعاداتهم وفتشت طويلا عن استعدادهم وعبقريتهم وشهدت اثناءها كمتفرج او ممثل كل ما ادخل فيها من المستحدثات » .

وفى هذا الاطار وصف المؤلف بشكل دقيق الطبقات الاجتماعية فى مصر سواء من خلال الممارسة اليومية لحياتهم او من خلال تعاملاتهم وقام بتعريف المدن الرئيسية وعددها وكذلك القرى والحرف فى كل الوجهين البحرى والقبلى وتعرض المؤلف بالتفصيل الى نظام الحكومة والموارد المالية والزراعة والصناعة والتجارة وغيرها من الامور .

ورغم اختلاف دار الموقف العربى مع المؤلف الفرنسى حول بعض ما جاء فى هذا الكتاب الا أنها حرصت على ترجمته ونشره فى اطار اهتماماتها بكتب التراث بصفة عامة وليكون فى متناول الدارسين والمهتمين بالتاريخ الاجتماعى المصرى . □

مع رواد الفكـــــر والفـــــن

□ تأليف : محمد شلبى
□ الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب . عام ١٩٨٢

يتضمن الكتاب أحاديث صحفية اجريت خلال السبعينات مع نخبة من رواد الفكر والفن هم : أحمد رامى ، أحمد رشدى صالح ، د . السيد أبوالنجا ، أنيس منصور ، توفيق الحكيم ، ثروت أباظة ، د . حسين فوزى ، د . زكى نجيب محمود ، صالح جودت ، د . طه حسين ، عبدالمنعم الصاوى ، على أمين ، فكرى اباظة ، د . محمد كامل الباقر ، محمد أبوالفضل ابراهيم ، محمد عبدالوهاب ، محمود تيمور ، د . محمود كامل ، مصطفى أمين ، يوسف السباعى .

وترصد هذه الأحاديث الاتجاهات الفكرية والأدبية لهؤلاء الرواد وآرائهم فى الثقافة والتطورات الثقافية التى شهدتها مصر فى العصر الحديث .



قضيـــة الســـلام الملحـــة فى الشـــرق الأوســـط

● ترددت اخيرا فى الدوائر السياسية العالمية ان عام ١٩٨٣ هو عام الحسم بالنسبة لقضية الشرق الأوسط . هل حقا سيشهد هذا العام وضع الأسس السليمة لحل المشكلة الفلسطينية التى هى لب الصراع فى المنطقة ؟
هل حقا يحمل عام ١٩٨٣ بين ايامه بذور التسوية العادلة التى ستثمر عن قرار السلام الشامل فى الشرق الأوسط ؟

إن قضية السلام فى هذه المنطقة الحساسة قد اصبحت شغل العالم الشاغل فى هذه الآونة الأخيرة وطغت على ما عداها من قضايا وتربعت على رأس قائمة المشكلات الدولية التى تستوجب الحل السريع .. وقد بادرت جميع الدول تقريبا سواء تلك التى تملك التأثير او التى لا تملك ببذل الجهود للدفع قدما بعملية السلام . إن محاولة ايجاد حل لأزمة الشرق الأوسط قد استحوذت تماما على اهتمام جميع الدوائر السياسية والصحفية العالمية ومراكز البحوث العلمية واساتذة الفكر السياسى وصانعى القرار . وقد أثمر هذا الأهتمام البالغ عن فيض من المبادرات والمقترحات واللقاءات والأحاديث والأفكار الجديدة والدراسات المتعمقة لجميع جوانب المشكلة وإمكانات حلها .. وكل ذلك يهدف فى نهاية الأمر الى تضييق الفجوة بين الأطراف المتنازعة والتوفيق بين المصالح المتضادة ...

هل سيثمر هذا الحماس العالمى عن شىء إيجابى ؟ أم سيصطدم بجوار التعنت والمكابرة فيفتر ثم لا يلبث ان يخبو ويضيع وسط مشاكل جديدة ؟ إن اسرائيل قد تصورت إنها تستطيع القضاء على الشعب الفلسطينى وقضيته من خلال مذابحها الوحشية فى لبنان ؛ وخاب أملها وظهر جليا واضحا عبثية الهدف الذى تسعى اليه .. بل إن منظمة التحرير الفلسطينية قد حولت هزيمتها العسكرية الى نصر سياسى رائع شهد له العالم وأحنى له الرأس إحتراما . إن الشعب الفلسطينى باق وقضيته لن تموت ولكنها محتاجة أكثر من أى وقت مضى الى يد قوية تنتشلها من زحام المزايدات وفوضى الشعارات وملاحم الرفض قبل ان تموت فى دوامات النسيان عشرات أخرى من السنين .

وقد إنتقينا بعض أهم المقالات التى تغطى جوانب المشكلة المختلفة :**هارولد سوندرز** مساعد وزير الخارجية الأمريكى السابق وأحد المفاوضيين الأساسيين فى اتفاقيات كامب ديفيد يعرض هنا رؤيتة الخاصة لما يجب ان تكون عليه الأستراتيجية الأمريكية الجديدة فى المنطقة ، ويطرح قائمة الصعوبات التى ستواجه هذه الأستراتيجية ، ويقوم بتحديد امكانيات التغلب عليها فى نقاط تشكل الشروط الضرورية لأستئناف اى عملية سلام فى الشرق الأوسط .

- كارين داويشا :إحدى المتخصصات فى الشئون السوفيتية تكتب عن موقف موسكو الأخير فى الشرق الأوسط وتبحث عن الدوافع الحقيقية وراء هذا الموقف المتحفظ البارد فى مواجهة الأحداث الأخيرة .هل الأتحاد السوفيتى هو قوة عظمى فى طريقها الى الأفول ؟وما هو مستقبل السياسة السوفيتية فى المنطقة ؟

- فليب روندو : مؤلف الكتاب الذى ظهر حديثا بعنوان « الشرق الأوسط الأوسط يسعى الى السلام » واحد المهتمين بالشئون السورية والعراقية والأردنية على وجه الخصوص ، يكتب لنا من الموقف السورى بعد الأحداث الأخيرة فى لبنان هل تشكل سوريا نقطة المرور اللازمة لأى طريق مؤد الى السلام ؟ ما هو مكان لبنان فى استراتيجية حافظ الأسد ؟

هل ستتمكن السياسة الأمريكية من استمالة دمشق تجاهها وابعادها عن النفوذ السوفيتى ؟**- هربت كلمان** :ولقاء مع فكر زعيم منظمة التحرير الفلسطينية وتحليل رائع متعمق لمواقفه المختلفة التى قد تبدو احيانا متناقضة . كيف يرى عرفات التسوية العادلة للمشكلة الفلسطينية ، وما هو مفهومه للدولة الاسرائيلية وتصوره لامكانيات التعايش السلمى بين الشعبين الاسرائيلى - والفلسطينى ؟

POLITIQUE ETRANGERE

Une Paix Israelo - Palestinienne
Harold H . Saunders
Politique Etrangere
No 3 -82

السلام الاسرائيلي ـ الفلسطيني
هارولد سوندرز

● يقول الكاتب فى مستهل مقاله ـ وهو بصدد الحديث عن حرب لبنان الأخيرة ـ ان كل حرب تضع أوزارها تطرح قضية هامة ، هذه القضية هى طبيعة ميزان القوى الجديد الذى إنبثق عن هذه الحرب . وما يمكن استخلاصه من دروس لبناء مستقبل إيجابى فوق الحطام ـ وهذا يستلزم رجال دولة اقوياء تدفعهم رغبة ملحة لاقرار السلام والتقدم ، رجالا قادرين على إحياء الأمل مرة أخرى من تحت الرماد مستخدمين فى ذلك كل ما لديهم من مواهب .

وحتى اللحظة الراهنة لايوجد ما يدل على ان حرب لبنان قد انتهت ، بل هناك إحتمال كبير بأن تستأنف المعارك مرة اخرى ، ومع ذلك يطرح هارولد سوندرز فرضية إنتهاء هذه الحرب ويبحث تأثيرها على الأطراف المعنية ويخلص الى النقاط الآتية :

أولا : ان هذه الحرب قد أكدت ان « إسرائيل هى القوة العظمى فى الشرق الأوسط » وان القادة الاسرائيليين مصممون على استخدام اقصى درجة من العنف اقتناعا منهم بأن الأمن الاسرائيلى لن يستتب إلا عن طريق القوة . بالاضافة الى أنهم لم يتعرضوا لأى ضغط عسكرى عربى . بل ان اسرائيل قد أكدت عن طريق هجومها على الصواريخ السورية سوفيتية الصنع ، ان العرب لايمكن ان يعتمدوا على مساعدة موسكو ، فى الوقت الذى أكدوا فيه ايضا عجز الولايات المتحدة عن التأثير عندما رفض الزعماء الاسرائيليون الاستجابة للنداءات الأمريكية المتكررة بوقف القتال . ومعنى ذلك ان الولايات المتحدة لا تستطيع ان تفرض السلام على الدول العبرية .

ثانيا : ماهو مستقبل الحركة الفلسطينية ؟ ان الحركة الفلسطينية لم تمت سياسيا ، بل ان منظمة التحرير الفلسطينية قد خرجت من المعركة منتصرة واثبتت أن اسرائيل غير قادرة رغم قوتها على تدمير المنظمة رمز القومية الفلسطينية . هل سيتحد زعماء الحركة الفلسطينية رغم خلافاتهم وانقساماتهم ، فيؤكدون بذلك قدرتهم على تبنى إستراتيجية موحدة على الصعيد الدبلوماسى ؟ التاريخ وحدة سيكون الحكم على ذلك .

ثالثا : لبنان ماذا سيحدث له ؟ هل سيستطيع معالجة مشاكله بعد مغادرة القوات الفلسطينية أراضيه ؟ هذه المشاكل التى ظلت تمزقه سنوات طويلة حتى قبل عام ١٩٧٠ . فى الواقع ان الزعماء اللبنانيين قد انشغلوا دائما بتدعيم سلطاتهم قبل أى شىء وقبل تدعيم وحدة الاراضلا اللبنانية . هل سيتحرر لبنان من جميع قوى التدخل الخارجية بحيث يصبح لديه فرصة للاستقلال وتوحيد اراضيه ؟ أم ستعمل اسرائيل وسوريا على فرض مزيد من السيطرة على لبنان ؟ ان هذا الخيار مطروح الآن فى إسرائيل ، والعرب ويعون تماما لهذا الاحتمال .

رابعا : ينبغى تقييم مواقف الدول العربية تقييما متعمقا . إن الحرب لم تثن مصر والأردن وبعض الدول العربية عن عزمها على مواصلة السعى الى سلام متبادل والعمل مع الولايات المتحدة لبلوغ هذا الهدف ، ولكنها أثارت الشكوك بشأن نوايا اسرائيل الحقيقية ووضعت علامات استفهام حول الدور الأمريكى . إن معظم الدول العربية تشك الآن فى أن الولايات المتحدة قد وافقت ضمنا على الغزو الاسرائيلى للبنان .

ويستطرد سوندرز فى تقييمه للموقف العربى قائلا : إن تردد الدول العربية فى استقبال قوات منظمة التحرير الفلسطينية لايعنى ان المساندة العربية لحق الفلسطينيين فى قيام دولة قد فتر او ضعف . بل بالعكس ان هذه الحرب الاخيرة التى شنتها اسرائيل قد أضرمت جذوة الاصرار العربى على مساندة الحق الفلسطينى ، وفجرت الحماسة الكامنة للقضية الفلسطينية . والآن تعلم حكومات الدول العربية التى يعيش تحت سمائها كثير من السكان الفلسطينيين ـ عن يقين ـ ان استمرار المشكلة الفلسطينية بلا حل يضر بمصالح بلادهم وأمنها ضررا بالغا . ان جميع الشروط متوافرة الآن لوضع خطة جديدة يمكن أن تؤدى الى سلام عربى اسرائيلى فلسطينى : فالادارة

الامريكية تجد نفسها متورطة مرة اخرى بشكل مباشر في الشرق الاوسط ، واسرائيل اماطت اللثام عن اهدافها الحقيقية واجبرت واشنطن على إعادة تعريف العلاقات بين البلدين . ومنظمة التحرير قد تنبهت بلا شك الى ان تحقيق أهدافها يجب ان يكون من خلال العمل الدبلوماسي والخيار السياسي . واخيرا الحكومات العربية المعتدلة في الشرق الأوسط التي تخشى الحركات الراديكالية مستعدة الآن تماما لمساندة مبادرة فلسطينية للسلام .

إن إقرار السلام يستلزم العمل بلا هوادة قبل ان تتجمد علاقات القوى الجديدة إذا هي تركت لنفسها بلا توجيه ، والتي تتطور الى صراع مسلح قبل نهاية الثمانينات وتزيد الفجوة بين الأطراف عمقا وإتساعا .

إن إقرار السلام في لبنان هو مرحلة حاسمة واساسية في إقامة ميزان قوى جديد لصالح السلام الشامل . وهذا مطلب يأتي في المقدمة بالنسبة للشعب اللبناني الذى قاس ظروفا طويلا . لذلك ينبغي ان تساهم جميع الدول وفي مقدمتها الولايات المتحدة في مساعدة لبنان اقتصاديا وانسانيا في عملية البناء . ومثل هذا البرنامج لن يكون فعالا في غياب التوافق السياسي للدولة . ان استغلال الأراضي اللبنانية اساس لبناء سلام شامل ، ويجب ان تنسحب اسرائيل كلية من لبنان وفي اسرع وقت ممكن قبل ان يتأكد احتلالها لجنوب لبنان ، ويؤثر على وضعها كدولة تريد التفاوض بشأن سلام يقوم على أساس الاحترام المتبادل للسيادة . ان استمرارها في تدعيم مواقعها في لبنان هو تأكيد لاصرارها على حل مشاكلها بالقوة وتأكيدا للتواطؤ الامريكي مع الدولة العبرية . ويؤكد سوندرز انه لاتوجد حلول وسط بشأن ضرورة الانسحاب الاسرائيلي من لبنان ، ولكي يتم هذا الانسحاب في جو من الأمن لابد من إجراءين :

أولا : تشكيل قوة مؤقتة لحفظ السلام مهمتها ضمان منطقة سلام بعد حدود اسرائيل الشمالية ، وذلك الى ان تتولى قوة لبنانية القيام بهذه المهمة .

ثانيا : يجب ان تعقد جميع اطراف الصراع في لبنان ميثاقا جديدا وأن تكف اسرائيل وسوريا عن التدخل في شئون لبنان الداخلية وأن يتم انسحاب اسرائيل وسوريا من أراضي لبنان طبقا لخطط متوازية ولكنها منفصلة نظرا لاختلاف المشاكل التي قد تنتج عن طبيعة تدخلهما .. ومن جهة أخرى يجب ان تتوصل الاحزاب اللبنانية المختلفة الى إتفاق بشأن حكومة تمثلها جميعا . وان يتم ذلك سريعا لانقاذ اللبنانيين والفلسطينيين الذين لا مأوى لهم ، الم يحن الوقت لكي يفكر المجتمع الدولي في وضع هيكل يسمح بتناول هذه المشكلة في إطار سلام اسرائيلي فلسطيني ؟

ويستعرض سوندرز مراحل عملية السلام التي بدأت بين مصر واسرائيل . لقد مضت سنوات طويلة من المفاوضات الدائبة المستمرة بين الدولتين لم يتحقق خلالها اى تقدم .. إننا نعلم الآن ان أهم شيء هو تغيير العقليات وليس التفاوض بشأن النصوص ، وان اى إجراء مسبق للبدء في عملية سلام اسرائيلي فلسطيني لن يصل إلا الى طريق مسدود . إن السلام الذى تسعى إليه اسرائيل تحاول فرضه بالقوة وليس عن طريق التفاوض ..

إن سلوك اطراف الصراع من الجانبين تحكمه مشاعر دفينة يعود تاريخها الى عام ١٩٤٨ منذ تقسيم فلسطين . واذا كانت مواقف الدول العربية قد تطورت منذ السبعينات ، فان الموقف الاسرائيلي قد إزداد تعنتا . ان اسرائيل تعتبر القومية الفلسطينية ثمرة لسياسة منظمة التحرير الارهابية . وحتى الاسرائيليين الذين يوافقون على مبدأ تقسيم أراضي الضفة الغربية بين الفلسطينيين واليهود ينكرون على الفلسطينيين حقهم في لعب دور الشركاء المتساوين بل يجب ان يكون ذلك من خلال الأردن . ولكن في نفس الوقت نجد ان الحكومة الاسرائيلية التي تهدف الى تأكيد حق الاسرائيليين في الضفة الغربية لاتحظى بالموافقة الجماعية من جانب السكان الاسرائيليين .. فكثير منهم يعتبر ان الاستمرار في هذه السياسة سيؤدى الى مصير مظلم بالنسبة لاسرائيل . ان ادماج حوالى مليون وربع عربي فلسطيني في اسرائيل بالاضافة الى الفلسطينيين الموجودين أصلا والذين يتمتعون بحقوقهم المدنية والسياسية ستكون نتيجته وبالا على اسرائيل . واذا تم دمجهم وحرموا من هذه الحقوق فمعنى ذلك تناقض تام مع المبادىء والديمقراطية التي تحرص اسرائيل على تأكيد إلتزامها بها . بالاضافة الى ان هذا الاجراء يناقض تماما ايديولوجية حقوق الانسان التي يقول عنها سوندرز أنها لب التقاليد اليهودية » وفي الحقيقة نحن نتساءل أين كانت حقوق الانسان التي هي لب التقاليد اليهودية .. وقت مذبحة صابرا وشاتيلا ؟ !!

أما بالنسبة للموقف الفلسطيني فان الفلسطينيين مقتنعون تماما بأن اسرائيل لن تستطيع الحصول على السلام إلا إذا بدأت حوارا شريفا مع الشعب الفلسطيني واحترمت حقه في تقرير مصيره . إن معظم دول العالم لم تتنبه الى هذا الحق إلا في وقت متأخر . ان الفلسطينيين لايريدون دولة في الاردن ، إنهم يريدون أرض ابائهم واجدادهم . ولا يفهمون لماذا يرفض الاسرائيليون الاعتراف بحقهم هذا وهم الذين رفضوا من قبل اقتراح وطن لهم في افريقيا . كيف يقدم شعب ذو تاريخ حافل بصنوف الأضطهاد على ممارسة هذا الاضطهاد نفسه من شعب آخر ؟ !!

هكذا نرى كيف تنطوى مواقف الأطراف التى لابد من التوفيق بينها على خلافات عميقة . ويجب بذل جهود مضنية من أجل البدء فى عملية التفاوض على ان لايضع الطرفان شروطا مسبقة لما يجب ان تسكون عليه نتائج المفاوضات لأن هذه النتائج ستكون هى محور التفاوض .

كيف السبيل الى التغيير المطلوب فى مواقف الطرفين ؟ هنا يصبح دور الولايات المتحدة اساسيا ، فهى التى تستطيع وضع اسس المفاوضات . ويتساءل سوندرز : هل ستساند واشنطن تسوية عادلة بالنسبة للشعب الفلسطينى ؟؟ أم انها ستتبنى وجهة النظر الاسرائيلية التى تقول : بأن السلام لايمكن تحقيقه إلا إذا تم تشتيت الشعب الفلسطينى وقضى عليه بالقوة ؟ لقد حان الوقت الآن للمناقشة الجادة ، وهناك بعض الأسئلة التى تستلزم الاجابة عليها بعض التفكير .

- هل سيظل الشعب الفلسطينى حركة سياسية فعالة ؟
- هل يمكن القضا عليه أو السيطرة عليه بالقوة ؟
- هل يمكن اعطا هذا الشعب ارضا اخرى بعيدة عن فلسطين ؟ أم أن اهدافه الوطنية ستسعى وتحظى بالمساندة المتنامية لمعظم دول العالم ؟
- هل ستستطيع الولايات المتحدة الاستمرار فى مساندة دولة عبرية قامت على أساس قهر وتشتيت شعب أخر ؟

ان الموقف الدولى قد تطور الان بالنسبة للفلسيطنين ، والعالم يعترف اليوم بالحقوق الوطنية للشعب الفلسطينى . بل ان الرأى العالم العالمى يفكر حاليا فى كيفية التوفيق بين حركتين قوميتين تطالبان بنفس الأرض وكيف يمكن ان يتعايش هذان الشعبان فى سلام . ويقول سوندرز ان موقف الولايات المتحدة فى هذا الصدد كان واضحا منذ البداية ، فقد صوتت عام ١٩٤٨ الى جانب تقسيم فلسطين الى دولتين : واحدة عبرية والأخرى عربية واستبعدت القدس ككيان مستقل ، كما صوتت الى جانب القرار ٢٤٢ الذى يطالب بانسحاب اسرائيل من الاراضى التى احتلها عام ١٩٦٧ ، وانضمت الى مفاوضات كامب دافيد التى تعيد تأكيد القرار ٢٤٢ . هل مازالت الولايات المتحدة على موقفها حتى الآن ؟ هل هى على استعداد لاستخدام نفوذها لكى تصبح عاملا اساسيا فى مفاوضات السلام ؟ فى الواقع ان الولايات المتحدة لايمكن ان تفسر بأى حال من الاحوال القرار رقم ٢٤٢ واتفاق كامب دافيد على اساس انهما يباركان السيادة الاسرائيلية على الضفة الغربية وغزة ! اذن اقامة حوار بين الاسرائيليين وواشنطن هو أمر ضرورى من اجل الابقا على العلاقات الطيبة بين الدولتيين القائمة على اساس الاحترام المتبادل والمصالح المشتركة . ان تدهور العلاقات لن يفيدهما فى شى . اما فيما يتعلق بالتزام الولايات المتحدة بأمن اسرائيل فهو التزام قائم بدون شك . ولكن منذ ١٩٨٢ والتفاهم بين الدولتين يصطدم بعقبتين : أولا طبيعة دولة اسرائيل المطلوب من الولايات المتحدة حمايتها . وثانيا طبيعة المصالح الامريكية التى يجب مراعاتها حتى تستطيع واشنطن الاستمرار فى مساعدة اسرائيل على المدى الطويل .

ومن الواضح ان اسرائيل قد تصرفت فى لبنان دون اى اعتبار او احترام لمصالح الولايات المتحدة . ولذلك وجدت واشنطن نفسها مضطرة لتوضيح حدود مساندتها للدولة العبرية ، واذا لم تفعل الولايات المتحدة شيئا لحل النزاع الاسرائيلى الفلسطينى فان كرامتها وهيبتها كدولة عظمى ستصبح مهددة . ان على اسرائيل ان تعود الى مواقفها التفاوضية التى كانت قد اتخذتها فى ١٩٧٧ و ١٩٧٨ ، وليس من الضرورى ان تلتزم منذ بداية المفاوضات باقامة دولة فلسطينية فى الضفة وغزة . وفى نفس الوقت يجب ان تعلن منظمة التحرير الفلسطينية قبولها لوجود دولة اسرائيلية ورغبتها فى السلام معها . ان مثل هذه التصريحات الواضحة من جانب الفلسطينيين وايضا من جانب الاردن والسعودية ودول عربية اخرى ، يمكن أن تسهم فى تغيير الموقف الاسرائيلى . وعلى الاسرائيليين ان يختاروا بين أمرين : اما التفاوض بشأن السلام ، أو الاستمرار فى أحتلال الاراضى ومواجهة حقبة زمنية اخرى من الصرع .

ان اصواتا كثيرة ترتفع متسائلة : لماذا يجب ان يأخذ العرب الخطوة الأولى . ويجيب سوندرز ان على العرب كسر جمود الموقف الحالى ومما لاشك فيه ان احساسهم بالضعف العسكرى بالمقارنة باسرائيل يضاعف من مرارة الاقدام على هذه الخطوة ولكنهم يجب ان يفهموا ان مثل هذا التصرف سيعمل على تغيير موازين القوى السياسية فى اسرائيل وفى الولايات المتحدة . وهو سلاح سياسى اكثر فعالية من السلاح العسكرى . ان منظمة التحرير الفلسطينية قد قاومت الهزيمة التى أرادت اسرائيل ان تفرضها عليها بالقوة العسكرية التى تفوق قوتها أضعافا مضاعفة وبرهنت على ان اسرائيل لم تستطع أن تفرض عليها حلا عن طريق القوة . اذن تستطيع المنظمة ان تعلن عن انتصارها سياسيا ، وان تجنى ثمار هذا الانتصار على الجبهة الدبلوماسية . وان تقدم على هذه الخطوة دون ان يبدو ذلك كما لو كان استسلاما امام السلاح الاسرائيلى . ويجب ان يتدخل المعتدلون لدى الولايات المتحدة حتى يتم الترحيب بمثل هذه الخطوة فى واشنطن وضمان الثقل الامريكى من اجل مساندة مفاوضات التسوية . ان الدول العربية المعتدلة تنتظر مثل هذه النتيجة بفارغ الصبر حتى تثبت لمعارضيها الراديكاليين ان الطريق السياسى يمكن ان ينجح . اما

اذا فشلت هذه المحاولة فلن تتمكن من مواجهة القوة المتنامية للحركات الراديكالية أو الدينية المتطرفة .

ويضع سوندرز شرطا اساسيا لنجاح أى عملية سلام بين الفلسطينيين والاسرائيليين وهو تطور سلوك الطرفين . ويستعرض بايجاز الصيغ الممكنة للتفاوض ويقع تفضيله على اتفاقات كامب دافيد كاطار لمثل العملية .. فهذه الاتفاقات قد نصت فى الجز الأول منها على سلام مصرى اسرائيلى ، وهو ماتم بالفعل ، اما الجز الثانى وهو المتعلق بالضفة الغربية ، وغزة فلم ينفذ بسبب ردود الفعل العربية الغاضبة ورفض الأردن الاشتراك فى المفاوضات .

ان الاطار المحدد لكامب دافيد بما ينص عليه من مفهوم المرحلة الانتقالية والمفاوضات على مرحلتين بشكل المنهج الوحيد الممكن فى الوقت الحالى . وقد صدق الكنيست على هذا الاطار وبالتالى يمكن ان يشكل قاعدة صلبة للبد فى عملية السلام . ومن الواضح فى ظل الظروف الراهنة ان منظمة التحرير يجب ان تلعب دورا .

نأتى هنا الى المشكلة الرئيسية اى حق الفلسطينيين فى تقرير مصيرهم وهى المشكلة التى لم تحسمها اتفاقات كامب دافيد . لقد كان الأتجاه العام هو منح سكان الضفة وغزة حكما ذاتيا حقيقا ، وان تبدأ اسرائيل فى سحب قواتها العسكرية وانها ادارتها المدنية خلال المرحلة الانتقالية قبل ان يبدأ التفاوض حول الوضع النهائى لهذه الاراضى . ولكن بيجين اطاح بامكانية تنفيذ هذه الفكرة . ان اى حكم ذاتى لن يتحقق الا اذا تأكد الفلسطينيون من ممارسة حقهم فى تقرير مصيرهم ، وهو مايمكن ترجمتة بالاختيار بين دولة فلسطينية منفصلة فى الضفة الغربية وغزة أو نوع من الاتحاد الفيديرالى مع الاردن . ان الحكومة الاسرائيلية ترفض فكرة دولة فلسطينية مستقلة ويتفق فى الرأى معها معظم الاسرائيليين ، لذلك قد يكون من الأفضل مواجهة المشكلة على مرحلتين كما هو الحال فى اتفاقيات كامب دافيد : أى مرحلة مؤقتة تسمح بتطور الموقف بحيث يستطيع فلسطينو الضفة والقطاع التعبير عن انفسهم بوضوح ثم يشتركون فى المرحلة الثانية من المفاوضات التى سيتم خلالها تحديد الوضع النهائى لهذه الاراضى . ومما لاشك فيه ان اتفاقا يتضمن مرحلة انتقالية ويحتم اقامة حكم ذاتى حقيقى تمارسه سلطة ذاتية فلسطينية منتخبة فى حرية تامة لايمكن ان تتجاهله الدول العربية . لقد حان الوقت لاتمام تقدم ملموس حتى يكف العرب عن اعتقادهم بأن الحكم الذاتى ليس سوى تضليل يخفى وراه سيطرة اسرائيلية مطلقة .

أن على الولايات المتحدة ان تختار بين جهود روتينية من أجل التوصل الى مايمكن ان يطلق عليه حكما ذاتيا وبين جهود حاسمة وجادة من اجل عقد اتفاق حول حكم ذاتى حقيقى يمكن ان يسمح بفترة انتقالية او اى عملية اخرى فى الضفة وغزة . واذا قررت الولايات المتحدة الاسهام فى اقامة حكم ذاتى حقيقى فان مركز المفاوضات سينتقل من محور القاهرة تل أبيب الى محور وشنطن تل أبيب .

ان الاستراتيجية الامريكية لاقرار السلام فى المنطقة ستفتقر الى عامل بالغ الاهمية اذا لم تبدأ واشنطن فورا حوارا نشيطا مع اطراف النزاع العربية لتؤكد لهم استعدادها للتفاوض مع اسرائيل وان تعلن هذا الاستعداد على الملأ حتى تؤثر على الاحداث . ومما شك فيه ان عملية المفاوضات ستكون مليئة بالعقبات لذلك يجب ان تتم على مراحل بأمل ان تتطور المواقف تدريجيا مع مرور الوقت ويتم بنا قاعدة للثقة تسمح للفلسطينيين بممارسة حق تقرير المصير واقامة هيكل سياسى يشتمل على جميع الضمانات التى تكفل امن اسرائيل فى المستقبل .

ان التحرك الامريكى من اجل بد عملية المفاوضات سينشط على أربع جبهات : ايجاد حل للمشكلة اللبنانية ، ايجاد ارضية مشتركة بين اسرائيل وواشنطن ، تشجيع العرب والفلسطينيين على التعبير بصراحة عن رغبتهم فى السلام مع اسرائيل ، الاصرار على حكم ذاتى حقيقى لفلسطينى الضفة وغزة وفى نفس الوقت الاتصال بممثلى الحركة الفلسطينية فى مجموعها .

ان العمل على تحقيق اربعة اهداف فى نفس الوقت ليس بالأمر الهين ولن يكون التقدم سريعا . ان مثل هذه الاستراتيجية تتطلب عقلية جبارة وتحركا دقيقا وقدرة على التصدى لكل محنة .

وفى ختام المقال يؤكد سوندرز انه مدرك تماما الصعوبة الاقدام على تنفيذ هذه الاستراتيجية مع كل المشاكل الموجودة ولكنه يعلم ان تجاهل الازمة وتركها بلا حلول دليل على العجز ، ويضعف من خطورة الموقف المتفجر ، فى حين ان الامساك بزمام الاحداث والاصرار على البحث عن حل للازمة قد يؤدى فى النهاية الى استتباب السلام والأمن .

FOREIGN AFFAIRS

The U. S. S. R In The Middle East
Power In Eclipse
Karen Dawisha
Foreign AFFairs Winter 1982 / 83

...حـــاد الســـــوفيتي في الشرق الأوسط
قوة عظمى في أفول ؟
بقلم كارين داويشا

...ـاالذى حـدث للاتحـــاد الســـوفيتى ف الشرق الاوسط ؟ فلو كانت موسكو تسعى الى الاستفادة من ...راعات المنطقة لاتخذ الزعماء السوفييت موقفا اكثر ...سوة وحسـما مـن الغـزو الاسرائيلى الأخير للبنان ...يوقفوا الى جانب الفلسطينيين بشكل اكثر فعـالية ...لكننا نجد ان هؤلاء الزعماء قد اكتفـوا بـالتصريحات ...التى تسمن ولاتغنى من جوع وقد كان هذا التقاعس من ...جانب الاتحاد السوفيتى خلال الازمة سـببا ف اثـاره ...الشكوك بشأن قدرته على التأثير ف الاحـداث ف لبنان ...اولا والشرق الاوسط ككل ثانيا . ان هذا المقال يبحث ...اسباب الموقف السوفيتى من الازمة واثر هذا الموقف ...على هيبة ونفوذ الاتحاد السوفيتى ف المنطقة هـل كان ...هذا التخاذل من جانب موسكو ناتجا عن تدهور حـالة ...بريجنيف الصحية ف ذلك الوقت ، ام هو نتيجة سياسة ...محسوبة تدخل ضمن اطار استراتيجية سوفيتية جديدة ...ف المنطقة لعصر مابعد بريجنيف ؟

لقد اعتاد المحللون الغربيون ف الحقبة الماضـية على ...تصرفات سوفيتية اكثر عدوانية على المستوى العسكرى ...ف الشرق الاوسط . ويكفى ان نذكر مـوقف مـوسكو ...الايجابى عام ١٩٧٠ عندما اوفدت خبـراء الصـواريخ ...الى مصر لوقـف الغـارات الاسرائيلية على الاراضى ...المصرية . خـلال حـرب الاسـتنزاف واعادة تسـليح الجيوش العربية عام ١٩٧٣ ودور الجنرالات السوفييت ف الهجوم الاثيوبى على اوجادين ف ٧٧ ــ ١٩٧٨ ولكن الامر اختلف تماما خـلال الغـزو الاسرائيلى للبنان . وحتى المساعدات التى قدمتها مـوسكو لسـوريا كانت محدودة ولم تقدم اى مسـاعدة للفلسـطينيين ويقـول كارين داويشا ان الامر قد بـدا كمـا لو كان الزعمـاء السوفييت قد استرخوا تماما عندمـا ايقنوا ان هـدف الغزو الاسرائيلى ف النهاية هو لبنان فقط وليس دمشق فقد لوحظ غياب التصريحات السـوفيتية التـى تهـدد بالتدخل العسكرى التى اتصف بها رد الفعل السوفيتى ف جميع ازمات الشرق الاوسط السابقة . وكان اقصى ماستطاع بريجنيف التهديد بـه هـو اعادة النظـر ف سياسته تجاه الولايات المتحدة اذا قامت هـذه الأخيرة بارسال قـوات الى لبنان . والاغرب مـن هـذا غياب المساندة السوفيتية الرسمية للمقاتلين الفلسطينيين بل ان خطاب بـريجنيف الاول الى ريجـان الذى دعاه فيه الى وقف المجزرة البشعة ضد النسـاء والاطفـال ، لم يذكر شيئا عن الخسائر الفادحة التى تـكبدتها منظمـة التحرير الفلسطينية والمقاتلين اللبنانيين اليساريين وقد تكرر هذا الموقف ف الخطاب الثانى حقا ان الصـحافة السوفيتية قد نشرت مقالات كثيرة تؤيد منظمة التحرير بصفتها الممثـل الوحيد للشـعب الفلسـطينى .. ولكن الموقف السوفيتى الرسمى ظل متخـاذلا على الصـعيد الدبلوماسى .

ويؤكد الكاتـب ان عزوف السـوفيت عن مسـانـدة منظمة التحـرير الفلسـطينية رسـميا لم يكن بسـبب استنكاف هذه الاخيرة السعى الى طلب هذه المسـاندة بل ان نايف حواتمه قد صرح انه توجه عدة مـرات الى السفارة السوفيتية ف بيروت الغربية لطلب المسـاندة ف بداية الغزو الاسرائيلى وما مـن مجيب وطـار فـاروق قدومى على رأس وفد عربى للتفـاوض مـع جـروميكو بشأن تصرف سوفييتى اكثر فعالية لمسـاندة المنظمـة وكان بعض اجنحة المنظمة ان تقوم موسكو باستعراض قوة فترسل سفنا حربية او قوات جـوية الى سـوريا . ولكن جروميكو اوضح ان هذا غير وارد وان موسكو لن تذهب الى ابعد من الجهود الدبلوماسية التـى تبـذلها حاليا ف الشرق الاوسط ... اذن الاتحاد السـوفيتى لم يفعل سوى محاولة حماية سوريا . وف اطار ذلك قـام ببعض الاجراءات لوضع حد للازمة وتعـزيز القضـية الفلسطينية وهذا الموقـف البـارد يتناقض مـع الهياج الدبلوماسى الذى حدث ف واشنطن حيث تنافس الزعماء العرب المعتدلون على اذكاء جذوة هذا الهياج .

وقد ذكر السـوفيت اسـبابا عديدة لعـدم تقـديمهم مساعدات حاسمة للعـرب اهمهـا : ان اسرائيل هـى المسئولة عن انفجار الازمة بـالاشتراك مـع واشـنطن

التي اعطت الضوء الاخضر للغزو وان الاتحاد السوفيتي لم يرغب في امتداد الحرب الى الدول المجاوره ومما لاشك فيه ان موسكو لايعنيها هنا الا نظام الاسد الذي لاتريد ان تعرضه لمزيد من القلاقل والاضطرابات فقد يؤدي اتساع رقعة الحرب الى مواجهة بين القوتين العظميين لذلك ارادت موسكو ان تحصر الحرب في لبنان . ومما لاشك فيه ان موسكو كان يحدوها الامل في ان يثير استخدام اسرائيل للسلاح الامريكي في ضرب لبنان عداء الدول العربية للولايات المتحدة وتستفيد هي بالتالي من هذا الوضع سبب اخر لصمت الاتحاد السوفييتي هو سلبية الزعماء العرب . ان العرب لم يستطيعوا حتى وضع استراتيجية موحدة لمواجهة غزو اسرائيل للبنان . ومساندة الفلسطينيين ولن تكون موسكو ملكية اكثر من الملك .

ولكن بالرغم من هذه المحاولات التي يقوم بها السوفيت لتبرير موقفهم السلبي الا ان الحقيقة المؤكدة هي تناقض هذا الموقف الاخير مع المواقف السوفيتية الإيجابية السابقة في الستينات وايضا في بداية السبعينات . فلم تنتظر موسكو في ذلك الوقت ان يتحد العرب او يجمعوا كلمتهم علي شيء بل كانت تبادر بالتصرف ثم تفكر بعد ذلك في النتائج ، فما الذي حدث ؟

اسباب تغير الموقف السوفيتي :

● ان السبب الاول لتغير الموقف السوفيتي هو تغير العالم العربي نفسه . فقد كانت الوحده العربية والقومية التي نادى بها جمال عبد الناصر في ايامه تشكل احد العوامل الهامة في ميزان القوى في الشرق الاوسط . ولكن هذه الايام الخوالي قد ذهبت بلارجعة حيث لم يكن اى زعيم عربي يجرؤ على التحالف مع الولايات المتحدة خشية ان يطيح به شعبه فقد كانت مشاعر القومية والوطنية متأججة وكانت صورة الاتحاد السوفيتي في ذلك الوقت هي صورة الحليف الذى لامصلحة له في مؤازرة القضية العربية . اما اليوم فقد تضاءلت هذه المفاهيم حتى كادت ان تتلاشى ولم يبق سوى بعض النظم العربية القليلة التي مازالت على اخلاصها لموسكو وحتى هؤلاء يجب معاملتهم بحرص شديد . لقد كانت موسكو في الماضي تستطيع ان تسمح لنفسها بارتكاب بعض الاخطاء في سياساتها في العالم العربي . فلو انها صادفت مشاكل مع احد النظم فانها كانت تستطيع ان تركز علي اخر فقد كانت المصدر الوحيد لاى مساعدة اقتصادية او سياسية او عسكرية يريدها هذا العالم . اما اليوم فقد ادى النمو الهائل في القوة المالية لدول البترول الى خلق مراكز قوى بديلة تستطيع ان تؤثر في مواقف الزعماء الراديكاليين من امثال الاسد وعرفات .

سبب اخر لتغير الموقف السوفيتي في الشرق الاوسط هو ظهور مشاعر التعاطف مع العرب والعداء لاسرائيل في اوروبا الذى سمح للدول العربية بتنويع مصادر سلاحها بعد أن كانت تعتمد على السلاح السوفيتي فقط . فقد تسلم العراق مثلا كميات هائلة من السلاح المتنوع من فرنسا وكانت النتيجة هي انخفاض معدل استيراده للسلاح السوفيتي من ٩٥٪ عام ١٩٧٢ الى مايقل عن ٦٦٪ في الوقت الحالي ، بالاضافة الى ان جميع الدول العربية سواء الراديكالية او المعتدلة تتطلع اليوم الى الغرب وليس الى الاتحاد السوفيتي لتنمية اقتصادياتها والحصول علي التكنولوجيا .

ويقدر ماكانت القومية العربية التي سادت في الخمسينات والستينات وبداية السبعينات تتفق في نقاط كثيرة مع الايديولوجية السوفيتية بقدر مايتناقض التطرف الاسلامي الذى هز الشرق الاوسط منذ سقوط الشاه مع هذه الايديولوجية حقا ان موسكو قد رحبت بسقوط الشاه وبالنظام الاسلامي الجديد ولكن سرعان ما تدهورت الآمال التى عقدتها على هذا النظام وتنبهت تدريجا الى المخاطر التى يشكلها هذا النظام على امنها الداخلي . وقد وصلت العلاقات بين البلدين إلي ادنى مستوى في الوقت الأخير . فقد سمحت طهران للثوار الافغان بالعمل من اراضيها ، وقام الايرانيون في بداية ١٩٨٢ باطلاق النيران على طائرات هليوكوبتر كانت تطارد الثوار داخل الأراضى الايرانية ، كما اعلن سفير ايران في جنيف استعداد بلاده للاعتراف بحكومة افغانية في المنفى . وهكذا اصبحت قدرة السوفييت على التأثير في ايران محدودة جدا .

ولكن اذا كان العالم العربى والاسلامي قد تغير بحيث اصبح من المتعذر على الاتحاد السوفيتي السيطرة عليه . فان الاتحاد السوفيتي نفسه قد تغير كذلك . ان سبب سياسة الاهمال المحسوبة التى اتخذتها موسكو في مواجهة احداث لبنان يعود ايضا في جزء كبير منه الى عزوف الاتحاد السوفيتي نفسه عن التدخل . واسباب هذا العزوف كثيرة منها ان موسكو طالبت منظمة التحرير الفلسطينية مرارا وتكرارا بضرورة ايجاد حل دبلوماسى للقضية الفلسطينية .

ويشير الكاتب في هذا الصدد الى بعض الوثائق الفلسطينية التى استولى عليها الاسرائيليون خلال الغزو ، وقد تضمنت هذه الوثائق تسجيلات كاملة للاحاديث التى دارت بين عرفات وجروميكو وبونوماروف عام ١٩٧٩ ، وتوضح هذه الاحاديث ضغط موسكو على المنظمة من اجل الاعتراف

اسرائيل ، وتحذيرها من عواقب بناء دولة داخل الدولة لبنان . هذا فيما يتعلق بالفلسطينيين

اما فيما يتعلق بلبنان فان موسكو قد اعلنت تأييدها استقلال الاراضى اللبنانية وسيادة لبنان وهى بلا شك ترغب فى انسحاب القوات الاسرائيلية كما انها لا تحبذ الوجود السورى فى لبنان لانها تعتبر ان هذا الوجود يضعف نظام الاسد داخليا وخارجيا . ان هناك دلائل كثيرة تشير الى ان استمرار الصراع فى الشرق الاوسط لم يعد يخدم المصالح السوفيتية . اولا لان اسرائيل تستغل الفشل العربى المتكرر فى مواجهتها لتشويه صورة موسكو امام دول العالم العربى كحليف يعتمد عليه يزود دول هذا العالم بسلاح متخلف . وثانيا لان السياسة الخارجية السوفيتية قد ارهقتها الازمات التى تواجهها فى بولندا وافغانستان ومحاولات التطبيع مع الصين وادارة العلاقات بين الشرق والغرب وكلها مجالات تفوق اهميتها الشرق الاوسط ، وقد اوضحت الطريقة الحذرة التى اتبعتها موسكو اخيرا فى تغيير القياده السوفيتية مدى حرص السوفيت على تحاشى ازمة خلافه وما يمكن ان تثيره من مشاكل داخلية . إن عدم اقدام موسكو على التدخل الفعال فى الازمة اللبنانية لم يكن نتيجة ضعف الزعامة الجديدة وعدم قدرتها على اتخاذ القرار المناسب وإنما لان هذه الزعامة قد اتخذت بالفعل قرارا باتباع سياسة الاهمال المدروس طالما ان الازمة يمكن احتواؤها داخل الحدود اللبنانية ..

مستقبل السياسة السوفيتية فى الشرق الاوسط :

● ماهو الذى اذن مستقبل السياسة السوفيتية فى المنطقة ؟ يبدو ان موسكو ستواصل السياسة التى انتهجتها اخيرا فى منطقة الشرق الاوسط . وهى سياسة لاتعرضها لمخاطر جسيمة ولا تكلفها نفقات باهظة : اى مساندة الدول الموالية لها فى المنطقة ومحاولة الهجوم على مبادرة ريجان وافشالها واقناع دول المنطقة بعدم قبولها ، ان الاردن يلعب دورا هاما فيما يتعلق بخطة ريجان للسلام لذلك اصبح اخيرا محور اهتمام القوتين العظميين وتحاول كل منهما جذبه تجاهها والتاثير على موقفه . لان اى التزام من جانب الملك حسين بالتفاوض سيعطى المبادرة قوة الدفع اللازمة لوضعها موضع التنفيذ .

هل يوجد هدف اخر يضر بالمصالح الغربية يسعى اليه السوفييت خلاف تدمير مبادرة ريجان ؟ نعم هناك هدف استعادة موسكو لمكانتها السابقة فى مصر . ان الآمال قد انتعشت فى تحقيق هكذا الحلم بعد موت السادات وهذا يفسر التفاؤل الواضح فى الصحافة السوفيتية والمقالات المنغمة بالحنين الى العودة الى ايام الصداقة التى كانت تربط بين البلدين . ورغم ان المسئولين السوفيت واعون تماما لصعوبة استعادة نفوذهم فى مصر ، الا انهم مستبشرين خيرا بمواقف هذه الاخيرة الحازمة ، فى مواجهة اسرائيل واستدعاء السفير المصرى وتصريحات المسئولين المصريين حول رغبة الحكومة المصرية فى تحسين علاقاتها بموسكو . ولكن هذه آمال بعيدة التحقيق ، فبالرغم من أن الرئيس مبارك لديه مفهوم مختلف عن دور مصر فى العالم العربى الا انه لن يسمح بعودة السيطرة السوفيتية على شئون مصر الداخلية والخارجية التى كانت قائمة فى عهد عبد الناصر .

باختصار أن النمو الهائل فى القوة العسكرية السوفيتية خلال الحقبتين الماضيتين قد افاد الاتحاد السوفيتى فيها يتعلق بقدرته الاستراتيجية على نشر قواته فى كل من المناطق القريبة والمحيطة من افغانستان حتى انجولا ولم ينجح فى ترجمة هذه القوة العسكرية الى اى نوع من انواع السيطرة السياسية على الشرق الاوسط ، باستثناء اعتماد دول ذات النظم الراديكالية على الاسلحة السوفيتية وعدد هذه الدول فى تضاؤل مطرد وهكذا نجد ان موسكو تقتصر حاليا الى اى نفوذ سياسى او اقتصادى فى الشرق الاوسط والامل الوحيد امامها اثارة الدول العربية ضد الولايات المتحدة وافشال خطة ريجان للسلام ومما لاشك فيه ان الاتحاد السوفيتى قد يصيب بعض المكاسب اذا فشلت المقترحات الامريكية ولكنها فى الواقع مكاسب هامشية ويؤكد المقال ان الاتحاد السوفيتى لن يصيب تقدما ملموسا وفعالا فى منطقة الشرق الاوسط الا اذا قام بتغيير سياسته تغييرا جذريا ووضع حدا لسياسة الاهمال المدروس » .

politique internationale

Le Dilemme Syrien Philippe Randot
Politique Internationale
N o : 18 - Hiver 1982 / 1983

« المعضلة السورية »

بقلم : فيليب راندو

● ان الصورة التي رسمتها سوريا لنفسها امام العالم منذ استقلالها عام ١٩٤٦ هي صورة سيئة للغاية نتيجة الانقلابات المتعاقبة التي اجتاحتها منذ ذلك الوقت وفشل وحدتها مع مصر وعلاقاتها الحميمة مع موسكو والانقلاب العسكري البعثي عام ١٩٦٣ وخلافات حزب البعث الحاكم الخطيرة التي حسمها حافظ الاسد بانقلاب آخر عام ١٩٧٠ .

ماهو مصير هذه الدولة القلقة ؟ ماهي خطط الاسد بالنسبة لمستقبل سوريا داخل الامة العربية ؟ ماهي اللعبة التي تدفع بسوريا في احضان موسكو ولاتبعدها في نفس الوقت عن واشنطن ؟ ماذا يمكن ان ننتظر من هذا النظام في بحثنا عن تسوية لأزمة الشرق الاوسط ؟

ان العالم قد صب لعناته في هذه الاونة الاخيرة على السياسة والتصرفات السورية . ولكن الكاتب يدعونا الى محاولة فهم هذه السياسة ودوافعها قبل الحكم عليها . ان حزب البعث يحكم سوريا منذ ١٩٦٣ وادت صراعات الحزب الداخلية الى تعطيل عملية بناء الهياكل الاجتماعية والحكومية . وعندما استولى حافظ الاسد على الحكم بدأ حركة اصلاح ومنذ ذلك الوقت والاسد يحكم البلاد بمساعدة نفس الفريق . ولم تعرف سوريا هذه الاستمرارية منذ استقلالها . وهذا الاستقرار الظاهري يعود الى تحالف القوى الثلاث التي تحكم وهي البعث والجيش والعلويون وفيما يتعلق بحزب البعث فقد نشأ في سوريا في الاربعينات ونظرا لعدم اهتمام الشعب السوري بالشئون العامة فقد صادف الحزب مصاعب كبيرة في اثارة الاهتمام بايديولوجيته فيما عدا قلة قليلة وقد ظهر الحزب البعثي السوري استعدادا للمناقشة الديمقراطية في اجتماعه الاخير في بداية عام ١٩٨٠ وقام كثير من الاعضاء باثارة بعض صور الفساد في القيادات ووجه بعضهم الاتهامات الى رفعت الاسد . وقد دفعت قيادة الحزب الثمن غاليا فقد تم تطهيرها واستبعاد اربعة عشر من الشخصيات القيادية واستبدالهم برجال الاسد . ثم تشكلت وزارة جديدة من الموالين للأخوة الاسد . وهكذا اصبح الحكم في سوريا حكما شخصيا ، وهو مايتناقض تماما مع مبدأ البعث الذي ينادي بالادارة الجماعية . ولذلك يعتبر البعض ان رسالة البعث في سوريا اصبحت بلامعنى .

اما الجيش فهو يحتل مكانا رئيسيا في ادارة الشئون السياسية السورية وقد ادت الانشقاقات التي حدثت داخل حزب البعث السوري منذ ان استولى على السلطة في ١٩٦٣ وحتى عام ١٩٧٠ الى وضع العسكريين في مواجهة المدنيين مثلما وضعت المعتدلين في مواجهة اليساريين . ان اغتيال امين الحافظ في فبراير ١٩٦٦ وابعاد الزعامة التاريخية لحزب البعث وبروز الجناح المدني بزعامة صلاح البيطار لم يمنع من تصاعد قوة الجناح العسكري بزعامة حافظ الاسد ، وقد نجح الانقلاب الذي قام به الاسد في اكتوبر ١٩٧٠ بفضل الجيش وخاصة سلاح الطيران الذي كان قائدا له ومنذ ذلك الحين والجيش موجود في كل مايتعلق بادارة البلاد ويستأثر بمزايا كبيرة وسلطات واسعة . فنجد ان كبار العسكريين يسيطرون على حزب البعث كما يراقب الجيش انشطة الاحزاب الاخرى . وتتولى فرقة قوامها ٣٠,٠٠٠ رجل بقيادة رفعت الاسد عملية اقرار الامن في البلاد . وقد استطاع الجيش بفضل جميع هذه المزايا ان يسيطر على قطاعات عريضة من المجتمع المدني مثل الصناعات والموانى والطيران المدني وغير ذلك . وهكذا تصبح مهمة الجيش ليست فقط الدفاع عن الحدود ضد العدو الاسرائيلي وانما تمتد الى قمع اى محاولة في الداخل للمساس بمصالحه .

والى جانب ان النظام السوري نظام عسكري بعثي فانه ايضا نظام علوي لأن حافظ الاسد ينتمي الى هذه الاقلية الطائفية والتي تشكل ١٢٪ فقط من السكان وينظر اليها بقية المسلمين بشك كبير . وهذه الاقلية المكروهة تتبوأ مكانة عالية في اداره شئون البلاد . ويكفي ان رئيس الدولة ورئيس الجيش من العلويين .

... استغل المتطرفون الدينيون هذا الوضع لاحياء الخلافات القديمة في مجتمع يتكون اساسا من السنيين .. ان حركة الاخوان المسلمين التي بدات في نهاية الحرب العالمية الثانية قد استطاعت ان ... في سوريا وخاصة دمشق وحمص وحماة . وكان الاسد . ان يواجهها عندما قامت الدوائر الاسلامية بالهجوم على الدستور الجديد عام ١٩٧٣ ... بالالحاد واستطاع الاخوان ان يثيروا مشاعر السخط على العلويين . وقد كانت الاضطرابات التي تعرضت لها سوريا في ١٩٧٧ و١٩٨٠ هي حصاد هذه المشاعر المكبوتة . واستطاعت عمليات القمع التي قام بها النظام اخماد هذه الاضطرابات مؤقتا . ولكن سرعان ما انفجرت احداث حماة في فبراير ١٩٨٢ ولكن الاسد تمكن مرة اخرى من السيطره على الموقف بعد مذبحة راح ضحيتها حوالي ١٠,٠٠٠ شخص .

ويعزو الكاتب ضعف المعارضة في سوريا الى كونها معارضة غير متجانسة تضم جنبا الى جنب متطرفين دينيين وبعض المثقفين المترددين المنقسمين وصغار التجار الساخطين وفي نهاية ١٩٨٠ كان من الممكن ان يؤدى تجمع الجبهة الاسلامية المتحدة وبرنامجها الذى تضمن اعلان الثورة الاسلامية الى عملية ثورية على النمط الايرانى ولكن عناصر المعارضة الاخرى لم تبد اى استعداد للتحالف مع هذه الجبهة الدينية خشية ان تشهد نظاما اسلاميا متطرفا مثل النظام الايرانى يفوق في طغيانه النظام البعثى الذى تشكو منه . اذن لايوجد مايهدد نظام الاسد في الوقت الحالى مادام الجيش على اخلاصه له .

سوريا الكبرى من الحلم الي الحقيقة :

● ان كثيرين يعتقدون ان الخطر الاكبر الذى يتربص بالنظام السوري هو هامشيته المتزايدة ، فهو نظام يعتمد علي اجهزة القمع وعلى اقلية طائفية وصلته بالمجتمع مقطوعة تماما : فكيف يمكن اذن لمثل هذا النظام المعزول داخليا ان يحقق الطموحات الاقليمية التي ينادي بها حزبه وعلي راسها العودة الي سوريا الكبري .

لقد كانت سوريا عام ١٩١٨ او بلاد الشام كما كانت تدعى في ذلك الوقت سوريا الحالية ولبنان وفلسطين والاردن ، ثم وجدت نفسها بعد معاهدة سيفر داخل حدود مصطنعة . ان الدستور البعثى ينص على ان الامة العربية تشكل وحده ثقافية وان الخلافات الموجودة حاليا بين ابناء هذه الامه هى خلافات مؤقتة وستختفى فور صحوة الضمير العربى . وسوريا بعثية ولذلك فهى ملتزمة بهذا الهدف . وفي هذا الاطار يمكن ان نفهم سياسة دمشق في لبنان . لقد قبلت سوريا على مضض وجود لبنان المستقل عام ١٩٢٠ اليست لبنان جزءا من سوريا ؟ الم يهدد وزير خارجية سوريا عام ١٩٧٦ بضم لبنان فورا ودون تردد إذا تعرض للتقسيم ؟ ان هذه السياسة الاقليمية التي يثور الشك بشأن دوافعها الحقيقية والتى تدعى دمشق انها تهدف الى توحيد استراتيجية البلدين في مواجهة اسرائيل هذه السياسة لم تؤد الى النتائج المرجوه فلم تحقق السلام في لبنان . واظهر الزعماء اللبنانيون تحفظا شديدا في علاقاتهم بدمشق . ولم يعد اللبنانيون سواء مسلمين او مسيحيين يطيقون هذا الوجود السورى المسلح الذى اتخذ مظهر الاحتلال الاجنبى . ولكن الكاتب يقول انه من الصعب ايضا التكهن بما كان يمكن ان يحدث لو لم تتدخل سوريا وتقف بين المتنازعين وقبل ان تبدأ في فرض سيطرتها .

ان العلاقات بين السوريين والفلسطينيين كانت دائما علاقات متصارعة . فقد ارادت دمشق منذ البداية السيطرة على الحركة الفلسطينية لذلك نجد ان الاسد بعد ان هاجم سياسة الفلسطينيين في لبنان في ابريل ١٩٧٧ . عاد واقترح ان يكون هو حامى مصالحهم في الشرق الاوسط . ان هناك بالفعل تضامنا سوريا فلسطينيا فيما يتعلق بالمعركة ضد اسرائيل ولكن هذا التضامن يقف عند حد معين . فسوريا لاترغب في التورط عسكريا مع المنظمة بل ان الجيش السورى قد قام بحملة ضد القوى الفلسطينية التقدمية في سبتمبر ١٩٧٦ كانت ستؤدى الى ابادة هذه القوى لولا تدخل السعودية . وقد حدث بعض التقارب بين المظمة وسوريا في اعقاب المعارضة المشتركة التي اثارتها جبهة الرفض ضد مصر في نوفمبر ١٩٧٧ ولكن الاحداث الاخيرة في لبنان قد اوضحت تماما استعداد دمشق للتخلى عن الفلسطينى تعرضت مصالحها القومية للخطر .

ان موقف سوريا على الجبهة الشرقية قد اصبح مزعزعا تماما وقد اعتبرت دمشق اعلان اسرائيل ضم مرتفعات الجولان الذى صوت عليه الكنيست في ١٤ ديسمبر ١٩٨١ بمثابة اعلان حرب . ولكن اذا كانت العواطف قد منعت الاسد من السير في نفس الطريق الذى سلكه السادات ، فان المنطق قد فرض عليه ايضا عدم الالقاء بنفسه في حرب شاملة ضد اسرائيل . وقد عبرت القوات الاسرائيلية الحدود اللبنانية في ٦ يونيه الماضى وشنت هجوما وحشيا ضد القوات الفلسطينية وفي ١١ يونيه قبلت سوريا وقف اطلاق النار الذى اقترحته اسرائيل وكانت ضربة التحذير التي وجهتها اسرائيل في ٢٤ يوليه الى القوات السورية في البقاع كافية لكى تنسحب هذه القوات تاركة القوات الفلسطينية وحدها في مواجهة العدو الاسرائيلى .

وقد ترددت اخيرا شائعات تفيد بأن سوريا واسرائيل لم تشتبكا فى المعركة لانهما تخططان للاستيلاء على لبنان وتقسيمه بينهما . وهذه مقوله لايمكن تصديقها فهل تملك سوريا واسرائيل الامكانيات المادية والعسكرية لفرض حماية مزوجة واستمرارها ؟ وهذا يفترض موافقة الولايات المتحدة . ان الموقف الامريكى فى هذا الصدد لايحتمل اللبس فهى اى امريكا - تساند استقلال لبنان وتحرره من القوى الدخيلة . اذن مسالة تقسيم لبنان غير واردة ان المأساة بالنسبة لسوريا تكمن فى كونها لاتستطيع ان تقترح حلا سلميا لمشكلة الشرق الاوسط يتفق ومعتقداتها ومع الدور الذى تريده لنفسها فى المنطقة لانها غارقة فى تناقضاتها الداخلية وتواجه ضغوطا خارجية ساهمت هى نفسها فى خلقها الى حد كبير .

وقد تدهورت العلاقات بين سوريا والاردن فى اعقاب فشل مشروع الوحدة بين البلدين الى الحد الذى كادت معه الحرب ان تندلع بينهما فى نوفمبر - ديسمبر ١٩٨٠ لولا وساطة الرياض وينسحب ذلك على علاقات دمشق ببغداد . فقد بدأ نوع من التقارب بين البلدين فى نهاية عام ١٩٧٨ بهدف تحقيق الوحده بينهما التى ستربط بين جناحى حزب البعث ولكن هذا التقارب لم يدم طويلا ففى يولية عام ١٩٧٩ اتهمت بغداد حافظ الاسد بالتآمر على العراق . ثم جاءت الحرب العراقية الايرانية لتوقظ الخصومة بين العاصمتين البعثيتين وتضرب دمشق عرض الحائط بالوحدة العربية التى ترفع شعارها فتعلن مساندتها لايران ضد العراق . وكان ذلك الموقف سببا فى عزل سوريا فى العالم العربى .

الشرق ام الغرب ؟

● ان سوريا قد سعت دائما لبلوغ هدفين متميزين فى نفس الوقت : الاول تدعيم التحالف العربى ضد اسرائيل على ان يكون ذلك تحت زعامتها والثانى العمل على التقدم فى اتجاه وحدة عربية شاملة على ان يتولى حزب البعث الاشراف على هذه العملية . وقد ادت التناقضات الناتجة عن محاولات بلوغ هذين الهدفين فى نفس الوقت الى تعقيد الموقف السورى الذى اصبح لايقنع احدا . لذلك وجدت سوريا نفسها مضطرة لاتخاذ موقف اكثر راديكالية والبحث عن ضمانات فى اماكن اخرى . وكانت موسكو تنظر الى دمشق بحذر شديد حتى عام ١٩٦٤ وهو العام الذى قامت فيه سوريا ببعض الاصلاحات الاشتراكية ثم مالبثت العلاقات ان توطدت بين البلدين وزودت موسكو الجيش السورى بكميات هائلة من السلاح واستمرت فى ذلك حتى بعد هزيمة ١٩٦٧ وعندما استولى حافظ الاسد على السلطة فى عام ١٩٧٠ اثار ذلك قلق السوفييت وقد استطاع الاسد ان يتهرب من عقد معاهدة صداقة وتعاون مع الاتحاد السوفيتى على غرار تلك التى عقدها مع مصر والعراق . ولكن الازمة السوفيتية المصرية التى كانت بشائرها قد بدأت جعلت موسكو تتمسك بدمشق وتستمر فى تزويدها بالسلاح والخبراء . ولم توقع سوريا اتفاقية التعاون والصداقة مع الاتحاد السوفيتى الا فى ديسمبر ١٩٨٠ . ان دمشق لم تجد لنفسها مخرجا من المأزق الذى وضعت نفسها فيه بسبب عزلتها ومتاعبها الداخلية سوى هذا التحالف الذى اقترحته موسكو منذ وقت طويل . وهكذا تمكنت سوريا من تدعيم امكانياتها العسكرية والسياسية واعطاء الانطباع بانها الدولة الوحيدة الحليفة للاتحاد السوفيتى فى العالم العربى . ولكن احداث لبنان فى صيف ١٩٨٢ اوضحت حدود المساعدة التى يمكن ان تقدمها موسكو لدمشق فى حالة الحرب . ان موسكو لن تذهب الى ابعد من المساندة الدبلوماسية وتعويض المعدات الحربية التى دمرها الجيش الاسرائيلى فالكرملين ليس على استعداد لمساندة اية مغامرات سياسية الا اذا تأكد تماما من استطاعته السيطرة على نتائجها لصالحه .

اما علاقة دمشق بواشنطن فهى علاقة من نوع اخر تماما ، لقد قطعت العلاقات الدبلوماسية بين البلدين يوم ٥ يونيه ولم تستأنف الا غداة حرب اكتوبر ١٩٧٣ عندما بدأ كيسنجر يتفاوض بشأن اتفاقيات فك الاشتباك . وقد امتدحت الادارة الامريكية حافظ الاسد كثيرا وقام نيكسون بزيارة دمشق . بل لقد عم الاعتقاد فى ذلك الوقت ان سوريا ستنظم الى الدول العبية التى تطالب بالعودة الى مؤتمر جنيف . وبالرغم ان سوريا قد ادانت اتفاقيات كامب دافيد واتهمت واشنطن بالتواطؤ مع اسرائيل ، الا انها لم تذهب الى ابعد من ذلك ولم تفعل اى شىء من شأنه تهديد علاقاتها بالقوة العظمى التى تقدر ثقلها الدبلوماسى فى شئون الشرق او سطية ونجد ان حافظ الاسد قد وافق على مبادىء خطة ريجان للسلام فى مؤتمر فاس ، ولم يسع الى ممارسة اى نوع من انواع الضغوط على رؤساء الدول الاخرى الموجودين فى المؤتمر من اجل تأكيد اهمية الدور السوفيتى فى عملية السلام .

هكذا تتسم علاقات سوريا مع القوتين العظميين بالغموض وعدم الوضوح فهى تعارض اى مبادرة من جانب الولايات المتحدة من اجل تسوية شاملة على مراحل لمشكلة الشرق الاوسط . ولكنها مع ذلك تقبل الوساطة الامريكية ، وقد قبل الاسد اخيرا مقترحات ريجان للسلام . وهى تعتبر نفسها الحليف القوى

السوفييت في المنطقة وتتصرف على هذا الاساس رغم انها ليست متأكدة من مساعدة موسكو لها سياسيا وعسكريا في حالة انفجار ازمة خطيرة ، اى مساعدة تتخطى المساندة الدبلوماسية وتعويض السلاح .. ان السوريين محتاجون للسوفييت لتعويض جهازهم الدفاعي الذى تعمل اسرائيل دائما على تخريبه ولكنهم يعلمون في نفس الوقت ان الامريكيين اقدر سياسيا على التسوية لذلك لاقبل لهم بتجاهل هؤلاء او اولئك والامر المؤكد هو ان السلطة السورية نفسها مقسمة الى اتجاهين احدهما منحاز الاتحاد السوفييتي وقريب منه هو الاتجاه الذى شكل معظم كوادر الجيش ابتداء من حافظ الاسد كضابط صغير في الطيران والاخر يضم تحت لوائه رجال حزب البعث من التكنوقراطيين الذين جذبهم نموذج المجتمع الامريكي وطالما ان السلام لم يستتب في الشرق الاوسط فسيظل الاتجاه الاول هو الغالب ولكن اذا حدثت التسوية حتى لو بالاشتراك مع الاتحاد السوفيتي فان سوريا ستميل اكثر الى الولايات المتحدة للاسراع بعملية نموها الاقتصادى .

● ان سوريا تعتبر نفسها قلعة المواجهة الاخيرة لاسرائيل في العالم العربي . وهذا المفهوم يستخدمه الزعماء السوريون لتبرير سياساتهم وقراراتهم الداخلية ويرى الكاتب اوجه تشابه كبيره بين العنف الذى تمارسه الدولة السورية في حياتها اليومية وبين السياسة المتعنتة التى يمارسها الخصم الاسرائيلى .. ان نقطة الضعف الاساسية في النظام السورى هى انه نظام غير قادر او ربما غير راغب في وضع سياسة بديلة تقوم على اساس انفتاح حقيقي في الخارج والداخل . اما نقطة القوة في هذا النظام فتكمن في اقتناع معظم السوريين بأن استمرار الاسد رئيسا للدولة يجنب البلاد احتمال اندلاع حرب طائفية قد تؤدى الى فوضى شاملة .

FOREIGN POLICY

Talk With Arafat
by Herbert C. kelman
Foreign Policy
No 49 Winter 1982 - 83

حديث مع عرفات
بقلم : هربرت كلمان

لقد كان الهدف الأساسى من الغزو الاسرائيلى للبنان هو القضاء على منظمة التحرير الفلسطينية عسكريا وسياسيا ، واجبار سكان الضفة الغربية وغزة على التسليم باستيلاء اسرائيل على هذه الأراضى وقبول مفهوم بيجين للحكم الذاتى . ولكن اسرائيل فشلت في بلوغ هدفها . حقا ان اسرائيل هزمت المنظمة عسكريا ولكنها لم تستطع هزيمتها سياسيا . بل إن منظمة التحرير الفلسطينية قد خرجت من هذه الحرب أكثر قوة على الصعيد الدبلوماسى ومازالت تملك من القوة مايجعلها قادرة على عرقلة أو تيسير أية تسوية للنزاع العربى الاسرائيلى .

إن السؤال الأساسى الآن هو : هل المنظمة مستعدة حاليا لتسوية سياسية ؟ وتحت أى شروط يمكن انضمامها لعملية السلام ؟ ان الاجابة على هذه التساؤلات يقدمها لنا هربرت كلمان من واقع حديثين اجراهما مع ياسر عرفات على التوالى في يناير ١٩٨٠ وديسمبر ١٩٨١ .

يقول كلمان ان لب النزاع الاسرائيلى الفلسطينى هو الانكار المتبادل هوية كل منهما القومية ، لذلك يجب أن تتجه المفاوضات الرامية الى حل الأزمة الى التسليم بأن الفلسطينيين مثل الاسرائيليين يشكلون أمة ويعبرون عن أنفسهم من خلال حركة وطنية لها ديناميكياتها الخاصة ومؤسساتها السياسية والاجتماعية . وقد برهن الفلسطينيون على أصالة وعمق وعيهم القومى . وينبع هذا الاصرار على حقوقهم القومية في فلسطين من حسهم بالظلم الفادح الذى وقع عليهم عند اقتلاعهم

اقتلاعا من هذه الأرض . ولكى نصل الى مخرج من هذا المأزق سيتطلب الأمر وضع صيغة يقتسم الشعبان الاسرائيلى والفلسطينى بموجبها نفس الأرض . ان المقترحات الأمريكية الأخيرة وكذلك بعض أفكار حزب العمل الاسرائيلى تتضمن حلا يرتكز على أساس اشتراك الشعبين فى الأرض . ولكنها لاتقبل أن يعبر الفلسطينيون عن أنفسهم تعبيرا حرا ، أو ترى أن يكون ذلك من خلال سياق أردنى . وهنا يؤكد كلهان ان الصيغة الوحيدة التى يمكن ان تحظى برضاء الفلسطينيين وتحثهم على قبول التفاهم بشأن الملكية التاريخية لفلسطين . هى تلك التى تقوم على أساس حق تقرير المصير للشعبين . ان حق تقرير المصير فى جزء من فلسطين قد أصبح الشرط الضرورى لتحقيق العدالة للفلسطينيين واشباع هويتهم القومية . وقد يأخذ حق تقرير المصير اشكالا مختلفة . ان الفلسطينيين يفضلون ان يأخذ حق تقرير المصير شكل دولة ذات سيادة . وستكون مهمة المفاوضات ان تحسم كيف يمكن إقامة مثل هذه الدولة وهل يمكن ان يتفق قيامها مع مطالب الأمن المشروعة لاسرائيل ولا دن . وقد يرى الفلسطينيون قبل المفاوضات أو اثنائها او بعدها ربط دولتهم بالأردن فى اتحاد فيدرالى او كونفيدرالى هذا متروك هم كما يجب ان تتناول المفاوضات نماذج خلاقة للتعايش السلمى بين اسرائيل والدولة الفلسطينية ربما يكون احد النماذج هو اتحاد ثلاثى يضم الاردن .

ان منظمة التحرير هى رمز وتجسيد للقومية الفلسطينية ، وهى الممثل الوحيد للفلسطينيين المعترف به دوليا . فمواقف هذه المنظمة الوطنية والدولية قد منحتها حق احتكار الشرعية والتحدث باسم الشعب الفلسطيني . ان الممثلين عن الفلسطينيين يجب ان يكونوا متمتعين بثقة شعبهم فهذا يعطيهم الشرعية الكافية للاقدام على التنازلات الضرورية للوصول الى حل وحث الفلسطينيين جميعا على الالتزام بتنفيذه .

ومع ذلك فان كون منظمة التحرير هى الممثل الوحيد للشعب الفلسطيني لايستلزم ان تقوم هى بجميع مراحل عملية التفاوض . فهناك حسين يستطيع بموافقة المنظمة ضبط المبدء بعملية مشتركة مع الولايات المتحدة لتمهيد الطريق امام دخول الفلسطينيين فى العملية . كما يمكن أيضا أن تنقل المنظمة شرعيتها الى هيئة أخرى تكون أكثر ملاءمة لمرحلة من مراحل معينة للعملية مثل زعماء الضفة الغربية وغزة أو حكومة فى المنفى . ان المنظمة أو الهيئة التى تستمد شرعيتها من منظمة التحرير هى فقط القادرة على صنع السلام مع اسرائيل .

ارادة صنع السلام :

ان قادة المنظمة وخاصة عرفات قد أظهروا مرارا استعدادهم للسير فى اتجاه حل سياسى مع اسرائيل بل أن عرفات خلال الأزمة اللبنانية قد رد بالايجاب على كثير من مسئولين الأوربيين الذين طالبوا باعتراف متبادل بين اسرائيل والشعب الفلسطيني . كما التقى أيضا باثنين من الصحفيين اليهود ، وادلى اليهى بحديث أكد فيه قبوله " حل الدولتين . " ولكن رغم وضوح المنظمة بشأن قبولها فكرة دولة فلسطينية على جزء من فلسطين ، الا انها كانت غامضة فيما يتعلق باعترافها بحق اسرائيل فى الوجود ، وفيما يتعلق ايضا باقامة دولة فلسطينية فى الضفة والقطاع كحل نهائى للصراع . وقد تهرب عرفات من الاجابة المباشرة على هذه الاسئلة .

ان هناك بعض الحقائق التى تتعلق بشخصية زعيم المنظمة استخلصها الكاتب من الحديثين اللذين أجراهما معه :

اولا : هذه القدرة الفائقة على التمييز التى لايتمتع بها كثيرون . ان عرفات لايصدر أحكامه جزافا وبشكل تعسفى بل يقوم بالتمييز حتى بين أعضاء حكومة بيجين أنفسهم . "انهم ليسو جميعا سواء " كان هذا هو رده عندما وصف كلهان حكومة الاسرائيلية بالجمود والتعنت وضرب مثلا على ذلك عيزر وايزمان الذى أبدى خلال وجوده فى الحكومة تفهما عميقا لشعور العرب بل إن عرفات قد أظهر اهتماما كبيرا بالأصوات التى عبرت داخل اسرائيل عن بعض الاستعداد لقبول السيادة الفلسطينية او حديث مع المنظمة . كما أظهر تقديرا كبيرا للتصريحات التى صدرت لبعض الشخصيات الاسرائيلية التى يعارضون فيها سياسة الحكومة الاسرائيلية الحالية . ويقارن كلهان بين هذه القدرة الرائعة على التمييز وبين هؤلاء الذين لايرون فرق بين اسرائيلى معتدل واسرائيلى متطرف لانهم جميعا صهيونية فى نهاية الأمر . وقد عبر عرفات لكلهان عن ثقته فى أن الموقف الاسرائيلى سيتغير لو تغيرت الظروف ، وان المعتدلين سينتصرون فى النضال السياسى الداخلى . لذلك يؤكد كلهان أن منهج عرفات هو منهج الشخص الذى يبحث عن حل ، أنه يبحث عن اسرائيليين يمكن التفاوض معهم حتى لو لم يتفقوا معه تماما فى الرأى . ان مقولة " أنهم جميعا سواء " تستبعد أى إمكانية للتفاوض والحل الوسط فلا يوجد أحد يمكن التحدث معه . ولاشىء يمكن الحديث عنه . بعكس مقولة " انهم ليسوا جميعا سواء " التى تطرح امكانية وجود عناصر على الجانب الآخر يمكن الدخول معها فى حوار ومحاولة ايجاد ارضية مشتركة بين الطرفين . اذن نجد أن عرفات يختلف عن جميع هؤلاء الأيديولوجيين الذين يفضلون خصما متطرفا على خصم معتدل . لأن الخصم المتطرف سيثبت نظريتهم فى ان التفاهم مستحيل .

وقد اعترف ياسر عرفات فى لقائه الأول بكلهان بأن زيارة السادات للقدس قد أثارت تفكيرا سياسيا جديدا فى اسرائيل وفتحت افاقا جديدة أمام حل القضية الفلسطينية . وهنا يبرهن عرفات مرة أخرى على مرونته لأن رد الفعل المعتاد هو انكار اى نتيجة ايجابية لمبادرة السادات . ان استعداد عرفات للاعتراف بأن تغيرا قد حدث فى تفكير العدو يتناقض مع الرأى القائل بأن الصهيونية لم ولن تتغير ، وهو رأى يصادر أى احتمال للتوصل الى حل . ان هذا الاعتراف بحدوث تغير فى اسرائيل يحقق شرطا من شروط التحرك تجاه التفاوض ، كما أن ربط هذا التغيير بمبادرة السادات يزيد من قيمة هذا الاعتراف .

وقد قال عرفات لهربرت كلهان : " عندما تذهب الى

اسرائيل قل لهم انهم حمق » انه تصرف أحمق من جانب اسرائيل أن تربط مصيرها كلية بمصالح أمريكا الاستراتيجية بدلا من السعى الى تحقيق السلام مع الفلسطينيين » . وتؤكد هذه الكلمات مرة أخرى مفهوم عرفات لاسرائيل كشىء قابل للتغيير، كما تؤكد استعداده للتفاهم معها . فى حيثرى العقيدة الأيديولوجية فى هذه الروابط التى تربط اسرائيل بالمصالح الأمريكية شيئا متأصلا نابعا من طبيعة الأمور ولايمكن تغييره .
إن مفهوم عرفات على العكس يفترض قدرة اسرائيل على الاختيار ويصف الاسرائيليين بالحماقة لأنهم فشلوا فى التعرف على مصلحتهم فى المدى الطويل . ويفترض أيضا امكانية التفاهم مع الاسرائيليين على أساس مصالحهم الخاصة . ويقول كلمان أو وصف (أحمق) ليس بالوصف اللطيف بلا شك ولكن اختيار هذه الكلمة بالذات والطريقة التى قيلت بها كانت تنم عن نفاذ الصبر والاحباط أكثر من العداء والحقد . وقد استخدم عرفات نفس الكلمات تقريبا فى وصف الاسرائيليين عندما التقى بكلمان للمرة الثانية فى ديسمبر ١٩٨١ . فقد أصر على أن « الاسرائيليين متعجرفون لأنهم اغبياء » وكان ذلك فى سياق مناقشة حول الفرص الجديدة للسلام التى قد تضيع اذا لم تبادر الاطراف الى الاستفادة منها بسرعة . انهم أغبياء لأنهم يدعون الفرصة تفلت من أيديهم . وقد اعترض أحد مساعدى عرفات وكان موجودا خلال اللقاء على تعليق عرفات وأكد أن عجرفة الاسرائيليين هى سبب غبائهم ، ولكن عرفات أصر على انهم أغبياء أولا لذلك هم متعجرفون . ويعطى كلمان أهمية خاصة لهذه التفرقة . لأن اعطاء الأولوية للغباء يؤكد أن الشعب الاسرائيلى غير ميئوس منه وانه يمكن أن يتغير وأن لديه القدرة على الاختيار . فاذا كان العيب الاساسى فى العدو هو العجرفة والتكبر فإن الشخص لايملك سوى السخط عليه وتحين الفرصة لاذلاله . أما إذا كان العيب الأساسى هو الغباء فمن الممكن التفاوض مع هذا الغبى واعادته الى الصواب ودفعه الى إكتشاف مصالحه الخاصة . وقد بدت هذه الكلمات التى وجهها عرفات الى الاسرائيليين من خلال كلمان كما لو كانت دعوة لحثهم على الاتصال المباشر به ، فهذه الطريقة يراها أفضل من وساطة الولايات المتحدة . وقد أضاف أن اعتراف اسرائيل مسبقا بالحقوق المشروعة للفلسطينيين لايشكل مشكلة لأن التفاوض يتضمن اعتراف كل طرف بالآخر . كما أنه أخبر كلمان خلال لقائه أنه على يقين من أن الشعب الاسرائيلى والشعب الفلسطينى يستطيعان العيش فى سلام ، وأبدى استعداده للاعتراف باسرائيل شريطة أن تقدم له اسرائيل شيئا ملموسا فى مقابل هذا يستطيع أن يقنع به الشعب الفلسطينى . وفى فقرة أخرى من الحديث اشار عرفات الى أن تسوية الصراع سيعزز وضع اسرائيل الاقتصادى وسيمنحها مدخلا الى مناطق الثروات البترولية والى أسواق العالم العربى .

هل يمكن تصديق عرفات ؟

إن اى تصريح لعرفات موجه الى جمهور غربى عرضة دائما للتشويه . ان عرفات يتهم دائما بأنه يريد ان يبدو معتدلا أمام الغرب . اى ان مواقفه المعتدلة لا تعكس الحقيقة وانما هى من قبيل الدعاية فقط ، طالما انه يواصل مواقفه المتشددة من مواقع اخرى وامام جماهير اخرى . ان الذين يفضلون استبعاد منظمة التحرير من المفاوضات يميلون الى رفض اية اشارة عن استعداد عرفات للتفاهم فى الوقت الذى يعتبرون فيه ان اى تصريح عدائى هو انعكاس لمشاعره الحقيقية التى تتفق والالتزام بالقضاء على الصهيونية فى فلسطين الذى نص عليه الميثاق الوطنى الفلسطينى . ويقول الكاتب ان رفض اشارات عرفات عن استعداده لتفاهم دون بذل الجهد لاختبارها ودراستها هو أمر غير واقعى وجد خطير : غير واقعى لأنه يتجاهل التغيرات الكبيرة التى حدثت بالفعل فى العالم العربى وفى الحركة الفلسطينية خلال الخمسة عشر عاما الماضية ، وعلى الأخص منذ المعاهدة المصرية الاسرائيلية ، وجد خطير لأنه يسد الطريق امام فرصة للسلام قد لاتسنح مرة أخرى قبل جيل أخر على الأقل . ومما لاشك فيه ان التصريحات سواء الداخلية أو الخارجية ليست مقياسا موثوق فيه ذاته لأنها عادة تكون محكومة باعتبارات كثيرة . ومن الصعب تحديد اى التصريحات المتناقضة هو الذى يعبر عن الموقف الحقيق لزعيم . بل من المحتمل ان يكون هذا التناقض هو انعكاس لمواقفه الحقيقية . ان الفلسطينين غالبا مايدلون بأقوال خلال الحديث الواحد تبدو متناقضة فى ظاهرها ولكنها مع ذلك حقيقية . وهذا الاسلوب يعبر عن الطريقة التى يحدث بها التغير الأيديولوجى . فالتغير الايديولوجى يختلف عن اى عملية تغيير عادية : انه ليس التخلى عن مجموعة من الأفكار واحلال مجموعة اخرى مكانها ، وانما هو تطوير مجموعة من المعتقدات داخل سياق ادراكى مختلف مثل سياق مايمكن تحقيقه فى الواقع وليس ماهو حق تاريخى . وهذه المجموعة من المعتقدات تأخذ مكانها جنبا الى جنب مع الأفكار القديمة . اى المجموعتين تسود فى النهاية هذا يعود الى الخيارات والفرص المتاحة أمام الشخص . وهكذا قد تكون كلمات عرفات عن استعداده للتفاهم حقيقية رغم مناقضته لها فى مناسبات اخرى واصراره على الخط المتشدد . ويقول كلمان ان انطباعه الشخصى ان عرفات صادق وكذلك انطباع كثير من الذين التقى بهم زعيم منظمة التحرير .

ان عرفات يفكر جديا فى التفاوض مع اسرائيل ومهما تكن المواقف السياسية الحالية للمنظمة فان تفكير زعمائها ورغبتهم فى التصرف تقدم حقائق سياسية جديدة تخدم السعى الى تسوية الصراع سلميا . لقد ساند عرفات مقترحات الأمير فهد التى تعترف ضمنيا باسرائيل ولا يمكن اعتبار ان كل هذه المواقف الايجابية مجرد دعاية لأن لها آثارها الملموسة على الحركة وعلى وضع عرفات كزعيم . ويثير المتشككون هذا السؤال : اذا كانت رغبة عرفات فى التفاوض صادقة فلماذا اذن يرفض اعلان اعترافه صراحة باسرائيل ؟ والاجابة : ان الأمر ليس بهذه السهولة . ان الاقدام على مثل هذه الخطوة سيؤدى الى مخاطر جسيمة وسيكون ثمنه فادحا . ان رحلة القدس قد كلفت

نسيت الكثير مع ان الاعتراف باسرائيل لم يكن قضية وجود بالنسبة له . فهو يأمل بالاعتراف الفلسطيني باسرائيل الا ان معنى التخلي عن القضية والتخلي عن التراب وهذه خيانة للشعب الفلسطيني وقضيته الرئيسية . ان عرفات قد يكون مستعدا لدفع هذه التكلفة السياسية ولكنه يريد التأكد اولا من الاستجابة والنتيجة لأي من مقترحاته . انه يخشى ان يدفع هذه الورقة الأخيرة ولا يحصل على شيء في مقابلها . وفي هذه الحالة سيكون قد خسر الزعامة والقضية . انه يعتبر ان الاعتراف باسرائيل لا يمكن الرجوع فيه او سحبه ، انه يريد اعترافا متبادلا بحقوق الشعب الفلسطيني حتى يستطيع اقناع الفلسطينيين بأن الوقت قد حان لايجاد حل وسط . ان هذا الاعتراف بحقوق الفلسطينيين سيعطيه القوة لاستيعاب اى انشقاق داخل المنظمة . ان المنظمة سبق ان قبلت بيان فانس وجروميكو في اكتوبر ١٩٧٧ الذى يشير الى حق اسرائيل في الوجود داخل حدود آمنة ويشير ايضا الى الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني . كما وافقت ايضا على ورقة العمل التى قدمها الوفدان الفرنسي والبريطاني في الأمم المتحدة عام ١٩٧٩ والتى اقترحت تضمين القرار ٢٤٢ فقرة عن الحقوق الفلسطينية .

وقد تحدث عرفات خلال لقائه الثاني مع كلمان عن اصراره على مساندة مبادرة الأمير فهد قبل واثناء وبعد مؤتمر قمة فاس . وهذه المبادرة قائمة على اساس قبول حل الدولتين ، وهذا يتضمن الاعتراف باسرائيل . وقد تعرض عرفات لهجوم لاذع من جانب بعض عناصر المنظمة ومن ضمنها بعض اعضاء « فتح » . وقد اهتز وضعه كزعيم لفترة نتيجة لذلك . ويقول كلمان ان عدم رغبة عرفات في الاقدام على خطوة جريئة نهائية قد يدل على زعامة مترددة أو ضغوط شديدة ولكنه لايشك مطلقا في حقيقة استعداده للتفاوض . هذا الى جانب ان مفهومه لاسرائيل الذى يتميز بعدم الجمود يزيد من قوة الفرضية التى تقول بأن لديه الرغبة والقدرة على الاتفاق مع اسرائيل اذا قدمت له الحوافز والضمانات الضرورية ، ويدل ايضا على انه يبحث عن اسرائيليين يمكن الدخول معهم في حوار . ان رؤيته للمستقبل هى صورة من التعايش السلمي الذى يقوم على اساس الاعتراف المتبادل . كما ان الافتراض بأن عرفات سيكون هو المفاوض الأمثل بالنسبة لزعيم اسرائيلي يهتم بحل سلمي وعادل للصراع يستحق ان يدرس بامعان ويختبر عمليا من خلال الاتصالات والتمهيد للمفاوضات ، بل من خلال العملية السياسية ذاتها . ومهما يكن التفكير في الحركة واتجاهاتها المتناقضة فان وجود شخص بهذا التفكير المرن العملي على رأسها وقدرته على البقاء له دلالة كبيرة . ان المنظمة كانت دائما منقسمة على نفسها ولم يكن لدى عرفات في وقت من الاوقات الحرية التامة لممارسة الخيار السياسي . كما ان السيطرة على اجنحة المنظمة المختلفة سيكون اكثر صعوبة بعد خروجها من بيروت . بالإضافة الى ان الغزو الاسرائيلي للبنان قد أجج مشاعر الغضب لدى الفلسطينيين . ان نجاح عرفات في كسب ثقة الزعماء الفلسطينيين من أجل الحصول على التنازلات الضرورية للدخول في المفاوضات مع اسرائيل سيعتمد اكثر من اى وقت مضى على ما سيحصل عليه مقابل ذلك . ان الاختبار الواقعي لقدرة ورغبة عرفات في صنع السلام سيتطلب تأكيدات من جانب الولايات المتحدة واسرائيل بانهما سيقدمان بدورهما التنازلات .

ان السياسة الامريكية تستطيع ان تلعب دورا ايجابيا في هذا الصدد :

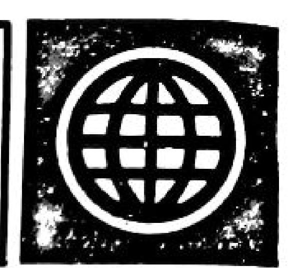
اولا : يجب ان تعطى الحكومة الامريكية مزيدا من الاهتمام للقومية الفلسطينية ولدور منظمة التحرير الفلسطينية كممثلة شرعية لهذه القومية . ويجب ان يترك لعملية التفاوض اكتشاف ما إذا كان من الممكن وضع خطة لاقامة دولة فلسطينية مستقلة تتفق مع الأمن الاسرائيلي . ولا تهدده .

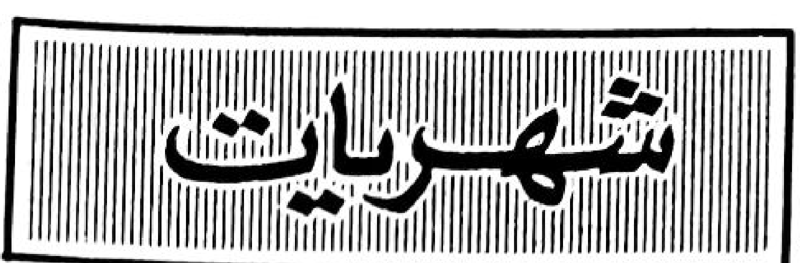
ثانيا : يجب ان تبدأ واشنطن فورا الحوار المباشر مع منظمة التحرير الفلسطينية ولا ضرورة للاعتراف بالمنظمة رسميا في هذا الوقت . فبدون هذا الاتصال المباشر سيصبح من المستحيل تحديد شروط المنظمة للاعتراف باسرائيل أو قبول القرار رقم ٢٤٢ .

ثالثا : يجب ان تساند الولايات المتحدة مؤيدي الحل السياسي داخل مجالس المنظمة عن طريق مساعدة عرفات ومعاونيه على الاحتفاظ بمكانتهم السياسية ومصداقيتهم في سعيهم الى التسوية ويكون ذلك إما عن طريق الاتصال المباشر مع زعماء المنظمة لاثبات ان جهودهم من اجل الحل السياسي قد أتت ثمارها ، أو الاستجابة الى اشارات عرفات عن رغبته في التفاوض والحل .

واخيرا يجب ان تشجع واشنطن الجهود من اجل الاتصال المباشر بين الفلسطينيين والاسرائيليين من ذوى النفوذ . ففى نهاية الأمر لن يستطيع الأردن الوقوف مكان الفلسطينيين ، كما أن امريكا لاتستطيع الوقوف مكان الاسرائيليين . وقد يكون ترتيب ذلك صعبا في الوقت الحالي ، ولكن يمكن ان يتم على مستوى غير رسمي في البداية ثم يتطور فيما بعد الى اشراك ممثلين شبه رسميين .

ان سياسة كل من الولايات المتحدة واسرائيل في هذه الفترة العصيبة التى ستحدد مستقبل الحركة الفلسطينية وصراعها مع اسرائيل ، وستقرر ماإذا كان سيتم استغلال هذا الاستعداد للتفاهم الذى اظهرته المنظمة من خلال عرفات ، ام ان صراعا عنيفا ومريرا سيندلع مرة اخرى بين حكومة اسرائيلية تزداد تعنتا وحركة فلسطينية تزداد رفضا ، ويقضى نهائيا على آمال الجيل القادم . وينصح كلمان صانعى السياسة المهتمين حقا بتسوية سلمية للصراع بان يقتربوا من المنظمة بعقول اكثر تفتحا وان يفكروا قليلا في امكانية ان تكون منظمة التحرير الفلسطينية بقيادة عرفات هى الشريك الاكثر شرعية ومصداقية ورغبة في السلام المتاح حاليا امام اسرائيل . انها امكانية يجب ان تختبر عن طريق تقديم مقترحات تقوم على اساس تبادل الاعتراف الذى سيقبله الفلسطينيون بلا شك .





ديسمبر ١٩٨٢

يناير ١٩٨٣

فبراير ١٩٨٣

○ ○ شهريات ديسمبر ١٩٨٢

الاتحاد السوفييتى :

١ : هدد الاتحاد السوفيتى بوضع صواريخه النووية الموجهة لأوربا الغربية فى حالة تأهب للأطلاق فور توزيع الصواريخ الأمريكية فى أوربا .

٣ : اكد الزعيم السوفيتى لوفد اللجنة السباعية العربية المنبثقة عن قمة فاس تأييد الاتحاد السوفيتى لخطة السلام العربية لتطابقها مع وجهة النظر السوفيتية .

٨ : اكد المندوب السوفيتى فى مجلس الأمن الدولى استحالة تحقيق السلام فى الشرق الأوسط دون قيام دولة فلسطينية مستقلة وأن موسكو تستعد للعمل لتحقيق تسوية شاملة فى المنطقة على اساس قرارات الامم المتحدة .

٢١ : اقترح الزعيم السوفيتى يورى اندروبوف تخفيضا متبادلا فى الأسلحة الاستراتيجية من جانب القوتين العظميين يصل الى ٢٥٪ وكذلك خفض الصواريخ متوسطة المدى الموجهة لأوربا الغربية الى نفس عدد الصواريخ التى تمتلكها كل من فرنسا وبريطانيا .

٢٥ : دعت موسكو دول أوربا الغربية الى الاختيار بين انتهاج سياسة تدعم الوفاق والتعايش السلمى أو المضى فى سياسة المواجهة مع الدول الاشتراكية بتحريض من واشنطن .

: أكد أندريه جروميكو وزير الخارجية السوفيتى استعداد موسكو لتطوير العلاقات السوفيتية الصينية لتطبيع العلاقات بين البلدين .

٢٧ : جدد اندروبوف دعوة الاتحاد السوفيتى الى الولايات المتحدة بالبدء فى مفاوضات الحد من الاسلحة .

٢٩ : اعلنت صحيفة البرافدا عن تأييدها لسياسة مصر فى استعادتها لمنطقة طابا .

٣١ : اعلن يورى اندروبوف انه يحبذ عقد لقاء قمة بينه وبين الرئيس الامريكى ريجان بشرط أن يسبقه اعداد جيد .

اسبانيا :

١ : ادى فيليب جونز اليز السكرتير العام للحزب الاشتراكى العمالى الأسبانى اليمين الدستورية أمام الملك خوان كارلوس ليصبح أول رئيس وزراء اشتراكى فى تاريخ أسبانيا منذ الحرب الأهلية .

٤ : خفضت قيمة البيزيتة الاسبانية بنسبة ٨٪ .

إسرائيل :

٤ : أصدرت اللجنة السياسية التابعة للأمم المتحدة أربعة قرارات تدين السياسة الاسرائيلية فى الأراضى العربية المحتلة .

: انتقد وزير الخارجية الأسرائيلى موقف الحكومة الامريكية المعارض لقرار الكونجرس بزيادة المساعدات الامريكية لاسرائيل ووضعه بأنه غير ودى ويعرض السلام فى الشرق الأوسط للخطر .

٦ : برأت اللجنة القضائية للتحقيق فى مذابح صابرا وشاتيلا الرائد اللبنانى المنشق سعد حداد من أية مسئولية فى هذه المذابح .

١٢ : قررت الحكومة الاسرائيلية انشاء ٥٤ مستوطنة جديدة فى الضفة الغربية وغزة ومرتفعات الجولان المحتلة خلال الفترة ما بين عامى ١٩٨٣ ، ١٩٨٧ .

١٧ : دعت الجمعية العامة للأمم المتحدة اسرائيل الى سحب قواتها من جميع الأراضى العربية المحتلة بما فيها القدس كما ادانت مذابح صابرا وشاتيلا للاجئين الفلسطينيين فى لبنان بوصفها عملية إبادة جماعية للشعب الفلسطينى .

١٨ : ادانت الجمعية العامة للأمم المتحدة الغزو الاسرائيلى للبنان .

١٩ : تخلت اسرائيل عن شرط عقد المحادثات الخاصة بانسحاب القوات الاجنبية فى لبنان فى القدس وبيروت .

٢٠ : طالبت الجمعية العامة للأمم المتحدة جميع دول العالم بوقف المعونات العسكرية والاقتصادية والمالية ووقف تزويد اسرائيل بالموارد البشرية .

٢٢ : صرح أيريل شارون وزير الدفاع بأن اسرائيل لن تتخلى عن منطقة طابا .

افغانستان :

٤ : كشفت تحقيقات اجرتها الامم المتحدة عن وجود ادلة على استخدام الاتحاد السوفيتى المواد الكيماوية ضد الثوار فى افغانستان .

١٤ : اكد الجنرال صديق غلام ميراكي المسئول الثاني في المخابرات الافغانية والهارب الى باكستان وجود خطة سوفيتية لضم افغانستان .

١٦ : جددت موسكو شروطها لانسحاب قواتها من افغانستان واعلنت استعداد حكومة كابول الموالية لها للتفاوض مع ايران وباكستان لابرام اتفاقية ثنائية معهما .

١٨ : ادانت لجنة للتحقيق تابعة لمحكمة الشعب الدائمة في باريس القوات السوفيتية في افغانستان بحرق ١٠٥ شخصا وهم احياء .

٢٠ : اكد الثوار الافغان أن جنودا من خمس دول شيوعية يقاتلون الى جانب قوات الاحتلال السوفيتية البالغ مجموعها ١٠٠ الف جندي ضد الثوار المسلمين .

٢١ : اعترف الرئيس الافغاني بابراك كارميل بأن الحرب في افغانستان ، بين القوات الحكومية والسوفيتية وقوات الثوار تسبب اضرارا فادحة للاقتصاد الافغاني ، واكد تمسكه باستمرار الاحتلال السوفيتي لبلاده الى ان تتم هزيمة الثوار .

٢٧ : مرت ثلاث سنوات على بدء الغزو السوفيتي لافغانستان ، وتوالت الاحتجاجات والنداءات من مختلف دول العالم لانسحاب القوات السوفيتية من افغانستان .

البانيا :

٢٦ : هاجمت صحيفة « زيري أي بوبيليت » الالبانية سياسة الاتحاد السوفيتي في عهد يوري اندروبوف بوصفها امتدادا طبيعيا لخط خروشوف دبريجنيف وتنطوي على مخاطر جسيمة لشعوب العالم والشعب السوفيتي .

المانيا الشرقية :

٢١ : حذرت برلين الشرقية بون من ان الصلات بين البلدين ستتأثر مالم يتم الاعتراف بحقوق المانيا الشرقية كاملة كدولة ذات سيادة .

المانيا الغربية :

٩ : اكد هانز ديتريش جينشر وزير الخارجية ونائب المستشار استمرارية السياسة الالمانية الغربية دون تغيير وخاصة فيما يتعلق بالشرق الأوسط .

١٠ : اعلن وكيل وزارة التعاون الاقتصادي أن التعاون الالماني المصري يمثل اهمية خاصة لدعم السلام في الشرق الأوسط ومنطقة البحر المتوسط .

: صرح وزير الدفاع بأن حكومته ستعيد النظر في قرار الحكومة السابقة بوقف تصدير الأسلحة للسعودية .

١٤ : انتقد المستشار هلموت كول السياسة الاسرائيلية في لبنان واكد ضرورة وحدة الصف العربي لتحقيق السلام في الشرق الاوسط ووصف المبادرة الامريكية بأنها تعطي فرصة واقعية للنجاح .

١٧ : خسر الائتلاف المحافظ برئاسة المستشار كول الاقتراع بالثقة في البرلمان بأغلبية ٢١٨ صوتا ضد ثمانية .

٢٣ : تقرر تخفيض اعتمادات معونات التنمية الي الدول الاجنبية خلال العام القادم بنسبة ٢٥٪ .

٢٤ : احتجت بون على قرار الكونجرس الامريكي بفرض قيود على شراء الولايات المتحدة اسلحة من الدول الأخرى الاعضاء في الحلف الاطلنطي .

ايران :

١٠ : اجريت انتخابات لاختيار مجلس الخبراء الذي سيعين خليفة للامام الخميني في حالة وفاته .

٨ : ١١ : أجرى وزير الخارجية الليبي محادثات في طهران حول مساندة ليبيا للجمهورية الإسلامية الايرانية وخاصة في نزاعها مع العراق ووقعت بروتوكولات إتفاقات اقتصادية وثقافية بين البلدين .

٢٠ : لقي ٦٢ ايرانيا مصرعهم واصيب ٣٠٠ آخرون في هجوم شنه العراق بالصواريخ ارض /ارض على مدينة ديزفول جنوب غربي ايران .

٢١ : إعلنت إيران استعدادها لشن هجوم شامل ضد العراق انتقاما لقصف ديزفول بالصواريخ .

ايطاليا :

١ : شكل امينتوري فانفاني حكومة جديدة في ايطاليا .

١٣ : قام الرئيس المصري حسني مبارك بزيارة لايطاليا واجرى محادثات مع رئيس الوزراء ووزير الخارجية .

٢٠ : قال وزير الدفاع الايطالي ان المحاولة التي جرت لاغتيال بابا الفاتيكان في العام الماضي كانت عملا من اعمال الحرب تم تنفيذه كبديل لغزو سوفيتي لبولندا .

٢١ : اعلنت ايطاليا انها ستفرض قيودا اكثر تشددا على دخول مواطني بلغاريا وستبحث خفض عدد طاقم السفارة البلغارية في روما .

٢٣ : اعلن المدعي الايطالي أن محاكمة المتهمين باغتيال الدو مورو رئيس الوزراء الاسبق كشفت عن وجود شبكة من الاتصالات والعلاقات الدولية بين منظمة الالوية الحمراء الارهابية وعدد اخر من المنظمات من بينها المخابرات الاسرائيلية .

باكستان :

٤ : اعلنت الحكومة الباكستانية انها ستمضي قدما في انشاء محطة الكهرباء النووية واعلنت قبولها للضمانات المقترحة من وكالة الطاقة الذرية الدولية .

٦ : ٩ قام الرئيس ضياء الحق بزيارة للولايات المتحدة الامريكية للمطالبة بضمانات لتنفيذ برنامج المعونات الامريكية لمواجهة التهديد السوفيتي .

٩ : أعرب الرئيس ضياء الحق عن تشاؤمه ازاء احتمالات انسحاب السوفيتيت من افغانستان .

١٢ : اكد الرئيس ضياء الحق أن باكستان ستدعم الدول العربية اذا نشبت حرب جديدة بينها وبين اسرائيل .

: نفى الرئيس ضياء الحق إعتزام باكستان انتاج اسلحة نووية .

البرتغال : :

١٣ : كشفت النتائج الرسمية لانتخابات المجالس البلدية في البرتغال عن تضاؤل شعبية أحزاب الائتلاف الديمقراطي الحاكم في مواجهة الحزبين الاشتراكي والشيوعي المعارضين .

: طالب ماريو سوارير زعيم الحزب الاشتراكي والفارو كانهال زعيم الحزب الشيوعي بإعتبار نتائج الإنتخابات اقتراعا بعدم الثقة في الحكومة وطالبا باستقالتها واجراء انتخابات مبكرة في بداية العام القادم .

١٨ : قدم فرانسيسكو بالسيماو رئيس الوزراء استقالة حكومته .

٢٧ : رشح فيكتور كريسبو رئيسا للوزراء .

بلجيكا :

١ : اكدت الدول الاعضاء في حلف الاطلنطي اصرارها على توزيع الصواريخ الامريكية متوسطة المدى في اوربا مالم يتفق على خفض التسلح .

٢ : اكد وزراء دفاع الاطلنطي رفضهم لسحب القوات الأمريكية والكندية من اوربا .

٩ : أعلن السكرتير العام لحلف الاطلنطي أن التحالف الغربي سيستجيب لأية خطوات ايجابية سوفيتية لتحسين العلاقات بين الشرق والغرب .

١١ : وجهت دول حلف الاطلنطي تحذيرا لموسكو بأنها ستبدأ في نشر ٥٧٢ صاروخا نوويا في أوروبا قبل نهاية العام القادم مالم يتم اتفاق سوفيتي امريكي للحد من الاسلحة الاستراتيجية ومالم ترفع موسكو صواريخها المصوبة نحو أوروبا الغربية .

بولندا :

٨ : رفضت بولندا اقتراحات الرئيس ريجان لرفع العقوبات ضدها ووصفتها بأنها تدخل في شئونها الداخلية .

: دعا الزعيم العمالي ليش فاليسا الى مصالحة وطنية بين الحكومة والشعب .

١١ : كشفت الحكومة البولندية عن عمليات تطهير واسعة النطاق داخل صفوف الحزب الشيوعي البولندي .

١٥ : اعلنت الحكومة البولندية سلسلة من الاجراءات لخفض علاقاتها الثقافية مع الولايات المتحدة الامريكية .

١٨ : وافق البرلمان البولندي بالاجماع على تجميد الأحكام العرفية بحلول نهاية هذا الشهر وأصدر عددا من القوانين كبديل للاحكام العرفية .

٢٢ : أكد الجنرال ياروزلسكي رئيس المجلس العسكري امام البرلمان السوفيتي أن بولندا لن تستسلم للمحاولات الأمريكية لتمزيقها وفصلها عن الكتلة الشرقية وان الضمان الاكيد للسيادة والامن في بولندا هو الوحدة مع الاتحاد السوفيتي وحلف وارسو والتعاون في اطار مجموعة الكوميكون .

٢٣ : افرجت السلطات البولندية عن جميع المعتقلين السياسيين .

٣١ : بدأ تجميد العمل بقانون الاحكام العرفية الذى صدر منذ عام و ١٨ يوما .

تانزانيا :

٤ : اتفق كبار المسئولين في دول الكمنولث على ان منظمة الكمنولث يجب أن تعمل في سبيل الوصول الى اجماع عالمي حول المسائل الدولية الرئيسية .

تشاد :

٤ : بعث حسين هبرى رئيس الجمهورية برسالة خاصة الى الرئيس المصرى حسنى مبارك حول العدوان الليبي على الحدود التشادية .

٩ : اتهم محمد نورى عضو مجلس قيادة الثورة التشادية الرئيس الليبي معمر القذافي بالتودد الى جمهورية أفريقيا الوسطى لاستخدام اراضيها كقاعدة لاثارة الاضطرابات في جنوب تشاد .

جمهورية مصر العربية :

١ : اكدت محادثات الرئيس حسني مبارك ورئيسة وزراء الهند اتفاقهما حول القضايا الرئيسية واقرار مبادرات السلام واقرار حقوق الشعب الفلسطيني ، وشكلت لجنة وزارية مصرية هندية لتنشيط التعاون الاقتصادى والنووى بين البلدين .

٤ : اعلن الرئيس مبارك أن تشكيل وفد اردني فلسطيني موحد يسهل المضي قدما في عملية السلام .

٦ : حذرت مصر امام الامم المتحدة من ان اسرائيل تستخدم المعونات الضخمة التي تتلقاها لتنفيذ استراتيجية الهيمنة في المنطقة .

٨ : اوفد الرئيس حسني مبارك كلا من وزير الدولة للشئون الخارجية ومدير مكتب الرئيس للشئون الخارجية في مهمة عاجلة الى لبنان والاردن .

٩ : ادانت مصر عدوان قوات جنوب افريقيا على جمهورية ليسوتو .

١٣ : ١٩ : قام الرئيس حسني مبارك بجولة شملت كلا من ايطاليا والمانيا الغربية والنمسا ورومانيا .

: ودعا الرئيس مبارك شعوب العالم الى التعاون لتوفير الغذاء وتحقيق تعاون دولى في التنمية الزراعية .

: وقعت مصر والمانيا الغربية اتفاقيتين ماليتين .

: رحب الرئيس مبارك بالدور الأوروبي في الدعوة الى اعتراف متبادل بين اسرائيل والفلسطينيين .

: اتفقت مصر ورومانيا على مضاعفة حجم التبادل التجارى بينهما .

١٨ : ١٩ : قام الرئيس الليبيرى صامويل دو بزيارة لمصر واتفق مع الرئيس مبارك على دعم منظمة الوحدة الافريقية .

٢٠ : ٢٤ : قام تشاوتسى يانج رئيس مجلس الدولة والوزراء في الصين بزيارة لمصر اعلن خلالها عن وجود اتفاق وتقارب في وجهات النظر بين مصر والصين حول معظم القضايا الدولية واهتمام الصين بتطوير علاقاتها مع دول العالم الثالث وخاصة مصر .

٢٢ : أكد مصدر مصري مسئول تمسك مصر بمنطقة طابا .

٢٨ : اعلنت جماعة (بيت الحرية) المناصرة لحقوق الانسان ان قضية الحرية احرزت تقدما ملحوظا في مصر خلال عام ١٩٨٢ .

٢٩ : تم توقيع اتفاقية عسكرية بين مصر وغينيا .

الدانمرك :

٣ : ٤ : عقد في كوبنهاجن مؤتمر قمة للدول العشر الاعضاء في السوق الأوروبية المشتركة . وطالب المؤتمر بانسحاب القوات الأجنبية من لبنان وأعرب زعماء السوق عن قلقهم لعدم احراز تقدم سريع لتحقيق السلام في الشرق الاوسط . كما طالبوا الزعيم السوفيتي اندروبوف بتأكيد حسن نواياه تجاه الغرب وسحب القوات السوفيتية من افغانستان . كما اكدوا رغبتهم في توثيق العلاقات التجارية مع اليابان والولايات المتحدة .

٢٢ : قرر مسئول وزارات الخارجية في دول السوق الأوروبية العشر من العقوبات المفروضة ضد الاتحاد السوفيتي وبولندا حتى آخر فبراير القادم .

الراس الأخضر :

٨ : عقدت مفاوضات مباشرة لأول مرة بين وفدين رسميين يمثلان جنوب افريقيا وانجولا لبحث مستقبل اقليم ناميبيا بدعوة من الرئيس اريستيد بيريرا رئيس الراس الأخضر .

سرى لانكا :

٢١ : مدت الحكومة العمل بقانون الطوارى لمدة شهر آخر .

السودان :

١ : غادر الخرطوم الفوج الثالث من المتطوعين السودانيين (١٢٠٠) متطوع الى بغداد للحرب مع العراق ضد ايران .

٧ : تسلم الرئيس جعفر نميرى رسالة من الرئيس التشادى حسين هبرى حول التحرشات الليبية بتشاد .

٢١ : اتهم الرئيس جعفر نميرى دولا معادية بارسال أموال وأسلحة لزعزعة الاستقرار في السودان .

سوريا :

٢٣ : نشرت صحيفة تربيون البريطانية احصائية شاملة عن انتهاك حقوق الانسان في سوريا تضمنت اسماء ١٩٠٠ معتقل سياسى و ٨٥ شخصا مفقودا و ١٦٣٤ شهيدا معظمهم تمت تصفيتهم أو تعذيبهم حتى الموت .

السويد :

٢٣ : قررت الحكومة السويدية طرد دبلوماسيين سوفييتيين لقيامهما بانشطة غير مشروعة تتنافى مع طبيعة عملهما الدبلوماسي واتهمتهما بالتورط في محاولة الحصول على معلومات تتعلق بصناعة الاسلحة السويدية .

الصومال :

٦ : اشتركت المقاتلات الامريكية إف ١٥ مع الطائرات الصومالية في مناورات فوق العاصمة مقديشيو .

الصين :

٤ : وافق البرلمان الصيني على الدستور الجديد الذي أعيد بمقتضاه منصب رئيس الدولة .

• : استقبل رئيس وزراء الصين وفد اللجنة السباعية العربية برئاسة الملك حسين ، واكد تأييد الصين لخطة السلام العربية .

: حذفت كلمات الاشادة بالزعيم ماوتسي تونج والحزب الشيوعي من النشيد الوطني الصيني .

٢٠ : غادر تشاوتسيي يانج رئيس مجلس الدولة والوزراء بكين في جولة تشمل عشر دول عربية وافريقية ، واكد تأييد الصين لانسحاب اسرائيل من الاراضي العربية المحتلة واستعادة الفلسطينيين لحقوقهم المشروعة بما في ذلك اقامة دولتهم المستقلة وحق جميع دول الشرق الاوسط في التمتع بالاستقلال والوجود .

٢٠ : أكد رئيس الوزراء الصيني وقوف الصين مع دول العالم الثالث وتأييدها لحركة عدم الانحياز والسلام العالمي ورفضها للهيمنة ووصف العلاقات الهندية الصينية بأنها حسنة وتسير نحو الافضل ، وناشد موسكو ازالة العراقيل التي تعترض علاقات البلدين .

٢١ : اعربت الصين عن أملها في تحقيق تطبيع تدريجي وحسن جوار مع الاتحاد السوفيتي .

٢٣ : طالبت الصين بالانسحاب غير المشروط للقوات السوفيتية من افغانستان .

٢٤ : توصلت الصين والاتحاد السوفيتي الى اتفاق حول شروط اعادة التجارة في اقاليم الحدود بينهما .

العراق :

١٠ : اشاد الرئيس صدام حسين بالتعاطف الذي ابداه المسئولون المصريون تجاه العراق في حربه مع ايران .

٢٦ : شنت القوات الجوية العراقية ٧٤ غارة على القوات الايرانية في الاهواز وعبدان وديزفول وعين خوش .

عمان :

٢ : توقف الرئيس حسني مبارك في مسقط لاجراء محادثات مع السلطان قابوس حول الموقف العربي .

٥ : اشترك ٢٥٠٠ جندي امريكي في مناورات تدريبية في سلطنة عمان .

٢٦ : صرح وزير الدولة العماني للشئون الخارجية بان توقيع اتفاق بين عمان واليمن الجنوبي لايعني ان الاتحاد السوفييتي قد تخلى عن سياسة التوسع والتدخل التي تشكل خطرا على منطقة الخليج .

فرنسا :

١ : دعا وزير الدفاع الفرنسي اتحاد اوربا الغربية الى بحث تقليل اعتماد اوربا على المظلة النووية الامريكية .

١٧ : تعهد الرئيس فرانسوا ميتران للرئيس الجزائري بن جديد بالسعي للتوصل الى حل وسط حول شروط فرنسا للسماح لمواطني الجزائر وتونس والمغرب بدخول الاراضي الفرنسية .

٢١ : أعلن وزير الخارجية الفرنسي أن الزعيم السوفيتي أندروبوف يتحول باهتمامه عن المسألة الحقيقية وهي تجميع الاتحاد السوفيتي لأسلحة نووية سريعة ودقيقة لايمكن لها الوصول الا الى اوربا وحدها .

فلسطين :

١ : دعت منظمة التحرير الفلسطينية الجمعية العامة للامم المتحدة الى المبادرة بتنفيذ مشروع تقسيم فلسطين وتخصيص مقعد لدولة فلسطين العربية في الامم المتحدة .

٤ : اعلن المتحدث الرسمي باسم منظمة التحرير الفلسطينية ان السيد ياسر عرفات والملك حسين اتفقا على تشكيل وفد اردني فلسطيني موحد للاشتراك في مفاوضات السلام القادمة في الشرق الاوسط .

٩ : استبعد السيد ياسر عرفات احتمال تفويض الملك حسين بالتحدث باسم الفلسطينيين .

١٠ : دعت الجمعية العامة للامم المتحدة الى انشاء دولة فلسطينية مستقلة .

١٨ : اكدت الجمعية العامة للامم المتحدة حق الشعب الفلسطيني وسائر السكان العرب في الاراضي التي تحتلها اسرائيل في السيادة على مواردهم الوطنية والبشرية وحقهم في التعويض من اسرائيل عن استغلالها .

: اوصت الجمعية العامة للامم المتحدة جميع اجهزتها بالتعاون مع منظمة التحرير الفلسطينية في تقديم المعونات الاقتصادية والرعاية الاجتماعية لسكان الضفة الغربية وغزة .

٢١ : طالب ياسر عرفات بتمركز قوات دولية لحفظ السلام في الضفة الغربية وغزة لحماية المواطنين الفلسطينيين من اجراءات القمع الاسرائيلية .

٢٦ : اظهرت دراسة اجراها بنك اسرائيل ان اكثر من ١٠٠ الف فلسطيني غادروا الضفة الغربية منذ عام ١٩٧٤ الى السعودية والاردن ودول الخليج .

٢٨ : اكد ممثل منظمة التحرير الفلسطينية في بون ان المنظمة اجرت اتصالات مع ممثلين اسرائيليين غير حكوميين حول عدد من المسائل من بينها مسألة تبادل الاسرى .

كندا :

٢٥ : وافقت حكومة كندا على طلب من ليبيا بتطبيع العلاقات بين البلدين .

كوبا :

١٢ : اعلن الرئيس فيدل كاسترو ان القوات الكوبية المرابطة في انجولا ستبقى هناك تبقا لرغبة الحكومة الانجولية . وندد كاسترو بسياسة الولايات المتحدة الامريكية تجاه دول امريكا الوسطى واللاتينية .

الكويت :

١١ : اعلن وزير الخارجية الكويتي ان بلاده ترفض التوقيع على اتفاقية التعاون الامني لدول الخليج لانها تنتهك سيادة البلاد ودستورها .

لبنان :

١ : تلقت لبنان ما يفيد بان اسرائيل تشترط لسحب قواتها من لبنان ابرام اتفاقية عدم اعتداء وتطبيع العلاقات بين البلدين .

٢ : اندلعت اشتباكات طائفية بين مليشيات الدروز ومليشيات حزب الكتائب في جبل الشوف .

: اشارت احصائيات وزارة التجارة الاسرائيلية الى ظاهرة اغراق السوق اللبنانية بالصادرات الاسرائيلية

٣ : ناشد الرئيس امين الجميل الرئيس الامريكي ريجان التدخل لحمل اسرائيل على الانسحاب من لبنان .

٩ : إتهم رئيس الوزراء اللبناني اسرائيل بالسعي الى خلق دويلات طائفية في الشرق الأوسط .

١٧ : حذر وزير الخارجية اللبناني وزير الخارجية الأمريكي من ان لبنان يواجه خطر التقسيم والتجزئة ما لم تنسحب القوات الاجنبية من لبنان .

١٨ : تدهور الموقف في وسط لبنان بعد انفجار القتال بين الميليشيات المناهضة للوجود السوري في لبنان والأخرى المؤيدة له .

٢٨ : بدأت في مدينة خلدة اللبنانية المباحثات اللبنانية الاسرائيلية حول انسحاب القوات الاجنبية من لبنان . واكد رئيس وفد لبنان ان اتفاقية الهدنة لعام ١٩٤٩ مازالت تمثل الاساس القانوني للعلاقات بين اسرائيل ولبنان .

٢٩ : طالب لبنان الولايات المتحدة بدور اكثر وضوحا وفاعلية في المفاوضات مع اسرائيل للتوسط الى حل وسط .

ليبيا :

١٨ : دعا الرئيس الليبي معمر القذافي زعماء دول جبهة الصمود والتصدي وقادة فصائل المقاومة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية وقادة تنظيمات المعارضة في الوطن العربي الى عقد اجتماع عاجل في ليبيا لوضع استراتيجية موحدة لمواجهة الظرف العربي الراهن .

٢٥ : دعت ليبيا لبنان الى رفض اجراء مفاوضات مع اسرائيل وشن حرب شعبية ضد الوجود الاسرائيلي في لبنان واكدت دعم ليبيا للبنان .

ليسوتو :

٩ : قامت قوات جنوب افريقيا بهجوم على ١٢ موقعا في عاصمة ليسوتو .

١٦ : ادان مجلس الأمن الدولي عدوان جنوب افريقيا على ليسوتو .

المكسيك :

١ : شكل الرئيس ميجويل دولا ميبيريه حكومة جديدة واعلن عزمه على انتهاج سياسة معتدلة مع الدول المجاورة .

٢٤ : حصلت المكسيك على قرض من صندوق النقد الدولي يقدر بحوالي اربعة مليارات دولار لانقاذها من الانهيار .

المملكة الاردنية الهاشمية :

١١ : اعلن الملك حسين ان حق اسرائيل في الوجود معترف به ضمنا في مشروع السلام العربي .

١٤ : اقترحت اللجنة العليا الاردنية الفلسطينية المشتركة مشروعي اتفاقيتين باطارين حول العلاقات المقبلة بين الاردن والكيان الفلسطيني ووضع استراتيجية سياسية موحدة .

المملكة العربية السعودية :

٦ : حذرت السعودية بريطانيا من انها قد تتعرض لمقاطعة اقتصادية عربية لرفضها استقبال ممثل فلسطيني في وفد قمة فاس .

١١ : اعلن وزير الاعلام السعودي أن بلاده ترى ان الوقت لم يحن بعد لاقامة علاقات دبلوماسية مع الاتحاد السوفيتي أو الصين الشعبية .

٢١ : اتهمت السعودية ايران وليبيا وفنزويلا ونيجيريا باثارة المتاعب في منظمة الاوبيك لبيعهم النفط بسعر منخفض .

المملكة المتحدة :

١ : اكد وزير الخارجية البريطانية ان اقامة اسرائيل لمستوطنات جديدة في الضفة الغربية وغزة قد اخلت كثيرا بقضية السلام .

٣ : طردت الحكومة البريطانية الملحق العسكري السوفيتي في لندن .

٢١ : اعربت رئيسة الوزراء البريطانية عن اعتقادها ان مقترحات الزعيم السوفيتي اندروبوف لخفض الاسلحة النووية ليس من شأنها ضمان التوازن النووي المطلوب لامن اوربا الغربية .

ناميبيا :

٢٥ : طالبت الجمعية العامة للامم المتحدة بالتطبيق الفوري وغير المشروط لقرار المنظمة الدولية الخاص باستقلال ناميبيا في جنوب القارة الافريقية .

الهند :

١ : اعربت الهند عن تأييدها للمبادرة المصرية الفرنسية والمبادرات الأخرى لتحقيق السلام في الشرق الأوسط واستعادة حقوق الشعب الفلسطيني وضمان سلامة وأمن وحقوق كل دول المنطقة وشعوبها .

: اتفقت مصر والهند على تنمية العلاقات بينهما في إطار أهمية ودور البلدين في دعم التعاون بين الدول النامية واحياء الصداقة القديمة بينهما لصالح السلام والاستقرار .

١٣ : دعت الهند ٩٥ دولة غير منحازة – ماعدا كمبوديا – لحضور قمة دول عدم الانحياز في نيودلهي في مارس القادم .

: اوضح متحدث هندي ان مقعد كمبوديا سيظل شاغرا بسبب الخلافات حول تحديد ممثلها في المؤتمر .

٢٣ : اتفقت الهند وباكستان على تشكيل لجنة مشتركة دائمة برئاسة وزيري الخارجية لتسوية المشاكل الثنائية بين البلدين .

: جرت مباحثات بين الهند وبنجلاديش حول سبل انهاء النزاع بين البلدين حول توزيع مياه نهر الجانج .

الولايات المتحدة الامريكية :

٣ : تلقى الرئيس ريجان رسالة من القيادة السوفيتية الجديدة ترحب بمقترحات ريجان بشأن الدعوة للاتفاق بين واشنطن وموسكو على الاخطار المبكر للحرب النووية والاجراءات الكفيلة بتجنب وقوع الحرب عن طريق الخطأ .

٥ : عاد الرئيس ريجان الى واشنطن بعد جولة في دول امريكا اللاتينية شملت كولومبيا والبرازيل وكوستاريكا ووعد باستئناف المساعدات الامريكية لدول امريكا اللاتينية .

٧ : اكد وزيرا خارجية الولايات المتحدة والمانيا الغربية الحاجة الى موقف جماعي لدول حلف الاطلنطي قبل اجراء مفاوضات مع موسكو .

: اكد وزير الخارجية الأمريكي وجود خلاف حقيقي بين الولايات المتحدة واسرائيل حول المساعدات الامريكية .

٨ : اعلنت وزارة الدفاع الامريكية عن انشاء قيادة مركزية جديدة مسئولة عن حماية مصالح الامن الامريكية في الشرق الاوسط والخليج العربي والمحيط الهندي وتضم ١٩ دولة .

: وافقت سلطنة عمان وكينيا والصومال على منح تسهيلات بحرية وجوية للولايات المتحدة .

: وجه البيت الابيض نداء عاجلا جديدا لانسحاب جميع القوات الاجنبية من لبنان واحراز تقدم على طريق التسوية الشاملة في الشرق الأوسط .

: رفض مجلس النواب الامريكي اعتماد مليار دولار لتصنيع الصاروخ أم اكس النووي العابر للقارات .

١١ : اعلن المبعوث الامريكي الخاص في الشرق الاوسط فيليب حبيب ان الولايات المتحدة لن تضغط على العرب واسرائيل لقبول خطة الرئيس ريجان للسلام في الشرق الأوسط .

أعلن الرئيس ريجان انه سيخفف العقوبات ضد بولندا اذا اتخذت اجراءات حقيقية لرفع الاحكام العرفية والافراج عن المسجونين السياسيين .

أكد المتحدث باسم الخارجية الامريكية ان العلاقات بين الولايات المتحدة واسرائيل لاتزال وثيقة وانه لاتوجد ازمة ثقة بين البلدين .

١٢ رفضت الخارجية الامريكية اقتراحا سوفيتيا بخفض الصواريخ السوفيتية في اوربا باكثر من النصف اذا ما الغت واشنطن مشروعا بنشر صواريخ جديدة في المنطقة

١٤ أعرب وزير الخارجية الامريكي عن تفاؤله بامكانية حل الخلافات الفرنسية الامريكية حول العلاقات بين الشرق والغرب

٣٠ حذر وزير البحرية الامريكية من ب

البلدين بانها ممتازة .

الاتحاد السوفيتي يكثف وجوده البحري في كوبا

٢٤ اعلن الرئيس ريجان بعد اجتماعه بالملك حسين ـ ملك الأردن ـ ان بدء المفاوضات المباشرة للتوصل الى حل عادل للمشكلة الفلسطينية في سياق العمل من اجل اقرار سلام حقيقي ودائم في الشرق الأوسط قد اصبح في متناول اليد

٢٩ سخر الرئيس ريجان من مقترحات الزعيم السوفيتي اندروبوف حول مشكلة الصواريخ .

٣١ أعلن المتحدث باسم البيت الابيض ان الرئيس الامريكي مستعد للمشاركة في قمة سوفيتية امريكية بشرط الاعداد لها على نحو كاف وتوافر احتمالات معقولة لنجاحها .

اليابان :

٣ تعهد تاكاسوني رئيس الوزراء امام البرلمان بان تعمل حكومته على تحسين قدرات اليابان الدفاعية الا انها لن تصبح قدرة عسكرية .

١١ طالب رئيس الوزراء الياباني الدول العربية بالاعتراف بحق اسرائيل في الوجود .

٢٣ صرح وزير الخارجية الياباني بان الاتحاد السوفيتي يتخذ الآن اتجاها ايجابيا نحو اليابان ويتجه للمصالحة الى حد كبير .

يوجوسلافيا :

٤ اكد كاسبار واينبرجر وزير الدفاع الامريكي خلال زيارة لبلجراد تأييد الولايات المتحدة الامريكية لاستقلال يوجوسلافيا . ووصف العلاقات بين

○ ○ شهريات يناير ١٩٨٣

الاتحاد السوفيتي :

٣ حذرت مجلة « كوميونيست » الناطقة بلسان الحزب الشيوعي السوفيتي من تشكيل اية تكتلات داخل الحزب واكدت على اهمية وحدة كوادره .

١٢ اعلن الاتحاد السوفييتي ـ لاول مرة ـ عن استعداده لبحث تدمير عدد من صواريخه متوسطة المدى من طراز (اس ـ اس ـ ٢٠) في حل التوصل الى اتفاق لحل وسط مع الولايات المتحدة في مفاوضات جنيف للرقابة على الأسلحة النووية .

١٣ اكد الزعيم السوفييتي يوري اندروبوف للسيد ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية تأييد الاتحاد السوفيتي لفكرة تشكيل اتحاد كونفدرالي اردني فلسطيني

١٤ هاجمت الهيئات الرسمية السوفيتية نهج حكومة الصين في مفاوضات التطبيع بين البلدين

١٧ حذر وزير الخارجية السوفيتية من ان بلاده ستنشر المزيد من الصواريخ النووية في أوروبا إذا نفذت الولا... المتحدة خطتها لنشر ٧٩٥ صـ... نوويا جديدا من طراز بيرشنج وكرو... في أوروبا الغربية

١٩ عرض الاتحاد السوفيتي ازالة بعض صواريخه النووية متوسطة المدى الموجهة الى اوروبا إذا ما تراجع الغرب عن خططه بنشر الصواريخ الامريكية النووية في اوروبا .

٢٠ هدد الاتحاد السوفييتي بوقف مفاوضات (ستارت) اذا ما بدأت الولايات المتحدة بنشر صاروخ واحد في اوروبا .

٢١ حذر الاتحاد السوفييتي اليابان من انها ستصبح هدفا لضربة انتقامية في حالة قيام حرب بسبب نمو تحالفها العسكري مع الولايات المتحدة .

٢٤ حذر الاتحاد السوفييتي الولايات المتحدة والمانيا الغربية بتوجيه صواريخه نحوهما إذا ما نشر صاروخ امريكي واحد من طراز بيرشنج في اوروبا .

ثيوبيا :

٤ صرح منجستو هيلي ميريام الحاكم العسكري لاثيوبيا ان الصومال تعد جيشا لغزو بلاده .

انظر الصومال ٤/١

الأرجنتين :

٢٠ صرح خوليو مارتينيز وزير الدفاع بأن حكومة الأرجنتين لن توقع اتفاقا بانهاء حالة الحرب مع بريطانيا ما لم تلمس لدى لندن موقفا مؤيدا للتفاوض .

اسرائيل :

٣ اذاع راديو اسرائيل ان اسرائيل تتفاوض بصورة مباشرة مع منظمة التحرير الفلسطينية لاطلاق سراح ثمانية من الجنود الاسرائيليين الاسرى .

٥ حذر المسئولون الاسرائيليون من ان حصول سوريا على صواريخ سام ٥ السوفيتية قد قلب موازين القوى في الشرق الأوسط ، ويشجع سوريا على شن حرب لاستعادة الجولان ويؤثر على المفاوضات الجارية حول الانسحاب الاسرائيلي من لبنان .

٦ وصف اسحاق نافون رئيس اسرائيل السلام مع مصر بأنه سلام متجمد واكد رفض جميع الاسرائيليين لاقامة دولة فلسطينية مستقلة .

٨ ذكر راديو اسرائيل ان الحكومة الاسرائيلية تستطلع امكانية اجراء حوار مع الاتحاد السوفييتي .

١١ جددت اسرائيل رفضها لاشتراك منظمة التحرير الفلسطينية في مباحثات السلام .

١٣ : امكن التوصل خلال المفاوضات الاسرائيلية اللبنانية الامريكية فى بلدة كيريات شمونه الى اتفاق حول جدول اعمال المفاوضات .

١٥ : صرح رئيس الدولة اسحاق نافون بأنه لمس خلال محادثاته مع المسئولين الامريكيين فى واشنطن دلائل عدم الصبر ازاء السياسة الاسرائيلية .
: دعا رئيس الوزراء مناحيم بيجين ملك الاردن حسين الى الانضمام الى مفاوضات السلام فى الشرق الأوسط فى إطار اتفاقات كامب ديفيد .

١٩ : صرح وزير الخارجية اسحاق شامير بان اسرائيل لن تتخلى عن مطلبها بانشاء محطات للانذار المبكر فى جنوب لبنان فى إطار الترتيبات الأمنية على أن يقوم بتشغيلها الاسرائيليون .

٢٩ : اكد رئيس الوزراء مناحيم بيجين ان اسرائيل سوف تستمر فى بناء المستوطنات فى الضفة الغربية وغزة .

٣٠ : ابلغ الرئيس الاسرائيلى اسحاق نافون رئيس الوزراء مناحيم بيجين عدم اعتزامه تجديد ترشيحه لتولى منصبه لفترة جديدة .

افغانستان :

١ : قتل المجاهدون الافغان ١٦ جنديا سوفيتيا ودمروا خمس دبابات فى هجوم على القصر الجمهورى بالعاصمة كابول .

٢ : ذكر بيان للجنة المركزية للحزب الشيوعى الحاكم ان الحزب واجه اعمال (الخيانة والانحراف) ضد اهدافه بالقدر الذى هدد وجود افغانستان .

٣ : اكد الكولونيل الافغانى محمد ايوب عثمان الهارب الى باكستان ان السوفيت بدأوا فى إعادة تنظيم الاجهزة الحكومية والادارية الافغانية على غرار نموذج الجمهوريات الاسلامية فى اسيا .

المانيا الغربية :

٣ : دعت المانيا الغربية الى الاهتمام بالمقترحات السوفيتية لتخفيض الاسلحة النووية والاستراتيجية فى اوروبا . باعتبارها خطوة للامام لدفع مفاوضات جنيف .
: دعت المانيا الغربية الى اعتراف متبادل بين اسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية .

٧ : أعلن الرئيس الالمانى حل البرلمان الاتحادى تمهيدا لاجراء انتخابات تشريعية فى مارس القادم .

١٧ : اكد جينشر وزير الخارجية تمسك المانيا الغربية بتأييدها للاقتراح الامريكى (الخيار صفر) .

١٨ : اعترف اندريه جروميكو وزير الخارجية السوفييتى بفشله فى تحقيق تقدم كبير فى مباحثاته مع زعماء المانيا الغربية حول قضية الاسلحة النووية واكد ان موسكو لن تقبل (الاختيار صفر) .

٢٧ : اكد جينشر وزير الخارجية رفض المانيا الغربية الموافقة على نشر الصواريخ الامريكية فى ارضيها .

٢١ : اكد المستشار هلموت كول والرئيس الفرنسى فرانسوا ميتران التزام بون وباريس بنشر الصواريخ النووية التابعة لحلف الأطلنطى ووقوفهما بحزم الى جانب الولايات المتحدة — فى نشر ٥٧٢ صاروخا من طراز بيرشنج [illegible]

ايران :

٢ : ذكرت منظمة العفو الدولية ان السجن التعسف والتعذيب وعمليات الأعدام للمعارضين فى سجن ايفين بطهران أصبح من الامور العادية فى ايران وأن عدد المسجونين فى ايران يتجاوز ٢٠ الفا بكثير .

١٠ : أعلنت ايران ان اكثر من مائة عراقى قتلوا واصيبوا فى عملية فدائية قامت بها القوات الايرانية فى القطاع الشمالى من الجبهة .

٢٤ : اكد حسين موسوى رئيس الوزراء الايرانى ان احتمالات النجاح القائمة امام اية تسوية سلمية للنزاع المسلح بين ايران والعراق هى (صفر مطلق) .

٣٠ : اعترف بيان اصدره (حراس الثورة الايرانية) بمصرع ستة من قادة الحرس الايرانى على حدود العراق .

البرتغال :

١٥ : رشح فيكتور كروسبو رسميا لرئاسة الوزارة من قبل ائتلاف الأحزاب الثلاثة الديمقراطية الحاكم .

٢٤ : قرر الرئيس رامالو إينز حل البرلمان تحت ضغوط المعارضة لاجراء انتخابات مبكرة .

بوليفيا :

٨ : اتهم الرئيس البوليفى الولايات المتحدة الامريكية بمحاولة تدمير حكومته بمساعدة نائبه وزعيم المعارضة .

١٠ : قدم ستة وزراء استقالتهم احتجاجا على الفشل فى تحجيم الفساد فى البلاد .

١٢ : قررت بوليفيا وكوبا استئناف علاقاتهما الدبلوماسية .

تانزانيا :

٢٠ : صدر بيان رسمى يعلن احباط محاولة انقلاب ضد الرئيس جوليوس نيريرى .

تشيكوسلوفاكيا :

٣ - ٦ : عقد مؤتمر قمة لدول حلف وارسو فى براج . اقترح المؤتمر عقد معاهدة عدم اعتداء مع دول حلف الاطلنطى ، كما دعاها إلى اجراء مفاوضات لخفض النفقات العسكرية لتحاشى الحرب . كما وافق المؤتمر على بدء مفاوضات بين افغانستان وباكستان بواسطة الأمم المتحدة .

جمهورية مصر العربية :

١ : بحث وزير الخارجية مع رئيس لجنة العلاقات الخارجية فى البرلمان القبرصى اسلوب تحسين ورفع مستوى العلاقات بين البلدين .

٤ : أعربت مصر عن قلقها ازاء تطورات الموقف فى مدينة طرابلس اللبنانية .
: اشاد رئيس البرلمان الهندى بالعلاقات المصرية الهندية .

٥ : أعلن وزير الخارجية ان احتفاظ مصر بعلاقات خاصة مع الولايات المتحدة يجب الا يعرقل اقامة علاقات طيبة بين مصر والاتحاد السوفييتى .

٧ : عقد لقاء فى باريس بين الدكتور بطرس غالى وزير الدولة للشئون الخارجية والسيد طارق عزيز نائب رئيس الوزراء العراقى .

٩ : نبه الرئيس حسنى مبارك العرب الى أن امامهم هذا العام للتوصل الى تسوية ، وتوقع تبادل السفراء بين القاهرة وموسكو قريبا .

١١ : اكد الرئيس حسنى مبارك حرص مصر على دور يتناسب وحجمها فى عالم عدم الانحياز والتزاما بسياسة عدم الانضمام للاحلاف والقواعد العسكرية .

١٢ : أعلن قيام اول مجلس مشترك لرجال الأعمال فى مصر وفرنسا .

١٨ : اتفقت مصر والسودان على الغاء جميع الرسوم الجمركية والاضافية وروسوم الصادر على السلع المتبادلة بينهما .

٢٣ : أعلن الدكتور بطرس غالى وزير الدولة للشئون الخارجية تأييد مصر لانضمام فنزويلا الى حركة عدم الانحياز .

٢٥ : بدأ الرئيس حسني مبارك جولة يزور خلالها كلا من فرنسا والولايات المتحدة الامريكية وكندا وبريطانيا .

٢٩ : اعلن الرئيس حسني مبارك أن مصر بدأت مرحلة جديدة من العلاقات مع الدول العربية .

٣٠ : اعلن الرئيس حسني مبارك ان امريكا ستفقد ثقة اصدقائها اذا لم تحقق الحل الشامل في الشرق الاوسط .

٣١ : وقعت مصر وكندا اتفاقية للتعاون تشمل مجالات الزراعة والاستثمار والطاقة النووية .

دولة الامارات العربية المتحدة :

٢٧ : قررت دولة الامارات العربية المتحدة زيادة انتاجها من البترول بنسبة ٤٥٪ لمواجهة منافسة دول الأوبك الأخرى .

زائير :

١٩ : اعلن الرئيس الزائيري موبوتوسيسي سيكو أن الخبراء العسكريين الاسرائيليين سيعيدون بناء القوات المسلحة لزائير وفقا لخطة لمدة خمس سنوات . كما اعلن شارون وزير الدفاع الاسرائيلي انه وقع معاهدة للتعاون العسكري بين اسرائيل وزائير .

سري لانكا :

٢٠ : رفعت الحكومة حالة الطوارىء المفروضة بالبلاد منذ ثلاثة شهور .

السلفادور :

٢١ : اكد ممثلو منظمتين امريكيتين من منظمات الدفاع عن حقوق الانسان أن عمليات القهر والاغتيال السياسي الحكومية قد تفاقمت في السلفادور وبلغ ضحاياها ما يزيد على ٩٣٣٩ قتيلا من المدنيين في العام الماضي وحده .

السودان :

٢٠ وصف الرئيس جعفر نميري العلاقات بين السودان والولايات المتحدة بأنها جديدة ، كما اكد انه لا امل في عودة العلاقات الرسمية بين السودان وليبيا في الظروف الحاضرة .

سوريا :

٤ : أعلنت القيادة العسكرية الاسرائيلية أن سوريا تقوم ببناء قاعدتين لصواريخ (سام ٥) للدفاع الجوي داخل الاراضي السورية .

١٩ : أكدت وكالة تاس السوفيتية ان سوريا اتخذت خطوات لتطوير نظم دفاعها الجوي .

٢٠ : نفت سوريا سحب تأييدها لخطة السلام العربية التي اقرها مؤتمر فاس .

٢٢ : اكدت سوريا أن علاقاتها مع العراق لم تشهد أي تطور .

٢١ ، ٢٣ : جرت مباحثات في دمشق بين وزيري خارجية سوريا وايران ووزير العدل في ليبيا اعربوا في ختامها عن تأييدهم لمحاولات ايران الاطاحة بالرئيس العراقي صدام حسين وطالبوا الدول العربية بتعزيز روابطها مع ايران .

٢٩ : اكدت مصادر المخابرات المركزية الامريكية ان موسكو اعطت سوريا صواريخها الجديد سام المضاد للطائرات .

الصومال :

٤ : أكد الرئيس الصومالي محمد سياد بري أنه سيستمر في دعم الثوار الاثيوبيين المناهضين للحكم القائم في اثيوبيا .

٢٧ : أكد الرئيس سياد بري استمرار دعم الصومال لحركات التحرر في اقليمي أوجادين واريتريا واتهم السوفيت بزعزعة استقرار المنطقة .

الصين :

١ : اكد الحزب الشيوعي الصيني انه لن يلعب بالورقة الامريكية او الورقة السوفيتية في علاقاته بهاتين القوتين العظميين .

٩ : ذكرت وكالة انباء الصين الجديدة أن الصين تواصل بشكل حثيث وحذر تنفيذ خططها الخاصة بإلغاء الكوميونات الشعبية بوصفها الوحدة الاساسية للحكم المحلي في الريف الصيني .

١٩ : فرضت الصين قيودا على وارداتها الزراعية من الولايات المتحدة وقررت عدم عقد اتفاقات جديدة بين البلدين في عام ١٩٨٣ .

العراق :

٣ : نشرت الحكومة العراقية نص حديث جرى بين الرئيس صدام حسين وعضو بالكونجرس الأمريكي اعترف فيه الرئيس العراقي بموافقته على حاجة اسرائيل الى الامن .

٦ : اكد الرئيس صدام حسين ان ايران واسرائيل تشتركان في مؤامرة ضد العراق والامة العربية

١٠ : شنت الطائرات العراقية ٧٦ غارة جوية على الاراضي الايرانية أسقطت خلالها مقاتلة ايرانية .

١٣ : حذر العراق من أنه يتوقع هجوما ايرانيا جديدا على اراضيه ليكون رابع هجوم خلال ستة أشهر .

١٧ : شنت الطائرات العراقية ٨٣ غارة جوية على الاهداف ايرانية في شمال الاهواز .

٢٧ : واعلن الرئيس صدام حسين استعداده للقاء الزعيم الايراني آية الله الخميني في طهران إذا كان سيؤدي الى انهاء الحرب .

٢٩ : اكد الرئيس صدام حسين ضرورة عودة العلاقات العربية مع مصر وانه لايجوز أن تبقى مصر خارج الجامعة العربية .

فرنسا :

١ : اصدر الرئيس ميتران تعليماته بتعزيز قوة الردع النووية الفرنسية واكد ضرورة تحمل اوروبا عبء الدفاع عن نفسها .

٢ : اكد الرئيس ميتران رفض فرنسا محاولات الاتحاد السوفيتي لاقحام فرنسا في محادثات الحد من الاسلحة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي .

٨ : ١٠ : قام وزير الخارجية الفرنسي بزيارات لكل من البحرين وقطر ومصر ، كما قام وزير الدفاع الفرنسي بزيارة لسلطنة عمان لبحث سبل التعاون العسكري بين فرنسا وعمان .

٩ : أعلن كلود شيسون وزير الخارجية استعداد فرنسا للقيام بمبادرة أوروبية لحل النزاع في الشرق الأوسط .

١٣ : ١٨ : قيام الرئيس فرانسوا ميتران جولة جديدة في افريقيا زار خلالها توجو وبنين والجابون .

٢٠ : أكد الرئيس ميتران ضرورة حفظ توازن القوى في أوروبا كأساس قامت عليه سياسة الوفاق وساعد ألمانيا الغربية على تطبيق سياسة الانفتاح على الشرق واتاح توقيع اتفاقية هلسنكي .

٢٨ : اكد الرئيس فرانسوا ميتران تأييده لاجراء استفتاء يقرر مصير الصحراء الغربية تحت اشراف منظمة دولية .

فلسطين :

١ : ناشد ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية يهود العالم مساندة السلام العادل الذي يطالب به الشعب الفلسطيني ، واكد أن الدولة الفلسطينية آتية مهما كانت الصعاب .

٥ : أعلن ياسر عرفات استعداده لتشكيل حكومة فلسطينية في المنفى فور اعتراف الولايات المتحدة بحق تقرير المصير للشعب الفلسطيني .

٨ : أعلن ياسر عرفات استعداده

للانضمام الى مفاوضات السلام العربية الاسرائيلية اذا التزمت الولايات المتحدة بتخلي اسرائيل عن ٩٧٪ من اراضي الضفة الغربية المحتلة .

١٠ : رفض مسئول فلسطيني فكرة تمثيل بعض الشخصيات الفلسطينية من الضفة الغربية من غير المنتمين للمنظمة في محادثات السلام .

١٢ : اعلن ياسر عرفات في موسكو – ان ازمة الشرق الأوسط لايمكن حلها الا حول مائدة المفاوضات .

١٨ : اجتمع ياسر عرفات بثلاثة من اعضاء مجلس السلام الاسرائيلي في تونس .

٢٦ : اكد السيد ياسر عرفات رفضه لأي حل يتجاهل حقوق الشعب الفلسطيني ومواصلة الكفاح الفلسطيني المسلح طالما لم تتم الاستجابة لهذه الحقوق .

٢٧ : اكد ابو إياد استعداد منظمة التحرير الفلسطينية لسحب قواتها من لبنان اذا مارات حكومة لبنان ذلك .

الكويت :

٨ : اعلن وزير الخارجية أن الكويت تؤيد اقامة علاقات بين دول الخليج العربي والاتحاد السوفيتي لتحقيق التوازن في المنطقة .

لبنان :

٢ : اعلنت مصادر الأمن اللبنانية ان حوالي ١٤٠٠ شخصا لقوا مصرعهم في احداث العنف الطائفي في عام ١٩٨٢ .

٤ : أشدت لبنان من الامم المتحدة تجديد فترة انتداب قوة الطوارئ الدولية في اراضيه وتوسيع نطاق المنطقة الخاضعة لاشرافها .

٢٠ : اعلن متحدث عسكري باسم القوات الدولية في لبنان أن الكتيبة النيجيرية توقفت عن القيام بعملها بناء على قرار حكومتها تمهيدا لسحبها .

٢٢ : وافق لبنان على اقتراح امريكي لبدء انسحاب جزئي للقوات الأسرائيلية والسورية والفلسطينية مسافة ١٥ كيلو مترا من الجبال اللبنانية في اطار جدول زمني لانسحاب شامل .

٣٠ : تدهورت الأوضاع الأمنية بعد استئناف المعارك بين قوات الدروز والكتائب في جبل الشوف وقصف القوات السورية لبيروت الشرقية .

ليبيا :

٧ : صرح العقيد معمر القذافي بأن العلاقات المتوترة بين ليبيا والولايات المتحدة بدات في التحسن في الأونة الأخيرة .

١٧ : عقدت المنظمات الفلسطينية الأربع – ماعدا منظمة فتح – اجتماعا في طرابلس بدعوة من القذافي أعلنت المنظمات الأربع رفضها خطة السلام العربية التي اقرها مؤتمر فاس وكذلك مبادرة الرئيس الامريكي ريجان .

: اعلن العقيد معمر القذافي ان ليبيا اعدت بالاشتراك مع المنظمات الفلسطينية الأربع برنامجا سياسيا وعسكريا خاصا بالمقاومة الفلسطينية .

١٩ : اتهمت ليبيا الاسطول السادس الامريكي ببدء مناورات في خليج سرت ووصفتها بأنها استفزازية وارهابية .

٢٢ : ٢٤ : قام العقيد معمر القذافي بزيارة لرومانيا وقع خلالها معاهدة للتعاون والصداقة بين ليبيا ورومانيا .

المملكة الاردنية الهاشمية :

١١ : اعلن الملك حسين انه حصل على تعهد كتابي من الرئيس الامريكي ريجان يؤكد فيها تصميم حكومته على احترام حق العرب في الاراضي التي تحتلها اسرائيل بما فيها القدس الشرقية وحمل اسرائيل على الموافقة على المبادرة الامريكية للسلام .

١٥ : نفى نف وزير الاعلام الاردني وجود خطة سرية امريكية لتشكيل قوة تدخل سريع اردنية لحماية منطقة الخليج .

١٨ : صرح مسئول اردني بأن الملك حسين وياسر عرفات لم يتوصلا الى اتفاق حول ترشيح شخصيات فلسطينية للمشاركة في وفد اردني فلسطيني للمفاوضات السلمية ، كما لم يتوصلا الى اتفاق على شكل الوحدة المقبلة بين الشعبين .

٢٢ : ٢٤ : قام الملك حسين بجولة في دول الخليج شملت الكويت والبحرين وقطر وعمان .

المملكة العربية السعودية :

٢ : اعلنت السعودية انها لن تستقبل وزير الخارجية البريطاني ضمن جولته في دول الخليج وذلك ردا على رفض بريطانيا استقبال ممثل فلسطيني ضمن وفد اللجنة السباعية العربية لمؤتمر فاس .

١٢ : اعلن بيان رسمي ان السفير السعودي في ليبيا سيعود الى مقر عمله قريبا .

٢١ : اعلن وزير الاعلام السعودي ان مواقف مصر الأخيرة تتقارب باستمرار مع الموقف العربي .

المملكة المتحدة :

١ : اعلنت رئيسة الوزراء مارجريت تاتشر انه اذا مازال الاتحاد السوفيتي صواريخه الموجهة الى أوربا فسوف لاتحتاج بريطانيا الى نشر الصواريخ الامريكية بيرشنج وكروز .

٣ : نفى متحدث رسمي وجود توتر في العلاقات البريطانية السعودية .

٧ : عين مايكل هيزلتاين مديرا للدفاع بدلا من جون نوت .

٩ : وصلت مارجريت تاتشر في زيارة مفاجئة لجزر فوكلاند .

١١ : حذر السفير البريطاني في واشنطن من ان امريكا واوروبا الغربية بدأتا تفقدان احساسهما بأهمية اعتمادهما على بعضهما البعض ، كما حذر من خفض القوات الامريكية في اوروبا من ٣٢٠ الفا الى ٣٠ الف جندى .

١٨ : برات لجنة التحقيق البريطانية حول حرب فوكلاند مارجريت تاتشر رئيسة الوزراء وحكومتها من أية مسئولية تجاه غزو الجزر .

٢٧ : رفض مجلس العموم البريطاني توجيه اللوم الى حكومة مارجريت تاتشر بسبب ما وصفته مذكرة حزب العمل بعجزها عن حرب فوكلاند

المملكة المغربية :

١١ : اعلن وزير الخارجية المغربي أنه تم حل الخلافات بين الدول العربية وبريطانيا حول زيارة وفد اللجنة السباعية العربية للندن بأشتراك محمد ملحم عمدة حلحول السابق للجنة .

٢٦ : عرض الملك الحسن الثاني مساعدته في ترتيب حوار بين منظمة التحرير الفلسطينية واسرائيل في اي صورة .

٢٧ : ٢٨ : قام الرئيس الفرنسي ميتران بزيارة للمغرب واعلن ان فرنسا لاتعترض من حيث المبدأ على تقديم مفاعلات نووية لفرنسا .

النمسا :

١ : اكد المستشار برونو كرايسكي تأييده لمشروع السلام العربي .

نيكاراجوا :

١٢ : ١٥ : عقد في ماناجوا المؤتمر الوزاري الطارئ لدول غير المنحازة لبحث الموقف في أمريكا اللاتينية وادان التدخل الامريكي والاسرائيلي في أمريكا الوسطى اللاتينية كما أدان اسرائيل لاستمرار احتلالها الاراضي العربية وممارساتها فيها .

٢٠ : حذرت نيكاراجوا من خطر المناورات العسكرية بين امريكا وهندوراس المزمعة على الاستقرار في امريكا في نيكاراجوا .

هرارى (زيمبابوى) :

١٠ : ١٢ : عقد المؤتمر الأفريقى الأمريكى الثالث عشر ، واتهم روبرت موجابى رئيس الوزراء الولايات المتحدة بممارسة الأبتزاز السياسى ضد أفريقيا فيما يتعلق بمشكلة ناميبيا .

١٣ : اشاد وزير خارجية هرارى بموقف مصر المؤيد لبلاده فى مواجهتها لجنوب افريقيا واستمرار مساندة مصر لهرارى قبل وبعد الاستقلال .

الهند :

٦ : منى حزب المؤتمر الحاكم بهزيمة فى الانتخابات المحلية فى ثلاث ولايات .

٨ : طالبت الاحزاب المعارضة بأستقالة انديرا غاندى رئيسة الوزراء بعد هزيمة حزبها فى الانتخابات المحلية .

١٤ : حذرت الهند الدول النامية من المحاولات التى تدبر للزج بها فى المواجهة بين الشرق والغرب .

٢٨ : اجرت رئيسة الوزراء عملية اعادة تنظيم واسعة للحكومة والحزب المؤتمر الحاكم ، وقدم جميع الوزراء فى الحكومة أستقالة جماعية .

الولايات المتحدة الأمريكية :

١ : اعرب الرئيس ريجان عن امله فى تقدم محادثات الحد من الأسلحة الاستراتيجية وأن يخيم السلام على العالم فى العام الجديد .

٤ : اكد المسئولون الامريكيون ان الاتحاد السوفيتي قد زاد من استخدامه للاشارات الشفرية التى ترسلها صواريخه مما يشكل انتهاكا لاتفاقية الحد من الأسلحة .

٥ : اعلن وزير الدفاع الامريكى أن اى تأخير فى أنسحاب القوات الاجنبية من لبنان ستكون له انعكاسات خطيرة على المصالح الامريكية والسلام .

١٠ : حذرت امريكا اسرائيل من محاولات قواتها دخول قطاعات جديدة فى بيروت .

١٢ : انتقدت الخارجية الامريكية الخطة الاسرائيلية لتشجيع اقامة مستوطنات جديدة فى الاراضى العربية من خلال حملة اعلانية قومية .

١٥ : هاجم الرئيس الامريكى الصحافة الامريكية واتهمها بتشويه سياساته .

: بدات رسميا فى الولايات المتحدة معركة انتخابات الرئاسة لعام ١٩٨٤ .

١٦ : اعدت وزارة الدفاع وثيقة تحدد الاستراتيجية الامريكية الحالية لمواجهة الاتحاد السوفيتي وتركز على ضمان تفوق الولايات المتحدة فى اية حرب نووية وامكانية شن حرب من الفضاء الخارجي .

١٩ اكدت الولايات المتحدة انها ستنفذ خطة نشر صواريخها فى اوربا اذا فشلت محادثات خفض التسلح قبل ديسمبر القادم .

: اكد وزير الدفاع الامريكي تمسك امريكا باستبعاد الصواريخ النووية الفرنسية والبريطانية من محادثات الحد من التسلح مع الاتحاد السوفيتي .

: دعا الرئيس ريجان رئيس وزراء اليابان ناكاسونى الى ان تسعى اليابان بسرعة الى بلوغ مرحلة الاعتماد الذاتى فى مجال الدفاع .

: اعربت الولايات المتحدة عن قلقها ازاء نشر صواريخ سوفيتية مضادة للطائرات من طراز سام ٥ فى سوريا .

٢٢ : هددت الولايات المتحدة بأستخدام الأسلحة النووية التكتيكية اذا تعرضت كوريا الجنوبية لهجوم من كوريا الشمالية .

٢٤ : اشاد وزير الدفاع الامريكى بتطور التعاون العسكرى بين الولايات المتحدة ومصر خلال عام ١٩٨٢ ، كما اعلن ان أمن الدول العربية يوازى امن اسرائيل فى نظر امريكا .

٢٥ : اكد الرئيس ريجان عزمه على مواصلة جهوده لتحقيق السلام فى الشرق الأوسط على أساس اتفاقيات كامب ديفيد .

: كشفت دراسة سرية أعدها سلاح الجو الامريكي انه بحلول عام ٢٠٠٠ سيزيد عدد الدول التى لديها أسلحة نووية من ٦ الى ١٧ دولة .

٢٦ : اعلنت الخارجية الامريكية أن زيارة مناحيم بيجين رئيس وزراء اسرائيل للولايات المتحدة غير ملائمة طالما لم يتم التوصل الى اتفاق حول انسحاب القوات الاسرائيلية والقوات الاخرى من لبنان .

٢٦ ٢٨ : قام الرئيس حسنى مبارك بزيارة رسمية لواشنطن حيث اجرى محادثات مع الرئيس ريجان ونائبه ووزيرى الخارجية والدفاع ومستشار الأمن القومى واكد فى محادثاته اهمية استمرار مسيرة السلام والتعجيل بانسحاب القوات الاسرائيلية من لبنان . كما اكدت الولايات المتحدة رغبتها فى دعم مسيرة السلام .

٢٩ : رفضت الولايات المتحدة الاقتراح الاسرائيلي بتشغيل محطات الانذار المبكر بلبنان بعد انسحابها .

اليابان :

١٥ : قررت الحكومة اليابانية فتح أسواقها امام الواردات الامريكية وتقديم التكنولوجيا العسكرية لامريكا استجابة لطلبها .

٢٢ : اعلن ناكاسونى رئيس الوزراء فى ختام زيارة قام بها للولايات المتحدة انه سيسعى لدعم التحالف الامريكى اليابانى فى مجالات السياسة والاقتصاد والدفاع واكد تعهد اليابان بتطوير التزاماتها الدفاعية .

٢٤ : اكد ناكاسونى أن محور السياسة الخارجية اليابانية يجب أن تقوم على اساس تعزيز العلاقات الامريكية اليابانية والحفاظ على ترتيبات الامن بين البلدين كأمر لا غنى عنه للسلام فى اسيا فى ضوء التصعيد العسكرى السوفيتي .

٢٦ : هددت اليابان بمحاصرة السفن السوفيتية فى مضيق توسيما بين كوريا واليابان فى حالة حدوث نزاع مع موسكو حول نشر الصواريخ الامريكية .

٣٠ : حذرت وكالة الدفاع اليابانية من ان اليابان ستتحول الى ايران اخرى اذا ما تخلت الولايات المتحدة عنها .

يوغوسلافيا :

٩ : حذر على سكرية عضو هيئة رابطة الشيوعيين اليوغوسلاف من أن مزاعم الزعيم الألبانى انور خوجه بشأن اقليم كوزفون اليوجوسلافى ربما تؤدى الى نشوب حرب بين البلدين كما اتهم سكرية خوجه بمحاولة انشاء طابور خامس فى يوجوسلافيا .

٥٥ شهريات فبراير ١٩٨٣

الاتحاد السوفييتي :

١ : اعلن الزعيم السوفييتي اندروبوف رفضه لاقتراح الرئيس الامريكي ريجان بعقد اجتماع قمة بينهما لتوقيع اتفاق لحظر الصواريخ النووية متوسطة المدى للقوتين العظميين ، ولكنه اعلن تأييده لاجتماعات القمة من حيث المبدأ .

٥ : حذر نائب رئيس قسم العلاقات الخارجية باللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفييتي اسرائيل من شن هجوم على سوريا مؤكدا أن مثل هذا الهجوم ستكون له عواقب وخيمة .

٦ : اعلنت موسكو رفضها اجراء حوار مع اسرائيل طالما لم تنسحب اسرائيل من الاراضى العربية المحتلة .

١٧ : حذر وزير الخارجية السوفييتي اندريه جروميكو من أن الفشل فى الاتفاق بين الشرق والغرب على وقف نشر الصواريخ النووية فى اوروبا سيؤدى الى اشتعال سباق التسلح .

١٨ : اتفق وزيرا خارجية الاتحاد السوفييتي وفرنسا على ضرورة قيام سلام عادل ودائم فى الشرق الأوسط واكدا استعدادهما لتبادل الاراء لدعم هذا الهدف .

٢٢ : هدد رئيس الوزراء السوفييتي الدول الاعضاء فى حلف شمال الاطلنطى رسميا من ان نشر الصواريخ الامريكية النووية متوسطة المدى فى اوروبا الغربية سيؤدى الى تدهور خطير الموقف فى اوروبا والعالم .

٢٣ : اكد وزير الدفاع السوفييتي ان مقترحات الكرملين لنزع السلاح لا يجب ان ينظر اليها كدليل ضعف ، واكد ان موسكو ستتصدى لاى تحد غربي عسكرى .

اسبانيا :

٢٤ : اتخذت الحكومة الاسبانية اول قرار لها بتأميم جميع البنوك والممتلكات الخاصة لمجموعة (روماسا) وذلك حفاظا على المصالح العامة .

اسرائيل :

١ : جدد مناحيم بيجين رئيس الوزراء رفضه لتجميد المستوطنات اليهودية فى الاراضى العربية المحتلة .

٣ : اكد ماريو سواريز رئيس وزراء البرتغال السابق وجود خلافات بين الاشتراكيين الاوروبيين وحكومة اسرائيل .

٥ : اكد وزير خارجية اسرائيل اصرار حكومته على الاحتفاظ بوجود عسكرى محدود فى جنوب لبنان .

٨ : طالبت لجنة التحقيق الاسرائيلية فى مذابح مخيمي صابرا وشاتيلا للفلسطينيين باقالة ارييل شارون وزير الدفاع وحملته مسئولية الاهمال فى تقدير مخاطر السماح لميليشيات الكتائب بدخول المخيمات . كما طالبت اللجنة باقالة رئيس المخابرات الحربية وحملت مناحم بيجين رئيس الوزراء بعض المسئولية .

١١ : قدم شارون وزير الدفاع استقالته من منصبه وتقرر بقاؤه عضوا فى الحكومة .

١٤ : عين موشى ارنيز وزيرا للدفاع .

١٥ : صدقت لجنة حقوق الانسان التابعة للامم المتحدة على ثلاثة قرارات تدين احتلال اسرائيل للاراضى العربية ومذابح صابرا وشاتيلا وضم مرتفعات الجولان .

١٦ : منيت بالهزيمة ثلاثة مشروعات قرارات للمعارضة الاسرائيلية لسحب الثقة من حكومة بيجين .

١٨ : ادانت اللجنة الدولية المستقلة للتحقيق فى الغزو الاسرائيلي للبنان عدوان اسرائيل على سيادة لبنان وحقوق الشعب الفلسطيني ودعت الى محاكمة المسئولين عن غزو اسرائيل للبنان بوصفهم مجرمى حرب .

٢٠ : صرح موشى ارنيز وزير الدفاع بان المشكلة اللبنانية خلقت قدرا من الاحباط والسخط لم يسبق له مثيل فى تاريخ العلاقات الامريكية الاسرائيلية .

٢٣ : صرح وزير الدفاع الاسرائيلي بان المفاوضات الاسرائيلية اللبنانية ليست مفاوضات من أجل الانسحاب من لبنان وانما حول مستقبل العلاقات بين البلدين .

٢٥ : رفض وزير الخارجية الاسرائيلي دعوة الرئيس الامريكي ريجان لاقامة شيء ما له طبيعة الوطن القومي الفلسطيني .

افغانستان :

٦ : اعترفت صحيفة النجم الاحمر السوفيتية بان الثوار الافغان تمكنوا من قتل الالاف من المؤيدين لحكومة بابراك كارمال الموالى لموسكو .

١٧ : اكد سبعة جنود سوفييت اسرى لدى الثوار الافغان أن القوات السوفييتية تقتل أى شيء حى فى افغانستان وتستخدم الاسلحة الكيماوية ضد المواطنين الافغان .

١٩ : قتلت القوات السوفييتية ١٥٠ مدنيا افغانيا فى قصف بالقنابل لاقليم (نانجارهار) الشرقي .

٢٦ : اعلنت وكالة ابناء الثوار الافغان أن ٥٦ من الضباط والجنود السوفييت والافغان الحكوميين لقوا مصرعهم واصيب ١٢٠ اخرون فى قتال مع الثوار لاستعادة موقع عسكرى رئيسى قرب كابول .

المانيا الغربية:

١ : اكد المستشار هلموت كول ان التوصل الى حل سياسى لازمة الشرق الأوسط عن طريق المفاوضات باشتراك جميع الأطراف هو الضمان الوحيد لبقاء اسرائيل على المدى الطويل .

١٧ : رفضت حكومة بون رسميا اقتراح السويد بانشاء منطقة منزوعة السلاح النووى بوسط أوروبا .

٢٠ : دعا وزير الدولة للشئون الخارجية منظمة التحرير الفلسطينية الى اعلان استعدادها للعيش فى سلام مع اسرائيل ، واكد أن كل محاولة لتقسيم لبنان ستؤدى الى ازمة دولية خطيرة .

٢٦ : اكد المستشار هلموت كول ان موسكو لن تجد الفرصة لاحداث انشقاق بين الولايات المتحدة وحلفائها حول مسالة نزع السلاح النووى .

: اتهم مسئول فى الخارجية الالمانية الاتحاد السوفييتي بالتدخل فى السياسة الداخلية لبلاده .

ايران :

٢ : اكد راديو طهران اتفاق سوريا وايران على ضرورة الاطاحة بنظام حكم الرئيس العراقي صدام حسين .

٨ : دفعت ايران بعشرات الالاف من جنودها عبر الحدود مع العراق فى إطار عملية (الفجر) التى وصفتها بانها المرحلة الأخيرة فى المواجهة مع العراق .

: أعلن راديو طهران ان قوات ايران طهرت ٥٠ كيلو مترا مربعا من الأراضى الايرانية .

١٠ : رفعت السلطات الايرانية القيود المفروضة على سفر الايرانيين الى الخارج .

١١ : أعلنت القيادة العسكرية الايرانية ان قواتها تمكنت من اسقاط ست طائرات عراقية وقتل واصابة ٢٥٠٠ من افراد القوات العراقية .

١٦ : حذر رئيس الوزراء الايرانى فرنسا من ان مصالحها فى الخليج سوف تدمر عندما تنتصر ايران فى حربها مع العراق .

٢٠ : رفضت ايران عرضا من الرئيس العراقى صدام حسين بالتوجه الى طهران للتفاوض حول تسوية لانهاء الحرب بين البلدين .

٢٣ : رفض رئيس وزراء ايران نداء لرئيس مجلس الأمن الدولى بوقف اطلاق النار فورا على جبهة القتال بين العراق وايران معتبرا هذا النداء وجهة نظر امبريالية .

ايرلندا :

٤ : قام السيد كمال حسن على وزير الخارجية المصرى بزيارة رسمية لايرلندا .

: اشاد وزير الخارجية الايرلندى بالعلاقات المصرية الايرلندية مؤكدا اهمية اقامة علاقات ايجابية بين بلاده ومصر باعتبارها عضوا هاما فى العالم العربى .

بنجلاديش :

١٥ : فرضت السلطات الأحكام العرفية وحظر التجول واغلقت جميع المعاهد والكليات بعد تفجر اعمال العنف فى البلاد .

بولندا :

٢٢ : اعترف رئيس المجلس العسكرى الحاكم الجنرال ياروزيلسكى بأن حكومته تواجه معارضة سرية قوية من جانب عناصر الثورة المضادة .

تشاد :

١٠ : اتهم وزير خارجية تشاد ليبيا بتجنيد المرتزقة لضم تشاد .

١٥ : اعلن وزير الخارجية ان تشاد تعتزم الاعتماد على جيش وطنى قوامه ٢٢ الف رجل لوضع حد للنوايا التوسعية الليبية

١١ : ١٦ : قام الرئيس التشادى حسين حبرى بزيارة رسمية للسودان التى اكد له رئيسها دعم السودان لتشاد .

الجزائر :

١٩ : اعلن وزير الخارجية ان وساطة الجزائر لانهاء الحرب العراقية الايرانية قد نجحت فى تضييق هوة الخلافات بين الجانبين ، وان ايران تخلت عن مطلب الاطاحة بنظام حكم الرئيس العراقى صدام حسين كشرط مسبق لمفاوضات السلام .

٢٦ : عقد لقاء قمة جزائرى مغربى بين الرئيس بن جديد والملك الحسن الثانى فى قرية جزائرية على الحدود فى اول لقاء قمة بين البلدين منذ قطع العلاقات الدبلوماسية بينهما فى سنة ١٩٧٦ .

جمهورية مصر العربية :

٣ : اعلن الرئيس حسنى مبارك استعداد مصر للتوسط لانهاء الحرب بين العراق وايران .

: احتجت مصر رسميا لدى اسرائيل لدخول نائب رئيس الاركان الاسرائيلى منطقة طابا .

٤ : عاد الرئيس حسنى مبارك الى القاهرة بعد انتهاء جولته فى كل من الولايات المتحدة وكندا وبريطانيا وفرنسا التى استغرقت عشرة ايام .

: اكد وزير الخارجية ان زيارة الرئيس مبارك للولايات المتحدة أسفرت عن اتفاق وجهتى نظر البلدين حول سبل انهاء الأزمة اللبنانية وازمة الشرق الأوسط .

٦ : رحبت مصر بالتقارب الأردنى الفلسطينى واعربت عن أملها فى دور أمريكى اكثر فعالية لحل ازمة الشرق الأوسط .

٨ : أوفد الرئيس حسنى مبارك كلا من وزير الدولة للشئون الخارجية ووكيل وزارة الخارجية (بطرس غالى واسامة الباز) فى مهمة عاجلة الى كل من بغداد وعمان وبيروت لتسليم رسائل الى زعمائها حول جولته فى أوروبا وامريكا .

١٢ : اكد الرئيس مبارك ان هناك أولوية كبرى لارتباط مصر بمبادىء حركة عدم الانحياز .

١٣ : ١٥ : عقد بالقاهرة المؤتمر الثانى لصحفيى دول عدم الانحياز ، وأوصى المؤتمر بتصفية الصراعات بين دول الحركة سلميا كما اعلن تأييده للمطالب المشروعة لشعب فلسطين وطالب بانسحاب جميع القوات الاجنبية من لبنان .

١٥ : ناشد الرئيس مبارك المجلس الوطنى الفلسطينى الاتفاق مع الأردن لصالح قيام الكيان الفلسطينى .

: اكد وزير الدفاع المصرى ان مصر مستعدة لتقديم العون لأى دولة عربية تواجه تهديدا .

١٦ : دعا الرئيس مبارك العرب الى الارتفاع فوق الخلافات ومناقشة الحلول المتاحة للقضايا العربية .

٢٠ : نفى الرئيس مبارك وجود قيادة مركزية فى مصر لقوات التدخل السريع الامريكية واكد ان مصر لن تسمح بوجود عسكرى اجنبى فوق أرضها .

: اعلن وزير الدفاع ان مصر ستقف الى جانب السودان ضد اى عدوان خارجى .

٢٤ : اعلن المتحدث الرسمى باسم وزارة الخارجية المصرية ان البيان الصادر عن مؤتمر المجلس الوطنى الفلسطينى بالجزائر قد تجاهل كل ما قدمته مصر من تضحيات ازاء الشعب الفلسطينى وانه كان ارتدادا سلبيا عن التعاون الايجابى مع مصر الذى جاء استجابة من مصر لنداء منظمة التحرير الفلسطينية خلال شهور أزمة لبنان واكد ان مصر وان تركت للمنظمة حرية اختيار طريقها فانها لن تتخلى عن تأييد شعب فلسطين .

السلفادور :

٣ : جرت عمليات انزال لقوات أجنبية فى السلفادور لتعزيز الثوار ، بينما انسحب ٦ الاف جندى حكومى من مقاطعة موزان بعد فشلها فى الانتصار على الثوار .

١٣ : ذكرت مصادر دبلوماسية غربية ان الجيش السلفادورى يواجه صراعات خطيرة فى الميول والاتجاهات ادت الى انقسام حاد بين قياداته .

السنغال :

٢٨ : اعيد انتخاب عبده ضيوف رئيسا للسنغال بعد حصوله على تأييد ٨٥٪ من اصوات الناخبين .

السودان :

١٩ : اعلن مصدر مسئول عن احباط محاولة لقلب نظام الحكم فى السودان دبرتها ليبيا التى تحشد قواتها فى منطقة الحدود بين البلدين .

: ادان السودان وتشاد كل محاولات التخريب التى تستهدف تصفية منظمة الوحدة الافريقية .

٢٠ : اكد الرئيس جعفر نميرى ان السودان يشارك مصر اقتناعها بالحوار طريقا الى السلام وانتقد مواقف الرئيس الليبى تجاه السودان ونفى وجود قوات امريكية فى السودان .

٢١ : اعلن وزير خارجية السودان أن علاقات مصر والسودان تتسم بالخصوصية وان ميثاق التكامل خطوة على طريق الوحدة بينهما .

٢٢ : عقد الرئيسان حسنى مبارك وجعفر نميرى بالخرطوم أول اجتماع للمجلس الأعلى للتكامل بين مصر والسودان وتم اقرار الأسس والقوانين الخاصة بمؤسسات التكامل .

: أعلن الرئيس نميرى ان الرئيس الليبى معمر القذافى ارسل سفنا مشحونة بالسلاح لعملائه فى السودان يهدف احداث قلاقل فيه .

: كما أعلن الرئيس حسنى مبارك ان طائرتين ليبيتين حلقتا فوق منطقة الكفرة فطلبت مصر من ليبيا عدم انتهاك أراضيها .

: قدم السودان شكوى الى مجلس الأمن الدولى ضد مؤامرات التخريب التى تدبرها ليبيا ضده .

: نفى وزير الاعلام السودانى وقوع محاولة انقلاب فى السودان واكد استقرار الاوضاع تماما .

٢٦ : أعلن الرئيس جعفر نميرى انه خلال ولايته الثالثة سيبذل السودان جهدا مكثفا

لتوطير العلاقات السياسية والاقتصادية والبشرية والاجتماعية مع مصر .

سوريا :

٥ : حذر مصدر سوري مسئول اسرائيل من خطورة التهديدات التي توجهها الى سوريا منذ بعض الوقت .

٧ : ذكرت مجلة نيوزويك الامريكية ان عددا من المستشارين العسكريين من المانيا الشرقية وكوبا قد وصلوا سوريا مؤخرا .

١٦ : اعلن وزير الخارجية الامريكي أن الخبراء العسكريين السوفييت يقومون بتشغيل صواريخ سام ٥ السوفييتية في سوريا .

٢٢ : أكدت سوريا مجددا استعدادها لسحب قواتها من لبنان فور انسحاب القوات الاسرائيلية منه . كما أكدت رفضها لاتخاذ اجراءات أمنية في لبنان تؤثر على الامن في سوريا . كما اكدت انها لن تقبل التنازل عن البرنامج العربي للسلام الذي اقرته قمة فاس كحد ادنى .

السويد :

١٠ : اكد خبراء العالم في مجال تنظيم الاسرة ان عدد سكان العالم سيصل عام ٢٠٠٠ الى اكثر من ستة مليارات نسمة .

الصين :

٣ : حذرت الصين وكوريا الشمالية من ان المناورات العسكرية المشتركة بين القوات الامريكية وقوات كوريا الجنوبية قد تتحول الى حرب حقيقية في اية لحظة وطالبتا بوقفها فورا ودون اية شروط .

٤ : دعا رئيس وزراء الصين الى ارساء الثقة المتبادلة بين واشنطن وبكين .

: اختتم الوفدان الصيني والهندي محادثات الجولة الثالثة من مفاوضات الحدود بينهما دون احراز تقدم ملموس .

٤ : ٦ : قام جورج شولتز وزير الخارجية الامريكية بزيارة رسمية للصين اتفق خلالها على تشكيل لجنة عسكرية مشتركة لدراسة تعزيز التعاون العسكري بين الصين والولايات المتحدة .

٥ : استبعد رئيس وزراء الصين امكانية تبادل الزيارات على مستوى الزعامات بين الصين والولايات المتحدة الامريكية طالما استمرت العقبات التي تعترض العلاقات الصينية الامريكية ومن بينها مسألة تايوان .

٧ : أعلنت الصين فشل وزير الخارجية الامريكي في ازالة العقبات لتحسين العلاقات مع امريكا .

١٠ : اتهمت الصين الاتحاد السوفييتي بمحاولة تعويق المناقشات الخاصة بافغانستان وكمبوديا في مؤتمر قمة عدم الانحياز في نيودلهي .

٢٧ : اتهمت الصين الولايات المتحدة بالتدخل في شئونها الداخلية وبانتهاك الاتفاقيات بينهما . كما اتهمت الرئيس الامريكي ريجان بالاساءة الى العلاقات الامريكية الصينية .

: بدات جولة جديدة من محادثات التطبيع بين الصين والاتحاد السوفييتي .

العراق :

٥ : طالب العراق الدول العربية اتخاذ اجراءات مشددة ضد ليبيا وسوريا لمواقفهما من الحرب العراقية الايرانية .

٦ : حذر الرئيس العراقي صدام حسين من ان ايران تعد لشن هجوم واسع عبر الحدود على قطاع ميسان .

٧ : أعلنت العراق انها سحقت هجوما ايرانيا واسع النطاق في منطقة الشيب .

٨ : طالب العراق كلا من الجامعة العربية والامم المتحدة ومنظمة المؤتمر الاسلامي وحركة عدم الانحياز متجاهل مسئولياتها ازاء استمرار الحرب العراقية الايرانية .

٩ : أعلن العراق عن سحق الهجوم الايراني والقضاء على الجانب الرئيسي من القدرات العسكرية الايرانية .

١٠ : اعلن العراق ان القوات الايرانية المحاصرة قد استسلمت وتضم اكثر من ١٠٠٠ جندي .

١٣ : اعلن العراق ان قواته قتلت أكثر من ١٥ الف ايراني في منطقة الشيب .

١٧ : اكد نائب رئيس الوزراء العراقي ان بلاده تجرى اتصالات مع واشنطن حول حرب الخليج واتهم واشنطن باطالة امد الحرب بامدادها ايران بالاسلحة عن طريق اسرائيل .

غانا :

١٣ : اتهم اللفتنانت جيري رولينجز رئيس غانا الحكومة النيجيرية بالتآمر ضد نظام حكمه الثوري .

فرنسا :

٩ : حذرت فرنسا الولايات المتحدة من انها لن تقبل المراقبة على نشاطاتها المستقلة في مفاوضات ليست هي طرفا فيها .

: أعلن رئيس وزراء فرنسا بعد محادثات مع نائب الرئيس الامريكي جورج بوش انه مازالت توجد خلافات بين امريكا وفرنسا وخاصة في مسائل الحوار بين الشمال والجنوب .

١٣ : انتقد انطوان بلانكا سفير فرنسا المتجول في امريكا اللاتينية سياسة الولايات المتحدة الامريكية في امريكا اللاتينية .

١٦ : ١٩ : قام وزير خارجية فرنسا بزيارة لموسكو واكد حرص فرنسا على التعاون الاقتصادي مع السوفييت رغم الخلافات السياسية بينهما .

٢٣ : اعلن وزير التجارة الخارجية الفرنسي ان فرنسا لن تقبل ان تتمسك الولايات المتحدة في السياسة الزراعية المشتركة حول السوق الاوروبية ، وهاجم استمرار السياسة الامريكية المتعمدة للسيطرة على دول السوق .

فلسطين :

١٤ : ٢١ : عقد المجلس الوطني الفلسطيني دورته السادسة عشرة بالجزائر ، واعلن الناطق الرسمي باسم المؤتمر بان المجلس الوطني الفلسطيني لم يعط اي تفويض لأي مسئول عربي بالتحدث باسم الشعب الفلسطيني . كما وافق المجلس على قرار بتوسيع عضويته . ورفض المجلس اعتبار خطة الرئيس الامريكي ريجان للسلام في الشرق الاوسط كاساس صالح لحل دائم وعادل للقضية الفلسطينية واعتبر خطة السلام العربية التي اقرها مؤتمر فاس حدا ادنى للعمل السياسي العربي ويجب اكمالها بالعمل العسكري لتغيير ميزان القوى لصالح النضال الفلسطيني .

كما اكد المجلس رفضه لاتفاقات كامب ديفيد وما يرتبط بها من مشاريع للحكم الذاتي ، ودعا اللجنة التنفيذية الى تحديد العلاقات مع النظام المصري على اساس تخليه عن سياسة كامب ديفيد .

كما قرر المجلس تجديد مدة رئاسة السيد ياسر عرفات للجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية .

فيتنام :

١٢ : اعلن المتحدث باسم الاسطول الأمريكي السابع ان فيتنام انشأت قوة بحرية وجوية ضخمة بمساعدة السوفييت تشكل تهديدا خطيرا لمنطقة جنوب شرق آسيا .

٢٣ : اعلن سفير فيتنام في باريس ان قمة الدول الشيوعية الثلاث في الهند الصينية فيتنام وكمبوديا ولاوس قررت انسحاب الوحدات الفيتنامية المرابطة في كمبوديا بصورة جزئية خلال العام الحالي ١٩٨٣ .

لبنان :

١ : اتهم زعيم حزب الكتائب اللبناني بيير الجميل اسرائيل بالسعي لتقسيم لبنان .

٥ : دمرت سيارة ملغومة في بيروت الغربية مبنى مركز الأبحاث الفلسطيني ومبنى يضم السفارة الليبية ووكالة الانباء الليبية .

٦ : سيطر الدروز تماما على مدينة عالية والحي الغربي من بيروت .

١٤ : حمل رئيس الوزراء اللبناني اسرائيل مسئولية الاعتداء على المدنيين في جنوب لبنان .

١٥ : ارسل الرائد المنشق سعد حداد وحدة من قواته الى سهل البقاع وقرر اقامة حامية في

مدينة النبطية في الجنوب .

: بدأت قوات الجيش اللبناني الانتشار في بيروت لاحكام السيطرة عليها .

١٦ : استكملت قوات الرائد سعد حداد سيطرتها على المنطقة العازلة في جنوب لبنان بطول ٤٠ كيلو مترا .

٢٣ : اعلن الرائد سعد حداد انه يقوم حاليا بزيادة عدد قواته في جنوب لبنان لتصل الى ١٥ الفا بدلا من ثلاثة الاف .

٢٦ : اكدت لبنان رفضها لاية ترتيبات امنية من شانها النيل من سيادتها .

ليبيا :

٨ : تكونت في ليبيا جبهة معارضة عراقية تضم ١٢ حركة معارضة للاطاحة بنظام الرئيس صدام حسين .

١٩ : اكد العقيد القذافي استعداده للدخول في نزاع مسلح مع الولايات المتحدة ونفى ان ليبيا تضمر اي نوايا عدوانية ضد جيرانها وخاصة السودان .

: اعلن بيان للقوات المسلحة الليبية ان سفن الاسطول السادس الامريكي قد اقتربت من المياه الاقليمية الليبية وحذر البيان من محاولة اختراق المجال الجوي الليبي او المياه الليبية .

٢٢ : اكدت قيادة الثورة الليبية تمسكها باتحاد الجمهوريات العربية بين مصر وسوريا وليبيا . وميثاق طرابلس الذي يشمل مصر والسودان وسوريا وليبيا .

المملكة العربية السعودية :

٣٠ : ٣١ : عقد مجلس التعاون الخليجي اجتماعات بالرياض ووجه نداء الى الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي للمساعدة على وضع نهاية للحرب العراقية الايرانية وانتقد سوريا وليبيا لمساعدتهما ايران .

المملكة المتحدة :

٢ : ٣ : قام الرئيس المصري حسني مبارك بزيارة عمل لبريطانيا وبحث مع المسئولين سبل دعم العلاقات بين مصر وبريطانيا والموقف في الشرق الاوسط .

٢ : اكد تقرير للجنة الدولية لرجال القانون ان السلطات الاسرائيلية تورطت في مذابح الفلسطينيين بمخيمي صابرا وشاتيلا وطالب التقرير بضرورة محاكمة المسئولين عن هذه المذابح بتهمة جريمة الحرب .

١٦ : اعربت السيدة مارجريت تاتشر في رسالة للرئيس الامريكي ريجان عن قلقها للتطورات في الشرق الاوسط .

١٧ : دعت بريطانيا اسرائيل الى تجميد بناء المستوطنات في الاراضي العربية المحتلة وحثت العرب والاسرائيليين على التفاوض على اسس اقرار السلام .

٢٥ : حقق التحالف الاشتراكي الديمقراطي الليبرالي انتصارا في الانتخابات الفرعية في لندن .

النمسا :

٥ : طالب المستشار برونو كرايسكي باجراء محادثات استطلاعية بين الديمقراطيات الغربية والعالم العربي للتوصل الى ارضية مشتركة في السعي من اجل تسوية سلمية لمشكلة الشرق الاوسط .

٨ : قال كرايسكي ان تصرفات اسرائيل تجعل نجاح مفاوضات السلام مع العرب امرا بالغ الصعوبة .

نيكاراجوا :

٢ : اعلنت نيكاراجوا حالة التاهب القصوى بين قواتها مع بدء المناورات العسكرية المشتركة لهندوراس والولايات المتحدة الامريكية بالقرب من حدودها .

زيمبابوي :

٢٠ : ٢٢ : عقد مؤتمر قمة لدول المواجهة الافريقية لبحث اتخاذ موقف افريقي مشترك ازاء القضايا الاقليمية والدولية قبل انعقاد قمة عدم الانحياز في نلهي .

٢٦ : كشف تحقيق اجرته الحكومة حول المذابح التي ارتكبتها القوات الحكومية ضد الموالين لجوشوانكومو زعيم المعارضة عن ان اكثر من الفي مدني قد ذبحوا على أيدي القوات الحكومية الهربية في كوريا الشمالية

الهند :

٦ : حقق حزب المؤتمر الحاكم انتصارا على منافسيه من الاحزاب الاخرى في الانتخابات المحلية .

١٠ : اعلنت احزاب المعارضة الرئيسية مقاطعتها لانتخابات المجالس المحلية والبرلمانية في ولاية اسام .

١٣ : ١٥ تفجرت اعمال العنف ونشبت اضطرابات طائفية في ولاية اسام ووقعت مذبحة راح ضحيتها ٤٥٠ شخصا .

٢٠ : لقي الف شخص حتفهم واصيب ٥٠٠ اخرون في مذبحة ارتكبتها عصابات من رجال القبائل ضد المهاجرين من بنجلاديش في ولاية اسام .

٢٣ : تعهدت انديرا غاندي رئيسة الوزراء امام البرلمان بالعمل على ابعاد المهاجرين من اسام .

٢٦ : اعلنت رئيسة الوزراء ان حكومتها تستقبل القمة السابعة لحركة عدم الانحياز بامل كبير في ايجاد حل للمشاكل الاقتصادية في العالم الثالث واكدت ان الهند ضد اي وجود اجنبي في افغانستان .

الولايات المتحدة الامريكية :

١ : اكد نائب الرئيس الامريكي ان ابرام اتفاقية بحظر جميع الصواريخ متوسطة المدى هو شرط لعقد قمة بين الرئيس ريجان والزعيم السوفييتي اندروبوف .

٢ : جدد الرئيس ريجان انتقاداته لسياسة الاستيطان الاسرائيلية .

: دعا وزير الخارجية الامريكي الى علاقات اقوى مع الصين في مواجهة الاتحاد السوفييتي .

٣ : وصفت الولايات المتحدة علاقاتها بموسكو بالفتور وانه لا توجد بوادر لعودة الوفاق بينهما .

٥ : اعلن نائب الرئيس الامريكي ان الولايات المتحدة لن توقف نشر صواريخها من طراز كروز في اوروبا الا إذا فك الاتحاد السوفييتي صواريخه المنصوبة تجاه اوروبا الغربية قبل نهاية العام الحالي .

: اقترحت الولايات المتحدة على الصين اجراء مفاوضات لتزويدها باسلحة هجومية امريكية .

٨ : اكد التقرير السنوي للخارجية الامريكية عن وضع حقوق الانسان العالم وجود شواهد ايجابية على تحسن موقف حقوق الانسان في مصر . وحذر من تدهور الاوضاع الانسانية في الاراضي العربية المحتلة . واكد استمرار عمليات القمع في بولندا والاتحاد السوفييتي وايران وتحسن حقوق الانسان في بعض دول الكاريبي .

: اتهم الرئيس ريجان اسرائيل بعرقلة عملية السلام بتاخير انسحابها من لبنان .

١٧ : حذر الرئيس ريجان من ان جهود السلام ونزع السلاح ستتعرض لانتكاسة خطيرة اذا ما سحب اي من حلفاء الولايات المتحدة تاييده لاقتراح واشنطن بالاختيار (صفر) .

٢٢ : اعلن الرئيس ريجان استعداده لضمان امن الحدود الشمالية لاسرائيل بعد انسحابها من لبنان ودعا سوريا ومنظمة التحرير الفلسطينية الى سحب قواتهما من لبنان وطالب الدول العربية بقبول اسرائيل كامر واقع .

٢٤ : حذر الرئيس ريجان من ضياع الفرصة الراهنة امام احتمالات السلام في الشرق الاوسط وطالب اسرائيل بسحب قواتها من لبنان قبل التركيز على مسالة التطبيع مع لبنان .

اليابان :

١ صرح المدير العام لوكالة الدفاع اليابانية بان قرار اليابان بنشر المقاتلات الامريكية من طراز اف ١٦ في شمال اليابان يستهدف إعادة التوازن العسكري بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي في الشرق الاقصى .

١٨ : جددت اليابان دعوتها للاتحاد السوفييتي لانهاء النزاع حول الجزر الواقعة شمال اليابان التي يحتلها الاتحاد السوفييتي منذ الحرب العالمية الثانية .